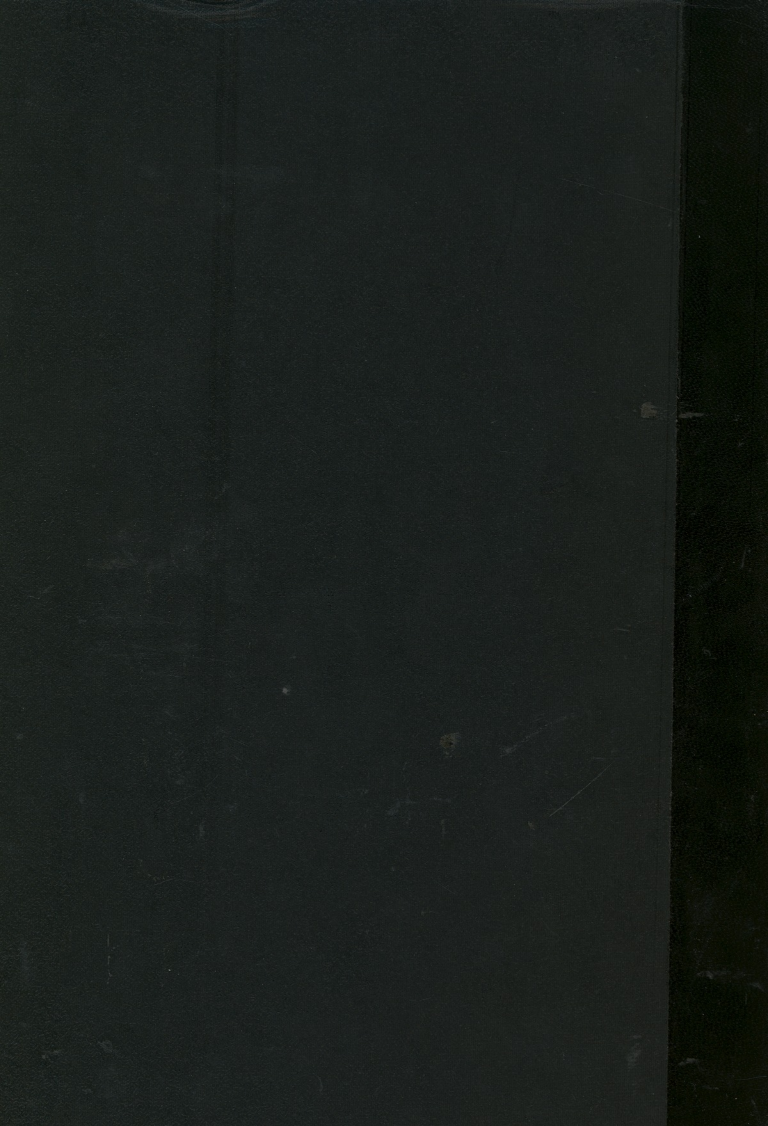
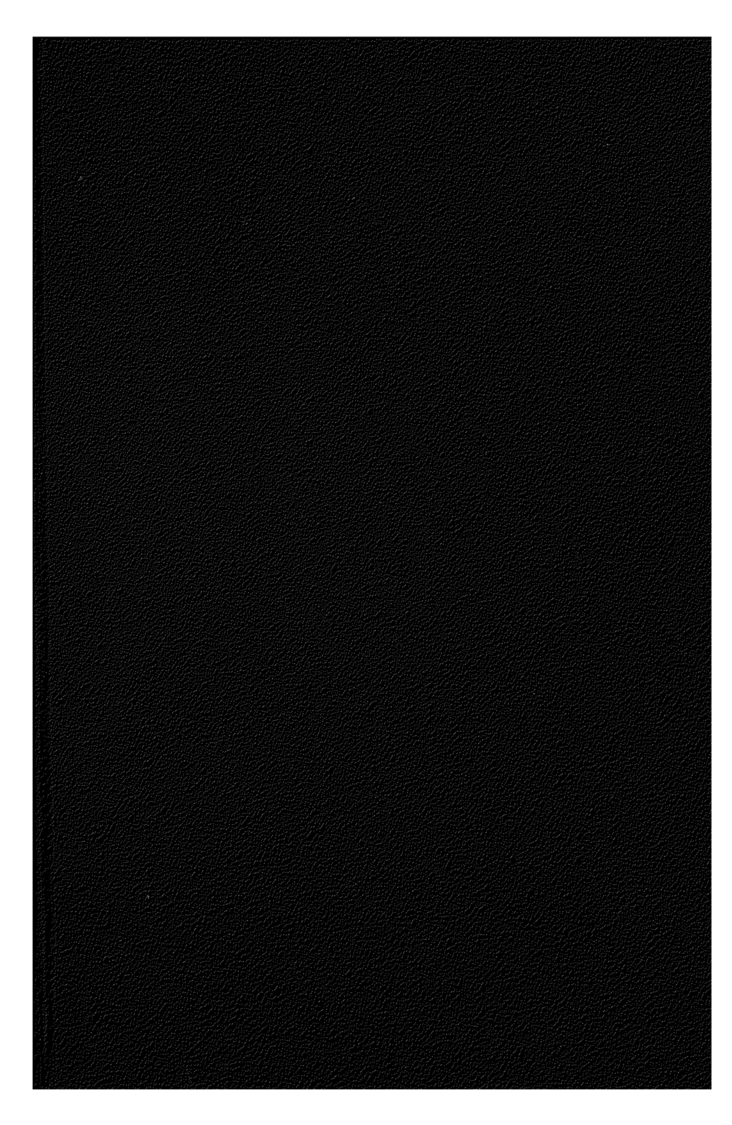
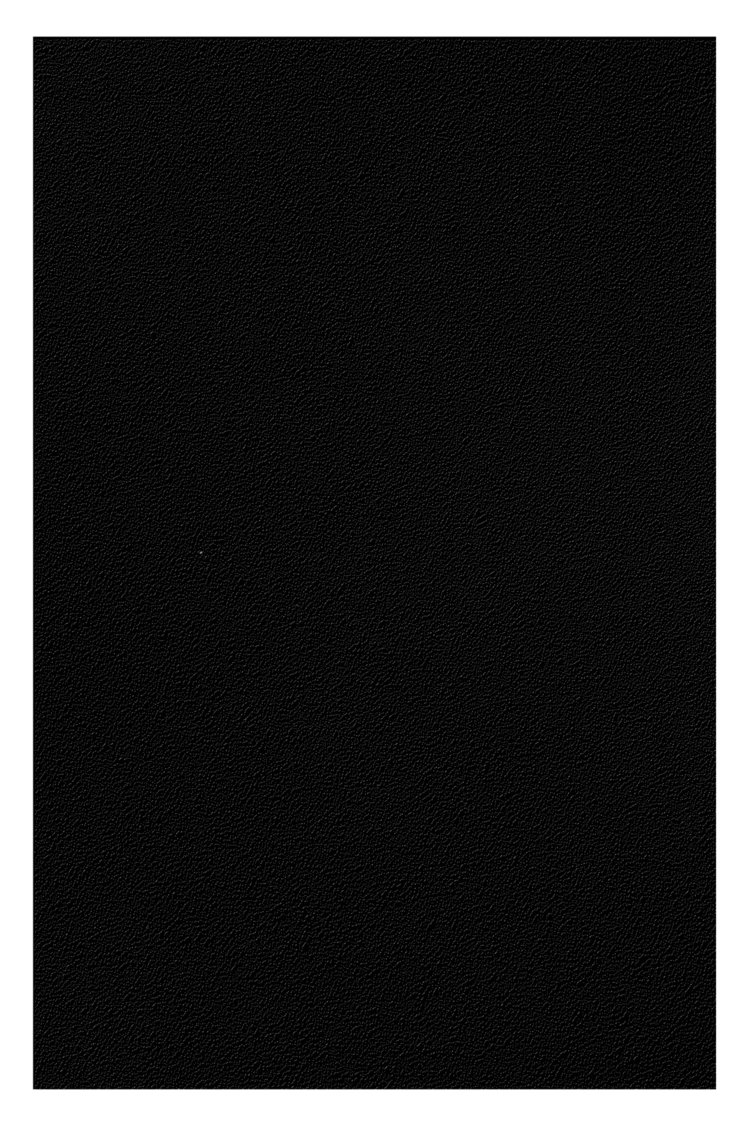








الجزء الأول المجلد التاسع والسبعون





ذو القعدة ١٤٢٤هـ

كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٤م



ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م	
	١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
	١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
	١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونها بها ويقصرونها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

الجزء الأول		المجلد التاسع والسبعون





ذو القعدة ١٤٢٤هـ

كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٤م

حفل تذكاري

بمناسبة انقضاء خمسين سنة على وفاة مؤسس المجمع

الأستاذ محمد كرد علي

تقديم

أقام مجمع اللغة العربية بدمشق حفلاً تذكاريًا بمناسبة انقضاء خمسين سنة على وفاة مؤسس المجمع الأستاذ محمد كرد علي

وقد أقيم هذا الحفل في الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين ٢٠/١٠/٢٠٠٣ في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، وحضر هذا الحفل جمع غفير من العلماء والباحثين.

وقد ألقيت بهذه المناسبة الكلمات الآتية:

١- كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة،. ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية.

٢- كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

٣- كلمة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني.

٤- كلمة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن حاج صالح، رئس مجمع اللغة العربية الجزائري.

وننشر فيما يلي الكلمات المذكورة:

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكرى
الأستاذ محمد كرد علي

أ. د. شوقي ضيف

وُلد الأستاذ الجليل محمد كرد علي بمدينة دمشق سنة ١٨٧٦ للميلاد، وكلمة (كرد علي) التي سميت بها الأسرة تركيب فارسي بمعنى «علي الكردي». وكانت من بلدة السليمانية في شمال العراق رحلت منها إلى دمشق وامتلكت بغوطتها أرضًا محدودة المساحة. وكانت أمه شركسية من قفقاسيا. بدأ تعلمه في مدرسة دمشق الابتدائية الحكومية في السادسة فتعلم بها القراءة والكتابة ومبادئ العلوم الإسلامية والحساب. وبعد إنهاء تعلمه بها دخل المكتب الرشدي العسكري الإعدادي وبه تعلم اللغة التركية. والتحق بعده بالمدرسة العازرية لمدة سنتين تعلم فيهما اللغة الفرنسية، وفيها تدرب على الترجمة من الفرنسية إلى العربية والعكس، وثقف الفارسية، وأخذ يعنى بالصحافة منذ السادسة عشرة من حياته وبالأدبين الفارسي والتركي، كما أخذ يرسل بمقالاته إلى الصحف المصرية وخاصة المقتطف.

وفي سنة ١٩٠١ هاجر محمد كرد علي إلى مصر والتحق بصحيفة الرائد المصري وحضر فيها مجالس الشيخ محمد عبده ودروسه، وأخذ يكتب في عدد من الصحف المصرية وخاصة: المقتطف والظاهر والمؤيد. وأصدر بمصر سنة ١٩٠٦

مجلة المقتبس واشتهرت بما كتب فيها من المقالات الأدبية والاجتماعية وبها عدّ أول رائد للصحافة السورية الحديثة وصاحب أول مجلة سورية أدبية راقية.

وفي سنة ١٩٠٨ حدث الانقلاب العثماني وخُلع السلطان عبد الحميد عن عرشه، فعاد محمد كرد علي من مصر إلى دمشق، وظل يصدر فيها مجلة المقتبس الشهرية، وأصدر فيها صحيفة باسم صحيفة المقتبس اليومية، ورحل إلى أوربا مرتين قبل الحرب العالمية الأولى في القرن العشرين. وتعرَّف في رحلته الأولى إلى كثير من المستشرقين، ووصف هذه الرحلات في كتاب سمّاه (غرائب الغرب) وهو أول كتبه النفيسة، وكانت تصدر مجلة المقتبس الشهرية التي نشرت له أبحاثًا قيمة في الأدب العربي، وفي التاريخ الإسلامي وفي التراث العربي القديم مما يجعله أحد كتاب العصر النابهين.

وفي سنة ١٩١٩ أسس الأستاذ محمد كرد علي المجمع العلمي العربي بدمشق وهو أكبر مؤسسة علمية بديار الشام منذ ذلك التاريخ، وأصبح رئيسًا له منذ تأسيسه، وظل ينعم برياسته إلى وفاته سنة ١٩٥٣ وأصبحت مجلته «المقتبس» كبرى مجلات الشام الأدبية، وأصبحت معرضًا حرًا ومنبرًا عامًا للحركة الأدبية في سورية وللأدب الرفيع.

ولما تولى الجيش الفرنسي مقاليد الأمور في دمشق سنة ١٩٢٠ تولى وزارة المعارف ثلاث مرات، وظل بها محتفظًا بكرامة شعبه الوطنية ونهضته التعليمية مشجعًا الشباب السوري على مواصلة التعليم ودراسة الآداب العربية، وكان يكثر من محاضراته في المجمع العلمي الذي استحال دار ندوة ثقافية كبرى للشباب السوري ولأهل البحث والدراسة.

ولما تأسس مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٢ كان الأستاذ

الجليل محمد كرد علي من أوائل أعضاء العرب الذي شملهم المرسوم الأول بإنشائه سنة ١٩٣٢ للميلاد، فهو أحد العشرة الأولى التي ضمت إلى العشرة المصريين المؤسسين لمجمع اللغة العربية المصري، وبذلك كان من كبار أعلام العرب اللغويين المؤسسين للمجمع. وبعد سنتين من إنشاء المجمع اللغوي يحييه الأستاذ محمد كرد علي تحية رائعة جاء في صدرها:

«سادتي: بتوفيق الله أتم هذا المجمع دور الرضاعة حولين كاملين واليوم دخل في دور الحضانة، يتعهده أولياؤه ببليغ العناية، ويربونه على نحو ما يُربّى الطفل في خير البيئات، لأن حياته مما يهمُّ خمسة وستين مليونًا من العرب».

وتتوالى في أعداد المجمع التالية بحوثه اللغوية العلمية القيمة، وأول بحث نلتقي به في مجلة المجمع بحث بعنوان: «أفعال للاستعمال» وينقل عن كتاب الأفعال لابن القوطية الأندلسي أن الأفعال أصول مباني أكثر الكلام، ولذلك سَمَّتْها العلماء الأبنية، وبعلمها يُستَدلّ على كثير من علم القرآن والسنة. ويقول البصريون بقدم الأسماء، والكوفيون بقدم الأفعال ولكل وجه. ويكتب الأستاذ كرد علي في مقالة أكثر من عشر صفحات يذكر فيها أفعالاً مع أصولها المشتقة منها؛ وكأنه يريد أن يثبت في الأذهان فكرة اشتقاق الأفعال من الأسماء مثل أمّر الأمراء، إذا ولاهم، ويذكر أفعالاً لا تثقل على الطبع ولا على السمع، وكأنه يريد أن يبعث فيها الحياة من جديد دالاً بذلك على سعة اللغة في الاشتقاق.

والاجتماع والأدب قد تصعب ترجمتها من الإفرنجية إلى العربية والعكس، فما كان من أصل إفرنجي وضعَ له اللفظ العربي، وما وجد في الأصول العربية شفعه باللفظ الفرنجي، يتوخى أن يجد مقابلاً لما خلت منه المعاجم العربية الفرنسية والفرنسية العربية ليكون عمله الفرنجي واضحًا لتلك المعجمات. وقد

لاينطبق من كل الوجوه اللفظ الذي وضعه للمعنى المراد في اللغة الثانية، لأنه من المتعذر في بعض ألفاظ نقلها إلى معنى مراده، وقد يأتي باحث آخر فيهتدي إلى لفظ أنسب، وتتوالى الألفاظ ومقابلاتها الأجنبية في نحو عشرين صفحة.

ولما قدم الأستاذ عبد العزيز فهمي إلى المجمع سنة ١٩٤٣ اقتراحه بالاعتماد على الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية لما فيها من صعوبة وعسر قال: إنّ العربي يقضي كل سنوات الدراسة في التعليم الأوليّ والابتدائي والثانوي والعالي والجامعي ويخرج بعد هذا الزمن الطويل لا يستطيع قراءة أي نص عربي مطبوع قراءة سليمة وهي مبالغة شديدة، ويقول: إن رسم الكتابة العربية هو الكارثة التي أحاطت بلغتنا وجعلتها من أسباب تأخر العرب. ويقول الأستاذ محمد كرد علي: إن الأستاذ عبد العزيز فهمي ينسى أن رسم الكتابة العربية ورثناه عن أجدادنا والقضاء عليه قضاء على تراث مهم للأجداد. ويقول: إن ذلك قد يؤول بنا إلى أن نستبدل بلغتنا لغة غربية، ويقول خصوم العربية: إن رسوم حروفها الهجائية وصعوبته هو سبب تخلف العرب، وتخلفهم أسباب أخرى ليس من بينها صعوبة خطهم، والعربية تتسامى على جميع لغات المشرق، تتسامى على اللغة اليابانية بصورها وأشكالها المعقدة، كما تتسامى على اللغة الصينية التي قد تبلغ مئة ألف شكل، ولم يحل ذلك دون تعلم أهلها لها وتمسكهم بها كما يتمسك الغربيون بلغاتهم الحديثة. والعرب يتعلقون بلغتهم ويشغفون بها ويزدادون كل يوم حبًا لها وشغفًا، لأنها لغة قرآنهم المقدس. ولا ريب أن في اعتماد الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية تناقضًا مع الغاية التي أنشئ المجمع من أجلها، مع ملاحظة أن الحروف العربية ملك لجميع الشعوب الإسلامية، اختارها ثلاثمئة مليون من المسلمين، وإذا أبطلت حروفها تخسر

مصر ويخسر العرب ويخسر الإسلام بفعل نشر لغات أجنبية بين أظهرنا، وحري بنا أن لا نطيل المناقشة في هذا الموضوع.

ويعرض الأستاذ محمد كرد علي مقالة طويلة على المجمع يلم فيها بتطور بعض الألفاظ والتراكيب والمعاني، ويبدؤها بصيغ من الألفاظ المضافة والمنسوبة عند الثعالبي، وفيها ما يضاف إلى الله مثل: «كتاب الله»، و«رحمة الله»، وفيها ما يضاف إلى الأنبياء مثل: «سفينة نوح»، و«نار إبراهيم»، و«عصا موسى»، «وصبر أيوب»، «ومزامير داود»، و«خاتم سليمان»، ومنها ما ينسب إلى الملائكة والشياطين والقرون الأولى مثل: «سحر هاروت»، و«ديك الجن»، و«رؤوس الشياطين»، و«ريح عاد»، و«صرح هامان»، و«كنوز قارون»، و«سَدّ الإسكندر»، و«نوم أصحاب الكهف»، ومنها ما ينسب إلى المرأة مثل: «حمالة الحطب»، و«خضراء الدِّمَن»، و«ضرائر الحسناء»، و«كيد المرأة»، و«مرآة الغريبة»، و«بكاء الثكلى»، ومنها ما يضاف إلى الحيوان الأليف والوحشي، وإلى الجبال، والمياه، والثياب، والطعام، والشراب، والسلاح، والحلي، والليالي، والأزمان. وكل ما أتى به الثعالبي لم يخرج عن تراكيب عربية ولفظ عربي، ويقول الأستاذ محمد كرد علي: «إن الألفاظ والتراكيب تطورت في العصر أو نقلت الترجمة منها إلينا كثيراً في أيامنا»، ثم يذكر نشره أو تحقيقه لخمسة من كتب التراث هي: كتاب «رسائل البلغاء» وفيه نصوص نادرة لعبد الحميد الكاتب ولابن المقفع، والكتاب الثاني «سيرة أحمد بن طولون» البلوي من أهل القرن الثالث والكتاب الثالث «المستجاد من فعلات الأجواد» للتنوخي من أهل القرن الرابع، والكتاب الرابع كتاب «البيزرة» لبازيار العزيز بالله الفاطمي، والكتاب الخامس «تاريخ حكماء الإسلام» للبيهقي وفيه كثير من ألفاظ الحكمة

والفلسفة، ويسوق من كل كتاب بعض ما فيه من ألفاظ طريفة نسيناها، ونحتاجها اليوم أشد الاحتياج.

وتوقف الأستاذ محمد كرد علي طويلاً في الجزء السابع من المجلة ص ١٢٨ وما بعدها عند غرائب اللهجات العربية، وما أدخله كل قطر عربي على لهجته من ألفاظ كانت متأصلة فيه، ولاحظ أن أرباب اللغات تساهلوا في قبول بعض المفردات الدخيلة طوعًا أو كرهًا كأنهم رأوا أن لا مندوحة لهم عنها، وإن خرجت أحيانًا عن صيغة لغتهم، ولا ريب في أن اللغات تتطور عن هذا الطريق سريعًا مورِّثة لهجتها طائفة أو طوائف من الألفاظ الدخيلة، وكلما تقدمنا مع الزمن ازداد استعمال هذه الألفاظ الأجنبية الدخيلة. ويروى أن معاوية بلغه في حربه بصفين أن قيصر الروم ينوي غزو الشام فكتب إليه كتابًا موجزًا قال فيه: «لئن أتممت ما بلغني من عزمك على غزو الشام لأجعلن القسطنطينية حممًا سوداء ولأنتزعنَّك من الملك انتزاع الإصطفلينة، ولأردنك أريسًا من الأرارسة ترعى الدوبل» وفي الخطاب ثلاث كلمات أجنبية: الإصطفلينة: وهي الجزرة، وأردّك أريسًا أي فلاحًا، والدوبل: الخنزير. ومن اللهجات ما راج في قرن وكسد في آخر، كانوا يقولون في القديم: فندق أو خان فأصبحوا يقولون: لوكاندة أو أوتيل، ويقولون في الشام شلَح أي خلع ثيابه وفي لبنان قلع ثيابه، وفي مصر قلع هدومه. وقد يهلك الناس بعضهم بعضًا بألفاظ لا يفهمونها، فإذا تفاهموا تعاطفوا وتعانقوا.

وعرض الأستاذ محمد كرد علي على المجمع اللغوي رأيه في المشروع الذي قدمه الأستاذ علي الجارم في تيسير الكتابة العربية وما اقترحه فيها من صور جديدة ورسوم وخطوط، قائلاً: إنني لم أر في خطوط مشروعه إلا

انتقالاً من بسيط إلى مركب، ويقول: إن الرسم الذي يكتب به الحروف في العربية ألفته العيون زمنًا طويلاً، واستبعد أن يقبل المجمع تبديلها بحروف لا حاجة إليها، وقال إن الألفة التي صارت لنا لحروفنا تجعل من المتعذر أن نتدرب على غيرها في مدة وجيزة، وخطأ أن نعمد إلى التجديد في كل شيء.

ومن مؤلفاته:

١– خطط الشام (في ستة أجزاء):

تحدث فيه عن جغرافيتها من خليج العقبة جنوبًا إلى جبال طوروس شمالاً، وسكانها وكل ما يتصل بهم من حياة وعمران ودول إسلامية حتى نهاية الجزء الثالث، وكان منهم آراميون في الشمال وفينيقيون وسوريون في الوسط وكنعانيون في الجنوب، وسكن العرب قبل الإسلام في بعض ديارها مثل النبط والغساسنة وقضاعة وكلب، ويلقانا في جزئها الرابع العلوم والتاريخ والآداب والزراعة والصناعات والتجارات، وفي جزئها الخامس الجيش والأسطول والضرائب والأوقاف، وفي الجزء السادس الأديار والكنائس والمساجد والجوامع ودور الكتب والمتاحف والأديان والمذاهب.

٢– الإسلام والحضارة العربية (في جزأين):

يتحدث في الجزء الأول عن عناية العرب بالعلوم والفنون ومدنيتهم في الإسلام والحروب الصليبية والاستعمار وأثر مدنيته في العرب. وفي الجزء الثاني يتحدث عن علوم العرب بالتفصيل كعلوم الكلام والشريعة والتصوف والفلسفة، وعن الإدارة في الإسلام والسياسة.

٣– أمراء البيان عند العرب (في جزأين):

فيه يتحدث حديثًا مفصلاً عن عشرة من أعلام العرب وبلغائهم في العصرين

الأموي والعباسي، وهم: عبد الحميد الكاتب، وابن المقفع، وسهل بن هارون، وعمرو بن مسعدة، وأحمد بن يوسف الكاتب، وإبراهيم بن العباس الصولي، ومحمد ابن عبد الملك الزيات، والجاحظ، وأبو حيان التوحيدي، وابن العميد.

٤- المذكرات (في ثلاثة أجزاء):

وهي كتابات صحفية مقتضبة عن موضوعات متنوعة مثل: جامعة الدول العربية - المجمع اللغوي - الدستور السوري - الشاميون في مصر- لبنان - بعض شخصيات عربية وسياسية- الأمير فيصل - بطريرك الروم - مجالسنا النيابية- الإخوان المسلمون.

٥- أقوالنا وأفعالنا:

مقالات متنوعة صحفية مثل سابقه ومقالات عن حقوق المرأة، ومثل تمدننا- وطنيتنا- ماضينا- نهضتنا الأخيرة- حسنات الأزهر.

٦- الإدارة الإسلامية:

يبدأ هذا الكتاب بالحديث عن إدارة الرسول ﷺ ثم يتتبع الإدارات الإسلامية من عهد أبي بكر إلى عهد المقتدر الخليفة العباسي في صدر القرن الرابع الهجري.

٧- غابر الأندلس وحضارتها:

وفيه تحدث الأستاذ محمد كرد علي عن فتح العرب لها وعمرانها والعرب فيها، والنهضة العلمية بها، ومدنها المهمة، وقصر الحمراء، وسقوطها في أيدي النصارى، وعلم المشرقيات في إسبانيا والبرتغال.

٨- غوطة دمشق:

بساتينها- قراها- سكانها- زروعها- الجباية والأموال- العلم والأدب- المدارس والخوانق والزوايا- القصور- الجواسق.

هذا ما استطعت الوقوف عليه من كتب الأستاذ محمد كرد علي، وله وراءها كتب أخرى مثل: القديم والحديث، غرائب الغرب، وغير ذلك، وقد أسهم في كثير من لجان المجمع بجهوده العلمية الطريفة كما في لجنة علوم الحياة والطب، ولجنة الآداب والفنون الجميلة، ولجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية، ولجنة الأعلام الجغرافية.

العلامة الجليل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي

(١٨٧٦- ١٩٥٣م)

(١٢٩٣- ١٣٧٢هـ)

في ذكرى مرور خمسين سنة على وفاته

الدكتور شاكر الفحام

يقيم مجمع اللغة العربية هذا اللقاء الكريم في ذكرى مرور خمسين سنة على وفاة فقيدنا الغالي العلامة الجليل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي مؤسس المجمع، والرائد المصلح الذي وقف حياته وقلمه يستحث الشعب للنهوض والمشاركة الجادة في مسيرة العلم والثقافة، واللحاق بركب الحضارة، والتطلع إلى غدٍ مشرق يصل به ماضيه الزاهر الذي غمر الدنيا بما أنجز وقدّم.

وقد واصل الأستاذ الرئيس العمل ليل نهار في سبيل تحقيق دعوته، لا يملّ ولا يسأم، يتحدث محاضراً، ويحبّر المقالات في الصحف والمجلات، ويؤلف الكتب المتنوعة في موضوعات شتى، ترمي كلها إلى تبيان مميزات الحضارة العربية الإسلامية، وتحريك الجماهير لتستأنف نشاطها الثقافي والعلمي، والإفصاح عن خصائص اللغة العربية المبينة التي يجب التمسك بها، والدفاع عنها، والكشف عن دعاوى أعداء الأمة المبطلين الذين أفاضوا في مهاجمة لغتنا المعطاء، رمز هويتنا، والمقوّم الأساسي لشخصيتنا، ونادوا بأنها

لا تصلح للتعبير عن منجزات العصر ومتطلبات المعرفة، لأنها لغة قديمة، وافتنّوا في الطرائق التي توصلهم إلى أهدافهم، وطبقوا خطتهم في الدول العربية والإسلامية التي خضعت لاستعمارهم.

ثم يبسط معطيات الحضارة الحديثة، وما حققته من تقدم، ويدعو إلى الإفادة منها بالعمل والدأب والإكباب على العلم قاعدة النهوض الأولى، وإقامة مؤسساته.

لقد أعدّ واستعدّ للقيام بمهمته، وقرأ الكثير الكثير من كتب التراث العربي، والكتب الحديثة العربية والأجنبية، أهّلته لذلك معارفُه الواسعة ومواهبه، وإتقانُه اللغة الفرنسية واللغة التركية فاستعان بهما للقيام بمهمته على الوجه الأمثل، وكانت القاعدة التي جرى عليها والتزمها هي أن يقرأ أكثر مما يكتب، وألا يدوّن موضوعًا إلا بعد أن يتقنه بحثًا ودرسًا (خطط الشام ٦: ٣٣٥).

وقد أُوتي ذاكرة قوية تمدّه بما يشاء مما قرأ وعرف، وتلبّيه محدِّثًا ومؤلفًا بما يرغب. أما أسلوبه فكان سهلاً قريبًا لا تكلف فيه، يؤدي معناه واضحًا بيّنًا لا لبس فيه ولا غموض.

* * *

وإني مكتفٍ بكلمةٍ متواضعة قصيرة أشارك إخواني في الاحتفاء بهذه الذكرى تكريمًا لمؤسس المجمع الذي أرسى قواعده، وجعل منه منارةً هادية.

ولد الأستاذ محمد كرد علي بدمشق سنة ١٨٧٦م، وكان جده محمد قد قدم من السليمانية شمالي العراق، فأحبَّ دمشق واستوطنها. أما أبوه عبد الرزاق فعمل في التجارة. ودرس محمد كرد علي دراسته الأولى في المدارس

الرسمية، ثم دخل المكتب الرشدي العسكري، فدرس مبادئ التركية، وأتاه والده بمعلم إلى الدار ليدرس الفرنسية، فبقي معه ثلاث سنين، فبرع بالترجمة من الفرنسية إلى العربية وبالعكس، مما أتاح له، بعد إحراز شهادة المكتب الرشدي، أن يعين مدة ست سنوات (١٨٩٢- ١٨٩٨م) موظفًا في قلم الأمور الأجنبية، أتقن فيها آداب اللغة التركية، وأخذ ينشئ باللغتين التركية والفرنسية. وقد اختلف إلى مدرسة اللعازاريين حولين كاملين للاضطلاع بآداب اللغة الفرنسية والتمكن منها، ودرس الطبيعيات ودروس الكيمياء بالفرنسية ليزداد تمكنًا منها (خطط الشام ٦: ٣٣٣- ٣٣٤).

كما درس الآداب العربية والعلوم الإسلامية، واتصل بالأساتذة الشيخ طاهر الجزائري والسيد محمد المبارك والشيخ سليم البخاري، وأخذ عنهم وعن غيرهم من العلماء كل ما وسعه قراءتُه من كتب اللغة والأدب والبيان والاجتماع والتاريخ والفقه والتفسير والفلسفة، وظلّ طوال حياته يذكر ما أفاد من أستاذه الأكبر الشيخ طاهر الجزائري الذي ظل يلازمه منذ أن اتصل به إلى أن ذهب إلى ربه حميد الذكر والأثر (سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م). ومن وفائه له أن ترجم له ترجمة واسعة في مطلع كتابه «كنوز الأجداد»، وصدّر كتابه بكلمة إهداء إليه قال فيها: «إلى روح من أشربَ قلبي حبَّ العرب، وهداني إلى البحث في كتبهم، صدر الحكماء سيدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري أهدي كتابي كنوز الأجداد»، كما ترجم له في كتابه «المعاصرون». ويقول الأستاذ الرئيس متحدثًا عن والده يذكر فضله في تعليمه: «ووالدي، وكان عاميًا يقرب من الأمية، أنفق عن سعة ليعلّمني، فكان مدة سنين يدرُّ الرواتب على أساتذتي، وقد ابتاع لي خزانة كتب

كانت تعدُّ في ذلك العهد شيئًا في بلدتي» (خطط الشام ٦: ٣٣٤).

وأشار إلى أنه أُولع بعد درس المطبوع من كتب الأدب العربي وجانبٍ من المخطوط، بكتب الفلاسفة وعلماء الاجتماع، وأصول الشعوب ومدنياتهم.

وأُغرم بالصحافة التي وجد فيها متسعًا للإفصاح عن آرائه والدعوة إليها، تعلّق بها وهو في سنّ مبكرة، وأخذ يطالع في صحفٍ ومجلات عربية وفرنسية وتركية، ثم عُهد إليه في سنة (١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م) أن يحرّر أول جريدة ظهرت في دمشق، واطّرد صدورها مدة، واسمها (الشام)، وكانت تصدر أسبوعية، فكانت مدرسته الأولى في الصحافة، وساعده في عمله معرفته التركية والفرنسية. وبقي ثلاث سنين في تحرير (الشام) لقي فيها المتاعب، وكان يؤلمه كابوس المراقبة (المذكرات ١: ٥٠- ٥٣).

ودُعي إلى المؤازرة في مجلة المقتطف المصرية أكبر المجلات العربية، ونشر فيها بحوثًا جمة في التاريخ والاجتماع والأدب مدة خمس سنين، وامتدت شهرته لمنزلة هذه المجلة إذ ذاك بين أبناء اللغة العربية (خطط الشام ٦: ٣٣٥).

ثم سافر إلى مصر سنة ١٩٠١ للسياحة، فعرض عليه صاحب جريدة «الرائد المصري» نصف الأسبوعية أن يحرر في جريدته فقبل «متكارها»، ولم يطل مقامه في مصر، فعاد بعد عشرة شهور إلى دمشق، ويقول في رحلته هذه: «ومن أعظم ما استفدته من رحلتي هذه الأخذُ عن عالم الإسلام والإصلاح الشيخ محمد عبده، وحضور مجالسه الخاصة والعامة» (خطط الشام ٦: ٣٣٥، المذكرات ١: ٥٥).

ويقول في موقفه من الصحافة: «وكلما طال العهد بالصحافة زدتُ

بها ولوعًا حتى بلوت فيها الحلو والمرّ في مصر والشام» (المذكرات ١: ٥٢).

وبدأ التضييق على محمد كرد علي يزيد في دمشق كلما استفاضت شهرته، فهبط مصر للمرة الثانية سنة ١٩٠٥م، عازمًا على إصدار مجلة شهرية باسم «المقتبس» تبحث في العلوم والآداب، فأصدرها في غرة محرم سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م)، وتولى معها رئاسة تحرير جريدة «الظاهر» اليومية، وبعد سنة عُين أمين سر تحرير جريدة «المؤيد»، ويقول الأستاذ محمد كرد علي: «والجرائد الثلاث التي توليتها في مصر هي: «الرائد المصري» و«الظاهر» و«المؤيد»، وكانت من الصحف التي تصدع بالوطنية المصرية، وتنتقد سياسة المحتلين، ولذلك كثر أصدقائي من الوطنيين المصريين، فعددت بهم مصر وطني الثاني» (خطط الشام ٦: ٣٣٧، المذكرات ١: ٥٦– ٦٠).

ولما حدث الانقلاب العثماني (١٩٠٨م) رجع إلى دمشق، وأصدر في ١٧ كانون الأول ١٩٠٨ جريدة المقتبس يومية سياسية، وكان «المقتبس السياسي» أول جريدة يومية صدرت في دمشق (المذكرات ١: ٦١). أما مجلة المقتبس الشهرية التي صدرت في القاهرة لثلاث سنين ونشرت ثلاثة مجلدات (١٩٠٦– ١٩٠٨)، فقد تابع إصدارها أيضًا في دمشق، فأصدرت خمسة مجلدات (من الرابع إلى الثامن/ ١٩٠٩– ١٩١٤م)، وجزأين من المجلد التاسع: الأول والثاني، وقد صدرا سنة ١٩١٧م. وذكرت مجلة المقتبس في المجلد الثامن (ص ٤٨١) أن المقتبس يصدر بعد انقطاع حولين، وكان صدوره سنة ١٩١٤.

وكان لمجلة المقتبس وجريدة المقتبس شأن كبير في الحركة الثقافية وتحريك النشاط الاجتماعي. وشارك بمجموعةٍ طيبة من الكُتّاب العرب في

إغناء مجلة المقتبس ببحوثهم ومقالاتهم، وحلّت منزلة رفيعة بين المجلات العربية الثقافية.

لم يُقدَّر لمجلة المقتبس أن تصدر بعد توقفها سنة ١٩١٧م، أما جريدة المقتبس فقد واصلت صدورها. ويقول الأستاذ محمد كرد علي إنه أغلق جريدة المقتبس في عهد الانتداب الأول (المذكرات ١: ٦٢- ٦٣).

* * *

في السنة الأولى من عودة الأستاذ محمد كرد علي إلى دمشق (١٩٠٨م) اتهمه الوالي بقضايا اضطرته إلى مغادرة البلاد والسفر إلى فرنسا (شتاء سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٨- ١٩٠٩م)، وقضى الوقت في باريس يدرس مدنيتها، ويستفيد من علمائها وساستها، واطلع اطلاعًا حسنًا على حركتها العلمية والسياسية، واختار بمشورة الفيلسوف الفرنسي اميل بوترو مجموعة من أمهات الكتب التاريخية والاجتماعية والأدبية والاقتصادية، طالعها مطالعة درس وبحث، وهو يقول في صفتها «وجعلتها سلوتي في خلوتي وجلوتي» (خطط الشام ٦: ٣٣٨).

وقد كتب في وصف سياحته خمسًا وثلاثين مقالة (بينها خطاب ومحاضرة)، ولاسيما في وصف عاصمة فرنسا، وطبع هذه المقالات في كتاب سماه «غرائب الغرب»، ويقول الأستاذ محمد كرد علي في صفته «وما هو في الحقيقة إلا غرائب باريس ليس إلاّ» (طبع الكتاب في مطبعة المقتبس بدمشق سنة ١٩١٠م، ثم طبع طبعة ثانية بمصر (غرائب الغرب ١: ٣- ١٧١ سنة ١٩٢٣م) تحت عنوان: الرحلة الأولى.

وعاد الأستاذ محمد كرد علي بعد أن أقام بباريس ثلاثة أشهر إلى الآستانة عن طريق فيينا، بعد أن بُرّئ مما نسب إليه من تُهَم، ووصل إلى دمشق سنة ١٩١٠م وقد كان في وصف رحلته مثلاً للمصلح الكبير الذي جعل من أوصافه في كل مناسبة منطلقًا لدعوته الاصلاحية والنهوض بقومه.

وكان من المؤسسات التي زارها في رحلته مجامع باريس العلمية، فوصف مجمع فرنسا العلمي وتحدّث عنه في نحو ثلاث صفحات ختمها بقوله: «وحدثتني النفس ببلادنا الشرقية وقلت: هل يكتب لنا في المستقبل تأليف مثل هذه المجامع، فنعمل فرادى ومجتمعين كالغربيين، أو نظل كما نحن لا نعمل فرادى ولا مجتمعين» (غرائب الغرب ١: ١٠٦).

وكان الأستاذ محمد كرد علي، على كثرة أشغاله، يفكر دائمًا في الكتاب الذي كان يعدُّه: كتاب خطط الشام، وهو كتاب في مدنيّة الشام وتاريخه، وبعد أن قرأ له ما قرأ من الكتب باللغات الثلاث: العربية والتركية والفرنسية رأى أنه مازال محتاجًا إلى مراجع كثيرة لم يستطع الاطلاع عليها، (غرائب الغرب: ١: ١٧٢– ١٧٣)، وتطلع إلى معرفة ما حوته مكتبة الأمير (كايتاني) في رومة، وهي مكتبة «منقطعة النظير في الغرب نفسه»، فعزم على السفر لزيارتها، وسافر على باخرة تقلُّه إلى رومة (سنة ١٩١٣م)، فعرّج في طريقه على القاهرة، ثم زار إيطاليا، وقضى وطره من مكتبة (كايتاني). يقول الأستاذ محمد كرد علي: «اشتغلت في خزانة الأمير ليوني كايتاني في رومية شهرًا كاملاً سنة ١٩١٣» (المذكرات١: ١٨٨)، ثم زار سويسرا وفرنسا والمجر والآستانة، مع وقفة قصيرة في أثينة. وكتب (٣٤) مقالة في وصف

مدنيّة تلك الممالك، ونشرت هذه المقالات في كتابه «غرائب الغرب (ط٢) ١: ١٧٢- ٣٣٦» تحت عنوان: الرحلة الثانية.

وكان في وصفه لا يتوانى عن تحريك العواطف الوطنية، وتشويق قُرائه العرب ليخرجوا من عزلتهم، وليفيدوا من نهضة الغرب الذي سبقهم. إنه يحضُّهم على طلب العلم والجدّ في العمل، ويضرب الأمثلة على الفروق التي تفصل بينهم وبين الغرب، ويكفي أن تطالع مقالة (حياتنا والحياة الأوربية) التي ألقاها في المنتدى الأدبي في الآستانة (٢٠ شباط ١٩١٤) لتتبين نموذجًا حيًا لما يمور في قلب هذا الكاتب العظيم المصلح الذي يؤرّقه حال وطنه، فهو مندفع أبدًا لحفزه على النهوض.

وعاد الأستاذ محمد كرد علي إلى دمشق في ٢٢/ ٣/ ١٩١٤، وكان والي دمشق قد عطل جريدة المقتبس مجددًا، فاحتجبت عن الصدور ثمانية أشهر.

وقامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨) وكان الأستاذ محمد كرد علي قد ملّ العمل في الصحافة لكثرة ما لاقى من عنت وجور، وما فُرض عليه من أعمال في أثناء الحرب لم تستسغها نفسه، وقبيل نهاية الحرب قصد إلى الآستانة للتجارة، فمنعه الاتحاديون (خطط الشام ٦: ٣٤١)، وانتهت الحرب فعاد إلى دمشق، وكانت الحكومة الفيصلية العربية قد قامت في دمشق في ٥/ ١٠/ ١٩١٨، وبدأت تواجه المشكلات التي خلفتها الإدارة العثمانية، وما أكثرها، وفي طليعتها: تعريب الدواوين والإدارة والتعليم في المدارس، واستبدال المصطلحات العربية بالتركية، فاستعانت لذلك بأساتذة اللغة العربية وأدبائها المقيمين في دمشق، وغيرهم من الكتّاب

والشعراء والأدباء الكفاة. وأسست شعبة الترجمة والتأليف (٢٨/ ١١/ ١٩١٨- ١٢/ ٢/ ١٩١٩)، ثم توسعت فأنشأت ديوان المعارف (١٢/ ٢- ٨/ ٦/ ١٩١٩)، وأسندت رئاسته إلى الأستاذ محمد كرد علي الذي شمَّر عن ساعد الجدّ، وخطط لعمله، فأخذ بإصلاح المدارس على ما يلائم روح الأمة العربية، ونظر في بعض القوانين المتعلقة بالمعارف، وعُني بأساليب التربية الحديثة، ورفع شأن اللغة العربية، وأمثال ذلك. ولما تبدَّى له سعة العمل وكثرة المهامّ رأى ضرورة فصل أمور اللغة والمكتبات والآثار عن أعمال المعارف العامة، وأن يؤسس مجمع علمي يقوم بمهامها، فوافقت الحكومة، وصدر الأمر بتأسيس المجمع في ٨/ ٦/ ١٩١٩ وعُهد برئاسته إلى الأستاذ محمد كرد علي، واتخذ مقرًّا له المدرسة العادلية. وكان اجتماع المجمع العلمي العربي الأول في المدرسة العادلية يوم ٣٠/ ٧/ ١٩١٩، بحضور الأعضاء الثمانية المؤسسين برئاسة الأستاذ محمد كرد علي، وانضمَّ إليهم الأستاذ طاهر الجزائري بعد عودته من الديار المصرية في تشرين الأول ١٩١٩م. كما اتخذ المجمعُ مدرسةَ الملك الظاهر مقرًّا للمكتبة العامة، وأخذ يوثق صلاته مع المجامع والجامعات والمكتبات والمتاحف في الشرق والغرب.

ولم يكن بدّ من أن يواجه الأستاذ الرئيس جملة من المشكلات الصعبة، فعالجها بحكمة وروِيّة، لأنه كان شديد الحرص على المجمع وقيامه بمهمته. وكان مجمع دمشق أول المجامع العربية، واستطاع أن يشارك المشاركة الجادة في تعريب التعليم العالي والدواوين ودوائر الحكومة والسجلات الرسمية ولغة المدارس، والصحافة، وما يتصل بذلك، وبذل جهوده لسلامة اللغة، ونفي العامي والدخيل منها. وقد نجح في عمله نجاحًا

واسعًا لأن المؤسسات التربوية والتعليمية والرسمية وأبناء الشعب كانوا صفًا واحدًا في هذا الاتجاه. وهذا سرّ التعريب السريع الذي رافق الاستقلال دون تباطؤ، فعلّمت الجامعة بكليتيها: الطب والحقوق، وهما الوحيدتان آنذاك، منذ العام الأول ١٩١٩، باللغة العربية، وعُرّبت الدواوين والمؤسسات في مدة وجيزة، وكذلك المدارس.

وأصدر المجمع مجلته في مطلع عام ١٩٢١م، وكان للأستاذ الرئيس أثره البارز في نجاح المجمع واندفاعه في عمله، وتغلّبه على الصعاب التي واجهته في طريقه، ومما قاله في تبيان مكانة المجمع في نفسه: «وشهد الله أني كنت أفكر في أنجع الطرق لإنجاحه ليل نهار، مدة توليتي رياسته، وما رأيت بابًا يوصلني إلى النهوض به إلا طرقته» (المذكرات ١: ٢٨٤).

وفي الحق أن الأستاذ الرئيس كان حركة المجمع العلمي الدائبة، كما كان راعيه وموجهه (المذكرات ١: ٢٧٧- ٢٨٦) حتى أقام هذا الصرح الشامخ الذي شهد ميلاد المجامع العربية الشقيقة، مجامع: مصر (١٩٣٢م) والعراق (١٩٤٧م) والأردن (١٩٧٦م). وتمّ إنشاء اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية عام ١٩٧١م، ثم انضم إلى الاتحاد مجمعا تونس والسودان (١٩٩٣م)، ومجمعا ليبيا وفلسطين (١٩٩٤م)، وانضمت أكاديمية المملكة المغربية التي تولي اللغة العربية جانبًا كبيرًا من عنايتها إلى الاتحاد عام ١٩٩٦م.

وإننا لنتطلع إلى غد مشرق تندحر فيه الهجمة الشرسة التي تواجهنا اليوم، من دعوة إلى اللهجات العامية، والبعد عن العربية السليمة، لصعوبتها في زعمهم، لتغدو اللغة العربية، كما كانت في عصرها الزاهر إحدى اللغات

العالمية، وما ذلك على الله بعزيز.

* * *

ترك الأستاذ الرئيس محمد كرد علي جريدة طويلة من آثاره، تتضمن كتبًا مترجمة، ومقالات، ومؤلفات تاريخية وأدبية، وكتبًا محققة. وقد أغنى بها المكتبة العربية، وليس من همي أن أعدّدها جميعًا. وإني مكتفٍ بذكر جملة من كتبه:

منها كتابه: خطط الشام، يقول عنه الأستاذ الرئيس: «وهو كتاب في مدنية الشام وتاريخه، صرفت في تأليفه ثلاثين سنة، وطالعتُ لأجله زهاء ألفٍ ومئتي مجلد باللغات الثلاث: العربية والتركية والفرنسية، ويدخل في ستة مجلدات» (خطط الشام ٦: ٣٤٦).

ومن كتبه الشهيرة: الإسلام والحضارة العربية، وأمراء البيان، وكنوز الأجداد، وغوطة دمشق، والمذكرات وهي في أربعة أجزاء طبعت بين سنتي ١٩٤٨- ١٩٥١م.

وللأستاذ محمد كرد علي مقالة طريفة جعل عنوانها «كيف وضعت تآليفي» ونشرها في المذكرات ١: ٣٠٧- ٣٢٠/ ط ١٩٤٨م.

والحديثُ عن الأستاذ محمد كرد علي طويل واسع، ولا يسمح لي المقام أن أفيض في ذلك، وقد صدرت مؤلفات ومقالات تتحدث عنه وعن المجمع العلمي العربي الذي أقام قواعده، وشيد صرحه الشامخ، وفيها غنية للطالب والعالم.

لقد ظل يعمل ليل نهار لا يكفُّ ولا يتوقف، وتابع نشاطه وهو على

فراش المرض في أواخر أيامه حتى وافته المنية يوم الخميس في الثاني من نيسان ١٩٥٣ وهو في السابعة والسبعين من عمره.

رحمه الله الرحمة الواسعة جزاء وفاقًا لما قدّم، وأسكنه فسيح جنانه مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وإني لأرجو أن أوفّق بعون الله لكتابة دراسة وافية لعلامتنا الجليل الأستاذ الرئيس عليه الرحمة والرضوان.

كلمة بمناسبة انقضاء خمسين سنة على وفاة
العلامة محمد كرد علي
مؤسس المجمع العلمي بدمشق

أ. د. عبد الكريم خليفة

الأستاذ الجليل الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية

أيها العلماء الأفاضل

السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

إنه لشرف كبير أن أدعى لإلقاء كلمة في هذا الحفل التذكاري، لمؤسس المجمع، مجمع اللغة العربية في دمشق (المجمع العلمي العربي)، العلامة محمد كرد علي، بمناسبة انقضاء خمسين سنة على وفاته. فنستذكر سيرة علم من أعلام الأمة الذين أنجبتهم دمشق. فدمشق على مر العصور، بوتقة علم وحضارة، تنصهر فيها مختلف الأجناس والأعراق، فتعيد تكوينها الثقافي والفكري، عناصر أصيلة في خدمة العربية الخالدة لغة العروبة والإسلام. وقد بقيت دمشق الشام، على مر القرون والعصور، مركز إشعاع ثقافي وفكري وحضاري، تطبع الوافدين إليها والنازلين فيها، إلى جانب أبنائها بطابعها الشامي. ودمشق الفيحاء فخورة بهذا الدور، الذي تستوحي فيه طابع بلاد الشام التي باركها الله سبحانه وتعالى. وقد اختزلت هذه التسمية عند عامة الناس، فأصبحوا يطلقون على دمشق اسم «الشام».

وإن الأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخنا العربي والإسلامي، فمنذ الصحابة الذين استقروا بالشام، إلى بني أمية... إلى العلماء ورجال الفكر والأدب الذين نشؤوا فيها، أو الذين اختاروها دار مقر، وبقيت دمشق بعد وفاتهم تعنى بذكراهم. وحيُّ الشيخ محيي الدين بن عربي، الإمام الصوفي الأندلسي، ومسجده المبجل القائم حتى الآن خير شاهد على ذلك. والأمثلة كثيرة وتشكل قائمة طويلة على مرّ العصور، وليس أقل مصادرها صاحب «تاريخ مدينة دمشق» للحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، المعروف بابن عساكر (٤٩٩هـ- ٥٧١هـ)، والذي عكف مجمعنا العتيد بدمشق على تحقيقه ونشره منذ عدة عقود.

وإنني لأرى موقع الرئيس محمد كرد علي في هذه اللوحة الشامية، التي تتسامى فوق الأعراق والأجناس، وفوق القطرية والقبلية. فقد حدثنا الأستاذ الرئيس – رحمه الله – عن نفسه فقال: إن أصل أسرته من السليمانية، تنتسب إلى الأكراد الأيوبيين، وجاء جدّه إلى دمشق وسكن فيها. وقد ولد محمد كرد علي في دمشق أواخر صفر سنة ١٢٩٣هـ الموافق سنة ١٨٧٦م، من أم شركسية.

ليس من وكد هذه الكلمة العجلى أن تؤرخ لحياة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي، وسأكتفي ببعض الإيماءات في حياته الثقافية والمجمعية.

فقد تعلم، رحمه الله، القراءة والكتابة ومبادئ العلوم الإسلامية، والحساب والطبيعيات. ودرس الفرنسية دراسة خاصة مدة ثلاث سنين، وبرع بالترجمة من الفرنسية إلى العربية وبالعكس، وأتقن أدب اللغة التركية، على حد تعبيره، إذ يقول: «وشرعت أنشئ فيها كما أنشئ بالفرنسية». ويواصل

حديثه إذ يقول: «وقد اقتطعت، مع ذلك جانبًا من الوقت لدرس الآداب العربية والعلوم الإسلامية، وتلقيت اللغة الفارسية حتى حذقتها ثم أنسيتها»[١].

وأخذ عن مشايخ دمشق، كل ما وسعه قراءته، من كتب اللغة والأدب والبيان والاجتماع والتاريخ والفقه والتفسير والفلسفة. ويذكر من أساتذته: الشيخ طاهر الجزائري والشيخ محمد مبارك، والشيخ سليم البخاري. ويقول: «كان العامل الأكبر في توجيه إرادتي نحو الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي، والإقدام على التأليف والنشر، وإشرابي محبة الأجداد، والتناغي بآثارهم، والحرص على تراث حضارتهم، أستاذي الأكبر طاهر الجزائري. فما زلت ألزمه، منذ اتصلت به إلى أن ذهب إلى ربه سنة ١٣٣٨هـ، حميد الأثر...».

ويحدثنا الأستاذ الرئيس عن اطلاعه الواسع على أهم ما كتبه الأدباء والمفكرون الفرنسيون، مثل: فولتير وروسو وديكارت وغيرهم... وأنه كان حريصًا على تدارس المجلات الفلسفية والاجتماعية والتاريخية والأدبية باللغة الإفرنجية[٢]. ويحدثنا عن دوره الأدبي والصحفي والسياسي حديثًا طويلاً... فقد دخل في جمعية الاتحاد والترقي قبل الانقلاب العثماني بنحو اثنتي عشرة سنة. وعندما حدث الانقلاب سنة ١٩٠٨م، رجع إلى دمشق وأصدر في ١٧ كانون الأول من العام نفسه جريدة المقتبس، يومية سياسية... وكان على حدّ قوله يرمي إلى استحصال حقوق العرب ضمن الجامعة العثمانية، ويتحدث عن هذه المدة فيقول: «وخدمت ما استطعت، وساعدتْ البيئة، و لم أجدّد في الانقلاب للاتحاد

---

(١) انظر: خطط الشام، ج٦ ص ٣٣٣- ٣٣٤.

(٢) انظر: خطط الشام، ج٦ ص ٣٣٤.

عهدًا مع كثرة إلحاحهم علي... لأن مرامي الاتحاديين تجلّت بأنها تقصد إلى تتريك العناصر، ومن أول مقاصدنا الدعوة إلى القومية العربية، وإنهاض العرب من كبوتهم»[٣].

وبعد سقوط الآستانة بثلاثة أشهر، عاد كرد علي إلى دمشق ليعاود إصدار المقتبس، فيقول: «ولكنّ الحاكم العسكري العام، وكان من أصدقائي، ألحّ علي أن أتولى رئاسة ديوان المعارف» إلى أن يقول: «وأخذت في درس حالة المدارس لإصلاحها على ما يلائم روح الأمة العربية، وبدأت بإنشاء دار للآثار وتجهيز دار الكتب الظاهرية بجهاز حديث...» واقترح أن ينقلب ديوان المعارف بأعضائه ورئيسه إلى مجمع علمي، وتكون علاقته مع رئيس الحكومة مباشرة. فقبل هذا الاقتراح، وشرع في تأسيس المجمع العلمي العربي في ٨ حزيران سنة ١٩١٩م... وفي آخر تشرين الثاني من السنة ذاتها، أي بعد عدة أشهر، صدر الأمر، بدعوى الصرف المالي، بصرف رئيس المجمع العلمي وأعضائه، إلا عضوين فقط للإشراف على داري الكتب والآثار. ويحدثنا عن هذه الفقرة فيقول: «ودمت منعزلاً في داري إلى أن عهدت إليّ وزارة المعارف في ٧ أيلول سنة ١٩٢٠م، أول دخول السلطة الإفرنسية إلى المدن الأربع. ولم يلبث طويلاً حتى استقال من المعارف، وبقي في رئاسة المجمع الذي كان يديره أثناء وزارة المعارف وبعدها..»[٤].

ومما له مغزاه أن أتوقف عند قضية من القضايا الكبرى، التي حاولت ومازالت تحاول قوى الاستعمار، بوجوهه المختلفة، النيل من اللغة العربية التي

(٣) انظر: خطط الشام، ج٦ ص ٣٤٤.

(٤) انظر: خطط الشام، ج٦ ص ٣٤٢.

تشكل جوهر ثقافة أمتنا العربية والإسلامية وطابع حضارتها. فقد تولت جريدة (لاسيري La serie) الفرنسية في بيروت سنة ١٩٢٢م، أول الاحتلال الفرنسي، الدعوة إلى الحرف اللاتيني. وكانت فرنسا قد جعلت من جزء الشام الشمالي خمس دول... وحاولت تفكيك اللغة ظاهرًا وباطنًا مما يثّ من دعايات للعامية، وللحرف اللاتيني... فلما نشرت (لاسيري La serie) دعوتها إلى الحرف اللاتيني، وضربت له أمثلة من شعوب أعجمية، حاولت هذه المحاولة في أذربيجان، وانتصرت. عربت جريدة ألف باء الدمشقية مقالها في (١٩/ ١٢/ ١٩٢٢)، وطلبت إلى المجمع العلمي العربي بدمشق رأيه في الموضوع، فعهد المجمع بالجواب إلى أحد أعضائه الأستاذ إلياس القدسي، الذي درس الموضوع، وعرض لتفاصيله ثم انتهى إلى رفضه رفضًا باتًا[٥].

وبعد سنتين من نشر مقال جريدة (لاسيري La serie)، أرسل المستشرق الفنلندي، يوحنا اهتنين كرسكو، عضو المجمع العلمي العربي، مقالاً إلى مجلة المجمع العلمي العربي، عنوانه «نفي أوهام الأوروبيين في صعوبة تعلم العربية». وعرض كرسكو إلى مقابلة أجراها المستشرق الإنكليزي (مرجليوث) بين اللغة العربية والإنكليزية فقال: «وليس لنا من وسيلة البتة، غير هذه الأوهام الأوروبية أو بالأحرى الإنكليزية إلى فهم كلام «مرجليوث» في جامعة لندن في صيف سنة ١٩١١م. فإنه قرأ حينئذ بيانًا عن اللغة التي يجب أن تكون شائعة، لتفاهم شعوب العالم كله أجمع، واستخرج منه وجوب اتخاذ اللغة الإنكليزية واسطة لإدراك هذه

---

(٥) انظـــر: سعيد الأفغاني، من حاضر العربية، ص ١٧٨، مجلة المجمع العلمي العربي، ٣/ ١٧٩- ١٨٤.

الغاية، وأتى في جملة براهينه بمقابلة بين الإنكليزية والعربية، قال فيها: «إنه لو تساوى عدد المتكلمين باللغة العربية وعدد المتكلمين باللغة الإنكليزية، لوجب تفضيل الإنكليزية على العربية... إلخ»[٦].

وإن هذه الحملة المسعورة على اللغة العربية، عشيَّة الحرب العالمية الأولى، تصنف في إطار السياسة الاستعمارية، بعد أن اجتاحت الجيوش البريطانية مصر، سنة ١٨٨٢م وألغتْ تدريس العلوم والطب باللغة العربية، واستبدلت بها اللغة الإنكليزية. وفي الوقت ذاته اندفعت إلى تشجيع اللغة العامية، والكتابة بها، وتصنيف قواعدها، نحوًا وصرفًا...

ويحدثنا الأستاذ سعيد الأفغاني، رحمه الله، عن مساعي المستشرق الإنكليزي (مرجوليوث) إياه، قبيل الحرب العالمية الثانية، فيقول: «كنتُ والأستاذ المرحوم كرد علي في حديقة داره. فإننا لنتذاكر بعض الأمور ، وإذا بالأستاذ يقف ويتجه نحو باب الحديقة، ليستقبل زائرًا طاعنًا في السن... فقدَّمه لي الأستاذ بقوله: «مرجوليوث» وعرَّفه بي... لم يطل مجلسه أكثر من نصف ساعة، عرفت فيه أن حكومته (وزارة المستعمرات الإنكليزية طبعًا)، أوفدته بمهمة من لندن، ليبيت ليلة في دمشق، وثانية في القدس، ليحط الثالثة في مطار طهران على موعد مع الشاه... رأيته يهجم على موضوعه دون تلبث. فيناقش الأستاذ كرد علي، ما الذي أبطأ بالبلاد العربية على الاقتداء بتركية في اتخاذ الحروف اللاتينية؟ ولَمَ أضاعوا على أنفسهم هذا الرقي الباهر؟ فأجابه الأستاذ بلطف وصدرٍ واسع- على قلة صبره

(٦) انظر: مجلة المجمع العلمي العربي، (دمشق) تشرين الثاني عام ١٩٢٤ الموافق ربيع الثاني ١٣٤٣هـ المجلد الرابع ص ٤٨٣- ٤٩٢.

عـــلى سماع مثل هذه الرسائل- مشيرًا إلى خطأ هذه الفكرة، وأن وراءها أضرارًا عـــلى العرب لا تحصى، وأن الأتراك أنفسهم أضاعوا مركزهم في الشرق بتبديل حروفهم... فما رى مرجوليوث في كل ما سمع، وقال: إن أمله وطيد في أن يحذو الشاه حذو «أتاتورك»، وإن العرب لا يحملهم على تغيير كتاباهم إلا حاكم قوي مـــثل أتاتورك، أو الشاه «بهلوي»، وأنه مسافر إلى طهران، لدراسة أسباب تأخر الشاه عن المبادرة إلى فرض الأحرف اللاتينية»(٧).

فهـــذا موقف من المواقف الكبيرة، التي وقفها الأستاذ الرئيس كرد علي، رحمـــه الله، مدافعًـــا عـــن اللغة العربية لغة العروبة والإسلام، يدرأ عنها أخطار السياســـات الاستعمارية وهي في أوج قوها. وهو في ذلك كله ينزع عن سياسة المجمع العلمي العربي بدمشق، ويستلهم مواقف علماء العربية وسدنتها، في العديد مـــن حصـــون العربية وقلاعها. رحم الله الأستاذ الرئيس كرد علي رحمة واسعة وجزاه الله خير الجزاء عن العربية وثقافة الأمة وحضارها العربية والإسلامية.

(٧) سعيد الأفغاني، من حاضر اللغة العربية، الطبعة الثانية سنة ١٩٧١م/ ص ١٨٣- ١٨٤. وقـــد حدثني بهذا الحديث الأستاذ الأفغاني -رحمه الله- عندما كان أستاذًا زائرًا بقسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية.

محمد كرد: التراثي والمجدّد

أ. د. عبد الرحمن الحاج صالح

عاش محمد كرد علي مؤسس المجمع العلمي العربي بدمشق في عهدين متباينين: العهد العثماني، وما بعد الاستقلال تتوسطهما الحرب العالمية الأولى. وكانت هذه الحرب، كما هو معلوم، انتهت إلى تغير جذري شامل لخارطة العالم وخاصة البلدان العربية، وآذنت بما تعانيه هذه البلدان الآن من المشاكل المهولة في الميدان السياسي والاجتماعي، فكانت نهايتها بداية لنكبة الشعب العربي لا نرى لها إلى الآن نهاية. وكان لهذا الرجل الفذ مواقف سياسية مشرفة في أثناء هذه الفترة وناهيك ما تركه للشعب العربي من مجمع للغة العربية وهو أقدم المجامع العربية، هو موضوع اعتزاز لجميع العرب لا لسورية وحدها. وكان لهذا الرجل العبقري مساهمة عظيمة في إحياء التراث العربي الإسلامي من جهة ومساهمة أخرى لا تقلّ أهمية عن إحياء التراث وهو عمله الدائب كباحث وككاتب وخاصة في كتاباته الملتزمة من أجل تجديد التصوّر القديم للكثير من الأمور الاجتماعية والحضارية التي بقيت منذ قرون على ما كانت عليه، وكان له في ذلك جرأة كما كانت له جرأة في مواجهة الحكام العثمانيين ولم يتوقف لحظة حتى أحس أن الانشغال بالعلم والتأليف قد يكون أفضل بالنسبة للعالم الذي أخذ قسطه من الكفاح وبلغ من النضج ما يكفيه.

امتاز الأستاذ كرد علي بحبه العظيم للثقافة العربية والأدب العربي خاصة، ويُذكر أنه حفظ عن ظهر قلب الكثير من شعر المتنبي ومقامات الحريري، وقضى حياته في الصحافة كمناضل يكافح بقلمه لتحرير بلاده وإعلاء كلمة العرب

وإحياء الثقافة العربية، وقد نشر له العدد الكبير من المقالات والدراسات في عدة صحف ومجلات مثل المقتطف والمقتبس، وهو الذي أنشأها، والمؤيد والتحرير اليوميتين وغيرهما. واتصل بمصر في ذلك الوقت بكبار العلماء والأدباء كالمويلحي (الأب والابن) والشيخ محمد عبده وإبراهيم اليازجي وحافظ إبراهيم وجرجي زيدان ورشيد رضا وغيرهم، وكان صديقًا حميمًا أيضًا للشيخ طاهر الجزائري الدمشقي.

ومما امتاز به أيضًا في حياته هو أنه تعلم اللغة الفرنسية، في شبابه وأتقنها بحيث استطاع أن يترجم عددًا من القصص الفرنسية واهتم كثيرًا بالأدب الفرنسي وله مقالات في الآداب الأجنبية فأثر ذلك فيه بكيفية خاصة ولكنها كانت إيجابية.

وما نقرؤه فيما كتبه عن الإسلام والحضارة العربية فمايزال وسوف يبقى مفخرة للمسلمين، إذ استطاع مؤلفه أن يأتي بمعلومات قد لا نجدها في كتب التاريخ الحديثة أو حتى القديمة، وتدل على اتساع البحث وعمقه، وقد اعتمد في ذلك على عدد ضخم من المراجع القديمة والحديثة بالعربية وباللغات الأجنبية ولم يترك أي مصدر وأي مرجع إلا واطلع عليه. وكذلك فعل بالنسبة إلى أعظم ما حرره وهو كتاب «خطط الشام» في ستة مجلدات، وكان قد حظي بالمكوث في المكتبة الخاصة للعالم الإيطالي الأمير كايتاني فجمع الكثير من المعلومات الخاصة بتاريخ الشام. وهذا عمل عظيم جدًا.

أما فيما يخص الأدب العربي فقد ساهم الأستاذ كرد علي في تعريف رسائل ابن المقفّع، وعبد الحميد الكاتب، وامتاز كناقد في كتابه: «أمراء البيان» وهو من أبرز كتبه الأدبية. وفيه من الآراء والأحكام السديدة العميقة ما لم يسبق إليه إطلاقًا.

ماذا عسانا أن نقول عن هذا الإنتاج الفكري العظيم (كمًّا ونوعًا وتأثيرًا) وخاصة فيما جاء به من أفكار تجديدية مع مواقف إزاء التراث العربي الإسلامي

تفارق تمامًا حركات التجديد التي ظهرت في زمانه في المشرق العربي. لقد جمع هذا العالم المناضل بين الدعوة إلى التجديد في التفكير وفي منهجية البحث في ميادين مختلفة وفي الاعتقادات القديمة الجامدة وحول أسلوب الحياة وغير ذلك، وبين المحافظة على التراث الفكري العربي الإسلامي، وقد يبدو ذلك كالمحاولة للجمع بين النقيضين وليس الأمر كذلك.

لقد عاش محمد كرد علي في زمان حافل بالحوادث، وكان العرب والمسلمون قد فوجئوا وهم في سبات عميق منذ قرون بغزو عسكري من كل جهة وفي كل مكان ترفرف فيه راية الإسلام: الجزائر في عام ١٨٣٠، وتونس في عام ١٨٨٨، والمغرب في عام ١٩١٢، ومصر والسودان في نهاية القرن التاسع عشر، والشام والعراق بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت هذه البلدان في منتهى الضعف في الميادين التي تجعل الدول تقوى بعضها على بعض: الثقافة عمومًا، والمستوى العلمي والتكنولوجي خاصة. فحاول المسلمون أن «يغيّروا ما بأنفسهم» ليغير الله ما بهم من الهوان والتقهقر. فدعا الكثير إلى التجديد الجذري حتى في أساليب الحياة وحصل ذلك بالفعل في تركيا بكمال أتاترك. وحاول الكثير أن يدخلوا ذلك فيما توارثه العرب من أفكار ومعتقدات فراحوا يشكون في صحة كل ذلك، وخاصة فيما وصل إلينا من الأدب والعلوم الإنسانية، فظهرت حركات تدعو إلى الشك في وجود الشعر الجاهلي ثم في صحة ما بناه النحاة العرب من القواعد لا يُميّزون فيه بين الأصيل الذي ظهر على يد الخليل وأتباعه، والرثّ الذي وصل إلينا من العصور المتأخرة. وتقبلوا في كل ذلك ما يقوله الغربيون وخاصة المستشرقون من دون تحفظ إطلاقًا. نعم لقد ردّ على هؤلاء الكثير من العلماء الفضلاء في ذلك الزمان بالذات، وكانت الردود جديّة

وموضوعية في غالب الأحيان ثم اختفى هؤلاء العلماء الذين عاصرهم كرد علي وجاءت أجيال أخرى اشتد انقسامها إلى مجدّدين ومحافظين أكثر مما كانوا، فصار الأولون أميل إلى استئصال كل ما هو قديم مهما كان، ومال الآخرون إلى المحافظة على كل قديم مهما كان. وبهذا يمتاز زماننا الذي نعيش فيه.

فكيف كان موقف الأستاذ كُرد علي من ذلك في زمانه؟

كان وحيد نسجه في ذلك. فإنه لم يكن وسطًا بين الموقفين المتطرفين بل أكثر وأحسن من ذلك، لأنه جاءنا بمواقف جديدة لا تمت بسبب إلى المجددين ولا إلى المحافظين، وما كان يشاركهم في الحقيقة إلا في غيرته على التراث والمحافظة عليه وغيرته في نفس الوقت على تطوير الأفكار وأساليب التفكير. إلا أنه كان لا يريد من المحافظة إلا على النافع من القديم، ولا يريد من التجديد إلا الذي يأتينا بالنفع العميم. فموقفه هذا يظهر بوضوح تام في الكثير مما كتبه من المقالات، نذكر منها ما جاء في كتابه: القديم والحديث (أول مقال في هذا الكتاب بهذا العنوان). يقول في مقال «العلم الصحيح» صدر مرة ثانية في هذه المجموعة: «ونشأت ناشئة لم تدر من العلم... غير قشوره... ينبذون كل ما ليس لهم علم به من تراث أجدادهم حاسبين الصحيح منه والسقيم في مقال واحد» (٢٣– ٢٤) «وفاتهم أن ما يسوغ في الغرب لا يتم في الشرق... وأن من العقل أن لا يُنْبذ ذاك القديم بل يُرجع إلى الأصل القليل ويؤخذ النافع منه ويترك ما عدا ذلك من تخريف المخرّفين وضلالات المبتدعين» (٢٤) «ما خلا عصر من عصور الإسلام من أعداء لكل جديد ومن جامدين يذْكرون كل ما لا يألفون» (٥٤) «إذا رأى بعضهم في بعض المعتقدات ما لا ينطبق على روح الحضارة والعلوم العصرية فالأولى أن يطبقوا العقل على النقل كما هو رأى كبار علماء الإسلام من القديم» (٥).

إن الأستاذ محمد كرد علي عرف كيف ينبغي أن يقرأ التراث و لم يجعل هذا التراث كتْلة واحدة كما يفعله المحافظون. قال: «إن التاريخ لم يخلُ من وجود عقلاء في كل دور من أدواره... وقد قل عددهم كثيرًا في هذه الديار... وصار العلم أشبه شيء بتقاليد ورسوم منه بعلم وعمل... وللجهل الكلمة النافذة في الهيئة الاجتماعية إلى أن جاء القرنان التاسع والعاشر وما يليهما من قرون الهجرة، وهي العصور المظلمة من تاريخ الإسلام... اعتبرْ ذلك بما تتلوه في تراجم أعيان العلماء في هذه القرون فإنك لا تراها تتعدى الأفعال والآراء، وأهل **كل جيل يقدسّون قول من سلفهم ولو ببضع سنين.** نعم وإنك لا تكاد ترى لهم تأليفًا تقرأ فيه نور العقل والخلاص من التقليد البحت...» (٢١- ٢٢).

إن كل المثقفين يعرفون ذلك: من وجود عصور الانحطاط في الحضارة وتوقف الإبداع وانتشار التقليد بسبب ذلك، وترداد ما قاله الشيخ دون أي زيادة اللهم إلا التعليق المعقد الغامض (ونستثني من ذلك أفرادًا من العلماء القلائل في هذه العصور وهم شواذ في زمانهم). **ومع ذلك لا يمتنعون من الاعتماد في دراستهم** في دور العلم العتيقة، على النصوص التي ظهرت في هذه العصور فيما يخص مثلاً علوم العربية والفقه وغيرها من العلوم الإسلامية.

وفضل محمد كرد علي في إحياء التراث ينحصر في الاهتمام بالنسبة إلى الأدب مثلاً والالتفات إلى المنشئين الذين أبدعوا إبداعًا وهم الكتاب الذين ظهروا في صدر الإسلام وبداية الخلافة العباسية، وتفطّن إلى نصوصهم التي أظهروا فيها براعة عجيبة في البيان لا من حيث الشكل فقط بل حتى في أفكارهم البديعة التي لم يُسْبقوا إليها، ومنها العلمية، وذلك مثل تعليقه على كلام الجاحظ: «ودعا إلى التفكير ودعا إلى الملاحظة قائلاً: «لا تشْفيني إلا الملاحظة ودعا إلى الشك ومن

لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يُبصر..» يقول الجاحظ: «اعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها تعرفْ بها مواضع اليقين الموجبة له وتعلَّم الشك في المشكوك فيه تعلمًا...» (أمراء البيان، ٥٦) ونقل عنه أيضًا: «وقد ابتُلينا بضربين من الناس ودعواتُهما كبيرة، أحدهما أن يبلغ من حبِّه للغريب أن يجعل سمعه هدفًا لتوليد الكذابين... ولكلفه بالغريب وشغفه بالطُرف لا يقف على التصحيح والتمييز فهو يدخل الغث في السمين والممكن في الممتنع... والصنفُ الآخر هو أن بعضهم يرى أن ذلك لا يكون منه عند من يسمعه يتكلم إلا من خاف لتقذُّر من الكذب» (٣٥٨). فهذه نصوص لا سبيل إلى وجودها في كتب المتأخرين، فهذا فضل محمد كرد علي على غيره من العلماء في زمانه من محافظين يجهلون الكثير مما تركه المبدعون من علمائنا وتمسكوا بثقافة الشروح والحواشي ليس إلا، وكما أن فضله على المجددين الذين لم يعرفوا شيئًا من تراثهم الأصيل مع أنهم يشدون شدوًا قليلاً من الثقافات الأجنبية.

وبصدد ما نقله عن الجاحظ من الاعتماد على الشك في البحث العلمي، وترك حسن الظن إذا لم يثبت على ذلك دليل من النقل أو العقل، فإننا قد لاحظنا عدم ارتياحه لما ينقله بعض المؤلفين ممن أولع بحكاية الغريب من الأخبار والطرق المشبوهة، فقال عن عبد الله بن المقفع ومن كان يجتمع معه على الشراب وقول الشعر: «وحكى ما قاله عنهم صاحب الأغاني: «وكلهم متهم بدينه». فقال: «هذه رواية صاحب الأغاني عن الجاحظ في اتِّهام أهل ذلك المجتمع بدينهم ولعل ذلك كان من ابن المقفع قبل أن ينتحل الإسلام. **ونحن نشك كثيرًا في روايات صاحب الأغاني ذلك لأنه كان مستهترًا** ويحب أن يصف بالاستهتار كل عظيم ولو كان ممن ثبتت عفته وطهارته» (١٠٤). فهذا عندنا فضل آخر

كبير جدًا حتى بالنسبة إلى أهل زماننا. فكأنه يناقض بهذا الكلام كل الذين ما يزالون يعتمدون بالدرجة الأولى على كل ما يجدونه في الأغاني من حكايات ينفرد بروايتها أبو الفرج (وقد استعظم بعضهم أن يُكذِّب الأصفهاني في بعض ما يحكيه قائلاً: هذا خبر لم نعثر عليه في أي كتاب وصل إلينا فكيف نستهين به!).

هذا ومن العلماء المحدثين من تأثر بما يعرفه من الثقافة الغربية بمعرفته للغات الأجنبية وهو لا يعرف من التراث إلا هذا الذي وصل إلينا من المتأخرين، إذ لم يدرس من النصوص إلا هذه التي اعتمد عليها في التعليم التقليدي كعلوم العربية، فلا يدرس فيه إلا ألفية ابن مالك وشروحها وشروح التلخيص وغير ذلك، فهذا الذي يدفع الدارسين لهذه النصوص من الذين يثورون على القديم إلى التمسك بما جاء عند المستشرقين وغيرهم في هذه العلوم أو في اللسانيات الحديثة من دون هضم كاف ودون أي تمحيص. يقول كرد علي: «ينبغي أن نضرب بأيدينا إلى كتبهم فننظر ما قالوه من ذلك فإن كان صوابًا قبلناهُ منهم، وإن كان فيه ما ليس بصواب نبّهنا عليه» (مقال: اللغات الإفرنجية، ص ٦٥).

إن الاتجاهات التي لمسناها في السلوك العلمي الموضوعي للأستاذ محمد كرد علي وبالخصوص في الاهتمام بالمبدعين من علمائنا وكُتّابنا قد نجده عند بعض الفطاحل من المصلحين في زمان كرد علي نفسه وقبله بقليل، وقد وجدنا له صدى عند الذين تأثروا بهم من المصلحين في المغرب العربي مثل الشيخ عبد الحميد بن باديس، وما أزال أذكر وأنا شاب أدرس العربية في إحدى المدارس التي أسسها أتباع ابن باديس: «هذه النهاية عليك بأمهات الكتب». وكانت نصيحة انتفعتُ بها، إذ لولا ذلك ما استطعت أن أطلع على «الجديد» في كتب المتقدمين! («الجديد» الذي لم يعرفه المتأخرون ولا الغربيون).

أوقاف سعد الدين باشا العظم

في طرابلس الشام ونواحيها

أ.د. عمر عبد السلام تدمري

(القسم الثاني)(*)

ثم لما تمّ هذا الوقف وانحسمت /ص٣٩/ شروطه، وانضبطت قيوده، وأشهد على نفسه الكريمة الواقف المشار إليه بصدور ذلك منه بالمجلس المعقود الشرعي، بديوان طرابلس الشام، لدى مولانا وسيّدنا، عمدة العلماء الأعلام، إنسان عين القضاة والحكام، مختار السادة الموالي العظام، الحاكم الشرعي يومئذ بمدينة النصر(٢٠٩) طرابلس الشام، الطابع ختمه، والراقم خطّه أول الكتاب، دام مُصانًا من الأوصاب، فسلّمه المولّى المشار إليه، وسلّط يد المنصوب متولّيًا عليه لأجل التسجيل، وهو السيد مصطفى أفندي إمام الوزير المشار إليه، عنّ للواقف الرجوع عن وقفه هذا، محتجًّا بعدم اللزوم قبل الحكم والتسجيل على قول الإمام الأعظم أبي حنيفة النُعمـــان(٢١٠) المجتهد الجليل. فعارضه المتولّي المذكور وترافع معه لدى الحاكم الشرعي المشار إليه، فرأى المولى(٢١١) المُهاب الحكم بصحّته أولى، على قول بعض الأصحاب.

واستخار الله تعالى كثيرًا، واتّخذه هاديًا ونصيرًا. وحكم ــ أيّد الله أحكامه ــ بصحّة الوقف ولزومه، في خصوصه وعمومه، عالمًا بالخلاف

(*) [نشر القسم الأول من هذا المقال في مجلة المجمع. مج (٧٧) ج (٤) ص (٦٦٣- ٧١٤)].

الجاري بين الأئمّة الأسلاف، وانتـــزعه من يد المتولّي المذكور، وأعاده إلى يد الواقف المشار إليه ليتصرّف به لجهة الوقف المذكور، وأمر بتسجيله، والمبادرة إلى تحريره، حكمًا وأمرًا صحيحين شرعيين، أوقعهما بالطريق الشرعي، بالالتماس المرعي.

والحمد لله تعالى وحده. وصلّى الله وسلّم على من لا نبيّ بعده.

وجرى[٢١٢] ذلك وحُرِّر في اليوم العاشر من شهر جمادى الأولى سنة سبعٍ وستين ومئة وألف.

شهـــود الحـــــال

عمدة العلماء المحققين مولانا الحاج عثمان أفندي [٢١٣] المفتي حالاً بالحمية	عمدة العلماء والمدرّسين مولانا السيد محمد أفندي المفتي سابقًا	عمدة العلماء والمدرّسين مولانا السيد إسماعيل أفندي المفتي سابقًا
عمدة السادات الفخام السيد عبد القادر قيمقام نقيب السادة [٢١٤] الأشراف	عمدة المدرسين عمر أفندي الكرامي	فخر السادات الكرام السيد عمر أفندي بن إسماعيل أفندي
السيد أبو بكر ابن الفستقي	مولانا علي أفندي مقيد	مولانا عبد الله أفندي المدني زيد فضله
مولانا مصطفى أفندي القاسمي زيد فضله	مولانا إبراهيم أفندي باش كاتب زيد فضله	فخر السادات السيد عبد الوهاب أفندي بَرَكة
فخر السادات السيد عبد الرحيم الرفاعي	فخر المشايخ والسادات الشيخ يسن أفندي الرفاعي	عمدة العلماء المحققين مولانا السيد يوسف أفندي الدوقي
عبد الجليل بن عبد الواحد العقاد	محمد بشر بن عثمان جاويش	السيد عبد الغني الدبّوسي

السيد عبد القادر جربندي — يسن أوده باشي ابن درويش — السيد عبد القادر بن عبد الجليل ترجمان

السيد علي بن السيد مصطفى مغربي — السيد إبراهيم ابن أحمد جاويش — السيد عبد الرحمن وأخوه السيد حسن ابنا السيد مصطفى العمادي

كاتبه الحقير يحيى حبي — إبراهيم أغا محضر باشي — حسين باشه ترجمان — مصطفى بشر بن دقماق

الحاج علي بن عبد الله جربجي — مصطفى بن الحاج خليل وأخوه عبد الله — يوسف بشر بن مشكاح[٢١٥]

* * *

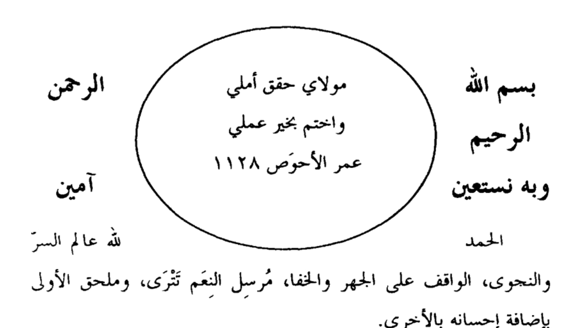
(الملحق الأول)

/ص٤٠/

باسمك[٢١٦] يا خير مسؤول، نسألك[٢١٦] التفضُّلَ بالقبول

ما في طيّ هذا المنشور من الوقف الصحيح المسطور، صدر لديّ، ووضح بين يديّ، وحكمتُ بصحّته، ولزومه في خصوصه وعمومه، وبلحوقه بالوقف السابق على ما فيه من شروط وقيود ولواحق، عالمًا بالخلاف الجاري بين الأئمة الأسلاف في الأوقاف.

قاله الفقير إليه سبحانه، الآمل منه منة وغفران[٢١٧] السيد عمر ابن السيد حسن الخزرجي المولى خلافة بمدينة طرابلس الشام المحميّة، عُفي عنه.



والنجوى، الواقف على الجهر والخفا، مُرسِل النِعَم تَتْرَى، وملحق الأولى بإضافة إحسانه بالأخرى.

والصلاة والسلام على نور الوجود، وسيّد كل والد ومولود، وعلى آله وأصحابه الذين لم يزالوا يسارعون في الخيرات، ويجتهدون في المبرّات، ويأمرون بالصدقات، حيث كانت الصدقة الجارية نافعة للمرء في سائر الحالات، لِما رووا عن فخر الكائنات، مَن شيّد أركان الدين على أقوم أساس: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث»[٢١٨] وعدّ منها الصدقة الجارية.

ولما صحّ هذا الخبر، عند ذي الدولة والخَفَر، دُرّيّ سماء الوزارة، وبدر أُفق الصدارة، الشادّ على التقوى وفِعل الخير منطقته وإزاره، الدستور المكرّم، والوزير المحترم، آصفيّ الشيَم، عميم الكرم، جناب الحاج سعد الدين باشا المحتشم، محافظ طرابلس الشام المحميّة حالاً، أدام الله تعالى إجلاله، وأبدّ سعادته وإقباله، ابن الوزير المرحوم المبرور، من فاز من المبرّات

بأجلّ القُرَب، ونال في الفردوس أعلا[٢١٩] رُتَب، جناب الحاج إسماعيل باشا أمير الحاج الشريف سابقًا، طاب ثراه، فقد رغب، حفظه الله تعالى، في هذا الخير العظيم، وفاز من هذا الثواب بحظ جسيم، وأراد الزيادة في المبرّات، والتكاثر في الخيرات، فحضر بنفسه الكريمة، ذات الأخلاق السليمة، صانها الله تعالى وحماها، وشكر في الخيرات برّها ومسعاها، في المجلس الشرعي المعقود بديوان طرابلس الشام المحميّة، لدى مولانا وسيدنا عمدة العلماء الأعلام، مختار الموالي العظام، مؤيّد شريعة سيّد الأنام، عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأتمّ السلام، الحاكم الشرعي الموقّع خطّه الكريم أعاليه، دامت معاليه، وأشهد على نفسه الكريمة شهوده بذيله، أنه وقف وحبس وتصدّق وأبّد وخلّد، وألحق بوقفه السابق الصادر من سعادته في اليوم العاشر من جمادى الأولى سنة سبعٍ وستين ومائة وألف، الثابت المضمون على منوال ما فيه من شروط وقيود، /ص٤١/ وسوابق ولواحق، ما هو له وملكه، وتحت طلق تصرّفه، ومنتقل إليه بالشراء الشرعي بموجب حجج شرعيّة مرصدات تحت يد سعادته، سابقات التاريخ على تاريخه، بحيث يملك وقفه وأنواع التصرّفات الشرعية فيه إلى حين صدور هذا الوقف، وذلك:

جميع البستان الشجري الكائن في السقي الغربي في أراضي السبع قاعات[٢٢٠] ظاهر طرابلس المحميّة، المحدود قبلةً الطريق، وشرقًا بستان ورثة الحاج عبد الواحد العطار، وشمالاً بستان ورثة عبدي آغا الترجمان[٢٢١] وغربًا بستان السيد محمد بلوكباشي، الموظّف عليه بطريق الخراج لأسكلة طرابلس، كل سنة قرش ونصف القرش، بما له من حق الشرب الواصل إليه من ماء الدوايه من طريقه المعتاد بحق واجب معلوم.

وجميع الحوش العامرة البنا، المشتمل على عُلُوّ وسفل، الكائن في محلّة باب الحديد من محلاّت طرابلس المحميّة، المشتمل كاملُه على سبعة وعشرين بيتًا، البعض منها معقود بالمون والأحجار، والبعض مسقوف بالجذوع[٢٢٢] والأخشاب، المحدود قِبلةً جبّانة القلعة[٢٢٣]، وشرقًا الطريق الآخذ إلى القلعة، وشمالاً القِناق[٢٢٤]، وغربًا الطريق الفاصل بينه وبين السرايا[٢٢٥].

وجميع الطاحون دار الرحى الكائنة في أرض قرية المَنْيَة[٢٢٦]، وقف السادة المصريين، وتُعرف بطاحونة الجديدة، الموظّف عليها بطريق الحكر الشرعي، لجهة الوقف المرقوم في كل سنة خمسة قروش، المحدودة قبلةً أرض سَليخ، وشرقًا بستان ورثة إبراهيم بشه الطوبجي[٢٢٧]، وشمالاً الطريق الفاصل بينها وبين بستان إبراهيم بشه المرقوم، وغربًا الطريق السالك، بما لها من حق الماء الواصل إليها من الساقية الجديدة من طريقه المعتاد بحق واجب معلوم، وبما للطاحون المرقومة من الأحكار العائدة عليها، الموظفة على بساتين معلومة المعيّنة على أربابها بموجب دفتر ممضيّ بإمضاء الحكم الشرعي، فيه علم أسماء أصحاب العدادين، وما يأخذ من كلٍّ منهم في كل سنة بمقابلة تناولهم الماء لسقاية بساتينهم من ماء الطاحون المرقومة، المعيّن ذلك لتعزيل ساقية الطاحون من السدّ إلى انتهاء البساتين الموظّف عليها الأحكار في القرية المرقومة[٢٢٨].

* * *

(الملحق الثاني)

/ص٤٥/

اللهمّ يا موفّق الطايعين بلّغنا مَرْضاتك أجمعين

ما سُطر باطن هذا الكتاب، بلّغ الله واقفه حُسن المآب من الوقف والشروط الشرعية التي هي على أقوم الطرق المرضية، وقع لديّ، وصحّ واتّضح بين يديّ، فحكمت بصحّته ولزومه، في خصوصه وعمومه، عالمًا بالخلاف الجاري بين الأئمّة الأسلاف، بمقرّ فقير عفو ربّه السيد مصطفى المولى الخلافه بمدينة طرابلس المحميّة، عفى[٢٢٩] عنه ربّ البريّة بمنّه.

خادم شرع
محمد مصطفى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله فاتح سُبُل الخيرات، ومتمّم النِعَم والحسنات، والصلاة والسلام على نبيّه محمد خلاصة سرّ الوجود، وعلى آله وأصحابه الرُكّع السجود، صلاةً وسلامًا دائمين في كل عصر وأوان، ما تناسل من الوالدين الولدان.

وبعد، فلما كان الوقف من أفضل الصدقات، وأجلّ المَبرّات، وأعظم القُرُبات، بحديث فخر الكائنات، المرويّ عنه بسند الثقات، من قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث»[٢٣٠]، وعدّ منها الصدقة

الجارية بعد الممات، وكان ذلك من معلومات دُرّيّ فَلَك السعادة والإجلال، كوكب سماء الوزارة والإقبال، دُرّة تيجان الوزراء، من غير شكٍ ولا مِراء، ساحب ذيل الفخار، من أضاء نجمُ سعده أضاءت[٢٣١] الشمس في رابعة النهار، الوزير الوقور المحتشم، والدستور المشيد المكرّم، الحاج سعد الدين باشا المحترم محافظ طرابلس الشام سابقًا، أدام الله تعالى إجلاله، وأبّد سعادته وإقباله، ابن الوزير المرحوم المبرور، من فاز بأجلّ القُرُبات، حتى نال من الفردوس أعلا[٢٣٢] الغُرفات، الحاج إسماعيل باشا أمير الحاج الشريف ومحافظ دمشق الشام سابقًا، طاب ثراه، فرغب بالزيادة من هذا الخير العظيم، ليفوز من ذلك بالثواب العميم، وحضر بنفسه الكريمة، ذات الأخلاق السليمة، والألطاف العميمة، إلى المجلس الشرعي المعقود في مرج أسكلة طرابلس الشام، لدى مولانا وسيّدنا عمدة العلماء الأعلام، زبدة الجهابذة الفخام، مختار الموالي العظام، خادم شريعةِ سيّد الأنام، عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأتمّ السلام، الحاكم الشرعي الموقّع خطّه الكريم أعلاه، دام فضله وعُلاه، وأشهد الوزيرُ الوقور المشار إليه على نفسه الكريمة، أنه وقف وحبس وتصدّق وأبّد وخلّد، وألحق بوقفَيْه الصادرين من سعادته السابقَي التاريخ، والثابتَي المضمون، على ما فيهما من شروط وقيود وسوابق ولواحقَ، ما هو له وملكه، وتحت طلْق تصرُّفه، ومنتقل إليه بالشراء /ص٤٦/ الشرعي بموجب حجج شرعية، مخلّدات بيده، سابقات التاريخ على تاريخه، وبعض منه بإنشائه، بحيث يملك وقفه وأنواع التصرّفات فيه شرعًا إلى حين صدور هذا الوقف، وذلك[٢٣٣]:

/ص٤٨/ جميع البستان الشجري الكاين في السقي الشرقيّ ظاهر طرابلس الشام المحميّة، الموظّف عليه بطريق الحِكر الشرعي لجهة وقف الحرمين الشريفين في كل سنة ربع القرش، المحدود قِبلةً الطريق السالك الفاصل بينه وبين بستان سَنْدمُر، وشرقًا الطريق الآخذ إلى بستان المالكية، وتمامه بستان المشوطه، وشمالاً الطريق الفاصل بينه وبين بستان البحصاصه، وغربًا بستان ورثة عمر باشه الطحّان.

وجميع الحقلة الشجرية المفرَزَة من بستان الشوطه(٢٣٤) الكائن في السقي المرقوم، الموظّف على الحقلة المذكورة بطريق الحِكر الشرعي لجهة وقف الحرمين الشريفين، في كل سنة شاهيّة غروشية، يحدّها قِبلَةً وغربًا البستانُ السالف ذِكره، وشرقًا الطريق الفاصل بينها وبين بستان الزاوية الآخذ إلى بستان المالكية، وشمالاً بستان ورثة عمر بن باشا الطحّان.

وجميع الحقلتين الشجريّتين المفرَزَتَين من بستان الزهرية الكاين في السقي الوسطاني ظاهر طرابلس الشام المحميّة(٢٣٥) الموظّف على الحقلتين المذكورتين، وعلى باقي قيمتهما من البستان المذكور بطريق الحِكر الشرعي لجهة وقف الحرمين الشريفين في كل سنة قرش واحد، يحدّ الحقلتين المرقومتين قِبلةً بستان السيد عبد المعطي مطرخجي(٢٣٦) زاده، وشرقًا جنينة البادرية، وتمامه الجنينة الآتي ذِكرها، وشمالاً حقلة وقف بني الموقّع، وغربًا قسيمتها الآتي ذِكرها أيضًا.

وجميع الحقلة الشجرية المفرَزَة أيضًا من كامل البستان المرقوم، المحدودة قِبلةً: الحقلة السالف ذِكرها، وشرقًا بستان وقف الموقّع، وشمالاً الطريق، وغربًا قسيمها.

وجميع الجنينة مع ما يتبعها من الرَّبْوَة[٢٣٧] الآخذة إلى حدود بستان الزهرية الكاينة في القرب من مقام عايشة البِشْنَّاتيّة[٢٣٨]، الصالحة الوليّة ظاهر طرابلس المحميّة، وتُعرف بالكسارة المشتملة على أصول الليمون والتفاح والفِرصاد[٢٣٩]، المحدودة قِبلةً جنينة بيد الرُهبان، وتمامه كسارة بيد السيد عبد المعطي مطرجي زاده، وشرقًا مقام **/ص٤٩/** عائشة البشنّاتية، والطريق. وشمالاً حقلة وقف بني الموقّع، وغربًا قسيمها بستان الزهرية، الموظّف عليها بطريق الحِكر الشرعي من كامل القرش السالف ذكره لجهة وقف الحرمين الشريفين، في كل سنة شاهيّتان قروشيتان، بما لها من حق الشرب من عدّان نهار الخميس.

وجميع الحقلة الشجرية الكائنة في السقي الوسطاني ظاهر طرابلس المحميّة الشهيرية[٢٤٠] بحقلة الوادي، المحدودة قِبلةً بستان الحرّاث، وشرقًا البستان الجاري في وقف سعادة الوزير الواقف المشار إليه، وشمالاً بستان التقيشة، وغربًا بستان الحنبلي، الموظف عليها بطريق الحِكر الشرعي لجهة وقف الطواشي في كل سنة ثلث القرش بما لها من حق الشرب الواصل إليها من ماء قُليط من ظهر نهار الجمعة إلى بعد أذان عصره بساعةٍ في كل أسبوع.

وجميع الحمّام الكاين في أسكلة طرابلس الشام بالقرب مـــن جامعها[٢٤١]، بما اشتمل عليه من خزاناته وقِدْره النحاس وجاماته وإقميمه، ومخزنه اللاصق[٢٤٢] للإقميم.

يحدّ ذلك قِبلةً بيت الحاج عبد الله بن محيي[٢٤٣] الدين، وشرقًا جامع الأسكلة[٢٤٤]، وشمالاً الطريق السالك، وفيه الباب، وغربًا بيت الحاج مراد الصيّاد، الموظّف على الحمّام المذكور بطريق الحِكر الشرعي لجهة وقف

الخنجرلي[٢٤٥] في كل سنة عشرة قروش، والموظّف على مائة الجاري إليه من طالع ماء الأسكلة الواصل إليها من قناة طرابلس لجهة وقف محمد باشا الدفتري[٢٤٦]، في كل سنة عشرون قرشًا.

وجميع الدار العامرة البنا الكائنة في محلّة العديمي[٢٤٧] من محلاّت طرابلس الشام مع جميع الجنينة الكبيرة الكائنة داخل الدار المذكورة.

وجميع الدكان المستخرجة من الدار، وتشتمل الجنينة على أصول الليمون المختلف النوع.

وأودة[٢٤٨] صغيرة. وتشتمل الدار المرقومة على سفل وعُلوّ ومنافع ومَرافق وحقوق شرعية، فالسفل يدخل إليه من باب إلى فسحة صغيرة، ينـــزل منها إلى فسحة كبيرة سماويّة مبلّطة، يتوسّطها حوض ماء كبير يجري إليه الماء من الطالع الملاصق للدار المزبورة[٢٤٩]، وفيها أصلان مـــن الأُتـــرُجّ[٢٥٠]، وتشتمل جهات الفسحة على اثني عشر مخزنًا متداخلة بكُوّات مُطلاّت بعضُها على الجنينة المرقومة، وعلى الفسحة المزبورة، ومطبخ، ومرتفق، معقود ذلك كلّه بالمؤن والأحجار، يتوصّل إلى الجنينة من جهة الفسحة الشمالية بباب، ويصعد من الفسحة المذكورة على سُلّم حجر إلى ممشا[٢٥١]. مفروش بالبلاد[٢٥٢]، مشتمل على ثلاث أُوَد مسقوفة بالجزوع[٢٥٣] والأخشاب، وعلى الفسحة الأولى الصغيرة سُلّمان **/ص٥٠/** من حجر، يصعد من أحدَيْهما إلى ممشى مبلّط، عليه خمس أُوَد مسقوفة بالجذوع والأخشاب، ويصعد من ثاني السُلّمتين إلى فسحة صغيرة، فيها أودة مسقوفة بالجذوع والأخشاب، بكُوّات مُطلاّت على الطريق، وفي جانبها دهليز تتوصّل منه إلى أودة صغيرة ومرتفق، وعلى الفسحة مَصيف

صغير يتوصّل منه إلى أودة تعلوا[٢٥٤] باب الدار (المذكور)[٢٥٥] مسقوفة بالجذوع والأخشاب، بكُوّات مُطلاّت على الطريق، ويدخل من الفسحة العُلويّة في باب إلى دهليز له كوّات مُطلاّت على سُفليّ الدار، وعليه ثلاث أُوَد مسقوفة بالجذوع والأخشاب، بكُوّات مُطلاّت على الجنينة وأودة صغيرة، يتوصّل منها إلى إحدى الثلاثة أُوَد الغربية وإلى ممشاها المتقدّم ذكره. يحدّ جميع الدار مع الجنينة قِبلةً: الطريق الفاصل بينها وبين مدرسة المرحوم الشيخ سليمان الرفاعي[٢٥٦] الآخذ إلى باب الأسكلة[٢٥٧]، وشرقًا الطريق الفاصل بينها وبين دار ورثة إبراهيم أفندي بَرَكة زاده، وفيه الباب، وشمالاً بيت الرُهبان[٢٥٨]، وغربًا بستان الزهرية ملك السيد عبد المعطي المطرجي، وتمامه خان البنادقة[٢٥٩].

ويحدّ الدكانَ التابعة للدار المذكورة قِبلةً الطريق وفيه إغلاقها، وشرقًا بوّابة الزهرية، وشمالاً بيت الرُهبان، وغربًا الجنينة بما للحوض المذكور من حق الماء الواصل إليه من قناة طرابلس بحق واجب شرعي[٢٦٠] معلوم، وبما للجنينة من حق الشرب الواصل إليها من ماء قُليط المار بما سكْره لأجل سُقياها.

وجميع الدار العُلويّة الكائنة في محلّة باب الحديد من محلاّت طرابلس، المشتملة على طبقتين عُلْويَّتين ومطبخ ومَصيف ومرتفق راكب على ذلك على ملك الغير، يحدّها قِبلةً بيت ورثة الشيخ يحيى الجاموس، وشرقًا البيت المعروف ببيت أم أسعد[٢٦١]، وشمالاً بيت وقف جامع العطار[٢٦٢]، وغربًا الطريق السالك.

وجميع الدار العامرة البنا الكاينة في المحلّة المرقومة المشتملة على سفل وعُلوّ، فالسفل يدخل إليه من باب إلى فسحة سفلية، فيها فستقية ماء، ويصعد منها على سُلّم حجر، يتوسّطها أودة متّختَة راكبة على الفسحة

بكوّتين مُطلّيتين[٢٦٣] على الطريق، وفي جانب السُلّم لجهة يمين الصاعد فستقية ماء أيضًا. ويدخل من راس السُلّم بدهليز يعلوه متخَّت إلى فسحــت[٢٦٤] سماوية مبلّطة، فيها فستقية ماء أيضًا، يدخل منها إلى قاعة بإيوانين وممشا[٢٦٥] مبلّط، فيه فستقية ماء أيضًا، ولها كوّات مُطلاّت على الطريق. وعلى الإيوان الشمالي أودة كبيرة بكوّتين مُطلّتين على الطريق والقاعة، وعلى الفسحة مربّع صغير، داخله كلار[٢٦٦]، إلى جانبــه داكونــة[٢٦٧] صغيرة. وعلى الفسحة لجهة القبلة طبقة مُطلاّت على الطريق، وعلى الفسحة مطبخ مبلّط، فيه فستقيّة ماء يجري إليها وإلى ما تقدّمها **/ص٥١/** من الفساقي الماء من الطالع اللاصق للدار المذكورة بحق النصف من مائه. وفي المطبخ كنيف راكب ذلك كله ماعدا المربّع والكلار والداكونه على إقميم حمّام عزّ الدين[٢٦٨]، مسقوف كل ذلك بالجذوع والأخشاب، ويصعد من الفسحة على سُلّم حجر إلى طبقة كبيرة بكوّات مطلاّت على الدار، راكبة على المطبخ والكلار مسقوفة بالجذوع والأخشاب، ويتوصّل من السُلّم إلى مصيف هو سطح القاعة، ويتوصّل منه إلى طبقة كبيرة بكوّات مُطلاّت على الطريق، والمصيف راكبة على وقف البيمارستان[٢٦٩]، مسقوفة بالجذوع والأخشاب، الموظّف على بعض أماكن الدار المرقومة لجهة الوقف المذكور بطريق الحِكر الشرعي، في كل سنة نصف قرش. يحدّ الدار المرقومة قبلةً البيت الشهير ببيت الكبّاس، وشرقًا الطريق السالك وفيه الباب، وشمالاً رَبْع وقف البيمارستان، وغربًا كذلك. وتمامه حمّام عزّ الدين.

وجميع الحوش العامرة البنا الشهيرة بحوش اليكن[٢٧٠]، مع جميع الجنينة الملاصقة لها المشتملة على بعض أصول الليمون، الكائن ذلك في محلّة باب التبّانة[٢٧١] من محلاّت طرابلس المحميّة، ويشتمل (الحوش)[٢٧٢] على سفل وعُلُوّ ومنافع ومرافق وحقوق شرعية، فالسفل يشتمل على فسحة فيها حوض ماء يجري إليه الماء من طالع النحّاسين الكائن في محلّة بين الجسرين[٢٧٣]، شركة حمّام القراقيش[٢٧٤] ومن يشركه بذلك، بحق واجب معلوم ثابت القدم، وفيها أربعة بيوت معقودات بالمؤن والأحجار، ويدخل منها في باب لجهة الشمال إلى الجنينة المتقدّم ذكرها، ويصعد من الفسحة على سُلّم حجر، يدخل منها في باب قِبلي إلى فسحة فيها خمس طباق، داخل كلٍ منها مطبخ ومرتفق على حِدة مسقوفات بالجذوع والأخشاب راكب بعضها على قبو من أقبية السُفلي، والباقي على ملك الغير، ويُتَوصّل من السُّلّم إلى ممشى شمالي، يدخل منه إلى ثلاث طباق، لكلٌ مطبخ ومرتفق أيضًا على حِدَة، مسقوفة بالجذوع والأخشاب راكب بعضها على أقبية السفل والباقي على ملك الغير، الموظّف على ذلك كلّه في كل سنة بطريق الحِكْر الشرعي لوقف بني القراقوشي قرش وسبع شاهيّات القرش، ولوقف محمود بيك قرش واحد، ولوقف بني القاضي كمال الدين[٢٧٥] ربع القرش. يحد الجنينة مع الحوش قِبلةً دار الحاج ديب بن شرك[٢٧٦] وتمامه الطريق، وشرقًا بيت ورثة مصطفى بشه[٢٧٧] الحموي، ودار الحاج عمر المعاليقي، وشمالاً دار حسين ويوسف الحلبي، وغربًا السوق المعروف بسوق الأساكفة[٢٧٨]، وفيه الباب.

وجميع الدار العامرة البنا الكائنة في محلّة زقاق الرُمّانة[٢٧٩]، من محلاّت طرابلس، المشتملة على سفل وعُلوّ، فالسفل يشتمل على فسحة مبلّطة بالبلاط **/ص٥٢/** البحصاصي، فيها حوض ماء، ويدخل من الفسحة إلى أودة شمالية يلاصقها مصطبة صغيرة، ومنها إلى ثلاثة أقبية متداخلة، ومنها إلى أودة صغيرة يلاصقها مصطبة ويدخل أيضًا إلى أودة صغيرة، يلاصق المصطبة المذكورة مرتفق معقود ذلك كلّه بالمؤن والحجارة. ويصعد من الفسحة على سُلّم حجر تنتهي إلى أودة، تجاهها باب يصعد منه على سُلّم حجر إلى فسحة مسقوفة مبلّطة بالبلاط البحصاصي، يتوسّطها فستقية ماء، وتجاه الفستقية إيوان داخل كشك بكوّات مُطلاّت على جنينة بني السمـــين[٢٨٠]، ويدخل من الإيوان إلى أودة ذات إيوان وممشا[٢٨١] داخلها أودة صغيرة بكوّات مُطلاّت على الجنينة المذكورة، ويدخل من الإيوان أيضًا إلى مربّع ويدخل من الفسحة المذكورة إلى أودة صغيرة فيها فستقية ماء، وفي صدرها أوجاق[٢٨٢] يدخل منها إلى مصيف، وفي الفسحة مربّع كبير بكوّتين مُطلّتين على الجنينة وعلى الطريق العام، ويصعد من الفسحة على سُلّم حجر إلى مطبخ وكنيف يلاصق المطبخ باب يدخل منه إلى مصيف، ويتوصّل من الفسحة إلى ثلاث أُوَد متداخلة، مسقوف ذلك كلّه بالجذوع والأخشاب، راكب ذلك على الأقبية المتداخلة المسبوقة بالذكر، ويصعد من الفسحة السفلية على سُلّم حجر لجهة القِبلة يتوصّل منها إلى مصيف، يدخل منه إلى طبقتين راكبتين على ظهر الدكاكين الآتي ذِكرها.

وجميع الأربع حوانيت المستجدّة الراكبة على بعضها بعض علويّ الدار المذكورة، يحدّ الدار مع الحوانيت المرقومة قِبلةً بيت البرنُس[٢٨٣]،

وتمامه بيت حسن ابن البرساوي[٢٨٤]، وشرقًا دار ورثة رمضان أفندي، وتمامه الطريق السالك، وشمالاً وغربًا الجنينة المذكورة، وتمامه بيت الحاج علي باليط، بما للدار المذكورة من حق الماء الواصل إليها من طريقه للطوالع بحق واجب معلوم.

وجميع الدار العامرة الكائنة في محلّة اليهود[٢٨٥]، من محلاّت طرابلس المشتملة على سفل وعُلُوّ ومنافع ومرافق وحقوق شرعية، فالسفل يشتمل على فسحة مبلّطة بالبلاط البحصاصي وعليها إيوان في صدره خزينة صغيرة، عليها متخّت راكب على الإيوان، وفي جانب الإيوان لجهة الشمال مربّع كبيرة له ممشا[٢٨٦] مبلّط بكُوّتين مُطِلّتين على الفسحة والايوان. وفي جانب الإيوان لجهة القِبلة مربّع أيضًا بممشا[٢٨٧]،معقود جميع ذلك بالمون والأحجار، وعلى الفسحة بيت صغير مسقوف بكوّات مُطِل بعضها على الفسحة، والبعض على جنينة مسمّيها. وفي جانبه مطبخ بعضه مسقوف وبعضه معقود بالمون والأحجار، ويصعد من المطبخ على **/ص٥٣/** سُلّم حجر يتوسّطها بيت صغير معقود بالمون والأحجار، (وفي رأس السُلَّم باب يدخل منه إلى مطبخ وكنيف، ويدخل من هذا المطبخ إلى بيت صغير، معقود جميع ذلك بالمون والأحجار)[٢٨٨]. ويدخل من رأس السُلّم إلى فسحة عليها طبقتان كبيرتان مسقوفتان بالجذوع والأخشاب بكوّات لكلٍ منهما مُطِلاّت على الفسحة والجنينة المتقدّم ذكرها، ويصعد من هذه الفسحة على سُلّم حجر إلى مصيف هو ظهر المطبخ العلوي، وإلى مصيف هو ظهر الطبقة الواحدة بأربع جدرات[٢٨٩]، ومنه إلى مصيف من غير جُدُر هو ظهر الطبقة الأخرى، وعلى فسحة الدار السفلى حوض ماء يجري إليه

الماء من الطالع الكائن في محلّة اليهود بحق واجب معلوم، يحدّ الدار المذكورة قبلةً جنينة مسمّيها، وشرقًا دار مسمّيها، وشمالاً دار ورثة قعقعيها[٢٩٠]، وتمامه الزقاق وفيه الباب، وغربًا دار ورثة الذمّي حنّا محفوض[٢٩١].

وجميع الحصّة الشائعة وقدرها النصف اثنا عشر قيراطًا من أصل أربعة وعشرين قيراطًا في كامل البستان الشجري الحِكري الكائن في أرض قرية إيعال[٢٩٢] من قرى ناحية الظنّية[٢٩٣] الموظّف على كامله بطريق الحِكر الشرعي لجهة وقف الحرمين الشريفين في كل سنة قرش ونصف القرش، شركة الحاج أحمد ابن الشيخ إبراهيم الشيخة، بحق النصف الآخر المعلوم الحدود والجهات.

وجميع العشر طِباق التي أحدثها الواقف المشار إليه في الحوش الكائن في محلّة مسجد الخشب الجارية في وقفه السابق، الراكبات على بيوت الوقف المسقوفات بالجذوع والأخشاب المعلومات الحدود والجهات.

وجميع القبو المعقود بالمون والأحجار الكاين داخل الحوش المذكورة المعلوم الحدود والجهات، التابع كل ذلك لقضاء طرابلس الشام، بكلّ حق هو لذلك كله شرعًا من طرق وطرايق ومُضافات ولواحق .وما يُعرف به كُلّ، ويُعزى إليه شرعًا داخل الحدود وخارجها على تناهي الجهات، وبما للبساتين المرقومة من حق الشرب المعدَّن وغيره، الواصل إليها من طريقه المعتاد، وبما للدُور المذكورتين من حق الماء الواصل إلى كلّ منها من ماء قناة طرابلس بحق واجب (شرعي)[٢٩٤] معلوم حسبما سُطر وذُكر.

وقفًا صحيحًا شرعيًّا، وحبْسًا مؤبّدًا مخلّدًا مَرعيًّا، لا يباع ولا يوهب، ولا يُملّك ولا يُستملك، ولا يُبدّل ولا يُستبدل، ولا ينتقل لملْك أحد بوجهٍ

من الوجوه، ولا بسبب من الأسباب، بل كلّما مرّ عليه زمان أكدّه زمان، وكلّما توالى عليه عصر وأوان أطّده وخلّده، فهو محرّم بحُرُمات الله تعالى، مدفوع عنه بحول الله تعالى، فمن سعى في نقضه وإبطاله وتغييره واستبداله فالله تعالى /ص٥٤/ يجازيه بأفعاله،

ويستعيذ الواقف بالله تعالى وحوله وقوّته من شرّ متمرّد ذي شوكة، ومتغلّب يتغلّب على وقفه هذا بتملّك واستملاك، وتعطيل واستهلاك، يجري الحال في ذلك كذلك أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَه إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢٩٥].

أنشأ[٢٩٦] الواقف -أثابه الله تعالى- وقفَه هذا على نفسه الكريمة مـــدّت[٢٩٧] حياته، فسح الله تعالى في مدّته لا يشاركه فيه مشارك، ولا ينازعه فيه منازع، ثم من بعد فعلى كريماته السيد[ة][٢٩٨] فاطمة خانم، والست عابدة خانم، والست نايله[٢٩٩] خانم، وعلى من سيحدثه الله تعالى له من الأولاد ذكورًا وإناثًا بينهم على الفريضة الشرعية، للذكر مثل حظ الأُنثَيَيْن، ثم من بعدهم فعلى أولادهم كذلك، ثم على أولاد أولادهم، ثم على أولاد أولاد أولادهم كذلك، ثم على أنسالهم وأعقابهم مثل ذلك، بطنًا بعد بطن، وطبقة بعد طبقة، الطبقة العليا تحجب الطبقة السفلـــى، ملحق[٣٠٠] هذا الوقف بوقفَيْه السابقين المتقدّم ذِكرهما السابقي التاريخ على تاريخه على ترتيب الوقفين المرقومين وشروطهما؛ وعوده إلى من ذكر فيهما ملحقًا بهما شروطًا وترتيبًا وعودًا.

ولما تمّ هذا الوقف وانحسمت[٣٠١] شروطه، وانضبطت[٣٠٢] قيوده التي هي شروط وقيود الوقفين السابقين، والتحق بهما شروطًا[٣٠٣] وقيودًا، وصاروا[٣٠٤] وقفًا واحدًا من غير زيادة شرْطٍ على ذَيْنك الوقفين المذكورين لا قيد، بل هم [٣٠٥] وقف واحد، وسلّمه مولانا الحاكم الشرعي المومى إليه من المنصوب عليه متولّيًا لأجل التسجيل، وهو حسين بشه ابن علي الترجمان عنّ الواقف الرجوع في وقفه هذا محتجًّا بعدم اللزوم قبل الحكم والتسجيـــل[٣٠٦]، على قول الإمام الأعظم أبي حنيفة النُعمان، أفاض الله تعالى على مرقده سجال الغفران، فعارضه المتولّي المنصوب المذكور، وترافع معه لدى الحاكم الشرعي المومى إليه، فرأى أنّ الحكم بصحّته أولى، على قول بعض الأصحاب من أئمّة مذهب النعمان، وحكم بصحّة الوقف ولزومه في خصوصه وعمومه، عالمًا بالخلاف الجاري في الأوقاف بين الأئمّة الأسلاف، وانتـــزعه من يد المتولّي المذكور، وأعاده إلى الواقف المشار إليه ليتصرّف فيه لجهة الوقف المسطور، وأمر بتسجيله. غبّ[٣٠٧] أنْ حكم بلحوقه بالوقفين المذكورين، وأشهد /ص٥٥/ على حكمه شهوده أدناه إشهادًا وحكمًا وأمرًا صحيحات شرعيّات مسطّرات بالطلب في اليوم السابع من شهر رجب من شهور سنة تسعٍ وستين ومئة وألف.

والحمد لله تعالى وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده.

شهود الحال

عمدة العلماء المحقّقين	عمدة العلماء والمدرّسين
الفخام مولانا الحاج	الكرام السيد محمد أفندي
عثمان أفندي المفتي بالمحميّة حالاً	المفتي بالمحمية سابقًا

عمدة السادات والمدرّسين	فخر السادات والمدرّسين
العظام السيد عبد القادر أفندي	السيد محمد أفندي
قيمقام نقيب السادة الأشراف حالاً	نقيب القدس سابقًا
عمدة الأماجد المحترمين	فخر السادات المدرّسين
الحاج إبراهيم آغا	السيد محمد أفندي أدهمي
آغاية[٣٠٨] طرابلوس الشام	زاده[٣٠٩]

فخر السادات الكرام	مولانا فخر العلماء	مولانا السيد مصطفى
السيد عبد الوهاب أفندي	والمحدّثين محمد	أفندي القاسمي[٣١٠]
بركه زاده	أفندي	[زيد][٣١١] فضله

عبد القادر بن	الشيخ أحمد	الشيخ أحمد بن	عبد الرحمن بن
الزين القلعه جي	آغا بن حسن	مصطفى بن بروانه[٣١٢]	الشيخ يوسف
	أخ بابا		الشعار

الشيخ علي المؤذّن	حسين باش آغا	علي أفندي المقيّد
ابن الحاج حسن	علي الترجمان	
مولانا السيد يحيى	السيد حسن بن الحاج	يوسف بن عمر جاويش
أفندي الحسيني	أحمد تابع نقيب أفندي	قلعه جي
[زيد] فضله		
مصطفى بن علي	السيد درويش بن	
بشه يازجي	السيد درويش الحجار	
الحاج محمد العطار	الأستاذ موسى	الحاج إبراهيم بن
ابن الحاج محمد السويري	ابن ربيع النجار	عثمان جاوش

الحاج درويش بن	الحاج إبراهيم بن	
الحاج محمد	الحاج محمد الشامي الشعار	
السيد عمر الشامي	الحاج حسين	إبراهيم بشه
ابن السيد محمد معلا	الحصري	محضر باشي
الحاج عمر بن علي	الحاج مصطفى	
سعد الدين الصيادي	المحضر	

حسين بشه	كاتبه الحقير إبراهيم
المحضر	ابن مصطفى العكاري

حواشي نصّ الوقفيّة

(٢٠٩) هذه تسمية فريدة لم أجدها في أيّ مصدر آخر. والمعروف أنّ بطرابلس «قبّة النصر» وهي محلّة مشرفة على المدينة من الشمال الشرقي، نصُبت فيها قبّة السلطان المنصور قلاوون عندما حاصر طرابلس وفتحها سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م. ولهذا سُمّيَت «قبّة النصر». ووردت هذه التسمية عند «بدر الدين حبيب الحلبي» في «درّة الأسلاك في دولة الأتراك» مصوّر بدار الكتب المصرية، رقم ٦١٧٠ح– ج٢/ ٣٩١. أمّا أن يُطلق على طرابلس «مدينة النصر» فإنني أقف على ذلك لأول مرة.

(٢١٠) هــو النُعمان بن ثابــت بن زَوطى، صاحب مذهب الفقه الحنفي. ولد سنة ٨٠هـ. وتوفي سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. انظر عنه في: تاريخ الإسلام. للذهبي –تحقيق تدمري– طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٨م– ج ٩/ ٣٠٢– ٣١٣ وفيه حشد مصادر ترجمته.

(٢١١) في «ط»: «المولا».

(٢١٢) في «د»: «وحرر».

(٢١٣) هو عثمان بن مصطفى بن أبي اللُطف جمال الدين بن مصطفى بن يوسف كرامي. تولّى إفتاء طرابلس وتدريس القَرمشيّة وجامع طَيْنال. مات في أَذَنَة سنة ١١٧٥/ هـ. انظر عنه في: موسوعة علماء المسلمين. — تدمري- القسم الثالث — ج٣/ ٢٨٦- ٢٨٨ رقم ٨١٦.

(٢١٤) في «د»: «السابق»، ليست في «ط».

(٢١٥) في «ط»: اختلاف في ترتيب الشهود، ونقص في الألقاب والأسماء.

(٢١٦) من هنا ليس في «ط». وقد ورد الفعل: نسألك في الأصل بلفظ: (سالك).

(٢١٦) مكرر: في الأصل (سالك).

(٢١٧) هكذا في الأصل. والصواب أن يقال: «منه مَنّه وغُفرانه».

(٢١٨) حديث صحيح، رواه أبو هريرة بلفظ: «إذا مات الإنسات انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلاّ من صدقة جارية، أو عِلمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولدٍ صالح يدعو له». رواه مسلم في صحيحه، كتاب الوصيّة، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث (١٦٣١)- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي — طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م. وأخرجه أبو داود، في الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت، رقم (٢٨٨٠)، والترمذي في الأحكام. باب ما جاء في الوقف، رقم (١٣٩٠)، وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٢.

(٢١٩) الصواب: «أعلى».

(٢٢٠) لم أعرف موقعها بالتحديد.

(٢٢١) كان من أعوان «إبراهيم باشا العظم»، قتله أهل طرابلس عند ثورتهم على الوالي «إبراهيم باشا» في سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م. (طرابلس في التاريخ —محمد كامل البابا- تحقيق عمر تدمري وفضل مقدَّم —مرجع سابق- ص ٢٠٣).

(٢٢٢) في الأصل: «بالجزوع».

(٢٢٣) جبّانة القلعة: تقع بجوارها من الجهة الشمالية، وتُعرف الآن بمقابر الزُعبية.

(٢٢٤) القناق: معناها بالتركية مسافة مرحلة، أو مسيرة يوم. وأصبحت تُطلق على مكان الاستراحة للمسافر .

(٢٢٥) السرايا= السراي: مبنى الحكومة وفيه الدوائر الرسمية، وديوان الوالي، والمحكمة الشرعية، ومستودع الذخيرة. وكان موجودًا حتى منتصف القرن الماضي، بين جامع السيد عبد الواحد المكناسي وقلعة طرابلس.

(٢٢٦) المنية حاليًا: بلدة كبيرة على الساحل بينها وبين طرابلس نحو ١٥كلم. وقد وقفها كلها مع بساتينها السلطان قايتباي عند زيارته لطرابلس في سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م. للحرمين الشريفين. (انظر: القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، لابن الجيعان –تحقيق عمر عبد السلام تدمري– طبعة جرّوس برس، طرابلس ١٩٨٤، دفتر مالية لواء طرابلس، المحفوظ بأرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم (٦٨) لسنة ٩٢٥هـ– ص ١٣٦ وفيه أن مُغَلّ الوقف بلغ ٢١٤٨٥ قرشًا (ص ١٣٧).

(٢٢٧) الطوبجي: الذي يعمل على المدفع.

(٢٢٨) إلى هنا تنتهي أوقاف سعد الدين باشا العظم في طرابلس ونواحيها في الملحق الأول، وما بعد ذلك أوقافه في جبلة واللاذقية، لم نتعرّض لها. وتركنا شروط الوقف الملحق وتواقيع الشهود دفعًا للتكرار.

(٢٢٩) الصواب: «عفا».

(٢٣٠) تقدّم تخريج هذا الحديث.

(٢٣١) الصواب: «إضاءة».

(٢٣٢) الصواب: «أعلى».

(٢٣٣) المذكور بعد ذلك أوقاف بجبلة، نستثنيها، ونكتفي بالأوقاف ضمن طرابلس ونواحيها.

(٢٣٤) تقدّم: «المشوطه». و لم أقف على موقعه.

(٢٣٥) انتقلت تسمية البستان إلى المحلّة المعروفة الآن بمحلّة الزهرية أو الزاهرية، وهي بين محلّتي: التبّانة شمالاً، والتلّ جنوبًا.
(٢٣٦) هكذا ورد هنا، وهو خطأ، وسيُصحَّح بعد قليل «مطرجي».
(٢٣٧) يُقصد بالربوة مرتَفَع التلّ العالي، وهو في الوسط التجاري لطرابلس.
(٢٣٨) عائشة البشنّاتية: بطلة طرابلسية كانت تجاهد ضد الفرنجة الصليبيّين أثناء احتلال طرابلس، يرِد ذكرها في السيرة الشعبية للظاهر بيبرس، مع أخيها «حسن البشنّاتي». (انظر: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري –تدمري– طبعة دار الإيمان، طرابلس– طبعة ثانية ١٩٨٤–ج١/٥٥٨، ٥٥٩، عائشة البشنّاتية جان دارك طرابلس –عمر تدمري– جريدة السفير، بيروت ١٩٧٧/٩/٤– ص٢، طرابلس عبر التاريخ– لمحمد كامل البابا– تحقيق عمر تدمري– وفضل مقدّم– ص٣٦٧).
(٢٣٩) الفِرصاد: التوت (المنجد).
(٢٤٠) الصواب: «الشهيرة».
(٢٤١) هو حمّام إبراهيم باشا العظم بجوار الجامع الكبير العالي بالمينا، من الجهة الجنوبية، تعطّل منذ ربع قرنٍ من الآن وتحوّل إلى متجر لذبح الدجاج وبيعه.
(٢٤٢) في الأصل: «اللاصف».
(٢٤٣) في الأصل: «محى».
(٢٤٤) هو الجامع الكبير العالي بالميناء، يقوم فوق الطريق ومجموعة من الدكاكين، ويُصعد إليه بسُلّم حجر ولهذا يُعرف بالعالي. كان مسجدًا صغيرًا في عصر المماليك، وجرى توسيعه على يد أبي بكر بن محمد أغا في سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م. يؤكد هذا لوحة حجرية مثبّتة في الميضأة نُقش عليها ما يلي: – بلغةٍ ركيكة–:
«هنيًا لمن ابني وكان للخير سابقًا وكبر
مسجدًا فنعم ما ابني وله ابغي فهو أبو بكر بن محمد
آغا رحمة الرحيم عليه راجيًا حسن الختام.
من الله له ولوالديه سنة ١١٣٥ في صفر».

(٢٤٥) الخِنْجَرلي: هو الأمير «مصطفى بن اسكندر باشا الخنجرلي» تولّى طرابلس في سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م. ويُعرف بـ «خُرُّم». (ذيل إعلام الورى، لابن طولون- تحقيق محمد أحمد دهمان- طبعة دمشق ١٩٦٤- ص٢٤٠، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري.- تدمري- ج٢/٢٤٨) وبنى جامعًا بقلعة طرابلس قبل ولايته في سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م. (انظر لوحة بناء الجامع في كتابنا: تاريخ طرابلس.- ج ٢/٣٤٨، ٣٤٩) ومن أوقافه خان للعسكر. (انظر سجلّ المحكمة الشرعية رقم ٨- ص١٥ لسنة ١١٥٠هـ) ولابنه «محمد» وقف حمّام الأسكلة، الذي انتقل إلى «إبراهيم باشا العظم» فيما بعد. (سجلّ المحكمة لسنة ١١٢٨هـ).

(٢٤٦) لم أجد له ترجمة. و«الدفتري»: نسبة إلى الدفتر، ما يعني أنه كان ممسكًا بدفتر المالية، وفي طرابلس حيّ يُعرف بالدفتار، أو الدفتر دار.

(٢٤٧) في طرابلس محلّتان تُعرفان في العصر العثماني بالعديمي، إحداهما: محلّة عديمي المسلمين، ومحلّة عديمي النصارى. (انظر: محلاّت طرابلس القديمة. — تدمري- ص ١٠٣و ١٢١- ١٢٣).

(٢٤٨) أُودَة = أوضه: تركية بمعنى غرفة.

(٢٤٩) في الأصل: «المذبوره».

(٢٥٠) الأُتْرُجّ (Citrus medic): نوع من الأشجار التي لا تنبت إلاّ في البلاد الحارّة. (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العُمري.(توفي ٧٤٩هـ) جزء خاص بالحيوان والنبات —تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان- مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٦- ص ٢١٥) وهو المعروف في طرابلس والشام بـ«الزُّفَيْر»، من فصيلة البرتقال والليمون.

(٢٥١) الصواب: «ممشى».

(٢٥٢) الصواب: «بالبلاط».

(٢٥٣) الصواب: «بالجذوع».

(٢٥٤) الصواب: «تعلو».

(٢٥٥) كُتبت فوق السطر مضافة.

(٢٥٦) مدرسة الرفاعي أو المدرسة الرفاعية، بُنيت في عصر المماليك قبل سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م. إذ كانت تحمل على جدارها نصّ مرسوم نُقش باسم السلطان الظاهر «خشقدم» بتاريخ مستهلّ ربيع الآخر سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م. وهي في محلّة عديمي النصارى. (Sobernheim Mortiz- Corpus Inscriptionum Arabicarum- T.xxv. (25)- Institut Francais de Caire 1909- P.125, 126).
تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس.. –تدمري- ص٣٢١–٣٢٤ ونُسبت المدرسة إلى الرفاعي لأنه كان يتولّى التدريس فيها، وهو شيخ الطريقة الرفاعية بطرابلس في أيّامه، وفي المدينة حيّ يُعرف حتى الآن بطلعة الرفاعية تؤدّي إلى حيّ أبي سمراء، كان يسكنها بنو الرفاعي فنُسبت إليهم.

(٢٥٧) باب الأسكلة: أحد أبواب طرابلس في الحيّ المعروف الآن بـ «السراي العتيقة»، ومنه كانت الطريق بين البساتين إلى الأسكلة = الميناء، ولهذا سُمّي بهذا الاسم. وبنى الوزير «محمد باشا الأرناؤوط» والي طرابلس «السراي» قرب الباب، فأصبح يُعرف بـ «بوّابة الأمير محمد». انظر: سجلّ المحكمة رقم ٨ لسنة ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م، ومحلاّت طرابلس القديمة.. –تدمري- ص ١٢٠.

(٢٥٨) بيت الرُهبان: في حارة النصارى بطرابلس. نرجّح أنّ البيت المذكور كان قريبًا من كنيسة «مارجاورجيوس» للروم الأرثوذكس التي بُنيت بين سنتي ١٨٦٢ و١٨٧٣م.

(٢٥٩) خان البنادقة: هو الخان المعروف الآن. بخان العسكر في محلّة الدبّاغة. نُسب قديمًا إلى التجار القادمين من البندقية بإيطاليا حيث كانوا ينزلون فيه مع بضائعهم. ويتألّف الخان من ثلاثة أقسام عمرانية، قسم من عهد الفرنجة الصليبيين، وقسم مملوكي، وقسم عثماني، وهو أكبر خانات طرابلس، تشكّل مساحته أكثر من ١٥٠٠ متر مربع. وعُرف أيضًا بخان الأسرى، وخان الغمّيْضة. وفيه كان يوزّع الحرير الوارد إلى المدينة. (انظر: دفاتر شام شريف – دفتر رقم ١ لسنة ١٧٤٢م. ضمن بحث: الوثائق العثمانية المتّصلة بسورية ودمشق –نجاة غويونج–

مؤتمر بلاد الشام الثاني- دمشق- ج١/٩٧، سجلّ المحكمة الشرعية بطرابلس، رقم ٣٧- ص٣٨ سنة ١٢٥٥هـ).

(٢٦٠) أتت كلمة «شرعي» بعد واجب إلا أنها مشطوبة.

(٢٦١) لم أقف على ذِكر لها في المصادر.

(٢٦٢) جامع العطار: بناه الشيخ ناصر الدين العطار، حسب قول «أبي الفداء» و«ابن الوردي» في: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٥هـ- ج٤/ ١٥٣، وتاريخ ابن الوردي – مصر ١٢٨٥هـ ج٢/ ٣٥٢، ويسمّيه «ابن أيبك الدواداري: «بدر الدين العطار» في: الدّر الفاخر في سيرة الملك الناصر – تحقيق هانس روبرت رويمر- منشورات المعهد الألماني للآثار بالقاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.- ص٣٩١، وكان بناؤه في الربع الأول من القرن ٨هـ/ ١٤م. وتوفي العطار سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م. (انظر: تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس. –تدمري- ص ١٩٠- ٢٠٦).

(٢٦٣) الصواب: «مطلّتين».

(٢٦٤) الصواب: «فسحة».

(٢٦٥) الصواب: «وممشى».

(٢٦٦) كلار: غرفة المؤونة. تُسمَّى في مصر: «كرار».

(٢٦٧) داكونة: مكان صغير غالبًا ما يكون تحت دَرَجِّ السُّلَّم، توضع فيه المهمَلات من الأشياء، أو الحطب.

(٢٦٨) حمّام عزّ الدين: واحد من أشهر حمّامات طرابلس، بناه نائب السلطنة بطرابلس الأمير «عزّ الدين أيبك الموصلي» بين ٦٩٤- ٦٩٨هـ/ ١٢٩٤- ١٢٩٨م. في محلّة باب الحديد. كان القسم الغربيّ منه، حيث الباب، كنيسة لاتينية للفرنج في فترة احتلالهم لطرابلس، إذ لاتزال الكتابة اللاتينية تعلو المدخل، وكذلك صورة للحمل الفصحي منقوشة على عتبة الباب الثاني مع كتابة لاتينية أخرى. ويتألّف الحمّام من

قطاعين معماريّين. وفي الجهة الجنوبية منه ضريح الأمير «عزّ الدين»، وفي الجهة الغربية قصره. (تاريخ طرابلس السياسي والحضاري. —تدمري- ج٢/ ٣٠٠، ٣٠١).

(٢٦٩) البيمارستان: من أصل فارسي، تعني: «دار الشفاء». ويسمّيه العامّة: «المارستان». بناه الأمير «عزّ الدين أيبك الموصلي» صاحب الحمّام الذي تقدّم، على حافّة نهر «أبو علي» في الضفّة الغربية شماليّ جامع «البُرطاسيّ» ، يفصل بينهما الطريق. غمرته مياه النهر عندما فاض في أواخر سنة ١٩٥٥ وأُزيل تمامًا نحو سنة ١٩٦٠ في مشروع تقويم مجرى النهر. وكان الأمير «بدر الدين محمد بن الحاج أبي بكر الحلبي» المتوفى سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، قد جدّد بناء البيمارستان عندما كان أميرًا بطرابلس، وجعل له أوقافًا، ولهذا عندما يُذكر البيمارستان في سجلاّت المحكمة الشرعية يُسمَّى «البيمارستان عزّي وبدري» نسبة إلى «عز الدين أيبك» و«بدر الدين الحلبي». وهو يحمل رقم العقار (٣٠ و٦٤) الجديد. (انظر: المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء —ج٤/ ١٣٧، وسجل المحكمة الشرعية بطرابلس، رقم ٥ ص٢١، وسجلّ سنة ١١٦٦هـ —ص ١٤٤، وتاريخ طرابلس السياسي والحضاري. — تدمري- ج٢/ ٢٩٨-٣٠٠ وفيه مصادر أخرى).

(٢٧٠) تقدّم التعريف باليكن.

(٢٧١) محلّة باب التبّانة: كانت آخر حدود طرابلس شمالاً في العصر العثماني. وعُرفت بالتبّانة لوجود محلاّت بيع التبنْ والعَلَف للدوابّ، حيث كانت الدوابّ تأتي محمّلةً بالثمار والفواكه والبقول والحبوب والخضراوات وغير ذلك من جبال الضنّية وعكار، ومن سورية، وتُفرغ أحمالها في الخانات المنتشرة خارج البوّابة، ثم تُنقَل إلى داخل المدينة، ونظرًا لكثرة الدوابّ التي تتجمّع خارج البوّابة فقد كثُرت محلاّت بيع التبن، فعُرفت البوّابة والمحلّة بذلك. ولاتزال البوّابة قائمة حتى الآن. وبالقرب منها إلى الداخل «جامع محمود بيك السنجق». (انظر: محلاّت طرابلس القديمة. — تدمري- ص١١٧، ١١٨).

(٢٧٢) كُتبت بين السطور.

(٢٧٣) محلّة بين الجسرين: تقع على جانبي نهر «أبو علي» بين محلّة السُّوَيقة جنوبًا ومحلّة التبّانة شمالاً. والجسران هما: جسر السُّوَيقة الذي كان بجوار جامع البرطاسي، والآخر: الجسر العتيق المعروف بالدبّاغة. (محلاّت طرابلس القديمة. — تدمري- ص ١١٤، ١١٥).

(٢٧٤) هكذا في الأصل. وفي: «التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية» للشيخ عبد الغني النابلسي —تحقيق هريبرت بوسه — منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ١٩٧١- ص٧٣ «حمّام القرافيش» (بالفاء)، وهو في سجلاّت المحكمة بطرابلس: حمّام قراقيش (بالقاف) لصاحبه «بهاء الدين قراقوشي»، وقد أزيل في وقت غير معروف.

(٢٧٥) القاضي كمال الدين: هو الإمام العلاّمة، الشيخ كمال الدين محمد ابن الناسخ الأطرابلسي المالكي، قاضي المالكية بطرابلس. له عدّة مؤلّفات. توفي بطرابلس في سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م (الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، للغزّي —تحقيق جبرائيل سليمان جبور —بيروت ١٩٤٥- ج١/ ص٨٠ و٨١) ومن أحفاده: القاضي كمال الدين ابن القاضي ناصر الدين ابن الناسخ، المتوفى سنة ١٠٤٣هـ (سجلّ المحكمة الشرعية، رقم ١/ ص١٣١ و١٣٥).

(٢٧٦) لم أجد له ترجمة.

(٢٧٧) في الأصل: «بشنه»، وهو خطأ.

(٢٧٨) الأساكفة: مفردها: إسكافيّ، وهو الذي يُصلح الأحذية، ويقع السوق بين حمّام «عزّ الدين» و«المدرسة القادرية» في محلّة باب الحديد.

(٢٧٩) زقاق الرمّانة: متفرّع من سوق النحاسين باتجاه الجنوب إلى سوق الصبّاغين. كان عنده خان الرمّانة وقد أزيل حوالي سنة ١٩٦٠م. وفي وسط الزقاق ضريح الشيخ «حسن البركة» المتوفى سنة ١١٥٧هـ -١٧٤٤م (تاريخ طرابلس السياسي والحضاري. — تدمري- ص ٣٠١ رقم ٣٤).

(٢٨٠) السمين: أسرة معروفة في طرابلس، يقال لها: السمين والثمين. منها: الشيخ خليل ابن الشيخ إبراهيم الثمين، خطيب جامع البُرطاسي، له عدّة مؤلفات. توفي سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م (تراجم علماء طرابلس وأدبائها —لعبد الله حبيب نوفل- منشورات مكتبة السائح، طرابلس ١٩٨٤ — ص٢٥٨، ٢٥٩) ولايزال الجامع بتولية بني الثمين حتى الآن.

(٢٨١) الصواب: «ممشى».

(٢٨٢) أوجاق: بالتركية، معناها: موقد.

(٢٨٣) بيت البرنْس: المرجّح لديّ أنه هو خان المنـــزل المعروف بقصر البرنس، وكان في محلّة السُوَيقَة، على ضفّة النهر الشرقية. أزالته مديرية الآثار اللبنانية عقب فيضان النهر سنة ١٩٥٥ ووضعت حجارته داخل قلعة طرابلس لإعادة بنائه من جديد، ولم يتحقق هذا المشروع حتى الآن. وتدلّ زخارف الواجهة والكتابة عليها أنّ المبنى من العصر الفاطمي.

(٢٨٤) لم أجد له ترجمة. ولعلّ «البرساوي» نسبة إلى قرية «بَرْسا» بقضاء الكورة في الجنوب الشرقي من طرابلس، فيها بقايا قلعة بناها حاكم طرابلس «مصطفى اغابوبر». (موسوعة المدن والقرى اللبنانية —لحسن نعمة- طبعة دارعون، لبنان ١٩٩٦- ص١٢٩).

(٢٨٥) محلّة اليهود: كانت بظاهر طرابلس، في الجهة الشمالية الغربية من خان العسكر، بين الدبّاغة وجبّانة الغرباء. جاء في إحصائية «دفتر مالية لواء طرابلس» رقم ٦٨ لسنة ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م. أنّ اليهود كانوا يشكّلون (٩٠ أسرة) من (١٥٤٣ أسرة) تشكل مجموع سكان المدينة، وفي «دفتر إحصاء لواء طرابلس» رقم ٥١٣ لسنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م. ارتفع عدد اليهود إلى (١٣٢ أسرة). وقد هجر اليهود محلّتهم على دفعات منذ نكبة فلسطين ١٩٤٨، ثم في سنة ١٩٥٦ وأخيرًا ١٩٦٧ إلى أن زالت مساكنهم وقبورهم وكنيسهم تمامًا بعد تنفيذ مشروع تقويم مجرى نهر «أبو علي». (انظر: محلاّت طرابلـــس القديـــمة. — تدمري - ص ١١٨، ١١٩ و١٢١ و١٢٤).

(٢٨٦) الصواب: «ممشى».

(٢٨٧) الصواب: «بممشى». وقد أتت بذاك الإملاء المغلوط في أكثر من مكان.

(٢٨٨) ما بين القوسين كتب على هامش المتن، وفي آخره: «صح»، والختم باسم «محمد توفيق».

(٢٨٩) الصواب: «بأربعة جدران».

(٢٩٠) لم أتبيّن معناها. ويبدو أنها أسرة بهذا اللقب.

(٢٩١) في الأصل: «محفوص».

(٢٩٢) قرية إيعال: في قضاء زغرتا، إلى الشرق من طرابلس تبعد عنها نحو ٢٠ كلم. بها قلعة بناها حاكم طرابلس «مصطفى آغا بربر» حوالي سنة ١٨١٥م. سكانها مسلمون. وفيها قبر مصطفى آغا. (موسوعة المدن والقرى اللبنانية — ص١١٢، ١١٣).

(٢٩٣) في الأصل: «الطنيه» بالطاء المهملة.

(٢٩٤) أتت كلمة (شرعي) مشطوبة في الأصل.

(٢٩٥) سورة البقرة، الآية ١٨١.

(٢٩٦) في الأصل: «إنشاء»، وهو غلط.

(٢٩٧) الصواب: «مدّة».

(٢٩٨) في الأصل: «السيد» وهو سهو.

(٢٩٩) في الأصل: «يايله»، وهذه لم يُذكر اسمها في الوقفية الأولى.

(٣٠٠) الصواب: «ملحقًا».

(٣٠١) في الأصل: «وانحمت».

(٣٠٢) في الأصل: «وانتضبطت».

(٣٠٣) الصواب: «وألحق بهما شروطًا».

(٣٠٤) الصواب: «وصارت».

(٣٠٥) الصواب: «بل هي».

(٣٠٦) في الأصل: «التسجل».

(٣٠٧) غبّ: فور.

(٣٠٨) آغا آغاية: آغا بالتركية تعني الكبير أو الرئيس، وآغا آغاية: كبير الكبراء أو رئيس الرؤساء.

(٣٠٩) هو محمد بن صالح بن منصور الأدهمي، الطرابلسي. تولّى خطابة جامع العطار في سنة ١١٢٧هـ. والإمامة بمدرسة القادرية سنة ١١٥٧هـ. وتوفي سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م. (انظ: موسوعة علماء المسلمين. — تدمري- القسم الثالث- ج٤/ ص ١٦٣، ١٦٤ رقم ١١١٤).

(٣١٠) هو مصطفى القاسمي الهاشمي، تقرّر في وظيفة قراءة أطفال المسلمين الأيتام والمساكين في المكتب القريب من مدرسة الحجَيْجيّة سنة ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م وفي أوائل سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م. تولى الخطابة الثانية. (موسوعة علماء المسلمين. — تدمري- القسم الثالث — ج٥/١١٧، ١١٨ رقم ١٤٧٢).

(٣١١) إضافة على الأصل يقتضيها السياق.

(٣١٢) كان يتولّى وقف مدرسة الأرزنية بمحلّة الصباغة في سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م. وفي سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م. قام بتجديد بناء مدرسة الأرزنية، يؤكد ذلك لوحة منقوشة على أحد أعمدهما، وتذكر أنه كان من تجار المدينة، وتُعرف المدرسة الآن بالدُّبّها. (سجلّ المحكمة الشرعية، رقم ١٠ ص ١١٦ سنة ١١٥٩هـ).

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير
في كتاب القانون لابن سينا
(القسم السابع عشر)(*)

د. وفاء تقي الدين

بَط(*)

بط	١: ٢٧٣
إهال شحوم البط	٢ : ٤٤٨
بيض البط	١ : ٢٧١
أجنحة البط	١: ٤٧٢
دماغ البط	١: ٢٩٢/ ٢: ٥٤٠
ذرق البط	٣: ١٢٨
زبل البط	١: ٣٠٨

(*) نشرت الأقسام الستة عشر السابقة في مجلة المجمع (مج٦٧: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥. ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥).

(*) الحيوان للجاحظ ١: ١٣٣ ومابعدها، والحاوي ٢٠: ١٣٢، والملكي ١: ١٩٤ (البط والإوز)، ومنهاج البيان ٥١أ، ١٦٣أ (شحم البط)، ومفردات ابن البيطار ١: ١٠١، والمعتمد ٢٧، والشامل ٩٧، ومالايسع الطبيب جهله ٧٥٥، وحياة الحيوان الكبرى ١: ١٠٨، وشفاء الغليل في المعرب والدخيل ٦٦، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٧٦، ولسان العرب، وتاج العروس (بطط)، ومعجم الحيوان لأمين معلوف ٩، ٨٨، ومعجم الشهابي ١١٩. وانظر مادة (إوز).

شحم البط	١: ٢٦٤، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣٢٠، ٣٣٧، ٤٤٠/ ٢: ١٥٤، ١٧٠، ١٨٧، ٢٥٤، ٤٦٣، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٩، ٥١٤، ٥٢١، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٥٢، ٥٥٥، ٥٩٦، ٦٠٢/ ٣: ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٩٦، ٣٠٨، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٣٩
شحم البط المُسَمَّن	١: ٣٥٩
شحوم البط	٢: ٣٢٩، ٤٨٦
قانصة البط	١: ٢٧٤
كبد البط المسمَّن	١: ٤٦٣
لحم البط	١: ٢٦٤، ٢٧٤، ٣٥٩/ ٢: ٢٣٦/ ٣: ٣٠٠

ذكر ابن سينا البط في الأدوية المفردة فقال: «بط، الماهية: نوع من الطيور، ثم ذكر فوائده في الطب وبخاصة شحمه وهو عظيم في تسكين الوجع. وهذا الطائر يعيش في الماء ويمشي على البر ويستطيع الطيران، وهو والإوزّ من الفصيلة البطيّة، إلا أن البط أصغر من الإوزّ ومنقاره أعرض. اسمه العلمي Anas.

لم يفرق العرب قديمًا في التسمية بين هذين الجنسين فالصغير والكبير عندهم يسمى إوزًا، وعلى هذا لم يذكر ابن سينا الإوز في الأدوية المفردة اكتفاء بذكر البط. ثم أخذ المصنفون بعده يميزون بينهما ويجعلون كلًا من الإوزّ والبط مدخل مادة في عقاقيرهم المفردة. منهم على سبيل المثال ابن البيطار ومؤلف الشامل.

لفظ البط مفرد يدل على الجنس «والواحدة بطة وليست الهاء للتأنيث، وإنما هي لواحد الجنس؛ تقول هذه بطة للذكر والأنثى جميعًا مثل حمامة ودجاجة» قاله ابن منظور في لسان العرب، والزبيدي في التاج وأضاف «البطُ

.. أعجمي معرب وهو عند العرب الإوز صغاره وكباره. وفي شفاء الغليل «ليس بعربي محض».

بَطْباط(*)

بطباط ١: ٢٨٠، ٢٨٦، ٣٩٥/ ٢: ١١١.

عصارة البطباط ٢: ٥٣١.

في كتاب الأدوية المفردة من القانون قال ابن سينا: «بطباط. الماهية: هو عصا الراعي، وسنذكر خواص عصا الراعي .. في فصل العين» وهذا مافعلته سائر المراجع. ومن أسمائه المعروفة في كتب الطب أيضاً برشيان دارو، وقد سبق الكلام عليه. والاسم العلمي لهذا النبات هو polyjonum aviculare . وتجد وصفه مفصلاً في مادة (عصا الراعي).

لفظة بطباط قد تكون معرّبة عن السريانية؛ فقد جاء في كتاب ديسقوريدس قوله في الكلام على فلوغونن وهو عصا الراعي: «ويسميه السريانيون سبطباطا».

بُطْم(**)

بَطْم ١: **٢٨٠**، ٣٢٣، ٣٧٠/ ٢: ٤١٣/ ٣: ١٢٨.

ثمرة البطم ١: ٣٢٤.

(*) كتاب ديسقوريدس ٣١١ (فلوغونن)، والصيدنة ٨٩، ومنهاج البيان ٥١ أ، ومفردات ابن البيطار ١: ١٠٢ وتذكرة داود: ٧٦، ومعجم أحمد عيسى ١٤٥ (٦)، ومعجم الشهابي ٥٢٧، والمعجم الموحَّد ١٢١. وانظر مادتي (برشيان دارو) و (عصا الراعي).

(**) كتاب النبات: ١: ٤٧، ومنهاج البيان ٥١أ، ١٧٦ب (صمغ البطم)، وشرح أسماء العقار ١٠، والمنتخب ٦٠ ومفردات ابن البيطار ١: ٩٨، والمعتمد ٢٧، والشامل ٩٣٠، وحديقة الأزهار ٦١ (٥٩) ومالايسع ٢٥٤ (دهن البطم)، ولسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس (بطم)، وعجائب المخلوقات ٢: ٧. وتذكرة داود ١: ٧٤، ومعجم أحمد عيسى ١٤١ (٤)، ومعجم الشهابي ٥١٦، ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٣: ٣٢٨ (الألفاظ سريانية في المعجمات العربية)، والمعجم الكبير ٢: ٣٩١. وصحاح المرعشلي ٧٦.

ذكره ابن سينا في فصل الباء من كتاب الأدوية المفردة فقال: «نذكره في فصل الحاء عند ذكرنا الحبة الخضراء»، وفي الكلام على الحبة الخضراء قال: «وشجره يسمى البطم» وكذلك فعلت أكثر المراجع فلم تحلّ هذه الشجرة لأنها معروفة وهي تنبت بالجبال وعلى الحجارة، يتراوح طولها بين أربعة أمتار وثمانية، عيدانها خضراء إلى السواد، وحبُّها أخضر، تكثر في بلاد الشام. اسمها العلمي Pistacia terebinthus وهو مأخوذ من كلمة فستق العربية.

ضبطت معجمات اللغة البطم بضم الباء وسكون الطاء. وقال الأصمعي بالتشديد. ولهذه الكلمة أشباه بالآرامية والعبرانية والآشورية. وعدها البطريرك افرام الأول من الألفاظ السريانية في المعجمات العربية.

بَطْن

بطون الحيوانات	٢: ٤٧٠	وانظر (حيوان)
البطون	٣: ٢٠٦	وانظر (حيوان)
البطون المحمَّضه	٢: ٦٢٣	وانظر (حيوان)
بطون ابن عرس	انظر ابن عرس	
بطن الأرنب	انظر أرنب	
بطن الإوز	انظر إوز	
بطون الجداء	انظر ماعز	
بطون الدجج	انظر دجاج	
بطون الطير	انظر طير	
بطون العجاجيل	انظر بقر	

البـطن من الإنسـان وسـائر الحيـوان مـعروف، خـلاف الظهـر، مذكّـر. وحكى أبو عـبيدة أن تأنيثه لغـة، وهو يجمع علـى أبطن وبطون وبطنـان (لسان العرب: بطن) وهو جزء مما كان القدمـاء يتداوون به من الحيوان. وانظر الأجزاء الأخرى التي استعملوها أدوية في مادة حيوان من هذا المعجم.

بِطِّيخ(*)

بـطيـخ	١: ١٦٧، ١٦٩، ٢٠١، ٢٧٠، ٤٢٥/ ٢: ١٨٣، ٢١٢، ٢٦٠، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٥٧، ٤٢٦، ٤٧٧، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٤٢، ٦٢٢، ٦٢٤/ ٣: ٤٢، ٥٣، ٢٦٥، ٣٨٧.
بطيخ حلو	٢: ٤٧٠/ ٣: ٥٣
بطيخ رَقّي	١: ١٧٨/ ٢: ٣٥٧، ٤٩٧/ ٣: ٣٩، ٦٣[1]، ٦٩
البطيخ الطوال	٣: ٣٦٠
بطيخ غير نضيج	١: ٢٧٠
بطيخ فلسطيني	٢: ٣٥٧/ ٣: ٦٣
بطيخ مقشر	٣: ٢٧٧

(*) كتاب ديسقوريدس ٢٠٢ (فافن)، وكتاب النبات ١: ٦٥، والحاوي ١: ١٨٦، ١٨٧ (البطيخ الـهندي)، ومنهاج البـيان ٥٠ ب، ٧٩ أ (حب البطيخ، بـطيخ حلو، بطيخ مـز، بطيخ رقي وشرح أسـماء العـقار ٩، والمختـارات ٢: ٤٧ (بطيخ زقي) ومـفردات ابن البـيطار ١: ٩٨، ومفـيد العلـوم ١٨، والمعتـمد ٢٨، والـشامل ٩٤، ومـا لايسع الـطبيـب جهلـه ٩٠، وحديقـة الأزهار ٥٦ (٥١)، وتذكرة داود ١: ٧٥، ومعجم أحمد عيسى ٥٠ (١٢)، ٦١ (١٥)، ١١٤ (١٣)، ومعجم الشهابي ٤٢٠، ٤٨٨، ومجلة المجمع ٢٣: ٢٣٨، واللسان والتاج (بطخ)، وشفاء الغليل ٨٠.

(١) في المطبوع ببولاق (زقي) بالمعجمة وهو تصحيف.

قشر البطيخ، قشور البطيخ	١: ٢٧٠، ٣٥٩/ ٢: ٥٠، ١١١، ١١٦/ ٣: ١٨٠
قشور البطيخ اليابسة	٢: ٥١٦
قشور البطيخ المجففة	٣: ٧٢
قميحة البطيخ الطوال	٣: ٣٦٠
لب بزر البطيخ	٣: ٤٣٨
لحم البطيخ	١: ٢٧٠/ ٣: ٢٩٣
لعوق البطيخ	٣: ٤٠٩
ماء البطيخ	٣: ٧٢
ماء بطيخ هندي	٢: ٩٨، ٢٥٣/ ٣: ٢١، ٢٨، ٣٥.

اكتفى ابن سينا في ماهية البطيخ بالقول إنه معروف. وقال أبو حنيفة: هو من اليقطين الذي لايشجر أي لايعلو،، ولكن يذهب حبالاً على الأرض. ويقال للبطيخ الخربز، وأصله فارسي جرى في كلام العرب. وهو نبات عشبي سنوي من الفصيلة القثّائية، له أنواع كثيرة، يسمى بالشام البطيخ الأصفر والشمام .. واسمه العلمي **cucumis melo** .

أما البطيخ الهندي الذي يسميه ابن سينا أيضًا الفلسطيني أو الرقي[١] فهو ما نسميه في بلادنا البطيخ الأخضر، مراعاة للون قشرته، أو البطيخ

(١) هكذا يسمى في العراق نسبة إلى مدينة الرقّة ببلاد الشام. كما جاء في معجم الشهابي (ص ٤٨٨) ولا أظن ما جاء في معجم الدكتور أحمد عيسى «الزِقّي» إلا تصحيفاً مر مثيله في القانون (٣: ٦٣).

الأحمر، مراعاة للون لبّه، ويسميه أهل المغرب الدُّلاع، وهو نبات عشبي حولي من الفصيلة الفرعية. اسمه العلمي Citrullus vulgaris أو Cucurbita citrullus

وقميحة البطيخ الطوال التي ذكرهما ابن سينا دواء مركب من عدة عقاقير تحشى في جوف بطيخة صفراء بعد إفراغه من البزر والماء، ثم تترك حتى تجف ثم تسحق...

والمراد بقوله لحم البطيخ ما في جوفه خلا القشر والبزر، وهو الجزء الذي يؤكل منه.

ضبطت البطيخ في معجمات اللغة بكسر الباء والطاء المضعفة، وقالوا: البِطِّيخ والطِّبِّيخ لغتان

بَعْر(٥)

بعرة	٢: ٥٦٦
بعر عتيق بال أبيض	٣: ٢٧٩
بعر الإبل	انظر إبل
بعر الأرنب	انظر أرنب
بعر التيس	انظر ماعز
بعر الثعلب	انظر ثعلب

(٥) منهاج البيان ٥١- أ، ومفردات ابن البيطار ١: ١٠٢، ١٦٥، والمعتمد ٢٩، وتذكرة داود ١: ٧٦، ولسان العرب، وتاج العروس (بعر). وانظر في هذا المعجم المواد المشابهة مثل: أخثاء وخرء وذرق، وروث، وسرقين، وزبل...

بعر الجمل	انظر إبل
بعر الحيوان	انظر حيوان ١: ٢٧٩، ٢٨٠
بعر الخنزير	انظر خنزير
بعر الشاة	انظر ماعز
بعر الضأن	انظر ضأن
بعر الضب	انظر ضب
بعر الغنم	انظر ضأن
بعر الماعز	انظر ماعز
بعر الورل	انظر ورل

ذكر ابن سينا بعر الحيوان في أدويته المفردة فقال في ماهيته: معروف. ثم شرع في بيان استعمالاته المختلفة. واستعمال بقايا الحيوان أمر شائع في كتب الطب القديمة، ولهذا ذكره ابن البيطار في مفرداته وقال أيضاً: معروف. وقال مؤلف الكليات «الخِثي للبقر، والبعرة للإبل، والخرء للطيور...» أما استخدام ابن سينا لهذه اللفظة فهو أعم وأوسع مما جاء في الكليات، كما يتضح من الفهرس السابق. وفي معجمات اللغة البعر: رجيع الخف والظلف من الإبل والشاء وبقر الوحش والظباء، إلا البقر الأهلية... ولعل التعريف الدقيق الموافق لاستعمال ابن سينا هو ما جاء في تذكرة داود الأنطاكي حيث قال: «هو مايخرج من روث الحيوان مُبَنْدَقاً».

البَعْرة واحدة البَعْر بالفتح، وتحرك فيقال البَعَر.

بَغْل (*)

رماد جلد البغال	١: ٢٨٦
ماء جلد البغال	١: ٢٨٦

البغل حيوان ينتخ من ذكور الحمير وإناث الخيل غالبًا وبالعكس أحيانًا. وهو حيوان عقيم، يضرب به المثل في العقم.

في المعجمات العربية أفعال مشتقة من هذا الاسم. تقول العرب بَغَّل فلانٌ بني فلان أي هجَّن أولادهم، وتبغَّل البعير في مشيته أي مشى مِشية البغل شدةً.. وبَغَّل الجسمُ غلظ وصلب. جاء في المعجم الكبير قولهم: بَغْل معرب bagal بالحبشية، وأدق من هذا ما قاله مؤلف معجم الحيوان: «البغل حبشية، ولا أريد بذلك أنها حبشية معربة، ولا يخفى أن ألفاظًا كثيرة هي واحدة بالحبشية والعبرانية والعربية فلا نقدر أ ن نقول إن لفظة منها معربة من الحبشية أو العبرانية أو السريانية.

بَقّ (**)

بق	١: ٢٩٣
دواء يطرد البق، يهرب البق، طَرَد البق... الخ	١:٢٤٥، ٣٠٩، ٣٨٠ /٣:٢٣٨، ٢٤٠

(*) الحيوان للجاحظ ١: ١٠٣، ١٠٨، ١٣٧، ١٤٩/ ٢: ١٠، ١٨٩/ ٣: ١٦٢/ ٥: ٢٠٨ وغيرها. وحياة الحيوان للدميري ١: ١٢٠، ولسان العرب وتاج العروس (بغل)، ومعجم الحيوان ١٦٤، والمعجم الكبير ٢: ٤٤٢.

(**) مفيد العلوم ١٨، وتذكرة داود ١: ٧٨، ومعجم الحيوان ٦٤، ومعجم الشهابي ١٩٣، ٥٤٣، والقاموس المحيط، ولسان العرب، وتاج العروس (بقق) والمعجم الكبير ٢: ٤٦٤.

شجرة البق ١: ٢٩٣

بق حمر شبيهة بالقراد ٢: ١٩٨

في الكلام على الدردار قال ابن سينا: إن أهل العراق يسمونه «شجرة البق، يخرج منها أقماع منتفخة كالرّمان، فيها رطوبة تصير بقّاً، فإذا انفقأت خرج البق» ثم ذكره مرّاتٍ في خصائص بعض العقاقير التي تساعد على التخلص منه.

يظهر لدارس كتاب القانون أن ابن سينا استعمل هذه الكلمة للدلالة على نوعين من الحشرات؛ فما ذكره في كتابَيْ الأدوية(١) أراد به البعوض، أي ما يسميه أهل دمشق الناموس، جاء في مفيد العلوم: «بق هو البعوض وهو المراد به عند الأطباء»، وفي تذكرة داود الأنطاكي: «بق: اسم يقع عندنا على البعوض أعني الناموس، وهو غلط...». والبعوض يدعى بقّاً عند أهل العراق وشمال سورية واسمه العلمي CULEX.

أما الذي سماه البق الأحمر الشبيه بالقراد فهو تلك الدويبة المفرطحة الحمراء أو السوداء المنتنة الريح التي تعيش في الخشب والفرش إذا قلت العناية بالنظافة، فتتطفل على الإنسان تمتص دمه وتقلق راحته. وهي من رتبة نصفية الجناح، اسمها العلمي Cimex.

ذكرت معجمات اللغة لكلمة البق الدلالتين السابقتين معاً. جاء في القاموس المحيط: «البقّة: البعوضة، ودويبة مفرطحة حمراء منتنة». وتميل المعجمات العلمية الحديثة إلى الاقتصار على الدلالة الثانية فقط دفعاً للالتباس.

(١) أي ما ورد في الجزأين الأول والثالث من المطبوع ببولاق.

بَقَر(*)

بقر	١: ٣٤٢، ٤٥٠
بطون العجاجيل	٢: ٣٣٣
بول البقر	٢: ٤١٤/ ٣: ١٤٥
بول الثور، بول الثيران	١: ٢٧٩/ ٢: ١٥١
جلد عجل	١: ٤٦١
خثي البقر، أخثاء البقر	١: ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٥٢/ ٢: ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٧، ٥٥١، ٦٢٨/ ٣: ١١٧، ١٣٠، ١٣٣، ٢٤٠، ٢٦١، ٢٧٦
أخثاء البقر الجبلي	٢: ٢٥٩
أخثاء البقر الراعية	٢: ٤١٥
أخثاء البقر الراعي المجفف	٣: ١٦٣
أخثاء الثور	١: ٣٠٩
خرء الثور	١: ٣٠٩

(*) كتاب ديسقوريدس ١٥٩ (شحم البقر)، وكتاب الحيوان للجاحظ ٢: ١٨٢/ ٣: ١٤٥، ١٦٣ وغيرها، والحاوي ٢٠: ١٣٨، والصيدنة ٩١، ومنهاج البيان ٢٠ أ (أخثاء البقر). ١٠٤ ب (حضية العجل). ١١٣- أ (دم البقر)، ١٤٧ أ (ساق البقر)، ١٦٣ ب (شحم البقر)، ٢٢٨ ب (لبن البقر) ، ٢٣٠ ب (لحم العجل)، ٢٤٧ ب (مرارة البقر) ومفردات ابن البيطار ١: ١٠٥، والشامل ١٠٠، وما لا يسع .. ١٠٠، والمعتمد ٣٠، وحياة الحيوان ١: ١٢٨ وما بعدها. وقاموس الأطباء ١: ١٥٥، وتذكرة داود ١: ٧٨، ١٣١، ومعجم الحيوان ٣٨، ١٨٠، ومعجم الشهابي ٩٥، ٦٦٩ (عجل)، والمخصص ٨: ٣٣ وما بعدها، ولسان العرب وتاج العروس (بقر). والمعجم الكبير ٢: ٤٥٣.

(١) هو حساء يعمل بلحم البقر والخل. انظر مادة سكباج

---

(١) صنف من طبيخ لحم البقر مع خل ظاهر الحموضة. انظر مادة قريص في هذا المعجم.

مخيض البقر، المخيض	١: ٣٥٧/ ٢: ١٦٩، ٢٣٤، ٢٣٥، ٣١٠، ٣٥٦، ٤٧٧، ٤٨٩/ ٣: ٦١، ٦٢، ٦٣، ١٣٧، ٢٢٠، ٢٣١، ٣٥٦
مخيض البقر المطبوخ	٢: ٣٣٥
مخيض البقر المنزوع الزبد	٢: ٣٣٣
مخيض البقر المطفأ فيه الحديد والحجارة	٢: ٣٣٥
مرارة البقر	١: ١٥٤، ١٥٧، ٢٨٨، ٣١٢، ٣٦٥، ٤٦٧/ ٢: ٨٨، ١٢٤، ١٢٧، ١٥١، ١٦٦، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٧٨، ٤٨١، ٥٨٤، ٥٩٣، ٦٢٧/ ٣: ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠٨، ٣٣٤، ٤٠٧
مرارة الثور	١: ٣٦٥، ٣٦٦/ ٢: ٣٤، ١٤٠، ١٥١، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩، ١٧١، ٢٠٥، ٢٨١، ٢٨٢، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٨٠، ٥٧٦، ٥٨٤/ ٣: ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٦، ٤٢١، ٤٢٢
مرارة ثور شابّ	٢: ١٤٣

مرارة ثور شابّ ٢: ١٤٣

مرارة الثور مجففةً ٢: ٥٧٦

مرقة لحم البقر سكباجةً ١: ٣٦٠

لم يذكر ابن سينا البقرَ في الأدوية المفردة مدخلاً، لكنه أكثر من ذكر لحمه ولبنه في الأغذية التي يتناولها الإنسان صحيحًا أو مريضًا، ومن ذكر مرارته التي تدخل عقارًا في كثير من الأدوية المركبة.

والبقر حيوان ثديي معروف زوجي الحافر. منه أهلي وبري. لحمه أساس في غذاء البشر وكذلك شحمه. وقد أكثر القدماء من التداوي بإنفحته، ومشتقات أخرى منه.

البقر اسم جمع واحدته بَقَرة تطلق على الذكر والأنثى، فإن أريد التخصيص سمي الذكر ثورًا، والأنثى بقرة، تجمع على بَقَرات وبُقُر وبِقَار وبُقّار، وأبقور، وبواقر. ولم يستعمل ابن سينا أيًا من هذه الجموع واكتفى باسم الجنس بقر، واسم الذكر ثور وجمعه ثيران، واسم ولده عِجْل وجمعه عجاجيل، وهو يجمع أيضًا على عجول وأعجلة وعِجال وعِجَلة.

اكتشاف موقع الزاوية المتوكلية
بظاهر مدينة فاس

د. عبد الهادي التازي

إلى جانب حرصهم على أن يظلوا حاضرين على الصعيد الدولي سواء في الميدان العسكري برًا وبحرًا، أو في الميدان القانوني عندما كانوا يواكبون بل يزاحمون الاجتهاداتِ ذات الصلة بقضايا السلام بين الدول الأوروبية في منطقة البحر المتوسط، أو في الميدان الفكري والإبداع، أو على صعيد عالَم الإسلام عندما كانوا يمدون أيديهم إلى القادة في المشرق من أجل مجتمعٍ قوي متكامل متواصل...

إلى جانب كل ذلك وجدنا بني مَرِين يولون اهتمامهم لتأثيث البلاد بطائفةٍ من المنشآت والمؤسسات الحضارية التي ظل معظمها – لحسن الحظ– قائمًا إلى الآن شاهدًا على ما كانوا يطمحون للوصول إليه في الأمد البعيد.

وسوف لا أتحدث هنا عن رجال دولتهم كلهم، وعما تركه سلاطينهم جميعًا من الآثار، ولكني سأقصر هذا الحديث على مَلِكٍ واحد من أولئك، هو السلطان أبو عنان الذي لم يتجاوز حكمه للمغرب أكثر من تسعة أعوام وتسعة أشهر على ما يذكره ابن الأحمر[1]، وسأقتصر في النهاية

---

(1) إسماعيل بن الأحمر: روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة، طبعة ثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، المطبعة الملكية– الرباط.

على منشأةٍ واحدةٍ من جميع تلك المنشآت التي شاهدتْها عاصمتهم مدينة فاس، وأعني بها الزاوية المتوكلية المنعوتة بالعظمى، والتي كانت تقع بظاهر المدينة.

لقد خَلَف السلطان أبو عنان والده عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م في ظروف قرأ المهتمون بتاريخ المغرب الكبير عن قلقها واضطرابها وتلاحق أحداثها، فلقد كان والده أبو الحسن في مهمته بتونس يحاول استرجاع الوحدة بين أقطار المغرب الثلاثة: الأقصى والأوسط والأدنى، وهناك شاعت وفاته حيث رأينا ولده أبا عنان وخليفتَه بتلمسان يعلن نفسه سلطانًا على البلاد... ولسنا هنا بصدد التحقيق في أمر «تنازل» الوالد لولده اختيارًا أو اضطرارًا، فذلك أمر يهم المشتغلين بالقضيةِ الأزليةِ المتمثلةِ في التنافس على السلطة، ولكن الذي يهمنا هو أن السلطان أبا عنان استقر على كرسي الحكم بصفةٍ نهائيةٍ عام ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م بعد أن شيع جنازة والده من مدينة مراكش إلى مقبرة شالة بضاحية مدينة الرباط حيث كان ابنُ بطوطة ضمن الركب الملكي...

فماذا عن المنشآت المعمارية للسلطان أبي عنان في مختلف جهات المغرب الكبير، وبخاصةٍ بالمغرب الأقصى، وبصفة أخص في **مدينة فاس** التي كان أبو عنان يفضل المقام فيها على سائر قواعد المغرب؟

في جولةٍ سريعة عبر التآليف التي بين أيدينا من التي اهتمت بالسلطان أبي عنان، نرى أن هذا الملك العظيم يقوم بإنشاء عدد من المستشفيات وتعيين الأطباء لمعالجة المرضى[1]، وعدد من المدارس والزوايا على نحو ما

(1) ابـــن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، المجلد الرابع ص: ٢٠٠، (٣٤٨/ ٤)، تعليق ١١٥، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

نقرؤه عند ابن جُزَيّ (ت٧٤١هـ) في «تهذيبه»: «أمر السلطان أبو عنان بعمارة الزوايا بجميع بلاده لإطعام الطعام للوارد والصادر، وقد جَعل التصدقَ على المساكين بالطعام يوميًا...» وعلى نحو ما ورد في أرجوزة (رقم الحلل في تاريخ الدول) للسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦هـ عندما قال:

وخلُص الأمرُ لكفِّ فارس   باني الزوايا الكُثْرِ والمدارسِ

وإذا كان معنى المدرسة واضحًا بالنسبة إلينا، فإن الزاوية تعني في اصطلاح بني مرين مؤسساتٍ أو مراكزَ اجتماعيةً معدةً لإرفاق الواردين على نحو ما نقلنا عن ابن جُزَيّ.

لقد كان من تلك الزوايا زاوية في سبتة قال عنها الأنصاري في اختصار الأخبار: إنها الزاوية الكبرى خارج باب فاس من سبتة، وأعدها لمن اضطر للمبيت بها من التجار وغيرهم... ملوكية البناء، كثيرة الزخرفة متعددةَ المساكن... وصومعتها من أبدع الصوامع... وكان منها في سلا زاوية النساك التي توجد خارج باب فاس من سلا، والتي وصفها ابن الخطيب «بالبستان» وقد نقش على بابها الغربي «أمر بهذه الزاوية... أبو عنان... فرغ من بنائها عام سبعة وخمسين وسبعمائة. كما كان مما نقش على الباب: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم...﴾ [آل عمران: ١٣٣]»[(١)].

ولكن حديثنا هذا سيرتكز على زاويةٍ واحدةٍ من تلك الزوايا وهي

(١) ابن علي الدكالي: الإتحاف الوجيز، تحقيق مصطفى بو شعراء، منشورات الخزانة الصبيحية سلا المغرب ١٤٠٦- ١٩٨٦.

المتوكلية[١]، التي وقع التنويه بعمارتها أول الأمر عام **٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م في رحلة ابن بطوطة** عندما قال عنها في السفر الأول: «لا نظير لها في المعمور في إتقان الوضع وحسن البناء والنقش في الجص، بحيث لا يقدر أهل المشرق على مثله»، ثم عندما نعتها في السفر الأخير بالعظمى، وقال: «إنها تقع خارج فاس، وأبدع زاوية رأيتها في المشرق زاوية سرياقص التي بناها الملك الناصر، وهذه أبدع منها وأشد إحكامًا وإتقانًا»[٢].

ولابد أن نضيف إلى نثر ابن بطوطة نظمًا قاله زميله وناسخ رحلته ابن جُزَيّ أورده المقّري (ت١٠٤١هـ) في (نفح الطيب) و(أزهار الرياض):

هـي مـلجأٌ للواردين وموردٌ لابن السبيل وكلِّ ركب ساري
دارٌ على الإحسانِ شيدت والتقى فجزاؤها الحُسنى وعقبى الدار
هـي آثـار مولانا الخليفةِ فارس أكـرمْ بهـا في المجـد من آثار
لازال منصـورَ اللـواء مظفَّـرًا ماضـي العـزائم ساميَ المقدار
بنيـت على يد عبْدهم وخديم با بهـم العـليّ محمـد بـن جدار
في عـام أربعةٍ وخمسين انقضت مـن بعد سبع مئين في الأعصار

وإذْ أخصص الحديث عن هذه الزاوية فلأنها خفيت على معظم المؤرخين المغاربة ولأنها التبست التباسًا مطبقًا على سائر المستشرقين في تعليقاتهم على ترجمتهم لرحلة ابن بطوطة، التبست عليهم الزاوية المتوكلية

(١) المتوكلية نسبة إلى لقب أبي عنان (المتوكل على الله). إسماعيل ابن الأحمر: روضة النسرين في دولة بني مرين...

(٢) السفر، ص ٢١٢ [١/ ٨٤– ٨٥]، والسفر ٤، ص٢٠٢– ٢٠٤ [٤/ ٣٥٢– ٣٥٣].

التي توجد **خارج فاس** بالمدرسة العنانية التي تقع **داخل مدينة فاس**، وقد بنيتا معًا في التاريخ نفسه تقريبًا[1]...

فكلّ هؤلاء الناشرين ابتداءً من الفرنسيين الأولين: ديفريميري Defremery وسانكينيتي Sanguinetti اللذين قاما بترجمة رحلة ابن بطوطة عام ١٨٥٣- ١٨٥٩م، إلى هاميلتون كيب Gibb، إلى من اقتفى أثر هؤلاء **مشرقًا ومغربًا**، كلهم حسبوا أن **الزاوية المتوكلية** العظمى يقصد بها المدرسة البوعنانية التي ينعتها ابن بطوطة بالمدرسة الكبرى، وقد كان مما زاد في تضليل الناس اختفاء آثار هذه الزاوية موضوع الحديث اختفاءً مطلقًا منذ زمن لم نستطع تحديده إلا حدسًا وتخمينًا...

لقد عرفت فاس في الحِقبة الأخيرة لعصر بني مَرين أيامًا حزينة أثارت انتباه معظم المؤرخين الذين تناولوا تاريخ دولة بني مَرِين، وخاصة في عهد السلطان أبي سعيد الثالث (٨٠٠- ٨١٧هـ/ ١٣٩٨- ١٤١٤م)، هذا العهد الذي كان بمنزلة الريح السموم التي أتت على المعالم الحضارية والثقافية لبني مرين، وخاصةً في إقليم فاس، وهكذا عصفت الفتن الطاحنة التي سببت الخراب والدمار لمملكة فاس.

---

(١) شرع أبو عنان في بناء المدرسة العنانية **داخل المدينة** يوم الاثنين ٢٨رمضان٧٥١هـ /(٢٩ تشرين الثاني) ١٣٥٠ ولم تتم إلا في أواخر شعبان ٧٥٦هـ / إيلول ١٣٥٥ على ما جاء في رخامة تحبيسها بينما شيدت الزاوية المتوكلية عام ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣ - ٥٤ على ما يوجد في شعر ابن جُزّي. المقّري: نفح الطيب ٥٣٢/٥ أزهار الرياض، ١٩٦/٣ - ١٩٧. الاستقصا للناصري: ٢٠٦/٣ . د. التازي: جامع القرويين ٢ص ٣٦٠ التعليق ٢٧.

وقد أشار الحسن الوزّان (ليون الإفريقي) في عددٍ من مقاطع كتابه (وصف إفريقية) إلى آثار هذه الحِقبة. وإذا ما عرفنا أنه كان يعاصر هذه المرحلة تقريبًا، عرفنا مدى أهمية إفادته التي كانت تعزو ذلك لتدخل مملكة غرناطة في الشؤون الداخلية لمملكة المغرب، لقد قال وهو يتحدث عما كان أنشأه السلطان أبو الحسن من معالم حضارية:

وفي أيام الملك أبي سعيد حدث أن كان أحد أعمامه، ويسمى السعيد، كان أسيرًا عند ملك غرناطة، وقد توسل السعيد هذا إلى السلطان أبي سعيد بأن يستجيب لطلبٍ تقدم به ملك غرناطة: (عدم الانصياع إلى أهل جبل طارق في أن ينضموا للإيالة المغربية)، ولما رفض أبو سعيد هذا الطلب عمل ملك غرناطة على تحريك العم السعيد على رأس قوات كبيرةَ بنفقات حربية باهظة ليحارب ملك فاس ويقضي عليه، وهكذا حاصر السعيد العاصمة فاس بمساعدة بعض الأعراب، ودام الحصار سبعة أعوام تم في أثنائها تخريب المنشآت...

وفي معرض حديث الحسن الوزان أيضًا عن بعض المؤسسات الحضارية الموجودة بمدينة فاس وخاصة التي توجد خارج أبواب المدينة، قال:

وكانت هذه المؤسسات غنية جدًّا، إلا أنه في أيام حرب السعيد عندما كان السلطان أبو سعيد الثالث في أشد الحاجة إلى المال أشاروا عليه ببيع إيراداتها وأملاكها، ولما رفض السكان ذلك تقدم أحد وكلاء الملك وأفتاه بأن هذه المؤسسات إنما أسست بفضل الصدقات التي قدمها أسلاف الملك الحالي الذي يوشك أن يفقد مملكته، فيستحسن – والحالة هذه– بيع تلك الأملاك لصد العدو المشترك (السعيد)، حتى إذا وضعت الحرب

أوزارها سهل شراؤها من جديد، وهكذا بيعت تلك الأملاك وتوفي الملك قبل أن يحصل شراء أي عقار من تلك العقارات التي بيعت، وبقيت تلك المؤسسات فقيرةً محرومة تقريبًا من وسائل العمل[١]...

هذا وبالنظر لمعلومةٍ وقفنا عليها في كتاب أزهار الرياض تأليف **المقري التلمساني** السالف الذكر الذي نعلم أنه تردد على مدينة فاس عدة مرات قبل أن يستقر فيها نحوًا من خمسة عشر عامًا إلى أن غادرها إلى المشرق أواخر رمضان **١٠٢٧هـ/ ١٦١٨م**، هذا المصدر الجليل أورد نظمًا مما قاله أبو عبد الله ابن جُزَيّ على ما أسلفنا في **الزاوية المتوكلية** موضوع الحديث، مصدّرًا هذا النظم بكلمةٍ هامة جدًّا بالنسبة إلينا حيث قال: «وهو أي النظم مكتوب عليها إلى **قرب هذا التاريخ**[٢]. يا ليت المقري أفصح لنا عن «هذا التاريخ» بالضبط !

وإن هذا «التاريخ» الذي يشير إليه المقّري كان هو التاريخ الذي كان يصادف أيام الصراع المرير بين أبناء السلطان أحمد المنصور الذهبي، ذلك

(١) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقية ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر - طبعة ثانية، دار الغرب الإسلامي بيروت، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ١٩٨٣ ص ٢٠٩- ٢١٠- ٢٢٨.

د. عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المجلد ٧ ص١٥. رقم الإيداع القانوني ٢٥/ ١٩٨٦ مطابع فضالة- المحمدية.

(٢) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني: أزهار الرياض في أخبار عياض، الجزء الثالث طبع صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة ١٩٧٨- ١٩٩٨.

الصراع الذي عرفت فيه فاس على الخصوص المزيد من القلاقل، والمزيد من الإهمال لمنشآتها الحضارية التي نذكر في صدرها **الزاوية المتوكلية**، فهل كان المقّري يتحدث عن البقية الباقية من رسوم كانت ماتزال على بعض واجهات الزاوية؟!

مهما يكن فإنه بعد الحروب التي عرفتها العاصمة أيام أبي سعيد، وبعد القلاقل التي عاشتها العاصمة أيضًا في أعقاب وفاة المنصور، يبقى أمامنا أن نرجع إلى سبب آخر ثالث يمكن أن يكون وراء اختفاء هذه المعلمة الكبرى من خريطة فاس، ذلك زلزال ليشبونة ١/ تشرين الثاني/ ١٧٥٥م ٢٦ /محرم/ ١١٦٩هـ الذي يجوز بل يحق للمغاربة أن يسموه أيضًا **زلزال المغرب** لاسيما بعد أن ظهرت اليوم الشهادات والمذكرات التي كتبها بعض الذين عاشوا ظروف هذا الزلزال وخاصة بمدينة فاس، وفي صدر هذه المذّكرات ما كتبه الأسير السويدي ماركوس بيرك MARCUS BERG عام ١٧٥٥ علاوةً على الممثلين التجاريين والقناصل الأجانب الذين كانوا يقيمون ببعض المدن المغربية كمكناس وسلا والرباط، وعلاوةً بالطبع على ما أشارت إليه المصادر المغربية إشاراتٍ خفيفة بل وقاصرة[(١)].

(١) تحدث عن هذا الزلزال محمد بن الطيب القادري في النصف الثاني من كتابه (نشر المـــثاني ص ٢٦٦ عند الكلام عن العام التاسع من العشرة السابعة – ابن زيدان: الإتحاف ج٤ ص ٤٦٤.

Magali Morsy: le tremblement de terre de 1755 d'après des Témoignages d'Epoque, Hesp 1975 p.89.

Description de l'esclavage Barbaresque dans L'Empire de Fes et au Maroc, Par Marcus Bery 1757 p.30 =

أريد القول إن الفترات العصيبة التي مرت بها فاس وخاصة الزلزال الذي ضرب المدينة، إن ذلك أتى على البقية الباقية من الزاوية المتوكلية. وقد حاولت مع هذا أن أجد للزاوية ذكرًا أو أثرًا في مختلف المظان غير ما قاله الرحالة ابن بطوطة نثرًا وزميله ابن جُزَيّ نظمًا، فلم أظفر بشيء.

لقد كان المصدر الوحيد الذي تحدث عن الزاوية بإسهاب في فترة بني مرين هو – لحسن الحظ- ابن الحاج النميري المتوفى بعد عام ٧٧٤هـ/١٣٧٣م في كتابه (فيض العباب) الذي سنورد نصه كاملاً ومصححًا ومعرّفًا بأسمائه الجغرافية وأعلامه الإنسانية، وذلك عن المخطوطة الفريدة التي توجد لهذا الكتاب في الخزانة الحسنية بالرباط[1]. فماذا كان عن **الزاوية المتوكلية** في فيض العباب؟

يذكر ابن الحاج أن أعمال البناء في الزاوية المتوكلية **انتهت** على إثر عودة السلطان من حركته الجميلة الآثار، وكان ابن الحاج يقصد دون شك حركة السلطان أبي عنان الداخلية أي التي قام بها للرباط وسلا في النصف الثاني من عام ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م[2]. وهنا نعت ابن الحاج الزاوية بأنها:

- شيدت على شاطئ الوادي...
- وأنه قام بقبليها جامع جامع...

=د. التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج٩ ص ٢٥٤- ٢٥٥ رقم الإيداع القانوني ٢٥- ١٩٨٦ مطبعة فضالة.

(١) تحت رقم ٣٢٦٧ من ورقة ٦٧ إلى ٨٧.

(٢) الناصري: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج٣ ص٢٠٠- ٢٠١ تحقيق جعفر الناصري وأخيه محمد – دار الكتاب- الدار البيضاء ١٩٥٥.

- وتقابلها بالجوف قبة صعدت في الجو
- تدور بها أربعة براطيل بديعة الاختراع
- وقد امتد من الجامع إلى القبة صهريج بديع الطول والعرض...
- وبشاطئ هذا الصهريج أسدان صنعا من الصفر يخرج الماء من أفواههما..
- وفي كل ركن من أركانها باب يشرع إلى دارٍ بديعة البناء...
- الباب الذي بالجوف يشرع إلى دار الوضوء...
- الديار الثلاث إحداها للإمام والثانية للمؤذن والثالثة للناظر...
- تتصل بالزاوية دار معدة للنازلين الواردين...
- تقابلها دارٌ أخرى معدة للطبخ...
- للزاوية والدارين المتصلين بها باب عظيم من جهة الشرق ناظر إلى الحضرة العلية...
- بمقربة من هذا الباب توجد الصومعة التي تزاحم الكواكب...
- يتصل بالزاوية من جهة الغرب والجوف روضٌ أريض...
- وبغربي الزاوية صهريج عميق، للماء في جنباته لعبٌ وتصفيق
- قامت بإزاء الزاوية سانية بديعة... تزود الفقراء بمائها...
- عُملت على النهر ناعورة لأن السانية قد لا تبالغ في العطية...

كانت هذه الناعورة ساميةً حازت أعظم البهاء، وفيةً ضمنت للروض نجاز الوعود، دولابها معظم عند بني مرين... إذا ذكر له (رأس الماء) أحب

دورانها في الرأس... أنشدت مخاطبةً نواعير المصارة[1]:

وما شـرب العشاق إلا بقنتي!

وبعد هذه الإشارات عن الزاوية المتوكلية يذكر ابن الحاج أن السلطان أمر بكتب ظهير (مرسوم) يُعين فيه أبو عنان جرايات القائمين بالوظائف... ويرتب جملةً من الفقراء الصوفية ليقيموا هناك للذكر... موضحين للضيوف[2] الواردين سبل الائتلاف... وكذلك تعينت الجرايات للخدم المتزوجات ليقوموا بتنظيف تلك الديار وخدمة الزوار وعمل الأطعمة العميمة الإيثار...

ويفيد ابن الحاج أنه هو الذي كتب بخطه تلك الظهائر والمراسيم، وبعد أن يقدم لنا ابن الحاج نموذجًا من الشيوخ الواردين والصلحاء القاصدين للزاوية من الذين قام هو بزيارتهم أواخر عام **ثمانية وخمسين وسبعمئة** من غير أن يستطيع التعرف عليه ولا على شيخه الذي سلك على يديه، يذكر أن هذا الشيخ تشوف لرؤية أمير المؤمنين الذي استدعاه وآنسه[3].

---

(١) يعـني بالمصـارة منشأة أخرى لبني مرين تبعد قليلاً عن الزاوية المتوكلية كانت مخصصـة لترويض الخيول وتقع شمال المدينة البيضاء حيث تقع اليوم مقبرة سيدي عمـارة، وكانت تحتوي على ثلاث نواعير كما يقول ابن الحاج في فيض العباب عند حديثه عن هذه المنشأة...

(٢) هناك طرة في بداية النص المخطوط تذكر أن الزاوية تحمل أيضًا اسم (دار الضيفان).

(٣) لم يكـن هـذا النموذج كالشيخ ابن عاشر الذي لم يأذن للسلطان أبي عنان في الاجتماع به بسلا، ولله در القائل:

فقـل لملوك الأرض تجهد جهدها   فذا الملكُ ملكٌ لا يباع ولا يهدى!

الاستقصا، (٣/ ٢٠٠).

ومن المهم أن نعرف – عن طريق ابن الحاج- أن المقدَّم الذي أسندت إليه مشيخة الزاوية المتوكلية وإمامة جامعها كان هو السفير المغربي الذي نَقل إلى الديار المشرقية المصحف العظيم الذي أهداه السلطان أبو الحسن والد أبي عنان إلى **بيت المقدس** بعد أن أتمه بمدينة فاس عام خمسة وأربعين وسبعمئة...

هذا المصحف الذي كان من أروع المصاحف التي يحتضنها اليوم المتحف الإسلامي للمسجد الأقصى، وقد وقفتُ عليه يوم الأربعاء ثاني أيلول١٩٥٩م / ٢٨ صفر/ ١٣٧٩هـ، وكانت جميع أجزائه الثلاثين مكتوبةً على رق الغزال **وبخط العاهل المغربي** الذي – رغم مشاغله ومتاعبه- استطاع أن يكون حاضر البال ليكتب بيده زهاء ثمانين ألف كلمة مما اشتمل عليه القرآن الكريم، الأمر الذي يفسر مدى تعلق المغاربة بالقدس الشريف[١]...

ويذكر ابن الحاج أن الشيخ أبا عبد الله بن أبي مدين لما عين في منصب مقدم الزاوية رأى أن يُشَهّر أمرها في الآفاق، فاستدعى أهلَ فاس إلى الحضور بجامع القرويين الذي غص بالمستجيبين للدعوة فجر يومٍ من أيام الله حيث برز الشيخ العلامة المفتي أبو الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي الذي خلف صدى كبيرًا في كتب التاريخ المغربي، والذي كان السلطان أبو عنان قدمه للإمامة بجامع القرويين سنة خمسين وسبعمئة، قام بإلقاء خطابٍ أفصح فيه بالثناء على

(١) د. عبد الهادي التازي: أوقاف المغاربة في القدس ص ٢٢- ٢٣، رقم الإيداع القانوني ٨١- ١٩٨١/ ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، مطبعة فضالة المحمدية- التاريخ الدبلوماسي، ج٧ ص٢١٨، رقم الإيداع القانوني ٢٥، ١٩٨٦- مطبعة فضالة. د. التازي: القدس والخليل في الرحلات المغربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

أمير المؤمنين بحضور سائر شيوخ الزوايا الأخرى[١].

ولما طلع حاجب الشمس خرج الحاضرون في موكبٍ عظيمٍ يضم صدور الشرفاء وأعلام الفقهاء رافعين أصواتهم بالأذكار والدعاء...

ولم يفُت ابنَ الحاج أن يسجل «حضور ربات الحجال، المحميات ببيض النصال» على حد تعبيره.

وقد خرج الموكب إلى ضاحية المدينة عن طريق **باب المحروق** الذي، كما نعرف، أخذ اسمه هذا ابتداء من عام ستمئة عندما قام الخليفة الموحدي الناصر بالقضاء على أحد الثوار الذي ادعى أنه المهدي الذي ينصر الله به الإسلام، هناك وعلى أعلى الباب علق رأس الثائر بعد أن أحرق جسده، وكان الباب يحمل اسم باب الشريعة من ذي قبل، وليس صحيحًا أن اسم المحروق أتى بسبب إحراق لسان الدين ابن الخطيب[٢].

وقد أفضى الجمهور إلى الزاوية التي اشتهر ذكرها في الأقطار والأمصار حيث تميز هذا الحفل التدشيني بقصيدةٍ مَدَح الحسناوي فيها السلطان أبا عنان

---

(١) يعتبر الشيخ يوسف بن عمر من أكبر رجالات جامع القرويين الذين تركوا لهم صدى في التاريخ الفكري للمغرب، وبفاس على الخصوص، ومن الطريف أن نعرف أن السلطان بعث له في أول خطبةٍ خطبها كسوةً سنية... وقال له الرسول: «إن السلطان قصد إلى أن يمتاز أهل الخطط من غيرهم وليعلم الناس بتقديمه لك» توفي يوم ١٣ شعبان ٧٦١- زهرة الآس للجزنائي- طبعة الجزائر ١٩٢٣ص ٥٣ وص ١١٧ ترجمة فرنسية.- الكتاني: سلوة الأنفاس ج ٣، ص ١٥٥- التازي: تاريخ القرويين ج٢، ص ٤٣٨- ٤٩٤.

(٢) الكتاني: سلوة الأنفاس ج٣، ص ٢٠٧.

وذكر محاسن الزاوية... ونعرف من شيوخ الحسناوي أبا العباس أحمد بن موسى البطرني... كما نذكر من تلامذته ابن الأحمر، وقد توفي سنة خمس وتسعين وسبعمئة.

لقد كان ابن الحاج المصدر الأساس الذي تحدث عن هذا الشاعر، ويا ليته كان يجد من الوقت ما يسمح له بتقديم نماذج من إنتاج هذا الشاعر الذي خلت من آثار شعره **سائر المصادر الأدبية** التي اهتمت بشعراء عهد بني مرين على ما علمنا[1].

وقد انتهى هذا الحفل الكبير بتقديم طيافير الطعام الملوكية التي أحضرت وعليها المناديل الساطعة البياض والسباني المرقومة كأنها أزهار الرياض على حد تعبير ابن الحاج، وانفض هذا الجمع عن مشهد تمادت البلاد أخباره... واستتبت أمور الزاوية أحسن استتباب... جزى الله مولانا على ذلكم جزاء من أتبع الحسنى بأختها...

ذلكم ملخص المعلومات التي قدمها ابن بطوطة وابن جُزيّ وابن الحاج والمقّري عن المؤسسة الحضارية الكبرى، وإن من تتمة الحديث عن هذه الزاوية أن أؤكد أنها هي المقصودة عند المؤرخين لما ذكروا أن المنصور السعدي استقبل

---

(١) التنبكتي: نيل الابتهاج ص ٤٧ نقلاً عن الشيخ إسماعيل بن الأحمر في فهرسته – ابن القاضي: درة الحجال ١/ ١٨٣– سلوة الأنفاس ٣/ ٢٥٤– أعلام المغرب العربية ١/ ١٣٥.

ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد د. محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي لبنان ١٩٩٠، ص: ٢٠٦– ٢١٨.

بظاهرها السفارة البرتغالية الإسبانية التي وردت على بلاط فاس تلتمس جثة العاهل البرتغالي دون سباستيان صريع وقعة وادي المخازن، وهي ذاتها المقصودة عندما تحدثوا عن تصفية الموريسكي سعيد الدُّغالي، وإنما تجنبوا نعتها بالمتوكلية تجنبًا للتذكير باسم «المتوكل» الذي كان ينافس عبد الملك وأخاه المنصور على الحكم، ولو أنه ليس هو المتوكل الذي تنسب إليه الزاوية والذي هو، كما قلنا منذ البداية، السلطان أبو عنان!

وهنا بظاهر الزاوية استقبل المجاهدون برئاسة النقسيس الذين أتوا بعدد من الأسرى الذين أخذوهم من سبتة. وقد تقت وأنا أهتم بموقع هذه الزاوية إلى أنْ أحقق هدفين اثنين:

أولاً: إعداد تصميم للزاوية المذكورة من خلال الوصف الذي قدمه إلينا ابن الحاج، وفي هذا الصدد قمت بالاتصال بالمسؤولين في وزارة السكنى والتعمير، وقدمت لهم النص الأدبي لابن الحاج محاولاً أن يصلوا إلى وضع تصميم للمكان، ولم يكن في الاستطاعة إلا أن أكتفي بالتصميم التقريبي الذي نشرتُه في المجلد الرابع من تحقيقي للرحلة.

ثانيًا: وكنت أتوق مع هذا إلى تتبع منعرجات وادي الجوهر خطوةً خطوةً بحثًا عن طلل أو حتى حجرة! فلقد كنت مقتنعًا بأن ذلك الصرح الحضاري الكبير لا يمكن - بعدما عرفنا عنه- أن لا يخلف أثرًا !

وقد شجعني على الأمل ما وقفت عليه أثناء تحرياتي الأولى من خلال بعض الخرائط التي وضعتها المصالح الفرنسية لفاس أثناء العشرينيات، حيث وقفتُ في يسار الخريطة على «شبه تصميم» كتب بإزائه «دار الضيافة»، وكان غير بعيد عن ضفاف وادي فاس.

ومن هنا كتبت للسيد وزير الشؤون الثقافية بتاريخ ٨/ ١/ ١٩٩٦ أطلب المساعدة، مقدمًا النصوص التي أتوفر عليها بما فيها الخريطة، آملاً في الحصول على ما ينفعني، ثم حاولت الاجتماع بالمسؤول المباشر عن التراث بيد أن مشاغله لم تسمح...! وهنا قررتُ الرحلة لفاس للوقوف بنفسي في عين المكان... وظللت أتردد على البقعة كلما سنحت الفرصة لزيارة فاس ولو ليومٍ واحد، وقد كنت أحيانًا أتجاوز المساحة المرشحة للبحث، آملاً في العثور على عنصر من العناصر التي من شأنها أن تشجعني على مواصلة البحث. لقد كنت أعرف المكان منذ صباي مع والدي أو رفاقي عندما كنا نتردد للنزهة، أو أيام طلبي عندما كنا نحضر حفلاتِ سلطان الطلبة...

وقد أخذت أشعر أخيرًا بأنني أقترب من الوصول إلى بعض الحقيقة عندما وقفت على أطرافٍ **لكتلة صخرية** كانت غريبة عن هذه المروج الفسيحة التي تقع على مقربةٍ من الوادي...

وقررت الالتجاء إلى والي المدينة الذي توجهت إليه بخطاب يحمل تاريخ ٥/ ٤/ ١٩٩٨ أطلعه على هذا العزم، وأرجو إليه أن يمدني بخبراء ومصورين من الولاية للوقوف على عين المكان لأخذ الصور اللازمة تمهيدًا لوضع تشخيص للزاوية من جديد...

وهكذا تحققت الرغبة يوم الأربعاء تاسع المحرم ١٤١٩هـ الموافق ٦/ ٥/ ١٩٩٨م أثناء اجتماعنا في دورة الأكاديمية حيث كانت لي جلسةُ عمل تمهيدية مفيدة مع (وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس)، وحضر بعض هذه الجلسة مندوب عن السيد الوالي المتغيب آنذاك بالرباط، كما حضرها مدير الوكالة ومساعدوه الأقربون.

وقد قصدنا عين المكان بعد تمعن في ما ورد في النصوص التاريخية التي قدمتُها، وهكذا زرنا ضفاف وادي فاس التي يسميها التأليف المعاصر بالغدير، وتحققنا من **موقعين اثنين** بقيا من بناء الزاوية وهما من حيث المتانة وقوة البناء على نحو ما قرأناه.

وقد قامت أطرُ الوكالة المذكورة مشكورةً بوضع رفوعات وصور فوتوغرافية نتيجةً لهذه التحريات الميدانية سواء للموقع (أ) أو الموقع (ب)، وقد تجلى أن الموقع (ب) يحتوي على أثر للصهريج، الذي وردت الإشارة إليه في النص التاريخي الموجود بين أيدينا ونحن نقوم بهذا المسح.

وإلى جانب هذه المعلومات قامت **الوكالة بتصوير** الخطوات التي سلكناها من أجل تحقيق هذا الأمل الذي كان يراودني منذ أخذت في تحقيق رحلة ابن بطوطة أثناء السبعينيات والثمانينيات...

وبعد هذه الجولة عُدنا للاجتماع مرة أخرى **بالوكالة** من أجل استخلاص نتائج تلك التحريات بصفةٍ نهائيةٍ، الأمر الذي قامت الوكالة بتسجيله ضمن محضر موثق بالرسوم والصور.

وبالنظر إلى أهمية هذا الاكتشاف رفعتُ بتاريخ ١٢/ ٥/ ١٩٩٨ إلى جلالة الملك الحسن الثاني مذكرةً خطية حول موقع الزاوية المذكورة كأعظم معلمةٍ حضاريةٍ عرفها تاريخ المغرب في العصر الوسيط، راجيًا من جلالته — وهو حامي التراث — أن يرعى هذا المكان تمهيدًا لبعث الحياة فيه من جديد.

وقد أُشعرت بأن تعليماته صدرت إلى وزير الشؤون الثقافية الذي تفضل **ودعاني فعلاً** لجلسة عمل صباح الجمعة ١٩/ ٦/ ١٩٩٨ حضرها السادة المشرفون على الآثار حيث قدمتُ تقريرًا مكتوبًا عن الزاوية مصحوبًا

بملف مصور عن التحريات الميدانية التي قامت بها الوكالة السالفة الذكر...

وقد اهتم السيد الوزير بالموضوع وأعطى تعليماته بالقيام بالرحلة إلى عين المكان يوم الجمعة ٢٦حزيران ١٩٩٨، وبمناسبة الندوة الختامية للسنة الدولية لابن بطوطة بقاعة المركب الثقافي، سيدي بليوط بمدينة الدار البيضاء يوم ٩- ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٨ أعلنتُ عن هذا الاكتشاف الأمر الذي رددته أجهزة الإعلام المغربية[1].

وقد قدمت أمام أعضاء أكاديمية المملكة المغربية يوم الخميس ٢٨ شعبان ١٤١٩/ ١٧ كانون الأول ١٩٩٨ حديثًا عن الموضوع بعنوان: (اكتشاف موقع الزاوية المتوكلية بظاهر مدينة فاس...) وتتابع إلى الآن التحضيرات للإعلان رسميًا عن هذه المعلمة الأثرية العظمى...

(١) العلم ١٢ تشرين الثاني ١٩٩٨- الاتحاد الاشتراكي التاريخ نفسه – الأنباء- الأحداث المغربية.

نظرات في الطبعة الجديدة لكتاب الأغاني

(تحقيق د. إحسان عباس – د. إبراهيم السعافين – أ. بكر عباس)

د. محمد خير شيخ موسى

تمهيد:

يُعد كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني من أهم الكتب في تراثنا الأدبي والحضاري، لما اشتملت عليه أجزاؤه الكثيرة من ألوان الثقافات، وضروب المعارف والفنون، فكان بذلك: «ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن... وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها، وأنّى له بها»[1]، كما عبّر ابن خلدون في مقدمته.

طبعات الأغاني:

وقد طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة، لعل أقدمها طبعة المستشرق يوهان كوزجارتن (–١٨٦٢م) للجزء الأول منه بألمانيا سنة (١٨١٠) مع ترجمة لاتينية له، في (٣٣٦) صفحة، ويقع الأصل العربي في (٢٨٨) صفحة، ويقابل هذا الجزء: الجزء الأول من طبعة بولاق إلى الصفحة (١٥٢)، والأول من طبعة دار الكتب إلى الصفحة (٣٧٨)، وينتهي عند أخبار ابن محرز، ومنه عدة نسخ في مكتبة الكونغرس الأمريكي وغيرها[2].

أما الطبعة الثانية فهي طبعة بولاق بالقاهرة سنة (١٨٦٨) وتقع في عشرين جزءاً، وقد سقطت منها بعض التراجم أو الأخبار أو الأشعار، لعدم الاعتماد فيها على مخطوطات كاملة، ولافتقارها إلى التحقيق العلمي السليم.

وحاول المستشرق الأمريكي برونو سدّ هذا النقص الظاهر في طبعة

بولاق، اعتمادًا على مقارنتها بما اطلع عليه من مخطوطات الأغاني، فاجتمع لديه اثنتان وثلاثون من تراجمه التي لم ترد في تلك الطبعة، وأصدرها في جزء مفرد يعرف بالجزء الحادي والعشرين سنة (١٨٨٨).

وأصدر المستشرق الإيطالي جويدي في ليدن بهولندا سنة (١٨٩٥- ١٩٠٠) فهارس شاملة لهذه الطبعة بالفرنسية، وترجمها محمد مسعود إلى العربية، وضمّها إلى طبعة الساسي التي صدرت بالقاهرة (١٩٠٥) معتمدة على طبعة بولاق، ومكملة بالجزء الحادي والعشرين الذي جمعه برونو، ومذيلة بفهارس جويدي بالعربية، ولم تكن مطابقة لهذه الطبعة، إذ كانت قد صنعت على أساس طبعة بولاق.

ونشر الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي المصحح بدار الكتب المصرية (١٩١٦) تصحيحات الشيخ أحمد الشنقيطي وتعليقاته على نسخته من طبعة بولاق في كتاب عنوانه: تصحيح كتاب الأغاني.

وكلّفت دار الكتب المصرية – تلبية لرغبة أحد المحسنين– عددًا من المحققين والمصححين لديها إعدادَ طبعة موثقة ومحققة من هذا الكتاب، فصدر الجزء الأول سنة (١٩٢٧) وتمّ منها ستة عشر جزءًا سنة (١٩٦١)، ثم أعيد تصوير هذه الأجزاء بالأوفست، وألحق بآخرها أخبار الحارثة بن بدر التي سقطت منها، وهي تابعة في الأصل للجزء الثامن، ثم كلفت الهيئة المصرية للكتاب عددًا من المحققين متابعةَ إصدار بقية الأجزاء منذ عام (١٩٧٠) وتمّ ذلك سنة (١٩٧٤) بإصدار الجزء الرابع والعشرين من هذه الطبعة التي تعرف بطبعة دار الكتب المصرية، وأعيد طبعها وتصويرها أكثر من مرة، وطبعت بعد ذلك فهارس شاملة لها، وأصبحت أصلاً معتمدًا لمعظم

ما صدر من طبعات الكتاب، على الرغم مما لا يزال ظاهرًا فيها - وانتقل إلى غيرها — من مواطن الخلل والاضطراب ومظان السقط، إلا أنها مع ذلك تظل أفضل هذه الطبعات حتى الآن.

ومنذ عام (١٩٥٥) بدأت دار الثقافة في بيروت بإصدار الأغاني اعتمادًا على الطبعات السابقة وبعض مخطوطات الكتاب، وكلفت الأستاذ عبد الستار فراج بتحقيق الأجزاء التالية للسادس عشر منه، إذ لم تكن قد صدرت عن دار الكتب بعد، فتمت هذه الطبعة بإصدار الجزء الثالث والعشرين سنة (١٩٦٠) وألحقت بها فهارسها في جزأين سنة (١٩٦٤)، وأعيد طبعها كاملة عدة مرات متوالية، كان آخرها الطبعة الثامنة سنة (١٩٩٥).

وكلفت دار الشعب بالقاهرة الأستاذ إبراهيم الأبياري بالإشراف على طبعة جديدة للأغاني وتحقيقها ما بين (١٩٦٩- ١٩٧٩) فتمت في (٣١) جزءًا أو مجلدًا مع الفهارس، وأضيفت إليها ترجمة مطولة لأبي نواس منقولة من مختار الأغاني لابن منظور وهي ليست من تراجم الأغاني الأصلية كما سيمر بنا بعد حين.

ثم توالت طبعات أخرى شعبية أو تجارية أو منقولة أو مصورة للأغاني نذكر منها طبعة دار الكتب العلمية ببيروت سنة (١٩٨٠) في (٢٧) مجلدًا ألحقت بالخامس والعشرين منها أخبار أبي نواس منقولة عن مختار الأغاني لابن منظور أيضًا، وهي ليست من تراجم الكتاب الأصلية كما ذكرنا قبل قليل، وخصصت الفهارس بالجزأين الأخيرين، وطبعة دار التوجيه اللبناني سنة (١٩٨٠) المنقولة عن طبعة بولاق العتيقة أو الساسي، وطبعة دار جمال في بيروت بأجزائها الأربعة والعشرين المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

وإذا كنا لا نعرف لهذه الجهود الضائعة من سبب غير السبب التجاري، إذ لم تضف إلى طبعة دار الكتب المصرية شيئًا ذا قيمة كبيرة أو أهمية، على الرغم مما في مقدمات كثير منها من مزاعم أو ادعاء يتصل بالاعتماد على مخطوطات جديدة، فإن الحاجة مازالت ملحة وضرورية إلى طبعة جديدة للأغاني، محققة تحقيقًا علميًا وافيًا وسليمًا، وتعتمد على مخطوطاته الكثيرة جدًا، والموزعة في مكتبات العالم المختلفة، وقد ظهر منها في السنوات الأخيرة عدد كبير، وليس من العسير الحصول عليها أو تصويرها كلها أو جلها في عصرنا، والاستئناس بمختصراته وتجريداته القديمة التي بدأت بالظهور منذ عصر مؤلفه تقريبًا، وطبع عدد قليل منها، ومايزال الكثير الباقي منها مخطوطًا[٣]، والنظر فيما كتب حول الأغاني وطبعاته ومؤلفه من أبحاث ودراسات، مما يمكن أن يعيد الكتاب إلى أصله الحقيقي، على الوجه الذي تركه لنا مؤلفه أبو الفرج الأصبهاني.

الطبعة الأخيرة لكتاب الأغاني:

وقد استبشر القرّاء والدارسون خيرًا إذ علموا بصدور هذه الطبعة عن دار صادر العريقة ببيروت، أواخر سنة (٢٠٠٢) بتحقيق د. إحسان عباس وأخيه بكر عباس، ود. إبراهيم السعافين، ولهم جميعًا باع طويل في العلم والأدب والتحقيق والتوثيق، بيد أن هذه الآمال سرعان ما تأخذ بالتلاشي إذ نقرأ في مقدمة التحقيق قول الدكتور إحسان عباس متسائلاً ثم مجيبًا:

«هل نحن في حاجة إلى طبعة جديدة من الأغاني؟ كان هذا السؤال يتردد دائمًا بيني وبين (محققي) هذه الطبعة، ولكن إقدامنا على هذا العمل خضع لعاملين: يتصلان بنا... لا بالأغاني!! أولهما: أننا أردنا أن نجعل من

تعاوننا على إخراج كتاب صعب برهانًا على تعاون أصدقاء، وشهادة على طبيعة هذه الأخوة، وعمقها، والثاني: أن نقدم تحية لدار عريقة في خدمة التراث العربي... بأن نقدمَ الأغاني لها استجابة لأمنية كان أنطون صادر يرجو أن تتحقق، وظل خلفاؤه يرون فيها وصية يبرون بتحقيقها روح والدهم، صديقي الأمين»(٤).

وأكبر الظن – كما يبدو من هذا الحديث – أنه لم يكن للدكتور عباس من هذه الطبعة غير الاسم والرسم، وأن السؤال الدائم الذي كان يتردد بينه وبين (محققي) هذه الطبعة إنما كان يدور حول مدى الحاجة إلى طبعة جديدة للأغاني، لا تضيف إلى طبعاته الكثيرة جديدًا أو مفيدًا، وهو سؤال جدير أن يُطرح حقًا، وأنّ أمنية صاحب دار صادر أن تصدر عن داره طبعة تامة ومحققة للأغاني بعد أن عدمها في طبعاتها السابقة، وأن أبناءه ظلوا أوفياء لهذه الأمنية من بعده، فجاءت هذه الطبعة تحية لهذه الدار، وبرًا بروح مؤسسها، وإن لم نجد فيها ما يسوّغ إصدارها، إذ ماتزال مواطن الخلل والاضطراب ومظان السقط أو النقص ظاهرة فيها، شأنها في ذلك شأن الطبعات السابقة وعلى رأسها طبعة دار الكتب المصرية وطبعة دار الثقافة اللبنانية اللتان قال د. عباس في تقريظهما: «وتوالت طبعاته بعد استقراره محققًا بدار الكتب، ثم ظهرت طبعة دار الثقافة، إذ قام عبد الستار فراج بتحقيق الأجزاء من ١٦– ٢٥، فمنح هذه الطبعة مكانة عالية إلى جانب طبعة دار الكتب»(٥).

فللأغاني مخطوطات كثيرة، تامة ومنقوصة، يكمل بعضها بعضًا، ذكر منها سزكين (٨٧) مخطوطة، سبع وعشرون منها في مكتبة ميونيخ، يعود تاريخ

نسخ بعضها إلى سنة (٦١٣هـ)[٦]، وفي دار الكتب المصرية ومكتبة الإسكندرية وخزائن الكتب الغنية بالمغرب وغيرها نسخ كثيرة، فضلاً عما في هذه المكتبات من مصورات هذا الكتاب، وما هو مخطوط أو مطبوع من مختصراته وتجريداته، ولم يكن حظ هذه الطبعة من ذلك كله سوى مخطوطة يتيمة وناقصة هي مخطوطة برلين أو مصورة منها، ومصورة من نسخة التيمورية الناقصة أيضًا وقد ذكر المحققون «أننا لم نستفد منها كثيرًا، لأن الخط فيها باهت لا يكاد يقرأ، ولعل ذلك من سوء التصوير»[٧]. وهي – على كل حال– مما اعتمد عليه محققو طبعة دار الكتب التي اتخذها محققو طبعة صادر أصلاً وفرعًا، فلم تنج كسابقتها من مواطن السقط أو النقص أو التقصير، وزادت عليها في بعض المواطن أيضًا.

وقد جاءت هذه الطبعة في خمسة وعشرين جزءًا، مرتبة بحسب ترتيب طبعة دار الكتب وتسلسلها، وإن كانت قد سقطت منها أخبار بعض الشعراء الواردة في طبعة الدار، وتبدأ بأخبار أبي قطيفة، وتنتهي بأخبار المتلمس في الجزء الرابع والعشرين، وإن كان محققو طبعة الدار قد أشاروا إلى أن أخبار هذا الشاعر الأخير ليست تابعة لهذا الجزء في أصل تجزئة المؤلف، وتوزعت الفهارس ما بين أواخر الجزء الرابع والعشرين والجزء الخامس والعشرين كاملاً.

مقدمة التحقيق: أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني:

ويبدأ الجزء الأول بمقدمة كتبها د. إحسان عباس، وتناول فيها أطرافًا من حياة أبي الفرج وكتابه الأغاني، ووردت فيها بعض الهنات أو الهفوات التي ينبغي الوقوف على حقيقتها، ويتصل أولها بمولد أبي الفرج إذ قال د. عباس:

«وأكثر المصادر التي ترجمت له تذكر أنه ولد عام (٢٨٤هـ)، وسكت عن ذكر مولده صاحب الفهرست والخطيب البغدادي وياقوت، ولهذا السكوت معناه: أي إن الذين ذكروه هم المؤلفون المتأخرون، فمن أين جاؤوا بهذا التاريخ، وما هو المصدر المعتمد لديهم في هذه المسألة؟ هذا ما أعياني التوصل إليه!!»[٨]. بيد أن الخطيب وياقوتًا لم يسكتا عن ذكر مولده، إذ نقرأ في تاريخ الخطيب البغدادي (– ٤٦٣هـ) قول شيخه وتلميذ أبي الفرج، الحافظ المحدث محمد بن أبي الفوارس (٣٣٨– ٤١٢هـ) أن شيخه الأصبهاني ولد سنة (٢٨٤هـ)[٩]، ولم يعترض على ذلك أحد من المتقدمين أو المتأخرين الذين جاؤوا بهذا التاريخ، وكان تاريخ الخطيب: هو المصدر المعتمد لديهم في هذه المسألة التي أعياه التوصل إلى مصدرها، وقد رجع إلى تاريخ الخطيب، فوجده يسكت عن ذكر مولده!، ولعله لم ينعم النظر في هذا الكتاب.

وانتقل د. عباس من هذه المسألة إلى مسألة أخرى تتصل بنسبة أبي الفرج إلى أصفهان فقال: «وبعض المعاصرين يشك في أن تكون أصفهان مسقط رأسه، ربما لأن ابن النديم سمّاه: ابن الأصفهاني، وهذا أقرب إلى المعقول، يعني أن أباه كان يعرف بالأصفهاني، فلما اختار أن يعيش في بغداد عرفه الناس بالأصفهاني تخففًا من قولهم: ابن الأصفهاني... ولا نعرف متى غادر أبو الفرج أصفهان إلى بغداد، ولكننا نستطيع أن نقدّر أن جاذبية بغداد كانت أقوى من أن يقاومها شاب طموح يعرف أنها كعبة العلم»[١٠]. وفي هذا القول تناقض ظاهر من جهات عدة: فصدره يدل على اتفاق في الشك في أن تكون أصفهان مسقط رأسه، وآخره يدل على أنه انتقل من

أصفهان إلى بغداد وهو شاب طموح، وأوسطه يدل على أن أباه كان يعرف بالأصفهاني، ولسنا ندري كيف كان الأب يعرف بالأصفهاني وهو في بلده، فلما اختار أن يعيش في بغداد (هو أو ابنه) عرفه الناس بالأصفهاني تخففًا من قولهم: ابن الأصفهاني!.. والمعقول أن يعرف باسمه وهو في بلده، فلما انتقل إلى بغداد أخذ الناس ينسبونه إلى ذلك البلد، مع أن كلمة (بن) لم ترد في غير طبعة طهران للفهرست، ولذلك وضعها المحقق بين قوسين، ومن غير ألف[١١]، ولعل في ذلك ما يدل على أنها يمكن أن تكون في الأصل بين علمين: علي بن الحسين الأصفهاني، أو أن كاتبها في النسخة التي اعتمد عليها المحقق قد أراد بها نفي صلة أبي الفرج نفسه بأصفهان، وقد ورد ذكر أبي الفرج في الفهرست عدة مرات وليس فيها جميعًا ذكر لكلمة (ابن) قبل الأصفهاني[١٢].

ومهما يكن من أمر، فإن صلة أبي الفرج بأصفهان لا تتعدى هذه النسبة البعيدة، إذ لم نجد له أو لأحد من آبائه وأعمامه وأجداده الأقربين ذكرًا أو أثرًا في أصفهان، فجده محمد بن أحمد كان من سكان سامراء، وفيها نشأ وترعرع، وكان على صلة قوية برجالاتها وأعيانها من الوزراء والشعراء والكتاب كما تدل على ذلك أخبار أبي الفرج ومروياته عنه، ومنهم عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد الذي قال ذلك الجد عنه: «وكان يأنس بي أنسًا شديدًا لقديم الصحبة، وائتلاف المنشأ»[١٣]. كما روى عنه أبو الفرج قوله: «سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول: أشعر الناس طرًا الذي يقول.. فأحببت أن أستثبت من إبراهيم بن العباس الصولي، وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب، فجلست إليه، وكنت أجري منه مجرى

الولد... فاتفقنا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه»[١٤]. كما روى عنه في مقاتل الطالبيين بعض الأخبار التي تدل على أن أكابر الطالبيين والعباسيين كانوا يجتمعون في داره للأنس والمسامرة[١٥].

كما كان أبوه الحسين بن محمد من سكان بغداد، وكان – على ما يبدو – حريصًا على لقاء الطارئين عليها من العلماء والشعراء، وتحصيل الإجازات العلمية برواية كتبهم وأخبارهم، فذكر أبو الفرج أن: «سوّار بن أبي شراعة [البصري] أحد الشعراء الرواة، قدم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلاثمئة، فكتب عنه بعض أصحابنا قطعًا من الأخبار واللغة، وفاتني فلم ألقه، وكتب إليّ وإلى أبي رحمه الله بإجازة أخباره على يدي بعض أخواننا»[١٦].

أما عمه الحسن بن محمد الذي أكثر الرواية عنه في الأغاني، وكان له أكبر الأثر في حياته منذ أن كان صغيرًا يجلس إليه مجلس التلميذ، فقد ذكر ابن حزم أنه «كان من كبار الكتاب في أيام المتوكل»[١٧]، وكان على صلة وثيقة جدًا بالوزراء والشعراء والكتاب بسامراء وبغداد، وكان طريق أبي الفرج إلى معظم ما روى من أخبار الشعراء المحدثين والكتاب في الأغاني[١٨]، كما روى بعض هذه الأخبار عن أخوي جده: عبد العزيز وعبد الله، وعن بعض أبناء عمومته أيضًا[١٩].

وإذا كنا لم نجد لأبي الفرج أو لأحد من آبائه وأعمامه وأجداده الأقربين أثرًا في أصفهان، كما لم نجد له شيخًا واحدًا من شيوخه الكثيرين فيها، فإننا نعتقد أن صلتهم بهذا البلد تعود إلى زمن بعيد، إذ يبدو أن أحد أبناء مروان بن محمد (– ١٣٢هـ) آخر الخلفاء الأمويين، والجد السابع لأبي الفرج، قد فرّ ناجيًا بنفسه بعيدًا إلى أصفهان، بعد أن دالت دولة الأمويين،

وأصابهم ما أصابهم من أذى ومقاتل على أيدي أبناء عمومتهم من العباسيين وأشياعهم، فتخفى بين أهلها المعروفين في ذلك الحين بالتعصب للسنيّة والأمويين[٢٠]، في ظل لقب أو نسب مغمور، إلى أن استقرت الأحوال. وهدأت الأمور، ثم هجرها أبناؤه أو أحفاده قاصدين سامراء وبغداد، فعملوا في دواوين الخلافة كتابًا وموظفين، وحملوا معهم هذا اللقب الأصفهاني الذي ارتضوا به بديلاً من أمويتهم الصريحة، وظلوا على ذلك إلى أيام أبي الفرج الذي وجدناه يذكر أن أحد زملائه من معاصريه لم يكن يجرؤ على التصريح بولائه لبني أمية «وكان يخفي ذلك أشد الخفاء»[٢١]، كما لم يكن أبو الفرج ليجرؤ على ذكر نسبه الأموي الصريح في مقدمة الأغاني إذ يقول: «هذا كتاب ألفه علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالأصبهاني»[٢٢].

وأكد د. عباس أن «كل المصادر التي ذكرت تاريخ وفاته أجمعت على أنه رحل عن هذه الدنيا سنة (٣٥٦هـ) ما عدا الفهرست لابن النديم، فقد ذكر أنها كانت سنة نيف وستين وثلاثمئة، وجاء في كتابه أدب الغرباء أنه كان مايزال حيًا سنة (٣٦٢هـ).. وقد استوقف هذا التاريخ ياقوتًا الحموي الذي اطلع على أدب الغرباء، ونقل النص منه، وقدّر أن هذا التاريخ يحتاج إلى شيء من التأمل... ورفض محقق أدب الغرباء التاريخ الذي أجمعت عليه المصادر، وفي ذلك شيء من التسرع... ولا أتردد في إثبات سنة (٣٥٦هـ) تاريخًا لوفاته، إلى أن تظهر دلائل قوية تنفي هذا التاريخ[٢٣].

وليس يخلو هذا الكلام من شيء كثير من التسرع، فإن المصادر التي بين أيدينا لم تجمع كلها- ماعدا الفهرست - على تحديد وفاته بسنة (٣٥٦هـ)، وأن التاريخ الذي استوقف ياقوتًا وقدر أنه يحتاج إلى شيء من التأمل هو

(٣٥٦هـ) وليس (٣٦٢هـ) كما سنبيّن.

فابن النديم معاصره وله عنه رواية، لم يحدد سوى تاريخ واحد لوفاته «سنة نيف وستين وثلاثمئة»[٢٤]، وقال أبو نعيم الأصبهاني (-٤٣٠هـ) «أدركته ببغداد،ورأيته، ولم يقدّر لي منه سماع، وتوفي سنة سبع وخمسين وثلاثمئة»[٢٥]. وروى الخطيب البغدادي (-٤٦٣هـ) عن شيخه محمد بن أبي الفوارس (٣٣٨-٤١٢هـ) قوله: «وتوفي سنة ست وخمسين وثلاثمئة»[٢٦]، وعلق الخطيب على ذلك بقوله: «وهذا هو القول الصحيح في وفاته» مشيرًا بذلك إلى ما كان يدور بين المؤلفين من خلاف حول هذا التاريخ الذي شاع بين المتأخرين واشتهر شهرة تاريخ الخطيب وشيوعه، ونقل ياقوت الحموي قول ابن أبي الفوارس «وتوفي سنة ست وخمسين وثلاثمئة» فاستوقفه هذا التاريخ، وقدّر أنه يحتاج إلى شيء من التأمل، فعلق عليه بقوله: «وفاته هذه فيها نظر، وتفتقر إلى التامل»[٢٧]، وذكر أنه وجد في أدب الغرباء لأبي الفرج بعض ما يدل على أنه كان حيًا سنة (٣٦٢هـ)، وقد وصل إلينا هذا الكتاب، ووجدنا فيه ما يؤكد كلام ياقوت[٢٨]، وصحة قول ابن النديم إنه «توفي سنة نيف وستين وثلاثمئة» بينما تظل الأقوال الأخرى مفتقرة إلى ما يؤيدها، على الرغم من شهرتها، والشهرة لا تكسب القول الصحة.

ولم تنج مؤلفات أبي الفرج في مقدمة د. عباس من شيء غير قليل من الزيادة أو النقص، إذ قدم قائمة تشتمل على سبعة وعشرين كتابًا[٢٩]، ونسب إليه كتابين أو ديوانين لم يؤلفهما أو يجمعهما، وهما: ديوان البحتري وديوان أبي تمام، وهما من جملة دواوين المحدثين التي جمعها: أبو الفرج علي ابن حمزة الأصفهاني (- ٣٥٦هـ) معاصر أبي الفرج علي بن الحسين

الأصفهاني، ذكرهما صاحب الفهرست وابن خلكان وصاحب الكشف وغيرهم لعلي بن حمزة[٣٠]، ولم نجد أحدًا قبل الأب اليسوعي ينسبهما إلى صاحب الأغاني، وذلك في مقدمة مختصره للأغاني التي سرد فيها أسماء بعض كتب أبي الفرج ثم قال: «وللأصفهاني تصانيفُ أخرى لم يذكرها أصحاب التراجم، تيّسر لنا أن نجمعها بالاستقراء من كشف الظنون وغيره»[٣١]، ثم أتى على تعداد هذه الكتب، ومعظمها مما ذكره أصحاب التراجم ضمن مؤلفات أبي الفرج، وبعضها لم يذكره أحد منهم قط حقًا لأنها ليست من تأليفه، وعلى رأسها: ديوان البحتري وديوان أبي تمام، وقد ذكرنا أن صاحب الكشف وغيره ينسبونهما إلى جامعهما الأصفهاني: أبي الفرج علي ابن حمزة، ويقولون إنه رتب الأول منهما على الحروف والثاني على الأنواع، كما وردت صفتهما عند اليسوعي حين نسبهما إلى أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، ويبدو أن مبعث الوهم في ذهنه راجع إلى التسرع في القراءة والنقل، ولما بين هذين المؤلفين من تشابه في الكنية والاسم واللقب وتاريخ الوفاة أو المشهور منها بالنسبة لصاحب الأغاني، ونقل عنه محققو طبعة دار الكتب للأغاني أسماء هذه الكتب في مقدمة الجزء الأول منه، ومن ثمّ انتشرت في كتب كثير من المعاصرين[٣٢]، ومنها مقدمة د. عباس التي أغفل فيها أيضًا ذكر عدد غير قليل من كتبه الصحيحة النسبة إليه ومنها: كتاب الديارات[٣٣]، والمغنين[٣٤]، ودعوة الأطباء[٣٥]، وصفة هارون[٣٦]، ونسب بني كلاب[٣٧]، ورسالة في علل النغم[٣٨]، وأدب السماع[٣٩]، وتوهم -كغيره من المعاصرين- أن كتابه: مجرد الأغاني، إنما هو تلخيص أو مختصر للأغاني قام به أبو الفرج نفسه[٤٠]، وهو من الكتب

التي ذكرها أبو الفرج أكثر من مرة، وأشار في أثناء ذلك إلى أنه كتاب مخصص للأصوات قديمها وحديثها وما يتصل بها من ألحان، وجلها مما لم يرد في الأغاني، وأنه مجرد من الأخبار والتراجم، فقال في مقدمة الأغاني: «ولم يستوعب كل ما غني به في هذا الكتاب، ولا أتى بجميعه، إذ كان قد أفرد لذلك كتابًا مجردًا من الأخبار، ومحتويًا على جميع الغناء القديم والمتأخر»[٤١].

وفي حديثه عن كتاب الأغاني قال د. عباس: «وذكر أن أبا الفرج لم يكتب منه إلا نسخة واحدة، وهي التي رحل بها إلى حلب، وأهداها إلى سيف الدولة، فأجازه بألف دينار، وحين بلغ ذلك الصاحب بن عباد استقل المبلغ»[٤٢].

وإذا كنا لا نعرف مصدره القديم في قوله: «ورحل بها إلى حلب»، مع أنه كان قبل قليل قد تتبع رحلاته ولم تكن حلب من بينها[٤٣]، وإن كان قد زاد مكة فيها، ولسنا نعرف له رحلة إليها[٤٤]، فإن مسألة إهداء الأغاني إلى سيف الدولة، وصلة أبي الفرج به أو بحلب، تحتاج إلى تقليب النظر الدقيق فيها، لما خالطها في كتب كثير من المعاصرين من تخليط، معتمدين في ذلك على قول ياقوت في معجمه: «قال الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن الحسن في مقدمة ما انتخبه من كتاب الأغاني إلى سيف الدولة بن حمدان، فأعطاه ألف دينار، وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال: لقد قصر سيف الدولة... وقال [الوزير المغربي]: وقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف: لم يكن كتاب الأغاني يفارق عضد الدولة... قال [المغربي]: وقال أبو محمد المهلبي: سألت أبا الفرج في كم جمعت الأغاني؟ قال: في خمسين سنة. قال

[المغربي]: وإنه كتبه مرة واحدة في عمره، وهي النسخة التي أهداها إلى سيف الدولة»[٤٥].

وواضح أن ياقوتًا ينقل ما ورد في مقدمة مختصر الوزير المغربي للأغاني من أقوال أو تقريظات تبيّن قيمة الأغاني، بيد أن صدر كلام ياقوت يوهم بأن الوزير المغربي (٣٧٠- ٤١٢هـ) قد اختصر الأغاني، وأهداه إلى سيف الدولة (- ٣٥٦هـ) فأعطاه ألف دينار وجدها الصاحب بن عباد(- ٣٨٥هـ) قليلة، وبين المغربي وصاحبيه زمن بعيد، مع أنه يعود - في آخر النص – إلى القول على لسان المغربي: إن أبا الفرج هو الذي أهدى نسخة من الأغاني إلى سيف الدولة.

ومن المرجح لدينا أن كلام ياقوت قد سقط منه شيء، وأنه في الأصل ربما يكون على هذه الصورة: قال الوزير المغربي في مقدمة ما انتخبه الوزير المغربي من كتاب الأغاني [الذي ألفه أبو الفرج الأصفهاني، وأهداه] إلى سيف الدولة فأعطاه ألف دينار، وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال: لقد قصر سيف الدولة. وبذلك يستقيم النص معنى ولغةً وتواريخ أيضًا، وفي قوله: انتخبه (إلى) سيف الدولة دلالة على هذا السقط، إذ لو كان الانتخاب لسيف الدولة لكانت التعدية باللام وليس بإلى، وآخر النص يدل على ذلك في قوله: وهي النسخة التي أهداها (إلى) سيف الدولة.

ولم يكن ياقوت وحده هو الذي نقل هذه الأقوال من مقدمة مختصر الوزير المغربي، إذ نجد ابن واصل الحموي (٦٠٤- ٦٩٧هـ) معاصره يقول في مقدمة تجريده للأغاني: «ولما ولي الوزير المغربي الوزارة اختصره، وأفرط في تقريظه في خطبة مختصرة وقال: إنه جمع الأغاني في خمسين سنة، وكتب

به نسخة واحدة، وأهداها إلى سيف الدولة، فأجازه بألف دينار، ولما بلغ ذلك الصاحب بن عباد قال: لقد قصر سيف الدولة...»[٤٦]، كما نقرأ في مقدمة مختار الأغاني لابن منظور (-٧١١هـ) قوله: «أقدم هنا حكاية وجدتها في آخر مختصر من هذا الكتاب، اختصره أبو الحسين أحمد بن الزبير (- ٥٦٣هـ) وهي: قال المهلبي: سألت أبا الفرج في كم جمع الأغاني؟ فقال: في خمسين سنة، وقال أبو الفرج: إنه كتب الأغاني مرة واحدة في عمره، وأهداه إلى سيف الدولة، فأنفذ له ألف دينار...»[٤٧].

ومن خلال ذلك كله نتبيّن طبيعة الصلة ما بين أبي الفرج وسيف الدولة، فهي قائمة على أساس إهدائه نسخة من الأغاني، فأنفذ له ألف دينار، وكان أبو الفرج يبعث بكتبه إلى خلفاء الأندلس، فيبعثون إليه بمكافآتهم، ومنهم الخليفة الحكم المستنصر (- ٣٥٠هـ) الذي «كتب إليه يلتمس منه نسخة من الأغاني، فبعث إليه بنسخة حسنة ومنقحة، قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق أو ينسخه أحد منهم»[٤٨]، كما كان سيف الدولة يبعث برسله إلى العراق، وفي جعبهم دنانير خاصة، يوزعونها على بعض الأدباء والشعراء، ومنهم أبو إسحاق الصابي، صاحب أبي الفرج وزميله في ندوة الوزير المهلبي ومجلسه، إذ قدم إليه رسول سيف الدولة كيسًا فيه ثلاثمئة دينار من هذه الدنانير الخاصة، لقاء أبيات قالها في مديح سيف الدولة[٤٩]، ولسنا نستبعد أن يكون هذا الرسول أو غيره قد اتصل بأبي الفرج، فحمّله نسخة من الأغاني مهداة إلى سيف الدولة فأعطاه ألف دينار من هذه الدنانير الخاصة التي رضي منها الصاحب بثلاثمئة فحسب، وهو الذي عرض على المتنبي عطاياه مقابل مديحه فلم يستجب له[٥٠].

ومهما يكن من أمر، فليس في هذه النصوص أو غيرها من كتب القدماء ما يدل على صلة مباشرة بين أبي الفرج وسيف الدولة أو حلب، وإن كان كثير من المستشرقين قد ارتحلوا بالأصفهاني إليها، وجعلوه أحد ندماء سيف الدولة فيها، وتبعهم في ذلك معظم الدارسين[٥١]، ليس لهم على ذلك من سند أو دليل سوى ذلك النص الذي ذكرناه لياقوت، وهو النص الذي استوقف د. خلف الله مطولاً، وذهب في تفسيره – على اضطرابه- مذهبًا بعيدًا جدًا، إذ اعتقد جازمًا أن الوزير المغربي لم يختصر الأغاني، وأن كاتب تلك الأقوال أو التقريظات التي أوردها ياقوت على لسان المغربي وغيره إنما هو الخطاط ابن الخازن (– ٥٠٢هـ) الذي صدّر بها نسخة من الأغاني، وأهداها إلى سيف الدولة صدقة (– ٥٠١هـ)، ثم انتهبت من خزائنه، ووقعت إلى ياقوت (– ٦٢٦هـ)، ولم يكن قد بقي منها سوى ستة عشر جزءًا لا يمتلك ياقوت غيرها، ومن صدرها نقل ياقوت تلك الأقوال![٥٢].

وليس لذلك كله من أصل، فللوزير المغربي مختصر معروف للأغاني، ذكره كثير من القدماء، ونقلوا من مقدمته تلك الأقوال، ومنه نسخة خطية بباريس[٥٣]، وصرح ياقوت بامتلاكه عدة نسخ من الأغاني، وأنه أجيز بروايته عن أبي الفرج إجازة متصلة أكثر من مرة، وأنه كتب نسخة منه بخطه في ستة عشر جزءًا ليسهل عليه حملها في أسفاره التجارية ورحلاته العلمية[٥٤].

أخبار الأغاني في طبعته الجديدة، (ومواطن السقط والخلل والاضطراب فيها):

وإذا ما انتقلنا من ذلك كله إلى متن الأغاني وأخباره، فإننا نقف على

بعض مواطن السقط والخلل والاضطراب التي ما تزال ظاهرة في سائر طبعاته، وزادت عليها هذه الطبعة الجديدة مواطن أخرى، وعلى رأسها «أخبار حارثة بن بدر» بصفحاتها الخمسين، ولم نجد لها ذكرًا في هذه الطبعة، وهي من أخبار الشعراء في الجزء الثامن من طبعتي الدار والثقافة(٥٥)، ولم ترد في الأجزاء العشرين من بولاق والساسي، وجاءت فيما استدركه برونو في الجزء الحادي والعشرين، وسقطت من الأجزاء الستة عشر المصورة من طبعة الدار قبل استكمالها، وألحقت بالأخير منها، وكان لذلك كله أثر في سقوطها من طبعة صادر.

ومما كان بالإمكان استدراكه، أو الوقوف على حقيقته، مما لايزال ظاهرًا في الطبعات السابقة، وهذه الطبعة الجديدة، قول أبي الفرج بعد صوت: «الشعر لوضاح، والغناء لصباح الخياط، وفي أبيات من هذه القصيدة ألحان عدة، أخرت ذكرها إلى أن تنقضي أخبار وضاح، ثم أذكرها بعد ذلك إن شاء الله» (٥٦)، ولم نجد لهذه الأبيات أو لأخبار صباح أثرًا في الأغاني كله.

ونقع في الجزء الثامن على قوله بعد صوت: «الشعر للعباس بن الأحنف، والغناء لسليمان الفزاري»(٥٧) ثم سرد أخبار العباس، ولم نعثر على شيء من أخبار سليمان التي ينبغي أن ترد بعد أخبار الشاعر. وفي هذا الجزء نفسه نقف على قوله بعد صوت: «الشعر لأبي فرعة الكناني، والغناء لجرادتي بن جدعان»(٥٨) وأتى على سرد أخبار الجرادتين دون أخبار الشاعر قبلهما أو بعدهما. وفي الجزء التاسع وجدناه يذكر الأرمال الثلاثة، ويسرد أخبار شاعرين من شعرائها دون الثالث(٥٩).

ومما يلحق بذلك قوله في الدفاع عن ابن المعتز: «عدلوا عن ثلبه بالآداب

إلى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء آل أبي طالب، وهم أول من فعل ذلك، وأنا أذكر ذلك بعقب أخباره، مصرحًا به على شرح إن شاء الله»[٦٠]، ولم نعثر على شيء من ذلك بعقب أخباره أو في موضع آخر من الأغاني.

وإذا كنا لا نجرؤ على الحكم القاطع بسقوط هذه الأخبار كلها من الكتاب قبل النظر المقارن في أكمل مخطوطاته، وتلك مهمة من يتصدى لإعادة تحقيقه وطبعه، فإن هنالك بعض الملاحظات التي ترجح ذلك، منها أننا وجدناه يؤكد أنه سيذكر تلك الأخبار أو الأشعار في موضع محدد، وأن من عادته أن يبدأ بأخبار الشاعر ثم أخبار المغني، ولم يكن لبعض هذه الأخبار ذكر في الأغاني، كما لم تكن هنالك إشارة إلى عدم إلمامه بها على عادته في مثل هذه الأحوال والمقامات[٦١]، وفي ذلك ما يدعو إلى الظن بسقوط هذه الأخبار من بعض نسخ الأغاني الخطية القديمة.

ومما وقع لبعض الأشعار المروية في هذا الكتاب من سقط أو نقص أبيات السيد الحميري العينية التي سقط صدر الأوّلين منها، ولم يبق منهما سوى العجز[٦٢]، ولم يحاول المحققون البحث عنها في مصدر آخر، أو الإشارة إلى ذلك في حاشية، شأنها في ذلك شأن أحد أبيات عمر بن أبي ربيعة أيضًا[٦٣].

وربما أدى سقوط بعض الكلمات أو تحريفها إلى الاعتقاد بسقوط بعض أخبار الكتاب، ومن ذلك ما نجده في أخبار مروان بن أبي حفصة التي وردت في موضعين متباعدين من الأغاني، نقرأ في أولهما (جـ١٢): «وخبره في ذلك يذكر في هذا الموضع من الكتاب» [٦٤] ، بيد أننا لا نقع على هذا الخبر في هذا الموضع وإنما في (غير) هذا الموضع، وضمن أخباره الثانية (جـ ٢٣)[٦٥]،

إذ كانت لذلك مناسبة تدعو إلى ذكرها في هذا الموضع الأخير، وفي ذلك ما يدل على سقوط كلمة (غير) من الجملة في طبعة دار الكتب وغيرها، وتابعتها في ذلك طبعة صادر الجديدة، كما تابعتها فيما أصاب بعض أسانيده من سقط أو نقص أو تحريف أو تصحيف في مواضع كثيرة ومنها هذا السند: «وذكر إسماعيل بن الساحر قال: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري»[٦٦]، وذلك يعني أن الساحر يروي عن الجوهري، وبينهما زمن بعيد!! فالأول: راوية السيّد الحميري[٦٧]، والثاني من شيوخ أبي الفرج[٦٨]، وفي ذلك ما يدل على أن أصل السند هو: وذكر إسماعيل بن الساحر [فيما] أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري.

ومما يشبه ذلك أيضًا ما نجده في هذا السند: «حدثنا يحيى بن محمد بن إدريس عن أبيه»[٦٩]. بينما نجد السند المذكور قبله على هذه الصورة: «حدثنا يحيى بن علي عن محمد بن إدريس عن أبيه»[٧٠]. ويحيى بن علي من خاصة شيوخ أبي الفرج، وقد أجازه برواية أخبار محمد بن إدريس عن أبيه[٧١]، ولسنا نعرف له رواية عن شخص اسمه: يحيى بن محمد بن إدريس، مما يدل على أن أصل السند: حدثنا يحيى عن [وليس بن] محمد بن إدريس، وقد ورد هذا التصحيف أو الخطأ المطبعي في طبعة دار الكتب، ونقلته هذه الطبعة عنها دونما تمحيص أو نقل من مخطوط.

ومن ذلك أيضًا ما نجده في هذا السند: «أخبرني الحسن بن علي العنزي[٧٢]» وهو: الحسن بن علي الخفاف الذي يروي عادة عن: الحسن بن علي العنزي؛ فأصل السند إذن: أخبرني الحسن بن علي (عن) العنزي. وقد تكررت صورة هذا السند لديه، فهو لا يروي عن العنزي مباشرة وإنما عن طريق عمه أو غيره،

وقد سقطت (عن) من طبعة الدار وما بعدها من الطبعات.

وفي الكتاب من أخطاء الوراقين والناسخين أشياء كثيرة وردت في طبعة الدار وغيرها من الطبعات التي تنقل منها، ومنها هذه الطبعة الجديدة أيضًا، ومن ذلك قولهم: «وهذا البيت في الغناء، وليس في القصيدة، فأضفناه كما يضيف المغنون إذا اختلف الروي والقافية»[٧٤]. وصنيع المغنين هذا إنما يكون في حال اتفاق شعرين لشاعرين مختلفين في الروي والقافية والوزن مما ييسر لهم إضافة هذا إلى ذاك، كما ذكر أبو الفرج أكثر من مرة[٧٥]، وفي ذلك ما يدل على أن الكلمة هي: اتفق بدلاً من اختلف.

ومن جملة هذه الأخطاء ما نقع عليه في أخبار ابن هرمة، إذ بعث إلى حسن بن الحسن بن علي بأبيات يلتمس فيها زقًا من نبيذ، وقد تكرر ذكر هذا الخبر في موضعين متباعدين من الأغاني، وأشار أبو الفرج في الموضع الثاني منهما إلى ذلك بقوله: «وقد ذكرته في أخبار ابن هرمة»[٧٦]. بيد أن اسم حسن قد تغير بينهما إلى: إبراهيم، ولو رجع المحققون إلى أخبار ابن هرمة التي أشار إليها أبو الفرج لتنبهوا إلى ذلك.

ولم تخل بعض الأصول الخطية التي اعتمد عليها محققو دار الكتب وغيرها من عبث الوراقين، وكان ينبغي الوقوف على حقيقتها، وبيان القول الفصل فيها عند إعادة تحقيقه وطبعه، ومن ذلك «أخبار بيهس الجرمي»[٧٧]، التي وردت في جزأين متباعدين من أجزائه، ولم يرد منها في الجزء الثاني عشر سوى اسمه ونسبه وخبر مبتور من أخباره، ولم تكن هنالك مناسبة لذكر ذلك في هذا الجزء، ثم وردت أخباره كاملة في الجزء الثاني والعشرين، مشتملة على ما مر ذكره من اسم بيهس ونسبه وذلك الخبر بتمامه، وبقية

أخباره التي نفذ إليها من خلال صوت من شعر بيهس مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء في بعض أشعار اليهود التي كان قد انتهى من سردها قبل قليل، وأتى بعدها على ذكر هذا الصوت أيضًا، وهو الصوت نفسه الذي ورد قبل أخبار بيهس المبتورة في الجزء الثاني عشر، ولم تكن هنالك مناسبة لذكره، وفي ذلك ما يدل على أن موضع هذه الأخبار هو الجزء الثاني والعشرون فحسب، وقد وردت في طبعة بولاق في موضع واحد هو الجزء التاسع عشر، بيد أن ذلك الخبر المشار إليه قد سقط منها(٧٨).

أما «أخبار عمرو بن سعيد»(٧٩) فلا نقع منها إلا على اسمه ونسبه فحسب، ثم تابع حديثه عن معبد وأصواته التي كان من جملتها صوت من شعر هذا الشاعر الذي ورد ذكره عارضًا في أخبار معبد، فذكر نسبه، ولم يقصد إلى سرد أخباره أو أخبار غيره في هذا المقام، ويبدو أن بعض الناسخين قد جعل لذلك عنوانًا مفردًا هو: «أخبار عمرو بن سعيد» ومن المرجح لدينا أنه ليس من صنع أبي الفرج.

ولم تتجاوز «أخبار المتلمس» صفحة واحدة، أتى فيها على ذكر اسمه ونسبه، وخبر يتصل بهذا النسب، نقرأ بعده قول الناسخ: «هنا انقطع ما ذكره الأصفهاني»(٨٠)، والانقطاع هنا متعلق بأخبار المتلمس، وليس بكتاب الأغاني، وقد جاءت هذه الصفحة في آخر جزء من أجزائه المطبوعة، وهي ليست من أخبار هذا الجزء الأخير في أصل تجزئة المؤلف، كما أشار إلى ذلك محققوه في طبعة الدار، وذكروا أنها وردت في نسختي ميونخ في موضعين مختلفين، وسقطت هذه الترجمة من طبعتي بولاق والساسي، ووردت في الجزء الحادي والعشرين الذي جمعه برونو، وأضاف إليه ترجمة

مطولة للمتلمس منقولة من أحد مخطوطات الأغاني، إذ كان صاحب هذا المخطوط أو ناسخه قد أضافه إليها، وهي غير واردة أصلاً في مختار ابن منظور، وما هو موجود منها في طبعة بيروت للمختار أو طبعة دار الثقافة[٨١] للأغاني منقول من الجزء الحادي والعشرين لبرونو، و لم يكن من العسير على محققي طبعة دار صادر الأخيرة البحث عن موضع هذه الأخبار وبقيتها في النسخ الخطية الكثيرة للأغاني، وقد ظلت أخبار المتلمس فيها في الصفحة الأخيرة من الجزء الأخير أيضًا، وعلق على ذلك محققوه بالقول: «أجريت محاولات لاستيفاء ترجمة المتلمس من غير كتاب الأغاني، وقد آثرنا أن نبقي كتاب الأغاني كما وضعه مؤلفه»[٨٢].

ومن مواطن الخلل والاضطراب التي ما تزال ظاهرة في طبعات هذا الكتاب، ومنها الطبعة الأخيرة أيضًا، ما نجده في «أخبار شعراء يهود» التي وردت في جزأين متباعدين من الأغاني، وكانت حافلة بأوهام شتى، ربما كان أبو الفرج بريئًا من كثير منها.

وتبدأ أخبار هؤلاء الشعراء في الجزء الثالث بصوت من شعر أحدهم قال أبو الفرج بعده: «الشعر لغريض اليهودي: وهو السموأل بن عاديا، وقيل لابنه سعية... وغريض هذا من ولد الكاهن بن هارون بن عمران»[٨٣].

وانتقل بعد ذلك إلى ذكر سعية فقال: «وأما سعية، فقد كان ذكر خبر جده السموأل غريض بن عادياء في موضع آخر، وكان سعية شاعرًا، وهو الذي يقول لما حضرته الوفاة يرثي نفسه [الأبيات]، وأسلم سعية، وعمّر طويلاً، ويقال إنه مات في آخر خلافة معاوية... وقال له [معاوية]: أنشدني شعر أبيك يرثي نفسه فأنشده [الأبيات السابقة نفسها]»[٨٤]. فغريض هنا في هذا الجزء هو السموأل بن

عادياء، وسعية ابنه تارة، وحفيده تارة أخرى، والأبيات المذكورة منسوبة إلى سعية مرة، ثم نجدها بعد عدة أسطر تنسب إلى أبيه!.

وإذا ما انتقلنا إلى أخبارهما في الجزء الثاني والعشرين، فإن الأمر يصبح أدهى وأمر، إذ تبدأ هذه الأخبار بصوت يقول أبو الفرج بعده: «الشعر للسموأل بن عادياء... وهو السموأل بن عريض [بالعين هنا بدل الغين] بن عادياء... وقال عمر بن شبة: هو السموأل بن عادياء، ولم يذكر عريضًا[٨٥]». وانتقل بعد ذلك إلى ذكر: «سعية بن غريض بن عادياء، أخي السموأل، شاعر، ومن شعره [الأبيات]»[٨٦]. وكانت هذه الأبيات نفسها قد وردت في الجزء الثالث منسوبة إلى سعية حيث كان ابن السموأل تارة، وحفيده تارة أخرى، ثم نُسبت إليه أيضًا بعد أن أصبح أخا السموأل.

وهكذا تختلط أخبار هذين الشاعرين وأسماؤهما وأشعارهما، فتختلف ما بين سطر وسطر، وصفحة وأخرى، وجزء وآخر، على الرغم من قلتها، إذ لا تكاد تتعدى في الجزأين صفحات عشرًا، دون أن نجد لذلك كله تفسيرًا واضحًا، ولسنا نستبعد أن يكون لبعض الناسخين أثر في هذا الاختلاط الذي ينبغي على المحققين البحث عن حقيقته في مخطوطات الكتاب، ولم نجد لمحققي هذه الطبعة من تعليق عليه سوى قولهم: «وقول أبي الفرج إن غريض هو السموأل مستغرب، فهو يذكر السموأل بأنه ابن غريض»[٨٧]، أو قولهم: «انظر [كذا] أبو الفرج في القول إن السموأل جد سعية، فهو في جميع المصادر أخوه»[٨٨]. وقد مرّ بنا أن سعية قد جُعل: ابن السموأل ثم حفيده ثم أخاه، كما جُعل السموأل: غريضًا [بالغين] وابن غريض أو عريض [بالعين] ووالد غريض أيضًا، فضلاً عن اختلاط أشعارهما كما مر.

ومن المسائل المهمة التي ينبغي الوقوف عندها، وإنعام النظر فيها مليًا، وأشار إليها د. عباس في مقدمته إشارة سريعة[٨٩]، مسألة ما يمكن أن يكون قد سقط من أخبار العتاهي والنواسي، أو نسيه أبو الفرج بعد أن وعد بذكره، وهي مسألة قديمة، كان ياقوت الحموي (– ٦٢٦هـ) قد تنبه إليها في أثناء حديثه عن أبي الفرج وأغانيه فقال: «وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشيء ولا يفي به في غير موضع منه، كقوله في أخبار أبي العتاهية: وقد طالت أخباره (هاهنا) وسنذكره مع خبر عتبة في موضع آخر، و لم يفعل. وقال في موضع آخر: أخبار أبي نواس وجنان خاصة، إذ كانت سائر أخباره قد (تقدمت)، و لم يتقدمَ شيء من ذلك، وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شيء، أو أن النسيان قد غلب عليه»[٩٠].

وهنالك بعض الفروق الدقيقة بين ما أورده ياقوت، وما هو مذكور فيما بين أيدينا من نسخ الأغاني المطبوعة التي نقرأ فيها قول أبي الفرج في صدر أخبار العتاهي: «ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره، سوى ما كان منها مع عتبة فإنه قد (أفرد) لكثرة الصنعة في تشبيبه بها، وأنها اتسعت جدًا فلم يصلح ذكرها (هنا) لئلا تنقطع المئة الصوت المختارة، وهي تذكر في (موضع آخر) إن شاء الله»[٩١]. وقال في آخر أخباره: «و لم أذكر (هاهنا) مع أخبار أبي العتاهية أخباره مع عتبة، وهي من أعظم أخباره، وفيها أغان كثيرة، وقد طالت أخباره (هاهنا) (فأفردها)»[٩٢]. كما نقرأ في صدر أخبار النواسي قول أبي الفرج: «أخبار أبي نواس وجنان خاصة، إذ كانت سائر أخباره قد (أفردت) خاصة»[٩٣].

ولعل مما لا يخفى ما لهذه الاختلافات والفروق من أثر في تفسير هذه الأقوال، والوقوف على حقيقتها، فقوله عن هذه الأخبار إنه لم يذكرها:

هاهنا، وإنما آثر أن يفردها، أو أنها قد (أفردت)، وليس قد تقدمت كما ورد عند ياقوت، إنما يدل –بادي الرأي– على أنه ربما كان قد أفرد تلك الأخبار بكتاب آخر من كتبه، أو ضمّنها بعض هذه الكتب التي تليق بها ككتاب مجموع الآثار والأخبار، أو كتاب الأخبار والنوادر(٩٤)، أو غيرهما من كتبه الكثيرة التي لم تصل إلينا، وقد وجدناه يستعمل كلمة (هاهنا) للدلالة على كتاب الأغاني، وكلمة (أفردها) للدلالة على إفرادها بكتاب آخر كقوله: «وقال القتّال قصائد كثيرة، ولم أذكرها (هاهنا) لطولها، وإنما نذكر (هاهنا) لمعًا، وسائره مذكور في كتاب: جمهرة أنساب العرب»(٩٥)، أو قوله في مقدمة الأغاني: «ولم يستوعب كل ما غني به في هذا الكتاب... إذ كان (أفرد) لذلك كتابًا مجردًا من الأخبار»(٩٦).

ومما يرجح ذلك ويقويه أننا لم نقع في الأغاني كله على إشارة إلى تلك الأخبار أو إحالة عليها على عادته في أخبار سائر الشعراء الذين تتكرر أخبارهم في أكثر من موضع في الأغاني كقوله في أخبار علي بن أمية: «وقد تقدم خبر أخيه في مواضع من هذا الكتاب»(٩٧)، وقوله: «وقد تقدم خبر أبيه»(٩٨)، وقوله: «وقد تقدم من خبر لبيد ما فيه الكفاية»(٩٩)، وقوله: «وقد تقدم هذا النسب في أخبار عويف القوافي»(١٠٠)، وقوله في بعض أخبار الفرزدق: «وأخباره تأتي بعد هذا في موضع آخر»(١٠١)، وقوله في أخبار مروان بن أبي حفصة التي تكررت في كتابه: «وقد تقدم خبره ونسبه»(١٠٢). وذلك كله مما نجده فعلاً في أجزاء أو مواضع سابقة أو لاحقة من الأغاني، ولم نجد فيما ذكر من أخبار العتاهي أو النواسي – على طولها –إشارة إلى شيء قد تقدم أو سيأتي من أخبارهما أو أشعارهما، على حين وجدناه يشير

في أخبار بعض الشعراء إلى بعض أخبار النواسي، ويعد بذكرها، ثم يذكرها فعلاً، كقوله في أخبار حسين بن الضحاك: «وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمرة، وأخبارهما في هذا المعنى تذكر في مواضعها»[١٠٣]، أو قوله في أخبار الوليد بن يزيد: «وله في ذكر الخمرة أشعار كثيرة، قد أخذها الشعراء، وأبو نواس خاصة، ولولا كراهة الإطالة لذكرتها هاهنا»[١٠٤]، و لم نجده يحيل إلى أخبار أبي نواس مع جنان التي لا وجود لها في الأغاني.

على أن المسألة لا تقف عند هذه الحدود فحسب، وإنما تتعداها إلى بعض الملاحظات الأخرى أيضًا، ومنها أننا وجدنا ياقوتًا نفسه يقول في أخبار علي الدهكي تلميذ أبي الفرج: «وقد وقعت إلينا إجازة برواية كتاب الأغاني عن أبي الفرج، كما وقعت إلينا إجازة برواية هذا الكتاب أحسن من هذه»[١٠٥]، وذلك يعني أن بين يديه نسختين أو إجازتين برواية الأغاني، فضلاً عن النسخ الأخرى التي أشار في معجمه إلى أنه وقف عليها أو اقتناها من الأغاني[١٠٦]، واطلاعه على أقدم مختصر للأغاني وهو مختصر للوزير المغربي (٤١٢هـ) الذي نقل إلينا أطرافًا مما ورد في مقدمته كما مر بنا قبل قليل، و لم يجد فيها جميعًا شيئًا من أخبار العتاهي أو النواسي التي أشار إليها.

وكذلك كان شأن ابن واصل الحموي (– ٦٩٧هـ) إذ قام بتجريد الأغاني، واطلع على مختصر المغربي[١٠٧]، ونقل إلينا شيئًا من مقدمته أيضًا كما ذكرنا من قبل، و لم يجد فيه أو فيما بين يديه من نسخ الأغاني شيئًا من تلك الأخبار التي لم يرد لها ذكر في تجريده.

كما قام ابن منظور (– ٧١١هـ) باختصار الأغاني، و لم يجد هذه الأخبار في النسخ التي وقف عليها من الكتاب، كما لم يجدها في مختصر آخر قديم

للأغاني للقاضي الزبيري المصري (– ٥٦٣هـ) الذي نقل إلينا بعض ما ورد في مقدمته كما مر بنا من قبل، ولذلك فقد عمد ابن منظور إلى صنع ترجمة موسعة لأبي نواس، وضمّنها مختاره، وقال في صدرها: «هذه الترجمة ترجم عليها أبو الفرج بما صورته: أخبار أبي نواس وجنان خاصة، إذ كانت سائر أخباره قد (ذكرت). ولم أجد لأبي نواس ترجمة (مفردة) في نسخ الأغاني التي وقفت عليها، وما أدري هل أغفل أبو الفرج ذكره في كتابه، أم سقطت ترجمته من كتابه»[١٠٨]. ومن الملاحظ أنه قال على لسان أبي الفرج: قد (ذكرت)، وفيما بين أيدينا من مطبوعاته: قد (أفردت)، ولعل في قوله بعد ذلك: ولم أجد له ترجمة (مفردة) في الأغاني، ما يدل على أنها: قد أفردت، وليس: قد ذكرت، وقد بيّنا قبل قليل ما لذلك من دلالات.

وممن اختصر الأغاني من المتأخرين من أهل المغرب عبد القادر السلوي (من رجال القرن الهجري الثاني عشر)، وليس في مختصره أثر لتلك الأخبار، ويبدو أنه لم يجدها في أصول الأغاني التي اعتمد عليها في مختصره، فعمد إلى إضافة ترجمة موسعة لأبي نواس، وقال في خاتمتها: «وليست من تراجم الكتاب الأصلية»[١٠٩]، وأتى بعدها على ذكر: «أخبار أبي نواس وجنان خاصة» كما وردت في الأغاني.

وفي ذلك كله ما يؤكد أن أصول هذا الكتاب الخطية التي اطلع عليها هؤلاء المؤلفون – على اختلاف عصورهم وأمصارهم– لا تتضمن شيئًا من تلك الأخبار التي مازال بعض المحققين والدارسين يبحث عنها، مما يدعونا إلى حسم القول في هذه المسألة التي طال الحديث عنها، والحكم الجازم بأن هذه الأخبار لم تسقط من الأغاني لأنها غير واردة فيه أصلاً[١١٠].

الحواشي والفهارس:

وإذا ما تجاوزنا أخبار الأغاني، وما بدا لنا فيها من ملاحظات تشمل هذه الطبعة الأخيرة خاصة، وغيرها من طبعات الأغاني، إذ كان بعضها ينقل من بعض، أو يعتمد عليه اعتمادًا كبيرًا، فإن هنالك بعض الملاحظات الأخرى التي تتصل بحواشي هذه الطبعة وفهارسها، ومن ذلك أن تخريج الأشعار في هذه الحواشي لم يجر على سنة واحدة، أو منهج محدد، وإذا ما ضربنا لذلك بعض الأمثلة نجد أن الأشعار الواردة في الجزء الثالث والعشرين لم تخرّج من دواوين الشعراء أو غيرها، على حين نجد الأشعار الواردة في الجزء الأول وقد خرّجت جميعًا من دواوين الشعراء، كما نجد الأشعار الواردة في أخبار دعبل الخزاعي في الجزء العشرين وقد خرّج بعضها، ولم يخرّج بعضها، ونجد كثيرًا من هذه التخريجات على هذه الصورة: ديوانه... عن الأغاني(١١١)، وكان من الأجدى البحث عن هذه الأشعار في مصدر آخر كي لا تكون بضاعة الأغاني قد ردت إليه.

أما الفهارس: فقد توزعت في جزأين، إذ تبدأ في أواخر الرابع والعشرين بفهرس الموضوعات الذي يشتمل على صفحات غير كثيرة(١١٢)، وكان بالإمكان ضمها إلى بقية الفهارس التي خصص لها الجزء الخامس والعشرون واشتملت على: فهرس المئة الصوت، وفهرس القوافي، وفهرس الشعراء، وفهرس الأمثال، فالمصادر والمراجع، وأغفلت بعض الفهارس المهمة للمغنين وسائر الأعلام والأيام وهي من الفهارس التي لا يستغني عنها باحث في مثل هذا الكتاب الضخم.

ومن أبرز الملاحظات المتصلة بفهرس الشعراء هو سرد أرقام الصفحات

التي ورد فيها ذكر الشاعر وإن كانت هذه الصفحات ضمن أخباره، وقد جرت العادة على ذكر أخبار شاعر كالفرزدق مثلاً بين قوسين (٢١/ ١٩٣ - ٢٨٣) أو بخط فاحم أو غامق، إذ سيرد ذكر اسمه في كل صفحة منها تقريبًا، ولسنا نرى من مسوغ لذكر أرقام هذه الصفحات على تواليها، أما المواضع الأخرى التي يرد فيها ذكره فينبغي الإشارة إليها بأرقام الصفحات كما هو الشأن في هذا الفهرس.

ولم تخل فهارس الشعراء أو القوافي خاصة من شيء غير قليل من السقط أو التقصير، ومن ذلك مثلاً: الحارث بن خالد ٩/ ١٦٧، ١٦٩ والصحيح ١٦٨ أيضًا، وعبد الرحمن بن الحكم ١٥/ ٧٩، ٨٢ والصحيح ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٤. ومروان الأصغر ١٢/ ٥٢، ٥٣ والصحيح ٥٢ إلى ٥٨ على التوالي إذ يرد اسمه في كل صفحة منها. وأم حكيم بنت يحيى ١٦/ ١٨٦، وفي هذا الموضع إشارة إلى صوت من شعرها، أما أخبارها التي وردت بعد ذلك ١٦/ ١٨٧ إلى ١٩٢ ويتكرر ذكر اسمها في كل صفحة منها تقريبًا، فليست في هذا الفهرس إشارة إلى ذلك. وعلي بن أمية ٢٣/ ٩٦ وليس له ذكر في هذه الصفحة، أما أخباره التي وردت ١٢/ ١٠٠ وما بعدها فليس لها ذكر في هذا الفهرس. وبيهس الجرمي ٢٢/ ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩ والصحيح ٩٥ إلى ١٠٠ على التوالي. والأحوص ١٢/ ٧٨، ٨٤ وله في هذا الجزء أخبار متصلة من ٧٦ إلى ٨٠ يرد فيها اسمه في كل صفحة، وليست لذلك إشارة في الفهرس. وعمر بن أبي ربيعة ٩/٩ وليس له ذكر في هذه الصفحة، والفرزدق ٢١/ ١٩٢ صوت من شعره ولم تكن هنالك إشارة إلى هذه الصفحة في فهرس الشعراء، والمتلمس له أبيات عينية ٢٤/ ١٤٥ وبيت

آخر ١٤٦ ولم يرد لذلك ذكر في فهرس القوافي. وغريض ٣/ ٧٩ وما بعدها و١٩/ ٢١، وهو السموأل كما ذكر أبو الفرج ٣/ ٧٩، ولعل من المفيد الإشارة إلى ذلك بالقول: وانظر السموأل في فهرس الشعراء.

ذلك ما بدا لنا في أثناء تقليب النظر في هذه الطبعة الجديدة من ديوان العرب، كتاب الأغاني، وكنا نأمل أن تكون أكمل من سابقاتها، وأبرأ من بعض ما فيها من أخطاء وغيرها، لما لمحققي هذه الطبعة من مكانة وقدر بين أهل العلم. ومما لا شك فيه أن الكتاب مايزال بحاجة إلى تضافر جهود مخلصة: تعمل على إعادة تحقيقه وطبعه طبعة علمية جديدة، تعتمد على أحسن مخطوطاته، وتستأنس بمختصراته القديمة، وتنظر فيما كتب حول الأغاني ومؤلفه من أبحاث ودراسات، وتتخذ المعارضة والمقارنة منهجًا في التحقيق والتوثيق، وتصنع له فهارس تامة ووافية، فتقدم لنا هذا الكتاب الجليل، وللدار التي يطبع فيها: تحية واستجابة لأمنية طالما كنا نرجو أن تتحقق، كما يقول د. إحسان عباس في مقدمة هذه الطبعة.

والله الهادي إلى الصواب.

الحواشي

(١) مقدمة ابن خلدون: ص ١٠٧٠.

(٢) أبـــو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني: أحمد طالب -مجلة آفاق الثقافة والتراث- دبي — ع١- س ١٩٩٨- ص ٩٠.

(٣) مؤلفات أبي الفرج الأصبهاني وآثاره: محمد خير شيخ موسى - التراث العربي — دمشق- ع٧- س ١٩٨٢- ص ١٧٦.

(٤) الأغاني - ط دار صادر: ١/ ١٤.

(٥) م. ن ١/ ١١.

(٦) تاريخ التراث العربي: ١: ٢/ ٢٨٣- ٢٨٤.

(٧) الأغاني - ط صادر: ١/ ١٥.

(٨) م. ن: ١/ ٥- ٦.

(٩) تاريخ بغداد: ١١/ ٤٠٠.

(١٠) الأغاني - ط صادر: ١/ ٦ ويقال: أصفهان وأصبهان وإصبهان.

(١١) الفهرست - ط طهران ١. وانظر مقدمة المحقق: ج- وفيها إشارة إلى أن ما بين قوسين ليس في طبعة فلوجل.

(١٢) م. ن ١٥٨ حيث يقول: «حدثني أبو الفرج الأصبهاني» و٧٥ «حدثنا علي بن الحسين القرشي» و١٦١.

(١٣) الأغاني — ط دار الكتب ١٠/ ٦٧.

(١٤) م. ن ١٦/ ٣٨٤.

(١٥) مقاتل الطالبيين: ص ٦٩٨.

(١٦) الأغاني — ط دار الكتب ٢٣/ ٢٢. وصادر ٢٣/ ٣٣. وانظر ٣/ ١١٤ و٢٤/ ٥٢ ط دار الكتب.

(١٧) جمهرة أنساب العرب: ص ١٠٧. وذكر أن لمروان عقب بأصبهان ومصر.

(١٨) انظر الأغاني ط دار الكتب ٤/ ١٣٢ و٨/ ١٧٨ و١٣/ ٢٢٨ و١٤/ ٢٠ و ٣٣٢ و٢١/ ٢٧٩ و٢٣/ ٩٧ و١٠٠ وغيرها.

(١٩) م. ن ٤/ ١٣٢ و٢١/ ٢٧٩ و٢٣/ ٩٧ و١٩٩ و٢٠/ ١٩٥.

(٢٠) ظهر الإسلام ٢/ ٥. وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٠٧.

(٢١) الأغاني – ط دار الكتب ٦/ ١٧٣.

(٢٢) م. ن ١/ ١ ودار صادر ١/ ٢٣.

(٢٣) الأغاني – ط صادر ١/ ٨.

(٢٤) الفهرست – ط طهران: ص ١٢٨ ومصر ١٧٣.

(٢٥) ذكر أخبار أصبهان ٢/ ٢٢.

(٢٦) تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٠.

(٢٧) معجم الأدباء ١٣/ ٩٥.

(٢٨) أدب الغرباء ٨٨.

(٢٩) الأغاني – ط صادر ١/ ٩– ١٠.

(٣٠) الفهرست ط طهران ١٩٠ ومصر ١٤١، ووفيات الأعيان ٢/ ١٧، وكشف الظنون ١/ ٧٧٠ و٧٧٩.

(٣١) رنات المثالث والمثاني من روايات الأغاني ١/ ١٣.

(٣٢) الأغاني ط دار الكتب ١/ ٣١. ثم انظر مثلاً: أبو الفرج الأصفهاني لعبد الجواد الأصمعي ١٥٩، وتاريخ الأدب العربي لفروخ ٢/ ٤٩١، ودراسة كتاب الأغاني لداود سلوم ٧، وغيرها.

(٣٣) ذكره صاحب الفهرست ط مصر ١٧٣ ويتيمة الدهر ٣/ ٣٠٨ وتاريخ بغداد ١١ / ٣٩٨ وإنباه الرواة ٢/ ٢٥٢ وتجريد الأغاني ١/ ٥ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٨ ومعجم الأدباء ١٣/ ٩٩ (مصحفًا إلى الديانات) والبداية والنهاية ١١/ ٣٦٣ (مصحفًا إلى المزارات، وأشار إلى أنه نقله من الوفيات وفيه: الديارات، مما يدل على التصحيف) وكشف الظنون ١/ ٧٦٢. وجمع جليل العطية بعض =

=النصوص التي اعتقد أنها منقولة منه، وضم إليها نصوصًا أخرى من الأغاني وغيره حول الديارات، وطبعها بعنوان: كتاب الديارات لأبي الفرج الأصفهاني – تحقيق [كذا] جليل العطية!! – دار رياض الريس – لندن – ١٩٩١. وكذلك فعل في كتاب القيان – ط لندن ١٩٨٩. ونقل في مقدمة هذين الكتابين ماورد في بحثنا: مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني وآثاره: مجلة التراث العربي بدمشق – ع ٧– س ١٩٨٢، وبحثنا: أبو الفرج الأصفهاني أديب مشهور ومغمور: عالم الفكر – الكويت – مج١٥ – ع١– س ١٩٨٤ نقلاً حرفيًا في الأغلب الأعم، وتلخيصًا أحيانًا، بما في ذلك الأخطاء الطباعية وغيرها، ولم يشر إلى ذلك، إلا في موضع واحد في مقدمة القيان، وفي أثناء حديثه عن أحد مختصرات الأغاني المخطوطة التي وقفنا عليها، وقمنا بوصفها في المقالة الأولى.

(٣٤) ذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ١٠٦.

(٣٥) ذكره ابن خلكان في الوفيات ٣/ ٣٠٧.

(٣٦) ذكره صاحب الفهرست ١٧٣ (ط مصر). والمقصود به: هارون بن علي المنجم.

(٣٧) تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٨ وإنباه الرواة ٢/ ٢٥٢ وتجريد الأغاني ١/ ٥ والوفيات ٣/ ٣٠٨ وكشف الظنون ٢/ ١٩٥٢.

(٣٨) ذكرها أبو الفرج في الأغاني – ط دار الكتب ٨/ ٣٧٤ و١٠/ ٩٧.

(٣٩) الفهرست ١٧٣ (ط مصر) ومعجم الأدباء ١٣/ ٩٩.

(٤٠) الأغاني – ط دار صادر ١/ ٩ و١٠ وانظر مثلاً دراسة في مصادر الأدب لمكي ١/ ١٨١.

(٤١) الأغاني – دار الكتب ١/ ١ ثم ٢/ ٧٦ وانظر الفهرست ١٧٣ (ط مصر) وتاريخ بغداد ١١/ ٣٩٨.

(٤٢) الأغاني – دار صادر ١/ ١٠– ١١.

(٤٣) م. ن ١/ ٨.

(٤٤) انظر في رحلاته بحثنا: أبو الفرج الأصبهاني – عالم الفكر – الكويت – مج ١٥ – ع ١ – س ١٩٨٤.

(٤٥) معجم الأدباء ١٣/ ٩٧- ٩٨.

(٤٦) تجريد الأغاني ١/ ٥.

(٤٧) مختار الأغاني ١/ ١.

(٤٨) الحلة السيراء ١/ ٢٠١ - ٢٠٢ وانظر مقدمة ابن خلدون ٤/ ٣١٧ ونفح الطيب ١/ ٣٨٦ و٣/ ٧٢.

(٤٩) معجم الأدباء ٢/ ٣٣.

(٥٠) معاهد التنصيص ٢/ ٦٣.

(٥١) انظر مثلاً: دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٨٨ وتاريخ بروكلمان ٣/ ٦٨ ونيكلسون ٤٠ ومصادر الدراسة الأدبية اداغر ١/ ١٦٤ ودراسة في مصادر الأدب لمكي ١/ ١٧٠ ومناهج التأليف للشكعة ٣١٢ والأدب العربي في العصر الأيوبي لسلام ١٣١.

(٥٢) أبو الفرج الراوية ٧٦- ٨٨.

(٥٣) وانظر غير ما ذكرناه: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٢ وكشف الظنون ١/ ١٢٩. وذكر جليل العطية أنه اطلع على نسخة مخطوطة منه في مجلدين بمكتبة باريس رقم ٥٧٦٦ و٥٧٦٩ كتبت بواسط بالعراق سنة ٦٩٩هـ. وانظر القيان ص ٢٣.

(٥٤) معجم الأدباء ١٢/ ٢١٦ و٢١٧ و١٣/ ١٢٥.

(٥٥) الأغاني – دار الكتب ٨/ ٣٨٤ - ٤٣٥- ودار الثقافة ٢٣/ ٤٤٤- ٥١١ وانظر الحاشية ص ٤٤٤، وفيها إشارة إلى أنها من أخبار الجزء الثامن أصلاً.

(٥٦) الأغاني - دار الكتب ٦/ ٢٠٨ – وصادر ٦/ ١٤٧.

(٥٧) م. ن ٨/ ٣٥١. وصادر ٨/ ٢٥٢.

(٥٨) م. ن ٨/ ٣٢٦ وصادر ٨/ ٢٣٤.

(٥٩) م. ن ٩/ ٦٢ وصادر ٩/ ٤٨.

(٦٠) م. ن ١٠/ ٢٧٦ وصادر ٨/ ٢.

(٦١) وكان ذلك في ١٧ موضعًا بالنسبة للشعراء و١١ موضعًا بالنسبة للمغنين، وانظر بحثنا: مقدمة في النقد التوثيقي عند العرب: مجلة المعرفة - دمشق – ع ٢٥٦- س ١٩٨٣- ص ٧- ٤٧- الحاشية ٩٢ – ٩٥.

(٦٢) الأغاني – ط دار صادر ٧/ ٢٠٦ ودار الكتب ٧/ ٢٧١.

(٦٣) م. ن - صادر ١/ ١٥٥.

(٦٤) م. ن – صادر ١٢/ ٥٣ ودار الكتب ١٢/ ٨٠.

(٦٥) م. ن – صادر ٢٣/ ١٧٧ وما بعدها، ودار الكتب ٢٣/ ٢١١ وما بعدها.

(٦٦) م. ن - صادر ٧/ ١٩٨ ودار الكتب ٧/ ٢٦٠.

(٦٧) م. ن – صادر ٧/ ١٨١ ودار الكتب ٧/ ٢٢٩- ٢٧٨.

(٦٨) م. ن – صادر ١/ ٦٣ و٢/ ١٥٩ و٧/ ١٨٢ و٢٠٤ و١٠/ ٦٧ ودار الكتب ١/ ٢٠٩ و٢/ ٩٧ و١٠/ ٢٩٠ وغيرها كثير.

(٦٩) م. ن - صادر ١٨/ ١٠٦ ودار الكتب ١٨/ ١٤٧.

(٧٠) م. ن - صادر ١٨/ ١٠٥ ودار الكتب ١٨/ ١٤٨.

(٧١) م. ن - صادر ١٨/ ١٠٥ ودار الكتب ١٨/ ١٤٨.

(٧٢) م. ن - صادر ٢٣/ ١٨٦ ودار الكتب ٢٣/ ٢١٨.

(٧٣) م. ن - صادر ١١/ ١٧٢ «أخبرنا الحسن بن علي عن العنزي» و٢٣/ ١٧٧ «أخبرنا عمي عن الحسن بن عليل» و٢٣/ ١٧٥ وغيرها. ودار الكتب ١/ ٣١٨ و١٤/ ١٠٢ و٢/ ٢ و١١/ ٢٧٧ ومواضع كثيرة جدًا.

(٧٤) م. ن – صادر ١٣/ ١٥٨ ودار الكتب ١٣/ ٢٢٥.

(٧٥) م. ن - صادر ١٧/ ٧٠ وانظر دار الكتب ٩/ ٢٠٨ و١١/ ٢٧٧ و٦/ ١١٥.

(٧٦) م. ن – صادر ١١/ ٢٣٦ ثم انظر ٦/ ٧٢. ودار الكتب ١١/ ٢٥٢ ثم ٦/ ٩٨.

(٧٧) م. ن - صادر ١٢/ ٣٣ ثم ٢٢/ ٩٦- ١٠٠. ودار الكتب ١٢/ ٤٦ ثم ٢٢/ ١٣٥- ١٤١.

(٧٨) الأغاني – ط بولاق ١٩/ ١٠٧- ١١١.

(٧٩) الأغاني – ط صادر ٩/ ٩٦ ودار الكتب ٩/ ١٣٠.

(٨٠) م. ن – صادر ٢٤/ ١٤٦ ودار الكتب ٢٤/ ٢٦١ وانظر الحاشية ص ٢٦٠.

(٨١) مختار الأغاني ١١/ ١٠١– ١٣٥ والأغاني – ط دار الثقافة ٢٣/ ٥٢٤ وما بعدها.

(٨٢) الأغاني – ط صادر ٢٤/ ١٤٦ الحاشية.

(٨٣) م. ن – ط صادر ٣/ ٧٩– ٨١ ودار الكتب ٣/ ١١٥– ١١٦.

(٨٤) م. ن – ط صادر ٣/ ٩٠ – ٩١ ودار الكتب ٣/ ١٢٩– ١٣١.

(٨٥) م. ن – ط صادر ٢٢/ ٨٣– ٨٤ ودار الكتب ٢٢/ ١١٦– ١١٧. وانظر ٦/ ٣٣٣ وفيها «السموأل بن عادياء الغساني».

(٨٦) م. ن – ط صادر ٢٢/ ٨٧ ودار الكتب ٢٢/ ١٢٢.

(٨٧) م. ن – ط صادر ٣/ ٧٩ (الحاشية).

(٨٨) م. ن – ط صادر ٣/ ٩٠ (الحاشية).

(٨٩) م. ن – ط صادر ١/ ١٢.

(٩٠) معجم الأدباء ١٣/ ٩٨– ٩٩.

(٩١) الأغاني – ط صادر ٤/ ٥ ودار الكتب ٤/ ١.

(٩٢) م. ن – ط صادر ٤/ ٨٩ ودار الكتب ٤/ ١١٢.

(٩٣) م. ن – ط صادر ٢٠/ ١٧ ودار الكتب ٢٠/ ٦١.

(٩٤) ذكرها صاحب الفهرست ١٧٣ (ط مصر) ومعجم الأدباء ١٣/ ٩٩.

(٩٥) الأغاني – ط صادر ٢٢/ ٦ ودار الكتب ٢٢/ ٣.

(٩٦) م. ن – ط صادر ١/ ٢٣ ودار الكتب ١/ ١.

(٩٧) م. ن – ط صادر ٢٣/ ١٢٣ وانظر ١٢/ ١٠٠– ١٠٨. ودار الكتب ٢٣/ ١٣٤ وانظر ١٢/ ١٤٥– ١٥٥.

(٩٨) م. ن – ط صادر ٢٤/ ٥٦ وانظر ٦/ ١٩ و١٨/ ٢١٩. ودار الكتب ٢٤/ ٩٧ وانظر ٦/ ٢١.

(٩٩) م. ن – ط صادر ١٧/ ٤٤ وانظر ١٥/ ٢٤٦. ودار الكتب ١٧/ ٦٥ وانظر ١٥/ ٣٦١– ٣٧٩.

(١٠٠) م. ن – ط صادر ١٧/ ١٦٦ وانظر ١٩/ ١٣٣ ودار الكتب ١٧/ ٢٣٠ وانظر ١٩/ ١٨١– ٢١٠.

(١٠١) م. ن – ط صادر ٩/ ٢٤٠ وانظر ٢١/ ١٩٣– ١٤٦ ودار الكتب ٩/ ٣٢٤ وانظر ٢١/ ٣٧٥– ٤٠٤.

(١٠٢) م. ن – ط صادر ٢٣/ ١٧٧ وانظر ١٢/ ٥٣– ٥٨ ودار الكتب ٢٣/ ٢٠٦ وانظر ١٢/ ٨٠– ٨٧.

(١٠٣) م. ن – ط صادر ٧/ ١١١ وانظر ١١٢ و١١٨. ودار الكتب ٧/ ١٤٦ وانظر ١٤٧ و١٥٥ و١٥٦.

(١٠٤) م. ن – ط صادر ٧/ ١٨ وانظر ١١٢ و١١٨. ودار الكتب ٧/ ٢٠ وانظر ١٦/ ٤٠٣.

(١٠٥) معجم الأدباء ١٢/ ٢١٧.

(١٠٦) م. ن ١٣/ ١٢٥.

(١٠٧) تجريد الأغاني ١/ ٦.

(١٠٨) مختار الأغاني ٤/ ١ وانظر ١/ ١.

(١٠٩) إدراك الأماني من كتاب الأغاني — مخطوطة القصر الملكي بالرباط — ٢٣/ ١١٦ (وتقع في ٢٥ جزءاً).

(١١٠) وقد ذكر بروكلمان ٢/ ٢٩ أن «أبا الفرج قد ترجم أبا نواس بتوسع في النسخة المسماة بالأغاني الصغيرة الموجودة في مكتبة غوتا» ولسنا نعرف للأغاني نسخة صغيرة!. وإن كنا نعتقد يقينًا أن المقصود بها: مختار الأغاني لابن منظور الذي وردت فيه ترجمة موسعة لأبي نواس من صنع ابن الأعرابي أضافها ابن منظور إلى مختاره، وأشار إلى أنها ليست من تراجم الأغاني الأصلية كما مر بنا قبل قليل. واعتقد محقق طبعة دار الثقافة للأغاني (٢٠/ ٣) أ. عبد الستار فراج=

=بوجود هذه النسخة،، ووعد بالحصول عليها، وإلحاق أخبار أبي نواس الواردة فيها بالجزء الأخير، إلا أنه عاد إلى القول في هذا الجزء الأخير إنه لم يحصل عليها بعد، ووعد بالبحث عنها. وهي مطبوعة ضمن مختار ابن منظور!، وعنه نقل الأستاذ عبد الستار تلك الترجمة إلى طبعة دار الثقافة بعد ذلك، كما نقلتها طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ودار الشعب بالقاهرة.

(١١١) انظر مثلاً أشعار نصيب والعرجي في الجزء الأول.

(١١٢) الأغاني — ط دار صادر ٢٤/ ١٥١– ١٨٨.

مسرد المصادر والمراجع

- أبو الفرج الأصفهاني: محمد عبد الجواد الأصمعي: ط٢– دار المعارف بمصر. د. ت.
- الأدب العربي في العصر الأيوبي: د. محمد زغلول سلام.
- أدب الغرباء: لأبي الفرج الأصبهاني — علي بن الحسين (بعد ٣٦٢هـ) — تحقيق صلاح الدين المنجد — ط١ - بيروت ١٩٧١.
- إدراك الأماني من كتاب الأغاني: لعبد القادر السلوي (القرن ١٢هـ)– مخطوط خزانة القصر الملكي بالرباط — رقم ٢٧٠٦.
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: للسخاوي محمد بن عبد الرحمن (– ٩٠٢هـ) —ط١ - دمشق — ١٩٤٩.
- الأغاني: لأبي الفرج الأصبهاني: طبعة دار صادر وغيرها بالنص.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة: للقفطي جمال الدين (– ٦٤٦هـ) — تحقيق أبي الفضل — ط١ - مصر ١٩٥٢.
- البداية والنهاية: لأبي الفدا إسماعيل بن عمر (– ٧٧٤هـ) — ط١ - بيروت — ١٩٦٦.
- تاريخ الأدب العربي: بروكلمان (– ١٩٥٦م) — ترجمة النجار — ط٣ القاهرة — ١٩٧٤.
- تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ — بيروت — دار العلم — ١٩٦٨.
- تاريخ الأدب العربي: نيكلسون — ترجمة صفاء خلوصي — بغداد — ١٩٦٧.

- تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي (- ٤٦٣هـ) ط١ – القاهرة – ١٩٣١.
- تاريخ التراث العربي: م فؤاد سزكين – ترجمة حجازي ورفاقه – ط١ – القاهرة – ١٩٧٧.
- تجريد الأغاني من المثالث والمثاني: لابن واصل الحموي (- ٦٩٧هـ) – تحقيق الأبياري وطه حسين – مصر ١٩٥٥.
- جمهرة أنساب العرب: لابن حزم الأندلسي (- ٤٥٦هـ) تحقيق عبد السلام هارون – ط١- مصر ١٩٦٢.
- الحلة السيراء: لابن الأبار الأندلسي (- ٦٥٨هـ) – تحقيق حسين مؤنس – ط١- القاهرة ١٩٦٣.
- دائرة المعارف الإسلامية: الترجمة العربية – ط١ – مصر – ١٩٣٣.
- دراسة كتاب الأغاني: د. داود سلوم. ط١ دار النهضة العربية – القاهرة – ١٩٧٧.
- دراسة في مصادر الأدب العربي: د. طاهر مكي. ط٣ – مصر ١٩٦٨.
- الديارات: منسوب لأبي الفرج الأصبهاني- جمع جليل العطية – ط١- لندن – رياض الريس ١٩٩١.
- ذكر أخبار أصبهان: لأبي نعيم الأصهاني (- ٤٣٠هـ) – تحقيق ديدرنغ – ليدن- ١٩٣٤.
- رنات المثالث والمثاني في روايات الأغاني: لأنطون الصالحاني اليسوعي (- ١٩٤١م) – ط١- بيروت ١٩٢٣.
- صاحب الأغاني أبو الفرج الراوية: د. محمد أحمد خلف الله – ط٣- القاهرة – ١٩٦٨.
- ظهر الإسلام: د. أحمد أمين – بيروت ١٩٦٩.

مسرد المصادر

- العبر (تاريخ ابن خلدون عبد الرحمن – ٨٠٨): ط بيروت – ١٩٥٩.
- الفهرست: لابن النديم محمد بن إسحاق (نحو ٤٠٠هـ) ط. طهران – والتجارية بمصر (بالنص).
- القيان: منسوب لأبي الفرج الأصبهاني – جمع جليل العطية – دار رياض الريس – لندن ١٩٨٩.

- كشف الظنون: لحاجي خليفة (– ١٠٦٧هـ) ط بغداد – ١٩٤١ (مصورة).
- مختار الأغاني: لابن منظور محمد بن المكرم (– ٧١١هـ) – تحقيق الأبياري – مصر ١٩٦٥ (وغيرها بالنص).
- مصادر الدراسة الأدبية: مرسيل داغر – ط٢ – صيدا – لبنان – ١٩٦١.
- معاهد التنصيص: لعبد الرحيم العباسي (– ٩٦٣هـ) – تحقيق محيي الدين – مصر ١٩٤٧.
- معجم الأدباء: لياقوت الحموي (– ٦٢٦هـ) – تحقيق الرفاعي ط١ – القاهرة ١٩٣٦– ١٩٣٨.
- مقاتل الطالبيين: لأبي الفرج الأصبهاني – تحقيق أحمد صقر – ط١ – القاهرة ١٩٤٩.
- مقدمة ابن خلدون: ط٢– بيروت – دار الكتاب – ١٩٦١.
- مناهج التأليف عند العلماء العرب: د. محمد مصطفى الشكعة – دار العلم – بيروت – ١٩٧٣.
- نفح الطيب: للمَقَّري أحمد بن محمد (– ١٠٤١هـ) تحقيق د. إحسان عباس – بيروت ١٩٦٨.
- وفيات الأعيان: لابن خَلِّكان أحمد بن محمد (– ٦٨١هـ) – تحقيق د. إحسان عباس بيروت ١٩٧١.
- يتيمة الدهر: للثعالبي أبي منصور (– ٤٢٩هـ)– تحقيق محيي الدين– ط٢– بيروت ١٩٧٣.
- مجلة آفاق الثقافة والتراث: دبي – مركز جمعة الماجد – ع – س ١٩٩٨.
- مجلة التراث العربي: دمشق – ع ٧ – س ١٩٨٢.
- مجلة عالم الفكر: الكويت – مجلد ١٥– ع١– س ١٩٨٤.
- مجلة المعرفة: دمشق – ع ٢٥٦ – س ١٩٨٣.

أحمد البوني وكتابه :

«التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف»

د.سعد بوفلاقة

توطئة:

ترمي هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على مصنَّف مُهمٍّ من مُصنّفات عَلَمٍ من أعلام الفكر في حضارتنا العربية الإسلامية، وهذا المصنَّفُ يتمثل في كتاب: «التعريف ببونة[١] إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف[٢]»[٣] لأحمد بن قاسم البوني أحد مشاهير الكُتّاب وأكثرهم خصبًا وإنتاجًا في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر للهجرة.

وتتناول هذه الدراسة في شقها الأول: حياة أحمد بن قاسم البوني وآثاره.

أمّا في شقها الثاني، فتتناول كتابه المذكور بالتعريف والتحليل، هذا الكتاب الذي يعدُّ من أهم الكتب التي عرّفت ببونة وعلمائها، لأنَّ مصنفاته في التاريخ لم يصلنا منها إلا هذا الكتاب ومنظومته المسماة: «الدّرة المصونة في علماء وصلحاء بونة»[٤]، وهي المنظومة التي اختصرها من منظومته الكبرى المحتوية على ثلاثة آلاف بيت، وتحتوي المنظومة المختصرة على ألف بيت، وقد شرحها، وكان شرحها متداولاً إلى عهد قَريبٍ، ومصيرهُ مصير كثير من كتب التراث، ضاعت بين «جامد وجاهد»[٥].

سنستعرض التعريف بالكتاب، ودوافع تأليفه ثم مصادره ومحتواه، وقيمته العلمية والتاريخية.

ونختم الدّراسة بفذلكة نلخص فيها أهمّ الأفكار التي وردت في الكتاب.

أوّلاً : حياته وآثاره

١- حياته (موجز ترجمته):

هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسي التميمي البوني، وُلد ببونة المعروفة الآن بعنابة في شرقي الجزائر سنة (١٠٦٣هـ/١٦٥٣م)، وتوفي فيها سنة (١١٣٩هـ/١٧٢٦م). نشأ في أسرة ميسورة الحال، فقد كانت عائلتُه تنتمي إلى «مجموعة بشرية واسعة مُمتدّة غربًا إلى نواحي قسنطينة، وشرقا إلى نواحي الكاف وباجة، حيث أخذ أحمد بن قاسم العلم من هذه النواحي»[٦].

وفي بونة بدأ تعلّمه على يد والده قاسم، وجدّه محمد ساسي، والإمام الشيخ إبراهيم بن التومي (سيدي إبراهيم)، وغيرهم، ثم واصل دراسته متنقّلاً بين المغرب الأقصى وتونس، كما رحل إلى المشرق العربي، وأخذ بمصر عن الشيخ عبد الباقي الزرقاني المتوفى سنة (١٠٩٩هـ/١٦٨٨م)، والشيخ يحيى الشاوي الملياني بعد عودته من الحج، وتصدّره للإقراء بالأزهر الشريف، وغيرهما، ثم عاد إلى بونة مسقط رأسه وتفرغ للتدريس والتأليف، وقد أخذ عنه مجموعة من العلماء، منهم : عبد الرحمن الجامعي، وعبد القادر الراشدي القسنطيني، وسواهما، وكان من كبار فقهاء المالكية، وعالما بالحديث[٧]، وله مؤلفات كثيرة، سنذكر بعضها بعد حين.

٢- آثاره :

أ- شعره : يعد أحمد بن قاسم البوني من الشخصيات المتعددة الثقافة، فهو مع رسوخ قدمه في الفقه المالكي، والحديث النبوي الشريف، له ديوان شعر[٨]، ومنظومات شعرية كثيرة في موضوعات متعدّدة، ولكن الشّعر التعليمي قد

حظي عنده بنصيب وافرٍ من العناية، وقد كان انتشارُ التعليم في هذا العصر سببًا في تفكير أحمد البوني في تبسيط هذه العلوم، وقد نظم كتاب غريب القرآن الكريم لِلْعَزِيزي في نحو أربعة آلاف بيت، ونظم الخصائص الكبرى للسيوطي في نحو ثمانمئة بيت، ونظم الأجرومية في تسعين بيتًا، ونظم في التاريخ المنظومة المسماة «الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة» وهي في ألف بيت وقد اختصرها من منظومته الكبرى المحتوية على ثلاثة آلاف بيت وغيرها كثير.

وحسبك من شعره درته هذه، فقد ذكر فيها تراجم علماء بونة، فبدأ بأساتَذته وأقاربه من سكان المدينة، ثم علماء القرى المجاورة، والعلماء الواردين على بونة، سواء أكانوا مقيمين أم عابري سبيل من مختلف جهات القطر، وقد استفاد من تأليف علي فضلون البوني الذي صنّف كتابا في تاريخ بونة بعنوان «الكلل والحلل»[٩]، وهو من علماء القرن التاسع الهجري، وقد ضاع تأليف علي فضلون الذي استوعبه تأليف أحمد بن قاسم البوني المذكور «الدرة المصونة...». وقد انتهى أحمد البوني من تأليفه أواخر القرن الحادي عشر، وفي ذلك يقول: «في عام تسعين وألف. نظمتُ وآن أنْ أدعو لّما تَمّت»[١٠].

وقد اشترط في مترجَميه العلم مع الاستقامة والصلاح، يقول :

بِشرْطٍ إنْ كانوا للعلمِ دَرَسوا — أوْ لِصَلاح نُسِبُوا ما انْدرسُوا

ويبدو أنَ أحد طُلاَّبه هو الذي طلب منه تأليف درته، كما ذكر وكان على أهبة السَّفر، فاستعجله، فقال :

طالَبَهَا مُسافِرًا و ذو عَجل — زوَّدتُه بِها و إنّي في خَجَل

وفيها يقول :

لِذَاكَ رامَ مِنّي بعضُ الأذكياء تَوَسلاً بِذِكرِ بَعضِ الأزكياء

فَحِئتُهُ. . . «بِدُرَّةٍ مَصونَهْ» ذَكَرْتُ فيهَا أوْلياءَ بُونَهْ

لَكن بِلاَ طَـولٍ وَلاَ تـاريخ لضيقِ نَظمِي بِهِم صَرِيخي

وبعد ذلك يُشير إلى أنّ مترجَميه، الذين عاشوا قبل القرن التاسع، مذكورون في تأليف علي فضلون، يقول :

حَوَاهُم جَمْعُ «علي فضلوني» لأخرِ التَّاسِـعِ مِـنْ قُرون

ثـم أتيت بالـذيـنَ بَعـدَه أرجُو بِهِم تُفْرِيجَ كُلِّ كُرْبَهْ

مِن عاشِرِ القُرونِ والحادي عَشر وفي البِلاَدِ ذِكْرُهُم قد انتَشرْ

وبعد نهاية الشاعر من ذكرِ مترجَميه من علماء بونة، يختمُ القصيدة بالموازنة بينهم وبين معاصريه، فيقول :

والآن يَلْحَنون فَوقَ المنبرِ لا يقبَلُونَ النّصْحَ حَتّى مِنْ بَري

وكُتِبَ الجَهلُ على جباههم اليَومَ يَخْـتَمُ عـلى أفواههمْ

لَيتَ الجُدودَ نَظروا إلَيْهِم ولَـوْ رَأوْهُم لَبَكوا عَليهِمْ[١١]

من خلال هذه الموازنة نستشفُ أنّ بونة في القرن الحادي عشر الهجري عَرَفَت انحـطاطا لا نظير له. ولكنّها في الوقـت نفسه كـانت مقرًا لمحمد «بكداش»[١٢]، وهو أحد الأتراك الذين أقاموا بها وتزوجوا فيها وأخذوا عن أساتذتها، منهم أحمد بن قاسم، ووالدُه، فارتقى ذلك التركي، وعُيِّنَ باشا الجزائر، فكان وفيًّا لبونة ولأساتذته بها. وهو الذي فتح وهران سنة ١١٢٠ هـ، بعد احتلالها من قبل الإسبان مدة ستُ ومئتي سنة[١٣] وقد ذكر ذلك أحمد البوني في درته حين قال :

وفُتحتْ على يديهِ وهرانُ فكَمِلَ المَجْدُ له و البرهان

ثم كاتبه بهذه الأرجوزة مهنِّئًا إياه بفتح وهران، ولافِتًا نظره إلى حال مدينة بونة، فقال :

يـــا حـــاكَم الجزَائرِ يـــاأُنْس نَفْسِ الزَائرِ
أريـــدُ أنْ أخْـــبِرَكُمْ أدَامَ رَبِّـــي نَصْرَكُمْ
بحَالِ هَذي القَرْيَة(١٤) بالصِّـــدْقِ لاَ بالفرية
قَـــدْ صَالَ فيهَا الظَّالمُ وهَـــان فِـــيهَا العالِمُ
خُرِّبَـــت المسَـــاجدُ وقَـــلَّ فيها السَّاجدُ
حُبُسُـــهَا قَـــدْ أسرِفَا نَاظِـــرُهُ فأشْـــرفَا
وأهْمِلَـــتْ أسْعَارُها وبُدِّلَـــتْ شِـــعَارُهَا
والشَّـــرْعُ فِيها باطِلُ والظلْـــمُ فِيها هَاطِلُ
والخَـــوفُ في سُبُلِهَا والقَحـــط في سُنْبُلِهَا
وَكَـــمْ مـــن القبَائِحِ وكَـــمْ من الفَضائحِ
يَضِـــيقُ عَـــنها النَظْمُ وَخـــارَ مِنْهَا العَظْمُ
تـــبكي علـــيها بالدم قَـــدْ قرُبَتْ مِنُ عَدَمِ
واللهُ قـــدْ وَلاكُـــم حُكْمًـــا وقَدْ عَلاكُمُ
فدارُكـــوا الإسْـــلاما ونـــوِّرُوا الظَّلاَمَـــا
وسَـــدِّدُوا الأحْكَامَا وفَـــرِّحُوا الأنَاما(١٥)

«فكافأه - محمد بكداش - على هذه الدُّرر، بمنقوش في صفحة القمر، وأعطاه فوق ما طلب، وكمُلَ له المقصود والأدب»(١٦).

كانت هذه نماذج شعرية لأحمد البوني من خلال منظومته «الدرة

المصونة في علماء وصلحاء بونة»، وكذلك من خلال أرجوزته التي أبدع فيها وأوجز، وهي نماذج قليلة لا نستطيع من خلالها أن نحكم على شاعريته، غير أنّنا نستطيع أن نقول: إنَّ منظومته الشعرية هي ممّا يذكر لقيمتها التاريخية الهامة، فقد عكست واقع بونة على مستويات شتّى، ولكنّها ركيكة الأسلوب، ولغتها قلقة مضطربة، وقد اعتورتها العلة من جوانب مختلفة كشعر العلماء وبعض الفقهاء الذين يتعاطون النظم وليس لهم من الأدب حظ ولا نصيب، فيتكلّفون ما ليس من سجيتهم، فيأتي نظمهم باردًا سخيفا. أمّا الأرجوزة فقيلت بأسلوب سهل سلس، وبلغةٍ رقيقة عذبة في مجملها.

ب– مؤلفاته :

بلغت مصنفات أحمد بن قاسم البوني نحو مئة كتاب ما بين مختصر ومسهب حسب ما ورد في كتابه «التعريف ما للفقير من التأليف» الذي عدَّدَ فيه أسماء مؤلفاته، وقد نشر الحفناوي قائمة لتلك التآليف في كتابه «تعريف الخلف برجال السلف»[١٧]، إلاّ أنَّ الأستاذ سعيد دحماني، ذكر أثناء ترجمته للشيخ أحمد بن قاسم البوني، أنَّ تآليفه بلغت زهاء (١٧٥) عنوانا، معظمُها «منظومة في قالب (أراجيز)، مواضيعها تتعلق بالحديث والسنة والقرآن»[١٨].

وسنتعرضُ في حديثنا عن هذه المؤلّفات لفئتين متباينتين منِهَا، هما :

١– المطبوعة :

لأحمد البوني كتابان مطبوعان فقط – فيما أعلم – عمل بعض أهل العلم والفضل على نشرهما وإخراجهما للوجود، لينتفع بهما الطلاب والدارسون، والكتابان المطبوعان كلاهما في التاريخ، وهما :

أ– الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، نشر الأستاذ ابن أبي شنب،

في التقويم الجزائري لسنة ١٣٣١ هـ/١٩١٣ م.

ب- التعريف ببونة إفريقية، بلد سيدي أبي مروان الشريف (تقديم الأستاذ سعيد دحماني)، نشر المجلس الشعبي البلدي بعنابة، سنة ٢٠٠١ م.

٢- المخطوطة :

ونعني بها تلك المصنَّفات التي أشار إليها أحمد البوني في كتابه «التعريف ما للفقير من التآليف»، ونشر الحفناوي قائمة بأسمائها في كتابه «تعريف الخلف برجال السلف».

وتوجد صورة شمسية لمجموعة عناوين منها بحوزة الأستاذ سعيد دحماني[١٩] وهذا ثبت ببعضها حسب الترتيب الهجائي :

١- إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن.

٢- إتحاف الألبّاء بأدوية الأطباء.

٣- إتحاف النجباء بمواعظ الخطباء.

٤- إظهار القوة بإحكام الباب والكوة.

٥- الإعانة على بعض مسائل الحصانة.

٦- إعلام الأحبار بغرائب الأخبار.

٧- إعلام أرباب القريحة بالأدوية الصحيحة.

٨- إعلام القوم بفضائل الصوم.

٩- إلهام السعداء لما يبلغ لمراتب الشهداء.

١٠- الإلهام والانتباه في رفع الإبْهام والاشتباه.

١١- أنس النفوس بفوائد القاموس.

١٢- تحفة الأريب بأشرف غريب.

١٣- الترياق الفاروق لقراء وظيفة الشيخ زروق.

١٤- تعجيز التصدير وتصدير التعجيز.

١٥- تلقيح الأفكار بتنقيح الأذكار.

١٦- تليين القاسي من نظم الإمام الفاسي.

١٧- تنوير قلوب أولي الصفا بذكر بعض شمائل الحبيب المصطفى.

١٨- الثمار المهتصرة في مناقب العشرة.

١٩- الجوهرة المضيئة في نظم الرسالة القدسية (أبياتها نحو ٧٧٥ بيتا).

٢٠- حث الوارد على حب الأوراد (في ثمانية أجزاء).

٢١- خلاصة العقائد للقاني والتواتي.

٢٢- رفع العناء عن طالب الغناء.

٢٣- الظل الوريف في البحث على العلم الشريف.

٢٤- الفتح المتوالي بنظم عقيدة الغزالي.

٢٥- الكواكب النيرات المعلقة على دلائل الخيرات.

٢٦- لباب اللباب في ذكر رب الأرباب.

٢٧- المنهج المبسوط في نظم عقيدة السيوط.

٢٨- نظم تراجم كتاب الشمائل للترمذي.

٢٩- نظم كتاب البخاري.

٣٠- الياقوتتان: الكبرى والصغرى في التوحيد، وغيرها كثير[٢٠].

ثانيا: كتابه «التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف»

تقديم:

صدر هذا الكتاب عن منشورات «المجلس الشعبي البلدي» في عنابة بالجزائر، في

طبعته الأولى سنة ٢٠٠١م، وقد تولّى تقديمه للقرّاء والتعليق عليه الأستاذ سعيد دحماني.

وكتاب التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف يقع في ثلاث وعشرين ومئة صفحة من الحجم المتوسط، ويضمُّ في طياته صفحات عن تاريخ بونة (عنابة) وشخصياتها العلمية خلال القرون : الخامس، والسابع، والثامن، والتاسع الهجري (الحادي عشر، والثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر الميلادي).

١- دوافع تأليف الكتاب ومصادره:

الكتاب بمثابة رد على ما أورده الرحالة محمد العبدري البلنسي[٢١] عن بونة في كتابه : الرحلة المغربية، فعندما زارها في أواخر القرن السابع الهجري (نحو سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م)، وصفها بقوله :«ثم وصلنا إلى مدينة بونة، فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة، مبسوطة البسيط، ولكنَّها بزحف النوائب مطوية مخبونة، تلاحظُ من كثب فحوصًا ممتدة، وتراعي من البحر جزره ومدَّه، تغازِلُها العيون من جور النوائب، وتَأْسَى لها النفوس من الأسهم الصوائب، وقد أزعج السفرُ عن حلولها، فلمْ أقضِ وطرًا منِ دخولها، ومن أغرب المسموعات أنْ صادفنا وقتَ المرور بها زُويرقًا للنَّصارى لا تبلغ عمارتُه عشرين شخصا، وقد حصروا البلد حتَّى قطعوا عنه الدخول والخروج، وأسروا من البر أشخاصًا فامسكوهم للفداء بمرسى البلد، وتركناهم ناظرين في فدائهم، ومن مولانا اللطيف الخبير نسأل اللطف بنا في أحكام المقادير»[٢٢].

ويبدو أنَّ العبدري كان متشائما، ويراعي مقاييس لا يقرُّه عليها جُلَّ الباحثين، إذ وصف في رحلته كثيرًا من العواصم لا تتفقُ مع واقعها[٢٣]. إلاَّ

أنّه لا ينبغي أنْ نغفل عن دقة ملاحظاته، فهو لا يغترُّ بالمظاهر، وقد اختص بميزة في رحلته لم يشاركه فيها أحدٌ من الرّحالين، هي الجرأةُ في التعبير عن رأيه وشعوره، والنقد اللاذع. لقد وصف مِصرَ وأهل مصرَ في أخلاقهم وعاداتهم وصفا دقيقا، وأصلاهم نارًا حامية من نقداته، كما أصلى العنانبة حين وصفهم بالجُبن، فقد غلبهم من الكفار عشرون. ويبدو أنَّ عدم ترحاب البونيين به أثّر في نفسه حتى قال فيهم هذا الكلام (وقد أزعج السفرُ عن حلولها، فلم أقض وطرًا من دخولها). وكان مذهبه أنَّ الناس هم يعلّمون الشاعرَ الهجاء بسوء أخلاقهم[٢٤].

لذلك تصدَّى له أحمد بن قاسم البوني بهذا الكتاب واتّهمه بأنّه «أخلَّ بالتعريف ببلد العبد الضعيف، بل ذكر لها نقيصةً عظيمةً، فعقَّبَ (أحمد البوني) في التعريف ببونة إفريقية... على مقالة العبدري معتمدًا على مؤرخ بوني عاش في القرن التاسع الهجري، وهو أبو الحسن على فضلون الذي صنف كتابًــا في تــاريخ المدينة بعنوان (الكلل والحلل)»[٢٥].

محتوى الكتاب :

ذكر أحمد بن قاسم البوني في كتابه هذا، وفي منظومته «الدرة المصونة في علماء وصُلحاء بونة»[٢٦] تراجم علماء بونة من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين. ويبقى أنَّ ما تركه أحمد بن قاسم البوني عن وضع بونة (عنابة) الفكري في الكتابين المذكورين من الوثائق الفريدة الخاصة بتاريخ المدينة، في انتظار العثور – يومًا – عَلى كتاب أبي الحسن علي فضلون «الكلل والحلل» وغيره[٢٧].

وجاء الكتاب (التعريف ببونة إفريقية...) بعد التمهيد، والمقدمة،

والتوطئة والتقديم، وترجمة مصنف الكتاب[٢٨]. في عدة مباحث، وقد ورد في التقديم أنّ هذا الكتاب جزء من مجموعة نصوص من أعمال الشيخ أحمد ابن قاسم بن محمد ساسي البوني، والمجموعة تشمل ثمانية عشر عنوانا، منها :

١- الدرة المصونة في أولياء بونة، وهو نظم لأحمد بن قاسم.

٢- الذّخر الأسنى بذكر أسماء الله الحسنى، نظم لأحمد بن قاسم.

٣- التعريف ببونة إفريقية، بلد سيدي أبي مروان الشريف، لأحمد بن قاسم (وهو هذا الكتاب الذي نحن بصدد عرضه...)

وجاء الكل في سفر من أربع ومئتي صفحة من الحجم المتوسط[٢٩].

المقدمة :

أمّا المقدمة، فقد ذكر فيها المصنّف أسباب تأليفه لهذا الكتاب، فقال : «لّما كتبتُ بإعانة الله تعالى رحلة الإمام العبدري رحمه الله تعالى، عثرتُ على بعض الأماكن ارتكب فيها غير الصّواب، عند ذكره بلدنا وبلد قسنطينة، فأردتُ التنبيه عليها ليعلمها كل أوّاب، وقد كتبتُ عليها أزيد من ٣٠٠ طرة، كلٌ واحدة أحسن من دُرّة، عند ذي نفس برة، فمن أضافها لهذه الأوراق، كانت حاشية عليها عذب موردها وراق، وقد أعجلني الوقت عن فعل ذلك، وقد أذنت غيري أن يفعله ساعيا في خير المسالك، راجيا ثواب الإعانة على العلم الشريف، ذي الظل الوريف. وقد أخل بالتعريف ببلد هذا العبد الضعيف، بل ذكر لها نقيصة عظيمة، وأمورًا مخلة بها هضيمة، لا يقبلها عقل عاقل، ولا يصدق بها ناقل، وسأفَصّلُ ذلك تفصيلا حسنا، وأؤصّلُ فضلها تأصيلاً بِسنًا، قولاً بالحق لا مبالغة فيه ولا إيقالَ، وإن كنت في كثير من الاشتغال، وسميت هذه الأوراق (ببعض التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي

أبي مروان الشريف»[٣٠].

١- الرد على اعتراض العبدري على الشيخ الفكون :

أمّا في المبحث الأول، فيتحدث المؤلف عن اعتراض العبدري على الشيخ الفكون القسنطيني صاحب الرحلة المنظومة[٣١]، وانتقاد العبدري لبعض الكلمات التي وردت في قصيدة الفكون المشهورة «في رحلته من قسنطينة إلى مراكش» (كالغنج، وبدور، وبهي، وغيرها)، وقد كشف أحمد البوني في هذا المبحث أخطاء العبدري، ودافع عن صحة تلك الكلمات، مقدّمًا حججا علمية لا يرقى إليها الشك، وختم المبحث بقوله: «والمصنف رحمهُ الله تعالى قطّ ما التمس عُذرًا لأحدٍ في هذه الرحلة المباركة، وإنّما شأنُه الانتقـــاد حتى على أشياخه الأسياد، أهل الإسناد، وتـــلا شنشنة المقاربة حتى الآن»[٣٢].

٢- نقد وصف العبدري لبونة :

وفي المبحث الثاني ينتقد وصف العبدري لبونة، فيقول: «وأما كلامه في بلدنا بونة، فلا يقبلُ ذلك إلاّ كلُّ ذي نفس بتصديق الكذب مغبونة، أيمكن في عقل عاقل أن تكون بلد فيها من رجال المؤمنين مئون حذرون يغلبهم من الكفار عشرون ؟ كلاًّ! لا يقبل هذا عقل عاقل وإنَّما هو كذب من الناقل... وما خلق الله تعالى العقل في الإنسان إلاّ ليميّز به بين الكذب والصدق... إلخ»[٣٣].

٣- ترجمة الشيخ سيدي أبي مروان :

أمّا في القسم الثالث من الكتاب، فيحدثنا المؤلف عن سيدي أبي مروان الشريف، شارح الموطأ، وصحيح البخاري، ومّما قاله عنه بعد

كلام:«كان رجلاً صالحا فاضلاً حافظا نافذًا في الفقه والحديث، وأصله من قرطبة... وقد توفي سنة ٥٠١ هـ/١١٠٨م»[٣٤].

٤- ترجمة أحمد بن علي البوني :

وفي القسم الرابع : يتحدّثُ المؤلف عن مشاهير بونة المحروسة، من خلال موجز ترجمة الشيخ أحمد بن علي البوني دفين تونس، يقول:«وقبره بجبانتها مشهور، زرته، وبركت به، رحمهُ الله تعالى... وهو صاحب كتاب (الوعظ الغريب) وعظه يذيب الصُّخور، وطيبه يعبق دون بخور، وكتابه (شمس المعارف) الذي كلامه يغني عن سماع المعازف[٣٥]، لا ينبُو عنه إلا غير عارف، ومن بحره غير غارف...، وقد كان من حال هذا الشيخ، رضي الله تعالى عنه، أنّه يتناول التراب، فيرجع في يده المباركة ذهبا، وإلى ذلك أشرت في الألفية المذكورة»[٣٦] يعني: «الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة».

٥- ترجمة أبي عبد الله محمد المراكشي الضرير :

يواصل المؤلف في القسم الخامس من الكتاب الحديث عن مشاهير بونة المحروسة، فيحدثنا عن العالم الصالح القارئ الناظم الناثر النحوي اللغوي العروضي أبي عبد الله محمد المراكشي الضرير، وهو من علماء بونة في القرنين : السابع والثامن الهجريين، قدم إلى بونة «بعلوم كثيرة، ونوادر غزيرة، فأعجبته واستوطنها، وكان آية في العرفان، لم يسمع بمثله الزّمان، ألّف في البيان، وفي تفسير القرآن، (وألّف) كتاب أسماع الصُّم في إثبات الشرف من قبل الأم، وشرحًا عظيما على «بانت سعاد»، وكان يدرّس بالجامع الأعظم، وكان يحفظ من عرضة واحدة، وتلميذه أبو القاسم ابن أبي موسى من عرضتين، وتلميذُه الهناد من ثلاثٍ (من كتاب ابن

فضلون)، وقـــد ذكرتُ ذلك في الألفية»[٣٧].

٦- موجز ترجمة فقهاء بونة :

ولم يفت صاحب التعريف ببونة أنْ يدّونَ بعض تراجم فقهاء بونة في كتابه، فتحدّث في القسم السادس، والسابع، والثامن، والتاسع، والعاشر، والحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، والرابع عشر، عن طائفة من فقهاء بونة، فذكز منهم: الفقيه العلامة عبد الرحمن آملال[٣٨]، والفقيه المؤرّخ الشاعر أبا القاسم الجذامي[٣٩]، وأبا زكرياء يحي الكسيلي[٤٠]، وأحمد بن فارح الضرير[٤١]، ومحمد بن إبراهيم التمتام[٤٢]، ومحمد بن أحمد التمتام[٤٣]، وأبا إسحاق إبراهيم التمتام[٤٤]، ومحمد الهواري[٤٥]، ومحمد بن عبد الجليل[٤٦] وغيرهم...

وتتعلّق هذه الأقسام بهؤلاء الفقهاء من حيث التعريف بهم، والتقصي عن أنبائهم وذكر مؤلفاتهم.

٧- هجومات النصارى على بلد العُناب :

وتحدّث في القسم الخامس عشر من هذا الكتاب عن هجومات النصارى على بلد العناب (بونة)، فقال :

فإن قلت: كم هجمت النّصارى على بلدكم بلد العُناب، قلت : فيما أعلم، أربع مرات. **أولاهن**: قريبة من زمن الشيخ الهواري، وقد كان في السادسة من عمره[٤٧]. **والثانية** في حياة ابن عبد الجليل المذكور[٤٨]. **والثالثة** عام ٩٨٢هـ/١٥٧٤م[٤٩]. والرابعة سنة ١٠١٦هـ/١٦٠٧م[٥٠].

٨- في مَن مدح بونة :

وفي القسم السادس عشر من كتاب التعريف ببونة يتحدّثُ المؤلف عن

الشعراء الذين مدحوا بونة، فذكر منهم أربعة مع نماذج من شعرهم، وهم : محمد بن عبد الكريم الفكون(٥١)، ومنصور السويدي(٥٢)، ومصطفى الجنيني العنابي(٥٣)، وعبد الرحمن الجامعي(٥٤).

٩- أقطاب بونة(٥٥) :

أمّا القسم السابع عشر من الكتاب، فتحدث فيه عن أقطاب بونة، وهم خمسة:

أولهم سيدي أبو مروان.

وثانيهم البوني صاحب شمس المعارف.

وثالثهم الذي أكل مع القطب، وهو أبو العباس أحمد بن فارح الضرير.

ورابعهم جدّنا، ولي الله، سيدي محمد ساسي.

وخامسهم شيخنا، سيدي إبراهيم بن التومي، المتوفى سنة ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م(٥٦).

١٠- ذَم بونة وحديث عن العبدري :

أمَّا القسم الثامن عشر من الكتاب : فتحدّث فيه المؤلف عن الشيخ ابن عروس التونسي(٥٧) الذي ذَمَّ بونة، فقال: «أكذب من كُلِّ كذّاب مَنْ مدح مدينة العُنّاب» (٥٨). وبالرغم من ذلك فإنَّ المؤلفَ التمس له عذرًا، واتّهم الناقلَ بتحريف العبارة، وذكر بأنَّ أصلها: «من ذمَّ بلد العُنّاب أكذب من كل كذاب» وفي هذا الشأن يورد عدة أحاديث عن العبدري لعدد من العلماء والمؤرخين يعاتبونه فيها عن قدْحه لبونة، وبعضهم هجاه بقوله: «لعلَّ قدحه فيها كان حالة غيبة عقله، وأيُّ قدح يقبل مِنْ آخذٍ عن حلوف اليهودي – لعنهُ الله تعالى –» (٥٩).

١١- وصف بُونة :

وفي القسم التاسع عشر يصف لنا المؤلف بونة، فيقول: «هي بلد جمعت

بين البر والبحر، فهي كالحلي في النحر، وبها من العلماء والصلحاء ما لا يـــحصى، ومدحها للمنصف لا يستقصى، مياهها عذبة، وثمارها كثيرة يابسة ورطبة، وأوديتها كثيرة عذبة، جارية غزيرة كبيرة، ذات منظر وبهاء...إلخ»[٦٠].

١٢- مسائل مختلفة :

ويحتوي الكتاب – بالإضافة إلى ما سبق ذكره – مسائل لغوية حول الاقتباس واستشكال العبدري للآية الكريمة ﴿وَغَرابيبُ سُودٍ﴾ وتفسيرها من قبل طائفة من المفسرين، وكذلك يشتمل الكتاب على ملحقات تتعلق برسالة محمد ساسي إلى أبي الجمال يوسف باشا، وجواب يوسف باشا، ووفيات بعض أعلام بونة وغيرها[٦١].

٢- قيمته العلمية والتاريخية:

يعد كتاب التعريف ببونة من المصادر المهمة التي يرجع إليها الباحثون في تاريخ بونة السياسي والاجتماعي والأدبي، وقد امتاز من كثير من الكتب القديمة بتفرده بالحديث عن الحركة العلمية التي كانت سائدة في بونة خلال عدة قرون، والتي قدّمها لنا أحمد البوني من خلال التراجم الوافية التي أعدّها عن علماء وفقهاء بونة الذين كان لهم دور علمي بارز. ويستمد هذا الكتاب قيمته وأهميته من كونه يعالج موضوع تاريخ بونة وعلمائها معالجة علمية، فهو لا يترك مسألة من المسائل التي عالجها دون تعليل، ولذلك فالكتابُ صالح للجمهور والباحثين معًا.

فذلكة :

وبعد، فقد توقفنا في هذه الرحلة مع أحمد بن قاسم البوني وكتابه :

التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف.

وقسّمنا هذه الرحلة إلى قسمين اثنين : فكان القسم الأول منها منصبا على دراسة شخصية احمد البوني، وعلى كُلِّ ما يتصل بها، وبنتاجها العلمي والأدبي، وقد اصطحبنا أحمد البوني في جميع مراحل حياته، وحاولنا أن نقدم صورة عنه، في نفسه، وشعره، ومؤلفاته.

أمَّا القسم الثاني، فكان منصبا على دراسة كتاب «التعريف ببونة...» وتحليل محتواه.

وقد يكون من غير المتيسّر ولا المناسب في هذه المعالجة الإلمام بجميع القضايا التي عالجها المؤلف في كتابه، وهي كثيرة، وإنّما نشير إلى أهمّها، وهي كالآتي :

١- الرّد على اعتراض العبدري على الشيخ الفكون وانتقاده لبونة.

٢- وصف الحياة العلمية في بونة في عدة قرون، ومَن كان فيها من علماء وفقهاء، وإسهامهم في مختلف العلوم.

٣- التغني بجمال طبيعة بونة، ووفرة مياهها، وفواكهها وأزهارها..

٤- نقد العنانبة ووصفهم بالجبن، وذم بلدهم من قبل بعض الشيوخ (العبدري، والشيخ ابن عروس التونسي).

٥- وقد فاضل أحمد بن قاسم البوني في أرجوزته التي أرسلها إلى محمد بكداش بين عهدين، فمدح أحدهما، وهو عهد ازدهار بونة في الماضي، وذم عصره.

وإنّه لمن المفيد حقا أن نرى اليوم كيف كانت هذه المدينة في القرون الماضية في محاسنها وعيوبها، وأنْ نحدّد ما أصابته وأصابه أهلوها من تقدم وتطور أو تقهقر وتراجع في عصرنا هذا.

الهوامش والمراجع

١- بونــة : هي مدينة (عنابة) الحالية، تقع في الشرق الجزائري، على الساحل، على مسافة ٦٠٠ كلم شرق الجزائر العاصمة، أسّسها الفينيقيون، وغزتها قرطاجنّة، ثم اســتولى عليها ملوك نوميديا، ولمّا هُزم يوغرطة (سنة ١٠٥ ق.م)، ضُمّت المدينة وأراضيها إلى ما يسمى بولاية إفريقية الرومانية، وقد أصبحت بونة مدينة مزدهــرة، كما أصبحت من أهم المراكز الدينية (مقر الأسقفية) بعدما انتشرت فــيها المسيحية، وفتحها المسلمون سنة ٧٨هـ... (انظر : إسماعيل العربي : المُدن المغربية، ص: ١٩٦ وما بعدها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م).

٢- هو أبو مروان عبد الملك بن علي الأندلسي القرطبي الأصل، سكن بونة من بلاد إفريقية، كان من الفقهاء المتعنتين، وشرحه على الموطأ مشهور حسن، رَوَاهُ عنهُ الناس. وكانَ رجلاً صالحًا، فاضلاً، حافظًا، نافذًا في الفقه والحديث، توفي سنة ٥٠١ هـ (أحمدبن قاسم البوني : التعريف ببونة إفريقية بلد أبي مروان الشريف، ص: ٤٩ – ٥٠، دار الهــدى، عــين مليلة، الجزائر، ٢٠٠١م. وانظر أيضًا: حــاجي خلــيفة : كشف الظنون، مج٦، ص: ٤٢٧، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م. والحموي : معجم البلدان، مج١، ص : ٥١٢، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.

٣- صدر الكتاب عن منشورات «المجلس الشعبي البلدي» بعنابة، في طبعته الأولى، سنة ٢٠٠م.

٤- نشرها الأستاذ ابن أبي شنب في التقويم الجزائري لسنة ١٣٣١ هـ/١٩١٣م.

٥- الأستاذ المهدي البوعبدلي : لمحات من تاريخ بونة الثقافي والسياسي... محاضرات الملــتقي العاشــر للفكر الإسلامي المنعقد بعنابة ما بين: ١٠ – ١٩ يوليو ١٩٧٦م، المجلد الأول، ص: ٥٤، نشر وزارة الشؤون الدينية، الجزائر.

٦- أحمــد البوني: المصدر السابق، ص: ٣٢، (ترجمة أحمد البوني بقلم الأستاذ سعيد دحماني مقدم الكتاب).

٧- انظـر : الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف، ج٢، ص : ٣٧٦ وما بعدها، موفم للنشر، الجزائر، ١٩٩١ م. والزركلي : الأعلام، مج١، ص : ١٩٩، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م. وعادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص : ٤٩، بيروت، ١٩٨٠م. ومحمد بن ميمون الجزائري : التحفة المرضية في الدولة البكداشـية في بلاد الجزائر المحمية (تقديم وتحقيق: د.محمد بن عبد الكريم)، ص: ٧٧، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٢م.

٨- انظـر عـادل نويهض : المرجع السابق، ص:٥٠، وأحمد البوني : المصدر السابق، ص: ٢٥. والديوان لم يطبع حتى الآن.

٩- انظر أحمد البوني: المرجع السابق، ص : ٢٦.

١٠- البوعبدلي: المرجع السابق، ص: ٥٤.

١١- البوعبدلي: المرجع السابق، ص : ٥٤ وما بعدها.

١٢- بكداش: كلمة تركية معناها الحجر الصلب (انظر : محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكدشية، ص : ١١٢ هامش: ٤).

١٣- البوعبدلي: المرجع السابق، ص: ٥٥.

١٤- يريد بـ «القرية» مدينة بونة التي ينسبُ إليها.

١٥- محمد بن ميمون الجزائري : المصدر السابق، ص : ١٢٩ — ١٣٠.

١٦- محمد بن ميمون الجزائري : المصدر السابق، ص :١٣٣.

١٧- انظر الحفناوي : المصدر السابق، ج٢، ص : ٣٧٦ وما بعدها.

١٨- انظر أحمد بن قاسم البوني : المصدر السابق، ص : ٣٤ — ٣٥.

١٩- انظر قائمة العناوين في المصدر السابق، ص : ٢٤ وما بعدها.

٢٠- انظر الحفناوي : المصدر السابق، ج٢، ص : ٣٧٦ وما بعدها. وأحمد البوني (تقديم: سـعيد دحماني) : المصدر السابق، ص : ٢٤ وما بعدها. وعادل نويهض : معجم أعلام الجزائر، ص : ٤٩ وما بعدها. وكشف الظنون، مج٦، ص : ٤٢٧، دار=

=الفكــر، بــيروت ١٩٨١. والحموي : معجم البلدان، مج١، ص: ٥١٢، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

٢١- هو محمد بن محمد بن علي العبدري – نسبه إلى عبد الدار، قبيلة – من جنوب المغرب الأقصى، كان يسكن في السوس، وكان من العلماء، بل إنَّ المقروءات الــتي قرأها، والمسموعات التي سمعها من الشيوخ تدل على علوّ كعبه في العلم والأدب، وكـــان واسع المحفوظ، يقول الشعر. عزم على الرحلة إلى المشرق، فســافر إلــيه في سنة ٦٨٨ هـ، وسجّل كل ما رآه في ذهابه وإيابه. (الدكتور صــلاح الدين المنجد: المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، ص: ٧٠، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٣ م. وانظر: الزركلي: الأعلام، مج ٧، ص : ٢٦٠، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م).

٢٢- محمـــد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية (تحقيق: الأستاذ أحمد بن جدُّو). نشر كلية الآداب الجزائرية، الجزائر.

٢٣- المهـــدي البوعـــبدلي: لمحات من تاريخ بونة الثقافي والسياسي (محاضرات ومناقشات الملتقى العاشر للفكر الإسلامي، عنابة ١٠ – ١٩ يونيو ١٩٧٦ م)، مج١، ص : ٥٢، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر.

٢٤- د. صلاح الدين المنجد : المرجع السابق، ص: ٧١.

٢٥- أحمد بن قاسم البوني : المرجع السابق، ص : ٢٦.

٢٦- منظومة الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، نشرها الأستاذ ابن أبي شنب، في التقويم الجزائري لسنة ١٣٣١ هـ/١٩١٣ م.

٢٧- أحمد بن قاسم البوني : المرجع السابق، ص : ٢٧.

٢٨- هذه المقدمات من إنجاز الأستاذ سعيد دحماني، وغيره.

٢٩- أحمد بن قاسم البوني : المرجع السابق، ص : ٢٤ وما بعدها. وانظر بقية عناوين المجموعة هناك.

٣٠- انظر : أحمد البوني : المصدر نفسه، ص : ٤١ – ٤٢.

٣١- هو أبو علي حسن بن علي بن عمر القسنطيني المعروف بابن الفكون : شاعر المغرب الأوسط في وقته، من أهل قسنطينة، رحل إلى مراكش ومَدَحَ الخليفة عبْد المؤمن، لــه ديــوان شعر، كان حيًّا سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م. (انظر: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص : ٢٥٣ — ٢٥٤. والعبدري: الرحلة المغربية، ص: ٣٠).

٣٢- البوني : المصدر السابق، ص ٤٦ — ٤٧.

٣٣- المصدر نفسه، ص : ٤٧ — ٤٨.

٣٤- المصــدر نفسه، ص: ٥٠. وانظر عنه، ص : ٤٩ وما بعدها. وانظر أيضًا: الدرة المصونة في صلحاء وعلماء بونة للمؤلف نفسه، ص: ٨٧ — ٩٦.

٣٥- المعــازف: جمع مفرده: العزيف: صوت الجن وهو جرس يسمع بالمفاوز بالليل (انظر البوني : المصدر السابق، ص: ٦٠ (هامش ٥٠).

٣٦- انظر البوني: التعريف ببونة إفريقية، ص: ٦٠.

٣٧- انظر المصدر نفسه، ص: ٦١ وما بعدها.

٣٨- انظر المصدر نفسه، ص: ٦٦.

٣٩- انظر المصدر نفسه، ص : ٦٦ — ٦٧.

٤٠- انظر المصدر نفسه، ص : ٦٧.

٤١- انظر المصدر نفسه، ص : ٦٨.

٤٢- انظر المصدر نفسه، ص : ٦٩.

٤٣- انظر المصدر نفسه، ص : ٧٠.

٤٤- انظر المصدر نفسه، ص : ٧١.

٤٥- انظر المصدر نفسه، ص : ٧٣.

٤٦- انظر المصدر نفسه، ص : ٧٤ - ٧٥.

٤٧- لعلّــهُ يشير إلى هجوم بيزاني (من جمهورية بيزا بإيطاليا) أعقبه احتلال المدينة سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م. (انظر المصدر السابق،ص: ٧٦ ((هامش ٨٤)).

٤٨- هي حملة قامت بها فلنسية وميورقة سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م، وباءت بفشل ذريع، وكان ذلك من ٢٧ أوت إلى ٢ سبتمبر ١٣٩٩م (انظر المصدر السابق،ص: ٧٦ «هامش ٨٥»).

٤٩- انظر البوني : المصدر السابق، ص : ٧٦.

٥٠- وهي غزوة التحالف «الطوسكاني – البروفلسالي» التي وقعت في منتصف سبتمبر، وبعد ست ساعات من الهجوم، انسحب الغزاة، وقد أسروا مئتين (٢٠٠) من المدنيين الذين كانوا بالقلعة (القصبة) وخمسمئة وألف شخص (١٥٠٠) من المدينة (انظر البوني : المصدر نفسه، ص: ٧٧ «هامش ٨٩»).

٥١- انظر البوني : المصدر نفسه، ص : ٨٠. وانظر أيضا : محمد الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف، ج١، ص ١٦٦.

٥٢- انظر البوني: المصدر نفسه، ص : ٨٣. وذكره أحمد بن قاسم في ألفيته من بين فضلاء قسنطينة.

٥٣- انظر البوني: التعريف ببونة، ص : ٨٥.

٥٤- انظر البوني: المصدر نفسه، ص : ٨٧.

٥٥- الأقطاب: مفرد قطب : وهي أعلى مرتبة في سلم القيادة عند الصوفية، وذكر ابن خلدون في المقدمة : أنّ معناه رأسُ العارفين، ويزعمون أنّه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله سبحانه وتعالى، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان (الفصل السابع عشر في علم التصوف نقلا عن البوني : المصدر نفسه، ص : ٨٨ «هامش ١٠٤»).

٥٦- انظر البوني : المصدر نفسه، ص : ٨٨ – ٨٩.

٥٧- هو أبو العباس أحمد بن عروس، المتوفى سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م، من أهم صلحاء مدينة تونس، وزاويته لا تزال قائمة (انظر البوني: المصدر نفسه، ص: ٩٠ «هامش ١٠٧»).

٥٨- البوني: المصدر نفسه، ص : ٩٠.

٥٩- البوني: المصدر نفسه، ص : ٩٤. وحلوف اليهودي أحد أساتذته الذين أخذ عنهم العبدري.

٦٠- انظر البوني : المصدر السابق، ص : ٩٦ وما بعدها.

٦١- انظر البوني : المصدر السابق، ص : ٩٩ وما بعدها.

من مفارقات التحقيق:

المسائل السفرية في النحو – لابن هشام الأنصاري

حقيقتها، وموقف الباحثين منها

أ. د. حسن موسى الشاعر

ابن هشام الأنصاري:

هو أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام الأنصاري المصري (٧٠٨- ٧٦١هـ) علم كبير من أعلام النحو في مصر، ذاع صيته، واشتهر أمره؛ حتى نافس جهابذة العلماء.

وقد ترك ابن هشام عددًا كبيرًا من المصنفات، من أشهرها:

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب.
- شرح قطر الندى وبل الصدى.
- شرح اللمحة البدرية في علم العربية.

المسائل السفرية في النحو:

من الكتب التي ذكرت لابن هشام: كتاب (المسائل السفرية في النحو). فما حقيقة هذا الكتاب؟ وما موقف الباحثين المعاصرين منه؟

من المصادر القديمة التي ذكرت «المسائل السفرية» لابن هشام:

- السيوطي في بغية الوعاة ٢/ ٦٩.

- ابن العماد في شذرات الذهب ٦/ ١٩٢.

- حاجي خليفة في كشف الظنون ١٦٦٩.

- إسماعيل البغدادي في هدية العارفين ١/ ٢٦٥.

ولكن هذه المصادر لم تبيّن لنا المراد بهذه المسائل، ولا الموضوعات التي تناولتها.

وإذا أنعمنا النظر في مصنفات ابن هشام وجدنا له كتابين ارتبطا بموضوع السفر، وعلى الرغم من كثرة مخطوطات هذين الكتابين، لم يرد عنوان «المسائل السفرية» على أيّ منهما؛ مما أوقع الباحثين المعاصرين في الحيرة والاضطراب، وجعلهم يسمونهما أسماء متعددة. وهذان الكتابان هما:

١- الكتاب الأول: يقول ابن هشام في مقدمته: «سألني بعض الإخوان، وأنا على جناح سفر عن توجيه النصب في نحو قول القائل: فلان لا يملك درهمًا فضلاً عن دينار..».

وقد اطلعت لهذا الكتاب على النسخ الخطية الآتية:

١- نسخة دار الكتب المصرية، من مجموع برقم ٣٤. وقد كتب على هذه النسخة العنوان التالي: «هذه رسالة للعلامة ابن هشام الأنصاري رحمه الله، في توجيه النصب في نحو قول القائل: فلان لا يملك درهمًا فضلاً عن دينار، وقوله: والإعراب لغة البيان...» .

٢- نسخة برلين، برقم ٦٨٨٦، وقد كتب عليها: «هذه رسالة الشيخ جمال الدين بن هشام في توجيه النصب في قولهم: فلان لا يملك درهمًا، رحمه الله».

٣- نسخة دار الكتب الوطنية بتونس، برقم ١٠٣٠٢ (٩٢٤٢)، وعنوانها: «رسالة في إعراب جمل اشتهر استعمالها».

٤- نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، من مجموع برقم ٧٦٢٥. وقد

كتب عليها: «هذه رسالة لابن هشام الأنصاري في توجيهات بعض ألفاظ استعملها المؤلفون رحمهم الله تعالى آمين».

٥- نسخة في مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة، برقم ٤٥٥ مجاميع. عنوانها: «رسالة في توضيح مسألة توجيه النصب».

وقد قمت بتحقيق هذا الكتاب، معتمدًا على أربع نسخ خطية، وطبعته بعنوان «رسالة في توجيه النصب في إعراب فضلاً ولغةً وخلافًا وأيضًا وهلم جرًّا». وطبعته في عمان عام ١٩٨٤م.

واخترت له هذا العنوان؛ لأنه هو الغالب على النسخ الخطية التي اطلعت عليها. ولا أرى أن هذا الكتاب ينطبق عليه اسم «المسائل السفرية»؛ لأنه لا يعدو أن يكون سؤالاً واحدًا عن توجيه النصب في ألفاظ مشهورة متداولة. هذا فضلاً عن أن بعض المصادر التي ذكرت «المسائل السفرية» لابن هشام، ذكرت معها أيضًا من مصنفاته: «رسالة في انتصاب: لغةً وفضلاً، وإعراب: خلافًا وأيضًا وهلم جرّا».

فهذه الرسالة هي غير «المسائل السفرية» قطعًا. وقد عجبت للدكتور حاتم الضامن؛ إذ نشرها في مؤسسة الرسالة في بيروت وطبعها عام ١٩٨٣م، بعنوان «المسائل السفرية في النحو» لابن هشام الأنصاري، متذرعًا بأسباب، منها أن هذا الاسم ذكرته بعض المصادر، وأن ابن هشام ذكر في بدايتها أنه ألفها جوابًا عن سؤال وجه إليه، وهو على جناح سفر!

وقد اعترض على الدكتور الضامن، في اختيار هذه التسمية للكتاب، السيد نبيل أبو عمشة، في مقدمة تحقيقه لكتاب «غنية الأريب من شروح مغني اللبيب» الذي نال به درجة الماجستير من جامعة دمشق، إذ يقول:

«وما احتجّ به لا ينهض دليلاً على ما اختار... وصريح كلام المصنف أنه ألفها قبيل سفره.. وهذا لا يناسبه تسميتها بالمسائل السفرية».

[نقلاً عن رسالة «المباحث المرضية المتعلقة بـ(من) الشرطية»، لابن هشام، تحقيق الدكتور مازن المبارك ص١٤].

كما اعترض على الدكتور الضامن أيضًا، الدكتور عبد الفتاح الحموز في تحقيقه لمسألة «الحكمة في تذكير قريب..» لابن هشام الأنصاري، [ص ١٠] إذ يقول: «وبعد، فلست أتفق مع الدكتور الفاضل في اختيار هذا الاسم لهذا المصنَّف؛ لأن هناك مصنفًا آخر يذكر في مقدمته ابن هشام أنه إجابات عن أسئلة سئل عنها في أسفاره».

٢- الكتاب الثاني لابن هشام، المتعلق بموضوع السفر، جاء في مقدمته: «فإني ذاكر في هذه الأوراق مسائل سئلت عنها في بعض الأسفار، وأجوبة أجبت بها على سبيل الاختصار، ومسائل ظهرت لي في تلك السفرة، يعم إن شاء الله نفعها».

ويقول ابن هشام في آخره: «سئلت عنها بالحجاز الشريف، في عام سبعة وأربعين وسبعمئة».

وقد تتبعت لهذا الكتاب النسخ الخطية الآتية:

١- نسخة دار الكتب المصرية، برقم ٦٤٢٦، وقد ورد اسمها في فهرس الدار (ألغاز في إعراب بعض آيات القرآن الكريم).

٢- نسخة مكتبة الأوسكريال بإسبانيا، برقم ٨٦. ومنها مصورة في معهد المخطوطات بالقاهرة، تحت رقم ١ نحو. كتب عليها: (أبحاث نحوية في مواضع من القرآن).

٣- نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق في مجموع برقم ٦٩٤٤، بعنوان: (مسائل وأجوبتها في النحو لابن هشام).

٤- نسخة أخرى في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ١٠٥٤١ عام.

٥- نسخة برلين، ومنها مصورة في المكتبة المركزية بجامعة الرياض، برقم ف ٦٦/ ٢، وهي جزء صغير يحوي المسائل التسع الأولى من الكتاب.

٦- نسخة في دار الكتب المصرية، ضمن مجموع برقم ١٤٥٥ نحو.

٧- نسخة في الجامعة العثمانية بحيدر آباد في الهند بعنوان (إعراب القرآن).

٨- نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، برقم ٢١٦٢ ضمن مجموع.

٩- نسخة أخرى في مركز الملك فيصل بالرياض، برقم ١٦٢٠، كتب عليها (هذه الأسئلة الحجازية لابن هشام).

فما موقف الباحثين المعاصرين من هذا الكتاب؟

١- حققه الدكتور صاحب أبو جناح، بعنوان «مسائل في إعراب القرآن»، ونشره في مجلة المورد في بغداد عدد ٣ لسنة ١٩٧٤م.

٢- حققه الدكتور محمد نغش، بعنوان: «أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن» معتمدًا على نسخة واحدة، هي مخطوطة حيدر آباد بالهند، وطبعه بمصر سنة ١٩٨٣م.

٣- حققه محمد إبراهيم سليم، بعنوان «حل ألغاز المسائل الإعرابية في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية»، معتمدًا على نسخة دار الكتب برقم ٦٤٢٦، ونسخة الأوسكريال المصورة بمعهد المخطوطات.

٤- حققه الدكتور علي حسين البواب، بعنوان «المسائل السفرية في

النحو» معتمدًا على خمس نسخ خطية. وصدر عن دار طيبة في الرياض عام ١٩٨٢م. ثم طبع طبعة ثانية في مكتبة المنار بالزرقاء في الأردن عام ١٩٨٩م.

٥- الدكتور هادي نهر في تحقيقه لكتاب «شرح اللمحة البدرية» لابن هشام الأنصاري، عمل دراسة مفصلة عن ابن هشام ومصنفاته. ولكنه عدّ كتاب «المسائل السفرية» لابن هشام من الكتب المفقودة [١/ ٩١]، وجعل من كتبه المخطوطة «أبحاث نحوية في مواضع من القرآن» [١/ ٧٨].

٦- الدكتور علي فودة نيل في دراسته المفصلة «ابن هشام — آثاره ومذهبه النحوي»، أغفل ذكر «المسائل السفرية»، وذكر بدلاً منها «مسائل وأجوبتها — المعروف باسم ألغاز في إعراب بعض آيات القرآن» [ص ٣١٠] واعتمد في دراسته هذه على نسخة دار الكتب المصرية رقم ٦٤٢٦ كما ذكر.

وأنا أرى أن هذا الكتاب الثاني الذي اختلف فيه الباحثون، هو كتاب «المسائل السفرية في النحو» لابن هشام الأنصاري. وقد وفق الدكتور علي البواب في اختيار الاسم الصحيح له، وأورد أسبابًا قوية لهذا الاختيار؛ كما أنه أجاد في تحقيق الكتاب.

والدكتور البواب يرجّح أن يكون هذا الكتاب هو كتاب «المسائل السفرية» لما ذكره المصنف في مقدمة الكتاب وفي آخره، ولأنه يعرض موضوعاته على شكل مسائل، يقدم لكل منها بقوله «مسألة»، ثم هي في «بعض الأسفار»، فهو بلا شك كتاب «المسائل السفرية في النحو». [انظر المسائل السفرية ط١ ص ١٠].

ولكن الدكتور البواب عاد يشكّ في هذه التسمية في الطبعة الثانية من تحقيقه للكتاب، فيقول: ويبقى الأمر محتاجًا إلى دليل قاطع في تسمية كتابنا

هذا، أو ما نشره الدكتور حاتم الضامن «المسائل السفرية».

وقد أصاب في اختيار هذه التسمية أيضًا للكتاب، الدكتور عبد الفتاح الحموز في الرسالة التي حققها لابن هشام بعنوان (مسألة الحكمة في تذكير قريب في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِين﴾ [الأعراف:٥٦] إذ قال: وإنني لأذهب إلى أن السيوطي وغيره ممن ذكروا في مظانهم (المسائل السفرية) يريدون ما سئل عنه ابن هشام من مسائل في رحلته إلى مكة المكرمة. [انظر: مسألة الحكمة.. ص١١].

وأخيرًا أقول: لقد عثرت على الدليل القاطع في نصّ قديم، يقطع الشك باليقين، على أن هذا الكتاب، الذي حققه الدكتور علي البواب، هو كتاب «المسائل السفرية في النحو» لابن هشام الأنصاري؛ وذلك في حاشية الشيخ ياسين العليمي الحمصي (المتوفى سنة ١٠٦١هـ) على التصريح للشيخ خالد الأزهري (المتوفى سنة ٩٠٥هـ) على التوضيح لابن هشام الأنصاري.

قال الشيخ ياسين: (قوله فأما قراءة بعضهم ﴿فشربُوا منهُ إلا قليلٌ منْهُم﴾ [البقرة:٢٤٩]، به يعلم أن مراد المصنف بقوله في **المسائل السفرية**: إنهم أجمعوا على النصب إجماع العشرة). [انظر: حاشية الشيخ ياسين على التصريح ١/ ٣٥٠].

وهذه هي المسألة العاشرة من «المسائل السفرية» حيث يقول ابن هشام: (مسألة: لم أجمعوا على النصب في ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إلاَّ قَلِيلاً﴾ [البقرة:٢٤٩] واختلفوا في ﴿مَا فَعَلُوهُ إلاَّ قَلِيلٌ﴾ [النساء:٦٦]؟ [انظر: «المسائل السفرية» تحقيق د. البواب ص ٤٠].

والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

أهم المراجع:

١- ابـــن هشـــام الأنصاري - آثاره ومذهبه النحوي، د. علي فودة نيل، الرياض، ١٤٠٦هـ -١٩٨٥م.

٢- بغـــية الوعـــاة، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٣- حاشية الشيخ ياسين على التصريح للشيخ خالد الأزهري، القاهرة، مطبعة الحلبي.

٤- الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة.

٥- رســـالة في توجيه النصب- في إعراب فضلاً ولغة وخلافًا وأيضًا وهلم جرا، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. حسن الشاعر، عمان، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٦- رسالـــة المباحث المرضية المتعلقة بـــ(من) الشرطية، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. مازن المبارك، دمشق ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

٧- شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

٨- شرح اللمحة البدرية، ابن هشام الأنصاري، تحقيق هادي نهر.

٩- كشف الظنون، حاجي خليفة.

١٠- المســـائل السفرية في النحو، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. علي البواب. الطبعة الأولى، الرياض ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م. الطبعة الثانية، الزرقاء ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١١- المسائل السفرية في النحو، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. حاتم الضامن مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٢- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي.

(آراء وأنباء)

حفل استقبال

الأستاذ الدكتور موفق دعبول

عضوًا في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته السابعة التي عقدت (في ٦/١/١٤٢٣هـ- ٢٠/٣/٢٠٠٢م)، (من الدورة المجمعية لعام ٢٠٠٢) الأستاذ الدكتور موفق دعبول عضوًا في مجمع اللغة العربية، الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد، وصدر المرسوم الجمهوري رقم (٣١٧) في (١٠/٧/١٤٢٣هـ- ١٦/٩/٢٠٠٢م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور موفق دعبول في جلسة علنية عقدها (مساء يوم الأربعاء ١٦ المحرم ١٤٢٣هـ - ١٩ آذار ٢٠٠٣م) في قاعة المحاضرات في المجمع؛ حضرها نخبة من رجال السياسة والعلم والأدب وأصدقاء المحتفى به.

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع بكلمة موجزة رحّب فيها بالسادة الحضور، مهنّئًا الزميل المجمعي الجديد، مباركًا انضمامه إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد أمين المجمع كلمته التي تحدث فيها عن الزميل المحتفى به، وذكر طرفًا من سيرته، ونوّه فيها بمكانته

العلمية والخلقية.

تقدم بعد ذلك الأستاذ الدكتور موفق دعبول، وألقى كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد.

وننشر فيما يلي كلمات الحفل:

* * *

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

في حفل استقبال الأستاذ الدكتور

موفق دعبول عضو المجمع

السادة العلماء الجلّة – أيها الحفل الكريم

أحييكم أحسن التحيات وأطيبها، وأرحّب بكم أجمل الترحيب وأوفاه، وأشكر لكم تفضلكم بحضور الجلسة العلنية لمجلس المجمع التي يسعدني أن أفتتحها لنشارك معًا في استقبال الأستاذ الدكتور موفق دعبول، والحفاوة به عضوًا في مجمع الخالدين.

لقد انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في (٦/ ١/ ١٤٢٣هـ- ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٢م) الأستاذ الدكتور موفق دعبول عضوًا في مجمع اللغة العربية.

ثم صدر بتعيينه المرسوم الجمهوري ذو الرقم (٣١٧) في (١٠/ ٧/ ١٤٢٣هـ - ١٦/ ٩/ ٢٠٠٢م).

وإنني لأهنئه التهنئة الخالصة بثقة زملائه المجمعيين به، واختيارهم له زميلاً عزيزًا، يعضُدهم في مسيرتهم، ويؤيد جهودهم ومسعاهم في تعزيز العربية المبينة، لتظلَّ اللغةَ الحيّةَ المتجدّدة أبدًا، تستجيبُ لمتطلبات العصر، وتلبّي ما يراد منها، وتحتلُّ مكانتها الرفيعة بين اللغات العالمية.

لقد عُرفت العربيةُ بمرونتها وطواعيتها ومزاياها في الاشتقاق والمجاز والوضع والتعريب والتوليد والنحت، مما أتاح لها طاقةً لا تكاد تحدُّ.

ولعل هذه الصفات هي التي أهّلَت العربية لتظل اللغة الخالدة لأبنائها

على مرّ الزمن، رافقتهم، ولبّت مطالبهم، فهي لسانهم، ومجمع تراثهم، يتحدثون بها، ويئلون إلى ذخائرها، ويتمثلون بروائعها، منذ عصر الجاهلية حتى العصر الحاضر. وهذا وحده من أكبر الدلائل على طاقاتها المتجددة، تملؤنا اعتزازًا بها، وإكبارًا لها. وتُهيب بنا أن نبذل كل عناية ورعاية لتنميتها والرقي بها، كي تظل اللغة المتألقة المعطاء. إنها اللغة الشريفة، المقوّم الأساسي لهويتنا، والمعبّــر عن شخصيتنا، والرابطة الحية التي توثّق بيننا، وتشدّ صلاتنا، وتؤلف بين قلوبنا، وتعصمنا من التفرق والشتات.

وبعد

فيطيب لي أن أتحدث بكلمة قصيرة أقدّم بها الزميل الكريم الأستاذ موفق دعبول، ممهدًا للاحتفاء به.

عُرف الأستاذ الدكتور موفق بالجدّ والتفوق بين لداته وأترابه، نال إجازته الجامعية من جامعة دمشق في العلوم الرياضية والفيزيائية عام ١٩٥٧ م، ثم حصل على درجة الدكتوراه في العلوم الرياضية من جامعة فيينا التقنية بالنمسا عام ١٩٦١م. والتحق بهيئة التدريس في جامعة دمشق مدرسًا عام ١٩٦٣م، وأستاذًا مساعدًا عام ١٩٦٨م، وأستاذًا عام ١٩٧٥م، ليصبح رئيس قسم الرياضيات ما بين عامي ١٩٨٣- ١٩٩٦م.

وقد أهّلته مواهبُه وسعة معارفه وتنوّعها، ونشاطه الدائب، أن تُسند إليه أعمال جمّة، أعدُّ منها ولا أعدّدها:

فكان رئيس تحرير مجلة جامعة دمشق للبحوث العلمية ما بين عامي ١٩٨٥- ٢٠٠١م، وهو عضو مؤسس في الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية وعضو مجلس إدارة منذ عام ١٩٨٨، ورئيس تحرير مجلة الثقافة المعلوماتية، ووكيلُ جامعة دمشق للشؤون العلمية من أيلول عام ١٩٩٧م إلى أيلول عام

٢٠٠١م، ونائب رئيس الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية منذ عام ٢٠٠١م.

أحبّ العربيّة الحبّ الجمّ، وأتقنها، وعُرف بأسلوبه السلس وعبارته الواضحة، وألّف وترجم كتبًا كثيرة في ميدان اختصاصه، وقدّم جملة من البحوث العلمية ألقاها في الندوات العربية وأسابيع العلم.

ويلفتُك في كتاباته ثوابت يعرضها، ويسعى لغرسها في نفوس سامعيه من أبناء الوطن، وحفزهم على العناية بها. من ذلك دعوتُه المستمرة إلى الاهتمام بالبحث العلمي، وإرساءِ قواعده في الوطن العربي، وبيانُ الأسباب التي عاقت نموه وتطوره، وتقديمُ المقترحات التي تؤدي إلى التعاون بين المنظمات العلمية العربية، والتي تكوّن الأساس المتين للرقي بالبحث العلمي، وتهيئتِه لقيام التعاون العلمي الجادّ بين مؤسسات الوطن العربي العلمية والمؤسسات العلمية الأخرى، والتخلص من الهيمنة الخارجية على مقدراته.

ويتصل بهذه الفقرة نظراتٌ تتناول إصلاحَ التربية والمناهج، والاستمرار في بذل الجهود العلمية والثقافية لأنها الطريق إلى النهوض، وتنمية الجانب الخلاق لعقل الإنسان وروحه.

ومن الثوابت في كلمات الأستاذ موفق دعوتُه إلى ضرورة تعميم التعليم بالعربية المبينة في مختلف مراحل الدراسة من مرحلتها الأولى حتى المرحلة الجامعية في جميع مؤسسات التعليم في الوطن العربي؛ فالتعليم باللغة العربية هو الطريق الصحيح للأمة، وهو السبيل الناجع للتعاون بين مؤسساتها العلمية للنهوض بالبحوث العلمية وتطويرها، وتوزيع العمل بينها في فرق عمل منصرفة إلى البحث ليمضوا به في طريق صاعدة، ويكسروا طوق العزلة فيما بينهم، فيحل الاجتماع بدل التشتت، والعمل الجماعي بدل التفرد.

ومن ثوابته تشجيعُه المستمر لدراساتٍ تتناول أعمال علماء الأمة في

عصور ازدهارها، وتكشف عما قاموا به وقدّموه للبشرية. وهو لا يريد من وراء ذلك أن يباهي بما قام به الأجداد، ولكنه يرمي، إلى جانب إقرار الحقائق الثابتة التي نهض بها العرب في ميدان العلوم في عصورهم الماضية، أن يعزّزَ الثقة في نفوس الأجيال العربية الناشئة، ويؤكدَ أن الأمة التي كانت قادرة على قيادة ركب الحضارة في عصور مضت، والتي برز فيها أمثال هؤلاء العلماء الكبار، لقادرةٌ اليوم، إذا تكاتفت وتهيأ لها المناخ الملائم أن تشارك المشاركة الفعالة في النهضة الجديدة، وأن تحتل المكانة اللائقة في دنيا العلم والتقانة.

وكان من همه الدعوةُ إلى متابعة الحركة العلمية العالمية، والعنايةُ بمكتشفاتها الجديدة وعلومها الحديثة، ندرسها الدراسة الجادة لنفيد منها ونجني مكتسباتها.

فأهلاً بك أيها الزميل العزيز في رحاب مجمع الخالدين، نعمل معًا في سبيل تحقيق أهداف المجمع، نتغلب على الصعاب، ونتكاتف مع المجامع والمؤسسات العربية، لنبلغ بلغتنا الشريفة مكانتها العالية بين اللغات العالمية. والله الموفق.

وإني لمكتفٍ بهذه الكلمة القصيرة أفتتح بها جلسة المجمع العلنية المعدة لاستقبال العضو الزميل الدكتور موفق دعبول، مرحبًا بانضمامه إلى اسرة المجمعيين، ممهدًا للاحتفاء به.

ويسعدني أن أدعو الأستاذ الدكتور واثق شهيد أمين المجمع ليلقي كلمة المجمع في استقبال الزميل الكريم، ويتحدث عن سيرته العلمية.

ثم يتلوه الأستاذ الدكتور موفق دعبول، فيعرض لنا جوانب من سيرة سلفه الراحل الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد، رحمه الله الرحمة الواسعة، وأسكنه فسيح جنانه.

ونختم الاحتفال بتقليد الزميل الكريم الشارة المجمعية.

كلمة الدكتور عبد الله واثق شهيد
أمين مجمع اللغة العربية
في حفل استقبال الأستاذ الدكتور
موفق دعبول عضو المجمع

السادة الزملاء أعضاء المجمع

أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله

نستقبل اليوم الزميل الدكتور موفق دعبول، بعد مضي عام على انتخابه، فقد انتخبه مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٢ فكان أول رياضي ينتخب عضوًا في المجمع منذ تأسيسه. وصدر مرسوم تسميته عضوًا فيه برقم ٣١٧ و تاريخ ١٦/ ٩/ ٢٠٠٢.

لقد جمعتنا كلية العلوم، فيها قضينا معظم سنوات العمر طلابًا فمعلمين. شاركنا رفاقنا الطلاب، فأبناءنا الطلاب، رسم ملامح صورة المستقبل المرجوّ. ثم عملنا معًا على بناء ذلك المستقبل أو على كشف معالم الطرق الموصلة إليه. وكنّا إذا ما اضطربت في أذهاننا صورة ما نسعى إليه، أو صورة ذلك المستقبل الذي نعتقد أننا كنا أحسنّا رسم ملامحه، نعود إلى مسالك تلك الطرق فنعدل ما يبدو أنه حادَ بنا عن الجادة. نعدله بالتعلم ونعدله فيما نعلم، فهاجسنا هو بناء المستقبل الأفضل للأجيال المقبلة. وتقصينا صورة ذلك المستقبل الأفضل، من مواقع في التعليم العالي إدارية

علمية مختلفة، لعل رؤيتنا تكون منها لصورته أصدق، ولمسعانا إليه أوضح، ولكننا لم نتخلَّ أبدًا عن التعلم والتعليم، إيمانًا منا بأن التخلي عنهما لن ينتهي بنا في مسعانا إليه إلاّ إلى سرابٍ خادع. وسنبقى في هذا المجمع، مجمع دمشق، أول مجامع اللغة العربية، نسعى للمشاركة في بناء المستقبل المرجو للأجيال القادمة، بأساليب أخرى للتعلم والتعليم، عمادها تطوير سبل الاستفادة من لغتنا العربية، لغة القرآن الكريم، وإثراء ذخيرتها بالمصطلحات العلمية المتدفقة، لتكون عونًا لنا في تطوير التعليم وتنمية معارفنا وقدراتنا العلمية.

دخل موفق دعبول كلية العلوم طالبًا في عام ١٩٥٣ وحصل على الإجازة في العلوم الرياضية الفيزيائية في صيف عام ١٩٥٧. لم نلتق طوال هذه المدة، فقد غادرت كلية العلوم إلى باريس موفدًا للحصول على الدكتوراه في الوقت الذي دخلها هو طالبًا، وعدت إليها في صيف عام ١٩٥٧ وكان قد أنهى دراسته فيها قبل شهر أو شهرين.

كان نظام الجامعة السورية في تلك الأيام، يقضي بإيفاد خريجيها الأوائل للحصول على الدكتوراه، فأوفد موفق دعبول، الناجح الأول في شعبة العلوم الرياضية، إلى ڤيينّا لتحضير الدكتوراه في الرياضيات، فتعلم الألمانية وأنجز أطروحته في الميكانيك وناقشها وحاز الدكتوراه بتقدير امتياز، وعاد إلى الوطن في عام ١٩٦١. وكان قانون تنظيم الجامعات في الجمهورية العربية المتحدة الذي حل محل نظام الجامعة السورية، يشترط للتعيين في وظيفة مدرس في كليات الجامعات أن يكون قد مضت ست سنوات على

الأقل على حصول المرشح للتعيين على الدرجة الجامعية الأولى (الإجازة)[١].

فكان على الدكتور دعبول أن ينتظر عامين للتعيين مدرسًا في قسم الرياضيات بكلية العلوم. قضى منهما العام الثاني في الجامعة الليبية الحديثة معارًا، والعام الأول في الكلية معيدًا في قسم الرياضيات، كان فيه الذراع الأيمن لعميد الكلية رئيس قسم الرياضيات الأستاذ نادر النابلسي رحمه الله. كان يكلفه تارة القيام ببعض مهامه التدريسية المناسبة، إذا ما ازدحمت أعماله الإدارية، وأخرى متابعة شؤون القسم الإدارية، أو دراسة المشكلات الطلابية في الكلية واقتراح الحلول، وتنظيم برامج المحاضرات الأسبوعية وتعديلها والتوفيق بين رغبات أعضاء هيئة التدريس، والحرص فيها على أوقات الطلاب من الهدر. وقد أحسن القيام بما كلف، وعَرَفه زملاؤه أعضاء هيئة التدريس في الكلية عن قرب، وأثنوا على ما قام به وأحبوه. في هذا العام أخذت شخصية الدكتور موفق دعبول ترتسم في أذهان زملائه وفي نفوسهم. لقد كان قريبًا إلى القلب أنيسًا لبقًا شديد التهذيب، دؤوبًا يتقن عمله. هذا ما تركه في نفسي ونفس كل من عرفه. إلا أننا افترقنا مرة أخرى في تشرين عام ١٩٦٣، إذ أعرت إلى جامعة الملك سعود بالرياض عامين دراسيين، عدت بعدهما إلى الكلية فألفيته قد أحرز في نفوس زملائه في هذين العامين موقعًا مرموقا.

---

(١) وهو شرط كانت الغاية منه توجيه أوائل الخريجين إلى وظيفة المعيد، التي هي الطريق شبه النظامية إلى عضوية هيئة التدريس، ولكنها توجب على المعيد القيام بأعمال تعليمية (عملية وتدريبية) في قسمه تؤدي إلى إطالة مدة تحضيره الدكتوراه، فتصبح وسطيًا ست سنوات.

كانت كلية العلوم في عقد الستينيات، تقود حركة التطوير الجامعي، تلك الحركة التي شملت التعريب وما يرتبط به من كتبٍ وأمالٍ، والمناهج ونظم التعليم العالي. وكما تعلمون، فإن المعهد الطبي العربي، كلية الطب في الجامعة السورية، كان أول من تصدى لمهام تعريب العلوم في التعليم العالي، وقادها، بمساندة المجمع العلمي العربي، ربع قرنٍ قبل إحداث كلية العلوم بنجاح منقطع النظير. واستقر تعريب تعليم الطب بعد عقدين من تأسيس الجامعة السورية أو أقل قليلاً. والطب في تلك الأيام، يشمل الطب البشري وطب الأسنان والصيدلة. وباشر أساتذة كلية الطب، في أوائل الثلاثينيات من القرن الماضي، وضع معجمات مختصة لمصطلحات أغلب فروع الطب والصيدلة، لكل فرع أو اختصاص معجمٌ مختص بمصطلحاته. فلما أحدثت كلية العلوم، كانت كلية الطب قد ضربت لها بما أنجزته في تعريب تعليم العلوم مثلاً، وتخلت لها عن مهام تعليم السنة الإعدادية للطب.

تسلم مؤسسو كلية العلوم مهام تعريب العلوم في مجالات العلوم الأساسية. وكان أكثرهم قد اكتسب بعض الخبرة بالتعليم في المدارس الثانوية، وبما ألّفوه لطلابها من كتبٍ صقلت لغتهم العلمية وطورتها. كما كان الدكتور جميل الخاني أستاذ أمراض الجلد في كلية الطب قد وضع في كتابه «القطوف الينيعة في علم الطبيعة»، ثمار تجربته الجريئة الناجحة في تدريس الفيزياء في السنة الإعدادية للطب. وهو كتاب شامل في الفيزياء والرياضيات الضرورية لفهمها، غني بالمصطلحات العلمية عامة، ومصطلحات الفيزياء منها بخاصة. فانطلق مؤسسو الكلية بمهام تعريب تعليم العلوم الأساسية منذ البداية بثقة كبيرة ونجاح وطيد. ونحا كل منهم في

انطلاقه بها نحوًا خاصًا. إلا أن التعاون والنقاش انتهيا بهم إلى تجمعهم في مدرستين، أولاهما مدرسة التعريب الشامل، تعريب العلم ورموزه ومعادلاته، ونشأت هذه المدرسة في قسم الرياضيات يتزعمها الأستاذ نادر النابلسي رحمه الله، وآزره فيها الدكتور عبد الغني الطنطاوي حفظه الله منذ دخوله القسم بشدة، وكان من أنصارها في الفيزياء الدكتور إسحاق الحسيني رحمه الله. أما المدرسة الثانية فلم تر تعريب المعادلات والرموز (الرياضية والفيزيائية والكيماوية)، فبقيت فيها الرموز لاتينية ويونانية وعالمية، واقتضى ذلك كتابة المعادلات من اليسار إلى اليمين. تعايشت المدرستان في بيئة شجعت تنوع الآراء والتعاون للوصول إلى الأفضل،فتنافستا في الوصول إليه، وتعاونتا بإخلاص في خدمة هدفهما المشترك ألا وهو تعريب العلم. ولئن انتهت الغلبة للثانية في تعريب الرياضيات والفيزياء والكيمياء، فإن للأولى على الثانية مزيّة إتقان أنصارها اللغة العربية، فاستمرت إلى جانبها طوال وجود مؤسسيها في الكلية.إلا أن الغلبة لم تستقر للثانية إلا بعد عودة الأفواج الأولى من موفدي الكلية ما بين النصف الثاني من الخمسينيات والنصف الأول من الستينيات. وكانوا جميعًا من مريدي المدرسة الثانية، كما كانوا جميعًا واسعي الثقافة متفوقين في اختصاصاتهم. والأهم من ذلك أن كثيًرا منهم كان يتقن اللغة العربية ولغة أجنبيةً على الأقل. ولقد ساهم إتقانهم اللغة العربية في استقرار الغلبة للمدرسة الثانية في الرياضيات والفيزياء والكيمياء، بما قدموه لها من خدمات - كانت بأمس الحاجة إليها - في تحسين أسلوب الكتابة العلمية باللغة العربية، وفي توجهات جديدة في كيفية اختيار المصطلحات ووضعها، اتبعت

بخاصة في المجالات المستجدة التي أدخلوها في التدريس. لقد كون أنصار المدرسة الثانية مجموعة متجانسة موحدة المنهج في تطوير التعليم العالي، جعلت اللغة العربية منطلق التطوير وعماده.

في اجتماعات هذه المجموعة كانت تدرس مشكلات التعليم في كلية العلوم، وتقترح أسس تطويره. وكثيرًا ما كانت المجموعة تمتد في تطلعاتها إلى تطوير التعليم العالي واستشراف آفاقه المستقبلية. كما كانت تناقش المصطلحات العلمية عامة، وتلك المستخدمة في الرياضيات والفيزياء بخاصة، وتقف في وجه دعاة التغريب. وما أنس لا أنس وقوفها ذاك، في وجه الفئة المارقة التي ارتدت عن العربية للتعليم في كلية الطب بجامعة حلب، وتصديها لها على صفحات مجلة المعرفة عامًا أو أكثر في حوار فكري حول لغة العلوم، شارك فيه مجمعيون وجامعيون ومفكرون من مختلف الأقطار العربية، وانتهى بالفتنة إلى وأدها في المهد.

في تلك الأيام، التي كانت كلية العلوم تقود في أثنائها حركة تطوير التعليم الجامعي، دخل الدكتور موفق دعبول عضوية هيئة التدريس في الكلية فدرّس معظم مقررات (مواد) الرياضيات كالميكانيك والتحليل الرياضي والمعادلات التفاضلية والرياضيات المعاصرة، وألّف فيها جميعها وشاركه في بعضها بعض زملائه. وأولى الرياضيات المعاصرة عناية خاصة، فألّف فيها كتابًا للآباء، ووضع معجمًا لمصطلحاتها بالتعاون مع بعض زملائه. وترجم في جميع هذه المجالات، وأنجز بحوثًا متنوعة في الرياضيات، ودراسات في التراث العلمي العربي، وفي مستقبل اللغة العربية في التعليم، وعالج مشكلات التعليم

العالي عامةً، والتعليم في كلية العلوم بخاصة. وأُحدث بجهوده فرع للمعلوماتية في قسم الرياضيات بكلية العلوم، وشارك أيضًا في نشر تعليم مبادئ المعلوماتية في الجامعات، فأعاد بذلك إلى الكلية دورها الريادي في تطوير التعليم العالي.

ولما كانت أعمال الدكتور دعبول العلمية والإدارية كثيرة ومتنوعة، فسأحدثكم فقط، عما أراه الأهم منها. وأهمها عندي إحداث فرع للمعلوماتية في قسم الرياضيات بكلية العلوم. ذلك لأن مقررات الدراسة في الكلية، لم تحو من قبل شيئًا عن المعلوماتية، وكل من تخرج من كلية العلوم قبل إحداث هذا الفرع، وبخاصة من تخرج منهم مع الدكتور دعبول أو قبله، لم يتلق في دراسته في الكلية شيئًا عن المعلوماتية. وهو علم يقضي الطلاب في تعلّمه وهم في مقتبل العمر، ما لايقل عن سنتي الاختصاص في الدرجة الجامعية الأولى، يتلقونه طلابًا على مقاعد الدرس عن معلمين. أما الدكتور دعبول فقد تعلمه بنفسه من الكتب وأتقنه وعلم بعض مقرراته (مواده) وهو في أواخر الأربعينيات من عمره أو في أوائل الخمسينيات، ثم أشرف على إنشاء المخابر ووضع المناهج، وخرّجت كلية العلوم أفواجًا من المعلوماتيين قبل أن يشرع التعليم العالي في إحداث كليات الهندسة المعلوماتية، التي ساهم هو أيضًا في إنشائها وفي تأمين الكتب لطلابها. وهذا معلم من معالم سيرته يدعو حقًا إلى التقدير. والدكتور دعبول عضو مؤسس في الجمعية السورية للمعلوماتية، ونائب رئيس الجمعية، ورئيس تحرير مجلة الثقافة المعلوماتية. ويزداد هذا المعلم في سيرة الدكتور دعبول وضوحًا باستقرائه في سير إخوته الذين رعاهم في كلية العلوم. فالدكتور موفق أكبر إخوة أربعة تخرجوا من كلية العلوم. أذكر منهم طالبًا «رضوان» الذي تخرج

من قسم الرياضيات، وأذكر أنه كان يعنى بتأمين الأمالي لزملائه الطلاب طباعةً وتصحيحًا وإخراجًا وتوزيعًا. ما لبث بعد تخرجه من كلية العلوم أن أسس مؤسسة الرسالة والشركة المتحدة للتوزيع، وامتد نشاطه فيهما إلى لبنان والأردن على الأقل، فكان بهما في طليعة العاملين في سورية في صناعة الكتاب. أما أحمد فقد ترك الرياضيات لإخوته الثلاثة ودرس الكيمياء في كلية العلوم، فلما تخرج منها دخل صناعة المواد الكيماوية، وهو الآن من أقطاب هذه الصناعة في سورية. وأما محمد فقد حصل على الإجازة في الرياضيات أيضًا، وتحول بعد تخرجه إلى الصناعة فأقام مجمعًا ضخمًا لسحب الألومنيوم وتطويعه لسد حاجات الإنشاءات المختلفة، قد لا يوجد في الوطن من مستواه أكثر من مجمع واحد. فإخوة الدكتور موفق الثلاثة الذين اتبعوه في دراستهم الجامعية، هم من أقطاب النهضة الصناعية في الوطن، فلا عجب إذن أن يقوم هو في المعلوماتية وفي المعرفة عامةً بمثل ما قاموا به هم في غيرها. لقد اختار لنفسه صناعة المعرفة وهي أحدث صناعات هذا العصر، فبلغ فيها ما أحدثكم عنه. والجدير بالذكر أنهم لم يرثوا مالاً ولا خبرةً صناعية عن ذويهم.

أنتقل بكم الآن إلى ما اخترته من أهم أعماله في بعض مجالات اللغة العربية، يتقدمها مجال المصطلح العلمي. لقد وضع الدكتور دعبول مع زميلين له في قسم الرياضيات، أول معجم للرياضيات المعاصرة في سورية، وقد يكون الأول في الوطن العربي كله، وضع فيه المقابل العربي للمصطلح الأجنبي (باللغتين الإنكليزية والفرنسية)، وعرَّف المصطلح بالعربية تعريفًا علميًا وافيًا، مع ما يتعلق بالتعريف من المبرهنات دون إثبات، ورتب على

حروف المعجم. وقد ألحق به فهرسان للمصطلحات الواردة فيه رتبت على تسلسل الحروف اللاتينية، أحدهما للمصطلحات باللغة الفرنسية أشير فيه إلى رقم الصفحة التي ورد فيها تعريف المصطلح في المعجم، والثاني للمصطلح باللغة الإنكليزية. وهذا مالا يوجد في غيره من المعاجم. فالمعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك، الذي نشره مكتب تنسيق التعريب، فقير جدًا بمصطلحات الرياضيات المعاصرة، ولم تعرَّف فيه مصطلحاته.

نطالع في مقدمة معجم الرياضيات المعاصرة الأفكار الرئيسة التي قام عليها، فنقرأ فيها: «وتأتي الضرورة لمعجم يتناول مصطلحات الرياضيات المعاصرة بسبب التغيرات التي طرأت على مناهج التعليم العالي والثانوي، وبعد إدخال المجموعات في التعليم الابتدائي». فعللت المقدمة التوجه إلى الرياضيات المعاصرة في المعجم، كما بينت لماذا سمي معجم الرياضيات المعاصرة وليس الحديثة. وأشارت إلى أن استكمال إيضاح بعض التعاريف أدى إلى إتباعها بأمثلة موضحة وإلى الاستعانة ببعض الرسوم. وتنتقل المقدمة إلى الحديث عن المعاناة في وضع المصطلح العربي فنقرأ فيها أيضًا: «وهذه المعاناة جعلتنا نعتقد أن ولادة المصطلح لا تكون نتيجة اجتماع لجنة من اللغويين والمختصين يطرحون فيه المصطلح الأجنبي ويبحثون عن مقابل عربي له، بل لابد وأن يخضعوا هذا المقابل العربي إلى الاختبار برهة من الزمن قبل إقراره بصورته النهائية». وتظهر هذه المعاناة بمقابلة بعض مصطلحات المعجم، بما كان اختاره مؤلفوه لها في معجم مصطلحات العلم والتقانة (التكنولوجيا) الذي شاركوا في نقله من الإنكليزية قبل ثلاث سنوات، فنرى أنهم نحتوا لمصطلحات تشاكلٍ تقابلي، وتشاكلٍ مستمر، وتشاكلٍ

ذاتي، وتشاكلٍ داخلي، مصطلحات مقابلة كان منها للأولى، على سبيل المثال «تماكل»، الذي ذكروا في المقدمة أنهم جروا فيه مع زملائهم في قسم الكيمياء حيث اختاروا هذا المصطلح لكلمة (إيزومورفزم) نحتًا من ترجمتها بكلمتي. «تماثل الشكل» فالمعاناة أفضت بهم، كما نرى، إلى قبول النحت على مضض. وقد أشاروا إلى ذلك في المقدمة بقولهم: «ولم نلجأ إلى النحت والتعريب إلا عند الضرورة»، وأوردوا فيها مثالاً على ما عربوه كلمتي (طبولوجيا) و(هومولوجيا). والمصطلحات المعربة في المعجم قليلة حقًا، فهي لم تتجاوز فيه كله خمسة مصطلحات ، أهمها كلمة (طبولوجيا).ومن أجمل ما اتبع في المعجم في رأيي النسبة إلى الجمع والمثنى في حالات جنبتنا التعبير عنها بجمل، فوضعوا لفظة حدودية نسبة إلى حدود بدلاً من عبارة كثيرة حدود، ولفظة حداني نسبة إلى مثنى حدٍ، بدلاً من ثنائي الحد أو ذات الحدين، وقالوا خطاني في بعض الحالات، منها شكل خطاني. وأخذوا في الكلمات المنتهية بالكاسعة able بما سار عليه أساتذة كلية الطب بالاشتقاق على وزن فعول، قالوا: «فاستخدمنا مثلاً كلمة فضول (قابل للتفاضل) وقيوس (قابل للقياس) وكمول (قابل للمكاملة)، وعدود وجموع،... باستثناء بعض الحالات القليلة، فقد خرجنا عن هذه القاعدة فقلنا اشتقاقية (قابل للاشتقاق) واحتمالي».

وقد ضمّ المعجم بين صفحاته نبذة مختصرة عن بعض مشاهير الرياضيين العرب والمسلمين من مختلف عصور الحضارة العربية الإسلامية. وهو ليس ترجمة لمعجم أجنبي بعينه، فقد استعين في وضعه بعدد من معجمات الرياضيات الفرنسية والإنكليزية. إنه معجم وافٍ بأغراض التدريس في التعليم

العالي بجميع فروعه ومستوياته.

وللدكتور دعبول دراسات في التعليم العالي وتعريبه، وفي الكتاب العلمي الجامعي وفي البحث العلمي وتنميته وتنسيقه، دراسات تفاعلت مع المواقع الإدارية العلمية التي شغلها كرئاسة قسم الرياضيات ووكالة الجامعة للشؤون العلمية، ورئاسة لجنة مقرري المجلس الأعلى للعلوم، ورئاسة تحرير مجلة الجامعة، ومواقعه في الجمعية السورية للمعلوماتية التي ذكرت، فعمقت رؤيته الشمولية وعززت سداد أحكامه. وسأشير بإيجاز شديد إلى أكثرها ارتباطًا بأغراض المجمع،إلى بعض آرائه في اللغة العربية في التعليم الجامعي، وفي إعداد الكتاب الجامعي.

قدم الدكتور دعبول دراسة بعنوان «العربية لغة العلم» في ندوة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، عقدت في البحرين في عام ١٩٩٥، تحدث فيها عن اللغة عامة، فاللغة العربية وما تتميز به من اللغات الأخرى، وما حققته في النهضة العربية الإسلامية من بناء لغات علميةٍ وفلسفيةٍ وفقهيةٍ ازدهرت بها الحضارة العربية الإسلامية وانتشرت في أصقاع العالم، وثبّتت هويتها وموقعها في التاريخ، وخلص في دراسته إلى بعض الآراء أذكر منها ما يلي:

– ضرورة تنسيق المصطلحات وتوحيدها داخل الدولة الواحدة تمهيدًا لتوحيدها في الوطن العربي. ونشير إلى أن المجمع يقوم منذ العام الماضي بتنفيذ مشروع توحيد المصطلحات العلمية في الجامعات السورية بالتعاون مع وزارة التعليم العالي والجامعات.

– ضرورة إصدار معاجم متعددة اللغات ومعاجم حديثة في اللغة

العربية، ومعجمٍ علمي تاريخي.

– ضرورة العناية بالترجمة في الجامعات، ويستحسن أن تكون في إطار الدراسات العليا، يعنى فيها بالترجمة وأصولها وبخصائص اللغة العربية ووسائل نموها من اشتقاق وقياس وتعريب...

– إعادة النظر في تعليم النحو والاستفادة من الوسائل الحديثة في ذلك كالحاسوب والبرمجيات التعليمية.

– اشتراط بلوغ المرشح لعضوية هيئة التدريس في الجامعات مستوى في اللغة العربية يمكنه من التعليم والتأليف بها على وجهٍ مقبول.

أما الدراسة التي وضعها مع زميل آخر عن إعداد الكتاب العلمي الجامعي باللغة العربية، فقد جعلت المواصفات التي يطلب توافرها في الكتاب في صنفين: صنف ما سمي مواصفات الشكل، من رسومٍ إيضاحية وأشكالٍ وحواشٍ وملحقات ومراجع ومقدمة، وهي مواصفات متوافرة كلها في معجم مصطلحات الرياضيات المعاصرة، أحد مؤلفات الدكتور دعبول الذي حدثتكم عنه، ويدل توافرها فيه على أن ما تضمنته الدراسة من آراء حول إعداد الكتاب العلمي الجامعي كان حصيلة خبرةٍ وممارسة. وتؤيد هذا الاستدلال، مواصفات الصنف الثاني، مواصفات مضمون الكتاب العلمي الجامعي التي اقترحت في تلك الدراسة والتي نلخصها بما يلي:

على المؤلف تحقيق انسجام الأفكار المقتبسة من المؤلفات الأخرى وتآلفها، وعليه أن يعرضها عرضًا يتجلى فيه منهجه العلمي ويترك على مؤلَّفه بصمات أسلوبه التربوي.و يجب أن يشمل الكتاب المنهاج المقرر وأن

يعرض المؤلف بعض المستجدات العلمية في موضوعه، وأطرافًا من موضوعات من خارج المنهاج، تكون على صلة قوية به، تزيد من وضوح بعض الفقرات وتستكمل أغراضها. ويراعى في أسلوب العرض، المساعدة على توسيع آفاق الطالب العلمية، وجعله يعتاد عدم التقيد الحرفي بالمنهاج، على ألا يتجاوز ذلك كلّه خُمس حجم الكتاب. وتوصي الدراسة أيضًا بضرورة خضوع مشروعات الكتب الجامعية إلى مراجعة لجان خبيرة.

أيها السيدات والسادة، حدثتكم عن بعض مآثر الأخ العزيز الدكتور موفق دعبول في صناعة المعرفة، وأشرت إلى بعض ما أسس فيها وأقام، وألمحت في بداية حديثي إلى كريم خصاله. وأتوجه الآن إليه مرحبًا به، كما رحب به رئيس مجمعنا الدكتور شاكر الفحام. أهلاً بك بيننا يا أبا يمان، أهلاً بك تبني مع زملائك في المجمع، للغتنا العربية صرحًا في علوم المصطلح والمعاجم المختصة، نتحرى أسسه في توحيد مصطلحاتنا، وفي المعجم العلمي العربي التاريخي الذي أشرت إليه في إحدى دراساتك، وفي علم لغتنا العربية وكنوز ذخيرتها، وفي تجارب اللغات الأخرى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الدكتور موفق دعبول

في حفل استقباله

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة الوزراء

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس مجمع اللغة العربية

أيها المجمعيون الأفاضل، أيها السادة الحاضرون.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد.

فإني أستهل حديثي بتوجيه الشكر إليكم، إلى هؤلاء الذين جاؤوا يعبرون عن عواطفهم نحوي، وإلى أولئك الذين اعتادوا أن يشاركوا المجمع في نشاطاته، يحضرون محاضراته، ويتابعون إنجازاته، ويأمُلون من المجمع وأهله أن ينهضوا بمسؤولياتهم لتأخذ لغتنا المكان اللائق بها، في أهلها وفي غير أهلها من أمم الأرض.

وإلى السيد رئيس الجمهورية أرفع خالص الشكر على إصداره المرسوم رقم [٣١٧] لعام ٢٠٠٢ القاضي بتعييني عضوًا في هذا المجمع الكريم، وإلى السادة أعضاء مجلس المجمع تقديري واحترامي على تفضلهم باختياري عضوًا ينضم إليهم، وهم يأمُلون أن أسعى معهم لتحقيق أهداف المجمع النبيلة في الحفاظ على لغتنا العربية، وتعزيز مكانتها، وتبيان أنها أم اللغات، لغة علم وأدب وحضارة. وإني أسأل الله العلي القدير، ألاّ تخيب آمالهم فيّ، وأن يُمِدَّني بعونه لأؤديَ الأمانة، وأصونَ الرسالة. وإني أرى من

واجبي أيضًا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيسِ المجمع، على مشاعره الكريمة نحوي، وعلى هذا الترحيب الذي أكرمني به، كما أشكر الأستاذ الدكتور واثق شهيد على تقديمي إليكم، ناظرًا إليّ بعين الرضا، متجاوزًا عن عيوبي، مبرزًا ما رآه حسنًا من أعمالي.

أيها السادة: كنت أشارك في فعالية ثقافية في طهران عندما عقد مجلس المجمع جلسته التي اختارني فيها لعضويته. وعندما زفّ إلي الخبر أحد زملائي الأفاضل في جامعة دمشق، سرّني أن أكون عند حسن ظن المجمعيين، وهم علماء أفاضل، يتلمسون فيَّ ما يمكن أن يكون رافدًا لهم في خدمة لغتنا العربية، أعمل معهم على إبراز جمالها وروعتها، وعلى بيان قدرتها، التي لا حد لها، على استيعاب كل جديد... وأنا الذي ردّدتُ في كثير من كلماتي التي ألقيتها في مناسبات كثيرة قولَ أبي الريحان البيروني «الهجو بالعربية أحب إليّ من المدح بالفارسية». وخالط هذا السرورَ رهبة من عِظم المسؤولية أقلقتني: فكيف يمكن لي أن أحمل تلك الأمانة، وأنا مع الذين يرون في المجمع المدافع الأول عن هذه اللغة، الذائدَ عن حياضها، الذي يفترض فيه أن يتولى المَهامَّ الصعبة التي لا يقوى على حملها إلا أولو العزم من الرجال. وتساءلت... ما المهمةُ التي رشحني المجمعيون لها، وظنوا فيَّ الجدارة بالقيام بها؟... فأنا لست المختص باللغة العربية وبعلومها كما هو حال بعض الزملاء، ولست أيضًا من الذين اشتهروا بنظم الشعر وتأليف القصص وكتابة المسرحيات، كما هو حال زملاء آخرين. إذن ما الذي يأمُل مجلس المجمع مني؟ عدت إلى رسالة المجمع كما وردت في مرسوم إنشائه، فأدركت أن من أهمها، وضع المصطلحات، وتأليف المعاجم

العلمية... وهذا مجال رحب جدًّا، ويحتاج إلى جهود ضخمة جدًّا، فالمعرفة تتضاعف في عصرنا هذا، في مدة لا تتجاوز العدد القليل من السنوات، وهي في بعض الاختصاصات والفروع تتضاعف في مدة لا تتجاوز سنتيـــن، وإن سيلاً من المصطلحات يتدفق كل يوم... رجوت عندئذ أن أتمكن من الإسهام في هذا المجال، وأن أحقق آمال من توسم فيَّ القدرة على ذلك، ملاحظًا في الوقت نفسه، أن هذه مهمة صعبة لا يقوى المجمع على حملها وحدَه، ولابدّ من تجميع القادرين على المشاركة فيها، شريطة توفير بيئة العمل المناسبة، وتحقيق الشروط الملائمة. يُرجى عندها أن يثمر هذا في سد ثغرة لعلها تأتي في مقدمة المشروع الكبير، مشروع تعريب العلوم في جميع مراحله. ومن الحكمة إذن أن يكون في المجمع لغويون وأدباء ومختصون في مجالات أخرى.

أيها السادة: أما عن سلفي الأستاذ الراحل الدكتور عبد الوهاب حومد، فإني أعترف إليكم بأننـــي لم أحظ بالتعرف به عن قرب، في اجتماعات ضمتنا، أو لقاءات تجاذبنا فيها أطراف الحديث، إنما عرفته عن طريق الأستاذ الراحل نادر النابلسي، الذي كان يحدثنا، بين الحين والآخر، عن العلاقات المميـــزة الدافئة التي كانت تربطه بالأستاذ الراحل عبد الوهاب حومد، وبالأستاذ الكبيـــر عبد الحليم سويدان حفظه الله وصانه.

إن الانطباع الذي كان في ذهني عنه أنه أستاذ جامعي مميـــز، تخرجَتْ على يديه أفواج وأفواج من المحامين، الذين نهلوا من علمه الغزير، ومنهجه القويم في معالجة الفكر القانوني والحقوقي... وأنه أيضًا تقلد عدةَ مناصب وزارية بنجاح لافت للانتباه، فهو في الخلاصة عَلَمٌ كبير، أعطى الكثير الكثير في حياته، ولذلك

استحق أن يكون من الجديرين بشَغْل مواقع مميــزة في تاريخ أمتنا.

وإني أعترف إليكم، في الوقت ذاته، أني كنت إلى ما قبل عشرين عامًا، ميالاً إلى قضاء وقتي بين الكتب والأوراق، ولعل هذه سمة المشتغلين بالرياضيات وبعض العلوم الأخرى، حتى إذا ما كُلِّفْتُ ببعض الأعمال الإدارية العلمية، وجدت نفسي محاصرًا بعلاقات اجتماعية لا سبيل إلى التهرب منها.

وصادف كذلك أن الأستاذ حومد قد مال، في بعض تلك المدة، إلى الاعتكاف في بيته.

ولكنْ عندما حدثني أمين المجمع الأستاذ الدكتور واثق شهيد عن عضو المجمع الذي طواه الثرى، والذي سأحل مكانه، شعرت بارتياح شديد لاقتراح الأستاذ أمين المجمع أن أكون خلفًا للأستاذ حومد، وعكفت على قراءة بعض ما كتب، فوجدتنـــي أمام رجل عظيم، أمام أستاذ جامعي في العلوم القانونية، وأديب لامع، وكاتب فذ في الشؤون العامة، طاعت له الكلمة، فكان صاحب أسلوب ممتع يشد القارئ. ندمت عندئذ على ما فاتنـــي.

وقد أشار الأستاذ الدكتور إحسان النص، نائب رئيس المجمع، إلى تميـــز الأستاذ حومد في الأدب والقانون معًا، في كلمته التي ألقاها في حفل استقبال الأستاذ حومد إذ قال: «ولعلّ كثيرًا من الناس يجهلون أن الدكتور حومد بدأ حياته أديبًا، ثم اتجه إلى الدراسة القانونية، لكن النـــزعة الأدبية لم تفارقه، فاجتمع في شخصه رجل القانون والأديب». وقال عنه في موقع آخر: «بيد أن اختياره الدراسات القانونية لم يُلغِ ميوله الأدبيةَ القويةَ الجذورِ في نفسه، فسجل رسالة دكتوراه عن حافظ إبراهيم في جامعة باريس،

ولكنْ لم يُتحْ له إنجازها». ويقول المرحوم الأستاذ حومد عن نفسه في كلمة ألقاها في حفل استقباله إنه ليس غريبًا تمامًا عن الأجواء الأدبية التي تقلب في أحضانها زمنًا، قبل أن تنتــزعه من جنانها الوارفة وأنفاسها الشجية، صرامة القانون وتجهم قسمات مواده المستعصية.

أيها السادة: من يطّلع على ما ألفه الدكتور حومد من كتب، وما قام به من دراسات وبحوث، يدرك فورًا ما تميز به، رحمه الله، من علم غزير، ومنهج في الكتابة قويم، ومن حس إنساني مرهف... وقبل الحديث عن كل هذا، أقرّ بعجزي عن أن أفيَ هذا الرجل حقه، إذ لا يكفي الاطّلاع على ما أعطى وأبدع، ولابد من الصحبة والمشاهدة والاستماع والحوار، وقد فاتنـــي هذا.

لذا فإني أرى أن أبدأ بإطْلاعكم على نبذة مختصرة من حياته.

ولد، رحمه الله، في حلب عام ١٩١٥، واختاره الله إلى جواره عام ٢٠٠٢ في دمشق.

حصل عام ١٩٣٤ على شهادتي دار المعلمين، وحصل عام ١٩٣٦ على البكالوريا الثانية.

فاز ببعثة حكومية عام ١٩٣٨ لنيل شهادة في الأدب العربي في باريس، فانتسب هناك إلى كلية الأدب العربي، ولكنه انتسب أيضًا إلى كلية الحقوق.

حاز شهادتَيْ الليسانس في الآداب عام ١٩٤٠، والليسانس في الحقوق عام ١٩٤١، وحصل على الدكتوراه في الحقوق الجزائية عام ١٩٤٤، وكان موضوع رسالة الدكتوراه «الإجرام السياسي».

عاد عام ١٩٤٥ إلى أرض الوطن، وعيّن مدرسًا في دار المعلمين وثانوية المأمون في حلب، ثم مدرسًا للقانون الجنائي في كلية الحقوق في دمشق عام ١٩٤٥.

ترك جامعة دمشق بعد الانفصال ليعمل في جامعتي الرباط والكويت، وتقاعد عام ١٩٨٣. انتُخب عضوًا عاملاً في مجمع اللغة العربية عام ١٩٩٠، واستُقبل عام ١٩٩١.

من مؤلفاته: «الإجرام السياسي»، «الإجرام الدولي في التشريع المقارن»، «أصول المحاكمات الجزائية»، «دراسة معمقة في الفقه الجنائي المقارن»، «المفصل في شرح قانون العقوبات»، «الحقوق الجزائية المغربية»، «الحقوق الجزائية الكويتية».

وقد نشرت له مجلة العربي عددًا من المقالات تناولت مواقف إنسانية، وجرائم سياسية، وشيئًا من دفتر ذكرياته، كما نشرت له مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عددًا من المقالات من بينها: دعوة إلى تيسير النحو العربي. وألقى محاضراتٍ كثيرةً في سورية والكويت والمغرب والسعودية.

أما عن نشاطه التشريعي والسياسي، فقد خاض عام ١٩٤٧ المعركة الانتخابية الأولى في حياته مع حركة المعارضة بقيادة المرحوم رشدي الكيخيا، وأصبح عضوًا في المجلس النيابي.

نجح عام ١٩٤٩ في انتخابات الجمعية التأسيسية التي اختارته ليكون مقررًا عامًّا للجنة الدستور، فجاء هذا الدستور يُبرِزُ آراءَه في توازن السلطات الدستورية، وفي دور الشعب في تقرير مصيره، إضافة إلى السعي

نحو عدالة اجتماعية إنسانية.

طلبت الجمعية التأسيسية من حكومة الدكتور ناظم القدسي منحه وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة، فكان لها ذلك، وكان أيضًا أن عينته الحكومة رئيسًا للجنة قوانين الدولة.

تقلّد عدة وزارات: المعارف، والمالية، والعدل، والتخطيط.

منحه الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٥ وسام الجمهورية المصرية من الدرجة الأولى.

اعتقل الدكتور حومد مرتين، الأولى عام ١٩٥١ مدة ثلاثة أشهر لرفضه القسم على عدم ممارسة العمل السياسي، واعتقل عام ١٩٦٣ مدة خمسة شهور.

وفي أثناء رحلتي الممتعة مع كتبه ومقالاته، أذهلتني نظراته الثاقبة وتحليله العلمي الرصين، وشجاعته في إبداء آرائه الموضوعية، وخَلَصْتُ إلى دروس كثيرة، وعِبَرٍ يصعب إحصاؤها.

وإليكم أيها السادة نزرًا يسيرًا مما رأيته.

الأستاذ حومد إنسان بكل ما في هذه الكلمة من معنى. نشأ في بيئة كادحة مكافحة، تتحسن الحال إذا ما جادت السماء، وتسوء إذا ما أجدبت الأرض.

لنستمع إليه وهو يحدثنا في مقال نشره في مجلة العربي في عددها ٣٩٧ تحت عنوان «**ثأرًا من الأيام**». إنه يقول: «لم تكن مفاجأة لي غير متوقعة حين دعاني محاسب [المكتب السلطاني]، كما كانت تسمى الثانوية الوحيدة إذ ذاك في حلب، ووجّه إليّ الحديث بصوته الخفيض الذي لا يخلو من حزم: «إذا لم

تدفع القسط غدًا، فإنك سوف تفصل من المكتب». ويتابع حديثه عن الحالة النفسية المؤلمة التي خرج بها من المدرسة، وعن الهواجس التي دارت في رأسه، واستعرض حالة والده الصعبة، فالمواسم الزراعية كانت سيئة... ثم يصل إلى قراره الانقطاعَ عن الدراسة ذلك العام، وعدَمَ إخبارِ الوالد بمطالبة المحاسب. لكن والده مع ذلك قد علم بالموضوع من المدرسة، وهيأ المبلغ المطلوب.

وتساءل د. حومد بعد ذلك عن مصدر هذا المبلغ: هل باع والده شيئًا من أشياء البيت؟ أو أنه استقرضه من مُرابٍ لقاء رهن... وبقي الأمر سرًا.

بقيت القضية غصة في حلق الراحل، حتى إذا ما انتخب مقررًا عامًا لِلَجنةِ وضعِ أول دستور في البلاد، وهو دستور ١٩٥٠، ثم وزيرًا للمعارف بعد ذلك، استصدر الصك القانوني المتضمن إلغاء الأقساط المدرسية.

هذا ويطيب للأستاذ الراحل الحديث عن المواقف الإنسانية، فهي تتناغم مع ما جُبل عليه من فطرة سليمة، وسريرة صافية، وحب لأخيه الإنسان: ففي العدد ٣٥٦ من مجلة العربي يقول: «لو سأل المرء نفسه عن أسباب كثير من الجرائم التي تقلق المجتمع، وترهق المحاكم، وتنشر البغضاء والشحناء بين الناس، لوجد أن المأساة تكمن في ضيق الصدور وعدم التسامح، ولكن المروءة لم تَعْدَمْ كُبَراءَ في نفوسهم، قالوا لانفعالاتهم موتي بغيظك في مواقف إنسانية تخرج السيطرة فيها عن طاقة الحُصَفاء».

وهو يدافع عن كرامة الإنسان في الكثير مما يكتب. وكم كان يؤلمه أن يساء إلى هذه الكرامة. جاء في كتابه (دراسات معمقة في الفقه الجنائي المقارن) قوله: «وسيظل في نظري أن ضيانة الكرامة الإنسانية أقدس

الواجبات التي تلقى على عاتق المشرّع ورجل الحكم. ولا يمكن أن يكون أي وطن كريمًا، ما لم تكن كرامة كل فرد فيه مصونة. والقانون الجنائي مرآة المستوى الحضاري للشعوب، لأنه يتضمن القيم والمفاهيم التي يحترمها المجتمع، ويدافع عنها بما يفرضه من جزاءات. ومهمة الجهاز القضائي أن يسهر، كما يسهر العابد في محرابه، على إحقاق الحق وإزهاق الباطل، دون أي تمييـــز بين اصحاب الحقوق، حتى يشعر كل إنسان أنه في حماية حراس شرفاء لا تأخذهم في الله وفي الحق لومة لائم».

والأستاذ حومد رجل تربية، فلا تخلو كتابته من ملاحظات تربوية هامة.. إنه يقول مثلاً: «ولقد كان لهذه الصفات السامية (لأستاذين من أساتذته) أثر فعال في توجيه ثقافتي وفي تخصصي، فإن شخصيةَ الأستاذ وحُسْنَ تدريسه وتمحيصه، ودقتَه، والثقةَ التي يوحي بها إلى طلابه، إلى جانب أخلاقه الشخصية، وشمائِله، ونبلِ نفسه، وسَعةِ أفقه، تؤدي دورًا كبيرًا في تحبيب الموضوع إلى القلب، والشغف في دراسته والتعمق فيه، حتى ينتهي الأمر بالإنسان إلى نوع من الولع ينتهي به إلى التخصص».

والموضوعية سجية من سجاياه، فكان رحمه الله ينشد الحقيقة دون سواها، ولا يعيبه أن يعترف بأن رأيه الذي قاله في يوم من الأيام لم يكن دقيقًا أو لم يكن صائبًا، ولذلك رأى تغييـــره أو تعديله... إنه يقول مثلاً في مقدمة كتابه (الإجرام السياسي في التشريع المقارن): «وأحب أن أضيف إلى هذا، أن قيامي بتدريس مادة العلوم الجزائية في جامعة دمشق سنيـــن طوالاً، قد حملني على تغييـــر رأيي في بعض المواضيع تغييـــرًا جذريًا أو جزئيًا، فعدّلتها

تعديلاً عميقًا أو طفيفًا، حسب الأسس التي استقر عليها رأيي في نهاية المطاف. والتفكير يتطور بتقدم السن، والعقل يبسط رواقه على العاطفة مع الأيام».

ونلحظ المشاعر الوطنية الفياضة، والانتماء الصادق إلى الوطن في مقالاته العامة. لنستمع إليه وهو يتحدث عن الانتداب في مقاله الذي نشرته مجلة العربي في العدد ٤٣٧ إذ يقول: «وظل هذا الانتداب احتلالاً عسكريًا بغيضًا جاثمًا على كرامتنا وضمائرنا ربع قرن، وقد قاومت البلاد بقضها وقضيضها، بالثورات الدامية والاضطرابات حينًا، وبالمفاوضات والمناورات حينًا آخر، هذه القوة العاتية، حتى انتزعت منها الاستقلال الناجز عام ١٩٤٥، مستفيدة من الجو الدولي المواتي الذي ساد العلاقات الدولية في أعقاب الحرب العالمية الثانية». ثم يقول: «وكنا خلال سنوات الانتداب نكنّ كراهية لا مزيد عليها للدولة المنتدبة، كرد فعل إنساني مشروع ومنسجم مع الطبيعة البشرية، كما يكره كل مظلوم ظالمه... سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً».

ولقد قرأت خطاب الأستاذ حومد في حفل استقباله، متحدثًا عن سلفه الأستاذ الراحل الدكتور شكري فيصل، وتوقفت عند جوانبَ كثيرةٍ في هذا الخطاب، وخاصة ما يتعلق منها بالجانب العروبي الإسلامي عند الأستاذ فيصل... ومن بين هذه المواضيع، ذاك الذي يتحدث فيه عن أسباب بقائنا متخلفين. يقول الدكتور حومد متسائلاً: «ولكن من الذي يعمل على بقائنا متخلفين؟ ففي رأي الدكتور شكري فيصل رحمه الله، أنّ المسؤول عن تخلفنا هي هذه القوى غير المجهولة، قوى أعداء الإنسانية، الذين يؤمنون بالتمايز ويضعون الشعوب طبقات، أولئك أكلة لحوم البشر، الذين يختلسون

ثروات هذه الشعوب ويجهضون ثوراتها».

ويعلق الدكتور حومد على ذلك فيقول: «ونحن، أليست لنا مسؤولية مباشرة وضخمة في تخلفنا؟ يقينًا لو أن الله مدّ في عمره (عمر الدكتور فيصل)، فعاش أحداث عامي ١٩٩٠ و١٩٩١ المبكية على الساحة العربية، لكان أدخل تعديلاً جذريًّا في تفكيره القومي، وفي تحديد المسؤولية عن أسباب تخلفنا».

وأنا بدوري أتساءل الآن: تُرى، ماذا كان يكون رأي الأستاذين حومد وفيصل، لو أن الله مدّ في عمريهما، فعاشا أحداث هذه الأيام التي تعصف ببلادنا؟ ماذا كان يكون تعليقهما على نضال إخوتنا في فلسطين، وعلى قوافل الشهداء البررة، هؤلاء الذين يدافعون عن أرضهم وكرامتهم، ويقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل ما آمنوا به، ويندفعون إلى الموت بثبات، اندفاعًا يذكّرنا بشهداء أمتنا أيامَ نشر حضارتها، تقيم العدل والمساواة، وتحترم الإنسان وكرامته في كل مكان؟ ماذا سيكون تعليقهما عندما يريان تآمر قوى الطغيان التي تدعم الكيان الصهيوني، وتبـرّر مجازره، بل وتتمادى فتعُدُّ نضال المدافعين عن أرضهم نوعًا من الإرهاب، وتصرّ على التضحية بشعوب منطقتنا سعيًا وراء مصالحها، وسعيًا للسيطرة على العالم كله، وتمارس إرهاب الدولة، وتتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، تكيل بمعاييـرَ مختلفة وَفْقَ مزاجها، تفرض العقاب على من تشاء، وتتغافل عمن تشاء... وتعلنها أحيانًا حربًا صليبية جديدة؟

لا شك أننا نحمل مسؤولية كبيرة في تخلفنا. ولكن ماذا نقول عن الدسائس التي يحوكها أولئك الذين تحدث عنهم الدكتور شكري فيصل،

وعن احتكاراتهم، وعن المعوقات التي يضعونها أمام الدول المستضعفة، وعن صنوف الاستغلال التي يمارسونها؟

لأنتقلْ بعد ذلك إلى النهج العلمي في كتب الأستاذ حومد: إن الدارس لا يسعه إلاّ أن يعجب بالتزام الراحل كلَّ ما يتطلبه البحث العلمي من عناصر، بدءًا من طرح المسألة وتوصيفها ومعالجتها، وصولاً إلى النتائج. لننظر مثلاً في بحثه في عقوبة الإعدام بين الإبقاء والإلغاء في كتابه (دراسات معمقة في الفقه الجنائي المقارن). فبعد أن ألقى الضوء على هذه العقوبة، وتحدث عن طرائق تنفيذها، استعرض مواقف الحضارات المختلفة منها، وتَطَرَّقَ إلى موقف الشرائع السماوية منها، ثم تحدَّثَ عن التيار الإبقائي الذي يرى ضرورة هذه العقوبة للحفاظ على سلامة الجماعة وأمنها، وعن التيار الإلغائي الذي يصرّ على إلغاء هذه العقوبة... وأَوْرَدَ مسوّغات كل تيار. انتقل بعد ذلك إلى العصر الحاضر، ومواقف الدول من هذه العقوبة، وختم البحث ببيان رأيه فقال: «والرأي الذي أتبناه هو إبقاء عقوبة الإعدام في القانون، فيما يخص الجرائم الكبرى العادية، وخاصة جرائم قتل الأبرياء، ولا سيما خَطْفَ طفلٍ صغير طلبًا للفدية، وقَتْلَه، وقتلَ الضعاف من النساء والعجزة... وفي هذا الرأي استمساك بقصاص وَضَعَهُ شرعُ الله، وعدل تام لتساوي الحقين بالتضحية، حياة القاتل وحياة المقتول، والثاني أحق بالتقدير لوجود عنصر العدوان عليه».

«غير أني أرى أن تتشدد المحاكم في قبول البينات حتى لا يبقى، حقًّا وصدقًا، أي ظل للشك في نفس القضاة، وألاّ يكون عليهم أي سلطان في

قضائهم لغير القانون، كما يقول الدستور، وأن يقفوا في وجه الرأي العام إذا أثارته الصحافة أو الدعاية، حتى يستطيعوا إحقاق الحق دون تأثر أو تأثيـــر».

وكي لا تختلط الأوراق، نراه يصرح في خاتمة بحثه ببيان رأيه في الجرائم السياسية فيقول: «ولكني أقف بعناد في وجه الإعدامات في الجرائم السياسية، فإني من حيث المبدأ معارض لهذه العقوبة فيها، لا أستثني من ذلك، إلا جريمة الخيانة في حالاتها الفظيعة». ويعلل رأيه بقوله: «إن المجرم السياسي مجرم عقيدة وفكر، وطالب إصلاح، وإجرامه يختلف عن إجرام القاتل وهاتك الأعراض، فهو يسعى إلى الإصلاح وحرق المراحل للخلاص من التخلف». ومع ذلك لا تفوته، رحمه الله، ملاحظة أن «خطر المجرم السياسي قد يكون أشمل من خطر المجرم العادي، لشموله وتعريضه نظامًا قائمًا إلى هزة عنيفة، إلاّ أن الذي يشفع لمعاملته بشيء من الرفق، أنه مثالي النـــزعة، نزع إلى إقامة مجتمع يحقق آماله في المدينة الفاضلة».

وفي مقال نشرته مجلة العربي في عددها ٤٢٧ عام ١٩٩٤ تحت عنوان: «اغتيال الرئيس الفرنسي رومر»، الذي سقط عام ١٩٣٢ قتيلاً برصاص لاجئ سياسي إلى فرنسا، يدهشنا الأستاذ الراحل بأحاسيسه الإنسانية، وبرؤيته الثاقبة في الشؤون القانونية، وبإدراكه العميق لما يمكن أن ينشأ من تشريع منحرف. ففي مقدمة هذا المقال يقول: «نادى تيار فقهي حديث، منذ العشرينيات من القرن الماضي، بتحسين معاملة مرتكبي هذا النوع من الإجرام (الإجرام السياسي)، واستجاب بعض كبار الفقهاء للدعوة الحديثة، فأَشْرَعوا أقلامهم دفاعًا عن مجرمي الرأي، وأثبتوا للرأي

العام المتحفظ أن هؤلاء المجرمين نوع كريم ومختلف جذريًا عن المجرمين الآخرين، كالقتلة العاديين واللصوص وهاتكي الأعراض. وقد توصلوا في خاتمة المطاف إلى إقامة نظرية الإجرام السياسي، التي سَحَتْ على سجيتها في المجتمعات المتحررة. وبالرغم من أن سلسلةً من الجرائم الكبرى تكتسي (نظريًا) طابع الإجرام السياسي قد وقعت، وسقط ضحاياها ملوك وساسة وقضاة، منهم لنكولن، وقيصر روسيا، وجون كنيدي، وأنديرا غاندي، ورومر، فإن ذلك لم يؤدّ إلى إلغاء التشريعات المتعلقة بالإجرام السياسي، بل دعا إلى إدخال تعديل جذري، يكون من شأنه إخراج هذا النوع من الجرائم عن مفهوم الإجرام السياسي الصافي الينبوع، وإدخالها في مفهوم الجرائم الفوضوية ليعاقَبَ مرتكبوها معاقبَة المجرمين العاديين». والأستاذ حومد، كما أشرت في البدء، ليس رجل قانون فحسب، بل هو أديب بارع. قد تنسى أحيانًا وأنت تقرأ له أن الكاتب هو أستاذ كبير في العلوم الجنائية، وتظن أنه واحد من الأدباء، الذين يتميزون بسلامةِ العبارةِ وسلاستها، ويتقنونَ فنونَ البلاغةِ وأساليبها. لننظرْ مثلاً في مقالته التي نشرتها مجلة العربي في عددها ٣٦٩، تحت عنوان: «ليلة لا تنسى»، ولنتأمل هذا الوصف الدقيق لمدينة باريس إبان الهجوم الألماني على المدن الفرنسية في الحرب العالمية الثانية. فهو يقول: «كانت تلك الليلة هي الثالثة والعشرين من حَزِيران عام ١٩٤٠، وقد مضى عليها الآن خمسون عامًا، ولكن كل خلية من خلايا جسدي لاتزال تحياها، كلما عادت إلى ساحة ذاكرتي أحاسيسها العنيفة. يومها كنت طالبًا في جامعة باريس، وكانت المدينة المتصابية تحيا حياتها الحلوة التي أكسبتها شهرتها كعاصمة للنور، على الرغم من أنها كانت تعيش منذ تسعة

شهور في أجواء الحرب العالمية الثانية». ثم يقول: «ومع ذلك فإن المدينة التي خبت في الشوارع أنوارها، ظلت سادرة في غوايتها وأحلامها الوردية، ولم تستطع الإذاعة التي بُحّ صوتها، من إيقاظها لتعيدها إلى عالم الواقع الملموس، حتى خيّل إليّ أنها مدينة من كوكب آخر سقطت على كوكب لا تعرف شيئًا عما يجري فيه».

والأستاذ حومد، قبل كل هذا، وكما عرفت من أصدقائه الذين نعموا بصحبته ورافقوه في حلّه وترحاله، كريمٌ، عفيفُ اللسان، وفيٌّ لإخوانه، نقيُّ السريرة، وطنيٌّ صادق، مؤمنٌ بعروبته، محبٌّ للغة العربية ومتقن لها وللغة الفرنسية، ملتزم مكارمَ الأخلاق، ومؤمن بالقيم السامية.

أيها السادة: أعتذر إليكم ثانية، فإني لم أتعرض إلا لبعض ملامحِ شخصية سلفي العظيمة، دون أن أستوفِيَها... ولم أتعرض إلا لبعض نتاجه دون أن أستقصيَه. فما قدمته ليس إلا غيضًا من فيض، وحفنة من بحر. وإني أكرر ما ختم به خطابَه في حفل استقباله، وهو يعتذر عن عدم إيفائه سلفَه حقه، مستشهدًا بقول الشاعر:

إذا نحن أثنينا عليك بصالح ... فأنت كما نُثْني وفوق الذي نُثْني

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قرار مكتب المجمع المتضمن

تأليف لجنة مصطلحات العلوم الحيوانية المؤقتة

قرار رقم / ١١٠/ ن

رئيس مجمع اللغة العربية

بناء على أحكام قانون مجمع اللغة العربية رقم/ ٣٨/ تاريخ ٦/ ٦/ ٢٠٠١

وعلى أحكام القرار رقم /٢/ ت.ع تاريخ ١٥/ ١/ ٢٠٠٢ المتضمن اللائحة الداخلية للمجمع.

وعلى قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم /١٠٩٩/ تاريخ ٣/ ٢/ ٢٠٠٣ المتضمن تحديد تعويضات الإنتاج الفكري وعلى جلسات اللجان في مجمع اللغة العربية.

وعلى موافقة مكتب المجمع في جلسته السابعة عشرة المنعقدة بتاريخ ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٣ المتضمن تأليف لجنة مصطلحات علوم الأحياء الحيوانية المؤقتة.

يقرر ما يلي:

مادة ١ – تتألف لجنة مصطلحات علوم الأحياء الحيوانية المؤقتة من الأعضاء السادة:

- الأستاذ الدكتور مروان المحاسني   عضو المجمع
- الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان   عضو المجمع
- الأستاذ الدكتور محمد أبو حرب   خبير في علم النسج والتشريح المقارن
- الأستاذ الدكتور زياد القطب   خبير في الفزيولوجيا الحيوانية

– الأستاذ الدكتور هاني رزق	خبير في علم الجنين
– الأستاذ الدكتور محيي الدين عيسى	خبير في علم الوراثة
– الأستاذ الدكتور حسن خاروف	خبير في التصنيف الحيواني

مـــادة ٢– مهمـــتها: تقوم بتجميع مصطلحات علوم الأحياء الحيوانية من الكتب الجامعية السورية ذات العلاقة وتوحيدها بانتقاء أصحها لغة ومضموناً.

مـــادة ٣– تصرف النفقة الناجمة عن هذا القرار من الاعتمادات المخصصة لهذه الغاية من موازنة مجمع اللغة العربية.

مادة ٤– ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذه.

رئيس مجمع اللغة العربية

٤/٩/١٤٢٤ هـ

٣٠/١٠/٢٠٠٣م

الدكتور شاكر الفحام

[١]

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ٢٠٠٤م (ذي القعدة ١٤٢٤هـ)

أ ـ الأعضاء

	تاريخ دخول المجمع		تاريخ دخول المجمع
الدكتور شاكر الفحام	١٩٧١	الدكتور محمد زهير البابا	١٩٨٨
«رئيس المجمع»		الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥	الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦	الدكتورة ليلى الصباغ	٢٠٠٠
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦	الدكتور محمد الدالي	٢٠٠٠
الدكتور محمد إحسان النص	١٩٧٩	الدكتور محمد مكي الحسني	٢٠٠١
«نائب رئيس المجمع»		الدكتور محمود السيد	٢٠٠١
الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩	الأستاذ شحادة الخوري	٢٠٠٢
الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣	الدكتور موفق دعبول	٢٠٠٢
الدكتور عبد الله واثق شهيد	١٩٨٨	الدكتور محمد عزيز شكري	٢٠٠٣
«أمين المجمع»		الأستاذ محمد عاصم بيطار	٢٠٠٣

* * *

ب- الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

تاريخ دخول المجمع

المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩

الدكتور سامي خلف حمارنة ١٩٧٧

الدكتور عبد الكريم خليفة ١٩٨٦

الدكتور محمود السمرة ١٩٨٦

الدكتور نشأت حمارنة ٢٠٠٢

الدكتور عدنان بخيت ٢٠٠٢

الدكتور علي محافظة ٢٠٠٢

الجمهورية التونسية

الأستاذ محمد المزالي ١٩٧٨

الدكتور محمد الحبيب بلخوجة ١٩٨٦

الدكتور محمد سويسي ١٩٨٦

الدكتور رشاد حمزاوي ١٩٨٦

الأستاذ أبو القاسم محمد كرو ١٩٩٣

الدكتور إبراهيم شبوح ١٩٩٣

الدكتور إبراهيم بن مراد ١٩٩٣

الدكتور سليم عمار ١٩٩٣

الدكتور عبد الوهاب بوحديبة ٢٠٠٠

الدكتور صالح الجابري ٢٠٠٠

تاريخ دخول المجمع

الدكتور عبد السلام المسدّي ٢٠٠٢

الدكتور عبد اللطيف عبيد ٢٠٠٢

الجمهورية الجزائرية

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢

الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ١٩٧٧

الدكتور أبو القاسم سعد الله ١٩٩٢

الدكتور عبد الملك مرتاض ٢٠٠٢

الدكتور العربي ولد خليفة ٢٠٠٢

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حسن عبد الله القرشي ١٩٩٢

الأستاذ عبد الله بن خميس ١٩٩٢

الدكتور أحمد محمد الضبيب ٢٠٠٠

الدكتور عبد الله صالح العثيمين ٢٠٠٠

الدكتور عبد الله الغذامي ٢٠٠٠

الدكتور عوض القوزي ٢٠٠٠

جمهورية السودان

الأستاذ سر الختم الخليفة ١٩٩٣

الأستاذ حسن فاتح قريب الله ١٩٩٣

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

الجمهورية العربية السورية

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور صلاح الدين المنجد	١٩٩٢
الدكتور عبد الله عبد الدائم	١٩٩٢
الأستاذ عبد المعين الملوحي	١٩٩٢
الدكتور عبد السلام العجيلي	١٩٩٢
الدكتور عبد الكريم الأشتر	١٩٩٢
الدكتور عمر الدقاق	١٩٩٢
قداسة البطريرك مار اغناطيوس زكا الأول عيواص	٢٠٠٠
الدكتور محمود فاخوري	٢٠٠٠
الدكتور عدنان تكريتي	٢٠٠٠
الدكتور عدنان درويش	٢٠٠٠
الدكتور عدنان حموي	٢٠٠٠
الدكتور عمر موسى باشا	٢٠٠٠
الدكتور محمد مراياتي	٢٠٠٠
الأستاذ مدحة عكاش	٢٠٠٠
الدكتور عبد السلام الترمانيني	٢٠٠٠
الدكتور أحمد دهمان	٢٠٠٠
الدكتور عبد الإله نبهان	٢٠٠٢
الدكتور يحيى مير علم	٢٠٠٢
الدكتور علي عقلة عرسان	٢٠٠٢
الدكتور صلاح كزارة	٢٠٠٢
الدكتور مازن المبارك	٢٠٠٢
الدكتور محمود الربداوي	٢٠٠٢
الدكتور رضوان الداية	٢٠٠٢
الأستاذ مروان البواب	٢٠٠٢
الدكتورة فاتن محجازي	٢٠٠٢
الدكتور محمد حسان الطيان	٢٠٠٢
الدكتور علي أبو زيد	٢٠٠٢
الدكتور عبد الكريم رافق	٢٠٠٢

الجمهورية العراقية

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد اللطيف البدري	١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري	١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام	١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي	١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين	١٩٧٣
الدكتور حسين علي محفوظ	١٩٩٣
الدكتور ناجح الراوي	٢٠٠٠
الدكتور أحمد مطلوب	٢٠٠٠
الدكتور محمود حياوي حماش «رئيس المجمع»	٢٠٠٢
الدكتور هلال ناجي	٢٠٠٢
الدكتور بشار عواد معروف	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع

الكويت

الدكتور عبد الله غنيم	١٩٩٣
الدكتور خالد عبد الكريم جمعة	١٩٩٣
الدكتور علي الشملان	٢٠٠٠
الدكتور سليمان العسكري	٢٠٠٠
الدكتور سليمان الشطي	٢٠٠٠
الأستاذ عبد العزيز البابطين	٢٠٠٢

الجمهورية اللبنانية

الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢
الدكتور محمد يوسف نجم	١٩٩٣
الدكتور عز الدين البدوي النجار	٢٠٠٠
الدكتور أحمد شفيق الخطيب	٢٠٠٢
الدكتور جورج عبد المسيح	٢٠٠٢
الدكتور نقولا زيادة	٢٠٠٢

الجماهيرية الليبية

الدكتور علي فهمي خشيم	١٩٩٣
الدكتور محمد أحمد الشريف	١٩٩٣

جمهورية مصر العربية

الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦
الدكتور شوقي ضيف	١٩٩٢
الدكتور كمال بشر	١٩٩٢
الدكتور محمود علي مكي	١٩٩٣
الدكتور أمين علي السيد	١٩٩٣
الأستاذ مصطفى حجازي	١٩٩٣
الأستاذ محمود فهمي حجازي	١٩٩٣

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور محمود حافظ	٢٠٠٠
الدكتور عبد الحافظ حلمي	٢٠٠٠
الدكتور عز الدين إسماعيل	٢٠٠٠
الدكتور جابر عصفور	٢٠٠٠
الدكتور فاروق شوشة	٢٠٠٢
الدكتور حسين نصار	٢٠٠٢
الدكتورة وفاء كامل فايد	٢٠٠٢

المملكة المغربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال	١٩٧٨
الدكتور عبد الهادي التازي	١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة	١٩٨٦
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦
الأستاذ محمد المكي الناصري	١٩٩٣
الأستاذ عبد الوهاب بن منصور	١٩٩٣
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣
الدكتور عبد اللطيف بربيش	٢٠٠٠
الدكتور الشاهد البوشيخي	٢٠٠٢
الأستاذ عبد القادر زمامة	٢٠٠٢

الجمهورية العربية اليمنية

الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥
الدكتور عبد العزيز مقالح	٢٠٠٠

ج- الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع

الاتحاد السوفييتي «سابقاً»

الدكتور غريغوري شرباتوف ١٩٨٦

أزبكستان

الدكتور نعمة الله إبراهيموف ١٩٩٣

إسبانية

الدكتور خيسوس ريو ساليدو ١٩٩٢

ألمانية

الدكتور رودلف زلهايم ١٩٩٢

الدكتور فولف ديتريش فيشر ٢٠٠٢

إيران

الدكتور فيروز حريرجي ١٩٨٦

الدكتور محمد باقر حجتي ١٩٨٦

الدكتور مهدي محقق ١٩٨٦

الدكتور محمد علي آذر شب ٢٠٠٢

الدكتور محمد مهدي الآصفي ٢٠٠٢

الدكتور هادي معرفت ٢٠٠٢

الدكتور محمد علي التسخيري ٢٠٠٢

باكستان

الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي ١٩٨٦

الدكتور أحمد خان ١٩٩٣

تاريخ دخول المجمع

البوسنة والهرسك

الدكتور محمد أرناؤوط ٢٠٠٢

الدكتور أسعد دراكوفيتش ٢٠٠٢

د. فتحي مهدي ٢٠٠٢

تركية

الدكتور فؤاد سزكين ١٩٧٧

الدكتور إحسان أكمل الدين أوغلو ١٩٨٦

رومانية

الدكتور نقولا دويرشيان ٢٠٠٢

الصين

الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ ١٩٨٥

فرنسة

الأستاذ أندره ميكيل ١٩٨٦

الأستاذ جورج بوهاس ١٩٩٣

الأستاذ جيرار تروبو ١٩٩٣

الأستاذ جاك لانغاد ١٩٩٣

الهند

الدكتور مختار الدين أحمد ١٩٨٥

الدكتور عبد الحليم الندوي ١٩٨٦

الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي ٢٠٠٢

[٢]

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ- رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ - ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ - ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ - ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ - ١٩٨٦)

* * *

ب- أعضاء مجمع اللغة العربية الراحلون

١- الأعضاء

الاسم	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٣
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥

الاسم	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب رئيس المجمع»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب رئيس المجمع»	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني «أمين المجمع»	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦

	تاريخ الوفاة
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥
الدكتور شكري فيصل	
«أمين المجمع»	١٩٨٥
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦
الدكتور حسني سبح	
«رئيس المجمع»	١٩٨٦

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
الدكتور عدنان الخطيب	
«أمين المجمع»	١٩٩٥
الدكتور مسعود بوبو	١٩٩٩
الدكتور محمد بديع الكسم	٢٠٠٠
الدكتور أمجد الطرابلسي	٢٠٠١
الدكتور مختار هاشم	٢٠٠٢
الدكتور عبد الوهاب حومد	٢٠٠٢
الدكتور عادل العوا	٢٠٠٢

* * *

٢- الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية(*)

المملكة الأردنية الهاشمية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠
الدكتور محمود إبراهيم	١٩٩٩

الجمهورية التونسية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الدكتور سعد غراب	١٩٩٥

الجمهورية الجزائرية

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
الأستاذ صالح الخرفي	١٩٩٨

المملكة العربية السعودية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣
الأستاذ حمد الجاسر	٢٠٠٠

جمهورية السودان

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد نور الحسن	
الدكتور محيي الدين صابر	٢٠٠٣
الدكتور عبد الله الطيب	٢٠٠٣

الجمهورية العربية السورية

	تاريخ الوفاة
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سلمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوارد مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد «بدوي الجبل»	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠
الدكتور شاكر مصطفى	١٩٩٧
الدكتور قسطنطين زريق	٢٠٠٠
الدكتور خالد الماغوط	٢٠٠٠

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢
الشيخ محمد بهجة الأثري	١٩٩٦
الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٩٨
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٩٨
الدكتور إبراهيم السامرائي	٢٠٠١
الدكتور محمد تقي الحكيم	٢٠٠٢

فلسطين

الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١
الأستاذ أكرم زعيتر	١٩٩٦
الدكتور إحسان عباس	٢٠٠٣
الأستاذ أحمد صدقي الدجاني	٢٠٠٣
الدكتور إدوارد سعيد	٢٠٠٣

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦

	تاريخ الوفاة
الأستاذ بولس الخولي	١٩٤٨
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الأستاذ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري «الأخطل الصغير»	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧
الأستاذ عبد الله العلايلي	١٩٩٦

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥

جمهورية مصر العربية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨

	تاريخ الوفاة
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥
الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٩٧
الأستاذ إبراهيم الترزي	٢٠٠٢
الدكتور عبد القادر القط	٢٠٠٣
الدكتور أحمد مختار عمر	٢٠٠٣

المملكة المغربية

الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	٢٠٠١

٣- الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي	
«سابقاً»	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكي ادوارد دو فيتش)	١٩٥٧
إسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
الأستاذ اميليو غارسيا غومز	١٩٩٥
ألمانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فبريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريتشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١

	تاريخ الوفاة
إيران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٩٥
إيطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نلّينو (كارلو)	١٩٣٨
الأستاذ غبريلّي (فرنسيسكو)	١٩٩٦
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي	١٩٩٦
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢

	تاريخ الوفاة
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د.س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون أ.ر.)	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك.ف.)	١٩٥٣
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٨٦

	تاريخ الوفاة
سويسرة	
الأستاذ مونتة (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح.ح)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبريل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣
الأستاذ نيكيتا إيلييسف	١٩٩٧
فنلندة	
الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)	

	تاريخ الوفاة
المجر	
الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس)	١٩٢١
الأستاذ ماهلر (ادوارد)	
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٧٩
النروج	
الأستاذ موبرج	
النمسا	
الدكتور اشتولز (كارل)	
الأستاذ جير (رودلف)	١٩٢٩
الدكتور موجيك (هانز)	١٩٦١
الهند	
الحكيم محمد أجمل خان	١٩٢٧

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٩٩
هولاندة	
الأستاذ هورغرونج (سنوك)	١٩٣٦
الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس)	١٩٤٣
الأستاذ اراندونك (ك. فان)	١٩٤٧
الأستاذ شخت (يوسف)	١٩٧٠
الولايات المتحدة الأمريكية	
الدكتور مكدونالد (ب)	١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد (ارنست)	١٩٤٨
الأستاذ سارطون (جورج)	١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد)	١٩٧١

* * *

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ٢٠٠٣م

أ – الكتب العربية

خير الله الشريف

– **أبحاث ندوة أنماط التعليم غير التقليدية في التعليم العالي/** مجموعة من الباحثين – دمشق: وزارة التعليم العالي، ٢٠٠٢ .

– **أبحاث ندوة قضايا اللغة العربية في عصر الحوسبة والعولمة/** مجموعة من الباحثين – عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ٢٠٠٢ .

– **الأقليات الإسلامية وعلاقاتها بمجتمعاتها/** محمد علي التسخيري – ط١- طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٣ – (سلسلة مع المؤتمرات الدولية).

– **إلى أين مع الجديد؟ في فتنة الحداثة والمعاصرة/** د. إبراهيم السامرائي؛ قدم له وراجعه: د. محمد خير البقاعي – ط١- الرياض: مكتبة ودار ابن حزم، ٢٠٠٢ .

– **أوضح البيان في تفسير القرآن/** محمد حسين الحسيني الجلالي – شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ج٢٩.

– **أيسر التفاسير/** د. أسعد محمود حومد؛ راجعه: محمد متولي الشعراوي، أحمد حسن مسلم؛ قدم له: د. إبراهيم السلقيني – ط٣ – دمشق: المؤلف، ١٩٩٩ – ٢ج.

– **أيسر التفاسير/** د. أسعد محمود حومد؛ راجعه: محمد متولي الشعراوي، أحمد

حسن مسلم؛ ترجمه إلى الانكليزية: د. نهى أسعد حومد وآخرون – ط١ – دمشق: المؤلف، ١٩٩٨ – ٢ج.

– **أيسر التفاسير**/ د. أسعد محمود حومد؛ راجعه: محمد متولي الشعراوي، أحمد حسن مسلم؛ ترجمه إلى الفرنسية: د. لبانة مشوح، د. لينة موفق دعبول – ط١ – دمشق: المؤلف، ١٩٩٧ – ٢ج.

– **الباقيات: قراءات تراثية**/ د. محمد خير البقاعي – ط١ – الرياض: مكتبة ودار ابن حزم، ٢٠٠٢.

– **تاريخ الجهاد لطرد الغزاة الصليبيين**/ د. أسعد محمود حومد – ط١ – دمشق: المؤلف، ٢٠٠٢ – ٢ج + خرائط.

– **تاريخ مدينة دمشق**/ ابن عساكر؛ تحقيق: سكينة الشهابي – دمشق: مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠٠٣ – مج (٦٠).

– **التطور الثقافي في الأردن وفلسطين في القرن العشرين..**/ مجموعة من الباحثين؛ تحرير: د. عودة أبو عودة – الزرقاء: جامعة الزرقاء، ٢٠٠٢.

– **جائزة الملك فيصل العالمية في خمسة وعشرين عاماً**/ جائزة الملك فيصل – الرياض: الدار العربية، ١٤٢٤هـ.

– **الحسين ملك الأردن (١٩٣٥-١٩٩٩): تاريخ مصور**/مؤسسة الملك حسين – عمان: المؤسسة، ٢٠٠٠.

– **الحوار مع الآخر**/ محمد علي التسخيري – ط١ – طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٣ – (سلسلة مع المؤتمرات الدولية).

– **حول الوحدة والتقريب**/ محمد علي التسخيري – ط١ – طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٣ – (سلسلة مع المؤتمرات الدولية).

- **خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود: خطب وكلمات**/ دارة الملك عبد العزيز – الرياض: الدارة، ١٤٢٣هـ - (١٢٠).
- **خالد محيي الدين البرادعي والجامعات**/ اختيار وتحقيق: لجنة من العلماء – ط١ – وجدة: جامعة محمد الأول، ٢٠٠٣ – ٣مج.
- **خير الدين الزركلي: المؤرخ الأديب الشاعر...**/ أحمد العلاونة – ط١ – دمشق دار القلم، ٢٠٠٢.
- **الدعاء رواية ودراية**/ ابن عقيل الظاهري – ط١ – الرياض: مكتبة ودار ابن حزم، ٢٠٠١ – (١).
- **دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب**/ د. أسعد محمود حومد – ط١ – دمشق: المؤلف، ١٩٩٨.
- **دعوة الإيمان وصراع المصير**/ د. أسعد محمود حومد – ط١ – دمشق المؤلف، ١٩٩٩.
- **دلائل الصدق لنهج الحق**/ محمد حسن المظفر – دمشق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٢٣هـ - مج ٣و٤.
- **الزيارات الخارجية لخادم الحرمين الشريفين..**/ نايف بن علي السنيد الشراري – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٣ – (الإصدار ١٢٨).
- **صلاة الجمعة: معطياتها، أحكامها، الروايات المشتركة فيها**/ محمد علي التسخيري، محمود قانصوه – طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٣- (سلسلة الأحاديث المشتركة١).
- **الصوم: معطياته، أحكامه، الروايات المشتركة فيه**/ محمد علي التسخيري، محمود قانصوه – طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٣ – (سلسلة الأحاديث المشتركة ٢).

- **العلاقات السعودية اللبنانية في عهد خادم الحرمين../** دارة الملك عبد العزيز - الرياض: الدارة، ٢٠٠٢ - (الإصدار ١٣١).

- **الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين.../** محمد جمال الدين القاسمي؛ تقديم وتحقيق: عاصم بهجة البيطار - ط١ - بيروت: دار النفائس، ١٩٨٣ .

- **القلب بين الطبيب والأديب/** د. جوزيف كلاس؛ تقديم: د. شاكر مصطفى - ط١ - دمشق: دار طلاس، ١٩٩٧ .

- **لباب النقول في موافقات جامع الأصول لابن الأثير/** محمد حسين الحسيني الجلالي - شيكاغو: المدرسة المفتوحة - مج(١).

- **محنة العرب في الأندلس/** د. أسعد حومد - ط٢ - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٨.

- **المختار من التفسير: ربع ياسين/** د. أسعد حومد؛ راجعه: محمد متولي الشعراوي، أحمد حسن مسلم؛ قدم له: د. إبراهيم السلقيني - دمشق: مطبعة عكرمة، ١٩٨٥ .

- **المدخل عن نظرية المعرفة/** ابن عقيل الظاهري - ط١ - الرياض: مكتبة ودار ابن حزم، ٢٠٠٣ - القسم الأول - (سلسلة الإيمان العلمي تأصيلاً وتطبيقاً ١).

- **مسيرة الطب في الحضارات القديمة/** د. جوزيف كلاس؛ تقديم: د. شاكر مصطفى - ط١ - دمشق: دار طلاس، ١٩٩٥ .

- **مصطلحات تعليم الترجمة/** جينا أبو فاضل وآخرون - بيروت: جامعة القديس يوسف، ٢٠٠٢ - (سلسلة المصدر الهدف).

- **المعاني المستنبطة من سورة الفاتحة/** ابن عقيل الظاهري - ط١ - الرياض: مكتبة ودار ابن حزم، ٢٠٠٢ - القسم الأول.

- **معجم القانون/** د. أحمد عز الدين عبد الله وآخرون - القاهرة: مجمع اللغة

العربية، ١٩٩٩.

– **معجم ما ألف عن الحج**/ د. عبد العزيز بن راشد السنيدي – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٣هـ - (١٢١).

– **معجم المصطلحات الطبية**/ د. حسن علي إبراهيم وآخرون – القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٩٩ – ج٣ .

– **معجم الموسيقا**/ د. عز الدين عبد الله وآخرون – القاهرة: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٠.

– **ملخصات بحوث مؤتمر كلية الآداب الرابع**.../ مجموعة من الباحثين – الزرقاء: جامعة الزرقاء، ٢٠٠٢.

– **من قصص البطولة والحب والرحلات**/ د. أسعد محمود حومد – ط١ – دمشق: المؤلف، ٢٠٠٣.

– **موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين**/ محمد جمال الدين القاسمي؛ تقديم وتحقيق: عاصم بهجة البيطار – ط٧ – بيروت: دار النفائس، ١٩٩٠.

– **النحو والصرف**/ عاصم البيطار – ط٨ – دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٢.

– **نحيا معًا في وطن واحد**/ مجموعة من المؤلفين – ط١ – دمشق: دار الذاكرة، ٢٠٠٣.

– **نظرات في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي**/ حمد الجاسر – ط١ – الرياض: المطابع الأهلية، ١٩٨٧.

– **نظرات في المعجم الكبير، وضع مجمع اللغة العربية في القاهرة**.../ إعداد: د. إبراهيم السامرائي حمد الجاسر – الرياض: مرامر، ١٩٩٤.

ب- المجلات العربية

ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣	٢٠٠٤	سورية
بناة الأجيال	٥٠	٢٠٠٤	سرية
الجندي	١٥٨٨، ١٥٩٠	٢٠٠٤	سورية
عالم الذرة	٢٥ — ٢٦ عدد خاص	١٩٩٣	سورية
الفكر السياسي	١٨، ١٩ السنة (٦)	٢٠٠٣	سورية
مجلة جامعة تشرين	مج ١٩ العدد (١٢) سلسلة العلوم الإنسانية	١٩٩٧	سورية
	مج ٢٤ العدد (١١) سلسلة العلوم الأساسية	٢٠٠٤	سورية
	مج ٢٤ العدد (١١) سلسلة العلوم الهندسية	٢٠٠٢	سورية
الموقف الأدبي	٣٩٦ السنة (٣٣)	٢٠٠٤	سورية
نضال الفلاحين	٣٠	٢٠٠٣	سورية
دراسات	مج (٣١) العدد (١) العلوم التربوية	٢٠٠٤	الأردن
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني	العدد (٦٥) السنة (٢٧)	٢٠٠٣	الأردن
النشرة الأخبارية	٦٢	٢٠٠٣	تركيا
الأمن والحياة	٢٦٠	٢٠٠٤	السعودية
جذور	العدد (١٦) السنة (٧)	٢٠٠٤	السعودية
نوافذ	٢٧	٢٠٠٤	السعودية
مجلة مجمع اللغة العربية الفلسطيني	٣	٢٠٠٣	فلسطين
البيان	٤٠٥	٢٠٠٤	الكويت
صوت الأمة	مج ٣٦ العدد (١)	٢٠٠٤	الهند

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

PERIODICALS:

- Ajames, No. 19, 2003 .
- ARS Orientalis, Vol. XXXII, 2002 .
- Common Ground, No. 3, 2003, Germany.
- Deutshland, No. 5-6, 2003, Germany.
- DAWAH, Vol. 14, No. 7, 2003, Islam – Abad.
- East Asian Review, Vol. 15, No. 4, 2003.
- Hamdard Islamicus, Vol. XXVI, No. 2-4, 2003, Pakistan.
- IBLA, 66 année, 2003, No. 192 .
- Journal of Asian and African Studies, No. 66, 2003 .
- Korea and world Affairs, Vol. XXVII, No.2, 2003, Korea.
- The Middle East Journal, Vol. 58, No. 1,2004 .
- Museum, No. 215 – 216, 2002, Unesco. No. 217, 2003
- Le Muséon, Tome 116, Fasc. 3 – 4, 2003 .
- Population and Development Review, Vol. 29, No. 2-3, 2003, U.S.A.
- Resistance, No. 9-10-11-12, 2003, Syria.
- Self Realization, Fall, 2003.
- Suhayl, Vol. 3, 2002, Barcelona.

BOOKS

- The Meaning of Beauty / by: Eric Newton.
- The Renaissance/ by: Walter Pater.
- Molloy Samuel Bekett / by: Samuel Beckett.
- Shakespeare and His Comedies / by: John Russell Brown.
- The Riseof The Greek Epic / by: Gilbert Murray.
- The Theory of Beauty / by: E. F. Carritt.
- Mysticism in World Religion / by: Sidney Spencer.
- Revolution in the Revolution / by: Regis Debray.
- Shakespear's Plutarch / by: T.J.B. Spencer.
- Paradise Lost and Its Critics / by: A.J.A. Waldock.
- Swann's Way / by: Marcel proust.
- Anger and After / by: John Russell Taylor.
- Landmarks in Greek Literature / by: C.M. Bowra.
- Roman vergil / by: W.F. Jackson Knight.
- King Richard 11/ by: peter Ure.
- Novels of the Eighteen – Forties / by: Kathleen Tillotson.

فهرس الجزء الأول
من المجلد التاسع والسبعين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٩

ديوان أبي الفتح البُستي، تحقيق درية الخطيب، لطفي الصقال

الرســـالة الباهرة في الرد على أهل الأقوال الفاسدة لأبي محمد بن حزم الأندلسي، تحقيق محمد صغير حسن المعصومي

فصول التماثيل في تباشير السرور لأبي العباس عبد الله بن المعتز، تحقيق وتقديم الدكتور جورج قنازع، الدكتور فهد أبو خضرة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٠

قصيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (فصلة)، تحقيق عز الدين البدوي النجار

فهارس شرح المفصل لابن يعيش، صنعة عاصم بهجة البيطار

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٤١ تحقيق سكينة الشهابي

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، السيرة النبوية (القسم الثاني) تحقيق نشاط غزاوي

عـــبد الله كنون: سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة للدكتور عدنان الخطيب (فصلة)

كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري تحقيق وفاء تقي الدين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٢

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٢، تحقيق سكينة الشهابي

ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث، تأليف الدكتور صالح الأشتر

بقية الخاطريات لابن جني (وهي مالم ينشر في المطبوعة) تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي

حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧ ـــ ١٩٩٢م

الجزء الثاني المجلد التاسع والسبعون





صفر ١٤٢٥هـ
نيسان (أبريل) ٢٠٠٤م

مجلة



ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاًمن مطلع العام ١٩٩٦م	١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية ١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية ١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونها بها ويقصرونها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.





« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



صفر ١٤٢٥هـ

نيسان (أبريل) ٢٠٠٤م

حول كتاب خلق الإنسان

لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن

د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي

استهلّت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الثاني من مجلدها الثالث والسبعين (ذو الحجة ١٤١٩هـ) بمقال للأستاذ الجليل الدكتور إحسان النص بعنوان: «مصنفات اللغويين العرب في خلق الإنسان»، سرد فيه أولاً أسماء اللغويين الذين ألفوا في هذا الموضوع أو أفردوا له بابًا أو أكثر في بعض مؤلفاتهم[١]، ثم تحدث عن أربعة كتب من الكتب المفردة فيه بشيء من التفصيل. ورابعها كتاب خلق الإنسان لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن الذي نشره معهد المخطوطات العربية بالكويت عام ١٤٠٧هـ بتحقيق الصديق الدكتور أحمد خان ومراجعة الأستاذ مصطفى حجازي.

وكنت قد اطلعت على كتاب أبي محمد بعد نشره بقليل، وعناني من أمر مؤلفه ما عنى محققه من قبل، ففتشت ونقبت، فلم أوفق إلى الكشف عن شخصيته، غير أني وقفت فيما بعد، في أثناء قراءاتي، على نصوص لها صلة بهذا الكتاب، وفيها شيء من الإثارة والطرافة، كما ظفرت بترجمة عبد الله بن الحسن العبدري الذي نسخ نسخته من أصل المؤلف في مدينة الإسكندرية، ولهذه الترجمة أهميتها في تعيين زمن المؤلف، بالإضافة إلى ملحوظات عنت لي في مقدمة المحقق ونص الكتاب، فعلقت كل ذلك في حواشي نسختي.

فلما قرأت مقال الدكتور إحسان النص أحببت أن أهدي إليه هو

ومحقق الكتاب ما وقفت عليه، مع مراجعتهما في بعض ما ذهبا إليه، والتنبيه على أوهام يسيرة وقعت في كلامهما.

(١) كتاب خلق الإنسان بين الصغاني وأبي محمد:

ذكر الدكتور إحسان النص من المؤلفين في خلق الإنسان رضي الدين الحسن بن محمد الصغاني (٦٥٠هـ). وقد سبقه إلى ذلك كثير من الباحثين[٢]، وكان اعتمادهم جميعًا على بروكلمان الذي أحال على نسخة منه محفوظة في مكتبة داماد زاده ضمن مجموع برقم ١٧٨٩ (الترجمة العربية ٦/٢١٨)، ولم يفطن الدكتور إحسان إلى أن كتاب أبي محمد الذي تحدث عنه بعد صفحات هو الكتاب نفسه الذي نسب خطأً إلى الصغاني، وذلك على الرغم من أنه اطلع على مقدمة المحقق، وناقشه في ما ذهب إليه في الكشف عن مؤلفه، وقد تكلم المحقق فيها بالتفصيل على قضية نسبة الكتاب ونفيه عن الصغاني.

وكان منشأ الغلط – كما أشار الدكتور أحمد خان – أن المجموع المذكور يضم عشرة كتب كلها للصغاني إلا الكتاب العاشر، ثم لم يثبت في أوله عنوان الكتاب ولا اسم مؤلفه، فلعل من أعد فهرس الكتب المحفوظة في مكتبة داماد زاده لما تصفّح محتوى المجموع، ورأى تسع رسائل متتالية للصغاني، ولم يجد اسم المؤلف في بداية الكتاب العاشر، استعجل، ولم يدقق في ما ورد في نهايته ولا نهاية الكتاب التاسع بخط مختلف، من اسم الكتاب العاشر واسم مؤلفه، فنسبها كلها إلى الصغاني في دفتر المكتبة الذي استند إليه بروكلمان، ثم عوّل عليه كل من نسب كتابًا في خلق الإنسان إلى الصغاني في هذا القرن. وأكد الدكتور أحمد خان نفيه عن الصغاني بأنه لم

يثبت أصلاً أن الصغاني ألف كتابًا في هذا الموضوع، فلا هو أشار إليه في مؤلفاته، ولا تلامذته، ولا أحد ممن ترجم له.

الذي أريد أن أضيفه هنا أن نسبة هذا الكتاب إلى الصغاني أقدم من هذا بكثير. فقد توارد عدد من العلماء على نقل نص من كتاب في خلق الإنسان نسبوه إلى الصغاني، وهو في الحقيقة مأخوذ من كتاب أبي محمد هذا. ولعل أولهم بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ)، فقد ذكر السيوطي (٩١١هـ) في كتاب المزهر في كلامه على لفظة [يقبح ذكرها] أن لأهل العربية فيها ثلاثة مذاهب: أحدها أنها مولدة، قال به صاحب القاموس، وسلامة الأنباري في شرح المقامات. والثاني أنها عربية، و«رجحه أبو حيان في تذكرته، ونقله عنه الإسنوي في المهمات، وكذا الصّغاني في كتاب خلق الإنسان، ونقله عنه الزركشي في مهمات المهمات[٣]، والثالث أنه فارسي معرب، وهو رأي الجمهور منهم المُطَرِّزي في شرح المقامات»[٤].

اقتصر السيوطي هنا في المزهر على ذكر مذاهب العلماء في الكلمة ولم يورد نص كلامهم بل أحال على كتاب آخر له قائلاً: «وقد نقلت كلامهم في الكتاب الذي ألفته في مراسم النكاح»[٥].

وللسيوطي أكثر من كتاب في موضوع النكاح، وقد ذكر بنفسه أنه سوّد فيه مسودات متعددة أكبرها سماها «مباسم الملاح ومناسم الصباح في مواسم النكاح»، ولعلها هي التي أشار إليها في كتاب المزهر. وكانت مرتبة على سبعة فنون، وقد بلغت خمسين كراسة فاستطالها، فاختصرها في عُشرها باسم: «الوشاح في فوائد النكاح»، كما ذكر في مقدمته، ويبدو أن الأصل

لم يخرج من المسودة فضاع، أما المختصر فقد وصل إلينا في عدة نسخ محفوظة في مكتبات العالم، وقد طُبع أيضًا في مصر عام ١٢٧٩هـ[٦]، ولكن لم أحصل عليه.

وأنشد أبو حيان في تذكرته على أنه عربي قول الشاعر... ونقله عنه الإسنوي في المهمات وقال: إنه وقعت هذه اللفظة في شعر متقدم، وأظن أول من أوردها في شعره محمد بن سكرة الهاشمي الشاعر...»[٧].

النص الذي عزاه السيوطي إلى خلق الإنسان للصغاني موجود بعينه في كتاب خلق الإنسان لأبي محمد (ص ٢٥٧). فهل اطلع السيوطي نفسه على مصدر هذا النص؟ طريقته في النقل في كتاب الوشاح تنبئ بذلك، فإنه لم يذكر هنا كتاب الزركشي مهمات المهمات، وأحال مباشرةً على كتاب خلق الإنسان. لكن الذي نرجحه أن السيوطي لم يقف بنفسه على كتاب خلق الإنسان، وإنما اعتمد على نقل الزركشي في مهمات المهمات، كما توحي بذلك عبارته في المزهر.

ويؤيد ذلك أننا لا نجد نقلاً آخر من كتاب خلق الإنسان هذا في مؤلفاته الأخرى، ثم هو نفسه لما أراد تأليف كتابه «غاية الإحسان في خلق الإنسان» بحث عن الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، فلم يظفر إلا بخمسة كتب: كتاب أبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ)، وكتاب ثابت (من القرن الثالث الهجري) وكتاب الزجاج (٣١١هـ)، وكتاب ابن حبيب (٢٤٥هـ)، وكتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن الهيثم العصافي (؟) فجمع ما في هذه الكتب مع الزيادة عليه. ولما تكلم فيه على اللفظ المشار إليه قال: «وهو عربي صحيح، وقيل فارسي، وقيل، مولّد»[٨]، فلخّص فيه ما قاله في كتاب المزهر، كما لخص في المزهر ما

أفاض فيه من قبل في كتابه «مواسم النكاح»، ثم اختصره في «الوشاح».

أما إغفال السيوطي ذكر مهمات المهمات في الوشاح، فلعل السبب في ذلك أنه لم ترد في كتاب الزركشي فائدة زائدة على هذا النقل من كتاب خلق الإنسان، مما يحوجه إلى ذكره، وهو بصدد اختصار مسودة كبيرة استطالها، بالإضافة إلى اختلاف سياق الأقوال في الكتابين، وشدة اهتمام السيوطي في كتاب المزهر بالنص على مصادره التي ينقل عنها.

وقد نقل شهاب الدين الخفاجي (١٠٦٩هـ) أيضًا هذا النص في كتابه: «شفاء الغليل»، فقال: «قال المطرزي وغيره: فارسي معرب كوز، وقال ابن الأنباري[٩]: هو مولد، والحق الأول، قال الصغاني في خلق الإنسان: لم أسمعه في كلام فصيح ولا شعر صحيح إلا في قوله...». ثم نقل أربعة أشطر من الرجز المذكور في كتاب السيوطي، وقول أبي حيان[١٠].

كتاب المزهر من مصادر الخفاجي، وخاصة النوع الحادي والعشرون منه الذي في معرفة المولد، وقد أحال فيه السيوطي عند الكلام على اللفظ على كتابه في مواسم النكاح، فلعل الخفاجي نقل النص – بعد ما تصرف فيه – من الكتاب المذكور أو غيره من مؤلفات السيوطي في موضوع النكاح.

ومن الملاحظ أن سياقة النص في شفاء الغليل قريبة من سياقته في كتاب الوشاح، أما كتاب المزهر فلم يورد السيوطي فيه نص كتاب خلق الإنسان، وجعل صاحبه مرجحًا لعربية اللفظ، ولاشك أن ذلك وهم منه. وكان الصفدي مصيبًا إذ لخص مذهب المؤلف بأنه «غير غربي على الصحيح»، كما سنرى في الفقرة الآتية.

ومن الشهاب الخفاجي نقل هذا النص تلميذه محمد أمين المحبي (١١١١هـ) في كتابه: «قصد السبيل»[١١]، والمرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) في «تاج العروس»[١٢]، غير أن الزبيدي كان أمينًا في نقله إذ قال: «وفي شفاء الغليل للخفاجي: قال الصاغاني في خلق الإنسان...». أما المحبي فنقل كلام الخفاجي برمته من غير إشارة إليه!

اتضح مما سبق أن خمسة من العلماء نسبوا كتاب خلق الإنسان هذا إلى الصغاني قبل بروكلمان، غير أنهم جميعًا نقلوا نصًّا واحدًا بعينه، ولم يقف على الكتاب – فيما يظهر – إلا الناقل الأول، وهو بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ)، فلعله وجد نسخة شبيهة بنسختنا التي تضمنت مع هذا الكتاب رسائل الصغاني فالتبس عليه الأمر، أو سقطت إليه نسخة مفردة منه نسبها ناسخها إلى الصغاني.

وسيأتي في الفقرة الرابعة ما يقطع بأن هذا الكتاب ليس للصغاني.

(٢) اطلاع الصفدي على كتاب أبي محمد:

وقف صلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ) على نسخة من هذا الكتاب، وأعجب به، ولكن لم يعرف مؤلفه. فقد ذكر في كتابه: «الغيث المسجم»، وهو يشرح بيت الطغرائي:

ناءٍ عن الأهل صفر الكف منفرد كالسـيف عرّي متناه عن الخِلَل

أن الإنسان من أعضائه عشرة أول كل عضو منها كاف، وبعدما عددها حكى أن «بعض أشياخ اللغة طلب منه عدها، فعد تسعة أعضاء ونسي... فلما قام إلى بيت الخلاء ذكرها، وقد كان قبل ذلك قد ذكر الكرش، فقيل له: ليس للإنسان كرش إنما هي الأعفاج»، فلما وقف الصفدي على

كتاب خلق الإنسان هذا أعجبه أنه زاد على ما ذكره زيادة كبيرة، فقال: «وقد رأيت أنا مجلدًا لم أعرف اسم مصنفه قد جمع فيه أسماء أعضاء الرجال والنساء على حروف المعجم، وهذا اطلاع كبير، فرأيت فيه زيادة في حروف الكاف على ما ذكرته هنا: الكنوب: النفس، والكَعْبَرَة: عقدة مكبلة حائدة عن الرأس...» وأورد سبع عشرة كلمة مع تلخيص معانيها من هذا الكتاب وعلى نسقه، إلا لفظًا واحدًا أخره لأنه «غير عربي على الصحيح»[١٣].

ويبدو أن السؤال عن أسماء أعضاء الإنسان التي أولها حرف الكاف كان من المسائل الدوّارة في مجالس الكبراء، فإن المسألة نفسها كانت سببًا لتأليف كتابنا هذا وترتيبه على حروف المعجم كما ذكر أبو محمد في فاتحة الكتاب، مخاطبًا صاحبه الذي ألفه لأجله: «لما تأدى إلي يا أخي... فرط إعجابك وشدة شغفك بقول بعض المتأدبين في مجلسك: كم في جسد الإنسان من عضو أول حرف من اسمه كاف، وأنه قطع من حضره، وحصر من سمعه، حثّني ذلك على أن أضع كتابًا...».

ولعل ولوع المتأدبين بهذه المسألة هو الذي أغرى بعض الظرفاء بأن ينسب إلى ابن خالويه – وكان شيخه أبو عمر الزاهد أولى به – أنه «وضع مسألة سماها (الأنطاكية) اشتملت على ثلاثمئة عضو من أعضاء الإنسان أول كل كلمة منها كاف»! حكاه الصفدي بصيغة التمريض، ولم أجد لها ذكرًا في مؤلفات ابن خالويه، ولا في كتب خلق الإنسان.

(٣) آخر من نقل عنه المؤلف وفاة:

ذكر محقق الكتاب أن آخر من أخذ عنه المؤلف زمنًا أبو عمر الزاهد

المتوفى سنة ٣٤٥هـ (في المقدمة ٣٥٠هـ وهو خطأ)، فاستدرك عليه الدكتور إحسان النص بأن: «الصحيح أن آخرهم هو ابن خالويه الحسين بن أحمد المتوفى سنة ٣٧٠هـ، وقد ذكره المؤلف في أكثر من موضع في كتابه ... ولهذا الاستدراك شأنه في تعيين زمن حياة المؤلف، فمؤلف الكتاب وجد بعد زمن ابن خالويه أو كان معاصرًا له» (ص ٢٣٠).

قلت: بل الصحيح أن آخرهم أبو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الهروي اللغــوي الذي قتله الحاكم سنة ٣٩٩هـ، وقد نقل عنه المؤلف في (ص١٤١): «وحكى جنادة عن ابن حمدويه...»[١٤].

(٤) ترجمة العبدري الذي نسخ نسخته من أصل المؤلف:

النسخة التي نشر عنها كتاب خلق الإنسان خالية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ، ولكنّ أحد العلماء كتب في آخرها: «كان في آخر النسخة التي نسخ هذا الكتاب منها ما مثاله بنصه سواء: ووجدت في آخر النسخة التي نقلت منها في سنة تسع وستمائة ما مثاله: كتب عبد الله بن الحسن بن عشير العبدري لنفسه بثغر الإسكندرية المحروس، ونقله من نسخة المؤلف بخطه، والحمد لله وحده».

هذه العبارة في غاية الأهمية، فإنها رفعت نسب النسخة التي وصلتنا إلى أصل المؤلف، فبينها وبين الأصل نسختان: الأولى ناسخها مجهول ولكن تاريخ نسخها معلوم وهو ٦٠٩هـ، والثانية تاريخها مجهول ولكن ناسخها معلوم، وإن العثور على ترجمته سيفيدنا في معرفة زمن المؤلف، يقول المحقق (ص ١٤) «ولم يترك لنا الناسخ هذا أية إشارة تدل على العصر الذي نسخه فيه ولا يمهد لنا طريقًا يرشدنا إلى هذا العصر».

قلت: هذا الناسخ معروف، وقد ترجم له القِفْطي (ت٦٤٦هـ) في «إنباه الرواة»[١٥] والسيوطي في «بغية الوعاة»[١٦]، ومصدرهما جميعًا معجم السفر للحافظ أبي طاهر السلفي (٥٧٦هـ) الذي جاء فيه: «سمعت أبا محمد عبد الله بن الحسن بن عشير العبدري اليابسي النحوي بالثغر يقول: قرأت على أبي الحسين سليمان بن محمد بن طراوة السبائي المالقي النحوي بالأندلس، و لم أر مثله، وكان يعظمه جدًا: أبو محمد هذا كان مصدرًا في جامع الإسكندرية لإقراء القرآن والنحو، وأنشدني كثيرًا من شعره. وتوفي سنة... وكان وصى بأن أصلي عليه، وكان يومًا باردًا، وقد وقع برد عظيم فصليت عليه، ودفن بمقبرة باب البحر، و لم يحضر كثير ناس، فالوحول تحول، ونزول الأمطار يمنع عن قضاء الأوطار»[١٧].

اليابسي: نسبة إلى جزيرة اليابسة بالأندلس، وفي شرقيها جزيرة ميورقة، وأقرب بر إليها مدينة دانية[١٨].

و لم يذكر في معجم السفر تاريخ وفاة العبدري، ومكانه بياض في النسختين. أما ياقوت فيبدو أنه اعتمد على مصدر آخر، فذكر تاريخ الوفاة مفصلاً، فقال في رسم اليابسة (٢٢٤/٥): «وينسب إليها من المتأخرين أبو محمد عبد الله بن الحسن (في المطبوعة: الحسين خطأ) بن عشير اليابسي الشاعر. مات ليلة السبت في العشرين من المحرم سنة ٦٢٥هـ»[١٩].

ولا شك أنه قد وقع خطأ في ذكر السنة، فإن الحافظ السلفي الذي صلى عليه قد توفي سنة ٥٧٦هـ، ولعل الصواب ما في معجم البلدان : سنة (٥٢٥هـ)، كما ذهب إليه محقق معجم السفر.

ولا يفوتني هنا أن أنبه على غلط وقع فيه القفطي فيمانقله من معجم السفر إذ قال: «دفن بمقبرة باب البحر بالإسكندرية ووصى أن يصلي عليه أبو طاهر السلفي، فلم يمكنه ذلك لوحل ومطر كان في ذلك اليوم»[٢٠]. فهذا كما ترى مخالف لما صرح به السلفي نفسه من أنه صلى عليه، ولا شك أن ذلك من تسرع القفطي فيما ينقله من المصادر. وله أمثلة غير قليلة في كتابه الممتع.

وترجمة العبدري هذه قاطعةٌ بأن كتاب خلق الإنسان ليس من تأليف الصغاني، فقد توفي العبدري قبل ميلاد الصغاني في سنة (٥٧٧هـ) بأكثر من خمسين عامًا.

(٥) زمن المؤلف:

في ضوء ما ذكرناه في الفقرة الثالثة من وفاة آخر من نقل عنه المؤلف سنة (٣٩٩هـ)، وما علمنا في ترجمة العبدري (الذي نسخ نسخته من أصل المؤلف) في الفقرة السابقة أنه توفي سنة (٥٢٥هـ)، يتعين الزمن الذي عاش في بعضه المؤلف، وهو من أواخر القرن الرابع إلى أوائل القرن السادس. فإذا افترضنا أنه ولد في أواخر القرن الرابع، فإنه لم يدرك علماءه الذين نقل عنهم، إذ لم يصرح بسماعه عن أحد منهم، وقد توفي آخرهم في سنة (٣٩٩هـ). ومن ثم نرجح أن مؤلف الكتاب من القرن الخامس الهجري.

وقد ارتأى الدكتور إحسان النص أنه «عاش في حقبة تمتد من أواخر القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن الخامس الهجري» واستدل على ذلك بأمرين: الأول أنه «لم يذكر أنه أخذ عن أي مصنف بعد ابن خالويه المتوفى ٣٧٠هـ»، وهو خطأ قد سبق تصحيحه. والثاني أنه «قد وجد في القرنين الخامس والسادس علماء صنفوا في موضوع خلق الإنسان، وأشهرهم

ابن سيده علي بن إسماعيل المتوفى سنة (٤٥٨هـ)، وكتابه المخصص أوسع مصدر لبحث خلق الإنسان، فلو أن المؤلف عاش بعد زمنه لكان من المحتم أن يأخذ عنه... ولا سيما إذا كان المؤلف أندلسيًا حسبما استظهر المحقق، ولهذا أراه توفي قبل أن يؤلف ابن سيده كتابه المخصص» (ص ٢٣١).

أولاً: لا دليل على كون المؤلف أندلسيًا، وأما ما استظهر به محقق الكتاب على ذلك، أعني الجمل الدعائية التي جاءت في فاتحة الكتاب، وظنّها «سمة أندلسية خاصة»، فهو أسلوب قديم معروف في كتب أهل المشرق. انظر مثلاً: كتاب الحيوان وكتاب البخلاء للجاحظ (٢٥٥هـ)، وكتاب من اسمه عمرو من الشعراء لابن الجراح (٢٩٦هـ)، والزهرة لمحمد ابن داود الأصبهاني (٢٩٧هـ)، وحروف المعاني للزجاجي (٣٤٠هـ)، والموازنة للآمدي (٣٧٠هـ)، والخصائص، وسر صناعة الإعراب لابن جني (٣٩٢هـ).

ثانيًا: ليس من المحتم أن يأخذ المؤلف عن ابن سيده، ولو كان أندلسيًا عاش بعده. فهذا ابن سيده نفسه عاش حتمًا بعد ابن السيّد المتوفى سنة ٣٨٢هـ، وكلاهما أندلسي، وكان ابن سيّد إمامًا في اللغة والعربية، وقد صنف كتابًا سماه «العالم» في اللغة يقول فيه ابن حزم، وهو يذكر أهم كتب اللغة التي ألفت في الأندلس: «ومنها كتاب أحمد بن أبان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب العالم، نحومئةسفر على الأجناس، في غاية الإيعاب، بدأ بالفلك وختم بالذرة»[٢١]. فكتاب العالم من نمط كتاب المخصص، ولكن لم يُشر ابن سيده في المخصص إلى كتاب العالم، فضلاً عن النقل منه»[٢٢].

وهذا ثابت بن أبي ثابت وراق أبي عبيد (٢٢٤هـ) من علماء القرن الثالث الهجري، وكتابه من أحسن الكتب المؤلفة في خلق الإنسان، وعاش

من دون شك قبل أبي محمد، ولكن لا نرى له أثرًا في كتابه، بينما هو من أكبر مصادر ابن سيده في كتاب خلق الإنسان من المخصص.

وكتاب المخصص الذي ألفه ابن سيده قبل كتاب المحكم، لم يكن حظه من الاشتهار والانتشار كحظ المحكم. فلم يقف عليه القفطي المتوفى سنة ٦٢٤هـ- وهو من هو في الشغف بالكتب واقتنائها - فإنه لما ترجم لابن سيده في إنباه الرواة أثنى على كتاب المحكم ثناءً بالغًا، وذكر أنه «في وقف التاج البندهي بدمشق في رباط الصوفية». فلم يذكر كتاب المخصص بل اكتفى بقوله: «وله غير ذلك من الكتب الأدبية». ثم نقل عن ابن بشكوال أن من تواليفه «كتاب المحكم في اللغة، وكتاب المخصص، وكتاب...»[٢٣]، كأنه زاد ذلك فيما بعد لما وقف على كتاب الصلة. وكذلك السيوطي المتوفى في سنة ٩١١هـ لم يُشِر إلى كتاب المخصص في ترجمة ابن سيده في بغية الوعاة[٢٤]، ولا ذكره في كتاب المزهر، ولا استفاد منه في كتابه خلق الإنسان.

وما لنا نذهب بعيدًا، فنحن في زمننا هذا - زمن الطباعة والحاسوب والناسوخ - لا نعلم أحيانًا عن بعض الكتب أنه قد نشر في بلد من بلاده المجاورة، وإذا علمنا بنشره تعذر علينا الحصول عليه! وأقرب دليل على ذلك أن كتب خلق الإنسان، التي تحدث عنها الدكتور إحسان النص في مقاله، أربعة كتب ليس منها كتاب السيوطي «غاية الإحسان في خلق الإنسان »، مع أنه نُشِر في القاهرة سنة ١٩٩١م أي قبل سبع سنوات من نشر مقاله في مجلة المجمع! فلو وقف عليه ما أغفله، لما يمتاز به من غزارة المادة والاعتماد على مصادر لم يصلنا بعضها.

ومحقق كتاب السيوطي يذكر أبا محمد من المؤلفين في خلق الإنسان، ويحيل في ذلك إلى نشرة أخبار التراث العربي عدد نوفمبر وديسمبر ١٩٨٥م،

ولا يعلم أن كتاب أبي محمد طبع في الكويت سنة ١٩٨٦م، أي قبل إصداره كتاب السيوطي بخمس سنوات!

إذا صح كل هذا في زمننا هذا الذي يقال إن سرعة الاتصالات قد صيّرت العالم فيه كقرية صغيرة، فماذا عسى أن نقول في العصور الخوالي!

(٦) المؤلف ونسبة (الشيرازي):

كتاب خلق الإنسان في نسخة داماد زاده يبتدئ في (٧٧/ظ)، بعد ما تنتهي رسائل الصغاني في (٧٧/و)، فكتب بعض القراء بعد نهايتها العبارة الآتية: «كتاب خلق الإنسان في اللغة تأليف أبي محمد الحسن بن أحمد ابن عبد الرحمن ﷺ» وهذا يوافق ما جاء في آخر الكتاب ولكنه زاد فيما بعد لفظة «الكامل» بعد كلمة «الإنسان»، كما زاد نسبة «الشيرازي» قبل «ﷺ» وكتب الكلمتين فوق السطر. فهل كان ذلك اجتهادًا من الكاتب، أو اطلع على نسخة أخرى من الكتاب سمي فيها بكتاب «خلق الإنسان الكامل في اللغة»، كما أضيفت فيها إلى اسم المؤلف نسبة «الشيرازي»؟

يقول المحقق في تعليقه على هذه العبارة (ص ١٤): «ولابد أن هذا القارئ حين أضاف هذه النسبة كان يعرف المؤلف، ويعلم أنه شيرازي، ومع أن ذلك لا يفيد كثيرًا في كشف الغموض الذي يكتنف اسم المؤلف فإنه ضيّق – إلى حد ما – دائرة الغموض بهذه النسبة».

قلت: إن نسبة «الشيرازي»- إذا ثبتت – تثير سؤالاً، بل تجعلنا أمام توافق غريب في الأسماء، وكأننا عثرنا على شخصية المؤلف، فإن والده في ضوء العبارة السابقة: أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي، وهو يوافق تمامًا اسم

إمام مشهور في علم الحديث توفي في أوائل القرن الخامس، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء فقال:

«الإمام الحافظ المجوِّد أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ابن موسى الشيرازي، مصنف كتاب الألقاب سماعنا. سمع أبا بحر محمد بن الحسن البربهاري وأبا بكر القطيعي وعلي بن أحمد المصيصي وأبا القاسم الطبراني... قال الحافظ شيرويه الديلمي: كان ثقة صادقًا حافظًا، يحسن هذا الشأن جيدًا جدًا، فخرج من عندنا يعني همذان سنة أربع وأربعمئة إلى شيراز، وأخبرت أنه مات بها سنة إحدى عشرة وأربعمئة. كذا قال، وأما أبو القاسم بن منده (ت٤٧٠هـ)، فقال: توفي في شوال سنة سبع وأربعمئة، فهذا أشبه. قلت: كان من فرسان الحديث، واسع الرحلة...»[٢٥].

ولكن لم يذكر في ترجمته أن له ابنًا يسمى الحسن، وذلك يجعلنا نتردد في قبول زيادة «الشيرازي» إذا كانت اجتهادًا من الكاتب، وخاصة لأنها لم ترد في الأصل، إلا أن زمنه يوافق زمن مؤلف كتاب: خلق الإنسان.

(٧) ترتيب الكتاب على حروف المعجم:

كتاب خلق الإنسان لأبي محمد مرتب على حروف المعجم، يقول في ذلك محقق الكتاب: «إن تصنيف الكتب على حروف المعجم على النحو الذي اتبعه المؤلف هنا لا نجد له أثرًا في القرون الأولى من الهجرة حتى القرنين الثالث والرابع، ولعل أول بادرة لهذا النمط من التأليف نجدها في كتب أبي محمد الأعرابي المعروف بالأسود الغندجاني (كان يعيش سنة ٤٢٨هـ) الذي اهتم بوجه خاص بترتيب مصنفاته على حروف المعجم، ولعل كتابنا هذا – وهو شبيه في ترتيبه

بكتب أبي محمد الأعرابي – قد ألف في عصره أو قريبًا منه» (المقدمة ص ١٦).

والدكتور إحسان النص أيضًا أشار إلى ذلك، وهو يتحدث عن منهج الكتاب، فقال: «وهذا النهج جديد في بابه، فمصنفات خلق الإنسان السابقة كانت تجعل لكل عضو بابًا مستقلاً، فجاء كتاب المؤلف مغايرًا لما سبقه، وكان معجمًا مرتبًا على الحروف في أسماء أعضاء الإنسان، وتلك ميزة لهذا الكتاب» (٢٣٢). وأشار الدكتور أيضًا إلى الغندجاني فقال: «وقد جرى المؤلف على نهج الغندجاني في ترتيب أبواب كتابه على الحروف، وهي الطريقة التي اتبعها الغندجاني في مصنفاته...».

وهنا عدة مآخذ على كلامهما:

أولاً: لا يصح أن ترتيب الكتب على حروف المعجم لم يعرف إلى القرن الرابع، فقد سبق كراع النمل المتوفى سنة (٣١٦هـ) المتقدمين والمتأخرين، إذ وضع معجمًا كاملاً – وهو المجرد – رتبه على حروف المعجم، وجعل الحرف الأول بابًا والثاني فصلاً غير معتد بالزوائد[٢٦]. ولعل الأصل الذي اختصر منه المجرد – وهو المنضد – أيضًا كان على هذا الترتيب[٢٧].

ثانيًا: إذا نظرنا في الكتب المؤلفة في خلق الإنسان فقط، فإن كتاب أبي جعفر محمد بن حبيب مرتبٌ على حروف المعجم، وقد توفي سنة ٢٤٥هـ[٢٨].

ثالثًا: لم ينشر من كتب الغندجاني إلا ثلاثة كتب: كتاب «فرحة الأديب»، وكتاب «إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النمري في تفسير معاني أبيات الحماسة»، وكتاب «أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها». وهذا الكتاب الأخير هو الذي رتبه الغندجاني على حروف المعجم، فقول المحقق إن الغندجاني اهتم بوجه خاص بترتيب مصنّفاته على حروف المعجم، وكذلك قول

الدكتور إحسان النص: «وهي الطريقة التي اتبعها الغندجاني في مصنفاته». تنقصها الدقة في التعبير، فإن كلامهما يوحي بأن للغندجاني عدة مصنفات عني بترتيبها على حروف المعجم.

والجدير بالذكر أن لأبي منصور عبد الله بن سعيد الخوافي اللغوي كتابًا في خلق الإنسان، وذكر في ترجمته أنه مرتب على حروف المعجم، وقد توفي الخوافي سنة ٣٨٠هـ، فهو أقدم من أبي محمد[٢٩].

ذكر الدكتور إحسان النص أنه قد تبادر إلى خاطره في أول الأمر أن يكون مؤلف الكتاب «هو الأسود الغندجاني الحسن بن أحمد المتوفى سنة ٤٢٨هـ...».

لم تذكر المصادر أن الغندجاني توفي سنة ٤٢٨هـ، وإنما قال ياقوت «قرأت في بعض تصانيفه أنه صنف في شهور سنة اثنتي عشرة وأربعمئة، وقرئ عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعمئة»[٣٠]. ومن هنا كتب الدكتور أحمد خان في عبارته التي نقلناها آنفًا «كان يعيش سنة ٤٢٨». أما محقق كتب الغندجاني، فكتب على مؤلفاته الثلاثة أنه كان حيًا سنة ٤٣٠هـ، اعتمادًا على ما جاء في أول كتاب إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النمري... أنه عمله للمجلس العادي العالي نوّره الله في شهور سنة ثلاثين وأربعمئة.

وقد نبّهت من قبل في مقالي «إصلاح الإصلاح» في نقد نَشَره الدكتور محمد علي سلطاني للكتاب الأخير على أن في كتاب إنباه الرواة (٤: ١٧٤- ١٧٥) ترجمة للغندجاني، ذكر فيها القفطي أنه توفي بالغندجان سنة ٤٣٦هـ[٣١].

(٨) قصة بيع الجمهرة بين القالي والفالي:

من مميزات مخطوطة كتاب «خلق الإنسان» أن بعض العلماء قابلها بأصل المؤلف، ثم علق في مواضع عديدة منها بالرجوع إلى مصادر أخرى

نحو كتاب «المجرد» لكراع النمل و«مختصر العين»، و«جمهرة اللغة»، ومن تعليقاته على كلمة (العضاض) في الورقة (١٢٠/و): «وفي الجمهرة لابن دريد، ونقلته [من] خط أبي علي القالي رحمه الله: الغضاض...». أشار محقق الكتاب إلى هذه الحاشية وقال: «ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن أذكر أن النسخة التي كانت أمامه من الجمهرة كانت نسخة المؤلف، وعليها خط أبي علي القالي... ومن الطريف أن هذه النسخة هي النسخة نفسها التي باعها أبو علي القالي – حين اشتدت الحاجة به – بأربعين مثقالاً، وكتب عليها الأبيات، وتمام الخبر في المزهر للسيوطي» (المقدمة ص ٣١).

ليس في كلام المحشي ما يدل على أن نسخة الجمهرة التي نقل منها كانت بخط المؤلف، ولكن غلبت على المحقق حكاية المزهر، وهي كما أوردها السيوطي:

«وقال بعضهم: كان لأبي علي القالي نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها، وكان قد أعطي بها ثلاثمئة مثقال، فأبى، فاشتدت به الحاجة، فباعها بأربعين مثقالاً، وكتب عليها هذه الأبيات.

أنست بها عشرين عامًا وبعتها	وقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها	ولو خلّدتني في السجون ديوني
ولكنْ لعجزٍ وافتقارٍ وصبيةٍ	صغارٍ، عليهم تستهلُّ شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرتي	مقالة مَكْوِيِّ الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك	كرائم من ربٍّ بهن ضنينِ

قال: فأرسلها الذي اشتراها وأرسل معها أربعين دينارًا أخرى. وجدت هذه الحكاية مكتوبة بخط القاضي مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس على ظهر نسخة من العباب للصغاني، ونقل من خطه تلميذه أبو

حامد محمد بن الضياء الحنفي، ونقلتها من خطه»[٣٢].

هذه الحكاية التي أسندها الفيروزابادي إلى شخص مجهول، قد وقعَ فيها الغلط من عدة وجوه، أهمها أن الذي باع نسخته من الجمهرة، وكتب هذه الأبيات التي ضمنها بيتًا قديمًا – وهو البيت الأخير – هو أبو الحسن علي بن أحمد الفالي (بالفاء) المتوفى سنة (٤٤٨هـ)، لا أبو عليٍّ القالي (بالقاف) المتوفى سنة (٣٥٦هـ). أجمعت على ذلك كتب التاريخ والتراجم، ولم يشذ عنها إلا هذه الرواية المدخولة[٣٣].

ولعل أول من نبه على هذا الغلط العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله، إذ قال في شرحه لذيل أمالي القالي وصلة ذيله، وهو الجزء الثالث من سمط اللآلي: «وغلط المتأخرون، فظنوا الفالي (بالفاء المنقوطة بنقطة واحدة) صاحبنا أبا علي...»[٣٤].

وجاز هذا التصحيف على الأستاذ أحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام (١١٧:١)، فنبه عليه الأستاذ مصطفى جواد في مقدمة كتاب تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني[٣٥].

وقد بسطت في موضع آخر ترجمة أبي الحسن الفالي، مع تحرير قصة بيع نسخته من الجمهرة، وتتبع القصص التي تمثل أصحابها بالبيت القديم الذي ضمنه الفالي.

الحواشي

١- مــن المذكورين في هذا الفهرس: ابن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد المتوفى سنة (٣٤٠هـ)، ولعل الكاتب الفاضل تابع في ذلك محقق كتاب خلق الإنسان (ص ٩). وهو وَهْمٌ بلا شك، فإن ابن الأعرابي المذكور كان محدثًا صوفيًا من أصحاب الجنيد، ولم يعرف له تأليف في اللغة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤٠٧/١٥. أما الذي ألف في خلق الإنسان فهو أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي المتوفى سنة (٢٣١هـ)، وكتابــه من مصادر خلق=

= الإنسان لثابت، كما ذكر في أوله. ومن أوهام هذا الفهرس أنه لما ذكر أبا موسى الحامض قال: «لم يذكره النديم وذكره القفطي» مع أن النديم ذكره في ص ٨٧ (طبعة تجدد).

٢- انظر مقدمة المحقق ص ١٨ الحاشية ٥.

٣- ليضف هذا الكتاب إلى ثبت مؤلفات الزركشي، فإنه لم يذكر في ترجمته، وقد فات محققي كتبه مع رجوعهم إلى كتاب المزهر لأن فهرس الأعلام فيه أخلّ بهذا الموضع. وقد ذكر صاحب كشف الظنون (ص ١٩١٥) كتابين بهذا العنوان: أحدهما للحافظ زين الدين العراقي (٨٠٦هـ) والآخر للشيخ سراج الدين اليمني (٨٨٧هـ)، ولكن لم يشر إلى كتاب الزركشي هذا.

٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك وزميليه، مكتبة دار التراث، القاهرة، (٣١٠/١).

٥- كذا في المزهر (مراسم) بالراء، ولعل الصواب بالواو، كما في مخطوطة كتاب الوشاح وكشف الظنون (٥١٧٩/٢).

٦- انظر بروكلمان (الترجمة العربية) القسم السادس: ٦٥٨ (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م)، ودليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها، إعداد أحمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ١٤٠٣هـ، ص ٢٥٤. وزد على مخطوطاته: نسخة محفوظة في مكتبة جامعة أم القرى برقم ١١٩٩.

٧- الوشاح في فوائد النكاح، نسخة جامعة الملك سعود برقم ٧٥٧هـ، نسخها عمر القباني سنة ١١١٦هـ.

٨- غاية الإحسان في خلق الإنسان، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٩٧.

٩- في الوشاح: «سلامة ابن الأنباري»، فاختصره الخفاجي بحذف (سلامة)، فأوهم أنه أبو بكر محمد بن قاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ الذي نقل من كتابه: (الزاهر) في عدة مواضع. والمعروف في اسم الأول: سلامة الأنباري، كما في المزهر. وهو سلامة بن عبد الباقي، أبو الخير الأنباري النحوي الضرير المتوفى سنة ٥٩٠هـ، من مؤلفاته: شرح مقامات الحريري، وهو من مصادر كتاب المزهر. انظر ترجمته في بغية=

=الوعاة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر ١٣٩٩هـ، (٥٩٣/١).

١٠- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، الخانجي، القاهرة، ١٣٢٥هـ، ص ١٧١.

١١- قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، تحقيق عثمان محمود الصيني، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٥هـ، (٣٩٥/٢).

١٢- تاج العروس، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦هـ، (٢٣٣/٤).

١٣- الغيث المسجم في شرح لامية العجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ ، (١٢٧/١).

١٤- انظر ترجمة جنادة في معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، (٨٠٠/٢).

١٥- إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦هـ، (١١٥/٢).

١٦- بغية الوعاة (٣٨/٢).

١٧- معجم السفر، تحقيق شير محمد زمان، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، ١٩٨٨م، ص ١٥٠.

١٨- انظر الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص ٦١٦.

١٩- معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، (٤٢٤/٥).

٢٠- إنباه الرواة (١١٥/٢).

٢١- انظر معجم الأدباء (١٦٤/١) حاشية المحقق. وقد وصل إلينا السفر الثالث منه، وهو يشتمل على فصول في خلق الإنسان. انظر سزكين المجلد الثامن: ٤٩١ (الترجمة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٨هـ).

٢٢- وقيل: إن كتاب العالم هو أصل المخصص، بل سلخه ابن سيده سلخًا. انظر بحوث وتحقيقات للميمني (١٤/١) إعداد: محمد عزيز شمس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٥م.

٢٣- إنباه الرواة (٢٢٦/٢).

٢٤- بغية الوعاة (١٤٣/٢).

٢٥- سير أعلام النبلاء (٢٤٢/١٧- ٢٤٣)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٢٦- قد صدر السفر الأول من كتاب المجرد بتحقيق محمد بن أحمد العمري سنة ١٤١٣هـ وطبع بمطابع دار المعارف بمصر، وانظر مقدمة المحقق ص ١٩. وقد أخرج من قبل كتابًا آخر لكراع وهو المنتخب من غريب كلام العرب، نشرته جامعة أم القرى في جزأين سنة ١٤٠٩هـ فهما كتابان اثنان لا كتاب واحد «المنتخب المجرد» كما سماه الدكتور إحسان في مقاله (ص ٢٢٢).

٢٧- انظر معجم الأدباء (١٦٧٣/٤).

٢٨- نشرة أخي المحقق الأستاذ محمد عُزَير شمس ضمن مجموعة «روائع التراث» (ص٢٥٩- ٢٨٥)، الدار السلفية، بومباي، الهند، ١٤١٢هـ.

٢٩- انظر ترجمة الخوافي في معجم الأدباء (١٥٢٧/٤)، وبغية الوعاة (٤٣/٢).

٣٠- معجم الأدباء (٨٢٢/٢).

٣١- انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٦٤، الجزء الثاني، ص ٢٩٠.

٣٢- المزهر (٩٥/١).

٣٣- انظر المنتظم لابن الجوزي، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، (١٧٤/٨)، ومعجم الأدباء (١٦٤٦/٤)، ووفيات الأعيان تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (٣١٦/٣)، وسير أعلام النبلاء (٥٤/١٨)، والفلاكة والمفلوكون، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٣٨٥هـ، ص ١٤٨.

٣٤- سمط اللآلي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ، (٨٩/٣).

٣٥- تكملة إكمال الإكمال، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ، مقدمة المحقق ص ٨- ١٠.

تعقيب على بحث «حول كتاب خلق الإنسان»
لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن

د. إحسان النص

ابتداءً أنا أشكر الدكتور الإصلاحي على ما أبداه من ملاحظات حول البحث الذي نشرته في الجزء الثاني من المجلد الثالث والسبعين من مجلة المجمع وعنوانه: «مصنفات اللغويين العرب في خلق الإنسان»، وحول التحقيق الذي قام به الدكتور أحمد خان لكتاب «خلق الإنسان في اللغة» لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن.

وتحرّي الحقائق العلمية والتاريخية غاية كل من يسعى وراء المعرفة الصحيحة والعلم اليقيني. على أنني أود أن أسجل ما عنّ لي بعد قراءة بحث الدكتور الإصلاحي ما دمنا نسعى جميعًا إلى الغاية المنشودة وهي تحرّي الحقائق.

١- أولى الملاحظات التي ذكرها الباحث الفاضل ذهابه إلى أن الحسن بن محمد الصغاني ليس له مصنف في موضوع خلق الإنسان، متابعًا في ذلك ما انتهى إليه الدكتور أحمد خان، محقق كتاب «خلق الإنسان في اللغة» للحسن بن أحمد بن عبد الرحمن، ومردّ هذا الخطأ إلى ورود هذا الكتاب في نهاية مجموعة تضم تسعة مؤلفات للصغاني في مخطوط موجود في خزانة مراد آغا بمكتبة السليمانية في اصطنبول، وهو المصنف العاشر منها، فخُيّل إلى بروكلمان أن المصنفات العشرة هي من تأليف الصغاني، فذكره في كتابه تاريخ الأدب العربي، وتابعه في ذلك عدد من الباحثين المحدثين.

إنني اطلعت على مقدمة كتاب خلق الإنسان في اللغة ووافقت محقق الكتاب الدكتور أحمد خان في نفيه أن يكون هذا الكتاب من تأليف الصغاني،

ومع ذلك فقد ذكرت أن للصغاني كتابًا في خلق الإنسان في عداد مَنْ صنَّفوا في هذا الموضوع، وذلك من قبيل الترجيح لا القطع، لأنني وجدت كثرة علماء اللغة البارزين قد صنفوا كتبًا أو أبوابًا في هذا الموضوع، والصغاني كان قمة في علم العربية، فمن المرجح أن لا يفوته تناول هذا الموضوع في مصنفاته، ويحتمل أن كتابه فقد فيما فقد من تراثنا، ويقوي هذا الترجيح أن طائفة من العلماء القدامى قد نسبت إلى الصغاني كتابًا في هذا الموضوع ومنهم محمد بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، وشهاب الدين الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، وهؤلاء المصنفون لم يقفوا قطعًا على المخطوطة التي وجدت في مكتبة مراد آغا، فما هو المصدر الذي رجعوا إليه في إثباتهم للصغاني كتابًا في خلق القرآن؟ وهل كان بين أيديهم كتاب للصغاني في هذا الباب ثم فقد؟ من المتعذر أن نصدر رأيًا قاطعًا في هذا الأمر ولذلك يبقى الترجيح في كون الصغاني ألف كتابًا في خلق الإنسان قائمًا.

وقد نسب كثير من الباحثين المحدثين إلى الصغاني كتابًا في خلق الإنسان، ومنهم: حسين نصار في كتابه «المعجم العربي»، وأحمد الشرقاوي إقبال في كتابه «معجم المعاجم»، وعزة حسن، وقهر محمد حسن في مقدمة كتاب «العباب الزاخر» للصغاني. ويحتمل أنهم تابعوا بروكلمان في هذا الأمر.

وقد أثبت الدكتور أحمد خان في مقدمة كتاب «خلق الإنسان في اللغة» أسماء من صنفوا في موضوع خلق الإنسان فلم أتحقق من أن جميع من ذكرهم لهم مصنفات في خلق الإنسان... منهم على سبيل المثال أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت٢٥١هـ)، وأبو الحسن الأثرم علي بن المغيرة (ت٢٣٢هـ)، ولم يذكر لنا محقق الكتاب المصادر التي استقى منها أسماء من صنفوا في خلق الإنسان.

٢- خالفت في بحثي الدكتور أحمد خان، محقق كتاب «خلق الإنسان في اللغة»، فيما ذهب إليه من أن مؤلف الكتاب عاش في «مرحلة ما بين الفترة من منتصف القرن الرابع حتى أوائل القرن السابع»، ورجحت أنه عاش ما بين نهاية القرن الرابع الهجري ومنتصف القرن الخامس، واستدللت على ذلك بأمور، منها أنه لم يذكر في كتابه أنه أخذ عن ابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ في كتابه «المخصص»، فقد أفرد لموضوع خلق الإنسان فصلاً كبيرًا من كتابه، وقد وافقني الباحث الفاضل الدكتور إصلاحي في أن مؤلف الكتاب عاش في حقبة تمتد من أواخر القرن الرابع حتى القرن الخامس، ولكنه ذهب إلى أنه ليس من المحتم أن يأخذ المؤلف عن ابن سيده ولو أنه عاش بعده، وأنا أخالفه فيما ذهب إليه مخالفة قاطعة، فلم يكن المؤلف ليغفل كتاب ابن سيده لو وقف عليه، فهو أعظم معجم ألف في المعاني، وقد طبقت شهرته الآفاق، وبحثه في خلق الإنسان أوسع بحث في بابه، ولو وقف عليه المؤلف لنقل منه أشياء كثيرة تضاف إلى ما ذكره هو.

٣- وأخيرًا كنت أتوقع، وقد عني الأستاذ الفاضل بكتاب «خلق الإنسان في اللغة»، أن يضيف حقائق جديدة إلى ما سبق أن ذكره محقق الكتاب، وإلى ما ذكرته أنا من عدم العثور على ترجمة لمؤلف الكتاب، وظللنا حتى الآن نجهل كل شيء عن سيرته وتاريخ وفاته، ولو أنه فعل لاستحق عظيم شكرنا، ويُخيّل إليّ أن مؤلف الكتاب ينبغي أن لا يكون مجهولاً لمصنفي كتب التراجم الذين جاؤوا بعده، ويحتمل أنه كان أحد علماء اللغة المعروفين ولكن وقع خطأ ما في بيان اسمه، ولعل الأيام المقبلة تسمح بمعرفة المزيد عن مؤلف هذا الكتاب .

الفصاحة بين اللفظ والمعنى

أ. عبد القادر سلاّمي

مقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى إعمال الفكر فيما أصبح في مألوف الناس من أمر الفصاحة، وذلك بسوق نماذج لغوية، وتحليل أخرى، في محاولة لعقد الآصرة بين فصاحة اللفظ وفصاحة المعنى، وبما يكفل عرض آراء علمائنا القدامى، وما احتجوا به من أدلة نقلية وعقلية تنتصر للفصاحة إنْ في اللفظ وإنْ في المعنى، وذلك وفق منهج وصفي تحليلي يمعن النظر في صحّة المعاني أو مخالفتها للقياس المعنوي من جهة ما يقع فيها من إحالة على الألفاظ من حيث وضوحها أو انبهامها.

فصاحة اللفظ أم فصاحة المعنى؟

أصل الفصاحة في اللغة: خلوص الشيء ممّا يشوبه. والفعل: فَصُح اللَّبَنُ وَأَفصَحَ: إذا تعرّى من الرّغوة، فهو فصيح. وأفصح الرجل: انطلق لسانه بكلامٍ صحيح واضح، وفَصُح: جادت لغته حتى لا يلحن. ويقال: أفصح العجميَ فصاحة: إذا تكلّم بالعربية. ويقال: أفصَح الصبح، إذا ظهر ضوؤه. قالوا: وكل واضحٍ مُفصِحٌ[1]. قال يحيى بن خالد (ت١٢٩هـ): ما رأيت رجلاً قطَ إلاّ هبته حتى يتكلّم، فإن كان فصيحًا عظُم في صدري، وإن قصّر سقط من عيني»[2].

وعلى هذا تناول الدارسون اللغويون الفصيح في مجالين، أحدهما بالنسبة إلى اللفظ، وثانيهما بالنسبة إلى المتكلّم به، والأوّل أخصّ من الثاني، لأنّ العربي الفصيح، في رأيهم، قد يتكلم بلفظة لا تعدّ فصيحة[3].

وقد اختلف الناس في الفصاحة، فمنهم من قال: إنّها راجعة إلى الألفاظ دون المعاني، واحتجّ من خص الفصاحة بالألفاظ بقوله: نسمع الناس يقولون: هذا لفظ فصيح، وهذه ألفاظ فصيحة ولا نسمع قائلاً يقول: هذا معنى فصيح. وإن قلنا إنما تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك المعنى بالفصيح وذلك غير مألوف في كلام الناس[٤].

والذي رآه عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) أن المزية من حيّز المعاني دون الألفاظ[٥]. وقد اختصت الفصاحة باللفظ وكانت من صفته من حيث كانت عبارة عن كون اللفظ على وصف إذا كان عليه دلّ على المزية التي نحن في حديثها، وإذا كانت لكون اللفظ دالاً استحال أن يوصف بها المعنى، كما يستحيل أن يوصف المعنى بأنه دالّ مثلاً فاعرفه[٦].

فعبد القاهر الجرجاني يجعل الفصاحة في اللفظ متعلّقة بالنّظم، فهو لا يعدّ اللفظ فصيحًا في حدّ ذاته، بل فصاحته تأتي من تلاؤم معناه مع الألفاظ المجاورة. ومن ثم فالفصيح هو اللفظ الحسن المألوف في الاستعمال، والمتوافق معناه مع غيره في التركيب، والفصاحة هي التكلّم على السليقة التي فُطر العربي عليها منذ نشأته في بيئته العربية اللسان، القوية البيان[٧]، وهو ما لخّصه شهاب الدين الأبشيهي (ت٨٥٠هـ)، بقوله: «والذي أراه في ذلك أنّ الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه منه صحيحًا حسنًا»[٨].

وكأنّ فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) همّ بالردّ على عبد القاهر الجرجاني، حيّن قال: «اعلم أن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد... وأكثر البلغاء لا يكادون يفرّقون بين البلاغة والفصاحة، بل يستعملونها

استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما، ويزعم بعضهم أن البلاغة في المعاني والفصاحة في الألفاظ، ويستدلّ بقولهم: معنى بليغ ولفظ فصيح»[٩]. ولعلّ فخر الدين الرازي سار على هدي الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، بقوله: «فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة[١٠]، والخطأ والصواب والإغلاق[١١] والإبانة، والملحون والمعرب كله سواء، وكله بيانًا»[١٢] فالفصاحة عنده قد تلتبس مع الخطأ ومقابلها اللحن الذي يفهم منه اصطلاحًا: الخروج عن أوضاع العرب وسننهم في كلامهم، أو ما سمّاه الجاحظ بالعيّ[١٣]. ومن هنا ندرك أننا أمام مستويين للفصاحة، أولهما: السلامة اللغوية، وثانيهما: السلامة البيانية، أي اختيار الكلام الجيّد المؤثر في السامع، وهو ما يفهم من كلام أبي نصر الفارابي (ت٣٥١هـ) أيضًا، إذ يقول: «فتصير عباراته خارجة عن عبارة الأمّة، ويكون خطأ ولحنًا وغير فصيح»[١٤].

على أنّ جمهور العلماء يتّفقون على أنّه «من المستحسن في الألفاظ تباعد مخارج حروفها، فإذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكّنة في مواضعها، غير قلقة ولا مكدودة[١٥]، والعيب في ذلك قول الشاعر[١٦]:

وقـــبرُ حـــربٍ بمكـــان قفـــر ولـــيس قُـــرْبَ قَـــبرِ حربٍ قَبْرُ

قيل: إن هذا البيت لا يمكن إنشاده ثلاث مرات متوالية، إلاّ ويغلط المنشد فيه؛ لأن القرب في المخارج يحدث ثقلاً في النطق[١٧].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن جنّي (ت٣٩٢هـ) وقف عند حسن تأليف الحروف، وخلاصة رأيه أنّ الحروف كلّما تباعدت في التأليف كانت أحسن، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قَبُح اجتماعهما ولا سيما حروف الحلق، لذا

رأيناه يفرد لهذه المسألة فصلاً في آخر كتابه «سر صناعة الإعراب»[١٨].

أما دارسو الإعجاز والبلاغة والنقد، فقد أفادوا من الدراسة الصوتية عند اللغويين، ووجهوا خطاهم نحو تأليف حروف الكلمة بحسب المخارج الصوتية، وماله من دور في حسن التلّفظ وفصاحته أو سوئه وعدم فصاحته. فقد عُرضت على الخليفة المتوكّل جارية شاعرة، فقال أبو العيناء (ت٢٨٣هـ) يستجيزها: أحمد الله كثيرًا، فقالت: حيث أنشأك ضريرًا، فقال: يا أمير المؤمنين قد أحسنت في إساءتها فاشترها»[١٩].

وقال ثعلب (ت٢٩١هـ) في أول فصيحه: «هذا كتاب اختيار الفصيح مّما يجري في كلام الناس وكتبهم، فمنه ما فيه لغة واحدة، والناس على خلافها، فأخبرنا بصواب ذلك، ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك، فاخترنا أفصحهنّ، ومنه ما فيه لغتان وكثرتا واستعملتا فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى، فأخبرنا بهما»[٢٠]. فالمفهوم من كلامه أن مدار الفصاحة في الكلمة هو كثرة استعمال العرب لها. ويدعم هذا المفهوم ما جاء في طبقات النحويين واللغويين: «قال ابن نوفل: سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ): أخبرني عمّا وصفت مّما سميت عربية، أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا. قلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ فقال: أحمل على الأكثر، وأسمّي ما خالفني لغات[٢١]»[٢٢].

ورأى المتأخرون من البلاغيّين أنّه لا يمكن لكلّ واحد الاطّلاع على ذلك لتقادم العهد بزمان العرب، فحرّروا لذلك ضابطًا يعرف به ما أكثرت العرب من استعماله من غيره، فقالوا: الفصاحة في المفرد: خلوصه من تنافر الحروف، والغرابة، ومن مخالفة القياس اللغوي[٢٣].

١- فبالتنافر تكون الكلمة متناهية في الثقل على اللسان، فيعسر النطق بها. من ذلك ما روي عن أعرابي أنّه سُئِل عن ناقته، فقال: تركتها ترعى «الهعخع» (يعني الكلأ).

ومنه ما دون ذلك كلفظ: «مستشزرات»، في قول امرئ القيس يصف فرسه[٢٤]:

غدائــره[٢٥] مُسْتَشْــزِرات[٢٦] إلى العلا تَضِلُّ العُقَاص[٢٧] في مُثَنًّى[٢٨] ومُرسَلِ[٢٩]

وذلك لتوسط الشين وهي مهموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجهورة[٣٠].

٢- أمّا الغرابة فهي أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها إلاّ بعد البحث عنها في معاجم اللغة وكتب الغريب؛ فقد روي عن عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ)، أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس، فقال: «ما لكم تكأكأتم عليّ تكأكؤكم على ذي جنة، افرنقعوا عنّي». أي اجتمعتم، وتنحّوا[٣١] وافترِقوا.

وعلّق الشيخ بهاء الدّين السّبكي (ت٧٧٧هـ) على هذا العنصر قائلاً: «ينبغي أن يحمل قوله: (والغرابة) على الغرابة بالنسبة للعرب العرباء، لا بالنسبة إلى استعمال الناس، وإلا لكان جميع ما في كتب الغريب غير فصيح، والقطع بخلافه[٣٢] وبعد التمعن في قول السبكي يتبين أن الغرابة تعني الألفاظ الفصيحة التي عرفها العرب الخلّص وأصبحت غريبة بالنسبة للرعيل الجديد لأسباب معينة منها: ندرة استعمالها أو لتناسيها، ويجب أن لا تقاس الغرابة على استعمال الناس للغة، وإلاّ لأصبح كل غريب غير فصيح. فالغرابة المقصودة إذن، لا تمسّ الفصاحة بقدر ما تمس مدى تداول الألفاظ

واستعمالها، وهذا ما قصد إليه ثعلب قبل ذلك.

٣- وفيما يخصّ مخالفة القياس، نجد على سبيل المثال قول الشاعر[٣٣]:

«الحمد لله العليّ الأجْلَلِ»

فالقياس أن يقول الأجلّ بالإدغام[٣٤] ويردّ الشيخ نفسه على القول ومخالفة القياس بقوله: ما خالف القياس وكثر استعمالُه، فورد في القرآن الكريم، فإنه فصيح، سواء وافق القياس أم خالفه، فكلامه عزّ اسمه أفصح وأبلغ من أيّ كلام بشريّ، والقواعد القياسية من وضع البشر، ولا يمكن أن تعلوَ يومًا على كلام الله[٣٥] ومقتضى ذلك أيضًا أن كلّ ضرورة ارتكبها شاعر تخرج الكلمة عن الفصاحة، وأقبح الضرورات الزيادة المؤدية إلى ما يقلّ في الكلام كقوله: فأَطَأْتُ شيمالي، أي شمالي، والعدول عن صيغة إلى أخرى كقوله:

«جَدْلاء مُحْكَمَةٍ مِنْ نَسْجِ سَلاَّمِ»، أي سليمان

وإذا قرأنا هذا البيت بمفرده فلا بأس فيه وينصرف إلى سلاّم[٣٦] لكن لنتصور أنّ البيت في قصيدة يذكر فيها مرّة سلام، ومرة «سليمان»، فإننا نقع في خلط ونجد أنفسنا مضطرين إلى الرجوع إلى مناسبة القصيدة أو ديوان الشاعر أو عصره لرفع الإبهام، وهنا يظهر بوضوح أن هذه الزيادة أو هذا النقصان لم يكونا في محلهما.

أما إن كانت الزيادة خفية، فلا تغيّر الشيء الكثير، نحو ما في: شيمالي.

٤- وعدّ الشيخ السبكي من شروط الفصاحة، ألا تكون الكلمة مبتذلة، إمّا لتغيير العامة لها إلى غير أصل الوضع، كالصّرم للقطع[٣٧]، فكان الأصل فيه الهجران، وكأنّ الهجران يخلق قطعًا بين شيئين أو أكثر[٣٨]. وإمّا

لسخافتها في أصل الوضع، فعدل في التنزيل إلى قوله تعالى: ﴿فَأَوْقِد لِي يَا هَامَانُ على الطِّين﴾[٣٩] بدل لفظ الطّوب (الآجرّ)[٤٠] ومعنى الآية: اصنع لي الآجرَّ،[٤١] ذلك أن الطيـــن بعد الطبخ يصبح آجرًّا؛ لذا جاء في قوله: ﴿فأوقد﴾ سابقة لكلمة ﴿الطين﴾، أي اشعل النار ليطبخ الطّين، ونستخلص من الشرح أن الطّين بعد الطبخ يصبح آجرًّا أو طوبًا، ولذا ذكر الأصل الذي هو الطين القابل للتحديد واستغنى عن الفرع-وهو الآجرّ أو الطوب، غير القابل للتحديد، وهذا الأمر لا يستدعي سخافة تذكر.

وأورد حازم القرطاجنّي (ت٦٨٤هـ) تقسيمًا للابتذال والغرابة، فذكر أن الكلمة توجد على الأقسام، بأن تكون[٤٢]:

١- الكلام الذي استعمله العرب القدماء دون المحدثين[٤٣]، وكان استعماله كثيرًا في الأشعار وغيرها، فهذا حسنٌ فصيح.

٢- ما استعمله العرب القدماء وخَاصّةُ المحدثين دون عامّتهم، ولم يكثر على ألسنة العامّة فلا بأس به.

٣- ما استعمله العرب، لكنه كثر على ألسنة العامّة، وكان معناه اسمًا استغنت به الخاصة عن هذا، فيقبح استعماله لا ابتذاله.

٤- ما ورد كثيرًا عند الخاصة والعامّة دون أن يكون له اسم آخر، والعامّة ليست في حاجة إلى ذكرٍ من الخاصّة، ولم يكن من الأشياء التي تناسب أهل المهن، فهذا لا يقبح ولا يعدّ مبتذلاً، مثل لفظتي: الرأس والعين.

٥- ما قد يذكر إلاّ أن الحاجة إليه عند العامّة أكثر، كالصّنائع، فهو مبتذل.

٦- اللفظ الكثير الاستعمال عند العرب والمحدثين لمعنى، وقد استعمله بعض العرب لمعنى آخر نادر، فيجب أن يتجنّب هذا أيضًا.

٧- ما استعملته العامّة من غير تغيير، فاستعمالها على ما نطقت به العرب ليس مبتذلاً، وعلى التغيير قبيح مبتذل.

ونشير أخيرًا إلى أن السيوطي (ت٩١١هـ) نقل في مزهره عن أحد العلماء رتب الفصاحة بحسب الانتقال من حرف إلى حرف بعدًا أو قربًا، وقد أحصى للكلمة المؤلفة من ثلاثة أحرف اثني عشر تركيبًا، وانتهى إلى أن أحسن هذه التراكيب وأكثرها استعمالاً ما انْحُدِرَ فيه من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى، يليها ما انتُقل فيه من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى، ثم من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط[٤٤].

وإذا كان اللغويون لم يهتموا بفصاحة المعاني اهتمامَهم بفصاحة الألفاظ التي رتّبوها بين دخيل[٤٥] ومعرب[٤٦] ومولّد[٤٧] ومُحدَث أو عامي[٤٨]، فلعلَّ مـــردّ ذلك إلى كون الألفاظ عندهم عوارض متناهية والمعاني جواهر غير متناهية[٤٩]؛ الأمر الذي لا ينفي أنّ من القدماء، على جلال قدرهم، من لم تستجب له بعض معاني الألفاظ، على فصاحتها، طيِّعةً. فقد سأل أبو حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ) الأصمعي (ت٢١٦هـ): «لِمَ سمِّيَتْ مِنىً مِنىً؟ فقال: لا أدري. فلقي أبا عبيدة (ت٢١٠هـ)، فسأله، فقال: لم أكن مع آدم، عليه السلام، حين علّمه الله تعالى الأسماء، فأسأله عن اشتقاق الأسماء، فأتى أبا زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ)، فقال سمّيت منىً لما يُمنى (يُراق) فيها من الدماء»[٥٠].

ويدعم ذلك ما جاء في طبقات أبي بكر الزّبيدي (ت٣٧٩هـ) من أنّ أبا عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) سُئِل عن اشتقاق الخيل، فلم يعرف، فمرّ أعرابيٌّ مُحرِمٌ، فأراد السائل سؤال الأعرابيّ، فقال له أبو عمرو: دَعْني، فأنا ألطف بسؤَاله وأعرفُ، فسأله، فقال الأعرابيُّ: اشتقاق الاسم من فعل

المسمّى. فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابيّ، فسألوا أبا عمرو عن ذلك، فقال: ذهب إلى الخُيَلاء التي في الخيل والعُجْب، ألا تراها تمشي العِرَضْنَة[٥١] خُيَلاءً وتَكَبُّرًا؟[٥٢]، مما يحمل على الاعتقاد بأنّ المعنى متقدّمُ اللفظِ كونه قائمًا في واقع الحال وقبله، هذا المعنى الذي لا يخرج وغيرُه، من حيّزِ القوة إلى حيّز الفعل إلاّ إذا استدعي إلى الخروج في هيئة فصيحة ليعدّ اللفظ رمزًا لها، ممّا حدا بعبد القاهر الجرجاني إلى اعتبار «إطلاق اللفظ من غير معرفة بالمعنى قد صار ذاك الدَّأب والدّيدن واستحكم الدّاء منه الاستحكام الشديد»[٥٣].

ولعلّ ما يبرِّر هذا الحكم والإقرار به، في رأينا، هو عدول المنكرين عن إثبات الفصاحة في المعاني وإثباتها للألفاظ. غير أن عبد القاهر الجرجاني، وإن ذهب مذهبًا آخر يقود إلى إنكار مبدأ الفصاحة في الألفاظ دون المعاني من منطلق نظرية النّظم، إلاّ أنه فاته، وهو يورد بيتًا شعريًا لامرئ القيس (ت٥٦٥م)، وأربعة أبيات للبحتري (ت٢٨٤هـ) على الترتيب، مراعيًا فيها مَزِيَّتَيْ الترتيب والتقديم والتأخير[٥٤]، أن يلحظ فيها ما قد يُخِلّ بالقياس المعنوي حملاً على مخالفة القياس اللغوي الذي يخرج اللفظ عن كونه فصيحًا إلى لفظ غير فصيح، على نحو ما مرّ بنا.

فقول امرئ القيس[٥٥]:

أَيَقْتُلُني والمَشْرَفيُّ[٥٦] مُضاجِعي ومَسْنونةٌ زُرْقٌ كَأَنْيابِ أَغْوَالِ؟!

فيه «تكذيب منه لإنسان تَهدَّدهُ بالقتل، وإنكارٌ أن يقدر على ذلك ويستطيعه. ومثله أن يطمع طامع في أمر لا يكون مثله فيُجهِّله في طمعه، فتقول: أيرضى عنك فُلانٌ وأنت مقيمٌ على ما يكره؟ أتجد عنده ما تُحبُّ وقد فعلتَ وصنعتَ؟ وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوها وأنتُم لَها كارِهُون ﴾[٥٧][٥٨].

فشبّه امرؤ القيس النّبالَ في جدّتها ومضائها بأسنان الأغوال، وهو تشبيه وهمي، ونحن نعلم أن القياس يستلزم وجود لغة حديثة مقيسة على لغة قديمة من باب موازنة كلمات بكلمات، أو صيغ بصيغ، أو استعمال باستعمال، أو معنى بمعنى[٥٩]؛ وهذا القياس لا يتمّ إلاّ بطريقة منطقية كونه يساعدنا على صياغة ألفاظ جديدة واشتقاقات قد تكون شائعة في اللغة القديمة، وقد تكون نادرة فيها أو قد تكون غير موجودة إطلاقًا، فما بالك والمعاني بعدُ ليست قائمة إلاّ على سبيل التوهّم؟ وبهذا فإن القياس يعتمد في الدرجة الأولى على ذات اللغة ويستعين بقواعد النحويين والصرفيين.

ونمثّل لذلك بقوله: «أغوال» ومفردها «غُول»، وهي من «غَوَلَ» التي تدل على كل ما أخذ الإنسان من حيث لا يدري فأهلكه[٦٠]. وتزعم العرب أنّه نوع من الشياطين يأكل الناس، أو دابّة رأها العرب وعرفتها وقتلها تأبّط شرًّا (ت٨٠ق.هـ)[٦١]، وجمعه «أغوال» و«غيلان»[٦٢]. فكيف أمكن امرأَ القيس استعمال هذا المخلوق الوهمي والمتعدّد الاحتمال المعنوي في أصل الوضع، ولو جاز له ذلك من حيث القياس والضرورة الشعرية، فيجعل له أنيابًا من باب الاستعارة قياسًا على نظير يشترك معه في معنى عام، وهو الاغتيال؟ فالغول في عرف العرب تطلق على الصّداع والسّكْرِ وبُعْدِ المفازة[٦٣] والمشقّة[٦٤]. كما أن الغول تطلق أيضًا على الهلكة والداهية والسّعلاة[٦٥]، وعلى الحية، وساحرة الجنّ والمنيّة، ومن يتلوّن ألوانًا من السّحرة والجنّ أو كل مازال به العقل[٦٦]. فهل التزم امرؤ القيس (الشاعر الجاهلي) صحة قياس الفروع على فساد الأصول[٦٧]، أي صحة جواز القياس على أصول فاسدة أو على فرضيات وهمية غير دقيقة؟ أم إنه حمل

قياسه المعنوي على ما أكّده القرآن الكريم بعد ذلك من صحة معتقدات العرب وإيمانهم بها على سبيل التجريد لما وقع عليهم من أذاها عيانًا، فعبّر عنها بوجه من وجوه القياس مع الفارق، فقال تعالى في إشارة إلى شجرة الزّقوم التي تخرج في أصل الجحيم جزاءً للظالمين ﴿طلْعُهَا كَأنّه رُؤوسُ الشَّياطِين﴾(٦٨).

أما قول البحتري (ت٢٨٤هـ)(٦٩):

بَلَوْنَا ضرائب مَنْ قَد نَرى فما إِنْ رَأَينا لفتحٍ ضريبًا
هو المرءُ أبدت لَهُ الحَادثا تُ عزمًا وشيكًا ورأيًا صَليبًا
تنقّلَ في خُلُقَيْ سؤدَد سماحًا مُرجّىً وبأْسًا مَهيبًا
فكالسّيف إن جئته صارخًا وكالبحرِ إنْ جئْتَهُ مُستثيبًا

والأبيات من قصيدة له في مدح الفتح بن خاقان ومعاتبته. فإذا كان عبد القاهر الجرجاني قد راقته هذه الأبيات، وأراد إشراك المُتلقّي في ما راقه فيها وما اهتزّت له نفسه، فأراد منه تقصّي ذلك، ليرى ضرورة أن ليس إلاّ أنّ البحتري قدّم وأخّر، وعرّف ونكّر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرّر، وتوخّى على الجملة وجهًا من الوجوه التي يقتضيها عِلمُ النّحو فأصاب في ذلك كلّه، ثمّ لطفَ موضع صوابه وأتى مأتًى يوجب الفضيلة(٧٠)، فذهب عبد القاهر الجرجاني بذلك مذهبًا يقود إلى إنكار الفصاحة في اللفظ دون أن يكون للتركيب دخل في ذلك، غير أنه فاته أن يقف على أنّ قوله: «عزمًا وشيكًا» و«رأيًا صليبًا» فيه ما يخلّ بالقياس المعنوي. فـ «وشيك» في العزم استعمال غير وارد قبل البحتري إلاّ في معنى السّرعة والإسراع، و«وشُكَ»: سَرُع، و«أوشك»: أسْرَعَ، وامرأة وشيكٌ: سريعةٌ(٧١). فالعزم يوصف

بالشّدة عادة[٧٢]، إلاّ أن يكون قد أراد من وراء ذلك أن العزم صار أخًا له على سبيل المجاورة والالتصاق والقرب. كما أنّ الرأي لا يوصف بالصّلابة[٧٣] بل بالسّداد، وإن كان قد أورد «صليبا» بمعنى المصلوب، وهو في وجه من القياس جائز، ثُمّ سُمّي الشيء الذي يُصلب عليه صليبًا على المجاورة[٧٤]. وأصل الصليب من صلّب، وهو العَلَمُ،[٧٥] والرأي ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه آراء[٧٦]، والسداد: «الاستقامة كأنه لا ثُلمة فيه، والصواب أيضًا سداد»[٧٧].

ويبدو أنّ مخالفة القياس المعنوي في ما أوردناه واضحٌ بيّن، ولا تشفع له سوى الضّرورة الشّعرية، ولا يستقيم المعنى فيه إلا بلطف التّأويل والصّنعة، على أن تحمل فصاحة لفظه على ما استعملته العرب، وخاصّة المحدثين منهم، باعتبار أنّ البحتري أحدهم و لم يكثر في ألسنة العامة، فعدّ لا بأس به[٧٨].

فهل لنا بعد هذا الذي قدّمنا له بالدراسة والتحليل، إلاّ أن نقول: إنّ الفصاحة لا تعدو أن تكون سلامة الكلام من التّعقيد اللفظي والمعنوي فتشمل بذلك اللفظ والمعنى، ولزم بذلك تسمية المعنى بالفصيح. وما استبعاد الناس للقول بفصاحة المعنى واللفظ بعدُ فصيح، إلاّ لكون «حكم المعاني خلاف الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصّلة محدودة»[٧٩].

على أن يحمل معنى البلاغة على «التماس حُسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلّة الخَرَق[٨٠] [بما التبس] من المعاني أو غَمُضَ، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذّر. وزيْنُ ذلك كلّه، وبهاؤه وحلاوته وسناؤه أن تكون الشمائل موزونة، والألفاظ معدّلة، واللهجة نقيّة. فإن جامع ذلك

السنُّ والسَّمت والجمال وطول الصمت، فقد تم كلّ التمام، وكمُل كلّ الكمال»[٨١]، وهو كما ترى لا يتم إلاّ بفصاحة اللفظ والمعنى معًا.

الخاتمة

بعد استعراضنا شواهد تتصل بفصاحة اللفظ والمعنى، أفضى بنا البحث إلى جملة من النتائج، أهمها:

١- أن مدار الفصاحة عند القدماء هو كثرة استعمال اللفظ وخلوّ أحرفه من التنافر، وبُعده عن الابتذال والغرابة ومخالفة القياس اللغوي، لذا أمكنهم ترتيبه بين: أصيل ودخيل ومعرّب ومولّد ومحدَث، الأمر الذي حدا بالدارسين المحدثين إلى إعادة النّظر في بعض ما وجدوه متداخلاً من هذه المصطلحات.

٢- أنّ مردّ عدمِ اهتمامِ اللغويين بفصاحة المعاني اهتمامَهُم بفصاحة الألفاظ يرجع إلى كون الألفاظ عوارض معدودة ومحصّلة محدودة، والمعاني جواهر غير متناهية مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية، الأمر الذي يثبت أنّ حكم المعاني خلاف الألفاظ.

٣- أنّ احتفال بعض العلماء بفصاحة المعنى أكثر من اعتدادهم بفصاحة اللفظ يسوّغه الاعتقاد بأنّ المعنى متقدّم اللفظ كونه قائمًا في واقع الحال، يخرج من حيِّز القوّة إلى حيِّز الفعل في هيئة فصيحة يعد اللفظ رمزًا، الأمر الذي لا يعدم والحال هذه العلاقة الوطيدة بين الدالّ والمدلول.

٤- أنّ الاعتقاد السائد بأنّ معنى الفصاحة يُحمَل على سلامة الكلام من التعقيد اللفظي (دون المعنوي) كان وراء اختلاف تعامل العلماء مع الشعر واستشهادهم به بحسب العصور التي ينتمون إليها، فكان أن قبلوا بعض الصيغ الواردة فيه على فصاحتها أحيانًا، وإن خالفت القياس المعنوي،

لمواكبة هذا الشاعر أو ذاك لعصور الاحتجاج، فيجيزونها تقديرًا للسياق الذي وردت فيه أو تأويلها من باب الضرورة الشعرية، ومثل ذلك تأتّى لامرئ القيس من استعمال الغول على نحوٍ لم يره أحد؛ في حين استثنوا الشعراء المولّدين (والبحتري أحدهم) من دائرة احتجاجهم؛ لأنّهم خالفوا بعض قواعدهم في الصياغة المعنوية ذاتها، ولم يحمّلوا أنفسهم عناء البحث عن تخريجات لها عند هؤلاء الشعراء، رافضين إرجاع ذلك إلى الضرورة الشعرية ما لم تكن قد تُدُووِلَتْ عند شاعرٍ يحتجّ بلغته، وإن أقرَّ بعض العلماء بتوفّر شعر المحدثين على أسباب الفصاحة ولو بوجه من الوجوه، حتّى همّوا أن يأمروا فتيانهم بروايته على نحو ما روي عن أبي عمرو بن العلاء، إلاّ أنّهم لم يجرؤوا على خرق منطقٍ في الاستشهاد كان سائدًا على زمانهم قائمٍ على استبعاد الأوائل لجمهور الشعراء المحدثين.

الهوامش

١- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩م، (٤/٥٠٦- ٥٠٧)، مادة (فصح)، والسيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتصحيح وعنونة وتعليق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (١/١٨٤).

٢- الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت، لبنان، ص ٦٧.

٣- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/١٨٤).

٤- الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، ص.٦٧.

٥- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية، ط ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٥١، ويوازن بما جاء في ابن خلدون، المقدمة، دار الجيل بيروت، فصل (في أن صناعة النظم والنثر إنما هي في صناعة الألفاظ لا في المعاني) ص ٦٣٩.

٦- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٥٠.

٧- المصدر السابق ص ٤٢- ٤٣.

٨- الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف ص ٦٧.

٩- المصدر السابق ص ٦٧- ٧٧.

١٠- اللكنة: عجمة في اللسان وعيٌّ. ينظر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،(١/٧٣-٧٤، ١٦٢).

١١- الإغلاق: كلام غلِق أي مشكل، ينظر المصدر السابق (١/٢٥٤).

١٢- المصدر السابق (١/٢٦٢).

١٣- المصدر السابق (٢/٢٣٤).

١٤- أبو نصر الفارابي، الحروف، تحقيق محمد مهدي، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٠م، ص ١٤٥.

١٥- الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، ص ٦٧.

١٦- الجاحظ، البيان والتبيين (١/٦٥)، وعبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص٤٦.

١٧- الجاحظ، البيان والتبيين (١/٦٥).

١٨- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص ٨١١- ٨٢٠.

١٩- الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف ص ٦٨.

٢٠- ثعلب، الفصيح، تحقيق صبيح التميمي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ١٩٧٩م، ص ٤٥.

٢١- اللغات: تعني اللهجات في عرف القدماء.

٢٢- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ٣٥.

٢٣- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/١٨٤).

٢٤- امرؤ القيس، ديوانه، دار صادر، بيروت ص ٤٤، وينظر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/١٨٥).

٢٥- الغدائر: جمع غديرة، وهي الخصلة من الشعر.

٢٦- الاستشزار: الارتفاع والرفع جميعًا.

٢٧- العقيصة: الخصلة المجموعة من الشعر، والجمع عُقَص وعقائص، والفعل من الضلال والضلالة: ضَلَّ يَضِلّ.

٢٨- مُثَنَّى: ما اعوجّ من الشعر وانعطف منه.

٢٩- مرسل: مسترسل ممتد.

٣٠- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/١٨٦).

٣١- المصدر السابق (١/١٨٦).

٣٢- المصدر السابق (١/١٨٧).

٣٣- ابن جنّي، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، (٣/٧٨، ٩٣)، وقد نسبه المحقق إلى الشاعر أبي النجم على أنه أول أرجوزته الطويلة؛ وينظر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/١٨٦).

٣٤- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/١٨٦).

٣٥- المصدر السابق (١/١٨٨).

٣٦- المصدر السابق (١/١٨٩).

٣٧- المصدر السابق (١/١٨٩- ١٩٠).

٣٨- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (٣/٣٤٤)، مادة (صرم).

٣٩- من الآية ٣٨ من سورة القصص.

٤٠- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/١٩٠).

٤١- ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨٩ هـ- ١٩٧٨م، ص ٣٣٣.

٤٢- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م، ص ٣٨٥- ٣٨٦.

٤٣- المُحدَثــون: هــم المــتأخرون من العلماء والأدباء، وهم خلاف المتقدمين، أما المحدَثون من الشعراء فهم أصحاب الطبقة الرابعة والأخيرة في تصنيفات النحاة للشعراء إلى طبقات من حيث الاستشهاد بشعرهم أو عدمه، ومن أعلام هذه الطبقة نذكر: بشار بن برد (ت١٦٧هـ)، وأبا نواس (ت١٩٩هـ)، وأبا تمام (ت ٢٣١هـ) والبحـــتري (ت٢٨٤هـ)، والمتنبي (ت٣٥٤هـ). ينظر ابن قتيبة، الشعر والشـــعراء، مطــبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٩٠٢م، ٢٢٨/١. وعبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م، (١/٦- ٧)، وينظر الجاحظ، البيان والتبيين (١/٤٩- ٥٠).

٤٤- المصدر السابق (١/١٩٧).

٤٥- الدخـــيل: هو لفظ أعجمي استعمله العرب على وضعه العجمي في محاورتهم: محـــب الله بـــن عبد الشكور، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه، دار العلوم الحديثة، بيروت لبنان، (١/٢١٢).

٤٦- المعرب: هو ما تفوهت به العرب من أسماء أعجمية على منهاجها أو هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها، السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/٢٦٨).

٤٧- المولّد: هو «ما أحدثه المولّدون الذين لا يحتج بألفاظهم»، المصدر السابق، (١/٣٠٤). ويـــريدون باللفظ المولّد ما استعمله المولّدون على غير استعمال الفصحاء من العرب: ينظر عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ص ١٩٩.

٤٨- المُحدَث أو العامي: اقترن مصطلح المحدث بالمولَّد في عرف القدماء، جاء في الفيروزابادي، القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ودار الجيل بيروت، (١/٣٦٠) مادة (الولد): «المولدّة: المحدثة من كل شيء،=

=ومن الشعراء لحدوثهم» والمحدَثون هم الذين عاشوا بعد المولّدين إلى أيامنا هذه. ويسمى الكلام الذي عربه هؤلاء «المحدث» «تمييزًا له من المولّد، ونسميه نحن اليوم «عاميًا»: محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ط٣، مكتبة دار الشرق، بيروت، ص٤٤٧.

٤٩- ينظر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/٣٦٩)، وابن خلدون، المقدمة (الفصل ٤٧) ص ٦٣٩، وابن جنّي، الخصائص، (١/٢١٥- ٢٢٣)، والجاحظ، البيان والتبيين، (١/٧٥).

٥٠- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/٣٥٣).

٥١- العرضنة: أي معترضة من وجه ومرة من آخر.

٥٢- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، ص ٣٦، والسيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/٣٥٣).

٥٣- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٢٥٤.

٥٤- المصدر السابق ص ٦٥، ٨٦.

٥٥- امرؤ القيس، ديوانه، ص ١١٢.

٥٦- المشرفي: أحد نعوت السيف، وهو منسوب إلى المشارف، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف، أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب السلاح (من الغريب المصنف)، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٧.

٥٧- الآية ٢٨ من سورة هود.

٥٨- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٨٦.

٥٩- ابن جنّي، الخصائص، (١/٣٥٨)، والسيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٧٦، ص٩٦، وابن هشام الأنصاري، شرح جمل الزجاجي، دراسة وتحقيق علي محسن مال الله، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص٣٥٥.

٦٠- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (٤/٤٠٢) مادة (غول).

٦١- الفيروزابادي، القاموس المحيط، المؤسسة فن الطباعة، مصر، (٢٧/٤) مادة (غاله) ويـــنظر إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، (٦٦٧/٢)، مادة (غاله).

٦٢- الفيروزابادي، القاموس المحيط، (٢٧/٤) مادة (غاله).

٦٣- بُعْـــد المفازة: ويسمى غَوْلا، لأنه يغتال من مرّ به: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (٤٠٢/٤)، قال رؤبة (ت١٤٥هـ):

يمشـــي بـــه الأُدْمَـــانُ كالمُؤَمّـــه بـــه تمطّـــتْ غَـــوْلَ كُـــلَ مِـــيلَه

مجموعة أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه، اعتنى بترتيبه وتصحيحه وليم بن الورد البُروسيّ، ط٢، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م ص١٦٧.

٦٤- الفيروزابادي، القاموس المحيط، (٢٧/٤) مادة (غاله).

٦٥- السِّعلاة: أنثى الغول، وهي من أخبث الغيلان، ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (٧٤/٣)، مادة (سعل).

٦٦- الفيروزابادي، القاموس المحيط، (٢٧/٤) مادة (غاله).

٦٧- وهو ما عالجه ابن جني ضمن (باب في المستحيل، وصحة قياس الفروع على فساد الأصول) وأجازه، فذهب إلى إمكان ذلك. فمن أمثلة معالجته موضوع القياس بمنظوره الخاص قوله: «كأن يقول لك قائل: لو كانت الناقة من لفظ (القنو) ما كان يكون مثالها من الفعل. فجوابه أن تقول: عَلفَه، وذلك أن النون عينٌ والألف منقلبة عن واو، والواو لام القنو، والقاف فاؤه. ولو كان القنو مشتقًا من لفظ الناقة لكان مثاله لَفَع. فهذان أصلان فاسدان، والقياس عليهما آوٍ بالفرعين إليهما». الخصائص (٣٢٧/٣، ٣٣٩).

٦٨- الآية ٦٥ من سورة الصافات.

٦٩- البحتري، ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر، (١٠١/١) وينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص ٦٥.

٧٠- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص ٦٥.

٧١- الفيروزابادي، القاموس المحيط، ٣/٣٣٤ مادة (وشك).

٧٢- المصدر السابق، (٤/١٥١) مادة (عزم).

٧٣- أورد ابن جني ضمن (باب في الرد على من ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني)، لفظ الصليب بمعنى: الشديد ذي الصلابة، في إشارة إلى نافذ الرأي بقوله: «وتعنو له مَيْعَة (نشاط) الماضي الصليب»:الخصائص (١/٢١٩).

٧٤- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (٣/٣٠٢) مادة (صلب).

٧٥- المصدر السابق، (٣/٣٠١) مادة (صلب).

٧٦- المصدر السابق، (٢/٤٧٢) مادة (رأي).

٧٧- المصدر السابق، (٣/٦٦) مادة (سد).

٧٨- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١/١٩٠).

٧٩- الجاحظ، البيان والتبيين، (١/٧٦).

٨٠- الخرق: التحيّر والدّهش.

٨١- المصدر السابق، (١/٨٨- ٨٩).

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأبشيهي شهاب الدين: المستطرف من كل فن مستظرف، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت، لبنان.
- ابن جنّي: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.

سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

- ابن خلدون: المقدمة، دار الجيل بيروت.
- ابن عبد الشكور محب الله، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه، دار العلوم الحديثة، بيروت لبنان.

- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩.
- ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨٩هـ- ١٩٧٨م.
الشعر والشعراء، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٩٠٢م.
- ابن هشام الأنصاري: شرح جمل الزجاجي، دراسة وتحقيق علي محسن مال الله، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- امرؤ القيس، ديوانه، دار صادر، بيروت.
- الأنطاكي محمد: الوجيز في فقه اللغة، ط٣، مكتبة دار الشرق، بيروت.
- أنيس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت.
- البحتري: ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر.
- البغدادي عبد القادر: خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.
- ثعلب: الفصيح، تحقيق صبيح التميمي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ١٩٧٩م.
- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- رؤبة بن العجاج: مجموعة أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوانه وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه، اعتنى بترتيبه وتصحيحه وليم بن الورد البُروسيّ، ط٢، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤م.

- السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط ١٩٧٦م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتصحيح وعنونة وتعليق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- الفارابي أبو نصر: الحروف، تحقيق محمد مهدي، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٠م.
- الفيروزابادي، القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ودار الجيل بيروت.
- القاسم بن سلام أبو عبيد: كتاب السلاح (من الغريب المصنف)، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- القرطاجني حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.
- وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

النكتة تأصيل لغوي تاريخي[1]

. د. عباس علي السوسوة

[١]

هدف هذه الدراسة تأصيل كلمة (نكتة)، التي تتعلق بها دلالات السخرية والضحك بأنواعه المختلفة في عربيتنا المعاصرة، وتتبع جذور هذه الدلالات تاريخيًا من خلال الوثائق المكتوبة في التراث العربي.

وأبدأ بالقول: إنني قد نقّرت في المؤلفات التي خُصِّصَت للفكاهة والسخرية في العربية، قديمًا وحديثًا، منقبًا عن تأصيل لغوي لهذه الكلمة، فما وجدت غير محاولة أحمد أمين (ت١٩٥٤م) وسأشير إليها فيما بعد. ثم كانت محاولة بو علي ياسين في أثناء بحثه ضمن ألفاظ الهزل المختلفة، التي لم تتجاوز بطون المعجم[2]، لقد بحثت في:

١- عباس محمود العقاد: جحا الضاحك المضحك. ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي. د. ت.

٢- شوقي ضيف: الفكاهة في مصر. ط٢، القاهرة، دار المعارف (سلسلة اقرأ) ١٩٨٥م.

٣- أحمد محمد الحوفي: الفكاهة في الأدب، ط١، القاهرة، مكتبة نهضة مصر ١٩٦٩م.

---

(١) سنلتزم إيراد بيانات المرجع كاملة ثم نختصرها إذا تكرر ذكره.

(٢) بو علي ياسين: الحدّ بين الهزل والجدّ، ط١ دمشق: دار المدى ٢٠٠١م، ص ٧- ٩.

٤– خالد القشطيني: السخرية السياسية العربية، لندن: دار الساقي ١٩٨٨م.

٥– عادل حمّودة: النكتة السياسية، القاهرة: توزيع دار الأهرام ١٩٩٢م.

٦– عاطف عبد اللطيف السيد: شعراء الفكاهة في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه (غير منشورة) كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة ١٩٨٩م.

كذلك ظننت أني قد أجد مثل هذا التأصيل عند من كتبوا عن عصر المماليك، لاجتماع كثير من شعراء الفكاهة فيه، فما وجدت شيئًا في مؤلفات محمود رزق سليم، وسعيد عبد الفتاح عاشور، ومحمد زغلول سلام، وأحمد صادق الجمال، وغيرهم.

وتُفْرِد المجلات الثقافية والمتخصصة من حين لآخر عددًا للضحك والفكاهة، مثل: الهلال المصرية، وعالم الفكر الكويتية، وغيرهما. ولكن لا شيء فيها عن هذا التأصيل.

أما العلامة أحمد أمين فيعرض لدلالاتها القديمة باختصار قائلاً: «أصل النكتة في اللغة العربية النقطة من بياض في سواد أو من سواد في بياض. ونقول: هو كالنكتة البيضاء في الثوب الأسود. ثم استعملت على طريق المجاز فيما جاء في وسط الكلام من عبارة منقحة أو جملة طريفة صدرت عن دقة نظر وإمعان فكر، أو مسألة لطيفة تؤثر في النفس انبساطًا. ويقولون: جاء بنكتة في كلامه، وقد نكت في قوله، ورجل منكّت ونَكّات بهذا المعنى، ثم استعملت في النوادر الظريفة تستثير الضحك وتبعث السرور»[1].ولكنه لم يذكر متى تحولت الدلالة

(١) أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ط٢؛ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٩م، ص ٧٩.

المادية الحسية إلى معنوية، فضلاً عن تحولها إلى دلالة الضحك.

إذن أستطيع أن أقرر مطمئنًا أنني أول من يتعرض لتأصيل النكتة لغويًا مستشهدًا بالنصوص، متتبعًا لها في بطون الكتب القديمة المتنوعة.

[٢]

كلمة (النكتة) في عربيتنا المعاصرة من المشترك اللفظي، تحمل في استعمالاتها دلالات متقاربة، إذ تعني:

١- النادرة الفكاهية الساخرة طالت أم قصرت، وإن كان الاستعمال الغالب يدل على القصيرة.

٢- التعليق الساخر بكلمة، أو بجملة، على حدث أو موقف أو قول.

٣- الرسم الساخر (الكاريكاتوري).

٤- الشخصية الإنسانية التي تكون باعثة على الضحك منها.

وتوصف النكتة بصفات كثيرة؛ بحسب تأثيرها، أو موقف الفرد منها، وما تحمله من مضمون: فهي لاذعة أو حارة أو ساخنة، مقابل ذلك هي بادرة أو بايخة. وهي نكتة لطيفة أو مؤدبة أو بذيئة أو غليظة أو جارحة أو سوقية. هذا في عربيتنا المعاصرة.

[٣]

أما في عربية عصر الاحتجاج (من العصر الجاهلي حتى منتصف القرن الثان الهجري) فلم يكن للنكتة هذه الدلالات. وإنما أخذت هذه الدلالات تظهر شيئًا فشيئًا من القرن الهجري الرابع، وظلت تُستخدم على نُدرة، إلى جوار الكلمات الأكثر شيوعًا مثل: النادرة والطرفة والفكاهة.

أما من الناحية الصرفية فعربيتنا المعاصرة تجمع النكتة على: نُكَت

ونِكات، وتشتق منها الفعل: نكّت يُنكّتُ، والمصدر التنكيت، واسم الفاعل مُنكّت – وإن كانت تفضل عليه تعبير (ابن نكتة) الذي يحمل دلالة إضافية هي القدرة على إصدار النكت. والفعل (نكّت) إذا اقترن بـ (على) بعده، فإن ما بعد حرف الجر هو الموضوع الذي يقع عليه التنكيت.

[٤]

والآن دعونا ننظر في المعاجم القديمة كي نرى الدلالات القديمة لهذا اللفظ.

جاء في لسان العرب[١]؛ **النكّات**: الطعّان في الناس (وهذه الصيغة ودلالتها قد انقرضتا).

-... نكَتَ في العلم بموافقة فلان أو مخالفة فلان: أشار (وهذه غير مستعملة في عربيتنا المعاصرة صيغةً ومعنًى. وإن استعملت بعد عصر الاحتجاج كثيرًا بصيغة التشديد «نكّتَ» وقد بقي منها معنى التعليق، وإن انتقل إلى التعليق الساخر عند المعاصرين).

- النكتة كالنقطة، وفي حديث الجمعة: فإذا فيها نكتة سوداء؛ أي أثر قليل كالنقطة، (وهذه الدلالة غير مستعملة الآن. وإن كان النقل الدلالي إلى المسألة العلمية الدقيقة واضحًا في عربية عصر الاحتجاج، على سبيل الاستعارة).

ولا زيادة على ما ذكره ابن منظور عند الفيروزابادي في القاموس، والزبيدي في التاج إلاّ أن نكتة تجمع على نِكات.

وفي أساس البلاغة نجد المجاز غير واضح في كلام الزمخشري، إلاّ إذا حملناه على الإتيان بالمسائل العلمية أو الأدبية الدقيقة قال: «في العين نكتة: بياض أو

(١) محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف ٧٨- ١٩٨١م (نكت) ص ٤٥٣٦.

حُمرة. وكل نقطة من بياض في سواد أو سواد في بياض: نكتة. تقول: هو كالنكتة البيضاء في جلد الثور الأسود، **ومن المجاز: جاء بنكتة ونكَتَ في كلامه، وقد نكّت في قوله. ورجل منكّت ونكّات.** وفلان نكّات في الأعراض: طعّان»[1]. وفي كل الأحوال نجد دلالة التميز عن الأضداد والأقران في هذه المعاني.

ولا نجد جديدًا في معجم شبه متخصص في المصطلحات، وهو الكليات للكفوي. قال: «النكتة: كل نقطة من بياض في سواد أو عكسه فهي النكتة. يقال: هو النكتة في قومه: أي العلم المشار إليه»[2]. وهنا نلاحظ أن العكس هو ما حدث في العربية المعاصرة. فالنكتة من يكون موضع السخرية من الناس.

أما المعجم الوسيط فيأتي بالدلالات القديمة للكلمة ولا يذكر شيئًا عن الدلالات المعاصرة لها. وإن كان له فضل ذكر دلالة النكتة في العربية الفصحى بعد عصر الاحتجاج. جاء في (نكت): «النكّات: الكثير التنكيت. **والنكتة: العلامة الخفية، والفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، والمسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة وإنعام فكر..... (ج) نكت ونكات».**

وهنا نلاحظ بعض ما وجدناه من قبل عند أحمد أمين.

[٥]

وهذه الدلالة العلمية ظلت تستخدم في الفصحى حتى عصرنا هذا. فقد انتقلت من الدلالة المادية للشيء المتناهي في الصغر، والمتميز عما حوله

---

(١) الزمخشري: أساس البلاغة، تح عبد الرحيم محمود، القاهرة: دار الكتب المصرية ١٩٥٣م، مادة (نكت).

(٢) أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي: الكليات، تح عدنان درويش ومحمد المصري. دمشق: وزارة الثقافة ١٩٧٦م،(٤/٣٣٠).

إلى الفكرة. وهذه شواهد من التراث تدل على ذلك:

- فالأزهري (ت٣٧٠هـ) يذكر ثلاثة أسباب دعته إلى جمع لغات العرب وألفاظها منها: «تقييد نكت حفظتها ووعيتها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنيّات»[١].

- وظهرت مؤلفات حملت في عناوينها كلمة (النكت) لكن أيًّا منها لم يذكر ما يعنيه بالنكتة. كأن دلالتها معروفة للكاتب والقارئ. وسنقف أمام واحد منها هو «النكت في إعجاز القرآن» للرماني (ت٣٨٦هـ).

ففي المقدمة يقول: «سألت – وفقك الله – عن ذكر (النكت) في إعجاز القرآن. دون التطويل في الحجاج. وأنا أجتهد في بلوغ محبتك ..... وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات...»[٢].

وفي موضوع آخر يتحدث عن واحدة من هذه الجهات فيقول: «والإيجاز على وجهين: أحدهما إظهار النكتة بعد الفهم لشرح الجملة. والآخر إحضار المعنى بأقل ما يمكن من العبارة. والوجه الأول يكون كثيرًا في العلوم القياسية، وذلك أنه إذا فُهم شرح الجملة كفى بعد ذلك حفظ **النكتة**، لأنها تكون حينئذٍ دالة ومغنية عن التعلق بها في نفسها، لتعلق النكتة بها. فهذا الضرب من الإيجاز لا يكون إلا بعد أحوال متقررة من الفهم لشرح الجملة، فحينئذ

(١) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: كتاب تهذيب اللغة، تحقيق مجموعة محققين، القاهرة: المؤسسة العامة للتأليف ٦٤- ١٩٦٨، (٦/١).

(٢) أبو الحسن علي بن عيسى الرماني: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تح محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلاّم. القاهرة: دار المعارف ١٩٧٦م، ٧٥.

تكون النكتة مغنية. وأما الوجه الآخر فمستأنف لم يقرر له حال خاص»[١].

وفي تطبيقاته يتحدث عن قوله تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] قائلاً: «اللفظ هاهنا بالشوكة مستعار. وهو أبلغ، وحقيقته السلاح، فذكر الحد الذي تقع به المخالفة واعتمد على الإيماء إلى **النكتة**. وإذا كان السلاح يشتمل على ما له حدّ وما ليس له حدّ، فشوكة السلاح هي التي تبقى»[٢].

بعد هذه الوقفة مع الرماني نستطيع القول إن النكتة بمعنى: (١) الخلاصة. (٢) موطن البلاغة والجمال. (٣) سرّ العبارة.

وإذا مضينا قُدمًا نراها تعني (المعاني اللطيفة) عند الثعالبي (ت٤٢٩هـ)؛ فهو يتحدث عن عضد الدولة البويهي فيذكر أنه «يقول شعرًا كثيرًا يخرج منه ما هو من شرط هذا الكتاب من **الملح والنكت**»[٣].

ثم نجد اللفظ يتكرر عند عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) فتارة يقول: «و**النكتة** أن المجاز لم يكن مجازًا لأنه إثبات الحكم لغير مستحقه، بل لأنه أثبت لما لا يستحق تشبيهًا وردًا له إلى ما يستحق، وأنه ينظر من هذا إلى ذاك»[٤].

ويتحدث عبد القاهر عن قول الشاعر: (والشمس كالمرآة في كفّ الأشَل)

---

(١) الرماني: النكت ٧٩.

(٢) الرماني: النكت ٨٩–٩٠ وفي غير هذه المواضع لا نجد ذكرًا للنكت والنكتة.

(٣) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي: يتيمة الدهر، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: المكتبة التجارية ١٩٤٩، (٢/٢٥٧).

(٤) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: هـ. ريتر، إستانبول: وزارة المعارف ١٩٥٤م. ص ٣٥٧.

فيحلّل هذه الصورة تحليلاً بديعًا، ومنه: «وليس موضوع الغرابة من التشبيه دوام حركة المرآة في يد الأشَل فقط. بل **النكتة والمقصود** فيما يتولد من دوام تلك الحركة من الالتماع وتموج الشعاع وكونه في صورة حركات من جوانب الدائرة»[1].

وبالدلالة العلمية يستعملها ابن الصَّيقَل الجزري (ت٧٠١هـ) في مقدمة مقاماته متحدثًا عن مضمونها «وضمّنتها من الآيات المحكمات ... ومن **النكت الفقهية** والأصول المتداولة النحوية، وحلّيتها باللؤلؤ المنثور...»[2]، وبالمعنى نفسه يستعملها ابن الطِّقطقَى (ت٧٠٩هـ)[3].

ونجدها عند الصفدي (ت٧٦٤هـ): «وفي قول الشيخ جمال الدين بن مالك في الخلاصة: (سواهُما الحرفُ كَهَلْ وفي ولَم) **نكتة لطيفة** وهي: أنه قدم (هل) لاشتراكها في الدخول على الاسم والفعل، ثم ذكر (لم) لأنها تدخل على الفعل»[4].

وكذلك استعملها الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، فالبغدادي ينقل تقريظه لشرح شافية ابن الحاجب ومؤلّف رضي الدين الأستراباذي، وجاء فيه أن هذا الشرح: «يحتوي من أصول هذا الفن على أمهاتها ومن فروعه على

---

(١) أسرار البلاغة ص ١٦٩ وفي الكتاب تحليلات أخرى يستعمل فيها المصطلح نفسه، انظر مثلاً صفحات ٢٠٦، ٣٦٥، ٣٧٩.

(٢) ابن الصَّيْقَل الجزري، معد بن نصر الله: المقامات الزينية، تح عباس مصطفى الصالحي، بيروت: دار المسيرة ١٩٨٠م، ٧٨ وانظر ص ٩٧، ٣٤٧.

(٣) ابن الطِّقطقَى، محمد بن علي طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، بيروت، دار صادر، ص ١٨، ٥٣.

(٤) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: الغيث المسجم شرح لاميّة العجم، بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٧٥م، (١/١٤٩). انظر ٢٣، ٢٢٩ و (٢/٤٦٠).

نكاها»[١].

واستعملها كذلك ابن حجة الحموي (ت٨٧٣هـ) فقد أورد في الثمرات تحت عنوان (نكتة أدبية) انتقادًا وجّهه القاضي الفاضل إلى تلميذه ابن سناء المُلك حول بيت من الشعر، ودفاع ابن سناء المُلك عنه[٢]. وسيأتي فيما بعد استعمال الصفدي وابن حجة للكلمة بالمعنى المعاصر.

كذلك استعملها البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، ففي شرحه قصيدة الخنساء المشهورة في أخيها صخر يقول: «(في رأسه نارُ) أشدّ للدلالة والهداية، وأشهر في الشرف. وهذا (إيغال) وهو ختم البيت بما يفيد **نكتة** يتم المعنى بدونها»[٣].

[٦]

ونكتفي بهذا القدر من الشواهد؛ لأن غرضنا التمثيل وليس الإحصاء. ونوّد أن نشير إلى أن هذه الدلالات العلمية للنكتة والنكت قد اختفت من استعمالات الكتّاب المعاصرين إلاّ ما نجده عند قلة من الكتّاب أصحاب الثقافة الدينية واللغوية القديمة، وإن درسوا في لندن أو باريس. فها هو ذا الدكتور صبحي الصالح (ت١٩٨٦م) يقول: «ويمكننا اكتشاف هذه المعاني السلبية في عدد من الكلمات التي جاء اشتراكها عن طريق مقابلة بعضها ببعض **لنكتة بلاغية**، أو بسبب تداخل اللغات؛ فمن **النكات البلاغية** أن تعبر عن الشيء السيّئ بالعبارة الحسنة، وأثقًا من فهم

---

(١) عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ (٣٠/١).

(٢) أبو بكر بن علي بن حجة الحموي: ثمرات الأوراق، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٧١م، ص ٢٩- ٣٢ وبالمعنى العلمي نفسه في ٦٠، ٦٥.

(٣) عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب (٤٣٣/١).

المخاطب كلامك، كتعبيرك عن الأعمى بالبصير وعن الأسود بالأبيض. وأكثر ما يكون ذلك على سبيل التفاؤل»[1]. وتجدها كذلك عند اللغوي الشهير الدكتور تمّام حسّان[2].

[٧]

وهكذا رأينا انتقال دلالة النكتة من المادي إلى المعنوي، ومن هذا المعنوي استعمالها في مجال الضحك والسخرية. ونستطيع أن نزعم أن استعمالها في هذا المجال ترافق مع استخدامها في المجال العلمي. فالنكتة المضحكة قد تكون تعليقًا ساخرًا، وقد استخدمت في مجال التعليق العلمي.

والنكتة هي المسألة العلمية الدقيقة، ولابد في النكتة المؤثرة أن تكون دقيقة، وكثير من النكات يحتاج من المتلقي إلى نظر دقيق ليتذوقها. فالفرق إذَن في الدلالة هو نقل من المجال العلمي إلى مجال الضحك والفكاهة.

وستكون شواهدنا على ورود النكتة في تراثنا العربي بمعنى السخرية والضحك مرتبةً تاريخيًا بحسب وفيات المؤلفين. وسيرى القارئ الكريم أن هذا المعنى – في حالات – قد استخرجناه من سياق الجملة أو النص، وإذا احتمل السياق المعنيين ذكرنا ذلك.

وحسب علمنا القاصر المتواضع فإن بديع الزمان الهمذاني (ت٣٩٨هـ) أول من استعمل النكتة بمعنى التعليق الساخر في رسالة، فقد روى مناظرة

(١) صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ط ١٠، بيروت، العلم للملايين ١٩٨٣، ص ٣١٠.

(٢) تمام حسّان: الخلاصة النحوية ط١، القاهرة عالم الكتب ٢٠٠٠م، والبيان في روائع القرآن ج١، ط٢، القاهرة: مكتبة الأسرة ٢٠٠٣.

بينه وبين معاصره أبي بكر الخوارزمي جاء فيها «... وغنّى أبياتًا منها:

وشـــبّهنا بنفســـجَ عارضـــيه بقايــا اللطــم في الخـــدّ الرقيق

فقال أبو بكر: أحسن ما في الأمر أني أحفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها.

فقلت: يا عافاك الله! أعرفُها. وإن أنشدتكها ساءك مسموعها، ولم يسرك مصنوعها.

فقال: أنشد. فقلت: أُنشد، ولكن روايتي تخالف هذه الرواية. وأنشدت:

وشـــبّهنا بنفســـجَ عارضـــيه بقايــا الوشــم في الخد الصفيق

فأتته السكتة، **وأضجرته النكتة**، وانطفأت تلك الوقدة»[1].

في القرن السادس نجد عمارة اليمني (ت٥٦٩هـ) يسمي أحد كتبه «**النكت** العصرية في أخبار الوزراء المصرية»[2]. وهو لم يعلل للتسمية، لكن الكتاب في معظمه يحتوي على نوادر من موطنه اليمن، وعلى نوادر حدثت لوزراء مصر وأدبائها ورجالات الدولة فيها أواخر العصر الفاطمي، مما يرجح أن دلالة الكلمة هي النوادر ونجدها بالمعنى المعاصر عند ابن أبي الإصبع (ت٦٥٤هـ)؛ فقد تحدث عن التوليد قائلاً: «ومثله ما حكي أن أبا تمّام أنشد أبادُلَف:

* **على مثلها** من أربُعٍ ومَلاعبِ*

فقال بعض من أراد نكتة: (لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). فولّد من الكلامين كلامًا ينافي غرض أبي تمام من وجهين: أحدهما خروج الكلام

(١) إبراهيم الأحدب: كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان، ط١، بيروت: مط الكاثوليكية ١٨٩٠م، ص ٧٦.

(٢) نجم الدين أبو محمد عمارة بن عبد الواحد بن أبي الحسن الحكمي: النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، تصحيح هرتويغ درنبورغ، مدينة شالون، مطبع مرسو ١٨٩٧م.

عن التشبيب إلى الهجاء بسبب ما انضم إليه من الدعاء، والثاني: خروج الكلام على أن يكون بيتًا من شعر إلى أن صار قطعة من نثر»[١].

ونجدها عند أبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ) في حديثه عن الشاعر الفكه عرقلة الدمشقي (ت٥٦٧هـ) يقول عنه: «لم يزل خصيصًا بالأمراء السادة من آل أيوب **ينادمهم ويداعبهم** ويكاتبهم قبل أن يملكوا مصر. والملك الناصر صلاح الدين أشغفهم **بنكته**، وأكلفهم بسماع نُتَفه»[٢].

وهي بالمعنى المعاصر في شعر لأبي الحسين الجزّار (ت٦٧٩هـ) قاله في شيخ جَرِبَ فالتطخ بالكبريت:

«أيها السيد الأديب دعاءً ... من محبّ خالٍ عن **التنكيت**

أنت شيخٌ، وقد قربتَ من النا ... رِ، فكيف ادّهنتَ بالكبريت»[٣]

ونخشى أن نوضّح الواضح فنقول: إن التنكيت هنا: التعليق الفكاهي القائم على اللعب بالألفاظ.

وفي موضع آخر يترجم الشيخ شمس الدين بن اللبان فيقول: «وكان ربما يقع مع بعض الناس في حق القضاة، **وينكت على أولادهم**»[٤]. ويتحدث عن الشيخ ركن

---

(١) زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٦٣م، ص ٤٩٥.

(٢) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، القاهرة، مط وادي النيل ١٢٨٨هـ، (١٣٦/١).

(٣) ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق، ص ٧٦.

(٤) نفسه: ٣٣٩.

الدين الجعبري «وكان يحط على الحكام في مواعيده. ويتكلم فيهم وينكت عليهم»[١].

ومن الأمانة أن نقول إنه أورد عنوان (ذكر نكت غريبة) مرتين في الكتاب، وليس تحت العنوان فكاهة من أي لون، بل فيه ذكر عجائب[٢].

بعد ذلك نجد الصفدي (ت٤٦٧هـ) يؤلف كتاب (نكت الهميان في نُكَت العميان) ولا يذكر فيه سبب التسمية، وإن كان أغلب ما أورده عن العميان متعلقًا بالنوادر الفكاهية[٣]، وإن لم يخل بعضها من المعنى العلمي لكلمة النكت. والصفدي أكثر الكتّاب، منذ القرن الثامن حتى الثالث عشر، استعمالاً للكلمة والدلالات العصرية التي ذكرناها. وإليكم بعض الشواهد:

١- وصف معاصره محمد بن عبد الملك بن إسماعيل بقوله: «ونوادره عديدة ... لو عاصره أبو العيناء (ت٢٨٣هـ) لقال هذا هو الإمام، أو الجمّاز ... أو أبو العبر (ت٢٥٠هـ) ... أو أشعب (ت١٥٤هـ)... كانت تقع له نكت حارة»[٤].فهآ أنتم أولاء ترون أنه قرن صاحبه بكبار (المنكتين) في تراثنا من القرن الأول حتى الثالث، ووصف نكته بالحرارة.

---

(١) نزهة الناظر ٣٤٠.

(٢) نزهة الناظر ص ١٢٥- ١٥٧ و٤٠٧ – ٤٠٩.

(٣) الصفدي: نكت الهميان في نكت العميان، تح: أحمد زكي بك، القاهرة: ط الجمالية ١٩١١م، صص ٦٦- ٧٠ مثلاً.

(٤) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تح: نبيل أبو عمشة وعلي أبو زيد ومحمد موعد ومحمود سالم محمد، دبي: مركز جمعة الماجد ١٩٩٨، (٥٥١/٤). وبمثل ذلك تحدث عن ابن دانيال (ت٧١٠هـ) وقرنه بابن سكرّة وابن حجاج، من (منكّتي القرن الرابع) (٤٢٢/٤).

٢- «... **فاتفق أن قام شرف الدين إلى الطهارة وعاد، فأمره الناصر** بالإشارة أن يصفع التَّلْعْفَرِي. فلما صفعه أمسك التلعفري بدقن شرف الدين وأنشد - ويده في دقنه لم يفلتها -:

قـــد صُفعنا في ذا المحلّ الشريف وهـــو إن كنتَ ترتضي تشريفي
فـــارث للعبد من مصيف صِفاعٍ يـــا ربـــيع الـــندى وإلاّ خريفي

قلت: تأمّل هذا النظم ما ألطفه ... وكأني بذقن الشيرجي وهي في يد ذلك الخريف، وقد ذكر الربيع والمصيف وختم بالخريف. وهذا وكونه قال (في) وسكت، **أحلى ما سمع من النكت**»[١].

٣- في ترجمة علم الدين بن الصاحب (ت٦٨٨هـ): «**له نكت بديعة في الزائد** على رأي المصريين منها: أنه حضر يومًا بعض المدارس والنقيب يقول: بسم الله فلان الدين المتوفى، بسم الله فلان الدين القليوبي، بسم الله فلان الدين الدمنهوري، بسم الله فلان البهنسي **ويذكر نسب كل منهم إلى بلده من الريف** - فقال ابن الصاحب: والك، **أهذه مدرسة وإلاّ منفض كتّان؟**»[٢].

وأخذ يذكر نوادره في صفحتين[٣].

بعد ذلك نجدها بالمعنى الضاحك في أرجوزة فخر الدين بن مكانس (ت٧٩٤هـ) الخاصة بشروط المنادمة:

---

(١) الغيث المسجم (٤٢٢/١).

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ ٨ بعناية محمد يوسف نجم/فيسبادن: فرانز شتاينر ١٩٧١م، ص ٢٩٣.

(٣) الوافي بالوفيات (٢٩٤/٨).

«واتـــرك كـــلام الســـفلة والنكـــتة المبـــتذلة»[١]

وهي كذلك عند ابن حجة (ت٨٣٧هـ) الذي نقلنا عنه سابقًا دلالتها العلمية. قال: «ومن **النكت المسبوكة في قالب التورية أيضًا** ما قيل: إن شهاب الدين القوصي حضر عند الملك الأشرف وقد دخل إليه سعد الدين الحكيم، فقال الملك الأشرف لشهاب الدين: ما تقول في سعد الدين الحكيم؟ فقال: يا مولانا السلطان؛ إذا كان بين يديك فهو سعد الدين، وعلى السماط سعد بُلع، وفي الخباء عند الضيوف سعد الأخبية، وعند مرضى المسلمين سعد الذابح. قال: فضحك الملك الأشرف واستحسن اتفاقه البديعي»[٢].وبالمعنى نفسه أورد نوادر في مواضع أخرى[٣].كما نجده يستخدم مترادفات النكتة مثل: نادرة ولطيفة وطرفة، ويجمع بينها كأن يقول: لطائف الطرف، ونادرة لطيفة[٤].

ونجدها بالمعنى الضاحك عند ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ونراه يعطفها على مرادفها النوادر. وعطف المترادف على المترادف ظاهرة شائعة لدى كتّاب العربية، ومن ذلك ما جاء في ترجمة أحمد بن يحيى التلمساني (ت٧٧٦هـ): « **وكان كثير**

---

(١) علاء الدين علي بن عبد الله الغزولي: مطالع البدور في منازل السرور، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٠م، (١٩٨/١) وجاءت بصيغة الجمع (النكت المبتذلة) في: بهاء الدين محمد بن حسن العاملي، الكشكول — تح: الطاهر أحمد الزاوي، القاهرة، مكتبة عيسى الحلبي ١٩٦١، (٨٩/١). وفي العباس بن علي الموسوي: نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، القاهرة: مط الوهبية ١٢٩٣هـ (٣٨٢/٢).

(٢) ثمرات الأوراق ص ٤٦.

(٣) ثمرات الأوراق ص ٤٧– ٤٨ على سبيل المثال.

(٤) نفسه ص ٨٢، ٨٧.

النوادر والنكت ومكارم الأخلاق ومن نوادره أنه لقّب ولده: جناح الدين»[١].

وقد يأتي ابن حجر بالكلمة صريحة دون عطف: «جاءنا مرة إلى الربيع شخص ثقيل، فنشبت به ألسن الجماعة، **ينكتون عليه** ويخجلونه»[٢].

ونجدها بالمعنى المعاصر عند ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) في ترجمة الشاعر الفكاهي سلوكًا وشعرًا، أعني محمد بن دانيال الموصلي: (صاحب **النكت الغريبة والنوادر العجيبة** ... وكان كثير المجون والدعابة)[٣].

وهي بالمعنى المعاصر عند قاضي جدة النهروالي (ت نحو٩٩٠هـ) في روايته موقفًا لفرهاد باشا عام ٩٦٥هـ «... **ويتلطف في نكته وكلامه.** أنشده بعض الظرفاء قول القائل متأسفًا على شبابه:

وقـالوا: المشـيبُ وقـارُ الفتى فقلـتُ: اصفعوني وردّوا شبابي

فقال له: (أما الأولى فنقدر عليها الآن. وأما الثانية فما يقدر عليها إلاّ الله تعالى). فضحك الحاضرون لذلك. وهذه **نكتة** لو صدرت عن ماهر في فنون الأدب؛ لسطِّرت بماء الذهب، فضلاً عن تركي تكلّف لسان العرب»[٤].

---

(١) شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: إنباء الغُمر، حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف العثمانية ٦٧- ١٩٧٦م، (١٠٩/١).

(٢) إنباء الغمر (٢١٨/٩).

(٣) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تَغزي بَردي: النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية (٢١٥/٩).

(٤) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي: البرق اليماني في الفتح العثماني. ط٢، المدينة المنورة: منشورات المدينة ١٤٠٧هـ، ١٠٢- ١٠٣ وأصل الحكاية بما فيها من شعر وتعليق، موجود في أعيان العصر للصفدي (ت٧٦٤هـ) (٥٥٤/٤)، =

ونجدها عند الفقيه المغربي ابن القاضي (ت١٠٢٥هـ)، فبعد أن أورد أشعارًا فكاهية لابن سودون البشبغاوي قال: «ومن نكته النثرية أنه قال: مما شاع وذاع، وامتلأت به الأسماع، الكلام المشهور بين الإناث والذكور، قولهم: (أبو قِردان زرع فدّان ملوخيّة وباذنجان).

وها أنا أتكلم عن بعض معانيه، وإيضاح ذلك لمن يعانيه. وقد اخترت أن أجعل أول المتن آخر حرف منه وهو النون، وفي أول الشرح آخر حرف منه وهو الحاء»[1]،ثم مضى ابن سودون يعلق تعليقات ظريفة ذكية على (أبيات) القول الشائع.

ونجدها عند المقّري (ت١٠٤١هـ): «وكان حافظًا لنكت الأندلسيين، ذاكرًا لفكاهاتهم التي صيّرته للملوك خليلاً ونديمًا»[2].

ونجدها عند ابن العماد (ت١٠٨٩هـ) وفي ترجمة ابن دانيال «له نكت غريبة وطباع عجيبة»[3]، ونجد الكفوي (ت١٠٩٤هـ) – وقد مرّ بنا قبل – يفسِّر ألفاظًا بالنكتة، بالمعنى المعاصر، فلا ندري أفي النص تصحيف أو

= منسوبة للأمير الأفرم مع شرف الدين حسين بن جندر! فيا الله كيف وقع الحافر على الحافر!!

(١) ابن القاضي؛ أحمد بن محمد بن أحمد: المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، تح محمد رزوق. الرباط: مكتبة المعارف ١٩٨٨، (٢/٥٩٦).

(٢) أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس؛ بيروت: دار صادر ٦٨-١٩٧٢، (٣/٣١٦).

(٣) عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة مكتبة القدسي ١٣٥٥هـ (٦/٢٧).

تحريف لم يفطن له محققا الكتاب، أم أن ذلك حقيقة، فالمواد والموضوعات غير مرتبة كما ينبغي: «البادرة: هي **النكتة** التي يبادر بها الإنسان لحسنها، ومنه سمي القمر ليلة كماله بدرًا لمبادرته. **والنادرة: هي النكتة الغريبة** التي لا يأتي بها الألوان»[١].

ويكثر ورود النكتة وما اشتق منها بعد هذا التاريخ بالمعنى المعاصر. فها هو الشربيني (ت١٠٩٧هـ) يؤلف كتابًا كاملاً يشرح فيه قصيدة عامية. وهذا الشرح يتكون من مئتين وأربع وأربعين صفحة (٢٤٤ص) محشوة بالنوادر الغليظة. ويبدأ في المقدمة بقوله: «وأن أصرّح فيه ببعض **نكيتات هزلية** وحكم هبالية على سبيل المجون والخلاعة»[٢]، وفي موضوع آخر يقول: «كما اتفق أن رجلاً أمسك لحيته فضرط حماره، فقال: صادفت **النكتة**»[٣]، وفي مكان آخر: «ومن **النكت المضحكة** أن بعض الفقراء كان له تلميذ. وكان دائمًا يقول له: خالف نفسك؛ إذا قالت لك كُل هذا فخالفها وكُل غيره ولا تطعها أبدًا. فأتى لشيخه طعام مفتخر، ووضع بين يديه ووضع بين يدي التلميذ صحن عدس. وكان الذي وُضِع بين يدي الشيخ أرز مفلفل بلحم ضأن يقال له قارش مارش. فمد يده وأخذ الصحن من قدّام شيخه ووضع مكانه صحن عدس، فقال له شيخه: أما قلت خالف نفسك. فقال له: يا سيدي؛ حدثتني نفسي أن آكل من صحن العدس

(١) الكفوي: الكليات (٤٣٢/١– ٤٣٣).

(٢) الشيخ يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني: هز القحوف شرح قصيد أبي شادوف، القاهرة: المكتبة المحمودية، ص٢.

(٣) الشربيني: هز القحوف ص ٣٥.

فخالفتها وأكلت من هذا اللحم الضأن بالأرز المفلفل»[١].

وأورد الشربيني نادرة طويلة حدثت للشاعر البوصيري في سوق الأحذية، وكيف سخروا منه «وصار الجميع **ينكتون عليه**»[٢]، فانظرها إن شئت في موضعها.

وفي القرن الثاني عشر نجد الكلمة بالدلالة الجديدة عند المؤيد (ت١١٢١هـ). فهو يتحدث عن الشاعر الجزار فيصفه بأن «له الشعر الجيد **والنكت الدالة على خِفّة روحه**»[٣].

كذلك يتحدث الموسوي (ت١١٤٨هـ) عن (جحا) الذي يسميه المُلاّ دييازه قائلاً: «رأيت في بعض المجاميع أنه كان فاضلاً ماجنًا. وقد عمل الناس على لسانه كثيرًا من **النكت والنوادر**»[٤].

وهي كذلك عند الجبرتي (ت١٢٣٧هـ) في وفيات (١٢٠١هـ) عن أحمد كتخدا المجنون سمير محمد بك أبو الذهب «وكان يسافر ويأنس بحديثه **ونكاته**، فإنه كان يخلط الهزل بالجد ويأتي بالمضحكات في خلال المقبضات»[٥].

والطهطاوي (ت١٨٧٩م) في حديثه عن اللاعبين (المُمثّلين) المسرحيين

---

(١) هز القحوف ١٩٧.

(٢) هز القحوف ٢٠٧.

(٣) يوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد: نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر، تح كامل سلمان الجبوري، بيروت: دار المؤرخ العربي ١٩٩٩م، (٣٥٦/٣)، وانظر أيضًا ٩٣/١، ٥٧٣.

(٤) العباس بن علي الموسوي: نزهة الجليس (٢٢/٢).

(٥) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة: مكتبة مدبولي ١٩٩٧(١٦٧/٣).

يستخدمها: «ولو سمعت ما يحفظه اللاعب من الأشعار، وما يبديه من التوريات في اللعب، وما يُحاوَب به من التنكيت والتبكيت؛ لعجبت غاية العجب»[(١)].

بعد ذلك أصدر عبد الله النديم صحيفة (التنكيت والتبكيت) عام ١٨٨١م. وهو يكتب فيها تارة باللغة الفصيحة وتارة بالعامية. ويقصد بالتنكيت التعليق الساخر، وأغلبه ذو وجهة اجتماعية خلقية. وبعد أن اختفى عشر سنوات هاربًا أصدر مجلة: (الأستاذ) باسم أخيه، وظل يكتب فيها كما كان يفعل في (التنكيت). ومن ذلك: «مر رجل ريفي في مدينة فأخذ يسأل أصحاب الدكاكين ماذا يبيعون وماذا يصنعون، حتى مر بصاحب بنك فقال له: ماذا تصنع هنا؟ فأراد أن ينَكِّت معه فقال له: أبيع الحمير. فقال الريفي: وكيف جَبَرت قبل أهل السوق؟ فقال صاحب البنك: من دلك على أني جَبَرت قبل أهل السوق؟ قال: لأني لا أرى في الدكان إلاّ حمارًا واحدًا» [(٢)].

وتشيع الكلمة وما اشتق منها في مواضع كثيرة، فانظرها هناك[(٣)].

وهي موجودة عند علي مبارك (ت١٨٩٣م) فهو يتحدث في كتابه (عَلَم الدين) عن فتاة (طليانية) «فصيحة اللسان، لا تقتصر في كلامها على

(١) رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تخليص باريز، ط٢، القاهرة: مط التقدم ١٩٠٥م، ص ١٠٩.

(٢) عبد الله النديم: الأعداد الكاملة لمجلة الأستاذ (صدرت: ١٣١٠هـ= ١٨٩٢م) تصوير الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٩٤م، ص ٤٥.

(٣) الأعداد الكاملة لمجلة الأستاذ، صفحات ١٧، ١٢٤، ١٢٥، ٤٤٥، ٤٧٢ على سبيل المثال.

الألفاظ العادية، بل تأتي بمحاسن الألفاظ **اللطيفة والنكات الظريفة**»[١].

وتشيع الكلمة ومشتقاتها في حديث عيسى بن هشام، للمويلحي. وكان قد نشره مجتمعًا في عام ١٩٠٠م، بعد أن نُشر من قبل فصولاً في مجلة (مصباح الشرق) على مدى عامين. ويتخيل المويلحي فيه عيسى بن هشام يجد ناظر الجهادية أيام محمد علي باشا يخرج من المقابر فيسير معه وتحدث له حوادث كثيرة على تغير كبير في مؤسسات المجتمع. ونكتفي منه بثلاث لقطات:

١- على لسان حفيد الباشا «ولم يكتف الدهر بتكدير عيشنا وتعكير حياتنا. بمطالبة أرباب الديون، حتى بعث الأموات من قبورهم، ليطالبونا بمواريثهم وأموالهم. ألا ترون أنها أبدع **نكتة** في أواخر القرن؟ قال عيسى بن هشام: فاستغرق الجميع عند ذلك في الضحك»[٢].

٢- في المحكمة: «أحد أصحاب القضايا: صبح الله السيد بالخير والإنعام!

أحد الكتبة الظرفاء **منكتًا**: لا، بل بالخيل والأنعام.

صاحب القضية: أرجو سيدي أن يعطيني (الإعلام).

الكاتب الظريف مورّيًا: عليك به في شارع أم الغلام، تجده جالسًا تحت (الأعلام). قال عيسى بن هشام: وعافت نفسي هذه **النكت الباردة**، والمعاني الساقطة، فأعرضت عن الإصغاء»[٣].

---

(١) علي مبارك: عَلَم الدين – ضمن الأعمال الكاملة، تح محمد عمارة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩م، ص ٤٦١٠.

(٢) محمد المويلحي: حديث عيسى بن هشام، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦ ص ٨٣.

(٣) حديث عيسى بن هشام ص ١٢٢- ١٢٣.

٣- في مجلس البرنس: «الخليع: أنا في الخدمة تحت أمر أفندينا وعند طلبه، وما منعني عن المبادرة إلا اصطحابي بصاحبين أحدهما من عمد الأرياف والآخر من تجار الثغور، لصقا بي للبقاء معهما وألحا عليّ أن (أصحبهما).

أحد الجلساء ممازحًا: لا. بل (تسحبهما)؟

البرنس منكتًا: وهل هنا (زريبة) يابك تجمع الجلساء؟

ضاحكين: لله درّ أفندينا في هذه النكتة! فما ألطفها وأرقها!

البرنس: أنا لم أتعلم التنكيت، ولكن يصادفني منه بعض كلمات في بعض الأوقات»[1].

ونجدها عند الكواكبي (ت١٩٠٢م) في حديثه عن مقاومة المستبدّين: «وتُسَلَّطُ عليهم أقلام الأدباء وألسنة الشعراء؛ بوضع أهاجي وأناشيد بعبائر بسيطة محلاّة بنكت مضحكة لكي تنتشر حتى على ألسنة العامة»[2].

وكذلك نجدها عند الشيخ محمد عبده (ت١٩٠٥م) في رصد بعض الظواهر الاجتماعية السيئة. ومنها أن الرجال « يتبارون في ميادين البذاء، واستحضار كل ما قَبُح وخَبُث من الألفاظ، وهو المسمى عندهم تنكيتًا، فقسموا الألفاظ العرفية أبوابًا وفصولاً ليستعملوها في هزلياتهم السخيفة»[3].

ومنها أيضًا: «ويذهب على ظهره ضاحكًا كأنما سمع نكتة غريبة»[4].

---

(١) حديث عيسى بن هشام ص ٢٧٦.

(٢) عبد الرحمن الكواكبي:أم القرى، ط٢، حلب: مط العمومية ١٩٥٩م، ص ١٨٦.

(٣) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج٢ الكتابات الاجتماعية، حققها وقدم لها محمد عمارة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٢، ص ٤٧.

(٤) نفسه، ص ٥٠.

وفي العصر الحديث استعملت النكتة أكثر من أي وقت مضى في تاريخ العربية للدلالة على الضحك بأنواعه المختلفة. ونكتفي بمثالين: الأول من الكاتب اللبناني المتأمرك أمين الريحاني الذي أصدر كتابه (ملوك العرب) أول مرة عام ١٩٢٤م، ونلتقط منه شاهدين:

١- في حديثه عن السلطان عبد العزيز آل سعود يصفه «وهو خفيف الروح، **حلو النكتة**، لطيف التهكم، كان يحضر مجلسه أحد الثقلاء المتعجرفين وهو من بيت معروف في نجد. فقال السلطان يصفه يومًا: هو رُبع الدنيا، ثمّ أردف كلمته بـــ (الخالي). وقد أشار بذلك إلى الربع الخالي في بلاد العرب، الخالي من كل شيء غير الرمال»[(١)].

٢- «مُسفِر: هو النفاخ الطباخ، راعي الفأس والفراخ، حامل الخناجر والسياخ، وهو في شكله **نكتة مضحكة** قد لا تليق في مجالس المتمدنين»[(٢)].وفي الكتاب مواضع أخرى[(٣)].

والمثال الثاني من كتاب صغير الحجم للكاتب العملاق عباس محمود العقاد (ت١٩٦٤م) ومنه:

١- في حديثه عن حفني ناصف «كان فكهًا سريع الخاطر في **النكات الباردة** (...) وقد ترى الرجل فصيحًا في المجلس سريعًا إلى **النكتة اللسانية أو الوضعية**، مُفحمًا مساجليه في معارض القول، ثمّ لا يكون له بعد ذلك من الشاعرية نصيب»[(٤)].

---

(١) أمين الريحاني: ملوك العرب، ط٨، بيروت: دار الجيل ١٩٨٧م،ص ٥٣٤- ٥٣٥.

(٢) نفسه ٦٢٣.

(٣) نفسه ص ٥١٨، ٥٧٠، ٦٣٢، ٦٥١، ٨١٣، ٨١٤، ٨٣٥، ٨٥١.

(٤) عباس محمود العقاد: شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، ط٣، القاهرة: النهضة المصرية ١٩٦٥م، ص ٢٢- ٢٣.

٢- وعن الشاعر علي الليثي يقول: «فأعجبني منه صناعته في رياضة الناس على سماع **نكاته** أضعاف ما أعجبني صناعته في **التنكيت** والمحادثة»[١]، وللكلمة وجود في مواضع أخرى[٢].

وهكذا رأينا كيف تحول المادي «الأثر البسيط في الشيء» «الشيء المتميز عن غيره من أقرانه» إلى دلالات معنوية أدبية منها: الخلاصة، والفكرة اللطيفة، وموطن الجمال، وسر العبارة، والتعليق. ورافق هذا التحول تحول في المجال من العلمي إلى الفكاهي، وقد كان هناك تلازم بين التورية والإضحاك، فأكثر النكت مصدرها اللعب بالألفاظ الحادث من الإتيان بلفظ يحتمل معنيين، والمعنى المتبادر إلى الذهن غير مقصود، بل لابد من لفتة من المتلقي ليفهم ويضحك من المعنى البعيد[٣]. ولذلك خلا القرآن الكريم خلوًّا تامًا من التورية؛ إذ ليس فيه غير الحق[٤].

وختامًا... نرجو أن نكون قد وفقنا إلى تجلية هذه الظاهرة في العربية تاريخيًّا.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) نفسه ١٠٢.

(٢) نفسه ٢٤، ٢٥، ٢٨، ١٠٠، ١٠٣، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٨.

(٣) انظر في ذلك: زكريا إبراهيم: سيكولوجية الفكاهة والضحك، القاهرة، دار مصر، ص١٨٤- ١٨٨.

(٤) انظر في ذلك: محمد جابر فياض: «التورية وخلو القرآن منها» مجلة المجمع العلمي العراقي مج ٣٤ ج١ نيسان ١٩٨٣م، ص ٢٣٢- ٢٧٩.

الخطيب التِّبريزيّ في عيون التَّواريخ
لابن شاكر الكُتُبيّ

عدنان عمر الخطيب

الخطيب التِّبريزيّ إمامٌ في اللُّغة والأدب والنَّحو والعَروض...، إمامٌ طبَّقت شُهرته الآفاق، فكتب عنه الأقدمون ما كتبوا، وكذا المُحدثون، والنَّاظر أدنى نظر في مصادر ترجمته ومراجعها الآتي ذكرها بعدُ يتبيَّن صحَّة ما ذهبنا إليه، فأكثِرْ بها من مصادر ومراجع! ومن بينها سِفْر جليل استرعى النَّظر لعالم له شأوه في التَّاريخ والأدب؛ أمَّا السِّفْر فهو عيون التَّواريخ، وأمَّا صاحبه فابن شاكر الكُتُبيّ، فماذا عنهما؟ وماذا عن الخطيب التِّبريزيّ في العيون؟

ابن شاكر وكتابه العيون: هو صلاح الدِّين، وقيل: فخر الدِّين محمَّد ابن شاكر بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن شاكر، وقيل: محمَّد بن هارون بن شاكر الكُتُبيّ الدَّارانيّ ثمّ الدِّمشقيّ، الأديب الباحث المؤرِّخ المعروف. ولد في داريَّا سنة ٦٨١هـ، وكان في أوَّل أمره فقيرًا مُدْقعًا، ثمَّ تعاني تجارة الكتب، فحصَّل الأموال. سمع من ابن الشِّحْنَة والحجَّار والحافظ المِزِّيّ والبِرْزاليّ والذَّهبيّ المؤرِّخ، وحفظ، وذاكر، وأفاد. مات في شهر رمضان سنة ٧٦٤هـ بعد أن ترك لنا ثلاثة آثار جليلة، هي:

١- **روضة الأزهار وحديقة الأشعار**: وهو مُجلَّد مُرتَّب على حروف القوافي، جمع فيه مُختاراتٍ غزليَّةً.

٢- **فَوَات الوَفَيات**: وهو كتاب أراد له مُؤلِّفه أن يكون ذيلاً لوَفَيات الأعيان لابن خَلِّكان (ط).

٣- عيون التَّواريخ[١]: ألَّف ابن شاكر كتابًا في التَّاريخ الإسلاميّ حافلاً جليلاً وَسَمَهُ بعيون التَّواريخ، أسهب في ذكره بعض المُؤرِّخين المُحدثين، فقال: «هو كتاب في التَّاريخ الإسلاميّ كلّه، انتهى به إلى سنة ٧٦٠هـ، ويُعتبر من أحسن التَّواريخ، رتَّبه بشكل حَوْليّ على السَّنوات، ونجح في انتقاء التَّراجم والأخبار، مُبتدئًا بالسِّيرة النَّبويَّة والخلفاء الرَّاشدين، ثمّ الصَّحابة والتَّابعين، وتراجم رجال الحديث والصَّالحين والزُّهَّاد والأعيان والشُّجعان والكُرماء والأدباء والشُّعراء والمُغنِّين، وقسمه إلى حوادث ووَفَيات، وتبع فيه ابن كثير، ولاسيَّما في الحوادث، كما تبع ابن النَّجَّار، وينقل عنهما الصَّفحة فأكثر، ولا يُشير أحيانًا إليهما، ونجد فيه أثر سِبْط ابن الجوزيّ والذَّهبيّ وأبي شامة وابن

(١) انظر ابن شاكر في:من ذيول العبر للحُسينيّ/٣٦٩، والوَفَيَات ٢/٢٦٣- ٢٦٤، والبداية والنِّهاية ١٤/٢٤٠، وتذكرة النَّبيه ٣/٢٦٦، والذَّيل على العبر لابن العراقيّ ١/١٢٨، وتاريخ ابن قاضي شُهبة – مج: ٢/ج: ٢/٢٣٨، والدُّرر الكامنة ٤/٧١ - ٧٢، والإعلان بالتَّوبيخ/٢٩٤، والذَّيل التَّامّ/١/٢٠١- ٢٠٢، ووجيز الكلام ١/١٣٦، وكشف الظُّنون ١/٩٢٣ و٢/١١٨٥- ١١٨٦ و١٢٩٢، وشذرات الذَّهب ٨/٣٤٦- ٣٤٧، وهديَّة العارفين ٢/١٦٢-١٦٣، ومعجم المطبوعات العربيَّة والمُعرَّبة ٢/١٥٤٧، والأعلام ٦/١٥٦، وتاريخ الأدب العربيّ للدُّكتور فرُّوخ ٣/٧٨٨- ٧٨٩، ومعجم المُؤرِّخين الدِّمشقيِّين/١٨٣- ١٨٦، ومعجم المُؤلِّفين ٣/٣٣٩، ومعجم مُصنِّفي الكتب العربيَّة/٤٩٤، ودائرة المعارف بإدارة فؤاد أفرام البستانيّ ٣/٢٤٦- ٢٤٧، والتَّاريخ العربيّ والمُؤرِّخون ٤/٧٥- ٧٦، وموسوعة المورد العربيَّة ١/٣٢. وانظر كذلك: مقال الدّكتور صلاح الدِّين المُنجِّد: «المُؤرِّخون الدِّمشقيُّون» في: مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة- مج: ٢/ج: ١/١٠٦- ١٠٧.

خلّكان وابن السّاعيّ وياقوت والقُوصيّ»[١].

إنّ هذا السِّفْر الحافل صاغه ابن شاكر بعبارته التّاريخيّة الأدبيّة الفذّة، فجعلت منه محطّة إعجاب وإكبار عند كلّ من وقف عليه، وهذا ما دفعنا إلى أن نستخرج من لآلئ هذا العِلْق الخطير الذي وصفه ابن أبي العِزّ الحنفيّ قاضي دمشق ومصر (ت٧٩٢هـ) بقوله: [الطّويل]

عيونُ التّواريخِ الشّريفةُ قد حَوَى عيونَ المعاني والفوائدَ والفَضْلا
فما من سوادٍ في بياضٍ رأيتُهُ بأحسنَ من هذي العيونِ ولا أحلى[٢]

– ترجمة الإمام العلاّمة الخطيب التّبريزيّ؛ لنجمع في ذلك بين عظيمين: ابن شاكر المُؤرِّخ الفذّ، والخطيب اللُّغويّ الأديب، فماذا عن تحقيق هذه التّرجمة؟

الخطيب التّبريزيّ في عيون التّواريخ: تحسن الإشارة أوّلاً إلى أنّ كتاب عيون التّواريخ قد حُقّق منه غير جزء في مصر وبغداد وبيروت[٣]،

---

(١) التّاريخ العربيّ والمؤرّخون ٤/٧٥. وانظر كذلك: معجم المُؤرِّخين الدّمشقيّين/ ١٨٣- ١٨٤، ومقال: «المُؤرِّخون الدّمشقيّون» للدُّكتور المُنجّد في مجلّة معهد المخطوطات بالقاهرة – مج: ٢/ج: ١/١٠٦- ١٠٧.

(٢) الإعلان بالتّوبيخ/٢٩٤.

(٣) طُبع الجزء الأوّل من هذا التّاريخ – ويضمّ بين طيّاته السِّيرة النّبويّة وخلافة الصِّدّيق- في مكتبة النّهضة المصريّة- القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م بتحقيق حسام الدّين القدسيّ وتقديم الشّيخ أبي منصور الحافظ، وكذا في دار الشّباب- القاهرة سنة ١٩٨٠م. كما تولّت وزارة الثّقافة والإعلام ببغداد إصدار غير جزء من العيون، فأصدرت الجزء الثّاني عشر (وفيات: ٥٠٠هـ- ٥٥٥هـ) عام ١٣٩٧هـ/-

ولكن ليس في هذه الأجزاء المُحَقَّقة الجزء الخاصّ بوفَيَات: (٥٠٢هـ)، وهي السَّنة التي تُوفّي فيها الخطيب، فرأينا أن نغتنم الرِّيح – وقد هبَّت – فنخرج إلى النُّور ترجمة الخطيب بقلم رجل له شأوه في التَّاريخ، وقد اعتمدنا في عملنا هذا على نسخة المكتبة الأحمديَّة في حلب، وهي النُّسخة الوحيدة التي هَيَّأت لنا أسبابِ الوصول إليها على كثرة نُسخ الكتاب المبثوثة في غير مكتبة من مكتبات العالِم، وقد فصَّل في أمرها بعض المُؤرِّخين بما فيه المَقْنَع والكفاية، ممّا لا حاجة بنا إلى الحديث عنها في هذا المقام[1]. وهذه النُّسخة المُصحَّحة المُتأثِّرة بالرُّطوبة المُرمَّمة ترميمًا قديمًا، وليس فيها ما يُشير إلى مكان النَّسخ ولا اسم النَّاسخ أو التَّاريخ، وهي من وَقْف أحمد طه زاده سنة (١١٦٥هـ)- أقول: هذه النُّسخة تُمثِّل لنا الجزء الثَّالث عشر من الكتاب، وهي في الأحمديَّة تحت رقْم: ١٢٣٨، وفي مكتبة الأسد الوطنية تحت رقْم: ١٤٥٥١ في ٢٤٥ ورقة، وتقع ترجمة الخطيب في ٣ ورقات من هذا الجزء: و: ١٢١ ب – و: ١٢٣ب، وقد كُتبت هذه التَّرجمة بخطّ نسخيّ واضح، مضبوط بالشَّكل في الأعمّ الأغلب، مشفوع ببعض الضَّوابط الإملائيَّة

=١٩٧٧م، ثمّ الجزء العشرين سنة ١٩٨٠م، ثمّ الجزء الحادي والعشرين سنة ١٩٨٤م، ثمّ الجزء الثّالث والعشرين سنة ١٩٩١م، وهذه الأجزاء برُمَّتها كانت بتحقيق فيصل السَّامر ونبيلة عبد المنعم داود. وفي عام ١٩٩٦م صدر جزء من العيون في دار الثّقافة- بيروت خاصّ بوفيات: ٢١٩هـ- ٢٥٠هـ بتحقيق عفيف نايف حاطوم.

(١) معجم المؤرِّخين الدِّمشقيِّين/١٨٤- ١٨٦، ودائرة المعارف بإدارة فؤاد أفرام البستانيّ ٢٤٧/٣، والتَّاريخ العربيّ والمُؤرِّخون ٧٥/٤- ٧٦، ومقدّمة التَّحقيق للجزء الأوّل من العيون المطبوع سنة ١٩٧٩م.

الخاصَّة، ولكنَّها على كلّ حال ليست بذات خطر: كحذف الألف من القاسم، وإثبات الألف المقصورة ممدودةً كاستسقا... فلم نعبأ بها وأثبتنا الكلمة وَفْقَ المشهور من القواعد ليس إلاّ.

أقول: سلك ابن شاكر في ترجمة الخطيب منهجًا مخصوصًا، يمكن لنا أن نتلمَّس معالمه من خلال النّقاط التّالية:

١- بدأ ابن شاكر ترجمته للخطيب بذكر نسبه، ثمّ التَّعرُّض لعدد من شيوخه الذين نَهل من مَعينهم ما نَهل، ثمّ التفت إلى ذكر جملة صالحة من آثاره، مُتبعًا ذلك بأقوال العلماء فيه، وقد تباينت بين مدح وقدح، ثمّ وفاته.

٢- بعد أن ذكر ابن شاكر في حقّ الخطيب ما ذكر، رأى أن يُتبع ذلك بأخبار أخرى جديدة، تتمثّل في رحلته المشهورة من تبريز إلى المَعَرَّة، حاملاً معه نسخة من تهذيب اللُّغة للأزهريّ في عدَّة مُجلَّدات لطاف ليقرأها على أبي العلاء المَعَرِّيّ، وقد دُلَّ عليه، فروايتِهِ لشعر أبي الحسن محمَّد بن المُظَفَّر، فذكرِ أشعار للخطيب نفسه.

ولاشكَّ أنَّ ابن شاكر أراد بهذا الإتباع أن يستدرك ما يمكن استدراكه على ترجمة الخطيب؛ لتأتي وافية، ولا سيَّما أنَّه يخطّ بيراعه سيرة علم فذّ مشهور في الأمصار، ومع ذلك يُؤخذ عليه في هذه التَّرجمة الوافية إهماله لجملة صالحة من تلاميذ التّبريزيّ، ولا سيَّما أنَّ منهم من كانت له منزلة علميَّة خاصَّة في الإبداع الفكريّ الخلاّق: كالجَواليقيّ، وابن الشَّجَريّ، وابن العربيّ، وغيرهم.

٣- أفاد ابن شاكر في أثناء ترجمته للخطيب من غير عالم قبله، شأنه في هذا شأن كلّ عالم نحرير ثقة، لا يأتي بالأخبار دون توثيقها من مَظَانِّها؛

فأفاد من: السَّمعانيّ في أنسابه والذَّيل عليه، ومن ياقوت في معجم الأدباء، ومن ابن خَلِّكان في تاريخه الموسوم بوَفَيَات الأعيان...

منهجنا في تحقيق التَّرجمة: ويمكن لنا أن نُجمله مُوجزًا في النِّقاط التَّالية:

١- نسخنا النَّص كاملاً، مُراعين فيه الضَّبط المُثبت له أصلاً، مع الزِّيادة عليه أحيانًا بما يكشف النِّقاب عن كلِّ مُستغلق، كذا بعد تجريده من أوهام الضَّبط والتَّصحيف والتَّحريف التي اعترت النَّصّ، وأقللْ بها! وقد أشرنا إلى ذلك في موطنه حيث الحواشي.

٢- ترجمنا للأعلام المغمورة في النَّصّ ترجمة مُقتضبة مُوثَّقة من مَظانِّها.

٣- وثَّقنا الأشعار والأخبار التَّاريخيَّة من مَظَانِّها أيضًا.

٤- ذكر ابن شاكر غير أثر علميّ للخطيب، فذكرنا المطبوع من هذه الآثار، وهذا يعني أنَّ الأثر الذي لم نُعَقِّب عليه بشيء هو الأثر الذي مازال مخطوطًا أو ضائعًا، فلا يُعرف له قرار.

٥- شرحنا من مُفردات النَّصّ ما كان غامضًا، فجَلَوناه خير جلاء.

النّصّ المُحقّق

[١٣/و: ١٢١ ب] وفيها[1] تُوفّي يحيى بنُ عليِّ بنِ الحسن بن محمَّد ابن موسى بن بِسْطامٍ الخطيبُ التّبريزيُّ[2] النّحويُّ اللُّغويُّ. سافر في طلب

(١) أي: في سنة ٥٠٢هـ، وهي السَّنة التي تُوفّي فيها الخطيب .

(٢) انظر التّبريزيّ في: دُمية القصر ٢٦١/١- ٢٧١، والأنساب ٤٤٦/١- ٤٤٧، وتاريخ ابن عساكر ٣٤٧/٦٤- ٣٥٠، وفهرسة ابن خَير ٥٤٣/٢، ونُزهة الألبّاء/ ٢١٨- ٢٢٠، والمُنتظم ١١٤/١٧- ١١٧، ومعجم البلدان ١٣/٢، ومعجم الأدباء ٦٢٨/٥- ٦٣٠، والاستدراك /و: ٦٩ب - و: ٧٠أ، واللُّباب في تهذيب الأنساب ٢٠٦/١- ٢٠٧، والكامل في التّاريخ ٥٧٦/٨، وإنباه الرُّواة ٢٨/٤- ٣٠، ووفيات الأعيان ١٩١/٦- ١٩٦، وآثار البلاد/١٤٨، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨٧/٢٧- ٢٨٨، والمختصر في أخبار البشر ١٤٢/٤، وإشارة التّعيين/٣٨٢- ٣٨٣، والعِبَر ٥/٤، وسير أعلام النُّبلاء ٢٦٩/١٩- ٢٧١، والإعلام بوفيات الأعلام ٣٣٤/١، وتاريخ الإسلام (وفيات: ٥٠٢هـ)/٧٣- ٧٦، ودول الإسلام ٢/ ٨، والمُستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٥٧/١٩- ٢٥٩، وتتمَّة المختصر ٣٣/٢، ومسالك الأبصار ٧/و: ٣٦- و: ٣٧، ومِرْآة الجِنَان ١٣١/٣- ١٣٢، والبداية والنّهاية ١٥٢/١٢، والبُلْغة/٢٣٩- ٢٤٠، والفلاكة والمفلوكون/٨٩، وتوضيح المُشتَبه ٥٠٨/١، والنُّجوم الزَّاهرة (وفيات: ٥٠١هـ) ١٩٣/٥- ١٩٤؛ والصَّواب أن يذكر ابن تغري بَرْدي الخطيب في وفيات: ٥٠٢هـ كما في مصادر ترجمته قاطبةً، وطبقات النُّحاة واللّغويين/و: ٥٣٠-و: ٥٣١، وغربال الزَّمان/٣٩٨، والبُغية ٣٣٨/٢، وطبقات المفسّرين للسّيوطيّ/٩١، وللدّاوديّ ٣٧٢/٢- ٣٧٣، ومفتاح السَّعادة/٥٣٢- ٥٣٣، وكشف الظُّنون ١٠٨/١ و١٢٣ و٤٤٦ و٦٩٢ و٧٧٠- ٧٧١ و٨١٢- ٩٩٢/٢ و١٠٤٣ و١٣٢٧ و١٣٧٧ و١٥٦٣-

العلم إلى الأقطار، وقرأ على الشَّيخ أبي العلاء المَعَرِّيِّ وأبي القاسم عُبَيد الله

=و١٧٤٠- ١٧٤١ و١٨٠٨، وشذرات الذَّهب ٦/٩- ١٠، وديوان الإسلام ٢/١٥، ودائرة المعارف لبطرس البُستانيّ ٧/٤١٤، وأبجد العلوم ٣/٦١، والتَّاج المُكَلَّل/١٤٨، وتاريخ آداب اللُّغة العربيَّة- مج: ١٤/ج: ٣/٢٧٥- ٢٧٦، وهديَّة العارفين ٢/٥١٩، ومعجم المطبوعات العربيَّة ١/٦٢٥- ٦٢٦، والكُنى والألقاب ٢/٢١٤- ٢١٥، وتاريخ بروكلمان ٥/١٦٢- ١٦٣، ودائرة المعارف الإسلاميَّة ٤/٥٦٧- ٥٧٠ «الخطيب التَّبريزيّ بقلم بلسنر»، والأعلام ٨/١٥٧- ١٥٨، ومعجم المؤلِّفين ٤/١٠٦ ، والمُستدرك عليه/٨٣٩، والجامع في أخبار أبي العلاء ١/٤٧١- ٤٧٢، وتاريخ الأدب العربيّ للدّكتور فرّوخ ٣/٢١١- ٢١٤، ومعالم وأعلام ١/١٧٢- ١٧٣، والموسوعة العربيَّة المُيسرة ١/٤٨٩، والموسوعة الإسلاميَّة المُيسّرة ٣/٦٠٥، وموسوعة المورد العربيَّة- مج: ١/ق: ١/٢٩٧، ودائرة المعارف الشِّيعيَّة ٩/١٣٤ و١٨/٥٠٤، وتهذيب سير أعلام النُّبلاء ٢/٤٨١، ومعجم المفسّرين ٢/٧٣٢، ومنهج التَّبريزيّ في شروحه للدّكتور فخر الدِّين قباوة، و: «ما تبقى من المُلَخَّص للتَّبريزيّ: تعريف بالمخطوطة، ومنهج مؤلِّفها» للدكتور محمَّد عبد المجيد الطَّويل في:مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة – مج: ٤٣/ج: ١/٧- ٤٩.

وانظر كذلك: مقدّمات بعض كتبه المُحقّقة، ولاسيَّما: شرح اختيارات المُفضَّل ١/٦- ٤١، وتهذيب إصلاح المنطق ١/٧- ٢٢ (ط: القاهرة)... إلخ.

قلت: ورد في أغلب المصادر والمراجع المذكورة أعلاه: «يحيى بن عليّ بن محمَّد بن الحسن»، وهو الأرجح. وزاد بعضها: «محمَّد» بعد الحسن أو موسى، وتجاوز بعضها الحسن أو محمَّد، فلم يُذكرا. وتفرَّد ابن قاضي شُهبة في طبقاته، فأثبت: «نظام» بدل: «بسْطام»، وهو تحريف ظاهر. أمَّا ياقوت فذكر أنَّه ابن الخطيب، وربَّما يُقال له الخطيب، وهو وهم، وقد شايعه في هذا غير عالم أتى بعده: كالقِفْطيّ والقِنَّوْجيّ، وبروكلمان... والحقُّ جواز الوجهين؛ فانظر: منهج التَّبريزيّ في شروحه/١٢.

ابن عليٍّ الرَّقّيِّ[١] وأبي محمَّد الدَّهَّان اللُّغويِّ[٢] وغيرهم من أهل الأدب، وسمع الحديثَ بمدينة صُور من الفقيه أبي الفتح سُلَيْم[٣] بن أيُّوبَ[٤] ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمَّد بن عبد الله بن يوسُفَ الدَّلَّال[٥]، وروى عن الخطيب البغداديِّ صاحب التَّاريخ[٦]،وقيل: دخل مصر، وأخذ عن ابن باب شاذ النَّحْويِّ[٧]، وكتب بخطِّه كثيرًا

(١) الأديب اللُّغويّ، النَّحويّ العالم بالفرائض، الآخذ عن الرَّبعيّ والمَعَرِّيّ، صاحب كتاب القوافي، المُتوفَّى سنة ٤٥٠هـ. (بُغية الوعاة ٢/١٢٧، وهديَّة العارفين ١/٦٤٨).

(٢) هو الحسن بن محمَّد بن عليّ بن رَجَاء النَّحويّ، المُتَبَحِّر في اللُّغة، المُتكلِّم في الفقه والأصول، والقارئ بالرِّوايات، صاحب ديوان العرب ومَيْدان الأرب في اللُّغة، المُتوفَّى سنة ٤٤٧هـ. (بغية الوعاة ١/٥٢٣- ٥٢٤، وهدية العارفين ١/٢٧٦).

(٣) في العيون: ((سَليم)) بفتح السِّين، غلط في الضَّبط.

(٤) الرَّازيّ الفقيه الشَّافعيّ، صاحب: الإشارة في الفروع، والتَّقريب في الفروع، وضياء القلوب في تفسير القرآن، وغريب الحديث... المُتوفَّى سنة ٤٤٧هـ. (هدية العارفين ١/٤٠٩، والأعلام ٣/١١٦).

(٥) البغداديّ المُحَدِّث الصَّدوق، المُتوفَّى سنة ٤٤٩هـ. (منهج التَّبريزيّ في شروحه/١٦).

(٦) كثيرة هي المصادر التي ترجمت للخطيب التَّبريزيّ، فذكرت أخذَ الخطيب البغداديّ عنه وأخذَ التَّبريزيّ عن البغداديّ، وليس بغريب أن يأخذ الأستاذ عن تلميذه، مادام هذا التِّلميذ قد ملك من ناصية العلم ما ملك. انظر تفصيل هذه المسألة في: منهج التَّبريزيّ في شروحه/٢١- ٢٢.

(٧) تفرَّد ياقوت في معجم الأدباء، واليافعيّ في مرآة الجَنَان، وابن قاضي شُهبة في طبقاته، وابن العماد في شذرات الذَّهب بقولهم: إنَّ بابشاذ هو الذي قرأ على الخطيب، والرَّاجح ما في العيون وغيره من المصادر الأخرى الكثيرة؛ ذلك أنَّ الخطيب دخل مصر في عنفوان شبابه، وهذا يعني أنَّه دخلها مُتلقِّيًا العلم لا مُعطيًا له.

من دواوين الأشعار، وسكن بغداد، وصنَّف: تفسيرَ القرآن العظيم، والإعرابَ[١]، وشرحَ اللُّمَع لابن جنِّي[٢]، والكافي في العَروض والقوافي[٣]، ومَقاتلَ الفرسان[٤]، وشرحَ الحماسة ثلاثةَ[٥] شروح،

---

(١) أي: إعراب القرآن المُسمَّى بالمُلَخَّص، وهو يقع في أربع مُجلَّدات كما أُشير في أغلب المصادر التي ترجمت للخطيب، والذي بقي إلى أيَّامنا هذه من الكتاب جزء منه، تعمل سهام الشَّريف عبد الله من المدينة المُنوَّرة على تحقيقه، مُعتمدة على مُصوَّرة حصلت عليها من المكتبة الوطنيَّة في باريس. (مجلَّة أخبار التُّراث العربيّ- الكويت- ع: ١٣/٢١). كما قام بتحقيق هذا الجزء الدُّكتور محمَّد عبد المجيد الطَّويل. (مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة- مج: ٤٣/ج: ١/٧- ٤٩).

(٢) حقَّقه الدُّكتور السَّيِّد تقيّ عبد السَّيِّد. (مجلة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة – مج: ٤١/ج: ١/١٣٧- ح: ١).

(٣) حقَّقه الحساني حسن عبد الله، ونشره على صفحات مجلة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة – مج: ١٢/ج: ١/١٩٦٦م، ثمّ أُعيد طبع هذا المُجلَّد في المعهد نفسه سنة ١٩٩٧م. كما حقَّق الكتاب أيضًا الدُّكتور فخر الدين قباوة، ونشره في دار الفكر بدمشق ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م (ط: ٤) تحت عنوان: «الوافي في العَروض والقوافي».

(٤) كذا، والصَّواب: «تهذيب مقاتل الفرسان»، وهو شرح أقامه الخطيب لكتاب: «مقاتل الفرسان» لأبي عُبيدة. (شرح شواهد المغني ١/١١، وشرح اختيارات المُفضَّل ١/٢٤، ومنهج التِّبريزيّ في شروحه/١٤٥).

(٥) في العيون: «ثلاث» تحريف. والمُتداول المطبوع من هذه الشُّروح أوسطها، لا صغيرها الذي هو الشَّرح الأوَّل للحماسة، ولا كبيرها الذي هو الشَّرح الثَّالث. وقد طُبع الشَّرح الأوسط غير طبعة، وحسبنا أن نذكر من هذه الطَّبعات الطَّبعة التي صدرت بتحقيق الشَّيخ العلاَّمة محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد في المكتبة التِّجاريَّة الكبرى بالقاهرة/١٩٣٨م (٤ ج).

وشرحَ ديوانَ المُتنبِّي[1]، وديوانَ أبي تمّامٍ الطّائيّ[2]، وسِقْطَ الزَّنْدِ لأبي العلاء المَعَرِّيّ[3]، والمُفَضَّليّاتِ[4]، والسَّبعَ المُعَلّقاتِ[5]، ومقصورةَ ابنِ

(١) الموسوم بالمُوَضَّح، وقد حقّق الجزء الأوّل منه عبد الرَّحمن البّراك، ونال به درجة الدُّكتوراه بإشراف الدُّكتور عبد القُدُّوس أبو صالح في كلّيّة اللُّغة العربيَّة بالرِّياض. (مجلّة أخبار التُّراث العربيّ- القاهرة – مج: ٥/ع: ٥٥- ٥٩/١٩٩١م- ١٩٩٢م).

(٢) طُبع هذا الشَّرح غير طبعة، وأجود هذه الطّبعات على الإطلاق طبعة دار المعارف- القاهرة ١٩٨٧م في ٥ أجزاء بتحقيق الدُّكتور محمَّد عبده عزّام (ط: ٥).

(٣) طُبع هذا الشَّرح مع شَرْحَي الخُوارزميّ وابن السِّيد البَطَلْيَوسيّ تحت عنوان: «شروح سِقْط الزَّنْد» في ٥ مُجلَّدات كبيرة بتحقيق لجنة إحياء آثار أبي العلاء في الهيئة المصريَّة العامّة للكتاب – القاهرة/١٩٨٦م- ١٩٨٧م (ط: ٣). كما طُبع شرح الخطيب للسِّقْط مُنفردًا تحت عنوان: «الإيضاح في شرح سِقْط الزَّنْد وضوئه» بتحقيق الدُّكتور قباوة في دار القلم العربيّ- حلب ١٩٩٩م (ط: ١- ٢ج).

(٤) طُبع شرح التّبريزيّ لاختيارات المُفَضَّل طبعة أولى في مجمع اللُّغة العربيَّة – دمشق ١٣٩١هـ/١٩٧١م في ٤ أجزاء بتحقيق الدُّكتور قباوة، وطبعة ثانية في دار الكتب العلميَّة- بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. كما حقّق الكتاب علي محمَّد البجاويّ في ثلاث مُجلّدات، وأصدره في دار نهضة مصر- القاهرة ١٩٨٠م.

(٥) أقام الخطيب التّبريزيّ شرحين للمُعلّقات: الأوّل قوامه الإيجاز للمُعلّقات السَّبع، ولم يُطبع هذا الكتاب بعدُ. والثّاني قوامه الإسهاب والتّفصيل للمُعلّقات العشر: السَّبع المذكورة في الشَّرح الأوّل، بالإضافة إلى مُعلّقة النّابغة الذُّبيانيّ والأعشى الكبير وعَبيد بن الأبرص. (منهج التّبريزيّ في شروحه/١٤٧- ١٤٨). وقد طُبع الشَّرح الثّاني غيرَ مرَّة، وأجود هذه الطّبعات على كثرتها طبعة دار الفكر بدمشق ١٩٩٧م بتحقيق الدُّكتور قباوة (ط: ٤).

دُريد[١]، وهذَّبَ غريبَ المُصنَّف، وغريبَ الحديثِ [١٣/و: ١٢٢أ] لأبي عُبيد[٢]، وهذَّب إصلاح المنطق[٣]، وغيرَ ذلك.

وذكره السَّمعانيُّ في كتاب: الذَّيل، وفي كتاب: الأنساب[٤]، وعَدَّد فضائله، ثمَّ قال: سمعتُ أبا منصورٍ محمَّدَ بنَ عبد الملك بنِ الحسن بن خَيْرونَ[٥] يقولُ: أبو زكريَّا يحيى بنُ عليٍّ التِّبريزيُّ ما كان بَمرْضيِّ الطَّريقة، وذكر عنه أشياءَ، ولكنْ كان ثقةً في اللُّغة.

قال ياقوتٌ الحَمَويُّ: كان يُدمنُ شُرب الخمر، لا يَرَى صاحبًا أبدًا، ويقرأ النَّاسُ تصانيفه عليه، وهو سكرانُ، وكان خازنَ الكُتُب بالنِّظاميَّة، وكان يَلْبَس الحريرَ والسَّقْلاطُونَ[٦] والعَمَائمَ المُذَهَّبَةَ، وكان أكولاً نَهِمًا شَرِهًا؛ بلغني – والله أعلم – أنَّه كان يأكل في مجلس واحد عَشَرَةَ أرطالِ

---

(١) طُبع هذا الشَّرح بتحقيق الدُّكتور قباوة في مكتبة المعارف – بيروت ١٩٩٤م.

(٢) القاسم بن سلاَّم الأزدي الهَرَويّ الإمام المعروف.

(٣)لابن السِّكِّيت (ت: ٢٤٤هـ). وقد صدرت للتَّهذيب طبعتان: الأولى بتحقيق الدُّكتور قباوة في دار الآفاق الجديدة- بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م (ط: ١). والثَّانية بتحقيق فوزي عبد العزيز مسعود ومُراجعة متولِّي خليل عوض الله وتصحيحه في الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب- القاهرة ١٩٨٦م (ط: ١- ٢ ج).

(٤) الأنساب ١/٤٤٦- ٤٤٧.

(٥) البغداديّ الدَّبَّاس، المُقرئ العالم بالحديث، المُتوفَّى سنة ٥٣٩هـ. (شذرات الذَّهب ٦/٢٠٤، وهديَّة العارفين ١/٨٨- ٨٩).

(٦) سَقْلاطُون: بلد بالرُّوم، تُنسب إليه الثِّياب السَّقْلاطُونيَّة، وقد تُسمَّى الثِّياب بنفسها سَقْلاطُونًا، وهي كلمة روميَّة. (التاج: سقلط).

خُبز وما يتبعها من الأُدْم، وكانت وفاته ببغداد في هذه السَّنة، وعمرُهُ إحدى وثمانونَ سنةً، وكان قد توجَّه على قدميه إلى النَّقيب الطَّاهر أبي الحسن عليِّ بنِ مُعَمَّرٍ العَلَويِّ[١] يُهنِّئُهُ بالنِّقابَة، وعاد، فاشتهى أن يُعملَ له دجاجةٌ، فعُمِلَتْ، فأكل منها، ثمّ نام، وانتبه في بعض اللَّيل، فاستسقى غُلامَه، فأتاه بالماء، فلمَّا دخل عليه[٢]، وجده قد مات –رحمه الله تعالى– فجأةً في لحظة، وكان قد ولي تدريس الأدب بالنِّظاميَّة[٣].

وكان سبب توجُّهه إلى أبي العــلاء المَعَرِّيِّ أنَّه حصلتْ له نُسخةٌ [١٣/و: ١٢٢ب] من[٤] كتاب: التَّهذيب في اللُّغة، تأليف أبي منصورٍ الأزهريِّ في عدَّة مُجلَّدات لِطَاف؛ وحملها على كَتِفه من تبْريزَ إلى مَعَرَّةِ النُّعمان، ولم يكنْ له ما يستأجرُ به مَركوبًا، فَنَفَذَ العَرَق من ظهره إليها، فأثَّر فيها البَلَلُ، وهي وَقْفٌ ببغداد، وإذا رآها من لا يَعرفُ صورةَ الحال، ظنَّ أنَّها غريقةٌ، وليس بها سوى عَرَق الخطيب المذكور. هكذا وجدتُ هذه الحكايةَ في تاريخ ابن خَلِّكان[٥]، وذكر أنَّه وجدها

---

(١) لم نعثر له على ترجمة.

(٢) في العيون: «إليه» تحريف؛ ذلك أنَّ قوله: «دخل إليه» أي: إلى الخطيب معناه صار داخله، وهذا لا يصحّ معنًى.

(٣) كذا. والذي في معجم الأدباء ٥/٦٢٩ نصٌّ فيه النَّقص الواضح بالقياس إلى نصّ ابن شاكر، ممَّا يدلّ على أنَّ النُّسخة المطبوعة من معجم الأدباء فيها من النَّقص الظَّاهر ما لا يخفى، فتأمَّل.

(٤) كذا الصَّواب. والذي في العيون: «بكتاب» تحريف.

(٥) الموسوم بوفيات الأعيان ٦/١٩٢.

في كتاب أخبار النُّحاة[١] الذي ألَّفه القاضي الأكرمُ ابنُ القِفْطِيِّ الوزيرُ بمدينة حلبَ، والله أعلمُ بصحَّة ذلك.

وكان الخطيبُ يروي عن أبي الحسن محمَّد بن المُظَفَّر[٢] بن نِحْرِير البغداديِّ[٣] جملةً من شعره، فمن ذلك قوله على ما حكاه السَّمعانيُّ في كتاب الذَّيل في ترجمة الخطيب المذكور، وهي من أشهر أشعاره[٤]: [الطَّويل]

خَلــيلَيَّ ما أحلى صَبُوحي بدجلةٍ ... وأطيــبُ مــنهُ بالصَّرَاة غَبُوقي[٥]

شربتُ على الماءَينِ من ماءِ كَرْمَةٍ ... فكانــا كــدُرٍّ ذائــبٍ وعَقــيقِ

عــلى قَمَــرَيْ أرضٍ وأُفْقٍ تقابلا ... فمــن شائقٍ حُلْوِ الهَوَى ومَشُوقِ

فمــا زلــتُ أسقيه وأشربُ رِيْقَهُ ... ومــا زالَ يسقيني ويشربُ رِيْقي

وقلتُ لبدرِ التِّمِّ: تعرفُ ذا الفتى؟ ... فقــال: نعم هذا أخي وشقيقي[٦]

وهذه الأبيات من أملح الشِّعر وأظرفه، والبيت الأخير منها

---

(١) المعروف بإنباه الرُّواة ٤/٢٨.

(٢) كذا الصَّواب بالنَّقل عن وفيات الأعيان ٦/١٩٣. والذي في العيون: «المطفر» تصحيف.

(٣) لم نعثر له على ترجمة.

(٤) انظر أبيات ابن نحرير في: وفيات الأعيان ٦/١٩٣، وتاريخ الإسلام (وفيات: ٥٠٢هـ)/٧٥، ومسالك الأبصار ٧/و: ٣٧، وشذرات الذَّهب ٦/١٠.

(٥) الصَّبوح: شراب الصَّباح، ويُقابله الغَبُوق: شراب العَشِيّ. والصَّراة: نهر معروف بالعراق. (معجم البلدان ٣/٣٩٩- ٤٠٠).

(٦) بدر التَّمّ: القمر ليلةَ تمامه.

مُستمَدٌّ[١][١٣/و: ١٢٣أ] من قول أبي بكرٍ محمَّد بن عيسى الدَّانيِّ المعروف بابن اللَّبَّانَة الأندلسيِّ[٢] في مدح المُعتَمِد بن عبَّادٍ صاحبِ إشبيليَةَ المُقدَّمِ ذكرُهُ من جُملة قصيدة، أوَّلُها[٣] : [الطَّويل]

بَكَتْ عندَ توديعي فما عَلِمَ الرَّكْبُ   أذاكَ سَقِيطُ الطَّلِّ أم لُؤْلُؤٌ رَطْبُ

وتابعها سِرْبٌ وإنِّي لَمُخْطِئٌ   نجومُ الدَّياجي لا يُقالُ لها سِرْبُ

يقول فيها في مدح ابنِ عبَّاد:

سألتُ أخاهُ البحرَ عنهُ فقالَ لي: شَقيقيَ إلاَّ أنَّهُ السَّاكنُ العَذْبُ

ما كفاهُ أنَّه جعله شقيقَ البحر حتَّى رَجَحَهُ عليه، فقال: السَّاكنُ العذبُ، والبحرُ مُضطربٌ مالحٌ، وهذا من خالص المديح وأبلغه، والقصيدةُ من القصائد الغُرِّ، ولولا خوفُ الإطالة والخروج عمَّا نحن بصدده، لذكرتُها كُلَّها.

وكان الخطيبُ أيضًا يروي عن ابنِ نحريرٍ المذكور من شعره قولَه[٤] :[المديد]

يا نساءَ الحيِّ من مُضَرِ   إنَّ سَلْمَى ضَرَّةُ القَمَرِ

---

(١) وفيات الأعيان ١٩٣/٦– ح:٤. وفي العيون: «يشتمل» تحريف.

(٢) الشَّاعر المُتصرِّف، القادر غير المُتكلِّف، صاحب الموشَّحات المشهورة والتَّصانيف الحسنة، المُتوفَّى سنة ٥٠٧هـ. (المُغرب ٤٠٩/٢– ٤١٦، ورايات المُبرِّزين/٢١٥– ٢١٦، وفوات الوفيات ٢٧/٤– ٣١).

(٣) وفيات الأعيان ١٩٣/٦– ١٩٤، وفوات الوفيات ٢٧/٤– ٢٨؛ وفي الفوات: «البارد» لا السَّاكن.

(٤) تاريخ الإسلام (وفيات: ٥٠٢هـ)/٧٥، ومسالك الأبصار ٧/و: ٣٧ (البيتان الأوَّل والرَّابع)، ووفيات الأعيان ١٩٤/٦. في التَّاريخ والوفيات: «الشَّعر» تصحيف.

إنَّ سَلْمَى لا فُجِعْتُ بها ... أَسْلَمَتْ طَرْفي إلى السَّهَرِ

فهي إنْ صَدَّتْ وإنْ وَصَلَتْ ... مُهْجَتي منها على خَطَرِ

وبياضُ الثَّغْرِ أَسْكَنَها ... في سَوادِ القلبِ والبَصَرِ

وللخطيب المذكور شعرٌ، فمن ذلك قولُه[1] : [الوافر] [١٣/و: ١٢٣ ب]

فمَنْ يَسْأَمْ من الأسفارِ يومًا ... فإنِّي قد سئمْتُ من المُقَامِ

أقمنا بالعراقِ على رجالٍ ... لِئامٍ يَنتمونَ إلى لِئامِ

وقال يرثي غُلامًا له تُوفِّي بالمَوْصِل[2] : [السَّريع]

دَفَنْتُ بدرَ التِّمِّ بالمَوْصِلِ ... فلا سقاهُ الغيثُ من منزلِ

يا منزلاً خَلَّ به مُؤْنسي ... وارتحلَ الرَّكْبُ ولم ترحلِ[3]

ما كُنتَ إلاّ مُقْطِعًا جانبَ الـ ... وَصْلِ فَلِمْ سُمِّيْتَ بالمَوْصِلِ؟!

رحمهُ اللهُ، وعفا عنَّا وعنه.

---

(١) نزهة الألبَّاء/٢٢٠، ومعجم الأدباء ٥/٦٣٠، ووفيات الأعيان ٦/١٩٤، والفلاكة والمفلوكون/٨٩.

(٢) المُستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٩/٢٥٨؛ وفيه: «يا صَبْرُ»، و: «جنب الموصل» تحريف.

(٣) خَلَّ به مُونسي، أي: أَخَلَّ بمعنى غاب.

المصادر والمراجع

– آثار البلاد وأخبار العباد: القزوينيّ – ط: دار صادر، ودار بيروت – بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

– أبجد العلوم: القِنَّوْجيّ– تح: عبد الجبّار زكّار– ط: وزارة الثّقافة– دمشق ١٩٧٨م-١٩٨٩م.

– الاستدراك في تراجم رواة الحديث: ابن نقطة الحنبليّ– مخطوط في الظّاهريّة (علم الحديث)– تحت رقْم: ١٢١٤.

– إشارة التّعيين في تراجم النُّحاة واللُّغويّين: عبد الباقي اليمانيّ– تح: د. عبد المجيد دياب– ط١: مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة ١٩٨٦م.

– الأعلام: الزِّركليّ– ط٨: دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٩م.

– الإعلام بوفيات الأعلام: الذّهبيّ – تح: مصطفى عوض– ط١: مؤسسة الكتب الثّقافيّة – بيروت ١٩٩٣م.

– الإعلان بالتّوبيخ لمن ذَمَّ أهل التّاريخ: السَّخاويّ– نقله من الإنكليزية بقلم فرانز روزنتال إلى العربيَّة د. صالح أحمد العلي– ط١: مؤسسة الرِّسالة– بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

– إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة: القِفْطِيّ– تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم– ط١: دار الفكر العربيّ– القاهرة، ومؤسسة الكتب الثّقافيَّة– بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

– الأنساب: السَّمعانيّ– تقديم عبد الله عمر البارودي– ط١: دار الجنان– بيروت ١٩٨٨م.

– البداية والنِّهاية: ابن كثير – تح: علي مُعَوَّض وصحبه– ط١: دار الكتب العلميَّة– بيروت ١٩٩٤م.

– بُغية الوُعاة في طبقات اللُّغويِّين والنُّحاة: السّيوطيّ– تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم– ط: المكتبة العصريَّة – بيروت– دت.

- البُلغة في تراجم أئمَّة النَّحو واللُّغة: الفيروزابادي- تح: محمَّد المصريّ- ط١: جمعيَّة إحياء التُّراث الإسلاميّ- منشورات مركز المخطوطات والتُراث – الكويت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- تاج العروس من جواهر القاموس: المُرتضى الزَّبيديّ- تح: علي شيري- ط١: دار الفكر- بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- التَّاج المُكَلَّل من جواهر مآثر الطِّراز الآخر والأوَّل: القِنَّوجيّ- عُني بتصحيحه عبد الحكيم شرف الدِّين- ط٢: دار اقرأ- بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

- تاريخ آداب اللُّغة العربيَّة: جرجي زيدان- ط: دار الجيل- بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م. (طُبع هذا الكتاب في مج: ١٣ و١٤ من مؤلَّفات جرجي الكاملة).

- تاريخ الأدب العربيّ: كارل بروكلمان- نقل الكتاب إلى العربيَّة، وراجع النَّقل د. عبد الحليم النَّجَّار وصحبه- ط: دار المعارف – مصر ١٩٧٧م.

- تاريخ الأدب العربيّ: د. عمر فرُّوخ- ط: دار العلم للملايين- بيروت ١٩٦٩م- ١٩٨٣م.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذَّهبيّ- تح: د. عمر عبد السَّلام تدمريّ- ط١: دار الكتاب العربيّ – بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. (حوادث وفيات: ٥٠١هـ- ٥٢٠هـ).

- التاريخ العربي والمُؤرِّخون (دراسة في تطوّر علم التَّاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام): د. شاكر مصطفى- ط١: دار العلم للملايين- بيروت ١٩٨٣م- ١٩٩٣م.

- تاريخ ابن قاضي شُهبة- تح: د. عدنان درويش- ط: المعهد الفرنسيّ للدِّراسات العربيَّة- دمشق، والجفان والجابي للطِّباعة- قبرص ١٩٩٤م.

- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر- تح: علي شيري- ط١: دار الفكر- بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨ م. (ج: ٦٤).

- تتمَّة المُختصر في أخبار البشر: ابن الورديّ- تح: أحمد رفعت البدراويّ- ط١: دار المعرفة- بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

- تذكرة النَّبيه في أيَّام المنصور وبنيه: ابن حبيب- تح: د. محمَّد محمَّد أمين- ط: مطبعة دار الكتب المصريَّة- القاهرة ١٩٧٦- ١٩٨٦م. (راجعه د. سعيد عبد الفتَّاح عاشور).
- تهذيب إصلاح المنطق: الخطيب التّبريزيّ- تح: فوزي عبد العزيز مسعود- ط١: الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب- القاهرة ١٩٨٦م. (راجع الكتاب وصحَّحه متولي خليل عوض الله).
- تهذيب سير أعلام النُّبلاء: أحمد فايز الحمصيّ- ط٢: مؤسسة الرِّسالة- بيروت ١٩٩٢م.
- توضيح المُشتبه في ضبط أسماء الرُّواة وأنسابهم وألقابهم وكُناهم: ابن ناصر الدِّين- تح: محمَّد نعيم العرقسوسيّ- ط٢: مؤسسة الرِّسالة- بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- الجامع في أخبار أبي العلاء المَعَرِّيّ وآثاره: محمَّد سليم الجندي- ط٢: دار صادر- بيروت ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م. (علّق عليه، وأشرف على طبعه عبد الهادي هاشم).
- دائرة المعارف: بطرس البستانيّ- ط: دار المعرفة – بيروت ١٨٧٦م- ١٩٠٠م.
- دائرة المعارف: إدارة فؤاد أفرام البستانيّ- ط: المطبعة الكاثوليكيّة- بيروت ١٩٥٦م- ١٩٨٣م.
- دائرة المعارف الإسلاميّة: نقلها إلى العربيّة أحمد الشّنتناويّ وصحبه- ط: دار المعرفة- بيروت ١٩٣٣م.
- دائرة المعارف الشّيعيَّة العامَّة: محمَّد حسين الأعلميّ الحائريّ- ط٢: مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات- بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- الدُّرَر الكامنة في أعيان المئة الثّامنة: ابن حجر العسقلانيّ- تح: محمَّد سيِّد جاد الحقّ- ط: دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٩٦٧م.
- دُمية القصر وعُصْرَة أهل العصر: الباخَرْزيّ- تح: د. محمَّد التونجي- لا مط ١٩٧٢م.
- دول الإسلام: الذّهبيّ- تح: حسن مروة- ط١: دار صادر- بيروت ١٩٩٩م. (قرأه، وقدَّم له محمود الأرناؤوط).

- ديوان الإسلام: الغزّي- تح: سيِّد كسروي حسن- ط١: دار الكتب العلميَّة- بيروت ١٩٩٠م.
- الذَّيل التَّامّ على دول الإسلام: السَّخاويّ- تح: حسن مروة- ط١: مكتبة دار العروبة- الكويت، ودار ابن العماد- بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- الذَّيل على العِبَر في خَبَر من غبر: ابن العراقيّ- تح: صالح مهدي عبَّاس- ط١: مؤسسة الرِّسالة- بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- رايات المُبَرّزين وغايات المُمَيَّزين: ابن سعيد الأندلسيّ- تح: د. محمَّد رضوان الدَّاية- ط١: دار طلاس- دمشق ١٩٨٧م.
- سير أعلام النُّبلاء: الذَّهبيّ – تح: محمَّد نعيم العرقسوسيّ وصحبه- ط: مؤسسة الرِّسالة- بيروت ١٩٨٢- ١٩٨٨م. (أشرف عليه شُعَيب الأرناؤوط).
- شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبليّ- تح: محمود الأرناؤوط- ط١: دار ابن كثير- دمشق- بيروت ١٩٨٦- ١٩٩٥م. (أشرف عليه عبد القادر الأرناؤوط).
- شرح اختيارات المُفَضَّل: الخطيب التَّبريزيّ- تح: د. فخر الدِّين قباوة- ط٢: دار الكتب العلميَّة- بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- شرح شواهد المغني: السُّيوطيّ- تح: أحمد ظافر كوجان- ط: نشر أدب الحَوْزَة- إيران- دت.
- طبقات المُفسّرين: الدَّاوديّ- تح: علي محمَّد عمر- ط: مكتبة وهبة- مصر ١٩٧٢م.
- طبقات المُفسّرين: السُّيوطيّ- ط١: دار الكتب العلميَّة- بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- طبقات النُّحاة واللُّغويِّين: ابن قاضي شُهبة- مخطوط في الظَّاهريَّة (التَّاريخ ومُلحقاته)- تحت رقم: ٣٤٦٨.

- العِبَر في خبر من غبر: الذّهبيّ- تح: فؤاد سيِّد ود. صلاح الدِّين المُنجد- ط٢: مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤م.
- عيون التّواريخ: ابن شاكر الكُتُبيّ- مخطوط في مكتبة الأسد (التّراجم)- تحت رقم: ١٤٥٥١- ج: ١٣. وتح: حسام الدِّين القدسيّ- ط: مكتبة النّهضة المصريّة- القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م (ج: ١- السِّيرة النّبويَّة وخلافة الصِّدِّيق).
- غِرْبال الزّمان في وفيات الأعيان: يحيى اليمانيّ- تح: محمَّد ناجي العمر – ط: مطبعة زيد ابن ثابت- دمشق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. (أشرف عليه القاضي عبد الرَّحمن الإريانيّ).
- الفلاكة والمفلوكون: الدَّلْجيّ- ط: مطبعة الآداب- النّجف ١٩٦٦م.
- فهرسة ابن خَيْر الإشبيليّ- تح: إبراهيم الأبياريّ- ط١: دار الكتاب المصريّ- القاهرة، ودار الكتاب اللُّبنانيّ- بيروت ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- فوات الوفيات والذّيل عليها: ابن شاكر الكُتُبيّ- تح: د. إحسان عبَّاس- ط: دار صادر- بيروت ١٩٧٣م- ١٩٧٤م.
- الكامل في التّاريخ: ابن الأثير- تح: د. عمر عبد السَّلام تدمريّ- ط١: دار الكتاب العربيّ- بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- كشف الظُّنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة- ط: دار الكتب العلميَّة- بيروت ١٩٩٢م.
- الكُنى والألقاب: عبَّاس القُمِّي- ط٢: مؤسسة الوفاء- بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- اللُّباب في تهذيب الأنساب: ابن الأثير- ط: مكتبة المُثنّى – بغداد – دت.
- مُختصر تاريخ دمشق: ابن منظور- تح: روحيَّة النَّحَّاس ومحمَّد مُطيع الحافظ- ط١: دار الفكر – دمشق ١٤١١هـ/١٩٩٠م. (ج: ٢٧).
- المُختصر في أخبار البشر: أبو الفداء- ط: دار الكتاب اللُّبنانيّ- بيروت- دت.

- مِرْآة الجِنَان وعِبْرَة اليَقْظَان في معرفة ما يُعْتَبَر من حوادث الزَّمان: اليافعيّ- وضع حواشيه خليل منصور- ط: دار الكتب العلميَّة- بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ابن فضل الله العُمَريّ- إصدار د. فؤاد سزكين بالتَّعاون مع علاء الدِّين جوخوشا وإيكهارد نويباور- ط: منشورات معهد تاريخ العلوم العربيَّة الإسلاميَّة في إطار جامعة فرانكفورت – ألمانيا الاتِّحاديَّة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. (ج: ٧ صورة عن مخطوطة أحمد الثَّالث وطوبقابو سراي بإستانبول).
- المُستدرك على معجم المؤلفين: عمر رضا كحَّالة- ط١: مؤسسة الرِّسالة- بيروت ١٩٨٦م.
- المُستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ابن الدِّمياطيّ- تح: د. قيصر أبو فرج دي فل- ط: دار الكتب العلميَّة- بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- معالم وأعلام في بلاد العرب: أحمد قُدامة- ط: مطابع ألف باء الأديب- دمشق ١٩٦٥م.
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): ياقوت الحموي- ط١: دار الكتب العلميَّة – بيروت ١٩٩١- ١٩٩٣م.
- معجم البلدان: ياقوت الحمويّ- ط: دار صادر- بيروت- دت.
- معجم المُؤرِّخين الدِّمشقيِّين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة: د. صلاح الدِّين المُنَجِّد- ط١: دار الكتاب الجديد- بيروت ١٩٧٨م.
- معجم المؤلِّفين: عمر رضا كحَّالة- ط١: مؤسسة الرِّسالة- بيروت ١٩٩٣م.
- معجم مُصنِّفي الكتب العربيَّة في التَّاريخ والتَّراجم والجغرافية والرِّحلات: عمر رضا كحَّالة- ط١: مؤسسة الرِّسالة- بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- معجم المطبوعات العربيَّة والمُعَرَّبة: يوسف إليان سركيس- ط: مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة- القاهرة- دت.
- معجم المُفسِّرين من صدر الإسلام حتَّى العصر الأمويّ: عادل نويهض- ط١: مؤسسة نويهض الثَّقافيَّة- بيروت ١٩٨٣- ١٩٨٤م.

- المُغرِب في حُلَى المَغْرب: ابن سعيد الأندلسيّ- تح: د. شوقي ضيف- ط٤: دار المعارف- القاهرة ١٩٩٣- ١٩٩٥م.
- مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة في موضوعات العلوم: طاش كُبري زاده- تح: د. علي دحروج- ط١: مكتبة لبنان ناشرون- بيروت ١٩٩٨م. (قدّم له، وأشرف عليه، وراجعه د. رفيق العجم).
- المُنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزيّ- تح: محمَّد عطا، ومصطفى عطا- ط١: دار الكتب العلميَّة – بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. (راجعه، وصحَّحه نعيم زرزور).
- من ذيول العبر: الذّهبيّ، والحُسَينّي- تح: محمَّد رشاد عبد المُطّلب- ط: مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤م. (راجعه: د. صلاح الدِّين المُنجِّد، وعبد السَّتّار أحمد فرَّاج).
- منهج التّبريزيّ في شروحه والقيمة التّاريخيَّة للمُفَضَّليَّات: د. فخر الدِّين قباوة – ط٢: دار الفكرالمعاصر – بيروت، ودار الفكر- دمشق ١٩٩٧م.
- الموسوعة الإسلاميَّة المُيسَّرة: يرأس تحريرها مختار فوزي النَّعَّال، ويشرف عليها د. محمود عكّام- ط: دار صحارى- دمشق، وفُصِّلت- حلب ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الموسوعة العربيَّة المُيَسَّرة: إشراف محمَّد شفيق غربال- ط: دار الشَّعب، ومؤسسة فرانكلين- القاهرة ١٩٦٥م.
- موسوعة المورد العربيَّة: منير البعلبكيّ، ورمزي البعلبكيّ- ط١: دار العلم للملايين- بيروت ١٩٩٠م.
- النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي- قدَّم له، وعلّق عليه محمَّد حسين شمس الدِّين- ط١: دار الكتب العلميَّة- بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- نُزهة الألبَّاء في طبقات الأدباء: ابن الأنباريّ- تح: د. عامر عطيَّة – ط٢: دار المعارف- تونس ١٩٩٨م.
- هديَّة العارفين: أسماء المؤلّفين وآثار المُصنِّفين: البغداديّ- ط: دار الكتب العلميَّة- بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- وجيز الكلام في الذّيل على دُول الإسلام: السَّخاويّ- تح: د. بشار عوّاد معروف وصحبه- ط١: مؤسسة الرِّسالة – بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- الوفيات: ابن رافع السَّلاميّ- تح: صالح مهدي عبَّاس- ط١: مؤسسة الرِّسالة- بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. (أشرف عليه د. بشّار عوّاد).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان: ابن خَلّكان- تح: د. إحسان عبَّاس- ط: دار صادر- بيروت ١٩٦٨- ١٩٧٧م.

المجلّات

- مجلّة أخبار التُّراث العربيّ- الكويت- ع: ١٩٨٥/٢١م، ومج: ٥/ع: ٥٥- ٥٩/ ١٩٩١- ١٩٩٢م.

- مجلّة معهد المخطوطات العربيَّة- القاهرة- مج: ٢/ج: ١٩٥٦/١م، ومج: ٤١/ج: ١٩٩٧/١م، ومج: ٤٣/ج: ١٩٩٩/١م.

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير

في كتاب القانون لابن سينا

(القسم الثامن عشر)(*)

د. وفاء تقي الدين

بقل**

بقل، بقلة، بقول

١: ٩٧، ١٣٥، ١٥١، ١٦٣، ١٦٤،
١٧٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٧، ٢٢٤،
٢٦٨، ٣٠٣، ٣٤٦، ٣٧٠، ٣٨٧، ٣٨٩،
٤٥٣، ٤٥٨/ ٢: ٢٣، ٨٣، ١٥٦، ٢٥٦،
٣٠٦، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٧٥، ٣٨٩، ٣٩٩،
٤٠٥، ٤١٠، ٤٢٦، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٧٠،
٤٧٣، ٤٩٩، ٥١٧، ٥٢١، ٥٢٧، ٥٤٠،
٦٠٨، ٦٢٢، ٦٢٤/ ٣: ١٠، ١٥، ٢١،

(*) نشرت الأقسام السبعة عشر السابقة في مجلة المجمع (مج٦٧: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) ومج (٧٩: ٧١).

(**) كتاب النبات ١: ٦٣، والمخصص ١٠: ٢١١ومابعدها، ومنهاج البيان ٢٤٣ أ (ماء البقول)، ولسان العرب وتاج العروس (بقل)، وقاموس الأطباء ١:٣٣٢، ومعجم الشهابي ٣٣٣، ٣٨٦.

(١) «هي مثل الخس والبقلة الحمقاء وجرادة القرع ومايشبه ذلك» القانون ٢: ٢٣.

(٢) « البقول الدشتية هي البقول البرية كلها» مفردات ابن البيطار ١: ١٠٤.

(٣) هي البقلة الحمقاء نفسها. الملكي ٢: ١٠٥، ومنهاج البيان ٥١ب، ومعجم أحمد عيسى ١٤٧ (١٠).

بقول مسلوقة	٢: ٦١٥
بقول مطبوخة	٢: ٣٥٧
بقول ملطّفة	١: ٣٦٣
بقول مليّنة	٢: ٥٨١
بقول نفّاخة	٢: ٤٥٦
بقلة يمانية	هي نوع قائم بذاته. اطلبه في موضعه بعد هذه المادة
بقلة يهودية	اطلبها في موضعها بعد هذه المادة
سُلافات البقول	٢: ٣٥٧
عصارات البقول الباردة	٢: ٢٠٤، ٣٥٧، ٤٠٥/ ٣: ١٥
عصارات البقول	٢: ٣١/ ٣: ٦١
ماء البقول، مياه البقول	٢: ٣٩٥، ٦٢٠/ ٣: ٤٣٤
مرق البقول، مرقة البقول	١: ٢٧٦/ ٢:٤٣، ٢٢٦
مرق البقول الباردة الملينة للطبع	٢: ٥٥٢
ورق البقول الرطبة	٣: ٦١

البقلة الحمقاء*

بقلة الحمقاء[1]	١: ١٦٣، ٢٦٤، ٢٧٥، ٣٢٢، ٤١٠/ ٢:

(*) كتاب ديسقوريدس ١٩٥ (اندرخنى وهو البقلة الحمقاء)، وكتاب النبات ١: ١٨٦، والحاوي ٢٠: ١٤٣، والملكي ١/ ١٨٤، ومفاتيح العلوم ١٧٣، ومنهاج البيان ٥١ أ، وشرح أسماء العقار ١٠، ومفردات ابن البيطار ١: ١٠٢، ومفيد العلوم ١٥، والمعتمد ٢٩، والشامل ٩٨، ومالايسع الطبيب جهله ٩٣، وحديقة الأزهار ٤٥ (٣٩)، وتذكرة داود ١: ٧٧، ومعجم أحمد عيسى ١٤٧ (١٠)، ومعجم الشهابي ٥٣٣، ولسان العرب وتاج العروس (بقل، فرفح)، وبرهان قاطع ١: ٣٧٧ (پربهن). والمعجم الكبير ٢: ٤٦٨. وانظر مادتي فرفح ورجلة في هذا المعجم.

(١) كذا وردت في القانون بتعريف الجزء الثاني من الاسم فقط.

ماء بقلة الحمقاء ١: ٢٧٥/ ٢: ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٥٣، ٤١٢/

٣: ٢٨٩، ٢٨٨

ماء الحمقاء ٢: ٢٦٠

ورق بقلة الحمقاء، ورق البقلة الحمقاء ١: ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٥

البقلة الحمقاء عشبة حولية لحمية من الخضراوات لها أزهار صغيرة صفر، تخلف بذوراً كثيرة دقيقة. يؤكل ورقها نيئًا ومطبوخًا واسمها العلمي Portulaca' oleracea من فصيلة الرِّجليات Portulacae.

ذكرها ابن سينا في الأدوية المفردة فقال: «بقلة الحمقاء. الماهية: معروفة» ثم تكلم على فؤائدها. وذكرتها أكثر مراجع الأدوية ومراجع اللغة وعددت لها أسماء كثيرة منها الرِّجلة والفرفح والفرفحة والبقلة المباركة والبقلة اللينة.. وأرجح أن يكون بعض أسمائها مجرد تصحيف مثل: الفرفير والفرفين والعرخج والعرفجين. اسمها بالفارسية پربهن. وتعرف اليوم في سورية باسم البقلة مطلقًا، وفي لبنان باسم الفرفحينة.

أكثر ماورد اسم هذه العشبة في القانون: بقلة الحمقاء بالإضافة ، والأصح الوصف لأن المراجع تفسر اسمها بأنها وصفت بالحمقاء لأنها تنبت حيثما اتفق في طريق الناس، وقد يكتفي ابن سينا بالقول: الحمقاء، أو البقلة، إذا أمن اللبس. ونقلت معجمات اللغة عن أبي حنيفة أنه قال: الفرفخ والفرفخة البقلة الحمقاء، اسم معرب فارسيته بربهن. علق الشهابي على هذا بقوله: «والأرجح كونها نقلت إلى السريانية ومنها إلى العربية على ماجاء في شرح أسماء العقار».

أما حليب هذه البقلة أو حليب بزرها فيراد منه مايرشح منهما أو يعصر، وماؤها هو الماء الذي تطبخ فيه.

بقلة يمانية *

ذكرها ابن سينا في الأدوية المفردة، فقال في ماهيتها: «قال دياسقوريدس: لادوائية في البقلة اليمانية البتة. وهي مائية كالقَطَف لا طعم لها. وهي في ذلك أكثر من جميع البقول وأشد ترطيباً من الخس والقرع، وغذاؤها يسير، ونفوذها ليس بسريع».

اتفقت المراجع على أن هذه البقلة تؤكل لكنها لاطعم لها، وفؤائدها الدوائية قليلة أو معدومة، وهي من أنواع القطف. و وصفها مؤلف الشامل بقوله: «هي بقلة تطول قدر الذراع وأكثر، وهي على نوعين: أحدهما أحمر اللون، والآخر أخضر، ولكل منهما ساق غليظ يتفرع منه أغصان كثيرة. وطعم هذه البقلة خالص التفاهة. فلذلك هي خالصة عن جميع الأحكام الدوائية». وفي حديقة الأزهار: «من جنس البقول ومن أنواع القطف، مائية لاطعم لها، لها ورق كورق الريحان تفترش على الأرض». اسمها العلمي في معجمي أحمد عيسى والشهابي Amarantus blitum

---

(*) كتاب ديسقوريدس ١٩٢ (بليطش وهو البقلة اليمانية)، والملكي ١: ١٨٤، وشرح أسماء العقار ٩، ومختارات البغدادي ٢: ٤٤، ومنهاج البيان ٥١ ـ ب، والشامل ١٠٠ (بقلة برانية .. تسمى يمانية وبقلة مغربية)، والمعتمد ٢٩، ومالايسع ٩٥، ومفردات ابن البيطار ١: ١٠٣ (هي البقلة العربية أيضاً والبربوز والجربوز والبلطيس عند أهل الأندلس)، ومفيد العلوم ١٥ (بقلة يمانية هي اليربوز)، وحديقة الأزهار ٤٤ (٣٨) قال: «وتسمى عندنا بفاس اليربوز)، وتذكرة داود ١: ٧٧، ومعجم أحمد عيسى ١١ (١٣)، ومعجم الشهابي ٣١.

. لم أجد لهذه البقلة ذكرًا في معجمات اللغة المعتمدة ولا في المعجم الكبير.

بقلة يهودية*

بقلة يهودية	١: ٢٨٠، ٤٦٠/ ٢: ٣٧٨، ٣٩٧
بقلة اليهود	١: ٤٦٠

ذكرها ابن سينا في أدويته المفردة، وكل ماجاء فيها هو: «بقلة يهودية: الطبع: حرارته فوق الاعتدال».

واكتفى مؤلف مفاتيح العلوم بالقول إن البقلة اليهودية هي بقلة أخرى غير الحمقاء. أما ابن البيطار فقال: «تقال على التفاف، وهو نوع من الهندبا البري. ويقال أيضًا على الدواء المعروف بالقرصعنة وهو الأصح». ثم كررت أكثر المراجع بعده عبارته، لكن آخرين فصلوا وصفها، ففي حديقة الأزهار: «بقلة يهودية. من جنس البقول، وهي على نوعين؛ نوع يستعمل ورقه، ونوع يستعمل ثمره، له نور أصفر، يخلفه ثمر كقناة الرماح فيه بزر كبزر الباذنجان. ويسمى عندنا بفاس بالملوخيا الورقية التي يستعمل ورقها، وغير الورقية التي يستعمل ثمرها، والنوع الثاني هو مانسميه في سورية، البامية»، وهو غير النباتين اللذين ذكرهما ابن البيطار. وفي مالا يسع الطبيب جهله وصف آخر لنباتين يطلق عليهما هذا الاسم، مما يجعل تحديد الاسم العلمي المقابل لهذا المصطلح عند ابن سينا أمرًا متعذرًا.

بَقَّم**

بقم	٢: ١٩٣
ماء البقم	٣: ٢٨٦

(*) مفاتيح العلوم ١٧٣، ومنهاج البيان ٥١ ب، ومختارات البغدادي ٢: ٤٤، ومفردات ابن البيطار ١: ١٠٤، والشامل ١٢٨، ومالا يسع ٩٦، وحديقة الأزهار ٤٧ (٤٠)، وتذكرة داود ١: ٧٧، ومعجم أحمد عيسى ١١٤ (٩)، ١٧٢ (٨)، ومعجم الشهابي ٦٠٨.

(**) كتاب النبات ١: ٥٢، والصيدنة ٩٠، ومنهاج البيان ٥٢، أ، ومختارات البغدادي ٢: ٤٧، والمنتخب ٦١، ومفردات ابن البيطار ١: ١٠٣، والمعتمد ٣١، والشامل ١٢٧، وتذكرة=

لم يرد هذا الاسم في أدوية القانون المفردة، لكنه ذكر عرضاً مرتين، الأولى: داخلاً في تركيب أحد السَّنونات، والأخرى: في تركيب طلاء يحسنُ لون الجلد.

وهو صبغ معروف قد يسمى أيضاً[1] بالعندم، وصفه أبو حنيفة في كتاب النبات فقال: «خشب شجر عظام أحمر يصبغ بطبيخه، وليس من شجر بلاد العرب، ولكنه من نبات أرض الهند وأرض الزنج ... ورقه مثل ورق اللوز الأخضر، فأما السيقان والأفنان فحمر» نقلت هذا الوصف معظم المراجع. وهذا الشجر نوع من القرنيات الفراشية، واسمه العلمي Caesalpina sappan من الفصيلة البَقَّمية. أما البُقَّم بضم الباء فهو اسم من أسماء جوز ماثل، وليس هو المراد في القانون. ضبطته معجمات اللغة بفتح الباء وتشديد القاف المفتوحة، وهو من الأوزان النادرة، وأكثرهم على أنه معرّب، وفارسيته بكم بالكاف العربية وبكم بالگاف الفارسية.

بُلّ *

بل ١: ٢٧١/ ٣: ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٠٠

ذكره ابن سينا في مفردات القانون فقال: «الماهية: قال الهندي: إنه قثاء هندي، وهو مثل قثاء الكبر، وهو مر، ويشبه الزنجبيل .. يقوي الأحشاء .. نافع من صلابة العصب ورطوبته ..

نقل ابن البيطار في مفرداته تعريف كل من الرازي وإسحاق بن عمران والبصري ومسيح لهذا العقار، فاتفق الجميع على أنه عقّار هندي، ونسبوا إليه عدة فوائد لتقوية الأحشاء والنفع من أمراض العصب وغير ذلك. وفي مالايسع الطبيب

= داود ٧٧، وقاموس الأطباء ٢: ٥٧، وشفاء الغليل ٦٥، ومعجم أحمد عيسى ٣٦ (١)، ومعجم الشهابي ١١٩، ٢١٣، ولسان العرب وتاج العروس (بقم)، والمعجم الكبير ٢: ٤٧٠، وبرهان قاطع ١: ٢٩٣ (بكم)، ٢٩٤ (بكَم)، والمعربات الرشيدية ١٩١.

(١) قال البيروني في الصيدنة: «لكن المشهور من العندم عند الصيادلة أنه دم الأخوين».

(*) الحاوي ١: ١٧٠ (قال نذكره مع الشك. ولم أجد الشل في المطبوع)، والصيدنة ٩١ وشرح أسماء العقار ٩، والمنتخب ٦١، ومفردات ابن البيطار ١: ١١٢، والشامل ١٢٨، والمعتمد ٣١، ومالايسع ١٠٧، وتذكرة داود ١: ٨٠، ومعجم أحمد عيسى ٦ (١٥).

جهله وصف مفصل له يظهر أنه جمعه من أقوال سابقيه وهو: «بل اسم للقثّاء الهندي، وهو حب يخرج في غلف طوال لدنة مثل كبار الشفلج[1]، أسود يشبه الذرة إلا أنها أكبر منه، وهي محدودة الرأس، في داخلها لب دسم هو المستعمل، مرة الطعم .. يقوي الأحشاء، ويحلل صلابة العصب، وينشف رطوبته، ويشفي من الأمراض الباردة كالفالج والاسترخاء والنقرس ...». الاسم العلمي لهذا النبات هو Aegle marmelos يطلق على الشجرة والثمر.

ضبطت الكلمة ضبط قلم بضم الباء وتشديد اللام في الصيدنة ومالايسع .. ومعجم أحمد عيسى. واسمه بالفرنسية هو Bel indin بالإنكليزيةBengal quince.

بلابس

بلابس	٣: ١٤٩ انظر بلبوس

بَلاذُر*

بلاذر	١: ٢٣٤، ٢٦٧/ ٢: ٨٦، ٤٨٢/ ٣: ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٥٧، ٢٨١، ٢٨٦، ٣١٠، ٣١٦، ٣٢٧، ٣٥٢، ٣٥٥
البلاذري (أي المعجون البلاذري)	٣: ٣٢٧.

---

(١) الشفلج هو قثّاء الكبر. مفردات ابن البيطار ٢: ٦٤.

(*) الحاوي ٢٠: ١٣٣، والملكي ٢: ٥٧٥ (جوارشن البلاذر)، والصيدنة ٩١، ومنهاج البيان ٥٢ ب. وشرح أسماء العقار ١٠، ومختارات ابن هبل ٢: ٣٩، ومفردات ابن البيطار ١: ١١٣، ومفيد العلوم ١٧، والشامل ١٠٦، والمعتمد ٣١، ومالايسع ١٠٧، وتركيب مالا يسع ٢٧ ب (جوارشن البلاذر)، ٨٩ أ (معجون البلاذر)، وحديقة الأزهار ٦٥(٦٣)، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٨٠، ٢٩٤ (معجون البلاذر)، ومعجم أحمد عيسى ١٦٦ (٢٢)، ومعجم الشهابي ٣٦، والمعجم الموحد ٩، والمعجم الكبير ٢: ٤٩٧، وبرهان قاطع ١: ٢٩٥. وانظر مادة (أنقرديا) التي سبقت في هذا المعجم.

جوارِشْن البلاذر	٣: ٣٢٥، ٤٠٨
دواء البلاذر	٢: ٢١٢
صمغ البلاذُر	٢: ٩٤
عسل البلاذر	١: ٢٦٧/ ٢: ٦٣، ٢٠٣، ٥٤١، ٦١٨/ ٣: ١٢٨، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٥٦، ٣٩٨
قشر البلاذر	١: ٢٦٧
لب البلاذر	١: ٢٦٧
مرهم البلاذُر	٢: ٢٩٥
معجون بلاذر	١: ٢٦٧/ ٢: ٦٢
معجون بلاذري	٣: ٣٢٧
معجون آخر بلاذري	٣: ٣٢٨

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة فقال: «الماهية: ثمرة شبيهة بنوى التمر، ولبه مثل لب الجوز، حلو لا مضرة فيه، وقشره متخلخل متشعِّب في تخلخله عسل لزج ذو رائحة، ومن الناس من يقضمه فلايضره، وخصوصاً مع الجوز ... عسله مقرِّح مورِّم .. ويذهب البرص، ويقلع الوشم ... وهو من جملة السموم».

البلاذر شجر هندي من الفصيلة البطميّة، له ثمرة على شكل القلب تحتوي على مادة زيتية منفِّطة هي التي يدعوها الأطباء عسل البلاذر، أو صمغ البلاذر. ومن أسماء البلاذر في كتب الطب العربية «انقرديا» وهو من اليونانية، ويغلب إطلاق هذا الاسم على المعجون المصنوع من البلاذر[1]، وحبّ الفَهْم، وتمر الفؤاد. الاسم العلمي لهذا الشجر Semecarpus. anacardium. تدخل ثمرة هذا الشجر في صنع عدد من الأدوية المسهلة مثل جوارشن البلاذر، أو الجلدية مثل معجون البلاذر، وحب البلاذر.

ضبطت الكلمة بفتح الباء وضم الذال. وهي من الفارسية بلادر بالدال المهملة.وقال الأمير الشهابي: «أما البلاذر فمن الفارسية، والأصل سنسكريتي».

---

(١) انظر تفصيله في مادة انقرديا.

بَلْبُوس*

بلبوس	١: ٢٤٦، ٢٦٩، ٤٥٤/ ٢: ٢١٢، ٦٢٣، ٦٢٨/ ٢: ٢١٢، ٦٢٣، ٦٢٨/ ٣: ٢٧٨، ٢٨٤، ٢٩٥، ٣٠٢.
بلابس	٣: ١٤٩
بلبوس حلو أحمر	١: ٢٦٩
بلبوس مرّ	١: ٢٦٩
بلبوس نيء	١: ٢٦٩/ ٢: ٢١٢
بلبوس مهريّ	٣: ١٨٤
بصل البلبوس	١: ٣٨٢، ٤٥٤
ماء البلبوس	٣/ ٢٨٤
ورد البلبوس	١: ٢٦٩
ورق البلبوس	١: ٢٦٩

البلبوس من مفردات القانون. قال ابن سينا في ماهيته: «بصل مأكول صغار يشبه بصل النرجس، ورقه يشبه ورق الكراث، ووردُه يشبه البنفسج. ومنه نوع يهيج القيء. وقال قوم: إنه الزير، وقال قوم: لا ...»

لا تختلف المراجع على أن النبات من نوع البصل، لكنها تختلف في أسمائه وفي التمييز بين أصنافه، وأكثرهم على نفي أن يكون هو نفسه بصل الزير أو بصل الزيز كما في بعض المراجع. وهو، كما في معجم الشهابي والمعجم الموحد، جنس نبات عشبي بصلي من الفصيلة الزنبقية، منه أنواع برية تنبت في بعض أنحاء الشام. اسمه

* كتاب ديسقوريدس ٢٢٣، ٣٥٨، والحاوي ٢٢: ١٥، والملكي ٢: ١٢٨، والصيدنة ٩٢، ومنهاج البيان ٥٢ب، والمختارات ٢: ٣٩، والمنتخب من مفردات الغافقي ٦٥، ومفردات ابن البيطار ١: ١٠٩، ومفيد العلوم ١٧، والشامل ١٠٤، وقاموس الأطباء ١: ٢١١، ومعجم الشهابي ٤٤٠، وتاج العروس (مستدرك بعد بلبيس)، والمعجم الكبير ٢: ٥٠٠ .

العلمي Muscari comosum.

ضُبطت بُلْبُوس بضم الباءين وسكون اللام بينهما لأنها معربة من اليونانية -Bu bus. أما عن بلابس التي وردت مرة واحدة في القانون فقال البيروني: «ذكر أبو الخير في الحاشية على متن بولس أن البلابس سرياني». وفي مستدرك التاج: «بلبوس بالفتح هو بصل الزير[1] يشبه ورقه ورق السذاب ذكره صاحب المنهاج».

بَلَح

انظر مادة «نخل» في هذا المعجم ففيها جمعت كل أسماء التمور ومشتقاتها.

بَلَسَان*

بلسان	١: ٢٦٥، ٢٦٦/ ٢: ٢٨٨، ٢٩٩، ٣٢٧
بلسان مغشوش	١: ٢٦٦
أصل البلسان	٢: ٥٠٣
حب البلسان	١: ٢٦٥، ٢٦٦/ ٢: ١٠٠، ٢٩٩، ٣٥٨، ٣٧٥، ٤٠٧، ٤٥٠، ٤٦٩، ٥٠٣، ٥١٥، ٦٠٤/ ٣: ٢٢٠، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٧،

(١) في تاج العروس «الزند» وهو تصحيف».

* كتاب ديسقوريدس ٢٧٠ (بلسامن وهو البلسان)، والحاوي ٢٢: ١٢، والملكي ٢: ١٢٢ (دهن البلسان)، ومفاتيح العلوم ١٧٣ (حب البلسان هو المنشم)، والصيدنة ٩٣، ومنهاج البيان ٥٣ أ (بلسان)، ٨١ب (حب البلسان)، ١٢٣ (دهن البلسان)، ومختارات البغدادي ٢: ٣٨، والمنتخب ٥٧، ومفردات ابن البيطار ١: ١٠٧، ومفيد العلوم ١٦ ـ ١٧ (بلسان)، ٤٩ (دهن البلسان)، وعجائب المخلوقات ٧، والمعتمد ٣٢، ١٧٦ (دهن البلسان)،والشامل ١٠١، ومالايسع ١٠٢، وحديقة الأزهار ٦٤ (٦٢)، وتذكرة داود ١: ٧٩، وقاموس الأطباء ١: ٢١٠، ومعجم أحمد عيسى ٥٥ (٧)، ١٢٠ (٧)، ١٦٢ (٨)، ومعجم الشهابي ١٧٧، ولسان العرب وتاج العروس (بلس)، ومستدرك التاج (بلسم)، والمعجم الكبير ٢: ٥٢٣، ٥٢٤ .

قال ابن سينا في الأدوية المفردة: «بلسان. الماهية: شجرة مصرية تنبت في موضع يقال له عين الشمس فقط، شبيهة الورق والرائحة بالسذاب، لكنها أضرب إلى البياض، وقامتها قامة شجرة الحضض، ودهنه أفضل من حبه، وحبه أقوى من عوده في الوجوه كلها، ودهنه يؤخذ بأن يشرط بحديدة بعد طلوع الشعرى، ويجمع مايرشح بقطنة، ولا يجاوز في السنة أرطالاً. قال ديسقوريدس: لا تكون هذه الشجرة إلا في بلاد اليهود وهي فلسطين، فقط في غورها وقد تختلف بالخشونة والطول والرقة».

اتفقت المراجع على أن البلسان شجرة طيبة الريح اسمها بالرومية بوبلسمون، يُتداوى بدهنها وعودها، ودهنها عزيز غالي الثمن يباع في أرضه بضعف وزنه فضة. لكنها اختلفت في الكلام على حجمها وحبها ومنابتها خاصة، فمن قائل لا تنبت إلا بعين شمس في مصر وهو ما قاله ماسرجويه وابن سينا نقلاً عن القدماء[1]، ومن قائل إنها تنبت في غور فلسطين وهو ما قاله ديسقوريدس ونيقلاوس[2] وغيرهما، ومن

(١) انظر الصيدنة ٩٣.

(٢) انظر كتاب ديسقوريدس ٢٧ والصيدنة ٩٤.

متعجب لهذا التحديد لأنه وجده شائعًا معروفًا في بلاد الحجاز[١]. والذي يظهر بعد التأمل أن هذا الاسم أطلق على جنسين من النبات لكل منهما أنواع، ميز بينهما ابن الخشاء الذي قال: «بلسان: شجرة لايعرف في شيء من المعمور إلا بعين شمس من ديار مصر، ولبنه موجود عندهم في غاية العزة، وعوده موجود كثير يحمل لجميع البلاد، وحبه معدوم البتة حتى في موضعه لأنهم لايتركونه يثمر، لأن لبنه لايكون إلا في قضبانه الرخصة النابتة من أوتاده أول السنة ثم لايكون فيها لبن، وهو لايثمر من سنته لأنه من جنس الشجر، وأيضًا لئلا يحمل ثماره، ويمكن أن يصادف بقعة تنبته. وأما الحب المجلوب المسمى حب البلسان فإنما هو حب شجر يشبهه جدًا وكأنه من نوعه، يسمى البشام، كثيرًا مايجلب مع حطب البلسان تدليسًا وتمويهًا. ومن البلسان صنف بري بجبال الحجاز ينبت مع البشام ولا لبن له». وابن النفيس الذي قال فيما نقله عنه القوصوني[٢]: «لفظ البلسان يقال على نباتين أحدهما يخص باسم البشام وينبت كثيرًا بأرض الحجاز، وله حبٌ وعود، وهما المستعملان في إيارج فيقرا، وثانيهما إنما ينبت في زماننا وما يقرب منه في بستان بقرية تعرف بعين شمس وتسمى أيضًا بالمطرية، وهي من بلاد مصر، وهذا النوع لا حب له. ودهن البلسان هو المتخذ من هذا النوع. وأما الأول فهو يشبه الثاني جدًا في ورقه ورائحته، وأما لو اتخذ منه دهن فهل يكون المتخذ من النوع الثاني أولا؟ فإني أتردد في ذلك». وفي كتاب الشامل معلومات طريفة تؤيد الشكوك التي أبداها ابن هبل في مختاراته، وتبين أن تخصيص عين شمس بإنبات هذا النوع من الشجر ماهو إلا مؤامرة بنيت على خرافة قديمة الهدف منها احتكار دهن البلسان والمغالاة في ثمنه. قال المؤلف[٣]: «إن هذا النبات يوجد كثيرًا ببلاد فلسطين والشام ومايقرب من ذلك ... ثم صار بعد ذلك إنما يوجد في بستان

---

(١) جاء في تاج العروس: « .. إلا بعين شمس .. قال شيخنا: وهذا غريب ، بل المعروف المشهور أن أكثر وجوده ببلاد الحجاز بين الحرمين والينبع ويجلب منه لجميع الآفاق. قلت: وهذا الذي استغربه شيخنا فقد صرح به غالب الأطباء ..».

(٢) قاموس الأطباء ١: ٢١١.

(٣) الأرجح أنه ابن النفيس. وفي كلامه على البلسان إذا ماقورن بما نقله القوصوني دليل على ذلك.

بقرية تعرف بعين شمس من قرى مصر. وسبب ذلك أن المسيح صلوات الله عليه اغتسل في ذلك البستان وبقي من غسله شيء من الماء، وأخذت هذا الماء أمه مريم عليها السلام، ورشته في أرض ذلك البستان ونبت من ذلك الرش ذلك النبات. ودهن هذا النبات عندهم هو من الدهن الذي مصل في ذلك الماء في بدن المسيح عليه السلام ... ولما بلغ ذلك صاحب مصر منع الناس من غرس هذا النبات في غير هذا البستان، واحتاط على هذا البستان، وعلى دهن هذا النبات، وجعل له ديوانًا مستقلاً، ومنعه من الخروج من يد حفظته إلا لمن أحب ولمن يبذل له ما أحب من مال وغيره، فلذلك بقي هذا النبات مختصًا بذلك البستان . وبلغني من ثقة أن الملك الكامل ابن الملك العادل رحمهما الله لما بلغه أن هذا النبات يمكن حصوله في مواضع خارجة عن ذلك البستان، وأراد الاستكثار من ذلك النبات ومن دهنه فأمر بتوسيع هذا البستان وأوهم أن الأمر الذي في هذا الدهن .. إنما هو أمر في البئر التي يسقى منها ذلك البستان لافي أرض ذلك البستان ... الخ». ثم فسر عدم وجود حب البلسان[1] المعروف بذلك الموضع بمثل مافسره ابن الخشاء.

الاسم العلمي لهذا النبات الذي يستخرج منه دهن عطري يُتداوى به يعرف ببلسم مكة، هو: Commiphora opobalsamum من الفصيلة البخورية. أما البلسان والبيلسان في الاصطلاح المعاصر في مصر والشام فتدل على نبات آخر[1].

ضبطت كلمة البلسان بالتحريك في تاج العروس وقاموس الأطباء لفظًا، وفي سائر المراجع ضبط قلم. إلا في حديقة الأزهار والمعجم الكبير حيث ضبطت بتسكين اللام وأحيلت إلى بلْسام مقابلة للفظ الأجنبي Commiphora opobalsamum[2].

(١) معجم الشهابي ص ٦٢٢.

(٢) وفيه بلسان بالتحريك شرحت بأنها شجر صغار كشجر الحناء كثير الورق يضرب إلى البياض شبيه بالسذاب في الرائحة. والمقارنة بين ماجاء في هذا المعجم والمعجم الوسيط لمجمع القاهرة نفسه توقع الباحث في حيرة واضطراب.

بلعون

بلعون	١: ٤١٣ اسمٌ مصحَّف لعقار نباتي انظر تحقيقه في (فلين)

بلنجاسف

سبق ذكره في مادة (برنجاسف).

بَلُّوط*

بَلُّوط	١: ٢٧٦، ٢٧٧. ٢٩٠، ٣٩٥، ٤٠٤، ٤٥٨/ ٢: ٢٠٤، ٢٣٦، ٣٤١، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٧٢، ٦٢٢/ ٣: ٤٣٥.
بلوط مشوي	٢: ٤٣٩
بلوط مقلو	٣: ٣٨٨
بلوط يابس	٣: ٣٥٩
ثمرة البلوط	١: ٢٧٧/ ٣: ٢٤٦
جَفْت البوط	١: ١٥٧، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٨،/ ٢: ١٨٠، ١٩٥، ٢٣٨، ٣١٦، ٣٢؛، ٤٤٠، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٩، ٥٨٧، ٣٦٩/ ٣: ٤٣٥

* كتاب ديسقوريدس ١٠٢ (دروس وهو شجرة البلوط)، والملكي ١: ١٩٠/ ٢: ١١٩، والصيدنة ٩٧، ١٣٦ (جفت البلوط) ومنهاج البيان ٥٢ أ، ٦٨ب (جفت البلوط) وشرح أسماء العقار ٨، والمنتخب ٦٠، ومفردات ابن البيطار ١: ١١٠، ومفيد العلوم ٣٠ (جفة البلوط)، والمعتمد ٣٤، ٦٩ (جفت البلوط)، والشامل ١٠٥، ومالا يسع الطبيب جهله ١٠٥، وحديقة الأزهار ٥٧ (٥٢) بلوط، ٨٣ (٨٦)جفت البلوط، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٧٩، وقاموس الأطباء وناموس الألباء ١: ٢٤٥، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ١٥٢ (٦، ٧، ٨، ٩، ١٣) ومجلة المجمع العلمي بدمشق ٢٣: ٣٢٩ (الألفاظ السريانية في المعجمات العربية)، ومعجم الأمير مصطفى الشهابي ١٤٥، والمعجم الموحد ١٣٢ (ثمر البلوط)، ١٤٦ (البلوط)، ولسان العرب وتاج العروس (بلط)، والمعجم الكبير ٢: ٥٣١، وبرهان قاطع ١: ٥٧٧.

ذكر ابن سينا البلوط في كتاب الأدوية المفردة فقال: «الماهية: هو معروف وقابض .. وأشد مافي البلوط قبضاً هو جفته، وهو قشرة الداخل..» وقريب من هذا ماجاء في سائر كتب المفردات، فهي لم تهتم كثيراً بوصفه لأنه معروف إلا من يحرص على التفصيل مثل مؤلف الشامل الذي قال: «البلوط نبات معروف، وهو شجر عظيم صلب رزين يلقي، ورقه مستدير عفص مع مرارة، وثمره له غلاف حسن الظاهر، وقشر صلب صدفي وتحته قشر غشائي، وفي داخله اللب وهو كثيف أرضي في طعمه قبض ومرارة تذهب إذا سلق، ويحدث بدلها تفاهة ..» ونبه ابن الكتبي على أن اسم البلوط إذا أطلق فإنما يراد به الثمرة.

أما جفت البلوط فهو ـ كما قال ابن سينا وابن الخشاء والكوهين العطار وغيرهم ـ القشر الذي يلف جرم الثمرة تحت القشرة الخارجية الصلبة، وهو أكثر أجزاء البلوط استخدامًا في الأدوية. الاسم العلمي للبلوط هو Quercus وهو جنس شجر من الفصيلة البلوطية ومن أهم أشجار الأحراج.

أما دهن البلوط فيستخرج منه بأن تجفف الثمرة وتسحق وتنقع في ماء ساخن، ثم تعصر بترتيب معيّن شرحه ابن سينا في الأقرباذين حيث قال: إن طريقة عمله هي نفس طريقة عمل دهن اللوز، وكان قد شرحها في الصفحة نفسها.

ضبطت لفظة بَلُّوط كتَنُّور في القاموس المحيط وغيره. وهي من الألفاظ المعرَّبة، ونقل الشهابي عن مايرهوف أنها من الآرامية، وعدَّها البطريرك أفرام الأول في الألفاظ السريانية المعربة. أما لفظة جَفْت فضبطها كل من أحمد عيسى والشهابي بفتح الجيم، وسكون الفاء والتاء المبسوطة. قال الشهابي: «وجفت من الفارسية بمعنى قشرة وبطانة وجلد» ووجدتها في برهان قاطع مضبوطة بالفتح معزوة إلى العربية. ولم أجدها في المعجمات العربية. وفي مفيد العلوم كتبت «جُفة» بالتاء المربوطة وبضم الجيم. وكلمة جُفت بضم الجيم في المعجمات الفارسية تعني المزاوجة والمطابقة في الشكل بين شيئين متلازمين.

بلوط الأرض*

بلوط الأرض ١: ٣٣٩

في أثناء الكلام على كما دريوس قال ابن سينا: « ... وعشبه يسمى عند اليونانيين بلوط الأرض».

بلوط الأرض هو تفسير لمعنى كما دريوس أو خماغذريوس باليونانية. سمي بهذا الاسم لأن ورقه يشبه ورق البلوط. وانظر مادة (كما دريوس) في المعجم.

* مفردات ابن البيطار ١: ١١١، وانظر مراجع كمادريوس. والمنتخب من مفردات الغافقي ٨١.

بَلُّوطَة، بَلاَليط*

بَلُّوطة	١: ٣٥٢/ ٢: ٥٩٤
بلوطة طولها ستة أصابع	٢: ٤٦٢، ٤٦٣
بلاليط	٢: ٤٣٨ بلاليط متخذة من خبز وسكر
	١: ١٥٣
بلاليط النواصير	١: ٣٥٢
أمثال بلاليط	١: ٣٦٩

استعمل ابن سينا هذا المصطلح للدلالة على شكل من أشكال الأدوية المركبة ولم يوضح اصطلاحه.

جاء في أقرباذين القلانسي قوله: «الشياف اسم لما يتحمل في المقعدة ... وقد تسمى أيضًا البلوطة والبندقة والفتيلة» واستعمال ابن سينا للفظة في كتاب القانون يوافق هذا التعريف، سواء في ذلك المفرد بلوطة والجمع بلاليط. إلا في موضع واحد حيث كان يتكلم على فطام الطفل فقال:[1] «ويجب أن يكون الفطام بالتدريج لادفعة واحدة، ويُشغل ببلاليط متخذة من خبز وسكر، فإن ألح على الثدي واسترضع ...» واضح هنا أنه يريد شكل الخبز والسكر المكورين على هيئة البلوطة يمصها الطفل لتشغله عن الثدي. فلعل المصطلح بدأ على التشبيه، ثم خُص به مايحتمل في المقعدة.

مصطلح بلوطة منقول من ثمرة البلوط الذي ضبط في المعجمات كتنور. أما بلاليط التي استعملها ابن سينا جمعًا لبلوطة، فلم ترد في المعجمات بهذا المعنى. جاء في القاموس المحيط: «البلاليط الأرضون المستوية» وأضاف صاحب اللسان والتاج: «قال السيرافي ولا يعرف لها واحد».

فلفظ بلوطة المجموع على بلاليط هو اصطلاح صيدلاني محض.

---

* أقر باذين القلانسي ٥٥، والقاموس واللسان والتاج (بلط).

(١) القانون ١: ١٥٣ .

(التعريف والنقد)

تحقيق كتاب «الفُصوص» لــ:صاعد البغدادي

(قراءةٌ في المَنْهَج)

د. محمد رضوان الداية

في الكتب التي اشتهرت في القرن الهجري الرابع في الأندلس كتاب «الفصُوص»: ألّفه وأملاه الأديب المشرقي صاعد البَغْداديّ الذي وفَدَ على قُرطبة، ونال خطوةً لدى الحاجب (بمثابة الوزير الأول) محمد بن أبي عامر المتلقّب بالمنصور.

ولِشُهْرَة كتابِ الفُصوص قصّةٌ وخبَر. وقد اختلطت شُهرة الفُصوص بشُهرة صاحبِه، وشخصيّته. وكان لأهْلِ الأندلس في ذلك الوقت رأيٌ فيه وفي كتابه.

وقد صدر كتاب الفُصوص بتحقيق د. عبد الهادي التازي[١]. فهذه كلمةٌ في الكتاب وصاحبه، ونظرةٌ في تحقيقه وشرحه مصحوبة بشكر المحقّق على عمله في الكتاب، وتقديمه إلى القُرّاء في المغرب والمشرق.

[١]

انقطعت الأندلس عن المشرق سياسيًا وإداريًا منذ انقضاء الدولة الأمويّة بالشام مع ظُهور المُسَوّدة العباسية ١٣٢هـ؛ وأدار الأَندلسيّون شؤونهم بأنفسهم (بين ١٣٢- ١٣٨) حتّى دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بلاد الأندلس، وأعاد دولة بني مَرْوان ثانيةً، وبقيت من ١٣٨ إلى ٤٢٢هـ. ولكنَّ العلاقات الثقافية والحضارية والتجارية استمرَّتْ وتطوّرت مع اختلافِ أحوال البلاد والعباد؛ فخَرج الأندلسيّون إلى المشرق في مواسم

حجّهم، وابتغاء شؤون حياتهم الأُخرى من طلب العلم إلى سائر مقاصد الضَّرب في الأرض على امتداد الخريطة العربية الإسلاميّة.

وبقيت الأندلس – على تقلّب عُصورها- قبلة أنظار المشارقة من المَشارب المُختلفة: أَهلِ التّجارةِ، والصّناعةِ، وحَملةِ العلمِ، والرّاغبين في اكتشاف البَعيد الغريب، والنّائي المَجْهُول.

وأسْهم أُمراء بني أُميّة وخُلَفاؤهم في تعزيز الصّلة بالمَشْرِق، وفي اسْتِجلاب الكُتب الجديدة، والمصادر النفيسة، إضافةً إلى استزارة العلماء الأفذاذ والباحثين الكبار من أمثال أَبي علي القالي البغدادي، وزرْيَاب (عليّ ابن نافع) عبقريّ المُوسيقى الشّهير. واستَوْعَبُوا القادمين إلى الأندلس ذوي الخبرة والمَعْرِفة العالية والثقافة المميّزة. وكانت المشاركة العلميّة والأدبيّةُ الواعية من الخلفاء والأُمراء عاملاً مؤثّرًا في استقطاب أهل العِلم والفنّ والأدب من الأندلسيّين أنفسهم، ومن الوافدين إلى الأندلس معًا.

ومن جهة أُخرى فإن المناخ الثقافي والحضاري في قُطر الأندلس كان على درجة عالية من الاستعداد، والمعرفة، والخبرة، وعلى درجة عالية من النتاج ومن الإبداع، ومن القدرة على النقد والتقويم.

[٢]

وحين وفد إلى الأندلس – مُغَامَرةً[٢]- أبو العلاء صاعد البغداديّ كانت الأندلس قريبة عهد بشخصية مهمّة من علماء المشرق في اللغة والأدب ورواية الشعر؛ والمعرفة بأحوال العرب ومعارفهم وفنونهم هو أبو علي القالي البغدادي[٣] الذي وفد على الأندلس أيّام خلافة عبد الرحمن بن محمد (الناصر/الثالث ٣٠٠- ٣٥٠)، وفي ظل وليّ العهد الحكم بن عبد

الرحمن، الذي أخذ بعض علومه ومعارفه ومجالي ثقافته عن أبي عليّ القالي.

وعلى عِظَم مكانة أبي علي من العلم، وتقدير أهل العلم في الأندلس لعلومه ومؤلّفاته تصدّى له بعضهم بالاستدراك عليه، والتنبيه على أوهامه، مع التنويه بالفائدة الكبيرة التي أفادها الأندلسيون من محاضراته ومذاكراته وأماليه ومؤلفاته.

وتصدّى صاعد البغدادي - بإعلان خاص وعام- لتأليف كتاب يُضاهي به كتاب أبي علي القالي الذي أملاه في الأخمسة في المسجد الجامع بقرطبة، وفي المسجد الجامع بالزَّهراء[٤] (الضاحية التي بناها عبد الرحمن النّاصر، وصارت كالعاصمة الثانية).

أمّا الإعلانُ الخاصّ فكان عند محمد بن أبي عامر الحاجب (بمنزلة كبير الوزراء في المشرق) المتغلّب على الدّولة الأموية المروانيّة، حين كان صاعد في رعايته، ومن المداومين على حضور مجلسه. وأما الإعلان العام فكان أمام العلماء والأدباء في الأندلس. وكانت تلك البلاد آنذاك في ذروة الألق العلمي والفكري والأدبي والفنّي.

وقد أعلن صاعد أنّه سيؤلف كتابًا مثل كتاب أبي عليّ، ومن عبارته «إذا أراد المنصور - يعني ابن أبي عامر- أمليتُ على مقيّدي خدمته وكتّاب دولته كتابًا أرفع منه قَدْرًا، وأجَلّ خطرًا؛ لا أُدْخِلُ فيه خَبرًا ممّا أَدْخَلَهُ أبو علي...»[٥]. فأذنَ له المنصور في ذلك.

وتمّ مراد الرَّجُلين: صاعد يريد الصّعود في قصر الحاجب والمكان، والمكانة والزيادة في العطاء؛ وابن أبي عامر له غَرضٌ أيضًا سيمّر الحديث عنه في ما يلي.

[٣]

صاعد البغدادي – كما اشتهر الرّجلُ في الأندلس- هو أبو العَلاء صاعد بن الحسن الرَّبعي، المتوفَّى سنة ٤١٧هـ. حَلاّهُ الحُمَيْدِيّ الأندلسي نزيل المشرق بعبارات مختصرة دالة، فقال فيه: «كان عالمًا باللغة والآداب والأَخبار؛ سريع الجواب، حسَن الشعر، طيّب المعاشرة، فكه المجالسة ممتعًا»[٦]. فهذه الأوصاف تختصر جملةً مهمّة ممّا كان عليه صاعد، أو ممّا اشتهر به. وقد رجا الحاجب ابن أبي عامر أن يكون صاعد في ظل سلطته كما كان القالي في ظل عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم؛ فأكرمه –كما روى الحميدي- «وزاد في الإحسان إليه، والإفضال عليه»[٧]. وكان صاعد كما وصف «محسنًا للسؤال، حاذقًا في استخراج الأموال (الحصول عليها) طَبًّا (خبيرًا) بلطائف الشكر»[٨].

وهكذا كان لكل واحد من الحاجب وصاعد مصلحة وفائدة. فالحاجب يريد شخصية عامّة لافتة للانتباه يُحَسّن بها زمانه، وتزيد بها أبّهة ملكه، وتشيع -به- في الناس عنايته بالأدب والفكر والفن؛ وصاعد يريد المزيد من المال الذي ضرب من أجله في الأرض، وجاء إلى الأندلس من مكان قصيّ!.

وروى الحُميديّ خبرًا طريفًا عن بعض أساتذته قال: إن أبا العلاء صاعدًا دخل على الحاجب يومًا في مجلس أُنس وقد لبس تحت ثيابه قميصًا اتّخذه (صَنَعَهُ) من رِقاع الخرائط (جمع رقعة، وخريطة): قطع الجلد التي تُخاط وتوضع فيها النقود (وأشياء أخرى)، وهي الرّقاع التي حصل عليها من عطاء الحاجب. فلمّا خلا المجلس، ووجد صاعد فرصةً مواتية خلع دثاره (ثوبه الخارجي) وبقي في قميصه الذي اتّخذه من تلك الخرائط. فقال له الحاجب: ما هذا؟ فقال: هذه رقاعُ صِلاتِ مولانا، اتّخذتُها شعارًا (ثَوْبًا داخليًا)، وبكى! وأتبع ذلك من

الشكر بما استوفاه. فأعجب ذلك المنصور، وقال له: لك عندي مزيد!

وعلّق الحميدي على الخبر فقال: «وكان صاعد قد نفق عند المنصور»[٩]، فقد حظي بإعجابه، ورضاه عنه.

[٤]

تظهر في صاعد -كما يتردّد في أخباره- شخصيّة النّديم التي تخالط فيه شخصية المحاضر والأديب، ولعلّها تغلبها.

وتبرز من شخصية النديم عند صاعد: البراعة في المحاورة، والزاد الثقافي العام، والقدرة على التخلّص، والتصرّف في المواقف، وسرعة البديهة عند المفاجآت.

يضاف إلى هذا موهبة أخرى هي التأليف القصصي. فقد ألّف للمنصور بن أبي عامر كتابًا سمّاه: «الهَجَفْجَف بن غدقان بن يثربيّ مع الخِنَّوت بنت مخرمة بن أُنَيف» وكتابًا آخر سمّاه: «الجوّاس بن قعطل المذحجي مع ابنة عَمّه عفراء». وقد وصف ابن حزم كتاب الجوّاس بأنه «مليحٌ جدًّا»[١٠]، وقال: إن ابن أبي عامر كان كثير الشغف بكتاب الجوّاس حتى إنّه رتّب له مَنْ يُخرِجُه أمامه في كلّ ليلة. وإذا كان الكتاب مفقودًا فإن شيئًا مهمًّا قد بقي منه، وهو معرفتنا أنّه كان كتابًا قصصيًا ممتعًا يَصلُح أن يُقرأ للاستمتاع، ويصلح أن يقوم مخرجٌ بإخراجه في حلقات ليليّة في مجلس الحاجب.

وزاد صاحب إنباه الرُّواة موضوع الكتاب وضوحًا فقال عن صاعد: «وكان يصنّف كتبًا في أخبار العُشّاق، ويسمّي أسماءً غريبةً لا أصْلَ لها، وينسب إليها كلامًا منظومًا ومنثورًا يرصّعها من قوله وقول غيره. فمنها كتاب الهجفجف وكتاب الجوَّاس...»[١١].

ولا يغيبُ عن البال أنّ صاعدًا البغدادي كان معاصرًا لبديع الزمان الهمذاني (توفي سنة ٣٩٨هـ) وفي ظل الزمان الذي ظهرت فيه المقامات، وهي «قصص درامية صغيرة»[١٢]، وهي أيضًا «نوع من القصص القصيرة تحفل بالحركة التمثيلية»[١٣].

ويفيدُ في هذا التقديم الإشارةُ إلى مؤلّف أندلسي كان طبيبًا وأديبًا وكاتبًا عُرِفَ بابن الكتّاني الطبيب صاحب كتاب «التشبيهات من أشعار أهل الأندلس»[١٤]، واسْمُه: محمد بن الحسين، أبو عبد الله المذحجي، الذي كان «دقيق الذّهن، ذكيّ الخاطر، جيّد الفهم، حَسَنَ التّوليد»[١٥]. وروى الحميدي عن أُستاذه ابن حزم الخبير بالأندلس وأهلها أنّ ابن الكتّاني ألّف كتابًا سمّاه: «كتاب محمد وسُعْدَى» مليحٌ في معناه[١٦].

ولنقارن بين قول ابن حزم في كتاب صاعد «مليحٌ جدًّا» وقوله في كتاب ابن الكتّاني: «مليحٌ في معناه»!

وشيء آخر هو أنّ ابن الكتّاني من مَذْحج (اليمنية)، وكانت وفاتُه نحو ٤٢٠ هجرية عن نحو ثمانين عامًا[١٧]. فإذا كان دخول صاعد البغداديّ الأندلس نحو سنة ٣٨٠هـ فمعنى هذا أن ابن الكتّاني كان آنذاك: في نحو الأربعين من عمره. ونقدّر تقديرًا مقاربًا - وقد يكون تقديرًا غالبًا- أن يكون كتابه (محمّد وسُعْدَى) وقْتَها منشورًا متداولاً.

وانظرْ في اسْمَي كتابَيْ صاعد تجد أثر اليمن فيهما حين اختار الأسماء المتخيّلة، ففي الأول: ابن يثربيّ. وطرفا يثرب كانا من اليمن: الأوس والخزرج. وفي الثاني نسبة المذحجي، والاسم يمنيّ أيضًا.

والمفارقتان اللتان تُضافان هنا:

– أنّ ابن الكتّاني كما سبق: مَذْحِجيّ، فهل كان صاعدٌ يضاهيه أيضًا ويسابقه ؟

– والأمر الآخر أنّ ابن أبي عامر من اليمن، فهل كان صاعد يُمالئه على عصبيّته القبلية ؟

فإذا صحّ ما أَلْمَحْتُ إليه واستَنْتَجْتُه من شخصيّة صاعد ومطامحه ووجوه تصرّفه ظهر سببٌ آخر من أسباب وقوف أهل العلم والأدب واللّغة من الأندلسيّين في وجه استرسال صاعد البغدادي، وفي إظهار جوانب ضعفه، أو الحكم عليه بالتزيّد والمَخْرَقة، كما نقل ابنُ بسّام؛ فقد ضمن صاعد للحاجب ابن أبي عامر أن يؤلّف كتابًا يكون أَرْفَع من كتاب القالي قَدْرًا، وأجَلّ خطرًا، وقال عن كتابه الذي سمّاه الفُصوص «لا أُدْخِلُ فيه خبرًا ممّا أدخَلَهُ أبو علي». فأذِنَ الحاجب لصاعد، الذي «جلس بجامع مدينة الزهراء يُملي كتابه المُتَرْجَم (المُعَنْوَن) بالفُصوص؛ فلمّا أكمله، وتتَبَّعَهُ أُدباء الوقت لم تمرّ كلمة فيه زعموا صحّتها عندهم ولا خبر ثبت لديهم..»[١٨]!!

[٥]

استفاضت أخبار صاعد في الكتب الأندلسية والمشرقية المنقولة عن مجالس ابن أبي عامر حيث كان يلتقي الأُدباء والعلماء والشعراء.

ويلاحظ قارئ هذه الأخبار:

– الإشادة ببراعة صاعد، وهي براعة، كما سجلت تلك الأخبار، تعتمدُ حين تُلجئه الحاجة على الاختراع والتزيّد والادّعاء، أو كما قال ابن بسّام: «وصاعد على تَتابُعِه في الكذب، ولجاجته بين الامتهان وسوء الأدب

قد أخذ بطرفٍ من الترفيق، وخلا بجانبٍ من لقم الطَّريق...»[١٩]!

– واستصغار شأن صاعد بالقياس إلى أبي علي القالي، ومكانته في اللغة والنحو والرِّواية. وفي الذخيرة (٤/١: ١٥) أن أبا بكر الزبيدي تلميذ القالي وصاحبه قال عن صاعد «صاحبكم مُمَخْرِق!»[٢٠].

– الاستهانة بكتاب الفصوص الذي لم يكن؛ كما جرى التصريح بذلك في مجلس الحاجب؛ منافِسًا لكتاب أبي علي، ولا مقاربًا له.

ووصل الأَمْرُ ببعض هؤلاء الجُلَساء إلى الادّعاء ادّعاءً ظالمًا على صاعد، وإلى تشويه جانب من براعته؛ كقصّة ابن العريف الأندلسيّ الذي ادّعى أن شعر صاعد الذي قاله ارتجالاً بمناسبة إهداء وردٍ من البواكير إلى الحاجب هو شعر مشرقي قديم؛ ولفّق ذلك ببراعة أقنعت الحاجب بسرقة صاعد لشعره الذي هو له حَقّـًا![٢١].

ولا يغيبُ عن البال أنّ ابن أبي عامر كان يريد لصاعد البغدادي أنْ يزيّن عهده، ومجالسه، وأن يزيد في ألق الهالة التي رسمها الحاجب حول نفسه، ولكنّ قضيّة العلم والأُستاذيّة لا تحتملُ مجاملة أحد في زمان أندلسيٍّ عالي القيمةِ العلمية والحضاريّة.

[٦]

«ألّف» صاعد البغدادي كتابه الفصوص سنة خمس وثمانين وثلاثمئة، ونقرأ في صلة ابن بشكوال: «جمع أبو العلاء للمنصور محمد بن أبي عامر كتابًا سمّاه الفصوص، في الآداب والأشعار والأخبار. وكان ابتداؤه له في ربيع الأول سنة خمس وثمانين، وأكمله في شهر رمضان من العام»[٢٢].

قال مؤرّخ الأندلس ابن حيّان، وهو يسوق الخبر كما أورده ابن

بشكوال: «وأثابه المنصور (على الفصوص) بخمسة آلاف دينار في دفعة؛ وأمره أن يُسْمِعَهُ النّاس بالمسجد الجامع بالزاهرة[٢٣] في عقب سنة خمس وثمانين وثلاثمئة، واحتشد له من جماعة أهل الأدب ووجوه الناس أُمّة» قال ابن حيان «وقرأتُه عليه منفردًا في داره سنة تسع وتسعين وثلاثمئة».

فقد مرّ كتاب الفصوص بمرحلتين: التأليف من جهة، والمحاضرة والإلقاء من جهة أُخرى. وهذا هو تلميذه ابن حَيّان يذكر أمرًا آخر هو قراءة بعض الخاصّة الكتاب على مؤلفه في داره.

ونُسِخَ من الكتاب في زمان المؤلف نسخٌ لتكون بين أيدي الدارسين والمتابعين. ولا يمكن أن تكون النسخة التي غرقت أو أُغرقت هي نسخة المؤلف الوحيدة. ومن طرف آخر فإننا لا ندري متى كانت واقعة تغريق كتاب الفصوص. وخبر إغراقه ثابت في الذخيرة[٢٤]؛ قال ابن بسّام في الكلام على بعض مجالس ابن أبي عامر، ودوران الحديث على صاعد «حتى إنّهم سألوه (سألوا الحاجب) أن يأمُرَ بتسفير (تجليد) كاغد (ورق) أبيض وتغيير بهجته ليدلّ على القِدَم؛ ففعل؛ وتَرْجَم على ظهر ذلك السِّفر (عَنْوَن) بـــ كتاب النكت تأليف أبي الغوث الصّنعاني؛ فترامى إليه صاعد حين رآه، وجَعَل يُقَلّبُهُ وقال: إني والله قرأتُه بالبلد الفُلانيّ على الشيخ أبي فلان؛ وهذا خَطُّه!! فأخذه المنصور من يده خوفًا من أن يفتحه، وقال: إن كنت رأيْتَهُ كما تَزْعُم فعَلامَ يحتوي؟ قال: ورأسكَ لقد بَعُدَ عهدي به، ولا أنُصُّ منه شيئًا، ولكنه يحتوي على لغة منثورة لا يشوبها شعرٌ ولا خَبر! فقال له المنصور: أبْعَد الله مثلك! فما رأيتُ الذي هو أكذب منك! وأمر بإخراجه، وأن يُقْذَف بكتابِ الفصوص في النّهر. وفي ذلك يقول بعض شعراء العصر:

قد غاصَ في البحر كتاب الفصوصْ وهكــذا كُــلّ ثقــيلٍ يغــوصْ

فجاوبه صاعد بقوله:

عــادَ إلى مَعْدِنــهِ إنَّمــا تُوْجَــدُ في قَعْرِ البحارِ الفُصوص!

[٧]

قال صاعد في صَدر كتابه بعد ذِكر الحاجب ابن أبي عامر وتبجيله: «فقد أمرني أدام الله نصره أن أجمع له من حفظي ما استَطَفّ من نخيلةِ شِعر، وغريبة خبر، وعقيلة كَلِم ندّت عن الكتب المتداولة كالكامل وغيره من كتب النوادر؛ إذْ قد تساوى الناسُ في تعاورها، وتكافؤوا في نقلها...»[٢٥]، ثمّ ذكر بعض شيوخهِ، ورواياتهِ، وثلاثة آلاف ورقة نسخها من عيون الكتب، لكنها ذهبت منه في غمرة بعض الأحداث. وهاهو ذا يؤلف الكتاب الموعود على شروط اشترطها: «ولم أضمّن كتابي إلاّ ما نَقَلْتُه من خطّ منسوب، أو تَلَقيْتُهُ مِن فِيْ (فم) عالمٍ، فلم أسَطّره إلاّ في سويداء القلب حذار أن يزيغ عن الذّكر، أو أعوّل على تضمين الكتاب. وتصنيف المَرْءِ مَخْلاةُ عقله...»[٢٧].

فكتاب «الفُصوص» كتاب يُعطيه القِدَمُ قيمةً خاصّةً (صُنّف في القرن الرابع الهجري) وهو من تأليف مشرقي ألّفه وأملاه في بلاد الأندلس. فهو – بهذا المَلْمَح- يشابه ما كان من أمر أبي عليّ القالي. ثم أقول: إنّ المؤلف اشترط تقديم الجديد الغريب الذي لم يُبتذل ممّا يعرفه الأندلسيون المعاصرون، وأنْ يضع فيه من العلم والرواية ما يحرص صاحبه على تبليغه، وعلى أداء أمانة العلم فيه؛ قال في مقدمة الكتاب:

«وحَذِرْتُ خِلاجَ الأجل، واعتياقَ طوارق العلل، فيموت بموتي ما

وعَيْتُهُ، ويُدْرَج في ضريحي ما حفظْتُه. وأشفقتُ من المأثور عن النبيّ ﷺ:(مَنْ كتمَ علمًا ألجمه الله بلجام من نار)...»[٢٨].

فالأمر ذو أهمية. وإخراج الكتاب اليوم إلى النّاس مهمة ذات خصوصيّة. وهو يدخل في إحياء التراث عامّةً، والتراث الأندلسي خاصّة. وهو يُلقي الضوء على شخصية صاعد، ويسترجعُ جانبًا من حال الأندلس الثقافية في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وهي فرصةٌ للنظر في شخصيّة المؤلف «الخلافية» إن صح الوصف، أو صحّت العبارة.

[٨]

تَصدّى لإخراج كتاب الفصوص ودراسته الدكتور عبد الهادي التازي: **جَعَلَ الدراسة** في جزء مستقل في نحو ٤٠٠ صفحة كان حظ كتاب الفصوص منها نحو مئة وعشرين صفحة. علمًا أنه ليس لدينا من كتب صاعد إلى الآن سوى هذا الكتاب؛ وحول هذه الدراسة كلام طويل نتركه إلى مجال آخر... وجعَلَ التحقيق في ستّة أجزاء: خمسة للنص وحواشيه والتعليقات عليه، وواحد للفهارس وما يلحق بها.

رجع المحقّق إلى نسخ الفصوص المعروفة، وهي ثلاث، واحدة من مكتبة القروييّن، وثانية من المكتبة الكتّانية، وثالثة أظهرت دراسة المحقق أنها ملفّقة من النسختين السابقتين، وهي نسخة حديثة.

واستفاد المحقق من النسخ الثلاث على منهجٍ بيّنه في مقدمته[٢٩]، وقال إنه اعتمد في نصّ الكتاب على نسخة (ق= القروييّن) مستعينًا بـــ: ك (الكتّانية) و: ج (الجامعية) الثالثة لملء البياض وخَرْق السُّوس والتنقيع الذي أصاب النسخة الأولى: ق. فإن وجد اختلافًا بين النسخ عالج الأمر كما

أوضح وقال: «كُنْتُ أفاضل بينها فأثبت ما يظهر لي أنه الأَصْوَبُ أو الأحسن، أو الأنسب. وهذا الصنيع الذي اتَّبَعْتُ جعل نصّ الكتاب النهائي في جُملته مُلَفَّقًا من النسخ الثلاث جميعًا. وهذا ما خوّلها عندي كُلّها لأنْ توصفَ بالأُصول...»(٣٠).

على أنّ المحقّق لم يبيّن للقارئ المقاييس التي وضعها لاختيار الأصوب والأحسن والأنسب. وكان من حقّ القرّاء عليه، وخصوصًا أهل المتابعة العلميّة من المُستويات المختلفة، أن يبيّن لهم صنيعه ليكونوا على علمٍ بمنهج التحقيق وكيفيّة تطبيق المنهج الذي اختاره. وسوف يتّضح أنّ هذا التعميم، وعدم التحديد قد أثّر في عمل المحقق، وجعل مقاييسه تختلف اختلافًا بيّنًا حتى ليكاد الأمر يكون اختيارًا ذوقيًا من الناحية النظرية، وعشوائيًا من الناحية التطبيقيّة.

وسرد المحقق منهجه في التحقيق، وخُطّته في العمل، في ما يخصّ النص وتحريره، والحواشي واستيفاء ما يَخُصّها من تخريج الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية، والشّعر، والخبر، إضافة إلى التعريف بالأعلام غير المشهورة والإلمام بالأعلام المشهورة، «وما ناسبَ من الشرح، والتّصويب والتعليق»(٣١). ووعد باستقصاء الأماكن: «واستقصيتُ الأماكن الواردة في الفُصوص... واستعنت بمعاجم البلدان ومعاجم اللغة...»(٣٢).

وهذه الخُطّة، حين تنفّذ، مع ما يلحق بها من فُروع وإضافات يسيرة كفيلة بالوصول إلى تقديم النصّ الأصلي أو المقارب للأصل (بحسب ما تقدّم المخطوطات حين تعالج معالجة حسنة وافية) وإلى وضع حواشٍ تكفل التعريف بالأعلام (غير المشهورين) والبلدان والمواضع، وتقدّم الشروح (المناسبة كما اقترح المحقّق).

ويتبع هذا أن يعتني المحقق بالنّصوص التي لم تَرِدْ في الكتب الأُخرى أو لم يعثر عليها المحقّق في مصادر أُخرى. فإن هذه النصوص (الجديدة إن صحت العبارة) تمثّل الجانب الذي وعد به المؤلّف أصلاً، وجعله المحقق من الذّخائر الأدبية واللّغوية، وعَدَّهُ من أسباب إعادة تقويم شخصية صاعد، وإعادة تقويم كتابه الفصوص أيضًا. قال المحقق:

«استطعتُ أن أرفع الوهم الكبير الذي غشى عيون جميع مَنْ نظر إلى صاعد سابقًا فاعتبره مُمَخْرِقًا كذّابًا. والحق أن علم الرجل في الفُصوص كشف عن معدن نَفيس من علوم العرب أظهر التحقيق مصادرها المتعدّدة وعلاقتها الوشيجة بمختلف معارفهم، كما كشفت الفصوص عن ذخائر من عيون تراثنا لم يسبق أنْ ظهرت في مُؤَلَّفٍ آخر...»[٣٣]، انتهى بحروفه.

ومن هنا نقول: يجدر بكتاب الفصوص، ومن حق صاحبه أيضًا، أن يجيء الكتابُ سليمًا في نصّه، معالجًا معالجةً وافيةً في حواشيه، بالقدر الذي يكفل تقديمه على الوجه الذي قصد إليه المؤلف، واحتمل عبأه المحقق أيضًا.

[٩]

كتاب الفُصوص يُغري القارئ بالإِقبال عليه اقتناءً، ومطالعةً. ومن المُغريات بذلك أخبار الكتاب، وأخبار صاحبه أيضًا؛ ومن ذلك أنّ الكتاب مواد ثقافيّة من الأخبار والأشعار والاستطرادات المتّصلة بذلك مبنيّة على رواية مشرقي نزل الأندلس. فهو كتاب مشرقي أصلاً، أندلسيٌّ بمعنىً من المعاني.

وقد قرأتُ الكتاب، وبدأت قراءتي بالجزء الذي أفرده المحقق لدراسة الكتاب والكلام على مؤلفه صاعد. وثنيتُ بالنص المحقق. وقلّبت أجزاء الكتاب في نظرات اطلاعية. وتوقفت عند نص في الجزء الرابع، فبدت لي

ملاحظاتٌ في قراءة كلمات فيه، وفي الشروح عليه. ثم نظرتُ في سائر الأجزاء، واستوفيتُ المطالعة والمراجعة، والتلبّث، مع تسجيل الملاحظات ووجهات النظر في قراءة النص وتحقيقه، والتعليق عليه، وشرحه...

فهذه ملاحظاتُ قارئ للكتاب، فيها مراجعةٌ لنماذج من المَتْن والحواشي، على منهج المحقّق؛ عسى أن تكون إضافةً إلى الجهد المبذول في تحقيق الكتاب، ووجهةَ نظرٍ في التّحقيق والتّعليق والترجمة والشّرح وما يتعلّق به.

وهي ملاحظات منهجية، لا تَسْتوفي، ولكنّها تَسْتَعْرض نماذج مختلفة، وتقدّم عند كلّ نموذج الرّأي، أو الملمح، أو المأخذ، وتبيّن خروج التّحقيق عن المنهج الموعود به، أو التّقصير فيه...

ولابدّ من الثّناء -مرة أُخرى- على جهد المحقق الذي بذله في عمله. وتصدّيه لإخراج الكتاب من المخطوط إلى المطبوع، ووضعه بين أيدي الدّارسين، وإثرائه المكتبة الأندلسية بكتاب له علاقة وثيقة بالفردوس القديم.

[١٠]

وهذا أوانُ تقديم الملاحظات متدرّجة على أرقامٍ مسلسلة. ويرى القارئ أن في كل رقم قضيّة من قضايا تحقيق النص، لكن بعض الفقرات كانت تعالج أكثر من قضية واحدة. وهذا مفهومٌ لتداخل عناصر قراءة النصّ وتحقيقه والتعليق عليه والإضافة إليه، والإخلال بشيء فيه..

وتتناول هذه الملاحظات: مخالفة الأصول المعتمدة دون وجه لهذه المخالفة، والخروج عنها تمامًا بلا داعٍ إلى ذلك، والتسرّع في التحقيق والتّعليق، والتعسّف في قراءة النصّ، والخلل في القراءة المؤدي إلى خلل في المعنى، أو اضطراب في العَرُوض والقافية، وعدم التّمحيص في قراءة قرآنيّة، والخلل في

تحقيق المواضع، والخطأ في القراءة المؤدّي إلى خلل في النّحو، والتصحيف والتحريف، والتعجّل المؤدّي إلى إبهام المعنى المراد أو اختلاله، والخطأ في الشّرح، والمجازفة فيه أحيانًا، والإخلال بالتعريف بالأعلام (ممن لهم تراجم): مشهورين ومغمورين...

إنّ قِدَمَ الكتاب، وانفراده ببعض النصوص، وطبيعة المخطوطات الباقية المعتمد عليها، كما وصفها المحقّق، يقتضي الأناة، وركون العمل إلى تطاول الزّمن، واستغراق المصادر، وتحرّي معرفة الأعلام والبلدان وعَرْض المُشكل على مظانّ حَلّه بالوجُوه المُمكنة والأساليب المختلفة.

وتَعَجُّل «تحقيق» نَصّ كالفُصوص لابدَّ له مِنْ أن يؤدّي إلى ملاحظات، ولعلّي أقول إنّها ملاحظاتٌ كثيرةٌ جدًا: وهذه نماذجُ منها. أمّا استيفاء المُرَاجَعات والمُلاحظات فيقتضي متابعة الكتابِ في فُصوصِه (كما قسمها المحقّق) إلاّ القليل... وهذا سَرْدُ الملاحظات المُخْتَارة...

١- مِنْ مُخَالفة الأُصول المعتمدة:

في الجزء الخامس (ص: ٨٣) قطعة رواها ابن الأعرابي لامرأة تُوصي ابنتها، وهي، كما رسمها المحقّق:

«بُـنَيّ إن نـام تَـنامي قَـبْلَهْ،
وأَكْـرِمي تابِعَـهُ وأَهْلَـهْ،
ولا تَكُـوني في الخصـامِ مِـثْلَهْ،
فَتَخْصَـميه فـتكوني بَعْلَـهْ!».

وعَلّق صاعد بعدها بهذه العبارة: «قولُها: **تنامي قبله**؛ أي: بادري إلى فراشك لئلا يتّهمك!». انتهى كما رسمه المحقّق.

وفي النصّ وفي تعليقِ صاعدٍ كما رسمه المحقّق كلام:

أوّلاً: قول الأعرابيّة «بُنَيّ» والخطابُ لابنتها يحتاج إلى توجيه؛ فهي إما أنها أرادت بُنَيّتي وحَذَفَتْ، وإمّا أنّ الأصل: بُنيَّهْ! بالوقف على الهاء، ثم نُقلت حَركَةُ الهمزة إلى الهاء، لتصبحَ همزةَ وَصْلٍ لفظًا، هكذا: «بُنَيَّهِ آنْ...» على ما في الوَجْه الثاني من تكلّف...

ثانيًا: قولُها في النص «تنامي قبله» أصْلُها -كما يقتضي المعنى المُرادُ والسّياقُ-: «فنامي». وقد قال المحقق إنّ عبارة صاعد بعد النصّ في الأُصول «فنامي قبله». ثم غَيَّرها إلى «تنامي قبله» لكي تتفق وما في البيت الأوّل!!

ثالثًا: قول الأعرابيّة في البيت الثاني: «وأكْرِمي» وقولُها في البيت الثالث: «ولا تكوني» يقتضي أن تكون الكلمةُ في البيت الأول «فَنامي» على الأَمْر الذي توالى في الجُمَل اللاّحقة...

رابعًا: قال المُحقّق في الحاشية «في الأُصول (فنامي)، والوَجْهُ ما أُثبت. وأحالَ على البيت الأوّل؛ و لم يصنع شيئًا فقد اضطرب الشّعر واختلّ الكلام.

خامسًا: مِنْ حَقّ النص إيضاحُه، وأَخُصّ البيتَ الأخير في جُزْأيه: «فَتَخْصِميه» و«فتكوني بَعْلَه»!

– في اللّسان: خاصَمَهُ خِصامًا ومُخاصَمَةً فَخَصَمَهُ يَخْصِمُهُ خَصْمًا: غَلَبَهُ بالحُجَّة.

– وقولُها: «فتكوني بَعْلَه»، أي إذا أَخَذْتِ بِهذه النَّصائح تكونين بَعْلَةً: زَوْجةً: (حسَنَةَ العِشرة لزوجك).

فَتَرْكُ الشّرح هنا نقص، ومن منهجه شرح ما دون ذلك.

٢- ومما خرج فيه المحقّق عن المخطوطات واجتهد في القراءة فأخطأ ما في

(٢: ٣٨) وفيه: قال الفرزدق في الحواريّات:

فقلــتُ إنّ الحَواريّـــات مَعْطَـبَةٌ إذا تَفَــتَّلْنَ مــن تَحْتِ الجلابيبِ

وفي الحاشية من قلم المُحَقّق ما نَصُّه: «في (ك): الحوريات، وفي الأُصول: تَقَتَّلْنَ [بالقاف]؛ والتّصويب من الدّيوان. المَعْطَبَةُ: الهلاك. تفتّلْنَ: تَلَوَّيْن». انتهى بحروفه.

- ويكونُ المعنى بحسب ما اختار من الرّسم، وما يؤدّي إليه نَصُّه من المقصد: «إنّ هؤلاء النّسوة تَلَوَّيْنَ من تحت الجلابيب»!! والشرح غريب، وتَرْكُ رواية صاحب الفُصوص أَعْجَب! وأقول:

في اللّسان (ق ت ل): «تَقَتّلت المرأةُ للرَّجُل: تَزَيَّنتْ؛ وتقتّلت: ومشَتْ مِشْيَةً حَسَنَةً تقلّبت فيها، وتَثَنّت، وتكسَّرت. يُوصَفُ به العشق، وقال:

تقتَّلْــتِ لي حَــتّى إذا ما قَتَلْتِني تنسّــكْتِ ما هذا بِفِعْلِ النّواسكِ!

قال أَبو عبيد: يقال للمرأة: هي تَقَتَّلُ في مِشْيَتِها. قال الأزهري معناه: تَدَلّلها واختيالها...».

- فَصوابُ الرّواية: تَقَتَّلْنَ (بالقاف المُثَنّاة).

- وقد سَمّت العَربُ من هذه المادّة بـــ: قَتُول، وقَتْلَة!.. فاجْتِهادُ المُحَقّق في غير مَحلّه؛ وشَرْحُه لا يصحّ.

٣- ومن خلل المنهج الاجتهادِ في القِراءة بلا خُطّة، ولا عوامل ترجيح واضحة ما في الفُصوص (٤: ٢٤٩):

خَــيْرٌ مــن الــبُخل كُلُّ شيءٍ والــبُخْلُ خــيرٌ مــن السّــؤالِ

يَقْطَــعُ يــدي دون أن أراهـــا وقــد عَلَـــتْها يَــدُ الــنَّوالِ!..

قال المحقّق في الحاشية: «تسكين (يَقْطَعْ) ضرورة»

وأظـن أنّ في الـنص تَحْريفًا؛ وكأن الأصل: «قَطْعُ يدي». وبذلك يكون المبتدأ اسْمًا، والخبر اسْمًا أيضًا؛ ويصحُّ المعنى مع صحّة اللّفظ.

٤- وفي (ج٤: ١٦٢):

«من غرائب بيوت المعاني قول الشاعر:

وإنّي وإن عَشَّرْتُ في أرْضِ مالك ... حِـذارَ المـنَايا إنّـني لَجَزُوعُ!»

ولا يستقيمُ البيتُ على هذه الصُّورة. فالشاعر ينفي عن نفسه الجزَع، ويُحَكِّم العَقْلَ فلا يُعَشِّرُ تعشير الحمير، كما كان يزعُم بعض النّاس في الجاهليّة، قالوا: إنّ مَنْ عَشّر قَبْلَ أن يَدْخُلَ بَلَدًا أمِنَ من الوباء الذي فيه.

- ويصحُّ البيت لو حُذفت الواو التي قَبْل (إنْ):

«وإنّيَ إنْ عَشَّرْتُ في أرض مالك...إلخ»

ولو بقيت الواو لانعكس المعنى وشهد الشاعر على نفسه بالجزع، وهو عَكْسُ مراده!... ولعلّ الواو مُقْحَمَةٌ من نَسْخِ التّحقيق (حديثًا).

- وبالمناسبة، لو رَجع المحقّق إلى مادّة: (رَوْضَة الأجداد) في مُعجم البلدان لَوجَد كلامًا مُفيدًا في المعنى الّذي أوْرَده الشاعر. وفي ياقوت، ثَمّة، أبياتُ عُروة بن الورد؛ وقد أوْرَد المحَقّق واحدًا منها أخْذًا عن ديوانِهِ أو مجموع شِعره. ولكنّه لم يَستَوْفِ.

- وفي المعاجم في مادة (ع ش ر) كلامٌ مفيدٌ في الموضوع كما في اللّسان وغيره.

٥- ومن أخطاء تحقيق النصّ عَدَمُ مراجعته على الأُصول، والفُروع مع قارئ خبير، وكأنّ محقق الفصوص اكتفى بمتابعته الشخصية؛ فوقع في

أخطاء وأوهام كثيرة. ويضاف إلى «عدم المراجعة» التّسرُّع...

١) في (ج ٤ ص ٢٣- ٢٤) مثلاً:

حَبْلُك مَطْرُوحٌ على الغاربِ فاذْهَبْ فَلا حُيِّيتَ من صاحِبِ

مالي وللخُلَّبِ من بارقٍ وللسَّرابِ المُطْمِعِ الكاذبِ؟

ما ضرَّ صَدُّكَ إن لم أكنْ في وُدِّ أمثالك بالرَّاغبِ...إلخ

والبيت الثّالث مضطرب في شَطْره الأوّل؛ وكأنّه - مثلاً - على هذه الصّورة، (أو ما يُشبهها):

ما ضَرَّني صَدُّكَ إذْ لم أكُنْ...

٢) وبالمناسبة فإنَ المحقق كان يَسْتَعْرِض آيَةً معلومةً تعرضُ مناسبتها أو أسبابُها ولأدنى ملابسة. **ولكنَّهُ لم يذكر أنَّ الشطر الأوّل مؤسّسٌ على مَثَلٍ عربيٍّ مشهور.** وفي أمثال الميداني (مجمع الأمثال: ١: ١٩٦): «حَبْلك على غاربك»! ومثلُ هذا موصولٌ بمقدارِ ثقافةِ المحقّق، وصبره على النص، ومُطاولة الزّمن للبحث والتّمحيص...

٦- وقال صاعد (٤: ١٢٩) مرض أبو محمد الزّبدي فكتب إليه المنصور: «...

اسْمَعْ أصِفْ لك رُقْيَةً تنفي السّقام من الجَسَدْ

اعتدْ وأنتَ مؤيّدٌ حامي قَريصٍ يَرْتَعِدْ

وإوزَّةً لا يشتكي مَنْ ذاقها نفخَ الثَّرَدْ ...»

...إلخ.

فالمنصور يصفُ لأبي محمّد هذا على سبيل الدّعابة «رُقْيَةً» أي وَصْفَةً من الأطعمة وأنواع الحلوى...

١- قوله «اعْتَدْ» ذكرَها بالعَيْن المهملة دون «اغْتَد» في بعض

مصادره. ولم يبيّن المراد، ولا تَوْجيه المَعنى!

٢- **قال المحقّق: «في الأُصول جامي، ولا مَعْنى لها والوَجْهُ ما أثبت»**. أي تَرَك «جامي» أمّ الجيم إلى حامي، بالحاء المُهملة.

٣- **وقرأ «قريص» بقاف مُثنّاة**. وقال: القَرِيْصُ: نوعٌ من الأُدْم.

٤- **وضَبط الثَّرَدْ هكذا بفتح الثّاء المُشَدّدة، والرّاء**. ولم يشرح ولم يوجّه.

- **قلت**: أقرأ الشّطر الثّاني من البيت الثاني: «جَامِيْ فَرِيْصٍ يَرْتَعِدْ» والجامُ: «إناءٌ للشّراب والطّعام من فضّة وغيرها، وهي مؤنثة. والكلمة مُعَرّبة كما في الوسيط. والفَرِيْصَةُ (بالفاء المُوَحّدة) اللَّحْمَة التي تكونُ في الجَنْبِ تُرْعَدُ. وقال أبو عُبيد – كما في اللّسان: هي اللّحمةُ التي بَيْنَ الجَنْبِ والكَتِف، التي لا تَزالُ تُرْعَدُ من الدَّابّة. وجمع الفَرِيصة: الفَرِيْصُ والفَرائص.

- وقوله: «الثّرَدْ» أقرأ: الثُّرُد، بضمّتين، وهي جَمْعُ ثريدة. وبهذا يتوجّه المَعْنى كما ترى.

- وعلى ذِكر الفَرِيصة؛ فقد قرأ المحقّق بيتًا في (ج١ ص ١٠٥) من الفُصوص على النحو الآتي:

تَحُـــولُ قُشَـــعْرِيْرَاتُه دونَ لَوْنِـــه **فرائضُـــه** من خِيْفَة المَوْتِ تُرْعَدُ

والشّعر لساعدة بن جُؤيّة، وشعره منشورٌ، رجَع إليه المحقق.

- والصَّوابُ: فرائصُهُ (بالصَّاد المُهملة) والمعنى واضح.

- وعبارة: «تَرْتَعِدُ فرائصُهُ» من العبارات الشّائعة الدارجة.

٧- من الاضطراب في قراءة النصّ، وعدم النّفاذ في مقاصده:

في ج٥: ص ٢٦٢ رجز لأبي الغَمْر الطمري:

يـــا قِـــرْدَ قَـــرّادٍ يُـــنَزّي قِـــرْدَهُ

سـامَيْتَ قِـرْدًا لـن تـنالَ مَجْـدَهُ
ولـو يَمُـدُّ مـا بَلَغْتَ مَـدَّهُ
ولـو يشُـدُّ ما بَلَغْتَ شَـدَّهُ

إلى أن يقول:

فكـيفَ تَـرْجُو أنْ تكـونَ ندَّهُ
لا بـلْ تكـون دُونَـهُ وضِدَّهُ؟

وظاهرٌ أنَّ الرَّاجز يفاضِلُ بين اثنين أحدهما ذُو خصالٍ رديئة، فَشَبَّهه بالقِرْد، والآخر ذُو خصال حميدة. ويقول: كيفَ يصحُّ أن يُساميَ ذلك القردُ «الرّديءُ» ذلكَ الرَّجُلَ العظيم؟

١)- وفي الحاشية أنّ أصل البيت الثاني في مَخْطُوطاته:

سـامَيْتَ قَوْمًـا لن تنالَ مَجْدَهُ

ورأى المحقّق أنّ كلمة (قَوْمًا) لا تستقيمُ فَجعلها «قِرْدًا» **فَزَادَ في فَسادِ المَعْنى**. إذْ كيف يَصِحُّ أن يَجْعَلَ الممدوحَ المحمودَ قِرْدًا مثلما جَعَلَ ذلك المَذْمُوْمَ المَرْذُوْلَ قِرْدًا؟

- والصّواب أن يُقْرَأ البيتُ على هذا الوجه:

سـامَيْتَ قَرْمًا لن تنالَ مَجْدَهُ!..

و«القَرْمُ» مناسبَةٌ من جهة الرّسم، ومن جهةِ المَعْنى، والقَرْمُ في اللّغة: الفَحْل، وهو السَّيّدُ المُعَظّم أيضًا.

٢) ولم يشرح عبارة «دونه»، وشَرْحُها ضروريّ لأنّها هنا بمعنى: «فَوْقَهُ وأحْسَن منه». وفي اللسان (دون): «... يُقال: زيدٌ دونك أي: هو أحسنُ منك في الحَسَب» إلخ...

٨- ومن التعسّف في قراءة النصّ (لفظًا وضبطًا) وترك شرحه حين تدعو الضّرورة إلى ذلك: القطعة (١٠٧) ج٢ ص: ٢٠٥- ٢٠٦ من أبيات وديعة بن ذرّة (جاهليّ قديم):

١- لقد قيل من طُولِ اعتلالك بالقَذى أجــدَّكَ لا تَلْقــى لعَيْنَيْكَ قاذيا

٢- بلى إنَّ بالجَزْعِ الذي بين مُنشد ومَوْبولــةٍ لــو كانَ يُلفي مُدَاويا

٣- سَقَتْني على لَوْحٍ من الماءِ شَرْبَةً ســقاها بها اللهُ الذّهابَ الغَواديا

٤- فلم أَرَ مِثْلي مُستغيثًا بِشَرْبَةٍ ولا مِــثلَ ساقي المُسْتغيثين ساقيا

- وفي هذه الأبيات كما نسخَها المحقق، وكما حَشَّى وشَرَح أقوالٌ:

أً- قرأ المحقق كلمة «لوح» بفتح اللام وضبطها كذلك. ولم يشرح الكلمة، وأهْمَل شرح معنى البيت.

- وفي اللّسان: اللّوح (بالفتح)، واللُّوح (بضم اللاّم) أعْلى: أخَفُّ العطَش، وعمَّ به بعضهم جنسَ العطش.

٢ً- قرأ المحقق (الذّهاب) بفتح الذّال، والصّواب: الذّهاب بكسر الذّال.

- وفي اللّسان: «الذّهبة (بالكسر) المَطْرة، وقيل المطرة الضعيفة، وقيل الجَوْد، والجمعُ ذِهاب». ورجَّح أبو عبيد عن أصْحابه أنّ الذّهاب «الأمطار اللّيِّنة».

٣ً- لم يشرح كلمة «قاذيًا» في البيت الأوّل. والقاذي: فاعل من قذا على القياس.

أقول: لو حاول المحقّق أن يقرأ النص على وجه صحيح وأن يرجع إلى كتب اللّغة لأفادَ النّصَّ جملةً، وقرأه على وجهٍ صحيح، وأضافَ إلى المُعْجَم ملاحظاتٍ نافعة؛ و:

أ) سياقُ الكلام يدلُّ على أنّ الشّاعر أراد بكلمة اللوح جنسَ المَطر لا

المَطَر الخفيف؛ وهذا يُضيف شاهدًا إلى المعجم يُرَجّح فرعًا من المَعْنى على آخر.

ب) وسياقُ الكلام في هذه القطعة يدلّ على أنّ الشاعر أراد بالذّهاب هنا المَطَر الجَوْدَ (الكثير الغزير) وهو شاهدٌ مؤكّد لهذا الفرع من المعنى.

ج) استخْدام الشّاعر كلمة «قاذيًا» يَدُلّ على معنىً أهْمَله في اللّسان، وهو استعمالُ فعل «قَذا» لمعنى: أزال القَذى. ويَنْصُر هذا المعنى، والفَهْم الذي نأخذُ به ما في البيت الثاني من إيراد كلمة «المُداوي»». ولعَلّ في العَرب مَنْ كان يُتقن هذا العمل (إزالة قَذى العَيْن) ممّن كان يعالَجُ أو يَتطبّب، وقد قال:

بـــلى إنّ بالجزع الذي بَين مُنشدٍ ومَوْبولـــة لـــو كان يُلْفِي مُدَاويا

وإن كانت (المُداوي) هنا موصولةً أيضًا بسائر مقاصِد الأبيات !

٩- **ومن التّسرُّع في التحقيق والتعليق ومعرفة رجال كتاب الفصوص** التعليق ذو الرقم ١٧٢٣ من ج٢ ص ٢٠٧، وفيه:

١- في المتن: «ونَقَلْتُ بعدَ هذا للمضرّب؛ جاهلي:نظرتُ بأعلى سَيْل جوسين نظرةً...» إلخ.

٢- في الحاشية ما نصُّه: «في المؤتلف والمختلف ٢٧٨- ٢٧٩ ثلاثة شعراء ممّن اسْمُهم المضرّب: **الأوّل:** المضرّب المُزَني واسمه عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى، **والثاني:** المُضَرّب بن هوذه بن خالد بن معاوية بن خفاجة العقيلي، **والثالث:** المضرّب بن المُثَلّم اليَشْكُرِي. ولست أدري المقصود منهم». انتهى بحروفه.

قلت: يَخرُجُ من هؤلاء الثّلاثة حَتْمًا، المُضَرّب المُزَني، فإنّه حفيدُ زهير بن أبي سُلمى، وهو أُمويّ العَصْر؛ ولا وجْهَ لإدراجِه مع شعراء العصر الجاهلي!..

١٠- **ومن التعجّل في القراءة** ج١ ص ٥٠ «وأمّ خَنُّور: النّعمة؛ وهي أيضًا مصر؛ سُمّيت بذلك لرفاعتها». وكلمة «رفاعتها» مضبوطة بالشكل.

أ- قلت: صوابُ القراءة: «لرفاغتها» بالغَيْن المُعجمة من: رفَغَ عَيْشُهُ: رَفْغًا ورَفَاغِيَةً ورفاغةً: اتَّسَع (أي صار مُرَفَّهًا).

ب- في اللّسان فَضْلُ كلام على «أم خنور»: ضَبْطها، وسائر مَعانيها (سوى ما ذكره صاعد) وممّا فيه (خ ن ر): «أُمّ خِنَّور، وخَنُّور: الضبع والبقرة».. وقيل الدّاهية، وأم خَنُّور: الصّحارى، وأم خَنُّور وخَنَوَّر وخِنَّور: الدنيا؛ ... وأمّ خَنُّور: مصر». ونقل في اللسان عن الأزهري: في الخنّور ثلاث لغات: خِنَّور مثل بِلّور، وخَنُّور مثل سَفُّود، وخَنَوَّر مثل عَذَوّر؛ والخنوّرُ: النعمة الظّاهرة، وقيل: إنما سُمّيت مصر بذلك لنعمتها وذلك ضعيف...» إلخ...

- ومن حقّ هذا النصّ شيء من التحقيق اللغوي والتعليق المناسب.

١١- ومن خلل المَنْهَج: **التعريف بالرجال والأعلام حينًا وترك ذلك حينًا آخر**. ومن حق العمل التّحقيقي أنْ يَسْلَم المَنهج. فإذا أوجب المحقّق على نفسه أمْرًا تابعه. فإن لم يعثر على ترجمة في موضع من المواضع نبّه على ذلك.

ومن أمثلة ذلك ما في ج٢ ص ٢٨٩: «قال صاعد: **وأنشدني ابن بُلبل للجَمل المصريّ يصفُ هريسةً** دعا إليها أصدقاء... إلخ».

ولم يعرّف بالجَمل؛ وهو معروف: أبو عَبد الله الحُسَين بن عبد السّلام. قال فيه ياقوت (إرشاد ١٠: ١٢١): «الشّاعر المشهور، كان شاعرًا مفلقًا مدَح الخُلَفاء والأُمراء...» وفي مُختصر ابن عساكر (٧: ١٠٩) توفّي في ربيع الآخر سنة ثمانٍ وخمسين ومئتين... وكان شَرِهًا على الطّعام...» وبهذا الخبر يلتقي ما في ابن عساكر مع النصّ الذي أوْرَده صاعد عن الهريسة...

- وقد ترجم الزّركلي للجَمل المصري ترجمة خفيفة (٢: ٢٤٠).

١٢- **ومِنْ تَرْك الشّرح المُفيد في توكيد القراءة الصّحيحة، أو**

إثبات علوّ رواية كتاب الفصوص ما في البيت الخامس من قصيدة نفيسة لعبيد بن أيّوب العنبري، وذلك قولُه (ج٣: ص ٢٥٩).

وللهِ دَرُّ الغُـــول أيُّ رفــيقةٍ لصــاحبِ قَفْــرٍ خــائفٍ يَتقتَّرُ

وفي الحاشية إشارة إلى رواياتٍ أُخرى في بعض المصادر مثل: «متقفّر» و«متقتّر» و«يتستّر»؛ ولم يشرح، ولم يعلّق.

ومعنى يتقتَّرُ: يَطْلُب قُتْرَةَ الصَّائد ليختبئ فيها. والقُتْرَةُ هي البئر (الحُفْرَة) يَحتفِرُها الصائد يَكْمُنُ فيها، وكُثْبَةٌ من بَعْرٍ أو حَصًى تكون قُتَرًا. ويُقال: اقْتَتَر الصّائد في القُتْرة.

- أقول وكأنّ رواية: «يَتَستّر» شرح لـ «يَتَقتّر». فهذا من تَرْك الشّرح الذي يُوضّح النصّ، ويُوَجّه الرّواية.

١٣- ومن اختلال المَنْهَج الاختيار **من الأُصول التي يرجع إليها دون خُطّة واضحة في الاختيار. وتَرْكُ الأَوْلى إلى الأَدْنى، أو أخذ النصّ الذي لا وَجْهَ له وتَرْكُ الصَّواب.**

ومِنْ **تَرْك الأَوْلى**، ما في القِطعة الّتي في (ج٣ ص ٢٢٧- ٢٢٨) وهي للقاضي التّنوخي:

اسْـــقِني قَـــبْلَ صَـــاحبي واخْـــشَ صَـــرْفَ النّوائـــبِ

فــالهلالُ الـــذي يَلُــو حُ خـــلالَ الغَياهـــبِ

مِـــثْلُ فَـــخِّ اللُّجَـــيْنِ صِـيْـ ـــغَ لِصَـــيْدِ الكواعِـــبِ

فاختار المحقّق كلمةَ «الكواعب» وأَعْرَضَ عن «الكواكب» المُثبتة في الحاشية. ولم يذكر مُسَوّغًا لِتَركه الأَوْلى والأَعْلى؛ كما يقتضي المَعْنى.

١٤- ومما لم يشرحه المحقق، ولا يستقيم كما أَوْرَده كلمة: «وهَنًا» في البيت

الآتي، من قطعة وصفَ بها الشاعرُ مائدةً فيها أنواع من الطّعام، قال: (ج٤ ص ١٢٧):

ارْفَـــعْ وضَـــعْ وَهَنّا وثَمَّ وهاهُنا   قَصْـــفُ المُلُـــوك ونَهْمَـــةُ القُرّاءِ

١) قُلْت لعلّ الأصل: «ارْفَعْ وضَع هَنّا وثَمَّ وها هُنا...»،

- وفي اللّسان من وجوه لَفْظ هَنّا: «ومنه قَوْلُهم: تَجَمَّعُوا من هَنّا ومن هَنّا أي: من هَا هُنا ومن هَا هُنا... إلخ». أمّا رَسْم المحقّق للكلمة «وَهَنّا» فلا وَجْهَ له.

٢) وبالمناسبة: لم يعلّق المحقّق على الشّطر الثّاني، وفيه عبارتان تدخلان في المُضاف والمنسوب.

- وفي كتاب الثّعالبي: (ثمار القلوب -مصر- أبو الفضل: ١٧٤) «أَكْلُ الصُّوفِيّ» وفيه «سُئل بعضُ القُرّاء عنهم فقال: رَقَصَةٌ أَكَلَةٌ. وبلغَ من عنايتهم بأمر الأكل وحرصهم على قطع أكثرِ الأوقاتِ به أنْ نقشَ بعضهم على خاتمه ﴿أُكُلُها دَائمٌ﴾...»!!

١٥- **ومن الشرح اللُّغويِّ المُجازَفِ به** شرحُه «غَبَّ» بـ: «نقَصَ» في قول الشاعر: (ج٥ ص: ٢٦٣):

أَلَـــم تـــرَنَا غَبَّـــنا ماؤُنـــا   سِـنينَ فَظَلْـنا نَكُـدُّ البئارا؟!

ولم يَرِدْ: غَبّ، في مَعاجم اللّغة لمعنى: نَقَص هكذا؛ والمُراد: تأَخَّرَ نزولُ المَطر عليهمْ، فالتفتُوا إلى الآبارِ يُسْرِفُون في طَلَبِ الماء منها، ويجهدون لذلك جهدهم.

- وقارنْ بما في الفُصوص (١: ٧٧) من قَوْلِ الآخر:

فلو كنتَ ماءً كُنْتَ من صَوْب مُزْنَةٍ   ولو كنتَ دُرّاً كنتَ من صَدَفِ البَحْرِ!..

١٦- وفي ج١ ص ٩٣ قطعة لِشَيْبان بن سعد بن قُرط (ويُتَرْجَمُ له

في العققة) يقول فيها - عن أُمّه-:

لَيْسَـــتْ بِشَبْعى وإنْ أَنْزَلْتُهَا هَجَرًا ولا بِـــرِيًّا ولـــو حَلَّتْ بَذي قارِ

١) وقد شرَح المحقّق (هَجَرًا) من عبارة نَفْسه فقال: هَجَر: «قريةٌ معروفة بكثرة التّمر». هكذا. ولم يُحِلْ. وعلى (هَجَر) كلامٌ طويل في ياقوت -مثلاً- في ج٥ ص ٣٩٣. «... ناحيةُ البحرين كُلّها هجر، وهو الصَّواب».

٢) وأَهْمَلَ الكلام على «ذِي قار». ولو رجَع إلى مُعجم البُلدان مثلاً لأضاء النصَّ وأَوْضَح المُراد، وفيه (٤: ٢٩٣): «ذُو قار ماءٌ لِبَكْر بن وائل قريبٌ من الكوفة بينَها وبين واسط؛ و: حِنْوُ ذي قار على لَيْلَةٍ منه، وفيه كان الوَقْعَةُ المشهورةُ بين بكر بن وائل والفُرس...».

وبهذا الإيضاح يَتَبيّنُ قول الشاعر: «ولا بِريًّا ولو حَلَّتْ بذي قار!». لأنّ المرادَ مكانُ الماءِ في ذلك الموضِع ومكانته!

١٧- وفي الجزء الأول ص: ٥٧- ٥٨ نص لشاعر من العذريين الأمويين أوله:

خليليَّ زُوْرا قَبل شعب النّوى هِندا ولا تَأْمَنا من دارِ ذي لَطَف بُعْدا

ولا تَعْجَـــلا لم يَدْرِ صاحبُ حاجةٍ عـــناءً يُلاقي في التعجُّل أم رُشْدا

إذا ســـاعفَتْ هِنْدٌ رَضينا ولم نجِدْ لإلْـــفٍ سواها أنْ يُفارقنا فَقْدا...

وعلى النص ومتعلّقاته ملاحظات منها:

١) **لم يعرّف بالشّاعر، وهو معروف**، وقد رجع المحقّق إلى ترجمته في الأغاني. والتّعريف بالشعراء والأعلام من منهج المحقّق في هذا الكتاب. وله ترجمة أو خبر في سمط اللآلي، ومصارع العشاق، وتزيين الأسواق وغيرها؛ وهو: عبدُ الله بنُ العَجْلان.

قال أبو الفرج في التعريف به: «شاعرٌ جاهليّ، أحد المتيّمين من الشعراء، ومَنْ قَتَلَهُ العِشْق منهم. وكان له زوجةٌ يقال لها «هند»، فطلّقها، ثم ندم على ذلك. فتزوَّجتْ زوجًا غيره، فماتَ أسفًا عليها».

والإشارة إلى الشّاعر مهمّة، والإشارة إلى «هند» أكثر أهميّةً؛ فقد كرَّر الشّاعر ذِكْرَها في نصّ (الفُصوص) خَمْسَ مَرَّات باسمها، وذَكَرها بالضَّمير والإشارة في سائر الأبيات، ومنها:

فَمُــرًّا عَلَــيْها بــارَكَ اللهُ فيكما وإن لم تكنْ هندٌ طريقكما صَمْدا

وقــولا لهــا ليسَ الطَّريقُ أجَازَنا ولكنّــنا جُــزْنا لحَاجَتِــنا عَمْدا

تَنخّلــتُ مــن نَعْمانَ عُودَ أراكةٍ لهِــندٍ ولكنْ مَنْ يُبَلّغه هَنْدا؟!...

والإشارة إلى الشّاعر والمحبوبة هند تزيد النصَّ وضوحًا للقارئ، وتُضيف إلى كلمة التّحقيق مصداقيّة المحقّق؛ وفي الخبر أنّه طَلّقَها سكران. وهذا يزيدُ حَسْرَتَهُ وأسفه.

٢) رواية الأغاني للبيت الثاني:

ولا تَعْجَلا لم يَدْرِ صاحِبُ حاجَةٍ أغَيــًّا يُلاقي في التَّعَجُّلِ أم رُشْدا

ومن منهج المحقّق أن يغيّر الأَصْل عنده بما يُعجبه من الرّوايات أو القراءات الأخرى. ولكنه -هنا- لم يُغَيّر، ولم يُرَجّح النّصَّ الذي في الأغاني. ويرى القارئُ أنَّ رواية أَبي الفَرج هي الصّحيحة؛ بدليل (رُشْدًا) في آخر البيت؛ فقابلَ بَيْنَ غيــًّا و: رُشْدًا. وهو مَجْرى المَعْنى الصّحيح.

٣) لم يُعَرّف بــ (نَعْمَان)؛ وفي بلاد العرب أكثر من موضع يُسَمّى به، وأَشْهَرُها (نَعْمان) الذي ذكره مُحَمّد بن عبد الله النّميري (الأغاني – ثقافة ٦: ١٨٢) في قصيدته الذّائعة:

تضوَّعَ مِسْكًا بطنُ نَعْمانَ أَنْ مشَتْ   بــهِ زَيْنَــبٌ في نِسْوَةٍ خَفِرَاتِ...

وينظر مُعجم البلدان (نَعْمَان) ٥: ٢٩٣- ٢٩٤.

٤) والبيتان الأخيران في القطعة، وهما برقمي: (٨، ٩) وتَحْتَ قراءة المُحَقّق لهذين البيتين نَظر.

١٨- ومن التَّسرُّع في التَّحشية، والإيضاح، ومُتَمّمات التحقيق: تعريفه بزُفَر بن الحارث، بقوله (٤: ١٦٧) الحاشية ١٠٣٢ ما نصّه: «شاعر أُموي معاصر لجرير والفرزدق» واعتمد على العقد (الفريد كما سمّاه) !!

ولو رجَع إلى الأعلام دون غيره من المصادر لوجَد فيه: «أبو الهذيل زفر بن الحارث أمير من التّابعين من أهل الجزيرة. كان كبير قَيْسٍ في زمانه. شَهِدَ صِفّين مع معاوية أميرًا على قِنَّسرْين، وشهدَ مَرْجَ راهط مع الضحّاك ابن قيس الفِهري. وقُتِل الضحّاك فهربَ زُفَر إلى قَرْقيسيا (عند مصبّ نهر الخابور في الفُرات) ولم يزلْ مُتحصنًا فيه حتّى مات. وكانت وفاتُه في خلافة عبد الملك... إلخ» — وفي ذيل ترجمته من الأعلام مصادرُ التّرجمة.

– وزُفَر بن الحارث ممّن لا يُجْهَلُ مكانه. وله تراجم واسعة، وذِكر طويل في كتب التراجم والتواريخ.

وهذا يدخُل أيضًا في خَلل المَنهج في التّعريف بالأعلام، واستقصاء التعرّف إليهم، والتحقق من أسمائهم وشخصياتهم.

١٩- ومن طَرائف التّصحيف، وتعجُّل القراءة في (٤: ١٤٥) هذه العبارة: «ووكّلَ بنا رَجُلاً مِمّنْ كان معه وقال: لا يُهَاجَنُ مَنْ كان في جِوَارِ أَبي زُرَارة...» والفِعْلُ على هذه القراءة: هاجَنَ: يُهاجِنُ!!

- والصواب «لا يُهَاجَنَّ» أي: لا يُزْعَج!... والمادّة اللغوية هي من

(هـ ي ج) وليست من (هـ ج ن)!!

٢٠- ومما صَحَّفه المحقق، وهو كثيرٌ في كتاب الفُصوص هذا، من قطعة من الشّعر العالي لأبي شُراعة؛ فيها قولُه (ج٤ ص ٢٣)

ذَريْـــني أَمُتْ من قَبْل حَلّي مَحلّةً لهـــا في وجـــوهِ السّائلين غُصون

ولم يُعَلّق المحقق ولم يشرح- وجاءت (غُصون) هكذا كأنّها جمع غُصْن، ولا مَعْنى لها. والصَّوابُ: غُضُون بالضّاد المُعجمة. والغُضون هي: مكاسِرُ الجِلْد في الجَبين، والغُضون: التشنّج. فالشّاعر يُجَنبُ نفسَهُ أن يقفَ موقفَ السّائل الذي تنكسرُ نفسُه لسؤالِه النّاس، ويظهر أثر ذلك الانكسار في وجْهِهِ وجبينه غُضونًا ومكاسِرَا!!

وتَرَك المُحَقّقُ التعليق على النّصّ، وهو يحبُّ الاستطراد في التّعليق؛ فَترك نصـــًا مُهمـــًا، وعَملاً – في تحقيقه – مُفيدًا!!

٢١- ويشترك في المثال الآتي: خطأ القراءة المضاف إليه الخطأ في النّحو وغياب شواهده المشهورة. في الجزء ٢ الصفحة ٣ قول الشّاعر:

تَذكُّـــرُ سَـــلْمى أنّـــه لطروبُ على حين أنْ شابَتْ وكاد يشيبُ!

وهي قراءة لا تصح من جهة اللغة وإعراب الكلام، وهي تُفسد المعنى أيضًا. وصواب القراءة:

تَذكّـــرَ سَـــلْمى! إنّهُ لَطَرُوبُ ! على حين أنْ شابَتْ وكاد يشيبُ

فالجملة الأُولى استفهام تعجبّي «تذكّر سَلْمى!» والجملة الثانية: تقرير مبني على التعجّب أيضًا، والمقصد شائع في كلام العرب، وقريبٌ منه قول الكميت:

طربت! وما شوقًا إلى البيض أطرب ولا لعبًا منّي؛ وذو الشيب يلعب؟!

ووجه قراءة العبارة على هذا الفهم: إنّه لطروب.

وشيء آخر في العبارة هو ضبط «أنّه» بفتح الهمزة. وهذا خطأ صوابه: «إنّه» بكسر الهمزة بدليل اللام الواقعة في الخبر: إنّه لطروب. ولو كانت الكلمة بفتح الهمزة «أنّه» لوجب إسقاط اللاّم من الخبر، وتصبح «أنّه طروب». ولو كانت كذلك لاختلف المعنى، واختلّ الوزن.

ومشهورةٌ القصة المنسوبة إلى الحجّاج حين سَها وهو يقرأ الآية الكريمة: ﴿إنّ ربّهم بِهِمْ يَومئذٍ لخبير﴾ ففتح همزة «إنّ» وقال ﴿أنّ ربّهم﴾ فلما نبّهوه وتنبّه أسقط اللام من «لخبير».

- وشيء آخر في النصّ السّابق هو ضبطه فعل «تذكّرُ» بضمّ الرّاء باعتباره فعلاً مضارعًا، والصّواب «تَذكّرَ» بالماضي، وتقدير ضمير الغائب وإن كان يتحدّث عن نفسه، لأنّه بنى كلامه على الالتفات.

وقد أكّد المحقّق قراءته المثبتة في المتن، في حاشية الصفحة. وهي قراءة، كما قلت، لا تستقيم!

٢٢- ومن خطأ القراءة، والتعجُّل فيها ما في الفُصوص (٣: ٦٥)

قال ابنُ الأعرابي: كان الحَجّاج بعثَ شُتَيْرَ بْنَ المَوْج ليفتحَ له أحَد الحُصون في بلاد فارس فأصابَه حَجَرُ منجنيق، فقالت أُمُّهُ ترثيه:

أيــا عَــيْنُ بكّي لي شُتَيْرًا فَعَبرةٍ ... إذا أجْــدَب المَوْلِــي وقَلَّ الولائحُ!

وما كنتُ أخْشى أن تكونَ دريئةً ... بجــلمود صَــخْرٍ طرَّحَتْهُ الطَّوارِحُ

لقَــد كنتَ في قومٍ عليكَ أشحّةٍ ... بنَفْســكَ إلاّ أنَّ مَــنْ طــاحَ طائحُ

يَــوَدُّون لو خَاطُوا عَلَيْكَ عيونَهُمْ ... وهَلْ تدْفَعُ المَوْتَ النُّفوسُ الشّحائحُ؟!

وقابل المُحَقّق البيتين ٣ و٤ على «العِقْد» لوجودهما ثمّة، ومن هنا

صَحَّتْ قراءتهما[١]، وتحتَ قراءةِ البيتين الأوّلين نَظر، وأقترحُ أن يُقرأ البيتان على النّحو الآتي:

١- «أيا عَيْنُ بكّي لي شُتَيْرًا بِعَبْرةٍ» فهـي تـبكي بدموعٍ وعَبَرات

٢- وأقرأُ البيت الثاني هكذا:

وما كنتُ أَخْشى أَنْ تكونَ دريئةً لجلمودِ صَخرٍ طرَّحَتْهُ الطَّوارِحُ!

ورَسْمُ المحقّق للنصّ قراءةٌ متعجّلة، أو هي قراءة على التَوَهُّم. وظاهرٌ أنّ «بكّي» تَعدّى إلى حرف الباء، وأنّ الجار والمجرور «لجلمود» متعلقان بدريئة، أو بصفةٍ منها. وسَبَبُ إنشاد الأبيات يوضح هذه القراءة وهذا المعنى.

٣- ويتبع هذا أن يشرح المحقّق «الشّحائح» لغةً ومُرادًا في النصّ؛ فإنّ مِنْ مَنهجه الشرح والتَّبيين. وشرح أَشِحّة (البيت٣) وشحائح (البيت٤) يُضيء المعنى، ويبيّن المراد.

٢٣- وهنا نصّ قرئ قراءة غير صحيحة، ثم وضعت حاشية لإصلاح النص على الوجه المقروء من المحقق؛ في الجزء: ٤ والصفحة: ٣٩ من قطعة لعمرو بن معد يكرب (لم تردْ في مجموع شعره) آخرُها:

متى ما تَبْتَغِي يومًا تَجِدْني أبلَّ فلا أَلَفَّ ولا مَرِيْضَا

وقال المُحَقّق في الحاشية إن الشاعر لم يحذف الياء من «تبتغي» للضّرورة.

قلت: القراءة الصحيحة للكلمة هي «تَبغني»، وهي المرادة من جهة المعنى، لأن الشاعر يتحدّث إلى مخاطَبِه عن نفسه. فالياء في «تبتغي» أصلية

---

(١) [وهما في البيان والتبيين للجاحظ ١: ٥٠ ط٢ تح. عبد السلام هارون (١٩٦٠م)، مع تغيير في بعض الألفاظ، والبيت الرابع في زهر الآداب ٢: ١٢١. تح. د. زكي مبارك/المجلة].

من الفعل، ولكنها في تبغني ضمير.

- وبالمناسبة فإنّ المحقق شرح كلمة أَلَفّ، ولم يشرح كلمة أَبَلّ. والفعل هو: بَلّ، ويقال استبلّ، وأَبَلّ إذا برأ من مرضه، وصَحّ.

- ولو شاءَ المحقّق الاسترسال في التّعليق الذي يُضيف فائدةً للاحظ أنّ في شعر عمرو بن معد يكرب (المجموع المطبوع في مجمع اللغة العربية بدمشق) قطعة أُخرى للشّاعر على رويّ الضّاد، وهو من حروف الرويّ الغريبة، في موضوع نصّ (الفصُوص) الذي نعالجه: التّهديد والتوعّد (لرجلٍ من مذحج)...

٢٤- ذكر صاعد (الفُصوص ٢: ٣٤١) خبر إكرام عَرابة الأوسي الشاعرَ الشمّاخ، وأنّ الشاعر نظم فيه قصيدته التي يقول فيها:

رأيتُ عَرابَةَ الأَوْسِيّ يَسْمُو إلى الخيراتِ مُنْقَطِع القَرينِ

ثم قال: «وكانَ بعدها يأتيه في كلّ سنةٍ فَيُوقِرُ له رَواحِلَهُ الأربع. فعامَّةُ أشعاره مدائح فيه، ولولا ذلك لم يُعْرَف عَرابَةُ، وكان مَجْهُولاً في الأوس. فأبقى فيهم يتيمًا، ولم يقلْ عربيٌّ في الإسلام أَمْدَحَ منه!! وبقي ذِكرُ عرابةَ على الدّهر».

قلت: إنّ عبارة «فأبقى فيهم يتيمًا» مُشَوَّهَة، والمرادُ: أنّ الشمّاخَ ترَكَ في الأوس، وفي عَرابة الأوسيّ ثناءً دائمًا مادام ذلك الشعر باقيًا. وليسَ المخطوطُ بين أيْدينا فَنُعيْدَ القراءةَ، لكنّني أجتَهِدُ فأقرأ على أَحَدِ وَجْهين هما:

- «فأبْقى فيهم ثناءً»

- و«فَأبْقى فيهِمُ بَيْتًا» أي: «رأَيْتُ عَرابةَ الأَوسيّ...» إلخ، أمّا: «يتيمًا» التي أَوْرَدَها المحقّق فلا وَجْهَ لها، ولا مناسَبَة! وهي نموذجٌ من خَطأ القراءة، وتعجّل العَمَل، وعَدم مُراجعةِ المنسوخ الجديدِ على الأُصول من جهةٍ، وعلى استقامَةِ الكلام من جهةٍ أُخرى.

٢٥- في الجزء ٤ الصفحة ٢٨٣ نص «للمحرّق»

١- وكُنتم لها عَيْنًا وفي الحَرْبِ روضةً ... وفي الـــرّوعِ صَمْصامًا وفي السِّلم مِخْلَبا

٢- أَمُـــدُّ جَناحًا دون جَمْرةِ شَمْسِهِمْ ... إذا كـــان يـــومُ الظِّـــلِّ أَقْعَـــس أَحْدَبا

٣- وأَطْلَـــع شَمْسًـــا في الشِّتاء عليهمُ ... إذا كـــان يَـــوْمُ الدَّجْـــن أَهْرَب أَهْلَبا

٤- أَســـيلُ لهـــم في كُلِّ وادٍ حفيظةً ... إذا كـــانَ وادي مَـــنْ يُـــرَجُّوْنَ مِذْنَبا

أورد المُصنّف على النصّ ثلاثَ حَواشٍ. الأُولى عند (يوم الظلّ) أشار فيها إلى رواية إحدى النّسخ: (يوم الرَّوع)؛ وشَرح في الثانية «الأَهْلَب: الخصيب» وفي الثالثة: «المِذْنَب: مَسِيْلُ الماءِ إلى الأرض». قلت:

١) لا تستقيم قراءَةُ البيت الأوّل. وفيه سَهْوٌ من المحقّق (أم هو من الأَصل؟) ومَجْرى الكلام يَقتضي أن يقول: «وكنتُ لهم عينًا... إلخ» لأنّه يتحدّث في القطعة كُلّها عن نفسه.

٢) من حقّ قارئ الفُصوص أن يبيّن المحقّقُ: يومَ الظلّ، ويوم الدَّجْن وأن يُسَوّغ اختيار «يَوْمَ الظلّ» دون «يَوْم الرّوع»؛ لأنّ المحقّق شرحَ ما دونَ هذه العبارات، وما هو أسْهَل!

٢٦- ومن ترك الشّرح المفيد؛ بل الضروري، ما في الجُزء ٥ الصفحة ١٤٥- ١٤٦ وفيه قول الشاعر (لم يسمّه صاعد)[1]:

كـــأنّ إبريقهم ظَبْيٌ على شَرَفٍ ... مُقـــدَّمٌ بِسَـــبا الكَتّانِ مَلْثُومُ

قال صاعد: «... والسَّبائب: قِطعٌ من الكَتّان...» ثم أضاف «ويقال

(١) [البيت من قصيدة شهيرة لعلقمة بن عبدة الفحل مطلعها:

هـــل مـــا علمـــتَ وما استودعتَ مكتومُ ... أم حَـــبْلُها إذ نـــأتك اليوم مصرومُ؟/المجلة]

إنّه أراد بالسَّبا: السَّبِيبَة، كما قال لبيد:

دَرَسَ المَـــنَا بمُـــتالِعٍ فأبـــان

أراد: «المَنازل» فحذَفَ للحاجة، وكما قال الآخر:

فأطْرقَ إطراق الكَرى مَنْ أُحارِبُهْ

أراد الكروان...» انتهى من المَتْن. و لم يُبيّن المحقّق و لم يشرح.

ونصّ صاعد موجودٌ في شرح المفضّليات للأنباري.

قلت: فَسَّر كتاب الفُصوص كلمةَ السَّبا أوّلاً بالسَّبائب. ثم رَوى عَمّنْ فَسَّرها بالسَّبيبة، ولم يَشْرَح؛ وفي اللّسان (س ب ب): السَّبيب، والسَّبيبةُ: الخصلةُ من الشّعر؛ والسَّبِيبة: العِضَاهُ (شَجَرٌ كبارٌ) تَكْثُر في المكان.

ومُرَاد صاعد، والأَصْل الّذي رَوى عنه، أنّ «السَّبا» مُقْتَطَعَةٌ من كلمةٍ، كما اقْتَطع لبيد: «المَنا» مِن كلمة: المنازل، واقتطع الشّاعرُ الآخَرُ: الكَرى من الكروان.

قلت: وهذا يُسَمّى عند عُلَماء البَلاغة (في موضوع البَدِيع خاصّةً): **الاكتفاء**. وقد ألفَّ شمس الدّين النّواجي كتابًا لطيفَ الحَجْم في هذا النّوع البديعي. وفي تحرير التحبير -مثلاً- لابن أبي الإصبع كلام في الاكتفا في سياق عرضه للفنون البديعيّة التي اعتَمدها.

٢٧- ومن أخطاء المنهج عند المحقق عدم المتابعة:

١) من ذلك مثلاً في (ج٣ ص٢٢٢) الفقرة [٢٥٣]: ممّا في نص الفصوص:

«وأنشدني أبو الحسن لخالد». ولم يُعيّن في الحاشية من هو أبو الحَسن، ومن هو خالد. **وكان المؤلّف قد أوْرَد في الصّفحة السابقة: ٢٢١ أنشَدنا** أبو الحسَن عليّ بن مهدي الفارسي. ولكن المؤلّف ينقل عن أبي حسن آخر

هو جَحْظَة بالواسطة، (وفي ج١ ص١٥٤-١٥٥): «أنشدني ابن بَطّة بعكبرا قال أنشدني أبو الحسن جَحْظة لعزيز الصّوفي»... **ثم قال وأنشد الخالد الكاتب، وأنشدني الخالد أيضًا...»** وهناك أكثر من أبي حسن آخر..

ومن حَقّ القارئ أن يعرف **أيّ أبي حَسن هذا**، وأيّ خالد!! علمًا أنّ المحقق عَرّف بخالد الكاتب في ج١ ص١٥٥. **فهل هو هو؟..**

٢) ومن ذلك أنّه ذكر في (ج٤ ص٧٢): «المَرّار بن سعيد» ثم ذكره في (ج٤ ص ٨٢) باسم «المرّار بن منقذ»، وهو الصّحيح؛ وقوله المَرّار بن سعيد تصحيفٌ وتحريف ظاهر...

٢٨- ومن خَلَلِ المُراجعة والمُتابعة إيرادُ النّص الواحد على وَجْهَين.

ففي مقدّمة المحقق (صاعد البغدادي حياته وآثاره: ١٨) قطعة لأعرابيّة فيها:

أَلا مَـــنْ لقلـــبٍ لا يزالُ مُكلّفًا تَـــزَايلَ مـــا بَيْنَ القَرِيَةِ والفَحْلِ

هكذا. ثمّ جاء النّص نفسه في مقدّمة المُحقق ص ٣١٣ بصيغة: «القرينة والفحل». ثم ورد النصّ في مكانه من الفصوص، (٤: ٨٤) وفيه

أَلا مَـــنْ لقلـــبٍ لايـــزالُ مُكَلّفًا تَـــزَايَلَ مـــا بـــينَ القَرِينَةِ والحَبْلِ

– وبالمناسبة فإنّ ياقوت ذكرَ الحَبْل في مَوْضِعه، وذكر القرينة وقال: (٤: ٣٣٧): «القرينة: اسم روضة بالصمّان، وقيل اسم واد». واكتفى المحقّق بعبارة «القرينة اسم واد» فكيف ترَكَ التّعريف الأوّل المُحَدّد؟ ولماذا؟

– ثم يسأل القارئ: ما نَصُّ المَخْطُوطة؟ وكيف حدَث هذا الاختلاف؟

٢٩- ومما ترك التعليق عليه لإيضاح النصّ، وهو من منهجه ما في قول الشاعر (ج٤: ٦١)

أَلم تَــرَ أَنّ الخازمـيّةَ أَصْـبَحَتْ جَـوازئُ في نفخـاءَ مُثْرٍ تُرَابُها
نَواظِـرَ عُلْـبًا قد تَدلّتْ رُؤوسُها مِـنَ النَّبْتِ حتّى ما يطيرُ غُرَابُها

وفي البيت الثّاني كنايةٌ مشهورةٌ من كنايات العرب، وفي اللّسان (غ ر ب) «إذا نَعَتُوا أَرْضًا بالخِصْب قالوا: وقَع في أرْضٍ لا يطيرُ غُرَابُها»...

٣٠- وفي الجزء ٥ الصفحة ٨٤: «يقال للرَّجُل إذا تركْتَهُ في هَلَكة: تركْتُه ببلدة إصْمِت، وتركتهُ بحياض غُنَيْم، وتركتُه بملاحِسِ البَقر، وبمخاوض الثعالب، وتركتُه بِهَوْب دابر، وتركْتُهُ بِحُوشيّ إصْمِت، وبِعَين وَبار، وبِهند الأحامس. وكل هذا لا يدري في أيّ موضع الهلكة.

وأنشد ابن الأعرابيّ:

فــإنّكمُ لَسْــتُم بــأَرْضٍ تُلُــنَّةٍ ولكــنّما أنــتم بِهِــنْدِ الأَحامسِ
بــأرضٍ إذا أمْسَــتْ تأوَّه بُومُها تأَوُّهَ مَقْصُورٍ له القَيْدُ آيسُ !» ا.هـ

ولم يشرح المحقّق الغريب الذي ورد في العبارة المنثورة إلاّ الهَوْب فقال: الهَوْبُ: البُعْد. وعلّق عند البيت الثاني: «في البيت إقواء»

قلت: في هذه القطعة من الكلام أُمور:

١) ضرورة شرح الغَرِيب؛ فإنّه يشرح أَحيانًا ما هو سَهْلٌ من الألفاظ!

- ومن تمام المنهج إيضاحُ مَعاني الغريب.

٢) لَمّا لم يشرح المحقّق عبارة «مقصورٍ لهُ القَيْدُ» من البيت الثّاني وقع في خَطأ القراءة، **وضَبَطَ حَرْفَ الرّوي من «آيسُ» بالضمّ.** ولَمّا كان البيت الأوّل مكسور الرّوي حُكمًا، وقعَ المحقّق في خَطأ ثالث وهو:

٣) قَوْلُه إن الشاعر **قد أَقْوى** أي: خالَفَ بين حركة روي البيت

الأول والبيت الثاني. وهذا من عُيوب القافية!

- قُلْت: قول الشّاعر «مقصور له القَيْد» أي هو رَجُلٌ محبوسٌ مُقيّد، وهو مُشَدَّدٌ عليه قَيْدُه (فَقَيْدُهُ قَصِيْرٌ). فإذا كان كذلك كان أشَدَّ لعَذَابه. وقوله «آيس» هي بكسر السّين، و: آيس من صفة «مَقْصُور». ويكونُ مجرى الكلام والمَعْنى أنّ صَوْت بُوْمٍ تلكَ الأرض المَجْهُولة المُوْحِشة كَتأوّه ذلك المُقَيّد، المقصور له قَيْدُه، الآيِسِ من أنْ يُطْلَقَ سراحه!!..

٤) وعلى هذه القراءة الصّحيحة ينضبط الشّعر كأصْله، ويَتّضحُ المَعْنى ويزولُ الإقواء!!

٥) وقول المحقّق في قراءة النص النّثري: «وكلّ هذا لا يَدْري في أيّ موضع الهلكة» قراءة مضطربة. ولكنّه ذكر في الحاشية أن النصّ في إحدى نسخ المخطوطة هو: «لا يدري وفي موضع».

- قلت: صواب القراءة: «وكُلُّ هذا حَيْثُ لا يُدْرى؛ وفي مَوْضع الهلكة».

أي: العبارات السابقة تقال إذا تُرِكَ أحَدُهُم حَيْثُ لا يُدْرى، أي: في مَجْهَلةٍ من الأرض، وفي موضعٍ فيه الهلاك.

٣١- وعلى الصفحة ٨ من الجزء ٤ نصّ فيه قول الشاعر:

هُـــمُ مَـــنَعُوني يومَ فَقْعاءَ بَعْدَما   خذلـــت ولم يعـــدل عليَّ قضاء

وفي حاشية المحقق على الصفحة نفسها «نَقْعَاء: موضع خلف المدينة من ديار مُزَينة.

قلت: يلاحظ أنّه أوْرَد في المَتْن (فقعاء) وفي الحاشية (نَقْعاء) الأُولى بالفاء، والثانية بالنون. فأيّهما الصَّواب؟!

- ونضع هناك ملاحظات:

١) عدم التّدقيق في قراءة النصّ، أو في وضع حواشيه. وفي هذه الحال يستوي خطأ قراءة النّص، وتصحيفُ النصّ؛ كما سأبيّن:

٢) في معجم البلدان (٥: ٢٢٩- ٢٣٠) كلامٌ على نَقْعاء (بالنون). وفيه كلام على قَقْعاء (بالقاف) في مادة قَقْعاء القُنّيات (٤: ٢٦٩).

٣) فصّل ياقوت في مادة نقعاء بالنّون، وكأنها هي المُرادة في الشعر الذي أورده صاعد في الفُصوص.

٤) ذكرَ ياقوت أكثر من موضع يُسَمّى بـ (نقعاء): أ- **موضع خلف المدينة** من ديار مزينة، وكان طريق رسول الله ﷺ في غزوة بَني المصطلق، وله ذكر في المغازي. ب- وسمّى كثير عزّة مرج **راهط: نَقْعاء راهط** ج- ونقعاء قرية لبني مالك بن عمرو بن ثمامة بن عمرو بن جُندب من ضواحي الرمل. د. ونقعاء موضع في ديار طيّئ بنجد.

ومن حقّ كتاب صاعد أوّلاً، ومن حق القارئ أن يعرف لماذا اختار المحقّق (نقعاء) الأُولى، وما مُرَجّحه في ذلك.

٣٢- ومن تَعَجُّلِ القراءة، وعدم مراجعة النّصّ على استقامة مَعانيه. وسَلامةِ ما فيه في الجُزء ٥ الصّفحة: ١١٨ عند قول الشّاعر:

ومُغـيرةٍ نَسْـجَ الجَنُوبِ شَهِدتُها تَمْضـي سَـوابِقُها على غلوائها

«... وقال أبو عُبَيْدَة في قوله نسج الجنوب: تمرُّ هذه للغيرةُ مِنَ الرّيح!».

قلت: الصّوابُ: تَمُرُّ هذه المغيرةُ مَرَّ الرّيح.

٣٣- وبعض القراءات القرآنية لم يُدَقّق؛ والخطأ أو السَّهْو فيه

خطير؛ ففي الجزء ٣ ص ١٧٧ سَرْدٌ لعددٍ من قراءات: ﴿وعَبَدَ الطّاغُوْتَ﴾ [المائدة: ٦٠] ومنها ﴿وعُبِدَ الطّاغُوْتُ﴾ برفع الطّاغوت؛ قال صاعد: «كما تقول: ضُرِب زَيْدٌ» ولكنّ المحقق جعلها ﴿وعُبّـِدَ الطّاغُوْتُ﴾. وهذا الضّبط يخالفُ مقصد صاعدٍ البَغْدادي. ويضاف إلى ذلك أنّها ليستْ بقراءةٍ مذكورة (يُنظر مثلاً مُعجم القراءات القُرآنيّة ٢: ٢٢١- ٢٢٦).

الإحالات والحواشي

١- صدر في المملكة المغربية: الرباط، عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بين ١٩٩٣ و١٩٩٦م.

٢- في كتاب: «صاعد البغدادي حياته وآثاره» للدكتور التازي، على الصفحة ١١٦: «وإذا كانت المصادر التي تحدّثت عن وصول أبي عليّ القالي إلى الأندلس قد أشارت إلى الحفاوة التي قوبل بها هذا الوافد المشرقي، وإلى الموكب الفخم الذي رافقه.. فإن المصادر... لا تشير إلى أيّ استقبال يمكن أن يكون صاعد قد خُصّ به... ولا يُفَسَّرُ هذا إلا بأن يكون [صاعد] قد دخل الأندلس دون أن يكون أهْلُها ينتظرون وصوله». وهذا صحيح.

٣- أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، البغدادي نزيل الأندلس. ولد ونشأ في منازجرد على الفرات الشرقي. رحل إلى بغداد وأتم تعليمه فيها وأقام ٢٥ سنة. ثم رحل إلى الأندلس بدعوة أموية (عبد الرحمن الناصر خليفةً والحكم ابنه أميرًا). وأحبّ هو الأندلس وأحبه أهلها. وألف فيها مجموعة من الكتب وأملى أشهر كتبه (الأمالي) وتتمّته. ويعدّ القالي أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب» وتوفي بقرطبة ٣٥٦هـ.

٤- الزّهراء: مدينة عربية إسلامية أحْدَثها عبد الرحمن الناصر قريبًا من قُرْطبة، وُصِفت في الروض المعطار بأنها: «كانت قائمة الذات بأسوارها ورسوم قصورها».

وكانت مع قرطبة مركزًا للخلافة فكأنّها عاصمة مصغرة. وحول الزّهراء حدائق واسعة وصفها ابن زيدون — وعارضها ابن أبي عامر ببناء الزّاهرة.

٥- قول صاعد البغدادي في الذخيرة (٤/١: ١٥).

٦- جذوة المقتبس للحميدي (الطنحي) ٢٢٣.

٧- المصدر السّابق ٢٢٣.

٨- المصدر السّابق ٢٢٣.

٩- الجذوة ٢٢٣.

١٠- رواه الحميدي عن أستاذه ابن حزم في الجذوة ٢٢٣- ٢٢٤.

١١- إنباه الرواة للقفطي (٨٦/٢).

١٢- الفن ومذاهبه في النثر العربي د. شوقي ضيف - دار المعارف- ٢٥٠.

١٣- المرجع السّابق ٢٤٦.

١٤- حقّقه د. إحسان عباس، وصدر عن دار الثقافة - بيروت.

١٥- الوافي بالوفيات — الصفدي — (١٦/٣) وأصل العبارة للوزير الأندلسي أبي المطرّف، رواها عنه صاعد الأندلسي صاحب كتاب طبقات الأمم.

١٦- جذوة المقتبس ٤٥- ٤٦.

١٧- الوافي بالوفيات (٣: ١٦).

١٨- الذخيرة ٤/١: ١٥.

١٩- المصدر السابق، وانظر (٣: ٧٨).

٢٠- الذخيرة ٤/١: ٢٣.

٢١- مُمَخرِق (على صيغة الفاعل)، ومادّته (خ ر ق) وفي اللّغة: تَخرّقَ الكذب: اختلقه. واشتق الفعْل من مَخرَق: توليدًا.

٢٢- الذّخيرة ٤/١: ١٦. وللخبر تتمّةٌ ثَمّة.

٢٣- الصّلة - ابن بشكوال — الدّار المصرية: ٢٣٧- ٢٣٨.

٢٤- سبقت الإشارة إلى الزاهرة عند الرقم ٤ من هذه الحواشي.

٢٥- الذخيرة ٤/١: ١٥- ١٦.

٢٦- الفصوص (٣٠/١).

٢٧- الفصوص (٣٣/١- ٣٤).

٢٨- الفصوص (٣٣/١).

٢٩- الفصوص (مقدمة المحقق) (١١/١).

٣٠- الفصوص (مقدمة المحقق) (٩/١).

٣١- الفصوص (مقدمة المحقق) (١١/١).

٣٢- الفصوص (مقدمة المحقق) (١٢/١).

٣٣- الفصوص (مقدمة المحقق) (١٥/١- ١٦)، وانظر الحاشية ٢١ السّابقة.

نظرات لغوية في معاني بعض الصوتيات:

من وحي العولمة

د. محمد سويسي

طالعت في مجلة «التعريب» السّورية (بتاريخ يونيو/ حزيران ٢٠٠٠) ص ٣٠ بحثًا للأستاذ الدكتور محمود أحمد السيّد بعنوان: [المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده] جاء فيه: «من الاجتهادات التي ظهرت في مجال الاقتصاد مصطلح **الخصخصة** مقابل Privatisation، ويعني نقل ملكية الدّولة إلى الخواصّ.

ويتساءل بعضهم لماذا لا نستخدم مصطلح الخوصصة كما استخدم مصطلح **العولمة** لمعنى وضع الشيء على مستوى العالم والصيغ الصّرفية واحدة، هي فوعلة، وتدلّ على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى، مثل **القولبة** أي وضع الشيء في صيغة **قالب**...».

وإني فعلاً ممّن يتساءل هذا السؤال... ومبدئيًا إنّ لفظ الخوصصة مشتق من صيغة اسم الفاعل، خاصّة، والألف تقلب واوًا، فيقال في الجمع مثلاً خواصّ.

وسأورد فيما يلي بعض الملاحظات المستمدة من اللغة العربية الفصحى أو من لغة التخاطب التونسية، المؤيدة لما سبق أن ذكرته لي من رأي.

من ذلك إننا إذا ما استخدمنا لفظ **الخصخصة**، ووزنه «فعفعة»، إنه يصير مكوّنًا من مقطع ذي حرفين يتكرر مرّتين، ويتفرّع مدلوله إلى صنفين مهمشين، الأوّل: يعني صوتًا يتكرر، والثاني: يصف حركة تشتدّ.

وجملة الألفاظ المركبة حسب هذه الصيغة الواردة في [المعجم

المدرسي] الشوري (المؤرخ سنة ١٩٨٥) (أعني ٧١ لفظة) تنقسم إلى هذين القسمين الواضحين، ومن بينهما المفردات الآتية الموزعة حسب المدلولين السابقين:

١) الأصوات المتكرّرة:

بأبأ = ردّد الباء في نطقه.

بحبح في النوح = غطّ.

بطبط البطّ = صوّت.

بعْبع = حكاية صوت الماء إذا خرج من إنائه متتابعًا.

بقبقت القدر = سمع صوت غليانها.

جرجر البعير = ردّد صوته.

جعجعة = صوت الرّحا.

حمحم الفرس =صوّت دون الصهيل.

خرخر الماء = صوّت حين اعترض مجراه شيء.

دندن النّحل = طنّ وصوّت.

زرزر العصفور = صوّت.

زفزفت الرّيح = اشتدّ هبوبها وصوّتت في الشجر.

شقشق الجمل = هدر.

طقطق = صوّت وكرّر الصوت.

طبطب = طنّ وصوّت مرّة بعد أخرى.

غرغر = ردّد الماء أو الدّواء في حلقه.

قعقع السّلاح = صوّت.

نشنشت القدر = صوّتت بالغليان.

وشوش = تكلّم كلامًا خفيًا أو مختلفًا لا يكاد يُفهم.

ولولت المرأة = صاحت وأعولت ودعت بالويل.

٢) الحركات المختلفة الشدة:

بسبس = أسرع في السير.

بصبص الكلب = حرّك ذنبه.

حبحب الماء = جرى قليلاً قليلاً.

حلحله = حرّكه وأزاحه من موضعه.

دبدب = أسرع في تقارب خطو.

دعدع = عدا في بطء والتواء.

دلدل الشيء المعلّق = حرّكه

رجرجه = حرّكه وجعله يضطرب.

رشرش الماء = سال وقطر وتناثر.

رفرف الطير = حرّك جناحيه.

زعزعه = حرّكه بشدة.

شرشر الماء = تقاطر.

لألأ النّجم أو البرق = لمع في اضطراب.

مصمص فاه ومضمضه = حرّك الماء وأداره فيه.

ململ المرض فلانًا = جعله يتقلب على فراشه.

هرهر الشيء = كرّر تحريكه.

ومن الملاحظ أن لغة التخاطب الشعبية التونسية احتفظت بالكثير من

«أسماء الأصوات» المذكورة فيما سبق وغيرها (مثل تكتكة وطقطقة ودقدقة إلخ) ومنها ما جرى فيها مجرى الأمثال، ومن ذلك الهرهرة في المثل [مُرَّ على واد هرهر ولا تمرّ على واد ساكت].

وأمّا صيغة (فَوْعلة) المشتقة من أوزان اسم الفاعل أو الصفة المشبهة باسم الفاعل أو اسم المفعول (فعيل)، ولا سيّما في الأفعال الصمّاء فاستخدمت كثيرًا للدلالة على التحوّل من وضعية إلى أخرى أو التظاهر بوصف من الدهر حاق، ومن ذلك:

جوسسة (من جسّ، وهو جاسّ أو جاسوس).

وحوسسة (من حسّ).

وقوبب (طار في شكل قبّة).

وسومم وتسومم (ظهر في شكل شارب السّمّ).

وقورب (قارب الشيء تدريجيًا).

وهوسس (من هاسّة ج هواسّ).

ورورق (من رقيقة).

وزوقق (من زقّ = أطعم العصفور) إلخ.

وفي الخلاصة، بعد هذه الجولة اللسانية بين العربية الفصحى ولغة التخاطب الشّعبيّة، إننا نميل كلّ الميل، إلى المصطلح المعروض في الجناح الغربي من الوطن العربي لنقل **Privatisation**، وهو (الخوصصة)، ونحسّ بنفرة واشمئزاز ممّا استخدم في جزء من الجناح الشرقي (الخصخصة).

والله الموفّق للصّواب

(آراء وأنباء)

حفل استقبال

الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري

عضوًا في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٥/ ٤/ ١٤٢٤هـ الموافق ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٣م (من الدورة المجمعية لعام ٢٠٠٣) الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري عضوًا في مجمع اللغة العربية، الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم، وصدر المرسوم الجمهوري رقم (٢٨٤) في (١٤/٦/ ١٤٢٤هـ- ١٢/٨/٢٠٠٣م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري في جلسة علنية عقدها (مساء يوم الأربعاء ٦ ذي الحجة ١٤٢٤هـ - ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٤م) في قاعة المحاضرات في المجمع؛ حضرها نخبة من رجال السياسة والعلم والأدب وأصدقاء المحتفى به.

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع بكلمة موجزة رحّب فيها بالسادة الحضور، مهنّئًا الزميل المجمعي الجديد، مباركًا انضمامه إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور موفق دعبول كلمته التي تحدث فيها عن الزميل المحتفى به، وذكر طرفًا من سيرته، ونوّه فيها بمكانته العلمية والخلقية.

تقدم بعد ذلك الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري، وألقى كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم .

وننشر فيما يلي كلمات الحفل:

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
رئيس مجمع اللغة العربية
في حفل استقبال الدكتور محمد عزيز شكري

السادة العلماء الجِلّة – أيها الحفل الكريم.

أرحب بكم أجمل الترحيب وأتمّه، وأشكر لكم تفضلكم بحضور الجلسة العلنية لمجلس المجمع التي يسعدني أن أفتتحها، لنشارك معًا في استقبال الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري، والاحتفاء به عضوًا وزميلاً في مجمع الخالدين.

لقد انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في (٢٥/ ٤/ ١٤٢٤هـ- ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٣م) الأستاذ الدكتور محمد عَزيز شكري عضوًا في مجمع اللغة العربية.

ثم صدر بتعيينه المرسوم الجمهوري ذو الرقم (٢٨٤) في (١٤/ ٦/ ١٤٢٤هـ- ١٢/ ٨/ ٢٠٠٣م).

وإني لأهنئه التهنئة الخالصة بثقة زملائه المجمعيين واختيارهم له زميلاً عزيزًا ينضمّ إلى صفوفهم، ويؤازرهم في مسعاهم، ليمضوا في طريق لاحبة تحفظ للعربية أصالتها ونهجها في التطور والنماء، وتمنحها طاقات متجددة، فلنتكاتف جميعًا لنقدّم لها كلَّ ما يعزّز مكانتها، ويسمو بها لتحتلَّ مكانتها الرفيعة بين اللغات العالمية.

• • •

لقد عرف الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري بذكائه ونشاطه وجلده على العمل، وألمعيته، وقد لفت الأنظار منذ الصغر بتفوقه في

دراسته. أنجز دراسته الابتدائية عام ١٩٤٨م ثم حصل على الكفاءة، فالثانوية العامة - فرع الاجتماعيات عام ١٩٥٥م، وكان ترتيبه الثاني على طلاب الجمهورية العربية السورية آنذاك. واختار أن ينتسب إلى كلية الحقوق بجامعة دمشق، وأمضى سنواته الأربع في الكلية فكان فيها الأول دائمًا حتى تخرج في عام ١٩٥٩م، بأعلى معدل عام في تاريخ الكلية حتى عام تخرجه. واستحق الدكتور شكري مع زملائه أوائل الكليات في جامعات الجمهورية العربية المتحدة شهادة إضافية وتكريمًا خاصًا في عيد المعلم، إذ قلدهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وشاح التفوق، وميداليته، و«شهادة امتياز أوائل الجامعات في الجمهورية العربية المتحدة» وقرر إيفادهم في بعثات للتخصص، وأُوفد الدكتور شكري إلى الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على درجة الدكتوراه في الحقوق لصالح جامعة دمشق.

سافر الدكتور شكري إلى الولايات المتحدة في الخامس عشر من نيسان ١٩٦٠م، ودرس الإنكليزية في جامعة متشغان مدة ثمانية أسابيع ليلتحق بعدها بجامعة فرجينيا، وحصل منها على درجة الماجستير في القانون في ٢٨/ ٦/ ١٩٦١م، والتحق بعدها بجامعة كولومبيا، لينال منها درجة الدكتوراه في علم القانون في ١/ ٦/ ١٩٦٤م، وعاد إلى الوطن ليعين مدرس القانون الدولي في جامعة دمشق، وهو حتى الآن الوحيدُ في الجمهورية العربية السورية الذي حصل على درجة «الدكتوراه في علم القانون» من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية. وكان من أصغر الأساتذة سنًا حين اعتلى منبر التدريس في كليتي الحقوق والشريعة، فلم يكن تجاوز السابعة والعشرين من العمر.

وواصل التدريس بهمة ونشاط في جامعة دمشق، وأمضى في التدريس أربعين سنة، كان معارًا في سبع سنوات منها لجامعة الكويت، وقضى سنة في الجامعة الأردنية، وما تبقى من سنواته الأربعين فقد كان خالصًا لجامعة دمشق، وأحيل على التقاعد في نهاية شهر آب عام ٢٠٠٣ حين بلغ سنَّ التقاعد.

كان الدكتور عزيز شكري يحب الجامعة وطلابها، وكان أستاذًا مقتدرًا في دروسه، يحسن التحدث إلى طلابه، ويثير اهتمامهم، ويوثق صلته بهم، ويوضح ما أشكل عليهم، فنجح في عمله النجاح كله، وكان موفقًا في أداء رسالته العلمية والتعليمية، فأحبه طلابه الحبّ الجمّ، وتتبعوا مواقع رضاه.

وشغل الدكتور شكري مناصب علمية مختلفة في جامعة دمشق وفي بعض الجامعات العربية، والمؤسسات العلمية، وأكتفي هنا بذكر بعض مناصبه في جامعة دمشق، فقد كان عميد كلية الحقوق مدة تسع سنوات، وكان رئيس قسم القانون الدولي ست عشرة سنة، وكان أستاذ كرسي القانون الدولي العام ثلاثًا وعشرين سنة.

وهو ما يزال إلى الآن يوالي نشاطه العلمي في مؤسسات علمية مثل جامعة القلمون، والموسوعة العربية، ومعهد الفتح الإسلامي المرتبط بجامعة الأزهر.

• • •

ويكفيني هنا أن أذكر أن سيرته الذاتية تطفح بالأعمال التي نهض بها، والمناشط التي شارك فيها، وقد أوردها في سيرته مصنفة تحت ستة عناوين، فصّل في كل عنوان ما يشتمل عليه من أعمال. وإني لأتوقف قليلاً عند العنوان الأخير منها وهو: «أهم مؤلفاته» ويعني به قسم الكتب وقسم الدراسات والبحوث.

إن ما أورده من أسماء الكتب التي سردها قد بلغ ثلاثة وعشرين كتابًا، أما الدراسات والبحوث فقد بلغت خمسة وثمانين بحثًا ودراسة، وإني على يقين من أنه أغفل بعضًا من هذه الدراسات والبحوث، وكذلك المحاضرات والمناظرات والندوات وأمثالها.

هذه الساحة الثقافية الواسعة التي شارك فيها الأستاذ محمد عزيز شكري تكشف عن المقدرة العلمية والثقافية التي يملكها، والحيوية التي دفعته إلى المشاركة في هذه المناشط المتنوعة.

ومن يتأمل الثَّبَتَ الذي سرده بعناوين الكتب والدراسات يدرك أن الدكتور شكري قد تفوق في الدراسات القانونية العالمية، وفي الدراسات القانونية العربية. وقد أعانته معرفته الواسعة أن يستقصي الموضوعات ويتتبعها ويحيط بجوانبها المختلفة. ومن المشهور للدكتور شكري عُمق علمه وسعة اطلاعه في اختصاصه «القانون الدولي والمنظمات والعلاقات الدولية»، فهو أحد العلماء المبرزين في القانون الدولي الذين يستشهد بمقدرتهم.

وتعد رسالته الدكتوراه في علم القانون من أبرز آثاره التي تدلّل على براعته ومقدرته، وقد طبعت بعنوان «نظرية تقرير المصير في الأمم المتحدة»، ومن أهم المفاهيم التي أثبتها الدكتور شكري في دراسته أن تقرير المصير هو حقّ قانوني وليس مبدأ سياسيًا فقط، وأن الشعوب هي المؤهلة لممارسة حقها في تقرير المصير، واختيار السيادة التي تريد الانضواء تحت لوائها، وشكل الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تريدها.

وهذه الأفكار التي سجلها الدكتور شكري عام ١٩٦٤م كان سباقًا إليها بحق، ومرجعًا أصيلاً، وأصبحت اليوم حقائق مسلّمًا بها.

وقد أكبّ الدكتور شكري على الموضوعات العربية الهامة فعالجها المعالجة الجادة، وتقدم بدراستها خطوات، وأذكر مثالاً على ذلك ما سطره بشأن القضية الفلسطينية، فقد كتب فيها الكثير، ويكفي أن أذكر دراسته المطولة عن «البعد الدولي للقضية الفلسطينية» (١٩٨٥م) الذي بيّن فيه الأهمية الاستراتيجية لفلسطين والأطماع الاستعمارية فيها، وتتبع بعد ذلك مواقف الدول العظمى، ومواقف المجموعة الأوربية، والدول الإفريقية، ودول أمريكا اللاتينية، وحركة عدم الانحياز، ودول العالم الإسلامي، ومنظمة الوحدة الإفريقية من القضية الفلسطينية، ثم لخص بحثه بخاتمة أوجز فيها مواقف الدول وأساليبها بصراحة ووضوح حتى عام ١٩٨٥م، ومما قاله في الموقف الأمريكي: «إن الخصم الحقيقي للأمة العربية عامة، وللشعب العربي الفلسطيني خاصة هو تحالف أمريكي إسرائيلي معلن يترجم على أرض الواقع يوميًا. وأهدافُ هذا الحلف ليس فقط تكريس الكيان الصهيوني العنصري المتوسع إلى حدود ما يُسمّى (إسرائيل التاريخية)، أو (إسرائيل الكبرى)، بل وإقامة سِلْم أمريكي إسرائيلي يتجلى في دولة إسرائيلية قوية محاطة بدويلات أو محميات عربية لا تملك حيالها حولاً ولا طولاً...». وقد أصبح بحثه مرجعًا أساسيًا لا يُستغنى عنه في قضيتنا الأساسية (فلسطين).

كذلك كان بحثه الأصيل عن عروبة الجزر في الخليج العربي والقانون الدولي (١٩٧٢م) الذي نشر بعد أيام من احتلال الجزر مشفوعًا بوثائق لم تكن معروفة قبلها. وقد قرظ الفقيه العربي الراحل حامد سلطان هذا البحث بأنه «آية قانونية تنمّ عن علم صاحبها، وعن لغة مطواعة سخرها ليعرض أفكاره في موضوع الساعة آنذاك».

وكانت كتبه ودراساته تتسم دائمًا بالدقة، وتحليل الملابسات السياسية وبيان أغراضها، وتقديم الأدلّة المقنعة، والحجج البيّنة. وقد أغنت المكتبة العربية بنظرات غاية في الجدّة وسعة المعرفة.

لن أفيض في الحديث عن تآليفه وبحوثه، وهي بحمد الله غيث مدرار، ولكني موقن أنه سيواصل السير ويتابع النهج، تلبيةً لما فُطر عليه من عمل دائب، واستجابةً لدراسة القضايا العامة والقضايا القومية التي تتطلبها المرحلة.

* * *

والحديث عن الأستاذ شكري ذو شجون، ولكني مكتف بهذه الكلمة الوجيزة، وفاء بالعرف الذي درج عليه المجمع، وهو أن أفتتح الجلسة العلنية المخصصة لاستقبال العضو الجديد، مرحّبًا بانضمامه إلى أسرة المجمعيين تمهيدًا للاحتفاء به.

فأهلاً بك أيها الزميل الكريم في رحاب مجمع الخالدين، نعمل جميعًا في سبيل رفعة العربية وتجدُّدِها لتظل أبدًا اللغة المرنة المطواع، تلبي مطالب العصر، وتستجيب لكل ما يراد منها، من مستحدثات الحضارة، ومصطلحات العلوم والفنون المتدفقة أبدًا.

ويسعدني أن أدعو الأستاذ الدكتور موفق دعبول عضو المجمع كي يلقي كلمة المجمع في استقبال الزميل العزيز، ويتحدث عن سيرته العلمية، ليتلوه الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري فيلقي كلمته التي يتحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم رحمه الله الرحمة الواسعة.

ونختم الاحتفال بتقليد الزميل الكريم الشارة المجمعية.

كلمة الدكتور موفق دعبول
في حفل استقبال الدكتور محمد عزيز شكري

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية

أيها المجمعيون الأفاضل، أيها السادة الحاضرون.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فلقد كلفني هذا المجمع الموقر تقديم الأخ العزيز الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري إليكم في هذا الحفل، حفل استقبال عضو عامل جديد في المجمع. إني أرجو أن أوفّيه حقه، وأن أفلح في الحديث عن بعض سمات هذا الأخ الكريم.

إن معرفتي بالعضو الجديد في هذا المجمع، تعود إلى ما يقرب من أربعين سنة. لقد تعرضنا في بداية حياتنا الجامعية لعقوبة واحدة. ذلك أن كلاً منا عاد من الإيفاد ولم يكن قد مضى على حصوله على الدرجة الجامعية الأولى ست سنوات، مما ألزمنا الانتظار مدة من الزمن، دون أن نتمكن من الالتحاق بعضوية هيئة التدريس.

وبرغم عملنا في كليتين مختلفتين، فقد كنا نلتقي، بين الحين والآخر، في ردهة الجامعة، أو في نشاط ثقافي. وكان لصديقٍ مشتركٍ فضلٌ في تقوية الروابط بيننا.

إلا أن علاقتنا بدأت تزداد قوة عندما أصبحنا جارين في جامعة دمشق. كنت وقتها رئيسًا لتحرير مجلة جامعة دمشق، وكان هو رئيسًا لمركز الاستراتيجية، ثم تعمقت أكثر وأكثر في الموسوعة العربية، وأخيرًا في

جامعة القلمون، في مجلس الأمناء، وفي مجلس الجامعة.

إن أول ما يلفت النظر في الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري، ما يتمتع به من وضوح في الرواية، وخاصة فيما يتعلق بالشؤون الدولية والدبلوماسية والعلاقات الإنسانية.

والأمر الثاني هو احترامه لأصدقائه، وحرصه على تقوية أواصر العلاقة بهم، والأمر الثالث قدرته على بيان ما يجول في خاطره، ودفاعه عن الحق، وهجومه على الباطل، وهو في هذا قد يكون حادًا بعض الشيء.

وأما عن نشاطه العلمي فقد تعرفته من أحاديثه في المجالس العلمية، وفي محاضراته العامة التي سمعتها، وخاصة تلك التي تحدث فيها عن القانون الدولي في عصر الهيمنة الأمريكية، ومن كتبه التي وقعت بين يدي.

إن كثيرًا من الشمائل التي يتحلى بها صديقنا الدكتور شكري يشترك فيها مع أقرانه الذين ولدوا زمن الاستعمار الفرنسي، قبل الاستقلال. كانت التحديات متقاربة والأهداف واحدة، والظروف الحياتية متشابهة. كل ذلك أدى إلى أن يحمل أبناء هذا الجيل همومًا شتى، يتصل بعضها بالوطن ومستقبله، ويتصل البعض الآخر بالكفاح من أجل الحياة الكريمة الحرة.

كان عدد سكان سورية، عندما أبصر جيلنا النور، ما يقرب من ثلاثة ملايين نسمة. الأمية متفشية، والظروف الحياتية قاسية. ومنظر الجنود الفرنسيين أو المرتزقة في شوارع المدن يثير مشاعر الغضب المكظوم..

وكان قدر هذا الجيل أن يشترك في المظاهرات التي تطالب المستعمر بالرحيل، أو التي تحتج على بعض القرارات الغاشمة.

ثم قدّر له أن يشهد الاستقلال، وما تلاه من تنازع على السلطة، وأن

يستيقظ مرارًا على صوت المذيع في الإذاعة يعلن البلاغ رقم ١.

والتحديات، إذا ما اشتدت، فهي إما أن تصيب من يتعرض لها باليأس والشلل، فتخور قواه ويستكين ويتجرع المرارة، وإما أن تكون دافعًا إلى الكفاح والعمل وبذل قصارى الجهد، فيكونَ منه رجل مميز ذو شأن.

أيها السادة: لما كنت أتوقع أن يتحدث الأستاذ الدكتور رئيس المجمع عن السيرة الذاتية للعضو الجديد، فإني أكتفي بالمرور ببعض المنعطفات الهامة في حياته، راجيًا له وافر الصحة ليستمر في أداء رسالته العلمية والحضارية خدمة لأمتنا.

ولد الدكتور محمد عزيز شكري في دمشق عام ١٩٣٧، وهو متزوج وأب لشاب وشابة، حصل على الإجازة في الحقوق عام ١٩٥٩من جامعة دمشق وعلى الدكتوراه في علم القانون من جامعة كولومبيا في نيويورك عام ١٩٦٤ بعد أن قدم أطروحة عنوانها «نظرية تقرير المصير في الأمم المتحدة». هذه الرسالة التي عدّها أحد كبار الفقهاء الأميركيين (وهو أستاذ في جامعة هارفرد) مرجعًا عامًا في موضوعها.

التحق بجامعة دمشق عام ١٩٦٤ مدرسًا، ثم ترقى من مرتبة إلى أخرى، إلى أن أصبح عام ١٩٨٠ أستاذ القانون الدُّولي. شغل منصب عمادة كلية الحقوق مدة تسع سنوات، وأعير إلى جامعة الكويت، وشغل منصب أستاذ زائر في الجامعة الأردنية، وفي المعهد الدولي لحقوق الإنسان.

وشغل منذ عام ١٩٩٥، وإلى يومنا هذا، منصب رئيس قسم العلوم القانونية والاقتصادية والسياسية والشرعية في هيئة الموسوعة العربية.

ويشغل الآن أيضًا منصب عميد كلية العلاقات الدولية والدبلوماسية في جامعة القانون. اختير مستشارًا قانونيًا لوزارة الخارجية السورية والكويتية،

والجامعة الدول العربية.

حضر مؤتمرات عدة، ورأس الوفد السوري إلى مؤتمرات عديدة، ثم إن عرض الأفكار فنٌّ، لا يفلح فيه كل من اعتلى المنصة يقدم محاضرة أو عرضًا علميًا أو ما شابه ذلك. نلحظ ذلك في وجوه المخاطبين، فبعضهم يتثاءب، في حين يكافح البعض الآخر ليبقى مع المحاضر يتابع أفكاره. إن القليل من المحاضرين يعرفون كيف يعرضون أفكارهم لتصل إلى المستمعين دون عناء.

وإن زميلنا المجمعي الجديد، فيما سمعت ورأيت، بارع في شد مستمعيه إليه، لقد أتقن قواعد ذلك الفن تمامًا، فتراه يقدم لنا بين الحين والآخر، إحصاءً مثيرًا أو طرفة ممتعة، أو قصة قصيرة فيها عبرة. يختار السهل من اللفظ مع البعد عن غير المستساغ، يقدم أفكارًا واضحة لأنه يعلم أن عدم الوضوح يجعل الكثير من الحاضرين يهجرون قاعات المحاضرات دون أن يفهموا الموضوع الذي يتحدث عنه المتكلم. وهو يبتعد عن الإطالة المملة، كما يبتعد عن الإيجاز المخل.

هدفه واضح فيما يتكلم، ينطلق من معرفته لحاجات الحضور، ليصل بهم إلى الهدف الذي يرمي إليه، ألا وهو إقناعهم بفكرة، أو تزويدهم بمعرفة معينة.

لنلاحظ كيف بدأ محاضرته في مكتبة الأسد تحت عنوان القانون الدولي في عصر الهيمنة الأمريكية، لقد قال:

«إني ألمح في عيون العديد منكم تساؤلات عديدة، بعضها واضح وصريح، وبعضها خجول وغامض. هذه التساؤلات كلها تنصب: على أي قانون دولي أتيت اليوم تحدثنا؟ بل وربما خطر ببال بعضكم ولا ألومه أن يسأل هل مازال للقانون الدولي دور أو أثر؟ أو حتى وجود في ظل هذا

النظام العالمي القائم؟ أين هو القانون الدولي مما حدث ويحدث في العراق؟ من وطن يُسرق، ودولة تُختَطف، وشعب يقتل ويهان، وحضارة تُدَمر أو تشوه، واحتلال غاشم يُشرَعَن، والعالم يتفرج ولا يفعل شيئًا.

أين هو القانون الدولي من جرح مازال نازفًا في فلسطين، والمأساة المستمرة هناك منذ أكثر من نصف قرن تزداد فصولاً وتتصاعد في ضحاياها، والعالم يتفرج ولا يفعل شيئًا؟

وما فائدة القانون الدولي إن لم يتدخل لحماية أمثال «محمد الدرة» من آلاف ضحايا آخر انتفاضة؟ حتى لا نعود للماضي القريب والبعيد.

وما أهمية القانون إن لم يَعُدِ الجولان لأصحابه، ولم ترجع مزارع شبعا لمن لهم عليها سيادة قانونية.

وبهذا الطرح للمسألة جعل الدكتور شكري المستمعين مستعدين لتلقي تعريفه للقانون الدولي في مفهومه المعاصر، على أنه مجموعة القواعد القانونية التي تحكم الدول وغيرها من الأشخاص الدولية في علاقتها المتبادلة.

انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن مصادر القانون الدولي الأصلية والثانوية، وختم ذلك بقوله: «ذلك أن القانون الدولي يعيش بكل تأكيد أزمة حقيقية، تتجلى بوضوح في التناقض الصارخ بين الأهداف والمبادئ التي قامت عليها الأمم المتحدة، وبين الممارسات اليومية لبعض الدول. هذه الممارسات التي تشكل خروجًا سافرًا على مبادئ العدالة الشرعية الدولية، دون أن يترتب عليها أي أثر لمساءلة أو عقاب. كما يتجلى هذا التناقض أيضًا بين التصور الأصلي الذي قام عليه التنظيم الدولي المعاصر عند إنشاء

هيئة الأمم المتحدة، وبين الحال الذي وصلنا إليه هذه الأيام، ذلك أن المجتمع الدولي كان قد عرف مراحل تطور كثيرة، حتى نجح في الانتقال من مرحلة المجتمع الفوضوي إلى مرحلة المجتمع المنظم، ففي المرحلة الأولى لم يكن هناك شريعة ولا قانون، فكانت القوة هي لغة التفاهم ووسيلة التحاور وحل المنازعات، وساد بذلك شعار «حجة القوة».

أما في المرحلة الثانية فقد تغير الحال تمامًا فباتت هناك قوانين وأنظمة تحكم تصرفات الدول وتقيدها، وانقلب شعار قانون القوة ليصبح قوة الحجة، في ظل تنظيم عالمي جديد تجلى بهيئة الأمم المتحدة التي تعلقت بها آمال الشعوب لحفظ أمنها وصون حقها».

ولما كان ميثاق الأمم المتحدة يُعَدُّ دستور العلاقات الدولية المعاصرة، فلقد تناوله المحاضر بما يستحقه من توضيح، محددًا أهداف هذه المنظمة الدولية، منتقدًا سلاح النقض «الفيتو» الممنوح لبعض الدول في مجلس الأمن، فبيّن أنَّ لهذا السلاح أثرًا بالغاً في شل حركة مجلس الأمن منذ ولادة الأمم المتحدة».

وفي حديثه عن إساءة استخدام هذا الحق أشار إلى أنه في عام ١٩٥٥ استخدم الفيتو ضد ٧٠٪ من مشروعات القرارات المعروضة على المجلس.

وفي ختام حديثه عن أزمة القانون الدولي في ظل الهيمنة الأمريكية والنظام الدولي الجديد بين أن «النظام الدولي يشهد حاليًا تحولات جذرية وعميقة يمكن تحديد أبرز معالمها، إضافة إلى سيادة وهيمنة القطب الواحد، بسيادة المفاهيم والقيم الغربية، والأميركية بخاصة، وتطلع هذا القطب إلى استمرار استراتيجية التفوق على العالم ودوام انفراده بتقرير أمور السياسة

الدولية، وترسيخ هشاشة وضعف أدوار القوى الكبرى الأخرى.

وعلى صعيد الأمم المتحدة اتسمت هذه المرحلة بتقلص الدور الحقيقي لهذه المنظمة الدولية في حل النزاعات الدولية واستخدام المنظمة العتيدة، أو استبعادها وفقًا لمصالح الولايات المتحدة الأميركية بما يخدم ويتوافق مع الرؤية الأمريكية للواقع الدولي. وعلى صعيد القانون الدولي اتبعت الولايات المتحدة سياسة الهيمنة بأسوأ صورها ومظاهرها، وهو ما يتجلى في ازدراء قواعد هذا القانون في الكثير من المناسبات وخرقها، والعمل عكسها في أحيان كثيرة أو تكييفها وتطويعها بما يخالف مضمونها وما يتوافق مع المصلحة الأمريكية في أحايين أخرى».

وعند استعراضه لخروق أمريكا للاتفاقيات الدولية، يذكر التدخل السافر في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، واستخدام القوة ضد دولة أخرى، وانتهاك سياسة دولة أخرى، والموقف من معاهدات الحد من انتشار الأسلحة، وازدراء أمريكا الاتفاقية المتعلقة بشؤون البيئة، موثقًا كلامه ببعض الاستشهادات المثيرة.

من ذلك ما أورده على لسان الرئيس بوش الابن، إذ يقول مبررًا موقف أمريكا من شؤون البيئة، وبروتوكول كيوتو: «لن نفعل أي شيء يلحق الضرر باقتصادنا لأن مصلحة الناس الذين يعيشون في أمريكا تتقدم على ما عداها». وهذا يؤدي كما يلاحظ الدكتور شكري إلى أن سعر الكهرباء في كاليفورنيا أعظم أهمية من ثقب طبقة الأوزون، ومن ذوبان كتل الجليد القطبية ومن ارتفاع حرارة الأرض والكوارث التي ستصيب العالم بأسره بفعل التغيير المناخي، لَمَ لا؟ مادامت واشنطن سيدة العالم فهي ترسم مستقبل هذا العالم ولو أدى الأمر إلى فنائه.

وعند حديثه عن المحكمة الجنائية الدولية تساءل الدكتور شكري عن الموقف الأمريكي العدائي من هذه المحكمة، باعتبار أن الولايات المتحدة أكثر من يتحدث هذه الأيام عن حقوق الإنسان، بل إنها باتت تغزو الدول وتحتلها بذريعة حدوث انتهاكات لحقوق الإنسان فيها، وللجواب عن هذا التساؤل اكتفى بالإشارة إلى ما أورده المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي في كتاب له بعنوان - ماذا يريد العم سام- وفيه يقول بالحرف «أعتقد من وجهة النظر القانونية أن هناك ما يكفي من الأدلة لاتهام كل الرؤساء الأمريكيين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بأنهم مجرمو حرب أو على الأقل متورطون بدرجة خطيرة في جرائم الحرب.

وأشار المحاضر بعد ذلك إلى أن الولايات المتحدة لم تصدِّق على معاهدات الأمم المتحدة حول حقوق الطفل لعام ١٩٨٩ وحول الحقوق الاقتصادية والثقافية والاجتماعية لعام ١٩٦٦ ولا على معاهدة القضاء على اشكال التمييز ضد المرأة لعام ١٩٧٩ أو على بروتوكول عام ١٩٨٩ المكمل للاتفاق القاضي بمنع إنزال عقوبة الإعدام بالأحداث، التي لا تزال نافذة في الولايات المتحدة الأمريكية حتى الآن.

ولم يفت المحاضر الحديث عن شؤون شتى تتعلق بالقانون الدولي ومن أهمها الحديثُ عن ذريعة التدخل الإنساني، هادمة بذلك العديد من قواعد القانون الدولي الثابتة والمستقرة، وواقفة في وجه التطور الحضاري الأممي، والحديثُ عن احتلال العراق، وعن التحكم الأمريكي بالقانون الدولي وبالتنظيم الدولي، مشيرًا إلى أن الولايات المتحدة الأميركية استخدمت حق النقض ٧٧ مرة بين عامي ١٩٦٥ و٢٠٠٢ (سبع وثلاثون منها لتدعيم

سياسات إسرائيل العدوانية). والحديث عن موقف أمريكا من الإرهاب الدولي، والذي تَفَهمه أمريكا وفق مصالحها. ثم تناول الدكتور شكري قاون محاسبة سورية، مبينًا تعارضه مع مبادئ القانون الدولي ومع قرارات الأمم المتحدة. وزبدة القول هي أن القانون الدولي اليوم ليس القانون الدولي الذي عايش الأمم المتحدة حتى انهيار توازن القوى في مطلع التسعينيات، وحتى في بدايات مرحلة القطبية الأحادية، إنه،كما يؤكد المحاضر، قانون دولي مؤمرك أو قانون أمريكي مدَوَّل. ويقول: إن رجال الثورة الأميركية من أمثال واشنطن وجيفرسون وفرانكلين وماديسون وهاملتون وسواهم، لو قيض لهم أن يبعثوا من قبورهم وأن يقولوا شيئًا عن سياسات بلدهم في أيامنا هذه لقالوا اشهدوا أننا أبرياء مما يفعل بوش ورجاله. فنحن، مَن يمثل القيم الأميركية الحقة وليس الرئيس بوش وأعوانه من اليمين الأميركي المتصهين. هؤلاء متحالفون مع الشيطان، أليسوا الحلفاء الاستراتيجيين لإسرائيل حتى لا نقول عملاءها ومنفذي خططها؟

هذا هو منهج العضو الجديد في المجمع، في طرح أفكاره، إنه يبدأ من نقطة انطلاق واضحة وهدف واضح، ثم ينتقل إلى تحديد مفاهيمه وتوضيح فرضياته وإثباتها إلى أن يبلغ نقطة النهاية. يتخلل ذلك إثارات كثيرة من دعايات لطيفة وإحصاءات وأرقام تؤكد دعواه.

ونلحظ المنهج العلمي الرصين في مؤلفات الدكتور محمد عزيز شكري. لننظر مثلاً في كتابه International terrorism: A Legal Critique الذي أصدره المؤلف باللغة الإنكليزية عام ١٩٩١م وترجمه إلى اللغة العربية الأستاذان الدكتور محمد توفيق البجيرمي وعصام جميل العسلي،

وقدم له دولة رئيس مجلس الوزراء اللبناني السابق الدكتور سليم الحص، ونَشرتْ ترجمته العربية دار العلم للملايين عام ١٩٩٢ بعنوان الإرهاب الدولي: دراسة قانونية ناقدة: نجد في هذا الكتاب تمهيدًا، وضع فيه المؤلف خطة بحثه، مشيرًا إلى أن الجهود المتضافرة من جميع الجهات قد أخفقت ليس في استئصال شأفة الإرهاب فحسب، وإنما أخفقت في تحديد هذا المفهوم الغامض أيضًا. ولم يقل لنا أحد أبدًا، بأية درجة من الوضوح أو اليقين، ما هو الإرهاب فعلاً، أو ما هي أشكال الإرهاب حقيقة، أو لماذا يعتبر الإرهاب سياسيًّا على وجه الحصر، كما أن أحدًا لم يقل لنا لماذا يعتبر الإرهاب السياسي متساويًا مع الإرهاب الدولي. وحينما يطبق التعبير الشائع بأن «من يعتبر إرهابيًا من وجهة نظر أحدهم يعتبر بطلاً أو مناضلاً في سبيل الحرية من وجهة نظر آخر» يقول: أجل حينما يطبق هذا التعبير الشائع على الفلسطينيين واللبنانيين والأفارقة الجنوبيين السود، فإنه مرفوض بشدة. ومع ذلك فقد تم الإلحاح علينا للاعتقاد بأن فظائع الكونترا في نيكاراغوا هي أخلاقية لدرجة أن هؤلاء يعادلون «آباءنا المؤسسين، في رأي ريغان وشُلتز، ولو طبق معيار واحد، فإن طبيعة الأعمال الصادرة عن جميع هذه المجموعات ستكون متساوية بقدر ما يتعلق الأمر بحياة الناس الأبرياء وكرامتهم وحريتهم. ولم نقصد بهذا القول إصدار حكم نقوِّم فيه عدالة قضايا هذه المجموعات، ولكن، دعونا نَستَعِدْ قول فولك «Falk» لماذا يوجد إرهابيون جيدون وإرهابيون سيئون، حينما يلجأ كلاهما إلى استراتيجيات وتكتيكات متشابهة إن لم تكن متماثلة، بقطع النظر عن كونهم موظفين حكوميين أم ثوريين.

وبعد التمهيد يحاول المؤلف تعريف الإرهاب ويتعرض لأشكاله، ثم يختم كتابه بالحديث عن نظرة شاملة إلى الإرهاب في القانون الدولي، يقدم لنا فيها اقتراحه لتعريف الإرهاب الدولي فيقول: إن الإرهاب الدولي بالدرجة الأولى عمل عنيف وراءه دافع سياسي، أيًا كانت وسيلته، وهو مخطط بحيث يخلق حالة من الرعب والهلع في قطاع معين من الناس لتحقيق هدف قوة، أو لنشر دعاية لمطلب أو ظلامة، سواء أكان الفاعل يعمل لنفسه بنفسه، أم بالنيابة عن مجموعة تمثل شبه دولة، أم بالنيابة عن دولة منغمسة بصورة مباشرة أو غير مباشرة في العمل المرتكب، شريطة أن يتعدى العمل الموصوف حدود دولة واحدة إلى دولة أو دول أخرى، وسواء ارتُكِب العمل الموصوف في زمن السلم أم في زمن النزاع المسلح».

وقبل أن أنهي حديثي اسمحوا لي أن أبوح بسِرّ للعضو الجديد، وإني بذلك أكتشف بعضًا من الحقيقة، أو ما يبدو لي أنه حقيقة، ترسخت في النفس مع تعاقب الأحداث. ولا يمكن لي أن أعرض الحقيقة كلها في هذا الموقف، وفي هذه المدة الزمنية المتاحة لي في هذه المناسبة الغالية. ثم إنه ليس كل ما يعلم يقال. وإن بعض الكلام، إن لم يُحسنَ اختياره واختيار البيئة المناسبة والزمن المناسب، يؤدي إلى الابتعاد عن الهدف ويمكن أن يساء فهمه، وكم أكبَّت حصائد الألسنة الناس على وجوههم. أما هذا السر فهو أنني عندما تلقيت نبأ اختياري عضوًا في هذا المجمع وصدور المرسوم الرئاسي بذلك، أحسست برضا. وعددت ذلك نوعًا من التشريفِ. وثمرة لجهود مضنية في التدريس والتأليف والنشاط العلمي. وإتاحة الفرصة لي لأقدم ما يمكن تقديمه لحماية اللغة العربية وتعزيز مكانتها، هذه اللغة التي

أضاعها أهلها أو كادوا، وكما قال مستشرق «لا توجد على وجه الأرض لغة لها من الروعة والعظمة ما للغة العربية، ولكن لا توجد على وجه الأرض أمة تسعى بوعي أو بدون وعي إلى تدمير لغتها كالأمة العربية».

ولكن ما إن بدأتُ بحضور جلسات مجلس المجمع والمشاركة في لجانه، حتى أحسست بعظم المسؤولية الملقاة على عاتق المجمعيين، وأن عضوية المجمع لا تتوقف عند التشريف، بل تتطلب عملاً دؤوبًا ومعاناة وإعادة النظر في تحديد الأهداف وآليات العمل وغير ذلك من الشؤون.

وزاد من همومي أن المخلصين من أبناء الأمة يتوقعون من المجمع أكثر بكثير مما يقدِّم أو يستطيع..، ويرتقب الغيورون علىلغتنا من الشرق والغرب أن نقدم لها ما تستحق من الاحترام والمحافظة على الأصالة. ولقد قال المستشرق ماسينيون مرة «لِيصْمُدِ العرب لأن العالم بأمس الحاجة إليهم، وليحترموا عربيتهم، هذه الآلة اللغوية الصافية التي تصلح لنقل اكتشاف الفكر في كافة الأقطار والأمصار، وليحافظوا على أصالتها فلا تنقلب مسخًا مقلدًا للغاتنا الآرية أو أن تتخثر في حدود ضيقة شأن العبرانية الجديدة التي تخثرت في الصهيونية المتطرفة».

أيها المجمعي الجديد نأمُل أن تَضم جهودك إلى الجهود الغيورة في هذا المجمع، عسى أن نبقي لهذه اللغة ألقها، ونحميها من أن تكون مسخًا لغيرها. لقد كانت مصطلحات القانون تحظى برعاية المجمعي الراحل الأستاذ الدكتور عبد الوهاب جومد، وهي الآن بانتظارك تمد يدها إليك. وأنت أهل لذلك. لأنك إلى جانب اللغة العربية تتقن أكثر من لغة أجنبية. فهلا مددت لها يدك. والطريق طويل وشاق؟ لكنه ممكن على أهل العزم والسلام.

كلمة الدكتور محمد عزيز شكري

في حفل استقباله في مجمع اللغة العربية

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية .

الأساتذة الزملاء المجمعيون

سيداتي وسادتي

اسمحوا لي في بادئ ذي بدء أن أعبّر عن اعتزازي بالثقة الغالية التي أولاني إياها أعضاء مجمع اللغة العربية الموقر، حين تكرموا فاختاروني لأعمل معهم في خدمة أهداف هذا المجمع، الذي كانت عضويته إحدى أمانيَّ العزيزة، ولأضع ما أملك من طاقة وإمكانات في خدمة وطني العربي، فيما تبقى لي من عمر ومن قدرة على العطاء. فشكرًا لهم وعهدًا أمام الله أن أظل أهلاً للثقة.

أطرق باب «مجمع الخالدين» اليوم، وفيَّ رغبةٌ، ورهبة، وإيمان. رغبةُ التوّاق إلى الحصول على شرف الانتماء إلى هذه المؤسسة العلمية العظيمة، ورهبةُ المتهيّب من أعباء هذا الانتماء، وإيمانٌ بالله كبير أن أوفّق في مسعاي.

وأشكر الزميل والأخ الأعز الأستاذ الدكتور موفق دعبول، على تقدمته الطيبة راجيًا أن أكون محلاً لها، كما أشكر من تجشم عناء حضور هذا الاحتفال.

أيها السيدات والسادة:

حديثي اليوم عن فيلسوف كبير من فلاسفة العرب المعاصرين، ومعلم أجيال وأجيال على مدى السنين، وواحد ممن حملوا هموم أمتهم العربية وآمالها طَوال عمره.

حديثي اليوم عن الراحل الكبير الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم، الذي شاءت الظروف ألا أعرفه شخصيًا قبل الثمانينيات، مع أني سمعت عنه وعن فضله منذ مطلع الستينيات حين التحقت بجامعة دمشق مدرسًا مبتدئًا في كلية الحقوق، وكان رحمه الله أستاذًا عملاقًا في قسم الفلسفة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية. وأذكر في هذا المقام أن الفضل في تعارفنا يعود إلى صديقنا المشترك، الأستاذ الدكتور كمال الغالي شفاه الله وعافاه واختار له الخير، ومنذ أصبحنا جيرانًا في أبنية أساتذة الجامعة بشارع الفارابي بالمزة مارسنا ما كنت أسميه ويضحك له راحلنا الغالي «التفكير بالأقدام»، إذ كنا نمشي ساعة كل يوم إلى أن غاب من غاب منا وقعد من قعد وتيتّم من تيتّم.

خسرت صحبة المفكر الفيلسوف الدكتور بديع الكسم، وافتقدت وأفتقد صحبة العروبي الكبير والعالم الجليل كمال غالي، ولم يبق لي حين تتيح لي الظروف أن أمارس «التفكير بالأقدام» إلا أن أذكرهما وأحن إلى أيام صحبتهما، وأتذكر كم تعلمت منهما؛ فقد كانا توأمين في الفكر والتوجه القومي، وكنت تلميذهما وأعتز بذلك. وما أحوج جيل هذه الأيام إلى أمثال بديع الكسم وكمال غالي مفكرين مبدعين وأخوين في الله والوطن، وزاهدين في مناصب السلطة ومباهجها.

حين هممت بالكتابة عن راحلنا الكبير الدكتور محمد بديع الكسم وجدت صعوبتين: أولاهما أنه فيلسوف لامع وما أنا إلا حقوقي متواضع نهلت من حيز ضيق في الفلسفة حين درست «فلسفة التشريع» قبل البدء بكتابة رسالتي لنيل الدكتوراه في علم القانون قبل أربعين عامًا، ولذا خشيت ومازلت أخشى ألا أفي راحلنا حقه حين أعرج على إسهاماته الكبيرة في الفلسفة.

حسبي أني أحاول.

وثانيتهما أن ما سأقوله في بديع الكسم سبقني إليه كثر، إن في حياته أو حين استقباله في مجمع اللغة العربية في ١٧ تشرين الأول من عام ١٩٩٠ أو في تأبينه في ١٣ تشرين الثاني عام ٢٠٠٠ أو في ما كتب عنه في حياته وبعد رحيله، وكلهم أكثر مني علمًا وأفضل عبارة وأشد قربًا إلى الأستاذ الجليل وتخصصه. وعزمت أمري أن أتوكل على الله وأن أقطف من كل بستان زهرة لعلي أقول في فقيدنا الجليل بعض ما يستحقه، وهو الذي يستحق الكثير، وضمن ما يسمح به المقام وهو ضيق جدًا.

لن أعود إلى تذكيركم بحياة الأستاذ الدكتور بديع الكسم فالكل يعرف أينَ ولد وفي أي بيئة عربية إسلامية أصيلة تربى وترعرع، وأين دَرَسَ، وأين درّس وأين عرّب، وكيف ناضل من أجل عروبته بقلمه ولسانه؟ ولكني أريد في هذا المجال أن أركّز على نتاجه العلمي وتوجهاته العروبية وصفاته الخُلُقية.

بديع الكسم من الرعيل الثاني لرواد الفكر العربي وأساتذة الفلسفة العربية الحديثة من الأربعينيّات، مع زكي نجيب محمود، وتوفيق الطويل،

ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، ومحمود أمين العالم، وسامي الدروبي، وعبد الرحمن بدوي، ومحمود قاسم، وعادل العوا، بعد الرعيل الأول مثل إبراهيم بيومي ومدكور عثمان أمين، ومحمد مصطفى حلمي، وأبي العلا عفيفي وعلي سامي العشار، ومحمد علي أبو ريدة، تلاميذ المؤسس الأول للفلسفة في الوطن العربي مصطفى عبد الرازق، تلميذ محمد عبده، تلميذ الأفغاني، إذ ارتبطت نشأة الفلسفة العربية الحديثة بالحركة الإصلاحية، إحدى مكونات عصر النهضة العربية، وهو الممهد لجيل الخمسينيات من أمثال محمد عزيز الحبابي، وشيخ بو عمران، ومحجوب بن ميلاد، وفؤاد زكريا، وزكريا إبراهيم، وحسن حنفي صاحب هذه المقولة وهو دون شك يعرف ما يقول.

وبديع الكسم ينتمي إلى جيل الحرب العالمية الثانية الذي عاصر الأحداث في الوطن العربي قبل الحرب وبعدها، فرح غاية الفرح للسعيد منها، كالوحدة السورية المصرية، واستقلال الجزائر، وحرب تشرين عام ١٩٧٣، وتمزق من داخله أي تمزق للنكسات التي أصابت أمته، كهزيمه عام ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧ وتشتت العرب، تمزقهم فيما سبق وتلا حربي الخليج الأولى والثانية، إلى أن اختاره الله إلى جواره في الخامس من تشرين الأول من عام ٢٠٠٠. وكانت أمتنا العربية تدخل عصر الانحطاط الذي نعيشه اليوم.

صورته في الوطن العربي أنه هو هذا المفكر المتعمق، المتأمل، القليل الكتابة والعميقها، الهادف إلى النوع لا إلى الكم[1]، تَوَحَّد اسمه مع فكرة

---

(١) محمد بديع الكسم (البرهان في الفلسفة)، ترجمة جورج صدقني، دراسات فكرية (٨) منشورات وزارة الثقافة-دمشق ١٩٩١.

«البرهان في الميتافيزيقا» في نصه الفرنسي الأصلي، قبل أن يترجم إلى العربية وقبل أن تصدر مقالاته الأخرى التي تم تجميع بعضها[1]. وعلى الرغم من المراجع الغربية لرسالة الدكتوراة في الغالب، إلا أن أفكارها ومباحثها إسلامية أصيلة وقديمة. فقد بحث أبو حامد الغزالي عن اليقين قبل ديكارت. وعَرَّف ابنُ رشد الفلسفةَ بأنها: «النظر في الموجودات بحَسَب ما تقتضيه طبيعة البرهان»، وفَرَّق بين أقاويل ثلاثة: الخِطابي والجَدلي والبُرهاني. وفي المنطق الأصولي «ما لا دليل عليه يجب نفيه». وفي نظرية العلم في أصول الدين، كما عرض «الإيجي» في المواقف، أن كل الحجج النقلية حتى لو تضافرت لإثبات شيء أنه صحيح ما أثبته، ولظل ظنيًا ولا يتحول إلى يقين إلا بحجة عقلية ولو واحدة. والبرهان لفظ قرآني: ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقين﴾. والبرهان إما من الله وإما من الإنسان، وإما في الموضوع ذاته. فهو رؤية حدسية أو استدلال عقلي أو وضوح موضوعي.

كان بديع الكسم رحمه الله يعبر عن جوهر حضارتنا العربية وحاجتنا المعاصرة إلى البرهان بعد أن اتهمنا بأننا حضارة الإنشاء لا الخبر، الشعر لا العلم، الخطابة لا البرهان.

كان الفقيد يبحث عن الإنسان العربي الجديد على طريق عقلانية الغرب التي أصبحت مشاعًا بين الجميع في القرون الأخيرة، على الرغم من غرابة مادة المنطق والميتافيزيقا عن الوجدان العربي الحديث.

---

(١) (بديـــع الكسم) إعداد وتقديم عزت السيد أحمد، دراسات فلسفية وفكرية ١٤، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق ١٩٩٤.

والمنطق هو أعلى العلوم الفلسفية طلبًا للبرهان، أحبه الفقيد مع أنه لم يؤلف فيه لأنه آلة، أما الميتافيزيقا فهي الموضوع، والدين ميتافيزيقا، عودًا إلى تراثنا القديم، وليس شعائر ولا طقوسًا ولا مؤسسات ولا عقائد. الله موجود قضية ميتافيزيقية، وحكم منطقي، فلا توجد قضية إلا ولها برهان، ولا توجد حقيقة إلا ويصدر عليها حكم، وهذا يضاد النزعة الغنوصية التي تؤمن بالعرفان والذوق والحدس المباشر والرؤية العينية بلا برهان، والنزعة الشكلية اللاإرادية بتياراتها كافة، سواء التي تنكر وجود حقيقة أيًا كانت، أو التي تثبت وجودها وتنكر أهمية البرهان عليها، أو التي تثبت وجودها وإمكان البرهنة عليها ولكن دون يقين.

لذلك قسم الدكتور الكسم فكرة «البرهان في الفلسفة» إلى سبعة فصول: في الأول بحث التوكيد والحقيقة، من أجل بيان أنه لا توجد حقيقة إلا ولها برهان يثبتها، وفي الثاني ناقش الحقيقة والبرهان من أجل شرح معنى البرهان وتوكيده في المعارف العلمية العامة والفلسفية والدينية والإيمانية، وفي الفصل الثاني طرح تعريف الفلسفة وهو سؤال «هيدجر» ما الميتافيزيقا، وفي الفصلين الرابع والخامس عرض نظرية البرهان وتحققاتها في التاريخ؛ وفي الفصل السادس أقام التمييز بين نظريتين في البرهان والاتساق سواء أكان اتساقًا صوريًا، المقدمات مع النتائج والعقل مع نفسه، أم التطابق العادي، العقل مع الواقع؛ وفي الفصل السابع عرض نظرية الحدس أو الوضوح أو الكشف عندما تتضمن الحقيقة برهانًا في ذاتها، لا فرق بين الذات والموضوع. وغالبًا ما ينكشف ذلك من الشعور القصدي كما هي الحال في الظاهريات المعاصرة عند «هوسرل» و«شيلر» والحدس عند «برجسون»

وعند أبي حيان التوحيدي وفلاسفة الإشراق القدم[١].

يكشف الكتاب عن «قدرة الكسم العالية على التنظير وإعمال العقل الخالص في أكثر الموضوعات تجريدًا، وهو البرهان، وأكثر العلوم صورية، وهو المنطق وما تتطلبه الميتافيزيقا من إحساس مرهف.

يجمع الكسم بين توما الأكويني وتجريده، وأوغسطين وتجاربه، وباسكال، وعقلانية ديكارت وبلغة السهروردي هو الحكيم المتأله المتوغل في التأله الموغل في البحث»[٢].

ومن ثم «يؤسس العقلانية العربية الحديثة دون الوقوع في وجدانيات «الجوانية» لعثمان أمين، ولا في الوجوديات التومائيّة ليوسف كرم، ولا في التجارب الوجودية عند عبد الرحمن بدوي الأول عند نيتشه وهيدجر أو زكريا إبراهيم عند «ياسبرز» و«مارسل».

وتجاوز الدكتور الكسم النزعة الإرادية في تحليل الأفكار والنظريات، إلى تعليل عقلي صاف مازال جيل فلاسفتنا يحاول العودة إليه، بعدما عصفت به الأحداث وهزته الهزائم والنكسات وأصبح محاصرًا بين شيخوخة القدم وانفعال المعاصر، بين العقل اليوناني القدم أو الديكارتي الحديث،

---

(١) انظر حسن حنفي حفل تأبين الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٦ ج٣/٢٠٠١.

(٢) المرجع ذاته.

وبين انتفاضة الأقصى وصراخ الشعوب المستعمرة[1] وخاصة في فلسطين.

يضيف الدكتور حنفي وهو الفيلسوف العربي الذي يمثل الجيل التالي لجيل فقيدنا، أن بديع الكسم «يقرأ باتساع ويدل على ذلك الكم الهائل من المراجع في آخر الكتاب. إن الكسم «يقرأ ولا يرفض، يحاور ولا يستبعد، يتمثل ولا ينقض ولا يصدر أحكامًا على الآخرين. وهذا واضح من أعلام فكرة البرهان في الميتافيزيقا الذين يناقش أفكارهم أو يوردهم مراجع لبحثه المعمق.

وفي هذا الأفق الواسع من الوافد الغربي القديم والحديث لم ينس الأستاذ الكسم الموروث. إنه ينتمي إلى حضارة عربية إسلامية. فذكر ابن رشد، وهو الفيلسوف العقلاني البرهاني، والرسول باعتباره نموذج الحكيم الذي يقوم بتحليل تجارب البشر، وابن سينا واضع الميتافيزيقا في صيغتها الشاملة، والغزالي في النفس، والمعري وإقبال في الله، نموذجًا للحقيقة الشاملة. ويذكر الفارابي الفيلسوف المنطقي القديم، وابن تيمية في تحليله للمنطق الصوري، ومحمد عبده العقلاني الإصلاحي. ومن المحدثين نجيب بلدي الذي جمع عقلانية ديكارت وحياة برجسون، وقنواتي نموذج التومائي الحديث، ومن الأنبياء يذكر المسيح ومحمد عليهما السلام، وأصحاب الدين الطبيعي.

طبعت رسالة فقيدنا الكسم بالفرنسية مرتين. الأولى في جنيف والثانية في فرنسة، إذ تولت دار المطابع الجامعية P.U.F، التي دأبت على نشر كتب كبار فلاسفة العصر، نشرها وتكريس سموها في كتب فلاسفة

---

(١) انظر حسن حنفي «حفل تأبين الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٦ ج٣، ٢٠٠١.

هذا العصر. وفي عام ١٩٩١ نهض الزميل المجمعي الكريم الأستاذ جورج صدقني بترجمتها إلى اللغة العربية المبينة بعنوان «البرهان في الفلسفة» وقد صدرت هذه الطبعة عن وزارة الثقافة عام ١٩٩١ لتسد فراغًا كبيرًا في مجال الفكر الفلسفي العربي المعاصر.

وليسمح لي الأستاذ صدقني أن أقتبس منه ما أورده في مقدمة ترجمته لرسالة الدكتور الكسم من فقرات استلها من رسالته، تعبر عن الاتجاه الإنساني والروحي الأصيل في فكر الكسم:

تقول الفقرة الأولى:

«الحب وحده هو الذي يستطيع أن يهزم الموت. ومن هنا كان الشعور بتجاوز الزمن في كل فعل يهب الإنسان فيه ذاته أو يضحي فيه بنفسه. عند ذلك تتم المشاركة بالمطلق، لا عن طريق عملية تجريدية وإنما عن طريق التحقق المشخص، أي عن طريق نمط من الوجود».

وتقول الفقرة الثانية:

«إن مفهومًا عن العالم والإنسان ينتهي بالضرورة إلى الانتحار أو الجنون لا يمكن أن يكون صادقًا، ذلك أنه يهدم في نهاية الأمر إمكانية الصدق نفسها. إن الثقة بالعقل تتضمن الثقة بالوجود. وما التمرد على العبث إلا تعبير عن المعنى في جذور الجوهر الإنساني»[1].

لا عجب، والحالة هذه، أن تنال أفكار فقيدنا الأستاذِ الكسم إعجاب

(١) محمد بديع الكسم، البرهان في الفلسفة، ترجمة جورج صدقني، دراسات فكرية (٨) منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩١.

فلاسفة زمانه.

فجان ايكول Jean Ecole يقول في مجلة الدراسات الفلسفية العدد الأول سنة ١٩٩٠ مبيِّنًا أهمية وصعوبة الموضوع الذي طرقه الأستاذ الكسم، إنه «لم يتصد لموضوع سهل. لهذا لا نستطيع إلا أن نثني على الشجاعة التي أظهرها وعلى الطريقة الواضحة التي عالج فيها هذا الموضوع».

أما بورغلان Burgelin فيقول في رسالة الكسم: هذا الكتاب إسهام جيد في الجهد الذي بذله الوضعيون والمناطقة والمؤرخون لفهم المهمة الفلسفية.

ويؤكد ليفراز Leyvraz أن هذا الكتاب ربما وجب على كل مهتم بالفلسفة أن يقرأه. أما بوجنسكي Bockenski فيذهب أبعد من ذلك حين يقول «**الآن نستطيع القول إن العرب قد عادوا بعد غياب طويل إلى الإسهام في العمل الفلسفي، ومن ثم إلى القيام بدورهم في بناء الحضارة الإنسانية**».

إلى جانب رسالته الخالدة وضع راحلنا الكبير خمس عشرة مقالة ومحاضرة له أشار إليها الأستاذ صدقني في تقدمة ترجمته العربية للرسالة، في حين أورد الأستاذ عزت السيد أحمد في كتابه الموسوم «بديع الكسم» الصادر عن وزارة الثقافة عام ١٩٩٤ اثنتين وعشرين مقالة حبرها فقيدنا الكبير عبر السنوات منها «**لغة الفلسفة**» و«**الحقيقة الفلسفية**» و«**البحث عن الفلسفة**» و«**بيان أحكام الوجود**» و«**أحكام القيم**». وفي الفلسفة والاجتماع كتب «**النزعة الإنسانية**» ومن «**خصائص التفكير**» و«**الحرية

أساسًا» و«**حول أزمة الإنسان الحديث**» و«**حول الغاية والوسيلة**» وفي الهموم القومية كتب الكسم «**دور الفلسفة في توحيد الفكر العربي**» و«**حول الثورة الثقافية والثقافة القومية والثقافة الإنسانية**» و«**الإنسانية الصحيحة في القومية الصحيحة**» و«**ازدواج الدلالة في الثقافة العربية**» وفي الفلاسفة كتب عن «**طاغور**» وعن «**الشرق والغرب في فلسفة رينيه جينون**» و«**الشعب وحرية الفرد في فلسفة هيجل**» و«**مفهوم الوطنية في فلسفة فيخته**». وترجم الدكتور الكسم ولخص وعرض مجموعة أخرى من أمهات الكتب مثل «**الخلق الفني: تأملات في تأليف بول فاليري**» الصادر عن دار طلاس عام ١٩٩٨ و«**التطور الخالق لهنري برغسون**» الصادر عن الدار ذاتها في العام نفسه. وللذين ينعون على راحلنا الكبير قلة إنتاجه المكتوب أو يجادلون في حججه على إقلاله، نقول مع راحل كبير آخر هو الأستاذ الدكتور عادل العوا «كان بديع الكسم فيلسوفًا يحيا أفكاره والفيلسوف الذي يحيا أفكاره ويريد أن ينقل بصورة حية هذه الأفكار إلى أذهان معاصريه، ليس له إلا أن يحذو حذو معلم الفلسفة سقراط الذي لم يؤلف.. ولم يكتب وحتى لم يعلم تعليمًا.. وإنما كان إنسانًا يلقى الناس في كل مكان. يحادثهم في أي زمان ولذا غدا نموذج الفيلسوف الحي[(١)].

أما عن أسلوبه في التعبير فيقول الأستاذ الجليل أنطون مقدسي «إن الكسم جدلي بارع يتلاعب بالنظريات تلاعب عازف الكمان بآلته، ويكشف بسرعة خاطفة عن حدود فكر كبار الفلاسفة، ولا يخلو أحيانًا

---

(١) عزت السيد أحمد، ذات المرجع ص ١١.

تحليله من سخرية تظهر لا في الكلمات بل بينها[١].

اتسعت مساحات اهتمام راحلنا الكسم لتتجاوز الفلسفة إلى غيرها من العلوم، وفي هذا يذكر أستاذنا الدكتور شاكر الفحام:

«ويروعك في الأستاذ الكسم هذه المتابعة لأحدث ما يستجد على الساحة العلمية. ثم هذه السعة في دائرة المعرفة. فهو وإن جعل همه ووكده الفلسفة وعلومها المختلفة، يشارك في الآداب وعلوم اللسان والتاريخ وأمثالها المشاركة الجادة، وكأنه لا يريد أن يقصر تخصصه عن الإلمام بطرف من كل فن»[٢]، ويقول أستاذنا الفحام أيضًا «أخذ الكسم بزمام الكلام وعرض موضوعه عرض العارف الفطن، وقد بهرني حسن منطقه وتدفق عاطفته واسترساله في حديثه وراعني سعة معارفه... وتفتح فكره، وقوة حجته، وتعمقه وشدة عارضته في الجدل والإقناع»[٣].

لقد كان بديع الكسم «معلمًا» بما تعنيه هذه الكلمة في لغتنا العربية المباركة.

وكان رحمه الله إلى كل ذلك، إنسانًا متواضعًا، شعاره «كلما ازددت علمًا ازددت تواضعًا»، كان متزن التصرفات والأفعال رزينًا عميق التفكير، متوازنًا، وهو وإن اتسم على العموم بالهدوء والتحكم بانفعالاته إلى درجة

---

(١) ذات المرجع ص ٩.

(٢) ذات المرجع ص ١٠.

(٣) د. شاكر الفحام من كلمته في استقبال الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم في مجمع اللغة العربية.

شديدة، إلا أنه سرعان ما يحتد من الخطأ أو المغالطة، وسرعان ما تبدو عليه دلائل الاستياء؛ لكنه أيضًا سرعان ما يفرج عن قلب مجالسه بتعليق طريف ينم على بديهة حاضرة وقريحة بارعة توحي للمرء بغلطه، في الوقت الذي ينتزع الضحكة من فيه دون أن يجرح أو يخدش أحاسيسه.

وفي ذكر صفات فقيدنا الكسم قال فقيدنا الآخر الدكتور عادل العوا في رثاء صديق عمره «إنني أحفظ عن خلقك ومزاحك أنك – بكل صدق ودقة – الأفضل فضيلة، والأكرم سجية، والأتقى طبعًا وشيمًا، وإني لأشهد شهادة يقين متين تمتد من أربعينيات القرن العشرين حتى مستهل هذا القرن الجديد أني ما سمعتك تذكر كلمة نابية ولا نعتًا شائنًا مذلاً توجهه إلى أحد أو تصم به أحدًا، غائبًا كان أو حاضرًا، وأنت ترى الناس والأحداث، وتدرك السطور وما بين السطور، وفي مضمونها ما يثير ويغيظ حتى اليأس والقنوط»[1].

كان فقيدنا، إضافة لغزارة علمه، سلس اللغة حلوها، أنيق الأسلوب، رائع العرض في كل ما قدمه. ولعل تأنقه الزائد كان من أسباب إقلاله في الكتابة. أما علمه الغزير فما بخل به على طلابه سواء في جامعة دمشق أو في الجامعات الجزائرية، حيث تولى إلى جانب التدريس مهمة التعريب بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٢ في وقت اشتد فيه أوار معركة التعريب في بلد المليون شهيد.

ويضيف راحلنا العوا « ولم يكن ليدور في خلدي ألا تظل جامع شمل

(١) عادل العوا في حفل تأبين الدكتور محمد بديع الكسم، مطبوعات مجمع اللغة العربية فصلة المجمع من المجلد ٧٦ ج٣.

أحبابك وأصدقائك وأهلك وطلابك، يضمهم أنسك وبشرك، ويجتذبهم صفاؤك ومثاليتك، وتبهرهم ملاحظتك وتدقيقاتك..».

كان أستاذنا العوا يشير إلى ندوة الجمعة، التي كان الأستاذ الكسم يقيمها في منزله صباح كل جمعة منذ الخمسينيات، بين العاشرة والثانية عشرة لتبادل الأفكار والمشاعر في شتى الموضوعات الفلسفية والقومية والإنسانية والشخصية. وقد استمرت ندوة الجمعة عند فقيدنا الراحل حتى آخر يوم في حياته وكان - وبا للمصادفة العجيبة - يوم جمعة قبل أن يحمل إلى المستشفى.

أخيرًا وليس آخرًا كان بديع الكسم زوجًا رائعًا لزوجة رائعة، رافقته من بدايات عمره العلمي إلى نهاية حياته، صابرة مجاهدة وقامت في حياته بدور الزوجة والصديقة والمشجعة، فبادلها حبًا بحب، ووفاء بوفاء، وكان أبًا رؤوفًا رحيمًا. وهذا ابنه نزار يقول في رثائه: «حملت همومي أكثر من ٥٠ عامًا دون توقف فما من مرة أحسست فيها بضيق إلا حملتَ هذا الضيق أضعاف ما حملتُه أنا. لقد أحببتني أكثر مما أحببت نفسي بكثير بكثير بكثير فما هذه القدرة على الحب والعطاء التي كنت تتمتع بها يا أبي؟».

لقد رأى مجلس مجمع اللغة العربية في الأستاذ الدكتور بديع إنسانًا متميزًا بمعارفه الواسعة وآفاقه اللامحدودة، فانتخبه بالإجماع عضوًا عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور عبد الكريم زهور عدي. وصدر بذلك المرسوم ذو الرقم ٤٩٥ في ٢٧/ ١٢/ ١٩٨٨.

واحتفل المجمع باستقباله في حلسة علنية عقدها في ١٧/ ١٠/ ١٩٩٠

حضرها نخبة طيبة من رجال العلم والثقافة والأدب. وقد أمضى الأستاذ الكسم عشر سنوات عضوًا في المجمع كانت ثرية بالعمل والعطاء.

كان يشارك في جلسات المجلس، وجلسات لجنة المصطلحات، ولجنة المجلة، وكان دائب النشاط يلبي ما يطلب منه، ويقدم المقترحات المعينة على تحريك العمل وتعجيله وتقويمه، إلى أن وافاه الأجل المحتوم في الخامس من تشرين الأول عام ٢٠٠٠.

وبعد ففي جنات الخلد يا أستاذنا، تركت دار الشقاء لدار البقاء، لكن أثرك لم ينقطع، ولن ينقطع! ألا يكفي أنك تركت علمًا ينتفع به، وولدًا صالحًا يدعو لك؟

إنك فعلاً الغائب الذي لا يغيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل استقبال

الأستاذ عاصم البيطار

عضوًا في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته المنعقدة (في ٢٥/٤/١٤٢٣هـ- ٢٥/٦/٢٠٠٣م)، (من الدورة المجمعية لعام ٢٠٠٣) الأستاذ عاصم البيطار عضوًا في مجمع اللغة العربية، الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور عادل العوا، وصدر المرسوم الجمهوري رقم (٢٨٥) في (١٤/٦/١٤٢٤هـ - ١٢/٨/٢٠٠٣م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ عاصم البيطار في جلسة علنية عقدها (مساء يوم الاثنين ٢١ ذي القعدة ١٤٢٤هـ - ١٢ كانون الثاني ٢٠٠٤م) في قاعة المحاضرات في المجمع؛ حضرها نخبة من رجال السياسة والعلم والأدب وأصدقاء المحتفى به.

افتتح الحفل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع بكلمة موجزة رحّب فيها بالسادة الحضور، مهنّئًا الزميل المجمعي الجديد، مباركًا انضمامه إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري كلمته التي تحدث فيها عن الزميل المحتفى به، وذكر طرفًا من سيرته، ونوّه فيها بمكانته العلمية والخلقية.

تقدّم بعد ذلك الأستاذ عاصم البيطار، وألقى كلمته التي تحدّث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور عادل العوا.

وننشر فيما يلي كلمات الحفل:

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
رئيس مجمع اللغة العربية
في حفل استقبال الأستاذ عاصم البيطار

السادة العلماء الجلّة - أيها الحفل الكريم..

أحييكم أحسن التحيات وأطيبها، وأرحب بكم أجمل الترحيب وأوفاه، وأشكر لكم تفضلكم بحضور الجلسة العلنية لمجلس المجمع التي يسعدني أن أفتتحها، لنشارك معًا في استقبال الأستاذ عاصم البيطار، والاحتفاء به عضوًا زميلاً في مجمع الخالدين.

لقد انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في (٢٥/ ٤/ ١٤٢٤هـ- ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٣م) الأستاذ عاصم البيطار عضوًا في مجمع اللغة العربية.

ثم صدر بتعيينه المرسوم الجمهوري ذو الرقم (٢٨٥) في (١٤/ ٦/ ١٤٢٤هـ- ١٢/ ٨/ ٢٠٠٣م).

وإني لأهنّئه التهنئة الخالصة بثقة زملائه المجمعيين به، واختيارهم له زميلاً عزيزًا، يعضدهم في مسيرتهم، ويشدّ أزرهم، ويمضون معًا صفًا واحدًا لتحقيق أهدافهم في تعزيز العربية المبينة، وبذل الجهود لتنميتها وازدهارها، كي تظل اللغة الحيةَ المتجددة أبدًا، نعلّم بها ونتعلّم، ونؤلف ونبحث في الجامعات والمؤسسات والمراكز العلمية في أرجاء وطننا العربي الحبيب. فالعربية قوام وحدتنا، ومجلى حضارتنا، ومستودع ذخائرنا. إنها اللغة المعطاء تُلبّيك دائمًا بما أُوتيت من مرونة وطواعية ومزايا في الاشتقاق والمجاز

والوضع والتعريب والتوليد والنحت، وعلينا أن نمضي بها صعدًا متكاتفين مع المجامع والمؤسسات العربية، ومتطلعين إلى الدول العربية جميعًا لنعمل معًا يدًا واحدة، كي تحتل لغتنا مكانتها الرفيعة بين اللغات العالمية.

* * *

وإنه يسعدني أن أقدّم المحتفى به.

لقد نشأ الأستاذ عاصم في بيت علم وفضل، فأبوه الأستاذ الجليل محمد بهجة البيطار (١٨٩٤- ١٩٧٦م) كان من كبار العلماء الأجلاّء، برع في علوم الدين وعلوم اللغة، إلى جانب ما كان عليه من خُلُق عظيم، وشمائل كريمة، وتواضع جمّ. وقد كان رحمه الله من أعضاء المجمع الأوائل، انضم إلى المجمع سنة ١٩٢٣، وكان من أكثر أعضاء المجمع حيوية ونشاطًا، أمضى في عضويته ثلاثًا وخمسين سنة (١٩٢٣- ١٩٧٦م)، «لم تفتر له همة، ولا كلّت له عزيمة»، رحمه الله الرحمة الواسعة.

ويذكر الأستاذ عاصم أن مدرسته الأولى في التربية والتعليم هي البيت، وأن والده، رحمه الله، كان يتحدثُ بالفصحى، فألِف عاصمٌ الناشئ منذ نعومة أظفاره الاستماع إلى الفصحى. ثم التحق بالمدارس الرسمية: الابتدائية فالثانوية، وعُرف بالجدّ في الدراسة، وحصل على الشهادة الثانوية، القسم الأول- الفرع العلمي عام ١٩٤٤م، كما حصل على الشهادة الثانوية، القسم الثاني- فرع الفلسفة بعد سنتين لغيابه فيهما مرافقًا لوالده إلى المملكة العربية السعودية.

ونال الإجازة في الآداب- قسم اللغة العربية، والإجازة في التربية

والتعليم من دار المعلمين العليا عام ١٩٥٢م، وعُين مدرسًا للعربية في ثانوية الكواكبي في حيّ الميدان، ولبث فيها سبع سنين (١٩٥٢- ١٩٥٩م)، ثم أعير إلى «قَطَر»، وعمل فيها مفتشًا، عامًا واحدًا (١٩٥٩- ١٩٦٠م) وعاد إلى ثانوية ابن خلدون بدمشق.

ثم أعيـــر إلى الممـــلكة العربية السعودية وقضى فيـــها خمس سنوات (١٩٦٣- ١٩٦٨م) مدرسًا للنحو والصرف في كلية اللغة العربية مما كان يُدْعى: الكليات والمعاهد.

وفي عام ١٩٧٠ انتُدب لتدريس مادة النحو والصرف في قسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعة دمشق، وقام بتدريس المادة على خير الوجوه وأرضاها سبعة عشر عامًا، وأُتيح له أن يؤلف للطلاب كتابًا في العربية لايزال مقررًا. ثم أحيل على التقاعد.

ولكنه كالعهد به دائمًا، كان يحب العمل الحب الجمّ، ولا يركن إلى العزلة والراحة، فعمل في «معجم العماد الموسوعي» مشرفًا على الجانب اللغوي منه، كما عمل في الوقت نفسه في معهد إعداد المدرسين.

وسافر إلى الرياض للمرة الثالثة ليدرس النحو والصرف في جامعة الملك سعود خمس سنوات (١٩٨٩- ١٩٩٤م)، وكان يعمل في الوقت نفسه في تقويم كثير من المقالات والبحوث التي تُقدَّم إلى مجلة (الفيصل)، ثم انصرف بعد انقضاء السنوات الخمس، إلى العمل في المجلة فقط ثماني سنوات، ليعود بعدها إلى دمشق في الشهر الخامس من عام ٢٠٠٢م.

وبذلك يكون الأستاذ عاصم البيطار قد أمضى ٥٠ سنة في التعليم، يعلّم العربية ولا سيما النحو والصرف، ويجهد ويجاهد بأساليبه التربوية،

وتعاطفه مع طلابه أن يحبّب إليهم العربيةَ، فنجح في مقصده، وخلّف أجيالاً ممن تعلموا على يديه، وأفادوا منه، يذكرون فضله، ويشيدون بتعليمه وعمله، وهم يشغلون مراكز شتى في سورية، والبلاد العربية الأخرى التي علّم فيها.

وراودته نفسه أن يصيب شيئًا من الراحة بعد ذاك العمل الدائب المتواصل، ولكن ما كل ما يتمنى المرءُ يدركه، فقد احتضنه معهد الفتح الإسلامي بدمشق ليدرّس في القسمين الجامعي والعالي. ولايزال بحمد الله قائمًا بعمله خير قيام.

* * *

لم يكن بدّ للأستاذ عاصم وقد وهب نفسه للعلم والتعليم والعناية بطلابه من اهتمامه بوضع كتب مدرسية تكون عونًا للطلاب، فقام بذلك منفردًا أو مشاركًا زملاءه، ومن مؤلفاته التي يشارك فيها: كتاب: «التسهيل»، وكتاب «الدليل» وكتاب «المنهج الجديد».

وشارك زميلين له في المملكة العربية السعودية بتحقيق كتاب «شرح ابن عقيل على الألفية» لطلاب السنوات الثانوية في المعاهد الدينية، فجاء في ثلاثة أجزاء استقل كل أستاذ بجزء منه، وقدموه للطبع مزينًا بحواشٍ وتعليقاتٍ تقرب مادته، وتدني المراد منه، وتوثّق شواهده، وسموا عملهم: «أضواء على شرح ابن عقيل».

وكان الأستاذ عاصم من المعجبين بمفصل الزمخشري في النحو وشرحه لابن يعيش بأجزائه العشرة، يكثر من الرجوع إليه، فأحسّ بالحاجة إلى وضع فهارس مفصلة له تسهيلاً للمراجعة، فوضع كتابًا بعنوان «فهارس شرح المفصل لابن يعيش» وقام مجمع اللغة العربية بدمشق بطبعه (١٤١١هـ- ١٩٩٠م).

ليس من همي أن أفيض في هذا الباب، وأتتبع ما جاء به قلم الأستاذ الكريم من تآليف وشروح وتحقيقات ومقالات، وأكتفي بالإشارة إلى مؤلفيه: كتاب «النحو والصرف» وكتاب «من شواهد النحو والصرف»، وتحقيقه كتاب «الفضل المبين» في علوم الحديث، وكتاب «موعظة المؤمنين»، وهو، بحمد الله، مازال ماضيًا في هذا السبيل، وفقه الله.

ومجال القول في الحديث عن الزميل الكريم الأستاذ عاصم ذو سعة، ولكني مكتفٍ بهذه الكلمة الموجزة وفاءً للعرف الذي درج عليه المجمع، وهو أن أفتتح الجلسة العلنية المخصصة لاستقبال العضو الجديد، مرحبًا بانضمامه إلى أسرة المجمعيين تمهيدًا للاحتفاء به.

فأهلاً بك أيها الزميل العزيز في رحاب مجمع الخالدين، نعمل جميعًا في سبيل رفعة العربية وازدهارها لتظل دائمًا وأبدًا اللغة المتجددة تستجيب لما يراد منها، وتلبّي مطالب العصر.

ويسعدني أن أدعو الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني عضو المجمع كي يُلقي كلمة المجمع في استقبال الزميل العزيز، ويتحدثَ عن سيرته العلمية، ليتلوه الأستاذ عاصم البيطار فيعرض لنا أطرافًا من سيرة سلفه الراحل الأستاذ الدكتور عادل العوا رحمه الله.

ونختم الاحتفال بتقليد الزميل الكريم الشارة المجمعية.

كلمة الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني
في حفل استقبال الأستاذ عاصم البيطار

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس، الأستاذ الدكتور شاكر الفحام .

السادة الزملاء الأكارم، أعضاءَ المجمع.

أيها الحفل الكريم.

يسعدني أن أشارككم في هذا الاحتفال الترحيبي، الذي يقيمه مجمعنا لاستقبال السيد الأستاذ عاصم البيطار عضوًا جديدًا في هذا المجمع.

ويطيب لي أن أحدثكم عن صديقي الأستاذ عاصم، عن نشأته وسيرته وأعماله العلمية.

وُلد عاصم بن محمد بهجة البيطار في دمشق. وهو سليل أسرة عريقة جزائرية الأصل، اشتهر كثير من أبنائها بالعلم والأدب. فكان فيها علماء كبار في الفقه (كالشيخ عبد الغني بن حسن، الملقب بالشافعي الصغير، والشيخ سليم ابن حسن، الملقب بالفَرَضِيّ، لبراعته في علم الفرائض [أي في علم قسمة المواريث])؛ كما كان فيها أدباءُ ورجال سياسة ومعلمون وتجار...

أما أبوه الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله، فكان عالمًا أديبًا، وكان ركنًا من أركان مجمعنا هذا. وقد أمضى في رحابه ثلاثًا وخمسين سنة[1]! وكانت حياته حافلة بالنشاط والعمل في خدمة لغتنا الشريفة، وزاخرة

(١) بين عامي ١٩٢٣ و١٩٧٦.

بالنتاج: فقد ألّف عددًا من الكتب، ونشر عشرات المقالات في مجلة مجمعنا وغيرها من المجلات.

يقول الأستاذ عاصم إن والده كان يُحدّث أولاده منذ نعومة أظفارهم بالعربية الفصيحة، لأنه رحمه الله، كان لا يُحْسِن الحديث بالعامّية! وفي هذه البيئة المعافاة لغويًا كانت نشأة الأخ عاصم المنزلية... ثم أُدخل مدرسة خالد بن الوليد في حي الميدان. وكان بين معلمي ذاك الزمان علماء وأدباء معروفون: فأخذ علم العربية عن الشيخ الجليل زين العابدين التونسي (صاحب «المعجم المدرسي») وأخذ التربية الدينية عن الشيخ قاسم القاسمي (شقيق علاّمة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي)، كما تَلْمَذَ في تلك المرحلة للأستاذ الأديب الشاعر أمجد طرابلسي، قبل سفره لتحضير الدكتوراه التي عاد بعد نَيْلها أستاذًا متميزًا في جامعة دمشق، وعضوًا بارزًا في مجمعنا هذا.

فأين مستوى مدرسة ابن الوليد في تلك الأيام من مستوى مدارس اليوم؟

بعد متابعة الدراسة في ثانوية جودة الهاشمي، حصل الأخ عاصم سنة ١٩٤٤ على شهادة الدراسة الثانوية (القسم الأول - الفرع العلمي)، ثم حصل على الشهادة الثانوية (فرع الفلسفة) سنة ١٩٤٧ بعد عودته من السعودية حيث رافق والده سنتين.

بعد ذلك حصل على الإجازة في الآداب (قسم اللغة العربية) والإجازة في التربية والتعليم من دار المعلمين العليا عام ١٩٥٢، وعُيّن مدرسًا للعربية في ثانوية الكواكبي في حي الميدان؛ فعمل فيها سبع سنين، ثم استجاب لرغبة حكومة قطر، فعمل فيها مفتشًا للغة العربية عامًا دراسيًا واحدًا، عاد بعده سنة ١٩٦٠ إلى ثانوية ابن خلدون بدمشق.

ثم أُعير إلى السعودية فأمضى خمس سنوات (١٩٦٣- ١٩٦٨) مدرسًا للنحو والصرف في كلية اللغة العربية. وفي عام ١٩٧٠ استدعاه رئيس جامعة دمشق آنذاك، الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، وعرض عليه العمل في قسم اللغة العربية بكلية الآداب. فاستجاب لرغبة الرئيس، ودرّس مادة النحو والصرف سبعة عشر عامًا، ووضع للطلاب كتاب «النحو والصرف» الذي طُبع ثماني طبعات، ولا يزال معتمدًا إلى اليوم.

وفي أثناء ذلك عقد اتحاد المجامع العربية عام ١٩٧٦ ندوة في الجزائر، لدراسة السبل الصالحة لتدريس اللغة العربية عامّة، والنحو خاصّة؛ فتكرّم رئيس مجمع دمشق حينذاك، الدكتور حسني سبح رحمه الله، بدعوته ليكون عضوًا في الوفد السوري الذي سافر إلى الجزائر، واستقبله رئيس الجمهورية هواري بو مدين مع الوفود المشاركة، وأثنى على جهودهم، وتحدث عن ضرورة التعريب في الجزائر بحماسة بالغة وإيمان عميق. وما كان الرئيس بومدين لِيَتَخيَّل وقتذاك حدوث نكسة التعريب التي تعيشها الجزائر الآن!

وبعد إحالة الأستاذ عاصم على التقاعد، عمل ثلاث سنوات في «معجم العماد الموسوعي» مشرفًا على الجانب اللغوي منه. ومن المؤسف أن العمل في هذا المعجم قد توقّف! كما عمل في الوقت نفسه في معهد إعداد المدرسين.

ثم استجاب لرغبة جامعة الملك سعود، فسافر إلى الرياض ليدرّس هناك النحو والصرف خمس سنوات (١٩٨٩- ١٩٩٤). وكان يعمل في الوقت نفسه في تقويم كثير من المقالات والبحوث التي تُقدَّم إلى مجلة «الفيصل». ولما انتهى عمله في الجامعة ألحّ عليه الأمين العام لمركز الملك فيصل الدكتور زيد الحسين ليبقى عاملاً في المجلة. فامتد عمله فيها ثماني

سنوات أُخر، وعاد إلى دمشق عام ٢٠٠٢، وهو يأمُل أن يصيب شيئًا من الراحة بعد هذه المسيرة المتعبة التي امتدت نصف قرن! بيد أن أمله لم يتحقق: فقد حُمِل على التدريس في القسمين الجامعي والعالي من معهد الفتح الإسلامي، ولايزال قائمًا بهذا العمل حتى الآن.

أما أعمال الأستاذ عاصم العلمية فأبرزها ما يلي:

أولاً: وضع بالاشتراك مع الدكتور عبد الكريم الأشتر كتاب «التسهيل» لطلاب شهادة الدراسة الثانوية، ثم وضع بمشاركة الأستاذ الأديب خليل الهنداوي والدكتور مازن المبارك كتابين هما: «الدليل» و«المنهج الجديد»؛ وفيهما تطبيقات لغوية ونحْوية وبلاغية وعروضية.

ثانيًا: كان كتاب «شرح ابن عقيل على الألفية» مقررًا في السنوات الثانوية الثلاث من المعاهد الدينية في المملكة العربية السعودية. فطلبت إدارة الكليات والمعاهد من الأستاذ عاصم وزميليه عبد الفتاح الغندور، وحسن عبده الريس، جَعْلَ هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء، وأن توضَع عليه حواشٍ وتعليقاتٌ تقرّب مادته، وتدني الفائدة منه، وتوثق ما فيه من شواهدَ نثرية أو شعرية. فتقاسم الأساتذة الثلاثة العملَ الذي أسْمَوه «أضواء على شرح ابن عقيل»، واستقل كلٌّ منهم بالعمل في جزء من الكتاب.

ثالثًا: كان الأستاذ عاصم يكثّر الرجوع إلى «مُفصَّل» الزمخشري في النحو، وشرحه لابن يعيش بأجزائه العشرة. وكان يحسّ بالحاجة الماسّة إلى وضع فهارسَ مفصلة له، تسهيلاً للمراجعة. فوضع له فهارس تجاوزت أربعمئة صفحة، وتكرم مجمع دمشق بطباعتها في كتابٍ وُسِمَ بـ «فهارس ابن يعيش».

رابعًا: وضع الأستاذ عاصم كتاب «النحو والصرف» المذكور آنفًا،

والذي درّسه في جامعة دمشق.

خامسًا: حقق كتابين من مؤلفات علاّمة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي بطلبٍ من ولده الأستاذ ظافر القاسمي رحمه الله. فَدَرَسَ موضوع الكتابين وقرأ كتبًا كثيرة تعالج أمثال موضوعيهما، ثم قام بتحقيق الكتابين وهما:

«موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» و«الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين» في علوم الحديث. وهو شرحٌ لأربعين حديثًا اختارها محدّث ديار الشام الشيخُ إسماعيل بن محمد جرّاح العجلوني (١٠٨٧- ١١٦٢هـ).

وقد طبعت «دار النفائس» الكتابين، ولَقِيا رواجًا وانتشارًا واسعين في العالم الإسلامي. وصدرتْ عام ٢٠٠٢ الطبعة التاسعة من «موعظة المؤمنين»، كما صدرت الطبعة الثالثة من «الفضل المبين» عام ١٩٨٨.

سادسًا: طبع مجمعنا كتاب «أسرار العربية» لابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، وهو بتحقيق والد الأستاذ عاصم الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله. واتخذ المحقق نسخةً من الكتاب مطبوعةً في أوربا أصلاً، لأنها أتم النسخ. وسقط من التحقيق سهوًا عزو بعض الأقوال والأشعار إلى قائليها. فأعاد الأستاذ عاصم النظر في الكتاب، واتخذ نسخةً خطية قرئت على المؤلف أصلاً، واستدرك النقص من المطبوع وغيره، وزاد عدد الفهارس. والكتاب الآن في مرحلة الطبع بعد أن وافق السيد رئيس المجمع على طبعه.

سابعًا: نشر الأستاذ عاصم قديمًا بعض المقالات في مجلة مجمعنا، كما نشر مقالاتٍ في مجلة «الفيصل» حين كان يعمل فيها.

هذه أبرز أعمال الأستاذ عاصم البيطار المنشورة.

وقد انتخبه مجلس مجمع دمشق في العام الماضي لينضم إلى أعضائه.

وصدر مرسوم جمهوري بتسميته عضوًا.

ومع أنه أمضى السنين الكثيرة المنصرمة في خدمة العربية، فقد كان معظمها في إطار التعليم. ولو أن الظروف أتاحت له أن يَحُلَّ مَحَلَّ والده الذي افتقده مجمعنا عام ١٩٧٦، لاستطاع أن يخدُم العربية في مجال اهتمامات المجمع، وهذا ما سيفعله منذ اليوم إن شاء الله.

مرة أخرى أرحب بالصديق العزيز الأستاذ عاصم البيطار، متمنيًا له موفور الصحة، وكلَّ التوفيق في عمله الجديد، والسلام عليكم.

كلمة الأستاذ عاصم البيطار
في حفل استقباله عضوًا في المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحفل الجليل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تكرم أعضاء مجمع اللغة العربية بانتخابي عضوًا عاملاً بينهم، فلهم جزيل الشكر، وأسأل الله أن أكون جديرًا بثقتهم، قادرًا على أن أكون عونًا لهم في أداء المهمة الجليلة التي يتحملون أعباءها، أشاركهم في الذَّودِ عن حياض لغتنا الشريفة، وردِّ مكائد أعدائها، وبذل الجهد المخلص في الحفاظ على أصولها مع التوسّع في وضع المصطلحات الحديثة، والإحاطة بما استحدثه الفكر البشري من تقدّم في مختلف وجوه الحياة، لننفي عن لغتنا المعطاء ما تُتّهم به من جمودٍ وتمسك بالقديم، أو التنكر لها، والخروج على أصالتها، والجري وراءَ ما يغريهم به أعداؤها من نصرة اللهجات المحلية المفرّقة على العربية القرآنية الجامعة للشمل، الموّحدة للأمة التي غدت أشلاء ممزّقة تسهل السيطرة على مقدّراتها وخيراتها.

أيها الحفل الكريم

إن الحديث عن أستاذ الأجيال الدكتور عادل العوا رحمه الله رحمةً واسعةً في وقت قصير عسير جدًّا، فهو بحر واسع من المعرفة بمعناها الشامل، والتي يزينها خلق كريم، وإيمان عميق بالرسالة الثقافية التي شاء الله أن يجعله من حملتها، العاملين على نشرها، الحريصين على بناء شباب المستقبل في ضوئها.

لقد كان لقائي الأول بالفقيد الكبير عام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف حينما تقدَّمت بطلب إلى ما كان يسمى آنذاك بالمعهد العالي للمعلمين، وكان أحد ثمانية أعضاء في لجنة المقابلة؛ وكنت ذكرت في الاستبانة التي تقدمنا بها أن من الكتب التي قرأتها: «حياة محمد» للعلامة محمد حسين هيكل، واستوقفني طويلاً عند مسألة الوحي، ونزول جبريل عليه السلام من السماء، وحمله كلام الله ليبلّغه الرسول الكريم إلى العاملين، وتساءل رحمه الله: ألا يمكن أن يكون ذلك من باب الفيض النفسي، أو التحلّي الإلهي، أو الإشراق الروحي، وكنت أحسّ بالإشفاق من أن أخفق في الردّ، على ما أحفظه من آيات وأحاديث تدور حول الوحي وطريقة تبليغه، وكنت أنظر إلى الدكتور جميل سلطان رحمه الله، وكأنني أنتظر منه العون، ولكنه بقي صامتًا، وانتهت المقابلة، وكنت من الفائزين عن مدينة دمشق، واستدعاني د. جميل سلطان وقال لي: لقد أحسنت في كلامك، وثباتك على موقفك، وكان د. العوا في مناقشته يحاول أن يثيرك ليستنفر كل قدراتك، وهو يرى أن المربي الموفق هو الذي يستطيع أن يلفت طلابه إلى مزايا يمتلكونها ولا يستعملونها.

وكان اللقاء الثاني في كلية الآداب والمعهد العالي للمعلمين (كلية التربية الآن)، وكنا نستمع إلى فقيدنا الكبير بشغف ومحبة، وكان يتحدث إلينا بلغة عربية سليمة، ويعرض مسائل علم النفس والفلسفة بوضوح وإشراق، ودرسنا عليه سنوات لم نسمع منه خلالها إلا ما يملأ قلوبنا احترامًا له، وإقبالاً على محاضراته، وكنت كثيرًا ما أرجع بذاكرتي، وأنا أستمع إليه،

إلى قصة قديمة جرت لي مع سيدي الوالد الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله وأعلى غرفته في الجنة، وملّخصها أنه استدعاني، بعد تعييني معلمًا في ثانوية الكواكبي، وقال لي: أي بنيّ، لقد غدوت الآن معلمًا، وهذه مهنة الأنبياء والعلماء والمصلحين، فماذا أعددت لها؟ فأجبته بأنني أعددت نفسي إعدادًا علميًا جيدًا، وأنني سأكون حريصًا على الوقت، ومواظبًا على العمل، ومؤمنًا بخطر ما أنا مقدمٌ عليه... وأفضت في الحديث أكثر من نصف ساعة، والوالد يصغي باهتمام واضح، حتى إذا ما انتهيت قال لي كلمته التي كانت منهاج حياتي المهنيّة بعد ذلك، قال: كلّ ما قلته يا بني ضروري، ولكنك أغفلت شيئًا مهمًّا هو الذي يجعل كل ما ذكرته يؤتي أكله، قلت: وما هو؟ قال: أن تحمل الطلاب على محبتك، فإن أحبوك استفادوا منك، وإن لم يحبّوك ذهبت أكثر جهودك أدراج ارياح... وقد أحببنا الراحل الكبير حبًّا ملأ قلوبنا، يتكلم فلا نملك إلا أن نصغي، ويشرح النظريات والمذاهب الفلسفية فتنساب إلى عقولنا بيسر، رحمه الله، وجزاه عنا أفضل ما يجزي عاملاً عن عمله.

ولعل أستاذنا الراحل كان حريصًا على تطبيق منهجه التربوي في تكوين أسرته، فقد اختار ملكًا كريمًا لتكون أم أولاده، وقد أطلق على أولاده أسماءً تحثهم على أن يبذلوا أقصى جهودهم ليستحقوها، وكانوا عند حسن ظن والديهم بهم، لقد سمّى ابنه الأول: «نبوغًا» فكان طبيبًا نابغةً في اختصاصه، وسمّى: شروقًا وفتونًا ونوّارًا، وكانوا في حياتهم تجسيدًا للمعاني الجميلة التي تدل عليها أسماؤهم.

أيُّها السيدات والسادة

ولد فقيد العلم والخلق الدكتور محمد عادل بن عارف العوّا في دمشق عام واحدٍ وعشرين وتسعمئة وألف، وأنهى دراسته الثانوية عام ثمانية وثلاثين وتسعمئة وألف، وأُوفد إلى فرنسة فدرس في جامعة السوربون، وحصل منها على درجة الإجازة الجامعية الأولى ثم على درجة الدكتوراة في الآداب والفلسفة عام ١٩٤٥م، وقد كان لهذه السنوات العجاف، كما يسميها رحمه الله، كان لها أثر كبير في تفكيره وقيمه، فقد شهد فيها ويلات الحرب العالمية الثانية، وذاق مرارة وحشية الحضارة إذا خرجت عمّا ينبغي لها في خدمة الإنسان، وتقارب أبناء البشرية بعضهم من بعض، ونشر قيم الحب والخير والثقافة المشرقة بينهم، وبقيت هذه القضية شاغلة له حياته كلها، ونشر عشرات الكتب التي تدور حول القيم والأخلاق والكرامة الإنسانية والحضارة والمدنية، من تأليفه أو ترجمته؛ كما زادته هذه السنوات إيمانًا بأمته العربية، وتمسّكًا بالانتماء إليها، وحرصًا على الكشف عن الوجوه الرائعة الخصبة من تراثنا الخيّر ولغتنا الغنية التي كانت حلقة إيجابية في سلسلة تطوّر البشرية من النواحي الدينية والفلسفية والعلمية والأخلاقية.

عاد الدكتور العوا رحمه الله إلى الوطن عام ١٩٤٥م وابتدأ التدريس في المرحلة الثانوية ودار المعلمين في دمشق. ثم أُسّست كلية الآداب والمعهد العالي للمعلمين عام ١٩٤٦م فدرّس فيهما، وكُلِّف عام سبعة وأربعين إدارة المعهد العالي للمعلمين، وسُمّي أستاذًا ورئيسًا لقسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية في كلية الآداب عام ١٩٤٩م طوال مدة خدمته الجامعية، كما رأس، إلى جانب عمله الجامعي، لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف (كما

كانت تسمّى آنذاك) إلى آخر عام خمسة وخمسين. وسُمّي وكيلاً لكلية الآداب ثم عميدًا لها لمدة ثماني سنوات. وللفقيد الكبير مشاركة واسعة في التدريس في الوطن العربي. فقد درّس في جامعات الأردن ولبنان والكويت والجزائر، كما قضى بعض الوقت أستاذًا زائرًا في جامعة هلسنكي. وقد اكتسب شهرة عريضة بثقافته وسعة اطلاعه خارج حدود وطنه، فدعي للمشاركة في مؤتمرات وندوات كثيرة، منها: مؤتمر لليونسكو في بيروت عام تسعة وأربعين، وفي باريس عام واحد وخمسين، وشارك في ندوة أقامتها الجامعة الأمريكية في بيروت عام ستة وخمسين لدراسة فلسفة تربوية متجدّدة لعالم عربي متجدد، ومؤتمر للمستشرقين عقد في ميونيخ عام سبعة وخمسين، وموضوعات أخرى في دمشق وكراتشي والجزائر. وكانت له مشاركة فعالة في اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية، وكان عضوًا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ومقرّر لجنة الترجمة والتبادل الثقافي عن القطر العربي السوري.

ومن نعم الله على الإنسان العالم المخلص لعلمه وأمته أن يبارك الله له في وقته، فأستاذنا رحمه الله أغنى المكتبة العربية بعشرات الكتب تأليفًا وترجمة، بالإضافة إلى أعباء التدريس، وكثرة الأسفار، والعمل خارج القطر في الجامعات المختلفة؛ وقد أخبرتني ابنته الدكتورة شروق أنه كان لا يفارق مكتبته مادام في الدار، وأن زوجه الكريمة السيدة ملك كانت تهيئ له كل ما من شأنه أن يعينه على تأدية رسالته، فقد كفته مؤونة تدبير ما يلزم الأسرة من طعام وشرابٍ ولباس، وجعلتْ وقته كله ملكًا له ولعمله.

أيها الحفل الكريم

لقد كان فقيدنا الكبير رحمه الله عربيًّا صادق الانتماء إلى أمته ولغته، وفيلسوفًا واسع الاطلاع على المذاهب الفلسفية وتطورها عبر التاريخ، وكان مؤمنًا عميق الإيمان بأن القيم السامية، والأخلاق الفاضلة هي التي تتيح للأمة أن تبقى وطيدة الأركان، متينة البنيان، شامخة عزيزة مهما مرّ بها من محن، وتكالبت عليها الفتن، وكانت مؤلفاته الكثيرة لا تكاد تخرج عن هذه الأطر، وقد لخص أستاذنا د. شاكر الفحام موضوعات كتبه في خمسة مجالات هي:

١– الحضارة والمدنية. ٢– الفلسفة العامة. ٣–الأخلاق. ٤– فلسفة القيم. ٥– الفكر العربي.

ومما يحمد له أنه اهتم في أكثر كتبه المؤلفة بالأخلاق والقيم، ودراسة الفكر العربي، والدفاع عن أمته، ودحض حجج أعدائها الذين يرمونها بالجمود والقصور والتأخر عن الركب العالمي، وبيان دورها الحضاري الذي كان له الفضل الأكبر في اتصال سلسلة الحضارة البشرية.

وكان الراحل الكريم يؤمن بأن الشباب المسلّح بالعلم والأخلاق الكريمة هم اللبنات التي يرتفع بنيان الوطن بها، ولذا كان حريصًا على غرس بذور العلم والقيم السامية في نفوس الشباب، وهو على يقين بأن المستقبل سيكون مزدهرًا على تعثر الأمة في حاضرها.

ومن أقواله: «إنني بطبعي متفائل، وأمنيتي أن تبقى قوميتنا، كما كانت، قوميةً إنسانيةً تعتزّ بإسهامها في تقدم حضارة البشر، هكذا كنّا، فلنكن أبدًا...»، وقد افتتح كلمته في حفل استقباله عضوًا عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق، عام واحد وتسعين بقوله: «العروبة انتماءُ محبةٍ وولاء، محبة للأمة العربية خير

الأمم، وولاءٍ للخُلّص الكَمَلَة الفضلاء من عشّاق الذود عن حياضها، والنهوض بإمكاناتها، ولاسيّما من بني جلدتها؛ وهل من يضارع رسل مجمع اللغة العربية جهادًا صادقًا في سبيل الأمة العربية، ولغتها الشريفة النامية».

أيها السيدات والسادة:

يؤسفني أشدّ الأسف ألا يسعفني هذا الوقت القصير ببيان الجوانب المشرقة السامية من شخصية الراحل الكريم الفكرية والخلقية والتربوية والثقافية بشكلٍ عام، وقد كتب العلماء الأجلاء في حفل استقباله عضوًا في مجمع اللغة العربية، وفي حفل تأبينه، وفي ذكرى مرور سنة على وفاته، كتبوا كلمات أفاضت في الحديث عنه، وعدّدت مآثره، واستعرضت أغراضه وآراءه، ولاتزال آفاق القول فيه متسعة خصبة، وليس من الغريب أن تكون لصحبته الطويلة لرسائل «إخوان الصفا» وما كتب عنها وعنهم، آثارها البعيدة في تكوين فكره العلمي، وحماسته للعروبة والعربية، فهم، كما يصفهم أبو حيّان التوحيدي، «جماعة تآلفت قلوبهم بالعشرة، وتصافت بالصداقة، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فنذروا جهدهم وجهادهم، وأنفقوا مددهم وأعمارهم في سبيل هذا الهدف السامي الرفيع، والغرض الأسمى النبيل».

أيها الإخوة:

لقد رحل الفقيد الكريم بجسده، ولكنه لايزال يؤدي رسالته بفكره النيّر، وكتبه الثرية؛ والسعيد السعيد من خدم أمته حيًّا وميتا، فالحياة مهما طالت قصيرة إذا قيست بالزمن، وحياة الإنسان المادية كزيارة ضيف أو سحابة صيف أو مرور طيف، ولا يبقى منه إلا فكره وعمله، والدليل على ذلك أننا اليوم نذكر أعلامًا من الجاهلية والعصور الإسلامية جميعًا يعيشون

في أفكارهم وآثارهم بيننا، ونعيش مع ملايين البشر ممن يولدون ثم يموتون فلا يكاد يذكرهم أحد، وقد أصاب الشاعر كبد الحقيقة حين قال:

ليس من مات فاستراح بميْتٍ إنما الميْتُ ميِّتُ الأحياء

وقال آخر:

أخو العلم حيٌّ خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميْت وهو يمشي على الثرى يُعَدّ من الأحياء وهو عديم

رحمك الله يا أستاذنا الكبير، وإنا ليعزينا أننا مانزال ننهل من معين علمك، وأنك باقٍ في كتبك والناهين من طلابك، وكأنك وأمثالك المقصودون بقول الشاعر:

ولا يموت ذوو فكرٍ ومعرفة إذا استقام على أعقابهم أثر

وقول الآخر:

فقدناه لكنْ نفعُه الدهرَ دائم وما مات من أبقى علومًا لمن وعى

وإني ليشرّفني أن يكون مسك الختام لكلمتي الشكر الصادق للسيد الرئيس على تكرمه بإصدار مرسومٍ جمهوري بتعييني عضوًا عاملاً في مجمعنا العربي، وأرجو أن أكون لذلك أهلاً، وبه جديرًا، ولكنني لا أملك منع نفسي من أن تردد قول الشاعر العربي:

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته فسرّهم وأتيناه على هرم

ولا أحدّد التعزية لأسرة الفقيد الأستاذ الراحل وحدها، فكلنا في المصاب شركاء، وعزاؤنا أن الفقيد يعيش في قلوب المثقفين، وقد سجّل اسمه بين الخالدين، رحمه الله رحمة واسعة، وأعلى غرفته في الجنة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الرابع من عام ٢٠٠٣م

أ - الكتب العربية

أ.خير الله الشريف

— **أثر التدريب في سلوك الموظفين..**/ د. فهد يوسف الفضالة - الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٣ - (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢٠٢).

— **أحكام الذكر والسماع عند الصوفية**/ سعيد بلبل، تحقيق وتقديم: فرحان بلبل - دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ٢٠٠٢.

— **أحلام مصادرة: مجموعة قصص قصيرة**/ آسيا علي موسى - دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣.

— **إرشاد القرآن والسنة .. من كتاب بدائع الفوائد**/ ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: د. أيمن عبد الرزاق الشوا - دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦.

— **أسماء الله الحسنى**/ ابن قيم الجوزية، حقق نصوصه: يوسف علي بديوي، أيمن عبد الرزاق الشوا - ط٢ - دمشق، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨- (سلسلة مؤلفات ابن القيم١).

— **أعلام الشعر العامي في لبنان**/ د. ميشال خليل جحا - ط١ - بيروت: دار العودة، دار الثقافة، ٢٠٠٣.

— **الأكراد حسب المصادر العربية**/ د. أرشاك بولاديان، نقله إلى العربية: د. خشادور قصباريان عبد الكريم أبا زيد - بريفان: معهد الاستشراق، ١٩٨٧.

— **ألوان: قراءة في بعض المواقف الإنسانية والحركات الأدبية**/ د. عبد الكريم الأشتر - ط١ - دمشق: دار الرضا، ٢٠٠٣- (سلسلة الرضا اللغوية والأدبية٣).

– **الإمـــام ابن قيم الجوزية وآراؤه النحوية/** أيمن عبد الرزاق الشوا، تقـــديم: د. مازن المبارك – ط١ – دمشق: دار البشائر، ١٩٩٥.

– **أمريكا تستحث رفعت الأسد للوصول إلى السلطة في العام ١٩٨٤/** العماد أول مصطفى طلاس – ط١ – بيروت: الذاكرة، ٢٠٠٣.

– **الأمم المتحدة والتعطيل في الأعياد الإسلامية/** د. جورج جبور – ط٢ – دمشق: المؤلف، ٢٠٠٣.

– **أمومة أكثر أماناً.../** إليزابيث آي. رانسوم، نانسي في ينجر – القاهرة: المكتب المرجعي للسكان، ٢٠٠٢.

– **أنت وحدك/** حسين السعران – دمشق: مطبعة عكرمة، ١٩٩٩.

– **الانتفاضة: الصورة تتكلم/** مؤسسة الهدف الفلسطينية – دمشق: دار حازم.

– **أنوار المشعشعين في ذكر شرافة قم والقميين/** النائيني الأردستاني، تحقيق: محمد رضا أنصاري، قم:مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ٢٠٠٢ –٣ج.

– **أوراق ثقافية/** شحادة الخوري – ط١ – دمشق: دار طلاس، دار الطليعة الجديدة، ٢٠٠١.

– **إيقاع الشعر العربي../** د. محمد فوزي الهيب – ط١ – حلب: دار الرفاعي، دار القلم العربي، ٢٠٠٣.

– **البيليوغرافية الوطنية السعودية/** إدارة التكشيف والببليوغرافية – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣ – ج ٢١.

– **البيليوغرافية الوطنية المغربية.../** الخزانة العامة للكتب والوثائق – الرباط: الخزانة، ٢٠٠١ – ٢ج.

– **بحوث في واقع أمتنا من الماضي والحاضر/** د. محمد ياسين حمودة – ط١– كندا: دار الإيمان، ١٩٩٤ – ١٩٩٨. ٢ج.

– **بطل الأبطال أو أبرز صفات النبي محمد ﷺ/** عبد الرحمن عزام، علق عليه: أيمن عبد الرزاق الشوا – دمشق: مكتبة الغزالي، ١٩٩٣.

– **تاريخ العلوم الأساسية في الحضارة العربية والإسلامية/** د. عمر التومي

الشيباني وآخرون – ط١ – طرابلس: الهيئة القومية للبحث العلمي، ١٩٩٦.
– **التحول الوبائي في دولة الإمارات العربية المتحدة..**/ د. محمد مدحت جابر عبد الجليل – الكويت: مجلس النشر العلمي: ٢٠٠٣ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢٠٤).
– **التراث العلمي العربي في العلوم الأساسية**/ تحرير: د. علي مصطفى بن الأشهر، ورفيقيه – ط١ – طرابلس: الهيئة القومية للبحث العلمي، ١٩٩١.
– **التقرير الختامي لمنتدى المرأة والتربية**/ مجموعة من المشاركين – دمشق: المنتدى، ٢٠٠٣.
– **التقرير النهائي للملتقى العربي الأول للإعلام والتربية...**/ دمشق: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢.
– **تهذيب مباني الأصول...**/ محمد حسين الحسيني الجلالي، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي – ط١ – شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ١٤٢٢هـ – مج١.
– **الثقافة العربية في مواجهة المستقبل...**/ مجموعة من الباحثين – ط١ – بيروت: المجمع الثقافي العربي، ١٩٩٦ .
– **الثقافة والقيم...**/ مجموعة من الباحثين – ط١ – بيروت: المجمع الثقافي العربي، دار الجيل، ٢٠٠٢.
– **الجامع لإعراب جمل القرآن**/ اختاره: د. أيمن الشوا، قدم له: كريم راجح وآخرون – ط١ – دمشق: مكتبة الغزالي، بيروت: دار الفيحاء، ٢٠٠٠.
– **الجذر السكاني الحمصي: من مملكة إلى قصبة**/ نعيم سليم الزهراوي – ط١ – حمص: دار السلامة، ٢٠٠٣ – ج ٥ و ٦.
– **جذور ريف حمص من مملكة إلى إمارة إلى قرية**/ نعيم سليم الزهراوي – ط١ حمص: دار السلامة، ٢٠٠٣ – ج٧.
– **جسور معلقة: قصص قصيرة**/ مايا عبارة – دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣.
– **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام**/ ابن قيم

الجوزية؛ حققه: د. أيمن عبده الشوا، يوسف علي بديوي – ط١ – دمشق، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٢.

– **حارس الماعز: رواية**/ إبراهيم الخليل – دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣.

– **حجر بن عدي الكندي**/ د. لبيب بيضون – ط١ – قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٣هـ.

– **خصائص الاستشهادات المرجعية في الوثائق والمخطوطات**/ نادية بنت عبد العزيز اليحيا – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢ – (السلسلة الثانية ٤٠).

– **دليل الأعضاء العاملين: نشاطات جمعية العاديات**/ جمعية العاديات – حلب: جامعة حلب، ٢٠٠٣.

– **دمشق وقصائد أخرى**/ عبد الله الصالح العثيمين – ط١ – الرياض: دار العلوم، ٢٠٠٣.

– **دور الإعلام في الحفاظ على القيم العربية الأصيلة...**/ مجموعة من الباحثين – تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢.

– **دور التربية في الحفاظ على القيم العربية الأصيلة ...**/ مجموعة من الباحثين – تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢ – ٢ج.

– **دور المثقفين في الوطن العربي...**/ مجموعة من الباحثين – ط١ – بيروت: المجمع الثقافي العربي، دار الجيل، ٢٠٠٣.

– **دور الوقف في مجال التعليم والثقافة...**/ د.سامي محمد الصلاحات – ط١ – الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ٢٠٠٣.

– **ديرعطية: التاريخ والعمران...**/ عبد الله حنا – دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ٢٠٠٢.

– **ديوان عمر بن الخطاب رضي الله عنه...**/عمر بن حسين الموجان – ط١– جدة: سنا الفاروق، ٢٠٠٣.

– **الرسائل الثلاث المستطابة في نسب سادات طابة**/ الشدقمي؛ تحقيق: مهدي الرجائي، إشراف محمود المرعشي النجفي – ط١– قم: مكتبة آية الله العظمى

المرعشي النجفي، ٢٠٠٢.

- **رياض المحدثين في ترجمة الرواة والعلماء القميين**/ النائيني الأردستاني، تحقيق: محمد رضا الأنصاري القمي. إشراف: د. محمود المرعشي النجفي - قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ٢٠٠٣.

- **شعر أبي وجزة السعدي**/ جمع ودراسة: وليد محمد السراقبي، مراجعة: د. محمد طاهر الحمصي، تقديم: د. عبد الإله نبهان - أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٠.

- **شعر أيمن بن خريم الأسدي**/ جمع وتحقيق: د. عبد الله القتم - الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٣ - (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢٠٢).

- **شعر الشيخ فريد الدين مسعود رحمه الله**/ عربه وقدم له: ظهور أحمد أظهر لاهور: رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ٢٠٠٣ - (سلسلة مطبوعات الرابطة ٨).

- **صدى البهجة**/ عبد الله الصالح العثيمين - ط١ - الرياض: دار العلوم، ٢٠٠٣.

- **الطب الحديث: تطوره من ممارسة إلى علم تجريبي**/ د. محمد محمد المفتي - ط ١ - طرابلس: الهيئة القومية للبحث العلمي، ٢٠٠٢.

- **علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين**/ منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢.

- **عمرو بن أحمر الباهلي: حياته وشعره**/ محمد محيي الدين مينو - ط١ - دبي: مدرسة الإمام مالك الثانوية، ٢٠٠٣.

- **عمود الشعر: مواقعه، ووظائفه، وأبوابه**/ د. عبد الكريم محمد حسين - دمشق: دار النمير، ٢٠٠٣.

- **عولمة الأنشطة الإعلامية: قضايا وآراء**/ د. حمدي حسن أبو العينين - الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٣ - (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢٠٥).

– **القدس في مواجهة الخطر/** شحادة الخوري - دمشق: دار الطليعة الجديدة، ٢٠٠١.

– **قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد/** د. عبد الله الصالح العثيمين – ط١ – الرياض: المؤلف، ٢٠٠١.

– **قصة الأيام والشهور والأرقام وتسمياتها/** شحادة الخوري – ط١ – دمشق: دار الطليعة الجديدة ، ٢٠٠١.

– **قضايا لغوية معاصرة /** د. ممدوح محمد خسارة – ط١ – دمشق: الدار الوطنية الجديدة، ٢٠٠٣.

– **الكشاف التحليلي (١٩٨٠-٢٠٠٢) حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية/** مجلس النشر العلمي – الكويت: المجلس، ٢٠٠٢.

– **الكشاف الوطني للدوريات السعودية /** إدارة التكشيف والببليوغرافية – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢.

– **اللغة العربية في دولة الإمارات العربية المتحدة ومناهج تعليمها/** د. رضوان خليل الدبسي – ط١ — الشارقة: جمعية حماية اللغة العربية، ٢٠٠٣ – ج١.

– **مجزرة الجنون: قصص/** أحمد عادل – ط١ – بيروت: دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠٣.

– **محاضرات في علوم القرآن/** محمد علي التسخيري – ط١ – قم: المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الإسلامية ٢٠٠٣.

– **المسبار في النقد الأدبي: دراسة في نقد النقد.../** د. حسين جمعة – دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣.

– **المسلمون في الهند/** وزارة الخارجية الهندية – نيودلهي: فورمات.

– **مشكل الحديث أو تأويل الأخبار المتشابهة /** ابن فورك، تحقيق وتعليق: دانيال جيماريه – دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ٢٠٠٣.

– **مشكلات في طريق النهوض** – د. محمد سعيد رمضان البوطي وآخرون – ط١ – دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢.

- **مصادر تاريخ الجزيرة العربية في تركيا**/ د. سهيل صابان - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢.
- **المصالحة مع طبعًا وصويحباقا**/ صقر الكسر - الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ.
- **معجم الأمثال العربية**/ خير الدين شمسي باشا - ط١ - الرياض: مركز الملك فيصل، ٢٠٠٢ - ٣ج.
- **معجم الإملاء**/ محمد محيي الدين مينو - ط١ - دبي: منطقة دبي التعليمية، مدرسة الإمام مالك، ٢٠٠٢.
- **معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين** / هيئة المعجم - ط٢ - الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، ٢٠٠٢ - ٧ج.
- **مفازات: قصص**/ غسان ونوس - دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣.
- **مقاصد سور القرآن** / الفيروزابادي، عني به: د. أيمن الشوا - ط١ - دمشق: مكتبة دار البيروتي، ٢٠٠٢.
- **مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية**/ مفتاح محمد دياب - ط١ - طرابلس: الهيئة القومية للبحث العلمي، ١٩٩٢.
- **منار الهدى في الأنساب** / الأعلمي الحائري - ط١ - قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ٢٠٠٣.
- **من أجل صهيون: التراث اليهودي المسيحي في الثقافة الأمريكية**/ فؤاد شعبان - دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٣.
- **مواقف ورؤى عربية من منظور ثقافي**/ عبد الرؤوف فضل الله - ط١ - بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٢.
- **مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود تجاه قضية فلسطين**/ د. عبد الفتاح حسن أبو عيلة - الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٣.
- **الموسوعة الوسيطة في تاريخ علوم الرياضيات العربية الإسلامية**/ إعداد وتصنيف: د. علي مصطفى بن الأشهر - ط٢ - طرابلس: الهيئة القومية للبحث

العلمي، ٢٠٠٢.
– **موقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسطينية** / د. حسان حلاق – الرياض: دارة الملك عبد العزيز ١٢٣٤هـ – (سلسلة كتاب الدارة ٢).
– **نبذ من مقاصد الكتاب العزيز** / العز بن عبد السلام، حققه: أيمن عبد الرزاق الشوا، قدم له: عبد الغني الدقر – ط١ – دمشق: مكتبة الغزالي، ١٩٩٥.
– **نثر القلم في تاريخ مكتبة الحرم**/ محمد بن عبد الله باجودة – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٢ – (السلسلة الأولى ٣٤).
– **نشرة الإيداع**/ دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٢-٢٠٠٣ – ١٢ج.
– **نظرات في كتاب الأعلام**/ أحمد العلاونة – ط١- بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٣.
– **النفيس من كنوز القواميس...**/ خليفة محمد التليسي – طرابلس: الهيئة القومية للبحث العلمي، ٢٠٠٣ – ٤ج.
– **النقوش العربية في أرمينية: دراسة تاريخية لغوية باليوغرافية**/ ألكساندر خاتشاتريان، ترجمة: شوكت يوسف – دمشق: سلام، ١٩٩٣ – ج١.
– **نوارس تقترف التحليق: شعر**/ ريم قيس كبة – دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٣.
– **الوفاء في رحاب القرآن والحديث والأدب**/ د. أيمن عبد الرزاق الشوا – ط١- دمشق، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٧.

ب- المجلات العربية

ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الموقف الأدبي	٣٩٣ ،٣٩٤، ٣٩٥ ،٣٩٦، ٣٩٧ ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣	٢٠٠٤	سورية
مجلة الدراسات الفلسطينية	٥٦، ٥٧	٢٠٠٣	لبنان
مجلة صوت الأمة	١، ٣، ٩ (مج ٣٦)	٢٠٠٤	الهند
المجلة العربية	٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦	٢٠٠٤	السعودية
مجلة الشريعة	٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦	٢٠٠٤	الأردن
المجلة البطريركية	٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣	٢٠٠٣	سورية
مجلة الضاد	١١، ١٢	٢٠٠٣	سورية
الرسالة الجديدة	٣	٢٠٠٣	اليونسكو
أخبار الألكسو	٢٥	٢٠٠٣	
مجلة مجمع اللغة العربية السوداني	٥	٢٠٠٢	السودان
مجلة فكر وفن	٧٨	٢٠٠١	ألمانيا
مجلة التراث العربي	٩٢	٢٠٠٤	سورية
مجلة جامعة تشرين	٨، ١٠، ١١، ١٢	٢٠٠٤	سورية
مجلة عالم الكتب	٣، ٤ (مج٢٥)	٢٠٠٤	السعودية
مجلة الحج والعمرة	١ (مج ٥٩)	٢٠٠٤	السعودية
الأسبوع الأدبي	٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٦، ٩١٧	٢٠٠٤	سورية
البيان	٤٠٥، ٤٠٧	٢٠٠٤	الكويت
نضال الفلاحين	٣١	٢٠٠٤	سورية
دراسات تاريخية	٨٣، ٨٤	٢٠٠٣	سورية
مجلة باسل الأسد للعلوم الهندسية	١٩	٢٠٠٤	سورية

ج– الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

1- Periodicals :

- Acta Orientalia. Vol. 57, No. 1, 2004.
- Ajames. No. 19, 2004.
- Deutschland, No. (1,2,3,4), 2004. Germany.
- East Asian Review, Vol. 16, No. 2, 2004.
- Geologica belgica, Vol. 5, No. (1-4), 2002.
  Vol. 6, No. (1-4), 2003.
  Vol. 7, No. (1-4), 2004.
- Hamdard Islamicus, Vol. XXVII, No. 1, 2004.
- IBLA, No. 193, 2004.
- The Middle East Journal, Vol. 58, No. (2-3), 2004.
- The Muslim World, Vol. 94, No. (1-3), 2004.
- Le Nouveau Corrier, Janvier, 2004. Unesco.
- Orient, Vol. XXXIX, 2004.
- Patrimoine Mondial, No. (32, 33, 34,35), 2004, Unesco.
- Population and Development Review, No. (1-2), March, 2004.
- Resistance, No. (1-6), 2004, Syria.
- Self Realization, Fall, 2004.
- معارف، أكتوبر، 2003، إيران ، Vol. (173 – 174), 2004.

2 –Books:

- The New poetic, by: C.K. Stead. Britian.
- The Joker, by: Jean Malaquais. Britian.
- Shakespeare, by: Arnold kettle. London.
- Oriental Mythology, by: Secker. London.

- Aeschylus and Athens, by: George Thomson.
- Land marks in French Literature, by: Lytton Strachey.
- The Classical Tradition, by: Gilbert Highet.
- English prose Style, by: Herbert Read.
- Aesthetics, by: Edward Bullough.
- Prefaces to Shakespeare, by: Harley Barker.
- A History of Modern Criticism, by: René wellek.
- Engels, by: Anti – Dühring.
- The Poetry of W.B. yeats, by: Louis Macneice.
- Illusion and Reality, by: Christopher Caudwell.
- The Creative Experiment, by: C.M. Bowra.
- John Keats, by: Walter Bate.
- W. H. Auden, by: John G. Blair.
- The Romantic Comedy, by: D.G. James.
- Common Sense About Drama, by: L.A.G. Strong.
- The Making of Literature, by: R.A. Scott.
- The Ninteenth Century Novel, by: Arnold Kettle.
- Understanding Poetry, by: James Reeves.
- Milton's Epic Poetry, by: C.A. patrides.
- The Art of Drama, by: Ronald peacock.
- James Joyce Ulysses, by: Richard Ellmann.
- Studies in European Realism, by: Georg Lukács.
- Yeats The play wright, by: Peter Ure.

فهرس الجزء الثاني
من المجلد التاسع والسبعين

(المقالات)

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

الجزء الثالث المجلد التاسع والسبعون

مجلة



مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا »



جمادى الأولى ١٤٢٥هـ

تموز ٢٠٠٤م



ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاًمن مطلع العام ١٩٩٦م

١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية.

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونها بها ويقصرونها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

الجزء الثالث

المجلد التاسع والسبعون





جمادى الأولى ١٤٢٥هـ

تموز ٢٠٠٤م

تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم
في التعليم العالي

الدكتور عبدالله واثق شهيد

نشأ تعريب التعليم في بلاد الشام مع حركة النهضة القومية والإحياء اللغوي في القرن التاسع عشر. ويمكن العودة ببدايات النهضة إلى عهد الأمير بشير الشهابي[1] (١٧٨٩-١٨٤٠) الذي جعل قصره منتدى ازدحم فيه الكتاب والشعراء، ونشأ فيه رواد النهضة الأوائل كناصيف اليازجي ونقولا الترك وبطرس كرامة...

وكثر الرواد في مطلع القرن التاسع عشر، وتعددت مشارب الإحياء اللغوي، إلا أنها يمكن أن تصنف في مدرستين رئيسيتين، مدرسة شبّت في الجامعين الأمويين في دمشق وحلب،وعمل روادها بالتدريس فيهما، على إحياء القديم في خط تقليدي، وأخرى أصاب روادها نصيبًا من الثقافة الغربية، فأدخلت أفكارًا جديدة إلى بلاد الشام في وقت مبكر، وكان الشدياق رأس هذه المدرسة التي يمكن أن نطلق عليها بحق اسم مدرسة الآباء اليسوعيين[2].كما يعيد أعلام تعريب العلوم في الشام جذور نهضة تعريب

---

(١) حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام: نشأة ظبيان — دار التقدم، دمشق ١٩٧٦، الصفحتان ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) المرجع السابق الصفحة ٢٧١.

تعليم العلوم إلى أوائل القرن التاسع عشر[١] أيضًا.

ومن العوامل التي هيأت لهذه النهضة دفعًا قويًا صدور الدستور العثماني في عام ١٨٧٠، وفيه دعوة واضحة إلى التريك وطمس عروبة الولايات العربية، وتلاه دستور عام ١٩٠٨ تأكيدًا له ودعما. وقامت جمعية الاتحاد والترقي بالإشراف على تطبيقهما بحزم، فساعدت بذلك على تجسيد فكرة البعث القومي، وبلورتْها الروح الطورانية التي انبثّت في نصوص الدستورين. وتجاوبت المدارس الأجنبية في البداية مع هذا المد القومي، فعلّمت باللغة العربية خدمةً لأهدافها في توهين السلطة العثمانية وإضعاف نفوذها وتزيين افتتان طلابها بثقافة بلدانها[٢]، وحظيت المدرسة الإنجيلية (الكلية الأمريكية) بمعلم العربية الشيخ ناصيف اليازجي كما حظيت بثلاثة أطباء أجانب درسوا اللغة العربية وأتقنوها ثم صنعوا لفنونهم المؤلفات العربية وعنوا العناية البالغة بتحري الكلمات العربية لمصطلحات فنونهم، وتخرج على أيديهم الرعيل الأول لنشر العربية في الجبل والساحل فكانوا الدعامة الأولى للتعليم العالي العربي في ديار الشام.

وازدادت حركة الإحياء اللغوي قوة وتحفزًا بظهور فئة استهدفت شق صفوف الحركة وزعزعة كيانها فدعت إلى تبني اللهجة العامية، وصدرت كتب بها لمارون عبود وشكري الخوري وغيرهما، وطور بعضهم هذه الدعوة

(١) طرائق نقل المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية: الأمير مصطفى الشهابي – مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد العاشر، الصفحة ٢١١.

(٢) حاضر اللغة العربية في بلاد الشام: سعيد الأفغاني – معهد الدراسات العربية العالية (جامعة الدول العربية) – القاهرة ١٩٦٢ الصفحتان ١٧-١٨.

ووسعها لتشمل استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي، فاستحثت هذه البدعة الوعي القومي. وأدركت المدارس الأجنبية أنها خسرت الرهان فنبذت الجامعة الأمريكية التعليم باللغة العربية في عام ١٨٨٠ بادعاء قصورها عن استيعاب منجزات العصر العلمية، فأثارت المزيد من النقمة في النفوس التي وطدت عزمها على تعزيز حركة الإحياء اللغوي، وأسست الجمعيات لتحقيق هذا الهدف بإنشاء المدارس الأهلية والنوادي. وحققت الجمعية[١] الخيرية التي أُسست في دمشق نهضة تعليمية باللغة العربية في أيام الوالي المصلح مدحت باشا، فأنشأت بين عامي ١٨٩٤و١٨٩٥ ثماني مدارس للذكور ومدرستين للإناث في دمشق، وعين مدحت باشا الشيخ طاهر الجزائري مفتشًا عامًا للمدارس في ولاية سورية التي كانت بيروت وملحقاتها تابعة لها. وساهم خريجو المدارس الأهلية الخاصة الإعدادية والثانوية بنصيبٍ وافرٍ في إثراء الثقافة ونشر اللغة العربية. ورجع من ذهب منهم للتخصص في أوروبا[٢] «على المبادئ الطيبة المغروسة فيهم في تلك المدارس، فلما وكل إلى بعضهم التدريس في الجامعة الناشئة أيام الحكم العربي، أنفوا كل الأنفة من أن يدرسوا بفرنسية أو إنكليزية وأخذوا على عواتقهم رد الاعتبار إلى اللغة العربية التي نهضت من تحت الأنقاض. فدأبوا ليل نهار حتى قدموا أحسن الخدمات إلى التعليم العالي وهي تعريبه على الأسس الراسخة السليمة».

(١) المرجع السابق الصفحتان ٥٥ و ٦٥.

(٢) المرجع السابق، الصفحة ٣٠.

ولقد طالبت جميع الجمعيات والمدارس والنوادي بتعريب التعليم وبحظٍ من الإدارة المستقلة للبلاد العربية، وتوجت هذه المساعي كلها بمؤتمر باريس الذي عقد في صيف عام ١٩١٣ وكان من أهم مقرراته: «اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية». وقامت في الشام (في دمشق وبيروت) مظاهرات شعبية عنيفة اقترنت بإضرابات واسعة النطاق دعمًا لهذا القرار وابتهاجًا به، فاضطرت الحكومة آخر الأمر- سنة ١٩١٣ إلى مفاوضة زعماء الحركة الإصلاحية، واتفق على كيفية تنفيذ الإرادة السنيّة التي صدرت في هذا العام والآتي نصها:

«يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات التي يتكلم أكثرية سكانها هذه اللغة، في المدارس الابتدائية والإعدادية، وينظر من الآن في الوسائل التي تؤدي إلى جعل التعليم العالي في البلاد باللغة العربية». «وفي سنة ١٩١٢أنشئ معهد الحقوق[1]... وكانت دروس المجلة وأصول الفقه وأحكام الأوقاف وغيرها من العلوم الفقهية تلقى فيه باللغة العربية...». وهكذا فإن تعريب تعليم الحقوق، قد بدأ في سورية قبل الحرب العالمية الأولى، ونشأ بمفاهيمه ومصطلحاته في بيئة عربية إسلامية فتطور فيها

---

(١) جاء في خطاب الأستاذ سعيد الغزي في حفلة توزيع الشهادات (ينظر، مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد الثامن، الصفحات ٥٢ –٥٨) ما يلي: «أذاعت الحكومة العثمانية بلاغًا جاء في مواده أن تكون اللغة العربية لغة التدريس في المدارس الابتدائية والثانوية ولغة المرافعات في المحاكم النظامية والشرعية في البلاد العربية، وأن تعنى الحكومة بإنشاء مدارس عالية للطب والحقوق في البلاد العربية، وفي سنة ١٩١٢ أنشئ معهد الحقوق... ».

تدريجيًا، وتكاملت المفاهيم الجديدة ومصطلحاتها في مدرسة تلك البيئة بيسر. كانت هذه بداية تعريب التعليم العالي رسميًا في سورية، وكان تعريب العلوم الإنسانية، ومنها الآداب بخاصة، مبكرًا أيضا، كما يمكن أن يكون قد اتضح من عرضنا الملخص لحركة الإحياء اللغوي في بلادنا. فقد قامت الحركة الأدبية والثقافية عامة في أصقاع المشرق العربي بنقل روائع الأدب الغربي إلى اللغة العربية في وقت أبكر، لهذا كله فإن تعريب التعليم العالي في مختلف مجالات العلوم الإنسانية لم يكن قضية معقدة ولم يُثِر أبدًا إشكالات تتضارب حولها الآراء.

ويذكر الدكتور جميل الخاني[1]، أنه شرع يدرِّس العلوم الطبيعية والرياضية باللغة العربية قبيل الحرب العالمية الأولى، إذ يقول في دراسةٍ له عن المصطلحات العلمية، نشرت عام ١٩٣٤: «منذ شرعت تدريس العلوم الطبيعية والرياضية في المدارس العربية بدمشق، أي منذ عشرين عامًا، كنت أرجح أن آخذ هذه العلوم عن الكتب الغربية، إذ لا مشاحة في أن بلاد الغرب هي منبع هذه العلوم في هذا العصر، لكنني كنت ألاقي في سبيل الوصول إلى غايتي عقباتٍ جمة في ترجمة المصطلحات الأعجمية إلى اللغة العربية». وهذا يعني أن بلاغ الحكومة العثمانية الذي جاء فيه أن تكون اللغة العربية لغة التدريس في المدارس الابتدائية والثانوية قد طبق في جميع المجالات، وأن التعريب قد بدأ رسميًا منذ ذلك الحين.

---

(١) الأستاذ الدكتور جميل الخاني: مصطلحات علمية – مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد التاسع، الصفحة ٢٣٥.

وواقع الأمر فإن تعريب التعليم عامةً، وتعريب تعليم العلوم في المراحل المختلفة، ومنها مرحلة التعليم العالي خاصة، لم يطرح هو أيضًا إشكالات و لم تختلف حوله الآراء.

كان تعريب التعليم في جميع مراحله مطلبًا جماهيريًا منذ بدايات النهضة العربية الحديثة وحركة الإحياء اللغوي التي رافقتها كما بيّنا. وكان الدافع لتبني جميع أبناء الوطن التعليم باللغة العربية، في جميع مراحله، هو حب الوطن والثقةُ بالنفس، الثقة بقدرتنا على إثبات وجودنا أمام العالم كله وبكفاءتنا للنهوض من الكبوة. والتمسكُ باللغة تعبير عن التمسك بالوطن والتاريخ. إنه العامل النفسي كما يقول الدكتور عبد السلام العجيلي[١]: «هذا العامل موجود وراسخ في أعماق نفوسنا... هذا التعلق العاطفي باللغة الأم، في مجموعة بشرية هو دلالة من دلالات ثقة هذه المجموعة بنفسها، كما هو نقطة ارتكازٍ لابد منها لكي تنتج هذه المجموعة إنتاجًا حضاريًا ذا قيمة أصيلة». هذا العامل النفسي هو الذي يدفع كل شعب من شعوب العالم للاعتزاز بلغته، وللتعليم بها في جميع مراحل التعليم مهما كان تعداد سكانه،قلّ أو كثر، إنها هويته أو أبرز ما فيها.ولكم توارت في خضم التطورات الحضارية والثقافية التي نشهدها في هذا العصر، لغات لم تشارك في بناء حضارته، ولم يكن لها من قبل مشاركة مشهودة في هذا المضمار. لقد اندثرت في هذا الخضم مئات اللغات في القرن الماضي، بينما أحيت عدوتنا إسرائيل اللغة العبرية بعد موتها وجعلتها نقطة الارتكاز، التي أشار

(١) عبد السلام العجيلي: لغة العلوم الحلقة الرابعة – مجلة المعرفة، الصفحات ٦- ٣٣ وبخاصة الصفحات ١٨ –٢٢ منها.

إليها الدكتور العجيلي، لوجودها العدواني ولغةَ التعليم في جميع مراحله. أما لغتنا العربية فلها من القرآن الكريم حرز، ومن الحضارة العربية الإسلامية ركن شديد، ولها في نفس كل عربي وكل مسلم قدسية أضفاها عليها القرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف، وها هو محمد كرد علي، مؤسس مجمع اللغة العربية بدمشق المتحدّر من أصول كردية شركسية قد اعتز بلغة القرآن الكريم لسانًا وفاخر بحمل لواء العروبة وبحب وطنها الكبير. واللغة العربية هي التي أبدعت مصطلحات علوم الحضارة العربية الإسلامية وكانت في تلك الحضارة لغة العلم والثقافة، وانتشرت بها في أصقاع العالم كله فأنارت ظلمات العصور الوسطى ومهدت لعصر التنوير، وإنها قمينة بالعلم والحضارة وبالمساهمة في بنائهما وتطويرهما.

لقد رافق قيامَ الدولة العربية في سورية شعور بالعزة والقوة والكرامة، استبد بأفئدة جميع فئات الأمة، فاندفع الجميع، معلمون وصحافيون وكتاب وشعراء وموظفون وسياسيون مثقفون، للقضاء على ما خلف التتريك من آثار مهينة امتدت إلى اللغة والثقافة.

لقد كان إذن خيار تعريب التعليم في جميع مراحله هو الخيار الوحيد الذي توجه إليه المثقفون في سورية، بل الشعب كله. واتسق قرار الدولة العربية الفتيّة مع هذا الخيار، فكان هو أيضًا خيارها الوحيد. إنه نفير عام كان على الدولة توجيهه والوصول به إلى الغاية المرجوّة بأنجع السبل وأقصر مدة. فأنشئت شعبة للتأليف عَقِبَ تأليف الدولة العربية في عام ١٩١٨، مهمتها النظر في المصطلحات التركية، التي كانت سياسة التتريك قد أدّت إلى تفشي استخدامها في دوائر الدولة، وترجمتها إلى مصطلحات عربية.

واستُعين لأجل تحقيق هذه الفكرة بعدد من الأدباء والشعراء ورجال السياسة المثقفين... وكلفت الحكومة هؤلاء العلماء الأعلام تدريس الموظفين اللغة العربية والإنشاء[١]. وفي عام ١٩١٩ أسست الحكومة «ديوان المعارف» برئاسة الأستاذ محمد كرد علي، صاحب جريدة المقتبس، وكانت مهمة هذا الديوان النظر في أمور المعارف وتأسيس دار للآثار والعناية بالمكتبات، وبدار الكتب الظاهرية منها خاصة. ولما اتسعت أعمال هذا الديوان، أسست الدولة «المجمع العلمي العربي» في ١٩١٩/٦/٨، وعهد برئاسته إلى العلامة محمد كرد علي، وكان أعضاؤه العاملون والشرفيون هم الذين شاركوا في شعبة التأليف وترجمة المصطلحات وفي ديوان المعارف.

كانت أعباء المجمع مرهقة، وكان أهمها: البحث في الألفاظ المتداولة في أكثر دوائر الحكومة، وتقرير الفصيح منها اعتمادًا على أمهات كتب التراث، وتعهد آثار البلاد بالعناية والرعاية، وجمع ما يتوافر له منها لتكون نواة «لدار الآثار العربية»، وإنشاء مجلة باسم «المجمع العلمي العربي» وإنشاء «دار للكتب العربية» تكون دار الكتب الظاهرية التي نيط بالمجمع إدارتها، نواة لها، واتخذ المجمع لذلك المدرسة العادلية التي تقع قبالة الظاهرية مقرًا له. كل شيء عربي وليس سوريًا، إنه الاعتزاز بالعربية والإيمان بالعروبة: المجمع العلمي العربي، ودار الكتب العربية، ودار الآثار العربية. ولقد اضطرت الدولة الفتيّة، في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي رافقت قيامها، إلى توقيف أعمال المجمع توقيفًا مؤقتًا وأبقت من أعضائه عضوين فقط لكي

(١) أحمد الجندي: المجمع العلمي العربي – مجلة المعرفة، السنة الرابعة، العدد ٤٢، الصفحات ٣٩-٤٤.

يشرفا على أعماله ومحتوياته فلا تغتالها أيدي الضياع[١]. وفي سنة ١٩٢١، وهي السنة التي أصدر فيها المجمع مجلته، كان عدد أعضائه العاملين أربعة يؤازرهم عدد من الأعضاء الشرفيين. وكان مما قام به في تلك السنة:

ـ إصلاح الكتب المدرسية في المدارس المدنية والعسكرية بعد أن قرر مجلس المعارف الكبير في ١٧ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢١ إحالتها على المجمع ليصحح أسلوب إنشائها، ويضع المصطلحات العلمية العربية أو يحققها.

– إصلاح لغة الكتّاب، فكان ينشر على صفحات مجلته وغيرها من الصحف مقالات في باب سُمي «عثرات الأقلام» وأخرى عنوانها «في الوضع والتعريب» ، وأذاع نشرة يطلب فيها من دوائر الحكومة ومعاهد التدريس أن تنبئه بما تحتاج إليه من الألفاظ وضعًا وتعريبا[٢].

– وأخذت تنهال عليه رغبات دوائر الدولة كلها — المعارف والأوقاف والشرطة وغيرها — في أن ينظر في كلمات وتعابير كثيرة، فنظر فيها بعناية وقدمها بتواضع شديد، ولم يشأ فرض منجزاته على الناس المتلهفين لالتقاطها، لعل بعضهم يقترح ما هو أصلح، ذلك لأن الأصلح كان هو الغاية. لقد كانت توجهات المجمع في سنواته الأولى إصلاح لغة الدواوين والكتّاب والصحف ووضع المصطلحات الأكثر تداولاً وإلحاحًا، وجلها يقع في مجال ألفاظ الحضارة والحياة العامة.

---

(١) عبد القادر المغربي: نشأة المجمع العلمي العربي — مجلة المجمع، المجلد ١، الصفحة ٥.

(٢) عبـــد القادر المغربي: خلاصة عن مجمعنا وأعماله في هذه السنة — مجلة المجمع، المجلد١، الصفحة ٣٩٢.

لقد نجح المجمع في العاجل من مهمته، فعرّب الدواوين وأصلح لغة التعليم في المدارس والصحافة في مدة قصيرة نسبيًا، والتف حوله كل فئات الشعب وأنصار العربية في البلاد الإسلامية عامة وفي الأقطار العربية كلها خاصة. وامتلأت صفحات مجلته بآرائهم ودراساتهم في المشكلات التي كانت تعرض على صفحاتها أيضًا.

كان أعضاء المجمع الأوائل العاملون والشرفيون، لغويين في المقام الأول، وكان معظم المشكلات المطروحة في البداية، إصلاح لغة الكتاب والدواوين ووضع المصطلحات الأكثر تداولاً وإلحاحًا، وهي كما ذكرنا مصطلحات ألفاظ الحضارة والحياة العامة. أما مصطلحات العلوم الأساسية والتطبيقية في الفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة، فكان على الاختصاصيين في المعهد الطبي العربي القيام بوضعها والتدقيق فيها، إذ لا يجوز إلقاء أعباء هذه المهمة على لغويي المجمع ، أعضائه العاملين والشرفيين، وتلقف ما يقترحونه عليهم من المصطلحات والركون إليها. فعلى الرغم من الجهود المضنية التي قام بها أولئك العلماء اللغويون في البحث في كتب التراث لاختيار ما يعتقدون أنه الأصلح، فإن مصطلحات كتب التراث وضعت لمعانٍ علمية حددت في حينها وليس بإمكان غير الاختصاصيين في العلم الأساسي أو التطبيقي المعني استعارتها لمعانٍ علمية أخرى. ويبقى الاحتكام إلى اللغويين في المصطلحات والتعابير في كثير من المشكلات ضروريًا. وقد نبّه إلى هذه الحقيقة من قبل، وبصور مختلفة، كل من مرشد خاطر ومصطفى

الشهابي ومنيف العائدي على الأقل[١].

يعدّ ما قام به أعضاء هيئة التدريس في المعهد الطبي العربي من أروع إنجازات مراحل تعريب التعليم العالي في القرن العشرين، إنه يشبه من وجوهٍ عدة ما قام به أسلافهم في القرن التاسع عشر في مصر والشام. لم يتردد أي من أعضاء هيئة التدريس في المعهد الطبي العربي في متابعة مسيرة تعريب تعليم الطب وما يرافقه من الصيدلة والعلوم الحيوية والكيمياء والفيزياء، بل لم يساور التردد أحدًا منهم. إنه النفير العام كما ذكرنا قبل قليل، وهم معنيون به ومن صانعيه كما يستخلص مما أوردناه في الصفحات السابقة من هذه الدراسة.

لقد كانت مهام أساتذة المعهد الطبي العربي عظيمة الشأن ومرهقة، وكان النجاح فيها هو خيارهم الوحيد. واخترت على سبيل المثال، لتقديم صورة عن جسامة التحدي الذي يطرحه النجاح فيها، ما تصدى له الطبيب محمد جميل الخاني، أستاذ أمراض الجلد ومدرس العلوم الطبيعية في المعهد. وقد اخترته من بين زملائه، لأنه كان يعدّ محاضراته في اختصاصين، في أمراض الجلد وفي الفيزياء، والبعد بينهما شاسع، فهو يبحث في الجديد في الاختصاصَيْن، ويضع المصطلحات العلمية لما يدرِّسه، ويعمل على تقويم ما اعوج من أساليب اللغة العلمية، ويعرض ما يرتئيه على صفحات مجلتي المعهد ومجمع اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا)، على الأطباء واللغويين لنقده أو الأخذ به. حقًا يستحق المرء على نجاحه في أداء هذه الأعمال التي تتطلب استقصاء المعارف في الاختصاصين وإجادة تعليمهما

---

(١) نبه إليها مصطفى الشهابي في الصفحتين و ١٢٧و٢١١ من المجلد العاشر من مجلة المعهد الطبي العربي ومرشد خاطر في الصفحة ١١٧منه، والعائدي في الصفحة ١٨١ منه.

معرَّبَيْن، أعلى درجات التقدير. يقول الأستاذ الخاني في الحلقة الأولى من سلسلة مقالاته «اللغة العلمية»[١]:... «ولذلك أحببنا أن نبيّن للقراء هذه الأغلاط ليشاركونا في الانتباه إلى ما انطبع في أدمغتنا من الكلمات غير الصحيحة ونستبدل بها صحيحها خدمة للعلم واللغة وسنوالي مقالاتنا في هذا الموضوع تحت عنوان (اللغة العلمية)... ولا نقصد بذلك أن نختص بهذا الباب دون غيرنا، بل إنه باب مفتوح لكل من يطرقه، ونسدي أطيب الشكر لكل من يؤازرنا في هذا المشروع من إخواننا الأطباء وغيرهم، ألهمنا المولى إلى ما فيه نفع العلوم وإعلاء شأن لغتنا المحبوبة...». وارتأى في مقالته الأولى هذه، ضرورة تغيير عدد من المصطلحات، كان من بينها: الأوعية الدموية، واللنفا، والأوعية الشعرية...فقال: «... ومنها قولهم أوعية شعرية، اسمًا للعروق الصغار وهو اسم خطأ فادح... على أن العرب سمت هذه المجاري بالعروق الدقاق، فيجب استعمال هذا اللفظ الصحيح وترك ذاك اللفظ الذي ليس من العربية في شيء». وكان الأب أنستاس ماري الكرملي في بغداد، مستنفرًا لنصرة التعريب كغيره من العرب، يتابع ما ينشر في مجلتيَ المجمع والمعهد حول مسيرة التعريب في دمشق، وينشر فيهما ما يراه دعمًا لها. فكتب إلى مجلة المعهد مشجعًا، ومعلقًا على ما نشر فيها، مقالةً بعنوان: «محاسن مجلة المعهد الطبي العربي» [٢]، جاء فيها، تعليقًا

---

(١) محمد جميل الخاني:اللغة العلمية – مجلة المعهد الطبي العربي – المجلد الأول (١٩٢٤) الصفحة ٦٠.

(٢) الأب أنستاس ماري الكرملي: محاسن مجلة المعهد الطبي العربي – مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد الأول، الصفحات ٤٢٦-٤٣١.

على مقالة الأستاذ الخاني، نقد مصطلحاته والاعتراض على استخدامه فيها حروف: على، وعن، واللام في له، وعند، في غير المواضع الصحيحة في رأيه، واستشهد بالقزويني في كتابه عجائب المخلوقات، على صحة استخدام مصطلح الأوعية الشعرية... فرد الخاني في العدد التالي من المجلة، بعنوان «رد انتقاد»[١] وبرّر استخدامه «عند» للزمان في المواضع التي استخدمها فيها مستشهدًا بالنووي والدماميني، ورفض استشهاد الأب الكرملي بالقزويني المتأخر قائلاً: فهل القزويني عربي يتخذ كلامه حجة في اللغة؟ ...

لقد سقتُ بعض ما جرى بين الخاني والكرملي لتصوير واقع تفاعل المجتمع العلمي في المشرق العربي في بداية مسيرة التعريب. وكان ما سقته طرفًا من صورة أشمل لواقع ذلك التفاعل، اخترته لبيان المستوى الرفيع من المعارف اللغوية والعلمية الذي كان يتوفر في عضو هيئة التدريس في التعليم العالي:

١- في اللغة (أو اللغات) الأجنبية التي يستقي منها علومه.

٢- وفي اختصاصه العلمي وهو محور مهمته التعليمية، والذي لا يُحسن دون إجادته، انتقاء ما ينقل والتمكن من فهمه.

٣- وفي اللغة العربية التي يصوغ بها أفكاره العلمية، وينتقي من ذخيرتها الواسعة وزمر معانيها المتقاربة والمترادفة، مصطلحاته العلمية.

ولا يبلغ عضو هيئة التدريس في المعهد الطبي هذا الشأن في اللغة العربية، إلا إذا أنفق من عمره سنوات في دراستها فأحب صحبتها. وهذا شرط رابع يجب توفره في الرواد من أعضاء هيئة التدريس للنجاح في هذه

---

(١) الدكتور جميل الخاني: رد انتقاد – مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد الأول، الصفحات ٤٩٤-٥٠١.

المهمة الريادية. وهل كان بإمكان الخاني رد انتقاد الكرملي بتلك السرعة لو لم يكن قد بلغ ذلك الشأن في اللغة العربية فيستشهد في استخدام (عند) للزمان، بتحرير النووي في قوله عند الليل، وفي قول الدماميني: عند الصدمة الأولى. قلت لقد سقت طرفًا مما جرى بين الخاني والكرملي، والواقع أنّ ما كان بينهما من نقاش، امتد ليشمل: العروق والأوعيه الدموية، والعروق الدقاق والأوعية الشعرية، والبلغم واللنفة أو اللنفا... ولم يكن الأب الكرملي الوحيد الذيَ تناول مصطلحات الخاني بالنقد، فقد تناولها أيضًا الدكتور أمين المعلوف مدير الأمور الطبّية في الجيش العراقي، وبعض زملائه في المعهد. كما لم يكن الخاني وحده موضوع مقالة الأب الكرملي تلك، أوموضوع مقالاته الأخرى.

قد يكون من المناسب سوق جوانب أخرى من مسيرة تعريب التعليم العالي في بداياتها، جوانب من تخليص اللغة العلمية العربية مما داخلها من التركية، ومن تعريب بعض المصطلحات دون ترجمتها. فقد دعا أمين المعلوف مجلةَ المعهد الطبي العربي إلى إصلاح المصطلحات التي وضعت في مدرسة الآستانة ومعظمها منقول عن مؤلفات أساتذة قصر العيني[1]. وذكر «من المصطلحات المصرية التي غيّرها الترك لفظة خلية فقالوا الحجيرة... ومنها قولهم النسيج المنضم وصوابه الضام...» وقدم حججه، وأبدى رأيه في ترجمة بعض الألفاظ كالفوصفور والكربون، ورأى تعريبها لضرورة التمييز مثلاً بين أصناف الكربون كالفحم والماس، وبيّن أن اختيار الأتراك

(١) الدكتور أمين معلوف: لغة العلم – مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد ١، الصفحات ٤٨١ – ٤٨٩.

كلمة فحم العربية للدلالة على الكربون قد يكون مقبولاً عندهم، إذ تبقى مميزة عن كلمة كومور التركية التي تقابل كلمة فحم في لغتنا، واستخلص فيما بعد أن اللغة العربية احتلت في وضع المصطلحات التركية موقع اللغتين اليونانية واللاتينية ومكانتهما في وضع المصطلحات عند أهل الغرب[١].

وأثارت آراؤه هذه اهتمام الدكتور أحمد حمدي الخياط في المعهد الطبّي العربي، ومنها خاصة ما يتعلق بتعريب كلمة كربون وهيدروجين وآزوت وما يماثلها، فأعاد المعلوف[٢] مبررات تعريبها جميعًا فقال «فلو أمكن ترجمة الهيدروجين بكلمة عربية واحدة ونحت لفظةٍ من كلمتين، كما قالوا الماورد، لزال الاعتراض، ثم إن البقلي في معجمه جرى على تعريب أمثال هذه اللفظة وترجمتها، فقال الآزوت ومعدم الحياة، والأيدروجين ومولد الماء،... فبقي التعريب شائعًا إلى يومنا هذا في مدارس مصر وبيروت وأهملت الترجمة جريًا على سنة بقاء الأصلح...» وما «قولك لو ترجمناها (يريد لفظة الآزوت) بمعدم الحياة، وجرينا على طريقتهم (طريقه الأتراك) في تسمية النترات والنتريت، فهل نقول معدمية الحياة، ومعدميتي الحياة، أو على الطريقة المصرية فنقول معدمات الحياة ومعدميت الحياة، أليس الأفضل أن نقول كما تقول الآن مدارس مصر والشام نترات وآزوتات، ونتريت وآزوتيت». واقترح أن يكون التعريب عن الأصل اللاتيني أو اليوناني لئلا نقع في الفوضى. ورفض الدعوة إلى اتباع الطريقة التركية في التعبير عن

---

(١) الفـريق أمين باشا المعـلوف: توحيد المصـطلحات العلمية- مجلة المعهد، المجلد التاسع، الصفحة ٥٢.

(٢) الدكتور أمين معلوف: لغة العلم — مجلة المعهد، المجلد ٢، الصفحات ٢٢٧-٢٣٣.

المركبات الكيميائية. وكان الخاني[١] من قبل قد نبّه إلى ضرورة إعادة النظر في مصطلحات الآستانة المنقولة عن العربية، «لأنها وضعت في قالب يناسب اللغة التركية، كقولهم في النسب: زهره وي، ومعده وي وغدّه وي، وأن صوابها في العربية: زهري ومعدي وغدّي، لأن القاعدة عند العرب في النسب إلى ما فيه تاء تأنيث هي حذفها مطلقًا».

ويعود الخاني بعد ست سنوات من بداية الحملة على الدخيل من اللغة التركية فيعلن أن الحملة نجحت في طرد الكلمات المغلوطة التي ورثتها ألسنة الأطباء عن العثمانيين، وأن «كثيرًا من تلك الكلمات المغلوطة أخذت تصلح بطبيعتها شيئًا فشيئًا تبعًا لقاعدة زوال السبب بزوال المسبب، لكنه قد بقي منها مالايزال متأصلاً في ألسنة بعضنا مؤديًا إلى تخديش الأسماع عند النطق، فرأينا من الواجب أن نعود إلى التنبيه إليها والله الموفق»[٢]، فَشَكَلَ في مقالته هذه بعض الكلمات التي كانت تلفظ على وجوهٍ مغلوطة كعظم «(العَقَب) لمؤخر القدم وصوابه كسر القاف ويجوز السكون، وهي مؤنثة لا مذكرة...» ثم تلاها بذكر فوائد في تفريع الأسماء الثلاثية المجردة وأنهى مقالته ببيان بعض الأسماء الثلاثية المجردة لأعضاء الجسم.

استكمل أساتذة المعهد الطبي العربي وضع مصطلحاتهم والتدقيق فيها، ودخل تعريب العلوم في التعليم العالي مرحلةً جديدة، هي المرحلة الثانية،

---

(١) الدكتور محمد جميل الخاني: اللغة العلمية «(٢)» مجلة المعهد، المجلد ١، الصفحات ١٨٠-١٨٣.

(٢) الدكتور جميل الخاني: أبحاث لغوية – مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد الثامن (١٩٣١)، الصفحات ١٠٩-١١٤.

مرحلة تنقيح المصطلحات العلمية وتكاملها. فظهرت مصطلحات الفيزياء في أعمال الدكتور جميل الخاني، ومصطلحات الكيمياء والصيدلة في أعمال الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي، ومصطلحات الطب في أعمال الأطباء، جميل الخاني في أمراض الجلد، ومرشد خاطر في الأمراض الجراحية، وأحمد حمدي الخياط في الجراثيم، وحسني سبح في الأمراض الباطنة... نشرت تلك المصطلحات في مجلة المجمع، ونوقشت ونقحت على صفحاتها. وقد تدرج هؤلاء الأطباء في تفاعلهم مع المجمع فانتُخبوا أعضاء مراسلين ومؤازرين، ثم أعضاء عاملين فيه. ولوّنت أعمالُهم ما ينشر في مجلة المجمع بلونها العلمي الأساسي والتطبيقي الخاص، وأوجدت في المجمع البيئة المواتية لنشوء مدرسة لها شخصيتها المميزة في معالجة قضايا المصطلح. وضمت هذه المدرسة الدكتور جميل الخاني الذي وضع مصطلحات الفيزياء وأمراض الجلد وشرع يضع معجمه الذي سمّاه «الدرّ المتواصف في لغة المترادف» ، وصل فيه إلى حرف العين وعاجلته المنون فترك مخطوطا[١].

وتمّم المهندس الزراعي الأمير مصطفى الشهابي، عضو المجمع ورئيسه فيما بعد، بأعماله صورة لشخصية تلك المدرسة، إذ توسع في بحوثه، فجمع أسس وضع المصطلح المتوارثة ونسّق بينها وبين ما استجد من محاولات، وأضاف إليها، فنشر في عام ١٩٥٥ خلاصة تلك الأعمال في كتابه «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث». كان الشهابي في حصيلة أعماله مهندسًا زراعيًا، وعالمًا لغويًا عالج مشكلات النحت

(١) حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام. الصفحة ١٢٦ — مرجع سابق.

والاشتقاق والأوزان العربية، والكواسع والصدور، وكتابة الحروف الأعجمية، وقواعد رسم الهمزة، ومعظم ما يمت في اللغة العربية بصلة إلى مشكلات المصطلح العلمي العربي، وأنار بكتابه في المصطلحات العلمية، مسالك وضع المصطلح للأجيال العربية.

وأولى الكواكبي النحت عنايةً خاصة، واقترح في بحوثه وكتبه ومعجماته، الكثير من المصطلحات المنحوتة، مؤيدًا رأيه بالعديد مما جمعه من شواهد من التراث العربي. وخص دراسة الأوزان العربية بجهد مرموق، واقترح القياس على ما قدّم من أوزان في وضع المصطلح. وكثيرًا ما حركت مقترحاته تلك قرائح اللغويين، فأثنوا عليه، وطوروا بعض مقترحاته، أو نقدوها وعدلوا فيها وعرضوا ما انتهوا إليه على صفحات مجلة المجمع. وكانت أعمال الكواكبي في مجملها بدايات منهج مدرسة أخرى في وضع المصطلح.

وبلغ معظم أساتذة المعهد الطبي العربي بفروعه الثلاثة، الطب البشري وطب الأسنان، والصيدلة، منـــزلة رفيعة في تعريب العلوم ووضع مصطلحاتها، وأدى هذا التطور في وضع مصطلحات العلوم إلى التوجه إلى صنع معجمات مختصة في فروع العلوم التطبيقية في المعهد. وقد بدأت هذه المرحلة، وهي الثالثة من مراحل تعريب التعليم العالي عامة وتعريب تعليم العلوم فيه خاصة، في وقت مبكر نسبيًا، ومتداخلة مع المرحلة الثانية عند بعض الرواد، أي في أواخر العشرينيات من القرن الماضي. إلا أن ما يمكن عده معجمًا مختصًا لم يظهر إلا في الثلاثينيات منه[1]. وكانت المعجمات

(١) الدكتور عبد الله واثق شهيد: تطور المصطلح العلمي العربي في مجمع اللغة العربية بدمشق- مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٧٧، الصفحة ٤٥٣.

المختصة الأولى التي نشرت، متدرجة في شمولها جوانب الاختصاص وفي دقة التعريف ووضوح المنهج. فكان منها مالا يتجاوز محتواه محتوى ما استخدم من المصطلحات في كتاب، لا يتضح في وضعها منهج، ولا تشمل جوانب الاختصاص المترامية. إلا أن وضع معجم مختص متكامل، أصبح في هذه المرحلة، مطمحَ الأعضاء المجمعيين في كلية الطب بفروعها الثلاثة[١]. وعزم ثلاثةٌ من مجمعيّي الكلية، مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي على صنع معجم للمصطلحات الطبية، واتفقوا على نقل معجم كليرفيل المتعدد اللغات إلى اللغة العربية، ليصبح معجمًا طبيًا شاملاً باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية والألمانية واللاتينية. وقد طبع النص العربي من هذا المعجم في مطبعة الجامعة السورية في سنة ١٩٥٦، وبلغ عدد كلماته ١٤٥٣٤، وعدد صفحاته ٩٦٠صفحة[٢]. ولن نتحدث عن تطور هذا العمل وعلاقته فيما بعد بالمعجم الطبي الموحد، لئلا نخرج عن هدف هذه الدراسة الذي هو وصف التجربة السورية في تعريب التعليم العالي العلمي وتحليلها. ولئن تأخر نشر معجم «مصطلحات تعويض الأسنان» الذي وضعه المجمعي الدكتور ميشيل خوري، فإنه لم يتأخر كثيرًا عن زملائه في الطموح إلى وضع معجم مختص.

---

(١) تحول معهدا الطب والحقوق وملحقاتهما إلى كليتي الطب والحقوق في الجامعة السورية التي أحدثت في ١٥/٦/ ١٩٢٣.

(٢) حسني سبح: المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي – مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٥٩، الصفحتان ٢٣٧-٢٣٨.

إن مرحلة صنع المعجمات المختصة هذه تعد مرحلة نضج تعريب التعليم العالي العلمي، ذلك لأن توافر المصطلحات العربية لمختلف فروع العلوم المراد تعريبها، هو حجر الأساس في تعريب التعليم العالي، وقد بلغ تعريب التعليم العالي العلمي هذه المرحلة في بداية الثلاثينيات كما ذكرنا. وهذا لا يعني أن المصطلحات قد استقرت منذ ذلك الحين، ولكنها توافرت للتعليم كاملةً، وتطورت تدريجيًا، ما بين الثلاثينيات والخمسينيات من القرن الماضي، حسب الحال، إلى أن بلغت مستوى استحقت، به إخراجها في معجم. وستوالي تطورها أيضًا، ويعد استمرار تطورها دليل صحة وتقدم.

بلغ تعليم الطب بفروعه الثلاثة مستوى مرموقًا في الثلاثينيات من القرن الماضي، وتابع تطوره وتحسنه. فقد توافرت له جميع المزايا لبلوغ ذلك المستوى، فالتعليم فيه باللغة العربية، وأعضاء هيئة التدريس عرب وقلة من الفرنسيين الجامعيين، والطلاب يتقنون بالضرورة، من اللغات الأجنبية، اللغة الفرنسية على الأقل. والمواد (أو المقررات) التي يدرّسها الفرنسيون قد تكون سريرية وقد تكون محاضرات نظرية، ولكنها تتغير بتغير اختصاص الأستاذ المنتدب للتدريس. وتوفّر هذه المشاركة شهادة عادلة بتقويم جودة التعليم ومستواه مقارنة بما هو مقبول في الجامعات الأوربية. وقد كان خريجو الجامعة السورية موضع ترحيب لاستكمال دراساتهم العليا في الجامعات الفرنسية. وشارك كثير منهم، وهم طلاب، في الكتابة في مجلة المعهد. فكتب فيها صلاح الدين الكواكبي، وكان لا يزال طالبًا في السنة الأخيرة[1] من

---

(١) أحاديث اليوم عن عجائب الراديوم: صلاح الدين مسعود الكواكبي، طالب صيدلة – مجلة المعهد، المجلد الأول، الصفحات ٢٤٦-٢٥٥.

فرع الصيدلة بالمعهد، ونشر فيها شوكة القنواتي وهو طالب طبٍ في الصف الخامس في المعهد، بحثًا بالتعاونِ مع الأستاذ ترابو [١]...

ووجه أعضاء هيئة التدريس في المعهد الطبي العربي بحوثهم الطبية إلى معالجة الأمراض البيئية المستوطنة، وكانت ضافية «في البرداء والزحار والضنك وبثرة حلب وداء الجلبان، الذي كان للمعهد الفضل في اكتشافه، ذلك الداء الذي أقعد عددًا كبيرًا من أهالي قرية التل عن السعي والعمل...» [٢]، وشارك ترابو والخياط والصباغ في المؤتمر الطبي العربي الأول ببحث عن الزحار العصوي في سورية[٣]، ونشروا بحوثهم في مجلة المعهد الطبي العربي و في غيرها من المجلات العلمية المحكّمة. فنشر، على سبيل المثال، مرشد خاطر مع الأستاذ ترابو زميله الفرنسي في مجلة الجراحة الفرنسية ومجلة المعهد[٤]...

وكان المعهد الطبي العربي يفاخر في أنه المعهد الوحيد في البلاد العربية الذي تدرس فيه العلوم باللغة العربية، وما كان مدير المعهد يفوّت فرصةً للمفاخرة بهذه المأثرة. لقد جاء مما قال عن المعهد في إحدى خطبه: «إنه

(١) ترابو وشوكة القنواتي: أنزف أم تلين أم خثرة — مجلة المعهد، المجلد الخامس. الصفحات ٤٢٤-٤٢٨.

(٢) حفلة توزيع الشهادات — مجلة المعهد، المجلد الثامن، الصفحة ٤٣٨.

(٣) ترابو والخياط والصباغ: الزحار العصوي في سورية — مجلة المعهد، المجلد السادس، الصفحات ١٤٦-١٥٤.

(٤) ترابو ومرشد خاطر: ضيق الأمعاء بلحم سلّية — مجلة المعهد، المجلد التاسع. الصفحة ١٣، وفي حاشيتها إشارة إلى موضع نشرها في مجلة جمعية الجراحة الفرنسية (المجلد ٥٩، الجزء ١٨).

المعهد الوحيد في البلاد العربية الذي تدرس فيه العلوم باللغة العربية، ويتوافد عليه الطلبة من جميع الأقطار العربية المجاورة والبعيدة. فإن لدينا طلبة من بلاد سورية ولبنان والحجاز والعراق ومصر وتونس وغيرها...ولا يحول دون مجيء الكثيرين غير (عدم) اعتراف الحكومتين المصرية والفلسطينية بإجازة هذا المعهد والسماح لحامليها بممارسة مهنتهم (في مصر وفلسطين) كزملائهم من خريجي المعاهد الأخرى... كيف لا والحكومة المصرية كانت تسمح لخريجي هذا المعهد بممارسة مهنتهم في زمن الحكومة التركية ولم يكن معهدنا حينذاك في الدرجة التي نراه فيها الآن»[١]. وكما نلاحظ هنا فإن اختلاف النفوذ الأجنبي الذي كان مسيطرًا في مصر وفلسطين، وهو البريطاني، عن ذاك الذي كان مسيطرًا في سورية ولبنان وتونس، أي الفرنسي، وتضارب مصالح هاتين الدولتين في بلادنا العربية، كان هو السبب في عدم سماح البريطانيين بممارسة خريجي المعهد مهنتهم في مصر وفلسطين. لقد أوقفت بريطانيا التعليم باللغة العربية في الجامعات المصرية وحولته إلى الإنكليزية. أما الفرنسيون، فبعد أن أدركوا أن ليس بإمكانهم زحزحة السوريين عن مطلب تعريب التعليم، الذي أصبحوا أشد تمسكًا به تعبيرًا عن رفضهم الانتداب، رأوا في تشجيع الحكومة السورية على متابعة التعليم الجامعي باللغة العربية خدمة مضاعفةً لمصالحهم. إنه من جهة، محاولة لتخفيف نفور المثقفين الجامعيين من الوجود الفرنسي في الوطن، وفيه من جهة أخرى محاربة للنفوذ البريطاني في البلاد العربية عامة، وفي المشرق العربي

---

(١) خطاب رئيس المعهد الطبي الأستاذ رضا سعيد بك- مجلة المعهد، المجلد الثالث، الصفحة ٣٢٣.

خاصة. إن تعليم مصريين وفلسطينيين الطب باللغة العربية في دمشق وإعادتهم إلى أوطانهم أطباء أقدر - بلغتهم الطبية العربية- على الاتصال بمواطنيهم من زملائهم خريجي المدارس المصرية، وبمستوى علمي منافس، هو سلاح دعائي تتحاشى بريطانيا خطره عليها هناك.

لقد اطمأن الأطباء الجامعيون ومناصرو التعريب في الوطن العربي إلى النجاح الذي حققه تعريب تعليم الطب في المعهد الطبي العربي، والذي يعدّ النجاح فيه المدخل الآمن إلى تعريب تعليم العلوم وتعريب مناشطها الأخرى كتوليد المعارف العلمية والتقانية ونقلها ونشرها. ودعا المعهد الطبي العربي، منذ بواكير نجاحه، أي منذ عام ١٩٢٤[١]، إلى توحيد المصطلحات العلمية العربية، وتتالت الدعوات[٢]، وعقد مؤتمر أول وتلته اقتراحات في سبل توحيد المصطلحات العلمية[٣] وكانت الدعوة إلى توحيد المصطلح فقرة هامة في جميع جداول أعمال الجمعيات الطبية العربية، ثم تطورت إلى اقتراح إنشاء مجمع مصري سوري عراقي لتأليف معجم طبي[٤]. ولا تزال تتردد أصداء هذه الدعوات، وتتجدد صيغها، فتقام المؤتمرات والندوات، وتقر

---

(١) الأستاذ عبد القادر سري: كتب جديدة — مجلة المعهد، المجلد الأول، الصفحة ٢٤٤.

(٢) ١- الفريق الدكتور أمين باشا المعلوف: توحيد المصطلحات العلمية- مجلة المعهد، المجلد التاسع، الصفحات ٥١-٥٩ و١١٧-١٢٤ و ١٧٧-١٨١.

٢- الدكتور الأستاذ جميل الخاني: مصطلحات علمية — مجلة المعهد، المجلد التاسع، الصفحة ٢٣٧.

(٣) المرجع السابق (الفريق المعلوف) الصفحة ١٢٣ والصفحتان ١٨١-١٨٢.

(٤) مجلة المعهد الطبي العربي المجلد الثاني عشر، الصفحة ٥٨٢.

مبادئ وأساليب لتوحيد المصطلح وإشاعته، وتنشأ هيئات من أهم أغراضها تحقيق هذا الهدف، كاتحاد مجامع اللغة العربية، واتحاد الأطباء العرب (المعجم الطبي الموحد)... ومكتب تنسيق التعريب الذي أنشئ خِصِّيصى لتحقيق توحيد المصطلح. وقد أنجزت فعلاً مراحل هامة لبلوغ الغاية التي كانت التجربة السورية فيها هي المرحلة الأولى، وكانت في عزم روادها الأوائل ومنهجهم العلمي الذي اتبعوه تجربة رائدة، وطدت بنجاحها تعريب التعليم في جميع مراحله وأنواعه، بل تعريب المناشط العلمية كلها من التعليم إلى نشر المعارف مرورًا بالبحث العلمي والتطوير التقاني.

للبحث صلة

العناصر البلاغية والنقدية في شرح
ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي

الدكتورة إلهام السوسي العبد اللوي

إن كتاب شرح ديوان الحماسة للقاضي المرزوقي قد جمع بين دفتيه حسنيين اثنتين. أولاهما هذه المجموعة الطيبة الرائعة من شعر العرب القديم التي اختارها الشاعر الكبير أبو تمام، ومجموعة الأشعار من الشواهد التي أوردها المرزوقي نفسه خلال شرحه. والحسنى الثانية هذه الشروح الضافية الجميلة التي أنارت ألفاظ هذه الأشعار ومعانيها وأضاءت صورها الفنية. وقربت كل ذلك من ذهن القارئ المتلقي في أبهى صورة وأقوم مقال. والحقيقة أن هذا الكتاب بمجموعه، أشعاره وشروحه، سفر فخم من التراث العربي، يضم بين دفتيه طوائف فاخرة من شعر العرب القديم، وجملاً صالحة من شروح المعاني. وكل ذلك يجعل منه ينبوعًا ثرًا صافيًا ينمي الذوق الفني عند القارئ، ويثقف عنده ملكة فهم الشعر وإدراك أساليبه وأسراره الجمالية.

* * *

يعتمد المرزوقي كثيرًا في شرح الشعر على عناصر التشبيه والاستعارة والكناية.

١ – التشبيه:

يعرض المرزوقي عند شرح معاني الأشعار للتشبيهات الواردة فيها ويعمد لبيانها وإيضاحها. «والتشبيه يزيد المعنى وضوحًا، ويكسبه تأكيدًا»[1]. كما يقول شيخ البلاغيين أبو هلال العسكري. ونزيد على قوله فنقول:

---

(١) كتاب الصناعتين (٢٤٩).

ويلبسه جمالاً وزينة. والوضوح والتأكيد والجمال هي فائدة التشبيه في التعبير الأدبي وجدواه. وهذه الحقيقة الفنية هي التي جعلت المرزوقي يعرض للتشبيهات كثيرًا ويعمد لشرح معانيها وتحليل الصور الشعرية فيها.

فهو مرة يشرح التشبيه الذي يعين على فهم معاني الأشعار فهمًا أعمق وأوسع.

١ – كما جاء في شرح البيت التالي: [الهزج]

وطَعْـــنٍ كَفَـــمِ الـــزِّقَّ غـــذا والـــزِّقُّ مَـــلآنُ

«وهذا التشبيه أبرزَ ما يَقلُّ في الاعتياد في صورة ما يكثُر فيه. ومثله:

فَجبَهْـــناهُمُ بضـــربٍ كما يَخْـــ ـــرُجُ مـــن خُـــرْبَةِ المَزادِ الماءُ

أي وبطعن في اتساعه وخروج الدم منه كفم الزق إذا سال بما فيه وهو مملوء»[١].

وقوله: «أبرز ما يقلّ في الاعتياد في صورة ما يكثر فيه».هو ما أراده أبو هلال العسكري في قوله: «إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة» [٢]. أي في التشبيه.

ومؤدى الكلام واحد عند هذين العالمين. وصورة ما يكثر اعتياده هو رؤية اندلاق الماء من فم الزق. وصورة ما يقل اعتياد رؤيته هو سيلان دم الطعنة. فلهذا شبه الشاعر الطعنة بفم الزق لتهويل قوة الطعنة. فجاء المرزوقي وشرح مراد الشاعر بقوله: «وبطعن في اتساعه وخروج الدم منه...».

وفي مرات أخرى كثيرة يذكر التشبيه ويحلله ويشرحه شرحًا وافيًا

---

(١) شـــرح ديوان الحماسة (١/ ٣٧). والبيت للحارث بن حلزة من معلقته في شرح القصائد السبع الطوال (٤٩٤.) وانظر مثالاً آخر على ذلك (٢/ ٧٩٥).

(٢) كتاب الصناعتين (٢٤٧).

لتوضيح معنى الشعر وتعميق فهمه. والأمثلة كثيرة ومتنوعة سنقتصر على ذكر جملة منها[١].

٢ – قال هشام أخو ذي الرمة: [الطويل]

خَوَى المسجِدُ المعمورُ بعد ابن دَلْهَمِ   وأمْسَى بأوْفى قَوْمُهُ قد تَضَعْضَعُوا

«أراد أن يشبه تضعضع القوم بموت أوفى، بخراب المسجد بموت ابن دلهم فلم يأت بلفظ التشبيه إذ كان معناه من الكلام مفهومًا»[٢].

إن التشبيه هنا ضمني يصعب على القارئ المتلقي أن يدرك صورته ومعناه للوهلة الأولى. فعمد المرزوقي إلى بيان ذلك. والحق أن خواء المسجد من المصلين، ووقف الصلاة فيه شيء عظيم. وأراد الشاعر تعظيم خسارة القوم بموت أوفى فجعل تضعضعهم بعده أمرًا عظيمًا كخراب المسجد، كما قال المرزوقي.

والحق أن هذا التشبيه يُعدُّ من أجمل ما جاء في الشعر الوارد في الكتاب. وكذلك شرح المؤلف يعد من أجود وأبرع ما جاء في شرح الصورة الشعرية.

٣ – قال المرزوقي حين شرح التشبيه في بيت دريد بن الصمة: [الطويل]

وكنتُ كذاتِ البوِّ رِيعَتْ فأقبلَتْ   إلى جَلَدٍ من مَسْكِ سَقبٍ مُقدَّدِ

«بيّن ماذا أدرك من أخيه لما أراد وقايته والذب عنه فقال: كنت كناقة لها ولد، فأفزعت فيه لما تباعدت عنه في مرعاها، فأقبلت نحوه، فإذا هو بجلد مقطع، وشلو مبدد. كأنه انتهى إلى أخيه، وقد فرغ من قتله ومُزق كل مُمَزَّق. والبو: أصله جلد فصيل يحشى تبنًا لتدر عليه، فاستعاره للولد»[٣].

---

(١) انظر على سبيل المثال: (١/ ٣٦، ٩٠)، (٢/ ٥٤١، ٧٢١)، (٣/ ١١٤٦).

(٢) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٧٩٥).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٨١٧).

لقد فصل الشارح في شرح هذا التشبيه هاهنا وأجاد في تحليل عناصره، ولاسيما بيان مدى الحزن الناشئ من الروع والفزع اللذين انتابا الناقة المفجوعة بولدها الممزق، وأصابا الشاعر المفجوع برؤية أخيه المقتول.

٤ – قال المرزوقي في شرح البيت: [بسيط]

والحربُ يَلْحَقُ فيها الكارِهُونَ، كما تَدْنُو الصِّحاحُ إلى الجَرْبى فتُعْدِيها

«يقول: شر الحرب يعدي إعداء الجرب. فترى الكاره لها يلتحق بها، وإن كان غيرَ عازم لها. وتلقى البعيد منها يصطلي بحرها، وإن لم يذكها، و لم يُشَيِّع مُوقدَهَا. وفي هذا التشبيه خروج المشبه من الكمون إلى الظهور، ومن الخفاء إلى البروز. حتى يتجلى لمتأمله والمفكِّر فيه على بعده في التصور تجلي القريب في العرف والاعتياد. وهذا هو غاية المراد من التشبيهات»[١].

إن المشبه الكامن الخفي، أي غير الواضح وغير الظاهر في هذا البيت، هم الناس الكارهون للحرب وشعورهم بكره الحرب كامن خفي في نفوسهم ولكنهم يسيرون للحرب مكرهين، اتباعًا لجمهور الناس. والمشبه به الواضح المعروف بالرؤية والاعتياد في الواقع هو صحاح الإبل التي تدنو من الإبل الجربى فيصيبها الجرب بالعدوى.

والنتيجة أن التشبيه في هذا البيت يوضِّح معناه، ويُجلِّيه بالتصوير. وهذا الوضوح يجعل المعنى أوقع في النفس وأرسخ فيها. وهذه هي فائدة التشبيه التوضيحي إلى جانب جدواه الفني الجمالي التي يكتسبها المعنى.

٥ – قال المرزوقي في شرح بيت يزيد بن حِمَّان السَّكُونِي: [بسيط]

ومـــن تَكَـــرُّمِهِمْ في المَحْلِ أَنَّهُمُ لا يعـــلمُ الجـــارُ فيهمْ أنهُ الجارُ

حـــتى يكونَ عزيزًا من نُفوسِهِمُ أو أنْ يَبِـــيَنَ جمـــيعًا وهو مُختارُ

---

(١) شرح ديوان الحماسة (١/ ٤٠٨) .

كأنَّــهُ صَــدَعٌ في رأسِ شاهِقةٍ مــن دُونِــهِ لعِتاقِ الطَّيْرِ أوكارُ

إن التشبيه في هذه الصورة الشعرية الواردة في الأبيات جرى على شكل تمثيل حال بحال. ونعني تمثيل منعة الجار، وتعززَه عند جيرانه الأقوياء، بتَحَصُّن الوعل من الصيادين في قمة جبل شاهقة. وهذا هو مؤدى قول المرزوقي بعد شرح معنى البيت الثالث: «فالتشبيه تناول ما ذكرت من التمنع والتحصن»[1]. وهو يعني بذلك تمثيل حال الجار المتمنّع عند جيرانه بحال الوعل المتحصن بقمة الجبل كما ذكرنا.

٦- وقال في قول حُسَيْل بن سَجيح: [الطويل]

وأرْهَبْتُ أُولى القوم حتى تَنَهْنَهُوا كما ذُدْتَ يومَ الوِردِ هِيمًا خَوامِسَا

«يقول: خوفتُ أوائلهم حتى كفوا وتنكسوا، كما تكف إبلا عطاشًا وردت لخمس. فازدحمت على الماء يوم الورود... وهذا التشبيه من باب التصوير»[2].

ولقد أصاب المرزوقي حين قال إن التشبيه جاء تصويرًا في هذا البيت، فقد تصدى الشاعر المحارب لأوائل المهاجمين من الأعداء حتى ردهم على أعقابهم. فبيّن هذا المعنى في صورة ذياد الإبل العطاش عن حوض الماء لكيلا تزدحم. وهي صورة استقاها الشاعر مما يراه في بيئته عند ورود الإبل للماء.

٢- الاستعارة:

يسير المرزوقي في الاستعارة على المنوال نفسه الذي اتبعه في شرح التشبيه، ويعنى بها كل العناية. فهو يشرح الاستعارة لتوضيح وبيان معنى الصورة الشعرية.

والاستعارة أبلغ من الحقيقة، لأنها تعبير تصويري، ونعني أنها تعبر عن المعنى في صورة تتشكل في ذهن القارئ المتلقي، فتكون لذلك أوقع في نفسه،

---

(١) شرح ديوان الحماسة (١/ ٣٠١- ٣٠٣) .

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٦٩) .

وأعمق تأثيرًا فيها، لأن الصورة أبين وأظهر. وكأن القارئ يشاهد المعنى ويعاينه. والمشاهدة أدعى وأبلغ في الإدراك. وهذا هو فضل الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة، أي: «أنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعل في الحقيقة»[1]. كما قال أبو هلال العسكري. وقال في المعنى نفسه: «والاستعارة أبلغ، لأنها إخراج ما لا يرى إلى ما يرى»[2].

١ – وتمثّل لذلك بقول تأبط شرًا: [المديد]

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلى هُذَيْلٍ — وتَرى الذئبَ لها يَسْتَهِلُّ
وعِتاقُ الطيّر تَهْفُو بِطانًا — تَتَخَطّاهُمْ فما تَسْتَقِلُّ

«استعار الضحك للضبع، والاستهلال للذئب. وأصل التهلل والاستهلال في الفرح والصياح. والمراد رغد العيش لهما»[3].

ومراد الشاعر أنهم قد أوقعوا في قبيلة هذيل وقعة عظيمة، حتى كثرت فيهم القتلى، فعبَّر عن هذا المعنى المراد بفرح الضبع والذئب بجثث القتلى، فاستعار للضبع الضحك، وللذئب الاستهلال وهو الصياح عند الفرح.

٢ – وقال أبو صخر الهذلي[4]: [الوافر]

رأيتُ فضيلة القرشيِّ لمّا — رأيتُ الخيلَ تُشْجَرُ بالرِّماحِ
ورنَّقتِ المنيَّةُ فهي ظلٌّ — على الأبطالِ دانيةُ الجناحِ

في البيت الثاني استعارة انتبه إليها المرزوقي، وشرحها مع بيان وجوه تركيبها. ولكن العجيب في الأمر أنه لم يصرِّح في أن في البيت استعارة.

---

(١) كتاب الصناعتين(٢٧٥) .

(٢) المصدر نفسه (٢٧٧) .

(٣) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٨٣٧). وانظر كذلك: (٢/ ٥١٩، ٥٢١، ٦٧٥) .

(٤) المصدر نفسه (١/ ٣٢٧- ٣٢٨) .

والحق أن الاستعارة هنا غنية التركيب كما بيّن المرزوقي في شرحه. وهي ذات أبعاد وأجزاء عديدة. يتجمع بعضها إلى بعض، وتتآلف فيما بينها وتؤلف صورة شعرية واحدة قوية الدلالة والإيحاء.

أ – فالاستعارة تبدأ بقول الشاعر «ورنقت المنية»، أي برزت المنية في صورة طائر الموت، وهو يحلق فوق الأبطال في ساحة القتال. وهذا تصوير لشدة القتال والتحام الأبطال.

ب – وتتسع الاستعارة بقول الشاعر «فهي ظل على الأبطال»، أي أن المنية – الطائر لها ظل واسع يمتد ويظلل الأبطال جميعًا. وهذا تصوير لكثرة القتلى في هذه الحرب وشمول البلاء كل المحاربين.

ج – ويؤكد الشاعر الاستعارة ويقويها بقوله «دانية الجناح» فتبلغ ذروة الإيحاء بالموت.

فالصورة الاستعارية بوجوه تركيبها وكل أجزائها تدل على شدة الحرب وشمول البلاء، وتوحي بتحليق الموت فوق رؤوس الأبطال. وقد أشار المرزوقي إلى كل ذلك حين شرح المعاني دون تصريح بالاستعارة.

وكل ما قاله العمري في هذه الاستعارة: «فإنه كما قال المرزوقي (جعل للمنية ظلاً تحقيقًا للاستعارة من الطائر لأنه يُوقع ظله في تلك الحالة...)»[1]. لا يعدو كونَه إشارة عابرة للاستعارة، من غير تحليل لعناصرها التصويرية، ولا بيان لدلالتها الرمزية، وهي: «شدة الحرب وشمول البلاء» كما قلنا.

٣ – وقال سعد بن ناشب: [الطويل]

فإنّــا، إذا ما الحربُ ألقتْ قِناعَها بهــا حينَ يَجفُوها بَنُوها، لأبْرارُ

(١) شروح الشعر الجاهلي (٢/ ١٩٨) .

الاستعارة في هذا البيت «الحرب ألقت قناعها». وقد أشار إليها المرزوقي بقوله: «وقوله: (ألقت قناعها) مثل»[1]. ومثل بمعنى تمثيل، أي تصوير. وهو يريد بذلك الاستعارة. وقد شرح المرزوقي الصورة الاستعارية هنا فأحسن شرحها. يريد أن مثل هذه الاستعارة «مشهور في عاداتهم وطرائقهم» يعني عادات الشعراء وطرائقهم في أشعارهم.

٤ – قول أبي الغول الطهوي في الفخر بشجاعة قومه: [الوافر]

ولا تَبْلى بَسالَتُهُمْ وإنْ هُمْ صَلُوا بالحَربِ حينًا بعد حينِ

والاستعارة في قوله: «ولا تبلى بسالتهم». وقد شرحها المرزوقي فقال: «يقال: بلي الثوب، يبلى بلى وبلاء. ويستعار فيقال: لبست فلانًا وبليته، إذا استمتعت به وتمليته. وإنما يصفهم بالاستمرار على حالة واحدة في مزاولة الحرب، وأن شجاعتهم لا تنقص، ولا تبلى عند امتداد الشر، واتصال البلاء»[2].

وهذا شرح واضح للصورة الاستعارية، يفيد في بيان معنى البيت. ويزيد في قوة هذه الصورة قول الشاعر «صلوا بالحرب»، وهو تعميق لمعنى الاستعارة، إذ جعل الشاعر الحرب نارًا يصلى بها الفرسان المحاربون.

* * *

هناك مسألة أثارت انتباهي حين استعراض جملة من الاستعارات في أقوال الشعراء. وهي أن المرزوقي يهمل أحيانًا ذكر الاستعارات فيها. بل يمر بها مر الكرام، من غير عناية أو اهتمام، ومن غير شرح ولا تحليل. مثال ذلك قول الشاعر:

ساقَيْتُهُ كأسَ الرَّدَى بأسِنَّةٍ ذُلُقٍ مُؤَلَّلَةِ الشِّفارِ حِدادِ

---

(١) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٦٦٩).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٤١).

في هذا البيت استعارة في قول الشاعر «كأس الردى»[1]. وهي استعارة بارزة للعيان، وظاهرة غير خافية. وقد مر بها المرزوقي مر الكرام من غير إشارة أو تلميح. و لم يكلف نفسه عناء شرح الصورة فيها وبيانها.

وأمثال هذا الصنيع كثيرة في الكتاب. منها إهماله ذكر الاستعارة في قول القَتّال الكلابي:

قرى الهَمَّ، إذْ ضافَ، الزَّماعَ، فأصبحتْ   منازِلُهُ تَعْتَسُّ فيها الثّعالبُ

والاستعارة هنا في قول الشاعر «قرى الهم، إذ ضاف الزماع»[2]، و لم يشر إليها المرزوقي كما لم يعمد إلى شرحها.

ويشبه هذا المثال قول الشاعر خلف بن خَلِيفة: [الطويل]

وبالدَّيْرِ أشْجاني، وكَمْ مِنْ شَجٍ لهُ   دُوَيْنَ المُصَلَّى بالبِقيع شُجُونُ
رُبىً حولها أمثالُها، إنْ أتيتَهَا   قَرَيْنَكَ أشْجانًا، وهُنَّ سُكُونُ

والاستعارة هنا في قول الشاعر «قرينك أشجانًا»[3].و لم يشرحها المرزوقي.

ويبدو لنا أن تعليل هذه المسألة أي إعراض المرزوقي عن الإشارة إلى أمثال هذه الاستعارات وامتناعه عن شرحها، هو وضوحها وضعف جانب التصوير فيها. وكأنه قد أدرك أن تحليلها لن يفيد كثيرًا في إدراك معاني الأشعار التي وردت فيها.

٣ – الكناية:

إن الكناية أبلغ من الإفصاح المباشر للمعاني. قال عبد القاهر الجرجاني: « قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من

---

(١) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٦٧٣) .

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٦٥٢) .

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٨٨٩) .

التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلاً، وأن المجاز أبدًا أبلغ من الحقيقة»[١].
وفاعلية الكناية البلاغية تأتي من كونها نمطًا من أنماط التصوير البياني. وتتجلى جدواها في توضيح معاني الشعر وتقويتها وتجميلها، وتحسين وقعها في النفوس في نتيجة هذا الوضوح وهذا الجمال. وقد اهتدى المرزوقي لهذه العبقرية الكامنة في التعبير الكنائي الأدبي فأولاها عناية فائقة في شرح معاني الأشعار.

١ – قال عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثي، ويقال إنه للسموءل ابن عاديا اليهودي: [الطويل]

إذا المرءُ لَمْ يَدْنَسْ منَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ فكـلُّ رِداءٍ يَـرتَدِيهِ جَمـيلُ

والكناية هاهنا ظاهرة في الشطر الثاني من البيت. وقد فطن المرزوقي لهذه الصورة الكنائية فقال في شرح معناها الظاهري: «فأي ملبس لبسه بعد ذلك كان حسنًا».ثم عمد إلى شرح الصورة فقال: «وذكر الرداء هاهنا مستعار. وقد قيل: رداه الله رداء عمله. فجعله كناية عن مكافأة العبد بما يعمله، أو تشهيره به، كما جعله هذا الشاعر كناية عن الفعل نفسه. وتحقيقه: فأي عمل عمله بعد تجنب اللؤم كان حسنًا»[٢].

والحق أن الشاعر لم يقصد في كلامه المعنى الحقيقي للرداء. وإنما كنى به عن أعمال الرجل الكريم، السليم العرض، البعيد عن اللؤم. وقد زانت الصورة الكنائية هاهنا قول الشاعر، وجاءت بالمعنى الذي قصده في حلة جميلة، أبهى من المعنى المباشر لو قال: « فأي ملبس لبسه بعد ذلك كان حسنًا جميلاً». كما أفاد المرزوقي في شرح المعنى الظاهري لقول الشاعر.

وهذا الذي بينّاه من دلالة الصورة الكنائية على معنى وراء المعنى

(١) دلائل الإعجاز (١٠٨) .
(٢) شرح ديوان الحماسة (١/ ١١٠) .

المباشر الظاهري للكلام بيَّنه عبد القاهر الجرجاني، وسمّاه **معنى المعنى**. فقال في معرض كلامه على الكناية وأثرها في جمال الكلام وبلاغته: وإذ قد عرفت هذه الجملة فهاهنا عبارة مختصرة. وهي أن تقول: **المعنى، ومعنى المعنى**. تعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة. وبمعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر. وإذ قد عرفت ذلك، فإذا رأيتهم يجعلون الألفاظ زينة للمعاني وحلية عليها، أو يجعلون المعاني كالجواري، والألفاظ كالمعارض لها، وكالوشي المحبر، واللباس الفاخر، والكسوة الرائقة، إلى أشباه ذلك مما يفخمون به أمر اللفظ. ويجعلون المعنى ينبل به ويشرف. فاعلم أنهم يضعون كلامًا قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه، من طريق معنى المعنى. فكنَّى، وعرَّض، ومثَّل واستعار. ثم أحسن في ذلك كله، وأصاب، ووضع كل شيء منه في موضعه، وأصاب به شاكلته. وعمد فيما كنَّى به، وشبه، ومثل، لما حسن مأخذه، ودق مسلكه، ولطفت إشارته. وأن المعرض وما في معناه، ليس هو اللفظ المنطوق به، ولكن معنى اللفظ الذي دللت به على المعنى الثاني.
كمعنى قوله: [وافر]

... ... فإنِّي جَبانُ الكلبِ، مَهْزُولُ الفَصيلِ

الذي هو دليل على أنه مضياف»[1].

٢ – قال القتّال الكلابي: [الطويل]

فلما رأيت أنهُ غيرُ مُنْتَهٍ أمَلْتُ له كَفِّي بلدنٍ مُقوَّمِ

(١) دلائل الإعجاز (٢٥٨– ٢٥٩) . وتمام هذا البيت الذي استشهد به:

وما يكُ فيَّ من عيب فإني

وهو مما أنشده أبو تمام في ديوان الحماسة (٥٤٠) .

ونرى الكناية هاهنا في الشطر الثاني من البيت وقد أشار إليها المرزوقي بقوله: «وقوله: (أملت له) أي من أجله. (كفي بلدن) من فصيح الكلام وبليغ الكنايات»[1]. وأبدى إعجابه ببلاغة هذه الكناية. ولكنه وقف عن شرحها وبيان سر بلاغتها.

والحق أن الكناية هنا بليغة جميلة. وسر بلاغتها وجمالها آت من كونها صورة لمعنى الفعل الذي أراده الشاعر وهو فعل الطعن بالرمح. والصورة تجعل المتلقي يدرك المعنى بالمشاهدة وتصور الحركة. وقد جاءت الصورة الكنائية في جزأين اثنين:

أولهما: «أملتُ له كفي». وهو تصوير لحركة الطعن.

والجزء الثاني: «بلدن مقوم» أي الرمح.

وقد حذف الشاعر الاسم الموصوف، وأقام مقامه صفة (لدن) وهي تفيد اللين وحركة الاهتزاز. وصفة (مقوم) وهي تفيد حسن تقويم الرمح. وقد أفاد الجزء الثاني من الصورة معنى قوة الطعنة. وهكذا اشترك الجزءان في تشكيل صورة متكاملة قوية للمعنى الذي أراده الشاعر وهو قوة الطعنة. ولو ترك الشاعر هذا التعبير التصويري، وعمد إلى التعبير المباشر فقال: طعنته بالرمح، لجاء هذا التعبير ضعيفًا باهتًا، بعيدًا عن البيان الشعري.

٣ – قال المرزوقي في قول عبد الله بن عنمة: [البسيط]

فازْجُـرْ حِمارَكَ لا يَرْتَعْ بِرَوْضَتِنا إذًا يُـرَدُّ، وقَـيْدُ العَيْرِ مَكْرُوبُ

«هذا مثل»[2] أي تمثيل، بمعنى تصوير. وهو يريد الكناية في صدر البيت.

وقد شرح المرزوقي الصورة وبين أبعادها بتفصيل فقال: «والمعنى:

---

(١) شرح ديوان الحماسة (١/ ٢٠٢) .

(٢) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٥٨٦) .

انقبض عن التعرض لنا، والدخول في حرمتنا، ورعي سوامك روضتنا. فإنك إن لم تفعل ذلك ذممت عاقبة أمرك، وعدت خاسر الصفقة، وخيم الرتعة. جعل إرسال الحمار في حماهم كناية عن التحكك بهم، والتعرض لمساءتهم. ولا حمار ثَمَّ ولا روض»[1].

وقد شملت صورة الكناية هنا البيت كله. وجاءت في صورتين اثنتين. تجلت الأولى في قول الشاعر:

فازْجُــرْ حِمارَكَ لا يَرْتَعْ بِرَوْضَتِنَا

وقد جادت الكناية هنا بقول الشاعر (حمارك)، لأنها جاءت مناسبة للمعنى المراد وهو الزجر والذم.

وتجلت الثانية في قوله:

يُــرَدُّ، وقَــيْدُ العَــيْرِ مَكْــروبُ

وقد عززت هذه الصورةُ الصورةَ الأولى، وأضافت إليها ملمحًا جديدًا في المعنى يوحي بالوعيد بالعقاب في نتيجة عدم إذعان الخصم للزجر. ومجموع الصورتين نسيج جميل لتصوير المعنى الذي أراده الشاعر في هذا السياق الشعري.

٤ — ونورد مثالاً آخر يدخل في الإطار نفسه. وهو قول أبي تمامة: [وافر]

فجــارُكَ عندَ بيتِكَ لحمُ ظَبْيٍ   وجــاري عــند بيتي لا يُرامُ

وقد شرح المرزوقي الصورة الكنائية فيه شرحًا وافيًا رائعًا فقال: «يصفهم بسوء الوفاء، وقلة المحافظة على عقد الجوار، فيقول: جارك كالصيد لمن يطلبه، وبغرض الأكل والاستباحة لمن يريده. وهذا وهو في فنائك، وغير مفارق لدارك، لضعف حشمتك وسقوط همتك، واستسخاف

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٥٨٦- ٥٨٧) .

الناس لقدرك ووزنك. وجاري لا يطلب ولا يطمع فيه، لتحصن مكانه في فنائي، وتعززه بي، مادام متمسكًا بحبلي، أو معتصمًا بحلفي. وإنما قال ذلك لأن النزاع بينهما كان بسبب جار. وإضافة اللحم إلى الظبي في نهاية الموافقة للمعنى الذي يقصده، والغرض الذي كان يرميه. وقد جاء اللحم غير مضاف إلى اسم الصيد في الكناية عن الذل والاهتضام. على هذا قولهم: هو لحم موضع، وهو لحم على وضم»[1].

ولسنا في حاجة إلى زيادة كلام على قوله[2]. وإنما نقول إن شرحه لهذين المثالين في التصوير الكنائي يعد من أبرع شرح وأجوده في بيان المعاني الكامنة وراء الصور الشعرية التي أبدعها الشعراء.

لم يجد المرزوقي في المسائل البلاغية الأخرى أشياء ذات بال في أشعار ديوان الحماسة. وذلك لقلة ورودها فيها.

---

(١) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٥٨١- ٥٨٢). وانظر أمثلة أخرى: (١/ ١٤٢، ٣٣٩). و(٢/ ٤٨٧، ٦٣٦- ٦٣٧) .

(٢) انظر تعليق الدكتور العمري، في كتابه، على مضمون الكناية عند المرزوقي قال: «وكعهدنا دائمًا بالمرزوقي، لا يقف عند العرض والسرد والتحليل الظاهري لمضمون الكناية ومقصود الشاعر. بل يربط بين هذا الفن والوسائل التقديريةالقائمة على التقويم، تلك التي ترفع من قيمة الصور الفنية التي رسمها الشعراء بوسائلهم وتعبيراتهم. يقول في تفسير قول الشاعر:

فجارك عند بيتك لحم ظبي ... وجاري عند بيتي لا يرام

كان الشاعر (يصفهم بسوء الوفاء، وقلة المحافظة على عقد الجوار، وقد جاء اللحم غير مضاف إلى اسم الصيد في الكناية عن الذل والاهتضام. وإضافة اللحم إلى الظبي في نهاية الموافقة للمعنى الذي يقصده، والغرض الذي كان يرميه). شروح الشعر الجاهلي (٢/ ٢٠٠) .

١ - الطباق: نورد شرحه للطباق.

١ - بيت بعض شعراء بلعنبر: [بسيط]

إذًا لقامَ بنصري مَعشَرٌ خُشُنٌ عند الحفيظة إن ذو لوثةٍ لانَا

«وقد طابق الخشونة باللين فظهرت الصنعة به، وجاد البيت له، كأنه قال معشر خشنون عند الحفيظة إن كان ذوو اللوثة لينين عندها»[١].

لقد شرح المرزوقي الطباق ونبّه فيه القارئ المتلقي إلى الجمال الفني الذي وفره هذا الطباق في البيت. وصنيعه هذا يعين على فهم معنى الصورة الشعرية فيه فهما أوسع وأعمق. وقد زاد على الشرح فأدلى برأيه في موطن الحسن والجودة فيه.

٢ - وقال تأبط شرًّا: [الطويل]

قليلُ التشكّي للمُهِمِّ يُصيبُهُ كثير الهوى شتَّى النَّوى والمسالِكِ

«وقوله: (كثير الهوى) طابق القليل بقوله كثير، من حيث اللفظ لا أنه أثبت بالأول شيئًا نزرًا فقابله بكثير. والمعنى أنه كثير الهم، مختلف الوجه والطرق. لا يوقف منه على مدى غوره في الأمور، ولا يقف به أمله على فن لا يتجاوزه إلى الفنون»[٢].

في هذا المثال أشار المرزوقي إلى الطباق الوارد فيه. وأبرز أنه يقوي تعبير الشاعر عن المعنى وترسيخه في ذهن القارئ المتلقي. ويظهر لنا ذلك من تفصيله لشرح هذه المطابقة.

٣ - وقال بشامة النهشليُّ: [بسيط]

إنّا لَنُرْخِصُ يومَ الرَّوْعِ أنفُسَنا ولو نُسامُ بها في الأمنِ أُغْلِينَا

---

(١) شرح ديوان الحماسة (١/ ٢٧).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٩٥).

«فيقول: نبتذل أنفسنا في الحروب ولا نصونها، ولو عرض علينا إذالتها في غيرها لامتنعنا. وفي البيت طباق بذكر الإرخاص والإغلاء، والروع والأمن في موضعين. وهو حسن جيد»[1].

أشار المرزوقي هنا إلى الطباق إشارة خاطفة وجيزة بعد شرح معنى البيت، مدليًا برأيه النقدي في استحسانه لهذا الطباق بقوله: «وهو حسن جيد». وقد أصاب في هذا الرأي النقدي، لأن الطباق سمة بلاغية تفيد في تجلية المعاني وإبرازها بالتضاد الذي يكون بين معاني الألفاظ. «وبضدها تتبين الأشياء»[2]. كما قال المتنبي.

٢ – الجناس: لم نعثر في الجناس إلا على أمثلة قليلة معدودة، منها:

١ – شرح المرزوقي للجناس الواقع في بيت عبيد بن ماويَّة: [متقارب]

فــــإنِّي لـــذُو مِـــرَّةٍ مُـــرَّةٍ إذا رَكِبَـــتْ حالـــةٌ حالهـــا

قال: «ولم يرض بأن جعل لنفسه مِرة حتى وصفها بأنها مرة، يعني في فم ذائقها، وعند تجربة مزاولها. وهذا التجنيس حسن المورد»[3].

شرح المرزوقي الصورة الشعرية الواردة في هذا البيت، ونبه المتلقي إلى أن هناك جناسًا حسنًا وجميلاً يجب الوقوف عنده لفهم معنى البيت فهمًا دقيقًا وعميقًا. ودليلنا على ذلك جملته المختصرة التي قالها بعد شرح الصورة الشعرية. وهي: «وهذا التجنيس حسن المورد».

٢ – ومن أمثلة الجناس قول الشاعر: [الطويل]

وأَتبَعُ ليلى حيثُ سارَتْ ووَدَّعتْ، ومــا الـــناسُ إلا آلـــفٌ ومُوَدِّعُ

---

(١) المصدر نفسه (١/ ١٠٥) . وانظر كذلك: (٢/ ٧٧٥) .

(٢) وصدره: *ونديمهم وبهم عرفنا فضله* وهو في ديوانه (بشرح الواحدي) (١/ ١٩٧).

(٣) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٦٠٥).

والجناس في هذا البيت واقع بين قوله: (ودعت) وقوله: (مودع). وقد أشار المرزوقي إلى ذلك فقال: ومثل ودعت ومودع يسمى التجنيس الناقص»[١].

ولم يعرج على بيان جدوى هذا التجنيس البلاغي وأثره في توضيح معنى البيت أو تحسينه. والحق أن الجناس مهاد إيقاعي صوتي منغوم، ينشأ من نغم تكرار الحروف. وهو بذلك يزين المعنى في السياق الشعري ويحسن وقعه في نفس المتلقي.

٣ - ومن أمثلته القليلة قول الشاعر: [الطويل]

شَـيَّبَ أيـامُ الفـراق مفارِقي وأنشزْن نفسي فوقَ حيثُ تكونُ

وقـد لانَ أيامُ اللّوى، ثم لم يَكَدْ مـن العـيش شيءٌ بَعدَهُنَّ يَلِينُ

هناك جناس في البيت الأول في قول الشاعر: (الفراق مفارقي). وقد شرح المرزوقي معنى البيت شرحًا وافيًا جميلاً. ثم أشار إلى الجناس: «وقوله: (أيام الفراق مفارقي) يسمى التجنيس الناقص»[٢]. واكتفى بهذه الإشارة العابرة ولم يعقب عليها بقول آخر، وكأنه لم ير في هذا التجنيس أي أثر في وضوح معنى البيت وتحسينه.

ونرى في البيت الثاني جناسًا آخر في قول الشاعر (لان - يلين) وقد شرح معنى البيت. ثم مضى من غير أن يعرج على هذا الجناس البتة. وكأنه لم ير فيه أية فاعلية في نسيج معنى البيت.

٣ - الالتفات:

١ - قال بعض بني جرم من طيئ: [وافر]

إخـالكَ مُوعِـدي ببني جُفَيْفٍ وهالـةَ. إنَّـني أنهـاكِ هـالا

---

(١) المصدر نفسه (٣/ ١٣٣٨).

(٢) شرح ديوان الحماسة (٣/ ١٣٤٩).

في قول الشاعر (إنني أنهاك هالا) سمة بلاغية معروفة هي الالتفات كما يسميها البلاغيون.

قال المرزوقي في شرح البيت وبيان الالتفات فيه: «يقول: أحسبك تهددني ببني جفيف وبهالة. ثم أقبل على هالة فقال: إني أزجرك عن التحكك بنا، ونصرة من ينابذنا. ومثل هذا الكلام يسمى التفاتًا. والعرب قد تجمع في الخطاب أو الإخبار بين عدة، ثم تقبل أو تلتفت من بينهم إلى واحد لكونه أكبرهم أو أحسنهم سماعًا لما يلقى إليه، أو أخصهم بالحال التي تنطق بالشكوى بينهم، فتفرده بكلام»[1].

ومؤدى كلامه أن الالتفات سمة بلاغية، لها جدوى في قوة المعنى وجماله في البيان العربي. وتتجلى هذه الجدوى في إرادة التخصيص، أي توجيه الكلام إلى الشيء ذي الشأن والأهمية بين أشياء أخرى. وقد فعل الشاعر ذلك حين أعرض عن خطاب خصمه ووجه الخطاب إلى قبيلة (هالة). وهي القبيلة الفاعلة ذات الشأن بين خصوم الشاعر، فيما يبدو. وقد أفاد هذا الالتفات تقوية المعنى إذ بيَّن الوعيد في قول الشاعر (إنني أنهاك هالا). وهذا الوعيد الذي أفاده الالتفات أكَّده الشاعر في البيت الموالي[2]: [وافر]

فــإلاَّ تنــتَّهي، يــا هَــالَ، عَنِّ   أدَعْــكِ لمــنْ يُعاديــني نكــالاً

٢ - وقال المقنع الكنديُّ: [الطويل]

ولا أحْمِــلُ الحِقدَ القديمَ عليهِمُ   وليس رئيسُ القومِ مَنْ يَحمِلُ الحِقدَا

لهــمْ جــلَّ مالِي إن تتابعَ لي غِنىً   وإنْ قــلَّ مــالي لم أكَلِّفْهُــمُ رِفدَا

وإنِّــي لعبــدُ الضَّيفِ مادامَ نازِلاً   ومــا شــيمَةٌ لِي غيرَها تُشبهُ العَبدَا

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٤٨) .

(٢) شرح ديوان الحماسة (١/ ٢٤٩) .

أثبت لنفسه الرياسة عليهم في هذا البيت... وقوله: «(وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا) يجري مجرى الالتفات. فليتأمل الناظر في هذا الباب وفي مثل هذه الأبيات، وتصرف قائلها فيها بلا اعتساف ولا تكلف، وسلاسة ألفاظها، وصحة معانيها، فهو عفو الطبع، وصفو القرض»[١].

فالمرزوقي هنا يبيِّن مدى إعجابه باللغة الشعرية التي عبَّر بها الشاعر وسلاستها، ومدى إعجابه كذلك بجودة المعاني التي ساقها. والنتيجة أن الالتفات سمة بلاغية تفيد قوة المعنى وتأكيده.

إن هذه الأنماط البلاغية من الطباق والجناس والالتفات عناصر معروفة في الشعر العربي القديم. لكنها لا تجيء فيه إلا قليلاً بل نادرًا. فلم يكن الشعراء القدامى يتصنعون في نظم أشعارهم. فإذا جاءهم الطباق أو الجناس أو ما أشبه عفوًا صفوًا أخذوه واستخدموه من غير أن يتكلفوا الإتيان به عن قصد كما رأينا في المثالين. وإنما تكلَّف ذلك وتصنَّعه الشعراء المحدثون في العصر العباسي، ابتداء من صريع الغواني مسلم بن الوليد في القرن الثاني من الهجرة، فصاعدًا إلى أبي تمام الطائي وأضرابه من أصحاب الصنعة في القرن الثالث الهجري.

وهذا على عكس التشبيهات والاستعارات والكنايات وأنماط المجاز الأخرى التي كثرت وشاعت في الشعر القديم. والسبب في ذلك فيما نرى هو أن الشعر محل التصوير، أي الإيحاء بالتشبيه والاستعارة والكناية فلذلك كثر في أشعار الشعراء القدماء. وكلما كثر التصوير في الشعر كان أجود وأبرع. وإذا قلَّ فيه كان ضعيفًا باهتًا، قليل الماء والرُّواء.

لقد اعتمد المرزوقي في شرح أشعار ديوان الحماسة على عدة عناصر سبق

---

(١) المصدر السابق نفسه (٣/ ١١٨٣) .

الحديث عنها بتفصيل. ولم يفته الإدلاء بآراء نقدية خلال شروح الأشعار.

وعند استعراضنا لهذه الآراء النقدية نرى أنه يهتم بنقد الأشعار اهتمامًا بالغًا، لا يقل عن اهتمامه بعناصر الشعر الأخرى. إلا أن أحكامه النقدية تتراوح ما بين أحكام مختصرة سريعة لا تجدي كثيرًا في فهم المعاني، وبين أحكام أخرى فيها تفصيل، وبيان يفيد في فهم المعاني وتوضيح الصور الشعرية وإظهار حسنها. والأحكام النقدية المختصرة هي الأكثر في الكتاب بالقياس إلى الأحكام الأخرى.

١ – الأحكام النقدية المختصرة:

١ – قال ابن زيابة التيمي: [سريع]

نُبِّيتُ عَمْرًا غارِزًا رأسَهُ في سِنَةٍ، يُوعِدُ أخوالَهُ

قال المرزوقي: «وأراد بالسنة الغفلة. وهي ما يحدث من أوائل النوم في العين، ولم يستحكم بعد. وهذا من أحسن التشبيه، وأبلغ التعريض. والإيعاد إذا كان على ما وصف حقيق بالتهجين»[1].

لقد استحسن الشارح التشبيه في هذا البيت أي تشبيه الغفلة بسنة النوم، واكتفى بذلك، ولم يكلف نفسه شرح وجه إحسان الشاعر في تشكيل الصورة الشعرية سوى قوله بضعف أثر الإيعاد في حال الغفلة. والإيعاد في الحق يقتضي اليقظة والغضب والتوتر النفسي.

٢ – قال بعض بني فقعس: [الطويل]

فهلاَّ أعَدُّوني لمثلي، تفاقدوا، إذ الخَصْمُ أبْزى، مائلُ الرأس أنْكَبُ

قال المرزوقي: «وهذا تصوير لحال المقاتل إذا انتصب في وجه مقصوده. وهو أبلغ في الوصف من كل تشبيه. ومثله قول الآخر:

(١) شرح ديوان الحماسة (١/ ١٤٢) .

جاؤُوا بمَذْقٍ، هل رأيتَ الذئبَ قطْ؟

ألا ترى أنه صور لون المذق لما قال: هل رأيت الذئب قط؟»[1].

نفهم من هذا الكلام أن المرزوقي معجب بالصورة الشعرية لدى الشاعر الأول في تصويره لحال المقاتل:

إذ الخَصْمُ أبْزى، مائِلُ الرأس أنْكَبُ

وقد أبدى إعجابه بقوله: «وهو أبلغ في الوصف من كل تشبيه». من غير أن يعمد إلى بيان وجه البلاغة في هذه الصورة وتحليل عناصرها. والحق أن الصورة الشعرية بليغة، شكّلها الشاعر بألفاظ اللغة الموحية فحسب، من غير تشبيه أو استعارة. وهو معجب كذلك بالصورة في قول الشاعر الآخر:

هل رأيتَ الذئبَ قطْ ؟

من غير إظهار سبب هذا الإعجاب .

٣ - قول الشاعر: [كامل]

يــا زِمْلُ إنِّي، إنْ تكنْ لِيَ حاديًا، أعْكِــرْ عليكَ، وإنْ تَرُعْ لا تَسبقِ

قال المرزوقي: «والمعنى: إني أدركك على كل حال. وقد أحسن النابغة في قوله: [الطويل]

فــإنكَ كالليلِ الذي هو مُدْرِكي وإن خِلْتُ أنَّ المُنْتأى عنكَ واسعُ»[2]

لقد شرح المرزوقي معنى بيت الشاعر الحماسي. ولم يقل شيئًا يتعلق بنقده. وإنما استحسن قول النابغة الذبياني في المعنى نفسه، وهو يصور خوفه من صولة النعمان بن المنذر ملك الحيرة، حين غضب عليه لذهابه إلى

---

(١) المصـــدر الســـابق نفسه (١/ ٢١٤). والرجز في الكامل (٢/ ١٠٥٤). وقال فيه المبرد: «والعرب تختصر التشبيه. وربما أومأت إليه إيماء» .

(٢) شرح ديوان الحماسة (١/ ٣٨٥). وبيت النابغة في ديوانه (٣٨) .

الغسانيين، وهم أعداء الملك النعمان. لكن الشارح وقف عند الاستحسان فحسب، دون تحليل للصورة الشعرية في البيت.

والحق أن الصورة بليغة رائعة في هذا البيت، مثقلة بالإيحاء إلى معنى الخوف الذي يشعر به الشاعر. فهي تنطوي على كل معاني الخوف والرهبة والتوجس في نفس الشاعر من جهة، وعلى كل دلائل القوة والسطوة لدى الملك النعمان أخرى. وتنبثق هذه المعاني من صورة الليل البهيم الذي يدرك كل شيء في الكون، ويغشيه بالظلام الذي يثير الرهبة في نفس الخائف المتوجس مثل النابغة الذبياني في حال خوفه.

وشتان ما بين هذه الصورة البليغة التي أبدعها النابغة وبين الصورة الضعيفة الباهتة التي عبر عنها الشاعر الحماسي. ونرى أن هذا هو الدافع الأساسي الذي جعل المرزوقي يستحسن قول النابغة، ولا يقول شيئًا عن البيت الحماسي، مما يدل على معرفته بضعفه وخلوه من أي تصوير بلاغي.

إن هذه الأحكام النقدية المختصرة التي رأيناها، ولها أمثال كثيرة في الكتاب[1]، لا تفيد شيئًا في شرح معاني الأشعار. فهي ليست ذات جدوى في هذا المجال، سوى الإشارة إلى موضع إحسان الشاعر. وقد يكون في هذه الإشارة تنبيه للمتلقي لكي يتأمل نصوص الشعر ويحاول معرفة عناصر الحسن والجمال فيه.

٢ – الأحكام النقدية المفصلة:

إن الأحكام النقدية في هذا القسم هي أجدى وأثرى عند المرزوقي. وهي على العكس من الأحكام المختصرة ذات فائدة جلى في شرح معاني الشعر وكشف عناصر الجمال الفني في الصور الشعرية. فنحن نجد أنفسنا

---

(١) انظر أمثلة أخرى ١/ ١٠٧-١٠٨، ١٥٤-١٥٥، ١٨٣- ١٨٤، ٤٠٣، ٤٣٦-٤٣٧.

حين النظر في هذه الأحكام النقدية إزاء دراسة عملية ذات جدوى في مجال النقد الأدبي. وذلك لأنها تستنبط الأحكام من التعمق في النظر في نصوص الشعر حين شرحها وتحليلها. ونعني أن هذه الأحكام تكون نقدًا تفسيريًا، يقوم في أساسه على تفسير النصوص وبيان بلاغتها وجودتها. قال عبد القاهر الجرجاني في هذا الشأن: «وجملة ما أردت أن أبينه لك أنه لابد لكل كلام تستحسنه، ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك **ذلك** جهة معلومة، وعلة معقولة وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك **دليل**»[1].

وغني عن القول بأن الناقد التفسيري ينبغي له أن يكون ذا ثقافة واسعة وذوق فني رفيع وخبرة عميقة في تحليل النصوص وتشريحها حين الشرح والتفسير النقدي. قال الدكتور محمد مندور في بيان أهمية ثقافة الناقد وخبرته: «ولا يحسبن أحد أن الاتجاه التفسيري في النقد أقل مشقة من الاتجاه التقييمي والتوجيهي. ذلك لأنه إذا كان التقييم والتوجيه يحتاجان إلى التمتع بحاسة جمالية مرهفة، أو إلى الإيمان بقيم إنسانية واجتماعية معينة، فإن الاتجاه التفسيري يحتاج إلى ثقافة وخبرة بالغة»[2].

وفي رأينا أن هذه الثقافة وهذه الخبرة تخلقان من شراح الشعر أمثال المرزوقي نقادًا أكفياء يخرج المتلقي من الاطلاع على شروحهم بفائدة جلى وثقافة أدبية رصينة واسعة.

١ - قال أبو كبير الهذلي: [كامل]

ولقد سَرَيْتُ على الظَّلام بِمغْشَمِ ... جَلْــد مـــن الفتـــيانِ غـــير مُثقَّل

---

(١) دلائل الإعجاز (٨٩) .

(٢) النقد والنقاد المعاصرون (٢٠٩) .

قال المرزوقي: «يقال: سرى يسري سري، وأسرى إسراء بمعنى، وهو سير الليل... فإن قال قائل: إذا كان السرى لا يكون إلا ليلاً فلم قال: على الظلام، ولم جاء في القرآن: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء:١]، و﴿فَأَسْرِ بِعبادِي لَيْلاً﴾ [الدخان:٢٣]؟ قلت: المراد توسط الليل والدخول في معظمه. تقول: جاء فلان البارحة بليل، أي في معظم ظلمته وتمكن ذلك الوقت من ليلته»[1].

إن هذا الكلام شرح نقدي دقيق للصورة الشعرية. وقول الشاعر (على الظلام) ليس حشوًا أو زيادة في الكلام، بل يفيد توسيع أفق المعنى، وتلوينه بلون خاص يوفر له القوة كما يرى المرزوقي. وجدواه عون المتلقي على حسن إدراك المعنى، وتذوق جمال الشعر.

٢ – قال سبرة بن عمرو الفقعسي: [الطويل]

وِنسْوَتُكُمْ في الرَّوعِ بادٍ وُجوهُها   يُخَلْـنَ إمـاءً، والإمـاءُ حَرائرُ

قال المرزوقي: «والمراد: ونساؤكم تشبهن بالإماء، مخافة السباء». ثم تابع الكلام في النقد: «ولو قال: يُخَلْنَ إماءً وهنَّ حَرائرُ

لكان مأخذ الكلام أقرب. لكنه عدل إلى: (والإماء حرائر) ليكون الذكر به أفخم، والاقتصاص أشنع وأعظم»[2].

لقد أتى في هذا المثال بكلام نقدي بيَّن فيه أن الشاعر قد عدل عن قرب مأخذ الكلام، أي الاستعمال المألوف في الكلام «وهن حرائر» إلى تركيب آخر له «والإماء حرائر». وقد قصد الشاعر بهذا العدول إلى تقوية المعنى المقصود، لأن ذكر الإماء في هذا التركيب يزيد في شناعة المعنى

---

(١) شرح ديوان الحماسة (١/ ٨٤– ٨٥) .

(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٣٧– ٢٣٨) .

وتفخيمه. وجدوى هذا النقد هو تنبيه المتلقي إلى هذا المغزى الدقيق الذي أراده الشاعر.

٣ - قال قَيْسُ بنُ الخَطيم الأوسي: [الطويل]

إذا مـــا شَرِبْتُ أرْبعًا خطَّ مِئْزَري وأتْبَعْتُ دلوي في السَّماحِ رِشاءَهَا

قال المرزوقي في شرح معنى البيت: «يقول: إذا شربتَ أربع أكؤس جررت مئزري، فأثر في الأرض خيلاء وكبرا. وتممت ما بقي علي من السماح في حال الصحو، كأن معظمه فَعَلَه صاحيا، والباقي منه تممه في حال السكر»[1]. وتابع كلامه في النقد: «وهذا أجود من قول عنترة العبسي، وإن كان مفضلاً عند كثير من الناس على قول عمرو بن كلثوم. وقول عنترة: [كامل]

وإذا انْتَشَـــيْتُ فإنَّـــني مُسْتهلِكٌ مـــالِي، وعرضـــي وافرٌ لم يُكْلَمِ

وإذا صَحَوْتُ فما أقصِّرُ عن نَدىً وكمـــا عَلِمتِ شمائِلي وتَكرُّمِي

وبيت عمرو: [وافر]

مُشَعْشَـــعَة كـــأنَّ الحُـــصَّ فيها إذا مـــا المـــاءُ خالطَهَـــا سَخِينَا

لأن هذا قال: إنا نتسخى إذا شربنا الخمر ممزوجة. وما قاله عنترة في بيتين أشار إليه قيس في مصراع»[2].

إن المرزوقي يوازن بين أقوال هؤلاء الشعراء الثلاثة في المعنى نفسه الذي طرقوه. ويفضل قول قيس بن الخطيم الأوسي. ويعلل هذا التفضيل بقوله عن بيت عمرو: «لأن هذا قال: إنا نتسخى إذا شربنا الخمر ممزوجة»

---

(١) شرح ديوان الحماسة (١/ ١٨٧) .

(٢) المصـــدر نفسه (١/ ١٨٧– ١٨٨). والبيتان من قصيدة له في ديوانه (٢٠٦–٢٠٧). والبيت الأخير من معلقة عمرو بن كلثوم في شرح القصائد السبع (٣٧٢) .

وهذا يعني أنه يتسخى في حال خاصة معينة، وهي حال شرب الخمر ممزوجة. ومراد المرزوقي أن قول قيس أعم وأشمل من قول عمرو، ثم قال عن عنترة: «وما قاله عنترة في بيتين أشار إليه قيس في مصراع».

ومراد المرزوقي أن قول قيس أفضلُ، لأنه أوجز إذ جاء بالمعنى في مصراع واحد، وهذا أوقع في النفس، لأن خير الكلام ما قل ودل. وهو ما أراده المرزوقي فيما نرى، أي فضيلة الإيجاز.

٤ - وقال كُثيِّر: [الطويل]

وأدْنَيتِني حتَّى إذا ما فَتَنْتِني ... بقولٍ يُحلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ

تناهَيْتِ عَنِّي حينَ لا لِيَ حِيلةٌ ... وغادَرْتِ ما غادَرْتِ بين الجَوانِحِ

قال المرزوقي: «فإن قيل: إن كُثيِّرًا عَلَمٌ في النسيب، فَلِمَ لَمْ يرض بإظهار التوجع من المعاملة، والتألم من التهاجر والقطيعة، حتى اعتد على صاحبته ذنبًا، ونسب إليها خيانة ووزرا، لأن الذي وصف من افتنالها في افتتان الرجال ليس من شأن العفائف؟ قلت: إن كثيرًا لم يصف صاحبته إلا بصفة العفائف. ألم تسمع قول الآخر: [الطويل]

بَرَزْنَ عفافًا، واحتجَبْنَ تَستُّرًا ... وشِيبَ بقولِ الحقِّ منهنَّ باطِلُ

فذو الحِلْمِ مُرْتابٌ، وذو الجهلِ طامعٌ، ... وهُنَّ عن الفحشاءِ حِيدٌ نَواكِلُ

كَواسٍ عوارٍ، صامِتاتٌ نَواطِقٌ ... بعَفِّ الكلامِ، باذِلاتٌ بواخِلُ

فتأمل ما قاله فإنه غاية في استقامة الطريقة، وإن هلكت نفوس، وخبلت عقول»[1].

تخيل المرزوقي إنسانًا يعترض على هذا المعنى في النسيب، ويعيب كُثيرًا فيه، وينسبه إلى الخطأ في اتهام صاحبته بالصدود عنه، وخيانة

---

(١) شرح ديوان الحماسة (٣/ ١٣٠٢- ١٣٠٣) . أما الأبيات الثلاثة فلم أعرف قائلها.

عهده، بعد الوصال والوعد الجميل بالتلاقي. ونظن أن هذا التخيل ليس إلا رأي المرزوقي في شعر كُثير للوهلة الأولى. ونظن أنه تمهل بعد ذلك وأعاد النظر في الشعر فرجع عن هذا الاعتراض، ورد على المعترض ردًا فنيًا، يبين جودة شعر كُثير.

وأتى هذا الرد على ثلاث مراحل:

أ — فَنَّد رأي المعترض بقوله: «إن كُثيرًا لم يصف صاحبته إلا بصفة العفائف».

وهذا يعني أن المرزوقي يرى شعر كُثير جاريًا على الطريقة المعهودة في شعر النسيب.

ب — ولم يتحبس عند هذا التفنيد. بل مضى لتقوية رأيه وإثبات صحته، فأورد نصًا آخر من شعر الغزل الجميل، يشبه في معانيه وصوره ومراميه شعر كُثير. ودعا المتلقي إلى تأمل هذا الشعر الذي جاء «غاية في استقامة الطريقة. وإن هلكت نفوس، وخبلت عقول». كما قال.

ج — ولم يكتف بكل ما قال، حتى عمد إلى دعم رأيه في جودة شعر كُثير بإعجاب الشاعر جرير به، وطربه الشديد عند سماعه، في طريق رحلته إلى الخليفة هشام بن عبد الملك في الشام. قال: «وحُدِّثت عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، عن راوية كُثير قال: كنت مع جرير وهو يريد الشام، فطرب. فقال: أنشدني لأخي بني مُليح، يعني كُثيرًا، فأنشدته حتى انتهيت إلى قوله:

وأدْنَيتِني حتَّى إذا ما فَتَنْتِني

الأبيات، قال جرير: لولا أنه لا يحسن بشَيخٍ مثلي النخير، لنخرت

حتى يسمع هشام على سريره»[١].

* * *

وبعد فإن كتاب المرزوقي حافل بأمثال هذه النثرات النقدية الوجيزة التي أوردنا جملة منها في القسم الأول من هذا الفصل، وبأمثال النظرات النقدية التحليلية التي أوردنا جملة منها أيضًا في القسم الثاني من الفصل. ولا تكاد صفحة من صفحات كتابة تخلو من هذه النثرات أو النظرات النقدية. ويدل كل ذلك على معرفته الشاملة بشعر العرب القديم واطلاعه لواسع على معانيه وصوره، وفهمه لمواطن القوة والجودة أو الضعف الفني فيه. وهو يتمتع كذلك بالإحساس الدقيق بالطرق والمذاهب والأساليب الشعرية الي تختلف من شاعر إلى آخر. ويملك الفطنة الفنية لإيراد الشواهد المناسبة في مواضعها حين الموازنة بين الأشعار. وقد أعانته هذه الخصال العلمية والفنية في الوصول إلى النجاح البالغ في شرح معاني الأشعار والإشارة إلى أساليبها وبيان صورها ونقدها. ويؤدي كل ذلك إلى تمكين المتلقي من فهم هذه الأشعار فهمًا صحيحًا وتذوقها تذوقًا فنيًا. وهذان هما الهدفان الأدبيان اللذان يسعى إليهما المرزوقي في شرحه وتحليلاته ونقده. ونعني أن الهدف الأول هو الفهم الصحيح، والثاني هو التذوق الأدبي. ويمكن لنا أن نجمع هذين الهدفين في تعبير جامع أوجز هو الشعور بالمتعة الفنية حين قراءة الأشعار.

إن هذه الكفاءة في النقد، والأقوال النقدية الكثيرة التي حفل بها شرحه لديوان الحماسة هي التي حدت بالدكتور علي جواد الطاهر لتأليف كتاب في موضوع النقد عند المرزوقي في هذا الكتاب سماه: (المرزوقي

---

(١) شـــرح ديوان الحماسة (٣/ ١٣٠٣) . وانظر هذه الرواية في الأمالي لأبي علي القالي (٢/ ٢٢٦) .

شارح الحماسة ناقدًا). و لم نطلع على هذا المؤلف. لكننا علمنا به من مقال كتبه الدكتور إبراهيم السامرائي بعنوان: (مع المرزوقي في مصنفاته). ونشره في مجلة العرب[1]. وقد ذكر فيه أن معظم ما قاله المرزوقي من آراء وأحكام في نقد الأشعار، يتدرج في إطار شؤون بلاغية في الأصل، ولاسيما في علمي البيان والبديع، مثل التشبيه والاستعارة والكناية، وأشياء أخرى من البديع مثل الطباق والمقابلة والالتفات. ومؤدى قوله أن هذه الآراء والأحكام النقدية ليست من صميم النقد الأدبي. قال السامرائي في مقاله: «أقول: إن في جملة هذه المواد نظرات نقدية، نتبينها في توجه المرزوقي إلى مادته، فليس جزافًا أن ينعت المرزوقي بالناقد. ولكن أقول أيضًا: إن جملة هذه المواد تندرج في علوم البلاغة في الأصل. وجلها مواد بلاغية في علم المعاني وعلم البيان... فهل لنا أن نلغي هذه المواد العلمية الأصيلة، ونذهب إلى صفة في هذه المواد هي النقد، فنذهب لننعت المرزوقي، ونبعده عن الحيز البلاغي؟ وإني لأؤكد ما كان لدى المرزوقي في شرحه هذا من النظر النقدي»[2].

ولا يمكننا أن نبتَّ نحن في هذه المسألة الخلافية بين الدكتور علي جواد الطاهر مؤلف الكتاب الذي يظاهر المرزوقي فيما يبدو لنا، ويعتبره ناقدًا أدبيًا، وبين كاتب المقال الدكتور إبراهيم السامرائي الذي ينتقص هذا الرأي، ويعتبر المرزوقي بلاغيًا يمزج تحليلاته البلاغية بملامح من النقد الأدبي. وإنما نرى أن قصارى القول في هذا الأمر هو أن المرزوقي لم يكن ناقدًا بمعنى عالم متخصص بالنقد، يَسُن القوانين، ويضع المبادئ، ويأتي بالشواهد ليستنبط منها القواعد العامة المطلقة في النقد، مثل قدامة بن جعفر في كتابه:

---

(١) مجلة العرب ج (٥-٦) . آذار، نيسان (مارس، أبريل) ١٩٩٩.

(٢) المصدر نفسه (٣٣٩) .

(نقد الشعر). وإنما كان عالمًا ضليعًا بالشعر، عارفًا بأساليبه ومعانيه وصوره وأسرار جودته وجماله الفني، كما بيَّنا آنفًا غير بعيد. وقد مكَّنه كل ذلك من نقد الأشعار في كتابه اعتمادًا على علمه الواسع بالشعر، وانطلاقًا من حسه الفني، وذوقه الأدبي. ونعني أنه كان ناقدًا ذواقة، وليس ناقدًا عالمًا يعتمد على سنن وقواعد ومبادئ عامة مطلقة معروفة في النقد الأدبي.

* * *

إسهامات علماء التعمية في اللسانيات العربية

د. يحيى ميرعلم

يتناول هذا البحث إسهامات أعلام التعمية في الدراسات اللغوية العربية وأثرها في تطورها، وذلك ببيان العلاقة بين التعمية واللغة، وارتباط تطور التعمية بتطور الدراسات اللغوية، والوقوف عند ما يحتاج إليه استخراج المعمّى من معارف لغوية كثيرة مثل: النحو والصرف والعروض والأصوات والمعاجم وأحكام نسج الكلمة العربية وغيرها، وأخيرًا الكشف عن أبرز إسهامات أعلام التعمية في اللسانيات العربية في مجالات عدة: كالدراسات الإحصائية للحروف، ومعرفة تواتر الحروف ومراتبها، إضافة إلى تواتر الكلمات، وكذلك استغراق قوانين الائتلاف والتنافر فيما بين الحروف، وغير ذلك من علوم لغوية كانت بعيدة الأثر في التعمية واستخراجها كالعروض والقافية، والمعاجم وغيرها.

١- العلاقة بين التعمية واللغة

تُعدّ اللغة - كما هو معلوم - مادةً لكلٍّ من التعمية واستخراج المعمّى، إذ تقوم الأولى على تحويل نص واضح إلى آخر غير مفهوم باستعمال طريقة محددة، يستطيع مَنْ يعرفها أن يفهم النص، وتقوم الثانية على عكس ذلك من تحويل النص المعمّى إلى آخر واضح. وهذه العلاقة الوثيقة بين التعمية واللغة تفسّر ارتباط تطور كلٍّ منهما بالآخر، وتفسّر كذلك حاجة كل مَنْ يعاني التعمية واستخراجها، إلى المعرفة الجيدة باللغة وعلومها وبخاصة الدراسات اللسانية النحوية والصرفية والمعجمية والعروضية

والدلالـــية والإحصائية والصوتية، كما تفسّر جمع عدد غير قليل من الأعلام بـــين علـــوم اللغة وعلوم التعمية، واشتراكهم في التصنيف فيهما، وشهرتهم بالتقدّم في النوعين.

لقد أوفى اهتمام العرب باللغة وعلومها على الغاية، ولا عجب في ذلك إذ كانت العربيةُ لغةً للوحي وللتنزيل الحكيم وللرسول ﷺ ولهذا الدين الحنيف، والعناية بها على أيّ صورة كانت - دراسة أو تدريسًا أو تأليفًا أو نشرًا بين المسلمين من غير العرب في أرجاء الدولة الإسلامية ممن تفيَّؤُوا ظلال هذا الدين - تُعدّ من أعظم القربات إلى الله، لما فيها من خدمة للكتاب العزيز، وصون للألسنة عن الوقوع في اللحن. ولذلك أدى اهتمام العرب بلغتهم إلى نتائج علمية مهمة في اللسانيات العربية، فقد نهضوا بدراسات صوتية هامة للحروف العربية ومخارجها وصفاتها، وأجروا دراسات كميّة وإحصائية على الحروف وتواترها وتنافرها واقترانها، وتعمقّوا في دراسة النحو والتراكيب، والصرف والأبنية، والدلالة وعلاقتها بغيرها، وسبقوا إلى وضع المعاجم اللغوية على اختلاف أنواعها ومناهج ترتيبها.

إن تقدم العرب في علوم اللسان كان من أبرز العوامل المهمة التي ساعدت العرب على إحراز قصب السبق في معالجة التعمية وحلّ المعمّى، وإرساء قواعدهما، وتدوين مصنفات مستقلة فيهما، بيد أن ثمّة عوامل أخرى كانت بعيدة الأثر في ذلك أيضًا، من مثل: نشاط حركة الترجمة من علوم الحضارات السابقة والمعاصرة إلى العربية، وتطوّر علوم الرياضيات كالجبر والمقابلة والحساب، وازدهار علوم الإدارة كالإنشاء والدواوين، وشيوع الكتابة والقراءة في الحضارة العربية الإسلامية وارتباطهما بالقرآن الكريم وعلومه، إضافةً إلى ما تعرّض إليه العالم الإسلامي من هجمات المغول في

الشرق، والحملات الصليبية في الغرب[١]. على أن هذا التأثير لم يكن في اتجاه واحد، بل كان تأثيرًا متبادلاً، فقد أسهم علماء التعمية في إغناء جوانب مهمة من الدراسات اللسانية وتطويرها، كما سيرد بيانه لاحقًا.

٢- الجمع بين علوم التعمية وعلوم العربية

تقدّمت الإشارة في صدر البحث إلى ارتباط تطوّر التعمية بتقدم الدراسات اللسانية، وأن من أظهر الأدلة على ذاك جمعَ كثير من الأعلام بين علوم العربية والتعمية واستخراجها. وقد حفلت كتب التراجم على اختلاف مناهجها بأخبار أولئك العلماء، وسنورد فيما يأتي أشهر الأعلام الذين جمعوا في الاشتغال أو التصنيف بين علوم اللغة والتعمية، مقتصرين على إيراد أسمائهم مقرونةً بتواريخ وفياتهم، وموثّقةً بالعزو إلى مصادرها[٢]:

- الخليل بن أحمد الفراهيدي: (١٠٠- ١٧٠هـ/ ٧١٨- ٧٨٦م)

نسب إليه الزبيدي في (طبقات النحويين واللغويين) [ص٥١] كتابًا في المعمّى، ولا أثر له. ونقله عنه ابن نباتة في كتابه (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) وجعله أول من وضع علم المعمّى.ثم نقله محمد بن الحنبلي عن ابن نُباتة في رسالته (شرح كنز من حاجى وعمّى في الأحاجي والمعمّى) [٣/ب- ٤/ أ] مصورة عن نسخة المكتبة الظاهرية.

- ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصري:(٠٠٠- ٢٤٥هـ/ ٠٠٠- ٨٥٩م)

له كتاب (حلّ الرموز وبرء الأسقام في أصول اللغات والأقلام). ذكره الدكتور رمضان ششن في كتابه (نوادر المخطوطات في مكتبات تركيا) [٢/ ٢٧].

- سهل بن محمد بن عثمان السجستاني: (٠٠٠- ٢٤٨هـ/ ٠٠٠- ٨٦٢م)

نقل ابن النديم في (الفهرست) [ص ٩٢] عن ابن دريد أنه «كان يتبحّر في الكتب، ويُخرج المعمّى، حاذق بذلك، دقيق النظر فيه...».

- يعقوب بن إسحاق الكندي: (٠٠٠- ٢٦٠هـ/ ٠٠٠ -٨٦٢م)

له (رسالة في استخراج المعمّى) وهي من رسائل الجزء الأول من كتاب (علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب) [١/ ٢١١- ٢٥٥].

– **محمد بن أحمد بن كيسان:** (القرن الثالث الهجري/ القرن التاسع الميلادي)

ذكر ياقوت في (معجم الأدباء) [١٧/ ١٣٧] في ترجمة سَمِيِّه محمد بن أحمد بن كيسان المتوفى سنة ٢٩٩هـ نقلاً عن أبي بكر الزبيدي: «وليس هذا بالقديم الذي له في العروض والمعمّى كتاب». ولم نجد هذا النقل في كتاب أبي بكر الزبيدي (طبقات النحويين واللغويين)، ولعلّه المذكور باسم كيسان [ص ١٧٨].

– **داود بن الهيثم بن إسحاق التنوخي:** (٢٢٨- ٣١٦هـ/ ٨٤٣- ٩٢٨م)

نقل ياقوت في (معجم الأدباء) [١١/ ٩٨] عن الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) أنه «كان نحويًا لغويًا حسن المعرفة بالعروض واستخراج المعمّى». ولم يخلّف شيئًا في التعمية.

– **محمد بن أحمد بن محمد بن طباطبا:** (٠٠٠- ٣٢٢هـ/ ٠٠٠- ٩٣٤م)

له (رسالة في استخراج المعمّى) وهي من رسائل الجزء الثاني من كتاب (علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب) [٢/ ٣١٢- ٣٢١].

– **محمد بن سعيد البصير الموصلي:** (القرن الرابع الهجري/ القرن العاشر الميلادي)

ترجم له ياقوت في (معجم الأدباء) [١٨/ ٢٠٣- ٢٠٤] وذكر أنه كان معاصرًا لأبي علي الفارسي المتوفى (٣٧٧هـ/ ٩٨٧م) وأنه «كان ذكيًا فهمًا.. إمامًا في استخراج المعمّى والعروض». ولم نجد مصدرًا يؤرخ لحياته بدءًا ونهاية.

– **إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب:** (نحو القرن الرابع الهجري/ نحو القرن العاشر الميلادي).

له رسالة مخطوطة تبيّن أنها في كتابه (البرهان في وجوه البيان) وهي من رسائل الجزء الثاني من كتاب (علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب) [٢/ ١٠٨- ١١٩].

– **أحمد بن عبد العزيز الشنتمري:** (كان حيًا ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م)

ذكر السيوطي في (بغية الوعاة) [١/ ٣٢٥] نقلاً عن ابن عبد الملك أنه «كان متقدمًا في العروض وفك المعمّى».

– أسعد بن مهذّب بن مَمّاتي: (٥٤٤– ٦٠٦هـ/ ١١٤٩– ١٢٠٩م)

له كتاب (خصائص المعرفة في المعميات) ذكره ياقوت في ترجمته في (معجم الأدباء) [٦/ ١١٨] والبغدادي في (هدية العارفين) [١/ ٢٠٥] باسم (خصائص المعروف في المعميات).

– علي بن عَدْلان النحوي المُتَرْجِم: (٥٨٣– ٦٦٦هـ/ ١١٨٧– ١٢٦٨م)

له كتابان:

– الأول (المُؤَلَّف للملك الأشرف في حلِّ التراجم) وهي من رسائل الجزء الأول من كتاب (علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب) [١/ ٢٧٠– ٣٠٣].

– الثاني (المُعْلَم) أحال عليه في رسالته الماضية [٩٨/ ب و١٠٤/ ب].

ولم تذكره مصادر ترجمته.

– علي بن محمد بن الدُّرَيْهِم: (٧١٢– ٧٦٢هـ/ ١٣١٢– ١٣٥٩م)

له عدة مؤلفات:

– (مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز) وهي من رسائل الجزء الأول من كتاب (علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب) [١/ ٣١٩– ٣٦٠].

– (إيضاح المُبْهَم في حَلِّ المُتَرْجَم) ذكره في مقدمة رسالته (مفتاح الكنوز) [علم التعمية ١/ ٣٢١].

– (مختصر المُبْهَم في حلِّ المُتَرْجَم) ذكره الصفدي في (أعيان العصر) [٩٥/ ب].

– (نظم لقواعد فنِّ المُتَرْجَم وضوابطه) ذكره أيضًا في مقدمة رسالته (مفتاح الكنوز) [علم التعمية ١/ ٣٢٢].

– (قصيدة في حل رموز الأقلام المكتوبة على البرابي) ذكرت في مقال (رسائل نادرة) لمحمد أحمد دهمان نُشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق [م ٥٤، ع٢، ص ٣٦٠]. والقصيدة من رسائل المجموع رقم (١٣٩) وهو مما حوته مكتبة

المرحوم أحمد تيمور باشا بالقاهرة، التي زارها الأستاذ دهمان وأثبت في المقال بعض ما اختاره من مجاميعها. ولم نُصب للقصيدة ذكرًا في أي مصدر آخر.

٣- ما تحتاج إليه علوم التعمية من الدراسات اللغوية

نص أكثر أعلام التعمية على ما يحتاج إليه مَنْ يعاني حلَّ المعمّى من صفات خاصة، ومعرفة جيدة بكثير من علوم اللغة والدراسات اللسانية، وذلك لأن استخراج المعمّى يعتمد منهجيات محددة، أساسها معرفة دوران الحروف ومراتبها في اللسان المعمّى، والعلم بقوانين الائتلاف والتنافر فيما بينها.

وأجمعُ كلامٍ في ذلك ما نصّ عليه ابنُ عَدْلان في فاتحة مقدمة رسالته (المُؤَلَّف للملك الأشرف): «أما الفاتحة فإن المُتَرْجَم يُستعان على حلّه بأمور منها: الذكاء، وجلاء الخاطر، والنشاط، واللغة، والنحو، والتصاريف، والتراكيب المستعملة في اللغة وغيرها، ومعرفة العروض والقوافي، وما يكثر استعماله من الحروف ويتوسط ويقلّ، وما يتنافر ويتوافق من تراكيب الحروف، ومعرفة كلمات يكثر استعمالها ويقلّ ويتوسط ثنائية وثلاثية، ومعرفة الفواصل والتمجيدات وكثرة الرياضة بحصول التمرين والدُّرْبة..»[٣].

ويفصّل ابنُ دنينير في بيان ما يحتاج إليه المُسْتخرِجُ إن كان المعمّى نثرًا أو شعرًا، فإن كان المعمّى من الكلام المنثور، احتاج المُستنبِطُ – إضافةً إلى المعرفة بالحروف ودورانها ومراتبها وما يأتلف منها ويتنافر – إلى صفات خاصة، قال في كتابه (مقاصد الفصول المُتَرْجمة عن حلّ الترجمة): «وينبغي للرجل الطالب لهذا العلم أن يكون ذكيًا، دقيق النظر، لطيف الحس، قوي الحدس، نقي الفكر، صائب الظن، وإن لم يكن على هذه الصفات المذكورة لم ينتفع بشيء من الطرق التي ذكرتها في الاستعانة على الاستنباط. وقد يكون من الناس مَنْ يكون أصل الترجمة بين يديه ولا يهتدي لقراءة ما عُمِّي فيها، وإذا كان كذلك فكيف يتهيأ له القدرة على أن يعمل شيئًا كما ذكرته، أو يفهم؟»[٤].

ويستكمل ابنُ دنينير حديثه في صدر القسم الثاني من كتابه تحت عنوان (في حلّ ما عُمّي من الكلام المنظوم) فيقول: «وبعد ذلك فأقرب الدلائل على هذا العلم أن يكون المُستنبِطُ عالمًا بالعروض والقوافي وعلم الشعر، بصيرًا بالكتابة، كثير الحفظ للشعر، مكّارًا بالمعمّى، فإذا كان كذلك فلا يعسر عليه استنباطُ ما صعب منه»[٥].

ومثل ذلك ما أورده صاحب (أدب الشعراء) في مقدمة رسالته (في استخراج المعمّى من الشعر) حيث نصّ على ما ينبغي أن يكون عليه مُستخرِجُ معمى المنظوم قال: «يجب أن يكون المُخرِجُ له عروضيًا، قافيًا، بصيرًا بالكتابة، شاعرًا، لطيف الحس، ألمعي الحدس، كثير الحفظ للشعر، خدّاعًا للمعمى عليه، محاملاً عليه، رزّافًا، فإذا جمع ذلك لم يتعذر عليه إخراج صعبه وسهله..»[٦]. ثم يتبع ذلك بما ينتج عنه إن نقص شيء مما سبق.

وجاء ابنُ الدُّرَيْهِم بعده فاقتصر - مما تقدم - على ضرورة معرفة اللغة، قال في رسالته (مفتاح الكنوز في إيضاح الرموز): «ولابد لمن يعاني هذا العلم من معرفة اللغة التي يروم حلّ قلمها، أو ما يُتَرْجم بلسانها وقواعدها، وما هو من الحروف أكثر وقعًا ودورانًا منها كحروف المد واللين في سائر اللغات، وكالألف في العربي، والسين في الرومي والأرمني، والنون في المُغْلي..»[٧].

على أن ما تقدم بيانه ليس منبتّ الصلة عما سبق من مصنفات التعمية، فقد سبق الكندي إلى كثير منه، غير أنه جاء مفرّقًا في رسالته أثناء حديثه عن سبل استخراج المعمّى[٨].

وبنحوه ما ذكره صاحب المقالتين (مجهول) في رسالته الأولى، حيث صدّرها ببيان ما يحتاج إليه المُستخرِجُ من صفات خاصة، أكدت أهمية مراعاة الجانب النفسي في استخراج المعمّى، أوفى فيه على الغاية تفصيلاً ودقّةً، ثم تحدث بعدها عن طرق الحلّ التي تعتمد على معارف لغوية، جاءت مفرّقة عليها[٩].

وقد ظهر مما تقدم أن تعمية المنظوم أو الشعر واستخراجه كان من الأهمية

بمكان لدى أكثر أعلام التعمية، ولا عجب فالشعر أحد قسمي الكلام، وهو إلى ذلك ديوان العرب، ولذلك ما وجدنا اقترانَ علم العروض والقافية بعلم التعمية لدى كثير من اللغويين والنحاة كما تقدم. والحق أن أكثر ما وقفنا عليه من مصنفات التعمية تناول المعمّى من الشعر، وطرقَ حلّه، وما يحتاج إليه مُستخرِجُه مما تقدم بيانه ونقله، ووجدنا أمثلة ذلك في مؤلفات التعمية غير المفردة لمعمى الشعر. وأقدمهم في هذا الكنديُ الذي نصّ على ثلاثة مبادئ تستعمل في استخراجه إضافةً إلى المبادئ المستعملة في النثر وهي: معرفة القوافي، ومعرفة عدد حروف البيت وفق أوزان الشعر، ومعرفة الحروف الخُرْس (الصامتة) وما يليها من مصوتات(١٠).

وأما ابنُ عدلان فأفرد قاعدتين للأمور التي تعتمد في حلّ المعمّى من الشعر، وذلك بعد أن استوفى معالجة الكلام المنثور، أهم ما فيهما: معرفة العروض والقافية، والتشاطير والرويّ، وعدد حروف كل بحر(١١).

ومثل ذلك ما صنعه إسحاق بن وهب الكاتب، فقد تحدث عن حل المعمّى من الشعر بعد فراغه من الكلام على استخراج المعمّى من النثر، وهو في هذا لا يخرج عما تقدم(١٢).

وأما ابنُ دنينير فقد وقف القسم الثاني من كتابه على حلّ ما عُمِّي من الكلام المنظوم، وتناول جميع قضاياه بالتفصيل والشرح في ثلاثين فصلاً (ما بين ٣٦- ٦٦)(١٣). وهذا أوسع كلام وجدناه في مصنفات التعمية غير المفردة لتعمية الشعر.

على أن أظهر دليل على خطر شأن الشعر، وارتباط علم العروض والقافية بالتعمية، كان وجودَ كثير من مصنفات التعمية، أفردها أصحابها للشعر وحده مثل رسالة أبي الحسن ابن طباطبا في استخراج المعمّى(١٤)، ورسالة استخراج المعمّى من الشعر المجردة من أدب الشعراء(١٥). وكذلك ما نقلناه من كتاب الجرهمي ورسالته(١٦).

٤- أبرز إسهامات أعلام التعمية في اللسانيات العربية

مضت الإشارة إلى العلاقة الوثيقة بين علوم التعمية وعلوم اللغة العربية

كالنحو والصرف والأصوات والعروض والمعاجم وغيرها من الدراسات اللغوية اللسانية، مثل إحصاء دوران الحروف ومراتبها، وقوانين الائتلاف والتنافر فيما بينها. ولما كان استخراج المعميات يعتمد على الدراية الجيدة بجميع ما تقدم، فقد عُني أصحاب التعمية بجوانب من الدراسات اللغوية، وأغنوها بنتائج مهمة، وأوضح ما ظهر ذلك في المجالات التالية:

أ – الدراسات الإحصائية للحروف

تعود نشأة الإحصاء اللغوي إلى الصدر الأول من العلماء الذين عُنوا بالقرآن الكريم فأحصوا حروفه وكلماته وآياته وسوره مستعينين بما رأوه مناسبًا في ضبط حسابهم آنذاك، وانتهوا إلى معرفة دوران الحروف فيه ومراتبها. وطبيعي أن تكون نتائج تلك الإحصاءات من التباين بمكان، وذلك لجملة من الأسباب لا مجال لذكرها[١٧]. أمّا ما عني به أصحاب المعاجم من حساب مَبْلَغ ما يرتفع من أبنية كلام العرب: الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية، مهملها ومستعملها، وصحيحها ومعتلها ومضاعفها، فذلك قديم مبسوط في مقدمات كثير من المعاجم وغيرها[١٨]. بيد أنه على أهميته لا يندرج فيما نحن بصدده.

غير أن ما نريده هنا هو إحصاء دوران الحروف أو تواترها في نصوص مكتوبة، ومعرفة مراتبها تبعًا لاستعمالها في النص. وهذا قد وجدناه لدى أعلام التعمية دون غيرهم، لأهمية ذلك في استخراج المعمّى إما طال النص. ولعل أول إحصاء من هذا النوع في تاريخ الدراسات الكمّيّة اللسانية على اللغة العربية كان إحصاءَ الكندي (ت ٢٦٠هـ) في رسالته في استخراج المعمّى، فقد تحدث في صدرها عن مراتب الحروف في الاستعمال، وضرورة معرفتها لاستنباط المعمّى، وأنها تختلف من لسان لآخر، ثم ذكر مراتبها وفق إحصائية قام بها بنفسه[١٩] قال: «فإذ قد أنبأنا عن ذلك فلنذكر الآن مراتب الحروف في الكثرة والقلة في اللسان العربي، فنقول:

إنّ الألف أكثر ما استعمل في اللسان العربي من الحروف، ثم ل، ثم م، ثم هـ،

ثم، و، ثم ي، ثم ن، ثم ر، ثم ع، ثم ف، ثم ت، ثم ب، ثم ك، جميعًا فإنهما سواء، ثم د، ثم س، ثم ق، ثم ح، ثم ج، ثم ذ، ثم ص، ثم ش، ثم ض، ثم خ، ثم ث، ثم ز، ثم ط، والغين سواء، ثم ظ.

فإذا أصبنا في سبع ورقات من العربي:

٦٠٠ ألفًا، ٤٣٧ لامًا، ٣٢٠ ميمًا، ٢٧٣ هاءً، ٢٦٢ واوًا، ٢٥٢ ياءً، ٢٢٢ نونًا، ١٥٥ راءً، ١٣١ عينًا، ١٢٢ فاءً، ١٢٠ تاءً، ١١٢ باءً، ١١٢، كافًا، ٩٢ دالاً، ٩١ سينًا، ٦٣ قافًا، ٥٧ حاءً، ٤٦ جيمًا، ٣٥ ذالاً، ٣٢ صادًا، ٢٠ خاءً، ١٧ ثاءً، ١٥ طاءً، ١٥ غينًا، وثماني ظاءات»[٢٠].

وجاء ابنُ دُنَيْنِير بعد أكثر من ثلاثة قرون (ت ٦٢٧هـ) فأفاد من إحصاء الكندي، وعمد إلى إجراء إحصاء للحروف في نصّ ما، فانتهى منه إلى إثبات صحة ما صنعه الكندي، قال في كتابه (مقاصد الفصول المترجمة عن حل الترجمة): «وقد اعتبرت مراتب الحروف على ما ذكره يعقوب الكندي رحمه الله، يقول: إنه عمد إلى سبعة أجلاد، فعدّ جميع مراتب الحروف منها، وذكر أنه وجد حرف الألف ستة آلاف، واللام ألفين وثلاثمئة وسبعًا وتسعين، والميم ثلاثمئة وعشرين ثم على ما ذكر. فهجس في نفسي أن أعمد إلى أوراق وأعدها وأعلم مراتب الحروف منها. فعمدت إلى ثلاث أوراق من كلام منثور مشتمل على رسائل، فعددت ألفاتها فوجدتها خمسمئة وخمسًا وسبعين ألفًا، وثلاثمئة وستين لامًا، ومئتين وخمسًا وستين ميمًا، وستين هاءً، ومئتين وخمسين واوًا، ومئتين وثلاثين ياءً، ومئتين وخمسًا وعشرين نونًا، ومئة وخمسًا وتسعين راءً، ومئة وسبعين عينًا، ومئة وخمسًا وأربعين فاءً، ومئة وخمسَ عشرة تاءً، ومئة وخمس باءات، وخمسًا وتسعين كافًا، وثمانين دالاً، وخمسًا وسبعين سينًا، وثنتين وستين قافًا، وخمسين حاءً، وثلاثًا وأربعين جيمًا، وثنتين وثلاثين ذالاً، وثمانيًا وعشرين صادًا، وسبع عشرة شينًا، وثلاث عشرة خاءً، وإحدى عشرة ثاءً، وتسع راءات، وثماني طاءات، وسبع ظاءات، وخمسِ غينات.

فعلمت صحة ما قاله يعقوب بن إسحاق رحمه الله»[٢١].

وتبعه ابنُ عدلان (ت٦٦٦هـ) الذي تحدث في القاعدة الأولى من مصنفه (المُؤَلَّف للملك الأشرف) عن مراتب الحروف، وجعلها ثلاثة أقسام: كثيرة ومتوسطة وقليلة، وذكر مَبْلَغ دوران كلّ حرف منها ضمن مجموعته، وذلك وفق استعماله في نص قام بإحصائه، قال:

«اعلم أن المراتب إمّا **كثيرة**، وهي سبعة يجمعها: (الموهين). فالألف إذا وقعت في كتابة ستمئة، كانت اللام أربعمئة ناقصًا أحرفًا يسيرة أو زائدًا ذلك، والميم ثلاثمئة وعشرين كذلك، والهاء مئتين وسبعين كذلك، والواو مئتين وستين كذلك، والياء مئتين وخمسين كذلك، والنون مئتين وعشرين كذلك، هذا هو الغالب، وقد تتقلب المراتب.

وإمّا **متوسطة**، وهي إحدى عشرة يجمعها: (رعفت بكدس قحج)، فالراء أولها، فإذا وقعت الراء تبعًا لما ذكرنا تكون مئة وخمسًا وخمسين ناقصًا فزائدًا، والعين مئة وثمانيًا وثلاثين كذلك، والفاء مئة واثنتين وعشرين، والتاء مئة وثماني عشرة، والباء مئة واثنتي عشرة، وكذلك الكاف، وثنتين وتسعين دالاً، وستًا وثمانين سينًا، وثلاثًا وستين قافًا، وسبعًا وخمسين حاءً، وستًا وأربعين جيمًا.

والقليلة عشرة، يجمعها بيت من الشعر، كلّ حرف منها في أول كل كلمة منه، وهو:

ظلمٌ غزا طاب زورًا ثاويا   خَوْفَ ضَنىً شِبْتَ صبًّا ذاويا

فالظاء إذا وقعت تبعًا لما ذكرنا كانت ثماني ظاءات، واثنتي عشرة غينًا، وخمس عشرة طاء، وستَ عشرة زايًا، وسبع عشرة ثاء، وعشرين خاء، وثلاثًا وعشرين ضادًا، وثمانيًا وعشرين شينًا، واثنتين وثلاثين صادًا، وخمسًا وثلاثين ذالاً»[٢٢].

وفيما يلي جدول يشتمل على دوران الحروف ومراتبها لدى كُلّ من: الكندي وابن دُنَيْنير وابن عَدْلان، تيسيرًا للمقارنة، وجمعًا لشتات ما تفرّق آنفًا:

دوران الحروف ومراتبها لدى الكندي وابن دُنَيْنير وابن عَدْلان

	الكندي			ابن دنينير			ابن عدلان		
الحروف	مراتبها	دورانها	نسبتها	مراتبها	دورانها	نسبتها	مراتبها	دورانها	نسبتها
١	الألف	٦٠٠	١٦,٦٣	الألف	٥٧٥	١٦,٧٦	الألف	٦٠٠	١٦,٥٤
٢	اللام	٤٣٧	١٢,١١	اللام	٣٦٠	١٠,٥٠	اللام	٤٠٠	١١,٠٢
٣	الميم	٣٢٠	٨,٨٧	الميم	٢٦٥	٧,٧٣	الميم	٣٢٠	٨,٨٢
٤	الهاء	٢٧٣	٧,٥٧	الهاء	٢٦٠	٧,٥٨	الهاء	٢٧٠	٧,٤٤
٥	الواو	٢٦٢	٧,٢٦	الواو	٢٥٠	٧,٢٩	الواو	٢٦٠	٧,١٧
٦	الياء	٢٥٢	٦,٩٨	الياء	٢٣٠	٦,٧١	الياء	٢٥٠	٦,٨٩
٧	النون	٢٢١	٦,١٣	النون	٢٢٥	٦,٥٦	النون	٢٢٠	٦,٠٧
٨	الراء	١٥٥	٤,٣٠	الراء	١٩٥	٥,٦٩	الراء	١٥٥	٤,٢٧
٩	العين	١٣١	٣,٦٣	العين	١٧٠	٤,٩٦	العين	١٣٨	٣,٨٠
١٠	الفاء	٢٢	٣,٣٨	الفاء	١٤٥	٤,٢٣	الفاء	١٢٢	٣,٣٦
١١	التاء	١٢٠	٣,٣٣	التاء	١١٥	٣,٣٥	التاء	١١٨	٣,٢٥
١٢	الباء	١١٢	٣,١٠	الباء	١٠٥	٣,٠٦	الباء	١١٢	٣,٠٩
١٣	الكاف	١١٢	٣,١٠	الكاف	٠٩٥	٢,٧٧	الكاف	١١٢	٣,٠٩
١٤	الدال	٠٩٢	٢,٥٥	الدال	٠٨٠	٢,٣٣	الدال	٠٩٢	٢,٥٤
١٥	السين	٠٩١	٢,٥٢	السين	٠٧٥	٢,١٩	السين	٠٨٦	٢,٣٧
١٦	القاف	٠٦٣	١,٧٥	القاف	٠٦٢	١,٨١	القاف	٠٦٣	١,٧٤
١٧	الحاء	٠٥٧	١,٥٨	الحاء	٠٥٠	١,٤٦	الحاء	٠٥٧	١,٥٧
١٨	الجيم	٠٤٦	١,٢٧	الجيم	٠٤٣	١,٢٥	الجيم	٠٤٦	١,٢٧
١٩	الذال	٠٣٥	٠,٩٧	الذال	٠٣٢	٠,٩٣	الذال	٠٣٥	٠,٩٦
٢٠	الصاد	٠٣٢	٠,٨٩	الصاد	٠٢٨	٠,٨٢	الصاد	٠٣٢	٠,٨٨
٢١	الخاء	٠٢٠	٠,٥٥	الشين	٠١٧	٠,٥٠	الشين	٠٢٨	٠,٧٧
٢٢	الثاء	٠١٧	٠,٤٧	الخاء	٠١٣	٠,٣٨	الضاد	٠٢٣	٠,٦٣
٢٣	الطاء	٠١٥	٠,٤١	الثاء	٠١١	٠,٣٢	الخاء	٠٢٠	٠,٥٥
٢٤	الغين	٠١٥	٠,٤١	الزاي	٠٠٩	٠,٢٦	الثاء	٠١٧	٠,٤٧
٢٥	الظاء	٠٠٨	٠,٢٢	الطاء	٠٠٨	٠,٢٣	الزاي	٠١٦	٠,٤٤
٢٦	الزاي	٠٠٠	٠٠٠	الظاء	٠٠٧	٠,٢٠	الطاء	٠١٥	٠,٤١
٢٧	الشين	٠٠٠	٠٠٠	الغين	٠,١٥	٠٠٥	الغين	٠١٢	٠,٠,٣٣

٢٨	الضاد	٠٠٠	٠٠٠	الضاد	٠٠٠	٠٠٠	الظاء	٠٠٨	٠,٢٢
	المجموع	٣٦٠٨	١٠٠%	المجموع	٣٤٣٠	١٠٠%	المجموع	٣٦٢٧	١٠٠%

ب – ائتلاف الحروف وتنافرها في نسج الكلمة العربية:

سبق الأقدمون من علماء العربية إلى دراسة أحكام نسج الكلمة العربية[٢٣]، وذكروا قدرًا متفاوتًا من قوانين اقتران الحروف وتنافرها في الثنائيات، وأرجعوا علة ائتلاف الحروف أو اقترانها أو مزجها إلى تباعد مخارج الحروف، وعلة تنافر الحروف إلى قرب مخارجها[٢٤]، فالأولى تجعل التأليف حسنًا، والثانية تجعله قبيحًا أو ممتنعًا. بيد أن أعلام التعمية لم يقتصروا في مؤلفاتهم على جهود من سبقهم، بل تعمقوا في دراسة القوانين الصوتية واللسانية التي تحكم بناء أو نسج الكلمة العربية، وعُنُوا باستقصائها، على نحوٍ لم نجده عند مَنْ سبقهم، وذلك لأن استخراج المعمّى يتوقف على معرفتها إن كان النص قصيرًا، لا يسمح بدوران الحروف مرات عدة، ولا ينفع في استخراجه استعمال الحيل الكمّيّة القائمة على معرفة دوران الحروف ومراتبها، بل يحتاج إلى معرفة بالحيل الكيفية القائمة على الدراية بالقوانين الصوتية الناظمة لائتلاف الحروف وتنافرها، ولكن استعمال هذه القوانين يكون مجديًا إن كان النصّ المعمّى معروف الفواصل، أي فيه رمز للفراغ بين الكلمات، فإن كان النصّ المعمّى مُدْمَجًا لا فاصل فيه، فلا تكون هذه القوانين مجديةً في الاستخراج، لأن احتمال ورود حرفين متنافرين يكون واردًا في ثنائية حرفها الأول نهاية ثنائية، وحرفها الثاني بداية ثنائية. لذلك كان استخراج التعمية المُدْمَجَة (بلا فاصل) من أصعب أنواع التعمية البسيطة، لأن كثيرًا من منهجيات الاستخراج لا تنفع قبل معرفة الفاصل[٢٥].

ويُعَدُّ الكنديُّ أسبقَ أهل التعمية في ذلك، وأكثرهم استقصاء، فقد شرح في رسالته[٢٦] القواعد الأساسية في تحديد ما يقترن من الحروف وما لا يقترن، فقسم الحروف إلى أصلية (١٦ حرفًا) ومتغيرة زائدة (١٢ حرفًا)؛ ثم يشرح

قوانين التنافر مقصورةً على الحروف الأصلية مع السين من المتغيرة، ويستعرضها حرفًا حرفًا على الترتيب الهجائي، فيذكر مع كل حرف ما لا يقارنه من الحروف، فاجتمع له من حالات التنافر أو قوانينه (٩٤ حالة) ولا نعلم أحدًا سبقه إلى مثل ذلك. وفيما يلي خلاصة لما أورده الكندي في جدول يمثل ما لا يقترن من الحروف لديه[٢٧].

جدول يمثل ما لا يقترن من الحروف عند الكندي

الحرف	الرمز	ما لا يأتلف معه						الثنائيات – عديمة الائتلاف					
س	↔	ث	ذ	ص	ض	ظ		س ث	س ذ	س ص	س ض	س ظ	
								ز ذ	ص ذ	ض ذ	ط ذ	ظ ذ	س ذ
ذ	←	ش	غ					ذ ش	ذ غ				
ز	↔	ص	ظ	س				ز ص	ص ز	ر ط	ظ ز	ز س	س ز
ز	←	ش	ض					ز ش	ز ض				
ز	→	ط						ط ز					
ص	↔	ض	ط	ظ				ص ض	ض ص	ص ط	ط ص	ص ظ	ظ ص
ص	←	ج	ش					ص ج	ص ش				
ص	→	د						د ص					
ض	↔	ط	ظ	ش				ض ط	ط ض	ض ظ	ظ ض	ض ش	ش ض
ض	←	ق						ض ق					
ض	→	د						د ض					
ظ	↔	ط	ج	د				ظ ط	ط ظ	ظ ج	ج ظ	ظ د	د ظ

الحرف	الرمز	ما لا يأتلف معه						الثنائيات– عديمة الائتلاف					
ظ	←	ح	ق	ش	خ			ظ ح	ظ ق	ظ ش	ظ خ		
ج	↔	ط	غ	ق				ج ط	ج غ	ج ق			
								ط ج	غ ج	ق ج			
ح	↔	خ	ع	غ				ح خ	خ ح	ح ع	ع ح	ح غ	غ ح
خ	↔	غ						خ غ	غ خ				
خ	→	ع						خ ع					
د	←	ز	ط					د ز	د ط				
ش	→	س						س ش					
ع	↔	غ						ع غ	غ ع				
غ	→	ق						ق غ					

وجاء ابنُ دنينير (ت٦٢٧هـ) بعد أربعة قرون من الكندي فأفاد من صنيعه، وعقد فصلين في كتابه لأقسام الحروف على اختلاف أوصافها، ولما يأتلف من الحروف وما يتباين، وقسم الحروف إلى أربعة أقسام هي: ما يأتلف بالتقديم والتأخير، وما لا يأتلف لا بالتقديم ولا بالتأخير، وما يأتلف بالتقديم دون التأخير، وما يأتلف بالتأخير دون التقديم. وفصّل في قسمة الحروف إلى أصلية ومتغيرة، ثم أتبع ذلك بإيراد جدول ضمنه أقسام الحروف المتقدمة: ما يقترن وما لا يقترن، والمتغير والأصلي، والمعمل والمهمل[٢٨]. وفيما يلي خلاصة ما أورده ابن دُنَيْنير في كتابه:

جدول يمثل ما لا يأتلف من الحروف لدى ابن دُنَيْنير

س: لا تألف	ث	ذ	ز	ص	ض	ظ	بتقديم ولا تأخير	
ذ: لا تألف	ث	ز	ط	ظ	ص	ض	س	بتقديم ولا تأخير
ز: لا تألف	ث	ذ	ص	ظ	س	بتقديم ولا تأخير		
ص: لا تألف	ث	ذ	ز	ط	ظ	س	ض	بتقديم ولا تأخير
ض: لا تألف	ث	ذ	ص	ط	ظ	س	ش	بتقديم ولا تأخير
ظ: لا تألف	ث	دذ	ز	ط	ص	ض ج	س	بتقديم ولا تأخير
ح: لا تألف	خ	ع	غ					بتقديم ولا تأخير
خ: لا تألف	ح	غ	بتقديم ولا تأخير					
ج: لا تألف	ق	ط	ظ		غ		بتقديم ولا تأخير	
غ: لا تألف	ج	ح	خ		ع		بتقديم ولا تأخير	
ث: لا تألف	ذ	ز	ص	ض	ظ	س	بتقديم ولا تأخير	

وفي القرن الثامن يجيء ابنُ الدُّرَيْهِم (ت٧٦٢هـ) فيحذو حذو الكندي وابن دنينير فيستقصي في مؤلَّفه (مفتاح الكنوز في إيضاح الرموز) إيراد قوانين الاقتران والتنافر بين الثنائيات، فيورد الحروف موزعة على نوعين: ما لا يقارن بعضه بعضًا مطلقًا، يعني لا بتقديم ولا بتأخير، وما لا يقارن غيره من الحروف من جهة دون جهة، يعني بتقديم أو بتأخير. وفيما يلي خلاصة ما أورده ابن الدُّرَيْهِم في مصنفه[٢٩]:

جدول ما لا يقارن غيره من الحروف عند ابن الدُّرَيْهِم

الحرف	الرمز	ما لا يقارنه					الثنائيات الناتجة — عديمة المقارنة					
ث	↔	ذ	ز	س	ص	ض	ث ذ	ث ز	ث س	ث ص	ث ض	
							ذ ث	ز ث	س ث	ص ث	ض ث	
ج	↔	ط	ظ	غ	ق	ك	ج ط	ج ظ	ج غ	ج ق	ج ك	
							ط ج	ظ ج	غ ج	ق ج	ك ج	
د	↔	ظ					د ظ	ظ د				
ذ	↔	ز	ص	ض	ط	ظ	ذ ز	ذ ص	ذ ض	ذ ط	ذ ظ	
							ز ذ	ص ذ	ض ذ	ط ذ	ظ ذ	
ز	↔	س	ص	ض	ط	ظ	زس	زص	زض	زط	زظ	
							س ز	ص ز	ض ز	ط ز	ظ ز	
س	↔	ص	ض	ظ			س ص	ص س	س ض	ض س	س ظ	ظ س
ص	↔	ض	ظ				ص ض	ض ص	ص ظ	ظ ص		
ض	↔	ظ	ش				ض ظ	ظ ض	ض ش	ش ض		
ط	↔	ظ					ط ظ	ظ ط				
ق	↔	غ	ك				ق غ	غ ق	ق ك	ك ق		
ك	↔	خ					ك خ	خ ك				
م	↔	ب	ف				م ب	ب م	م ف	ف م		
هـ	←	ح	ع	غ	خ	أ	هح	هع	هغ	هخ	هأ	

ح	←	ه	ع	غ	خ	أ	حه	حع	حغ	حخ	حأ	
ع	←	ح	غ	خ	أ		عح	عغ	عخ	عأ		
غ	←	ه	ح	ع	خ	أ	غه	غح	غع	غخ	غأ	
خ	←	ه	ح	ع	غ	أ	خه	خح	خع	خغ	خأ	
ث	←	ش					ث ش					
د	←	ز	ص	ط			د ز	دص	د ط			
ذ	←	ج	س	ش	غ		ذج	ذس	ذش	ذ غ		
ش	→	ز	س	ص			ش ز	ش س	ش ص			
ط	←	ك					ط ك					
أ	←	ه	ع	ح	غ	خ	أه	أع	أح	أغ	أخ	

مقارنة بين نتائج إحصائيات التعمية والجذور العربية:

إن ما تقدّم من نتائج إحصائية لاقتران الحروف وتنافرها لدى أعلام التعمية: الكندي وابن دُنَيْنير وابن الدُّرَيْهِم إنما قام على إحصاء دوران الحروف في نصوص من الكلام المستعمل أو المكتوب، بما فيه من مجرّد ومزيد. آية ذلك أنهم أحصوا بأنفسهم دوران الحروف المستعملة في نصوص مختارة بأطوال مختلفة، تقع في بضع أوراق أو بضعة أجلاد، وأنهم قسموا الحروف إلى أصلية لا تُزاد، ومتغيّرة تكون أصلية تارةً وزوائد تارةً أخرى، وهي تتضمن حروف الزيادة (سألتمونيها) إضافةً إلى الكاف والباء والفاء والسين. لكن ثمّة إحصائية أخرى قامت على إحصاء دوران الحروف في الجذور العربية (الأصول المجرّدة) الواردة في خمسة معاجم قديمة، هي: جمهرة اللغة، وتهذيب اللغة، والمحكم، ولسان العرب، والقاموس المحيط[٣٠]. وطبيعي أن تختلف النتائج الإحصائية للجذور على دوران

الحروف ومراتبها، واقتران الثنائيات وتنافرها، عن النتائج الإحصائية لنصوص التعمية التي اعتمدت الكلام المكتوب المستعمل مجرّدًا ومزيدًا، وأهم نتائج المقارنة بين هذين النوعين من الإحصاء اللغوي أن حالات التنافر كثيرة في إحصاء الجذور، لأن الحروف المتنافرة تتسع رقعتها كلّما ضاق تصريف الكلمة، وتجرّدت من الزوائد، في حين تتناقص الحروف المتنافرة كلّما اتّسع تصريف الكلمة، واكتنفتها الزوائد، وأحاطت بها السوابق واللواحق(٣١).

وفيما يلي جدول يتضمّن ما لا يقترن من الحروف في إحصاء الجذور العربية(٣٢):

جدول ما لا يقارن غيره من الحروف في إحصاء الجذور العربية:

الحرف	ما لا يأتلف معه تتابعاً										
ء	←	ء	ع								
ب	←	ف									
ت	←	ظ	ذ	ص	ض	ط					
ث	←	ذ	ز	س	ص	ض	ظ	ش			
ج	←	ت	غ	ق	ظ						
ح	←	ع	غ	هـ	خ						
خ	←	ء	غ	هـ	ح	ك					
د	←	ت	ط	ض	ظ						
ذ	←	ت	ث	ز	س	ش	ص	ض	ظ	د	ط
ر	←	ظ									
ز	←	ث	س	ش	ص	ض	ظ	ذ			
س	←	ث	ز	ش	ص	ض	ظ				
ش	←	ض									

ص	←	ث	س	ش	ض	ظ	ذ	ز			
ض	←	ذ	س	ص	ظ	ت	ث	ش	ق		
ط	←	ت	ذ	ص	ض	ظ					
	←	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ز	س	ش
ظ	←	ص	ض	ط	غ	ق	ك				
ع	←	ء	ح	خ	غ						
غ	←	ء	ح	ج	خ	ع	ك				
ف	←	ب									
ق	←	ج	ك								
ك	←	ط	ق								
م	←	ب	ف								
ه	←	ح	خ	ظ							

٦- الخاتمة

لم تقتصر إسهامات علماء التعمية في تطور اللسانيات العربية على ما تقدّم من عناية بالغة بالدراسات الكمّيّة الإحصائية لدوران الحروف في الكلام المستعمل مجردًا ومزيدًا في نصوص مختارة، ومعرفة مراتبها، وانقسامها إلى ثلاث مجموعات: كثيرة الدوران (ا، ل، م، و، ه، ي، ن)، ومتوسطته (ر، ع، ف، ت، ب، ك، س، ق، ح، ج)، وقليلته (ظ، غ، ط، ز، ث، خ، ض، ش، ص، ذ)، ومن حرصٍ على استقصاء القوانين الصوتية الناظمة لائتلاف الثنائيات وتنافرها اعتمادًا على الإحصاءات السابقة، بل تجاوز الأمر ذلك إلى دراسات لغوية أخرى، هي من تمام عُدّة المُتَرْجِم وصولاً إلى حلّ المعمّى، وقد ذكرها بعض أعلام التعمية كابن عَدْلان وابن الدُّرَيْهِم مثل: الدراية الجيدة باللغة،

وأصول الكتابة، والنحو، والتصاريف، والتراكيب المستعملة في اللغة، والعروض والقوافي، وما يكثر استعماله ويقلّ ويتوسط، من كلمات ثنائية وثلاثية، والفواصل والتمجيدات، وأطوال الكلمات، ومبلغ نهاية المجرد من الأفعال والأسماء، ومنتهى تكرار الحرف الواحد في الكلمة الواحدة، وفي الكلام المتصل.

ولعلّ خير مثال لما تقدّم ما نجده في رسالة ابن الدُّرَيْهِم (مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز) التي اشتملت على بيان عُدَّة المُتَرْجِم (معرفة اللغة التي يروم حلّها، وقواعدها الصرفية، وتواتر حروفها، ورسمها من حيث الفصل والوصل، وعددها، والألفبائيات والأبجديات). وبعد أن فصّل في ضروب التعمية أورد مقدّمة صرفية على غاية من الأهمية[٣٣]، دلّت على تمكّنه من ناصية اللغة، ومعرفته بأسرارها، فقد تحدّث بإسهاب عن:

أ — **أطوال الكلمات**: فأقلّها يكون على حرف واحد، مثل (فِ: أمر من المعتل اللفيف المفروق)، وأكثرها ينتهي إلى (١٤) حرفًا، مثل: (أَفَلَمُسْتَنْزَهاتِكُما أَعْدَدْتُماها)، وأن نهاية الأسماء قبل الزيادة خمسة أحرف، ونهاية الأفعال قبل الزيادة أربعة أحرف، وأنه ليس في كلام العرب كلمة رباعية الأصل أو خماسيته ليس فيها حرف من حروف الذّلاقة (ل، ن، ر) أو الحروف الشفوية (ف، ب، م)، وأنه ليس في القرآن كلمة خماسية الأصل سوى الأعلام الأعجمية، مثل (إبراهيم).

ب — **مبلغ تكرار الحرف الواحد**: إذ لا يمكن أن يتكرر حرف واحد في كلمة واحدة أكثر من خمس مرات، مثل: (ما رأينا كُكَكًا كَكُكَكِكَ)، والكُكَك: جمع كُكَّة مثل: عُكَّة وعُكَك، وهي المركب الكبير. الأول للتشبيه، والآخِر للخطاب[٣٤]. وأما تكرار الحرف في الكلام المتصل فيبلغ تسع مرات، مثل:

لا تُــــــــــــرَدِّدْ دَدُ دَدْ   دَدُ دَعْــــنِي مِـــنْ فَــــنَدْ

دَدُ: الأول اللعب، والثانية موضع، والثالثة اسم رجل منادى).

ج — **اقتران الحروف وتنافرها**: وقدمضى الحديث عنه مفصلاً مع جداوله التي تضمنت ما لا يقارن غيره من الحروف لدى كُلٍّ من: الكندي، وابن دُنَيْنير،

وابن الدُّرَيْهِم، بما يغني عن إعادته هنا.

وقد ظهر مما مضى إسهامات أعلام التعمية في إغناء الدراسات اللغوية أو اللسانية العربية وتطورها بعامة، وفي الدراسات الكمّيّة الإحصائية للكلام المستعمل، والدراسات الصوتية للقوانين الناظمة لائتلاف الثنائيات وتنافرها بخاصة.

الحواشي

(١) تفصيل ذلك وبيانه في كتاب علم التعمية ١/ ٥٦ – ٨٧.

(٢) انظر كتاب علم التعمية ١/ ٤٩ – ٥٤.

(٣) علم التعمية ١/ ٢٧٠– ٢٧١.

(٤) علم التعمية ٢/ ٢٣٤.

(٥) علم التعمية ٢/ ٢٦٧.

(٦) علم التعمية ٢/ ٣٣٧.

(٧) علم التعمية ١/ ٣٢٢.

(٨) علم التعمية ١/ ٢١٥– ٢١٩.

(٩) علم التعمية ٢/ ٦٨– ٧١.

(١٠) علم التعمية ١/ ٢١٥– ٢١٩.

(١١) علم التعمية ٢/ ٢٩٥– ٣٠٠.

(١٢) علم التعمية ٢/ ١١٧– ١١٩.

(١٣) علم التعمية ٢/ ٢٦٧– ٢٩٠.

(١٤) علم التعمية ٢/ ٢٩٣– ٣٢١.

(١٥) علم التعمية ٢/ ٣٣٦– ٣٥٥.

(١٦) علم التعمية ٢/ ٣٨١– ٣٩٠.

(١٧) هذا الموضوع كبير، صُنِّفَت فيه كثير من المؤلفات، مازال أكثرها مخطوطًا، وللاطلاع على نتائج مثل تلك الإحصائيات يُنظر كتاب (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) ١/ ٥٥٨- ٥٥٦.

(١٨) انظر: معجم العين ١/ ٥٣ وما بعدها، وجمهرة اللغة ٣/ ٥١٣، والمزهر ١/ ٧٣- ٧٦، ورسالة الاشتقاق لأبي بكر بن السراج ص ٤٢- ٤٣ والخصائص ١/ ٥٥، وأطروحة: المعجم العربي دراسة إحصائية لدوران الحروف في الجذور العربية ص ٣٦- ٤٧. وثمّة إحصائية للأفعال العربية بالمشاركة: أ. مروان البواب، ود. محمد مراياتي، ود. يحيى ميرعلم، ود. محمد حسان الطيان، صدرت في مكتبة المعاجم بلبنان ١٩٩٦، وكذلك هناك ثلاث دراسات إحصائية للجذور في المعاجم: الصحاح، ولسان العرب، وتاج العروس، للدكتور علي حلمي موسى، والثالث منها بالاشتراك مع د. عبد الصبور شاهين، صدرت ضمن منشورات جامعة الكويت.

(١٩) علم التعمية ١/ ٢٣٥- ٢٣٦.

(٢٠) علم التعمية ١/ ٢٣٥- ٢٣٦. وفيه تصحيح لما وقع في المخطوط من أخطاء إحصائية.

(٢١) علم التعمية ٢/ ٢٤٠- ٢٤١.

(٢٢) علم التعمية ١/ ٢٧٤- ٢٧٥.

(٢٣) مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والجاحظ وابن السراج وابن دُرَيْد والأزهري والفارابي وابن جني وابن فارس والجواليقي والشهاب الخفاجي والقلقشندي وغيرهم من المعجميين والبلاغيين. انظر تفصيل ذلك وتوثيقه وتحليله في أطروحة (تنافر الحروف ودورانها في نسج الكلمة العربية) د. محمد حسان الطيان، جامعة دمشق ١٩٨٣. وقد اعتمدت في مقارنتها بين نتائج القديم والحديث على أطروحة (المعجم العربي: دراسة إحصائية لدوران الحروف في الجذور العربية) د. يحيى مير علم، جامعة دمشق ١٩٨٣.

(٢٤) أقدم مَنْ نصّ على ذلك ابنُ السراج في رسالة الاشتقاق ص ٣٤.

(٢٥) كتاب علم التعمية ٢/ ١٥٧.

(٢٦) علم التعمية ١/ ٢٣٨- ٢٥٤.

(٢٧) علم التعمية ١/ ١٣٦.

(٢٨) علم التعمية ٢/ ٢٤٢.

(٢٩) علم التعمية ١/ ١٩١.

(٣٠) نتائج هذه الدراسة الإحصائية وجداولها وتحليلها في أطروحة (المعجم العربي: دراسة إحصائية لدوران الحروف في الجذور العربية) د. يحيى مير علم، جامعة دمشق ١٩٨٣.

(٣١) تفصيل ذلك وأمثلته في كتاب علم التعمية ٢/ ١٥٣- ١٥٤.

(٣٢) المعجم العربي: دراسة إحصائية ص ٢٠٥، وكتاب علم التعمية ٢/ ١٥١.

(٣٣) كتاب التعمية ١/ ٣٤١- ٣٤٣.

(٣٤) ليست في المعاجم، ولعلها من العاميات. ومثال ابن الدريهم في أبيات للمفشراني، وهو زجّال مصري، يقول فيها:

يـــا ســـابحًا في بُـــرَكِكْ وصـــائدًا في شَـــبَكِكْ

لا تَحْقِـــرَنَّ كُكَكَـــيْ فَكُكَكَـــيْ كَكُكَكِـــكْ

من بحث (ابن الدريهم وجهوده في علم التعمية) للدكتور محمد حسان الطيان.

* * *

المصادر والمراجع

- إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي، أ. مروان البواب، د. محمد مراياتي، د. يحيى ميرعلم، د. محمد حسان الطيان، مكتبة لبنان، بيروت، ط. أولى، ١٩٩٦.
- إحصائيات جذور لسان العرب، د. علي حلمي موسى، جامعة الكويت، ١٩٧٢.
- البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن وهب الكاتب، تحقيق د. حفني محمد شرف، مكتبة الشباب القاهرة ١٩٦٩.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزابادي تحقيق محمد علي النجار، القاهرة ١٣٨٣هـ.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.
- جمهرة اللغة، ابن دريد، دار صادر، بيروت، مصورة عن الطبعة الهندية، ١٣٥١هـ.
- الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، مصورة دار الكتب المصرية، دار الهدى، بيروت، ط. ثانية.
- دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس، د. علي حلمي موسى ود. عبد الصبور شاهين، جامعة الكويت، ١٩٧٣.
- دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس، د. علي حلمي موسى، جامعة الكويت، ١٩٧٣.
- رسالة الاشتقاق، ابن السراج، تحقيق محمد علي درويش ومصطفى الحدري، مجلة الثقافة بدمشق ١٩٧٣.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣.
- طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٣.
- علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، الجزء الأول، د. محمد مراياتي، محمد حسان الطيان، يحيى ميرعلم، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٧.

- علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، الجزء الثاني، د. محمد مراياتي، د. يحيى ميرعلم، د. محمد حسان الطيان، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٩٧.
- الفهرست، محمد بن النديم، مطبعة الاستقامة، القاهرة.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، ط. أولى، ١٤٠٥هـ.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المعجم العربي: دراسة إحصائية صوتية مخبرية، محمد حسان الطيان، أطروحة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٨٤.
- المعجم العربي: دراسة إحصائية لدوران الحروف في الجذور العربية: يحيى ميرعلم، أطروحة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٨٣.
- المعرب من الكلام الأعجمي، الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب، ط. ثانية، القاهرة ١٩٦٩.
- نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا، رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، ط. أولى، ١٩٨٠.

المتنبي ومشكلة السّرقات الشّعرية

(دراسة في نقد المؤلفات التي تناولت سرقات المتنبي)

د. أحمد علي محمد

المقدمة

(١)

١-١: لم يمضِ المتنبي في التعبير عن ذاته شعريًا على سُنن مَنْ سلف من أصحاب البيان وأرباب القصيد، إذ هو لم يتحلَ أصلاً بأدبياتهم ويتبعْ أساليبهم في التواضع، بل كان يرى في نفسه من الكبر والعلو ما يجعله يتسامى على كثير من الناس بمن فيهم الملوك الوزراء والسادة في عصره، وقد روت كتب الأدب أخبارًا كثيرة تدل على أنه انفرد من بين صُنّاع الأدب بالمغالاة الشديدة، والتطرف الحاد، والتعالي الذي لا يتناهى، معتزًا بنفسه، ومعتزًا بأقواله، وقد قَبل جمهورٌ من الناس ذلك منه، معترفين له بالتفرد، غاضين الطرف عمّا كان يصدر عنه من سلوك غير محمود، غير أنّ طائفة أخرى لم ترَ في أدبه ما يسوّغ له ذلك التطاول أو تلك المغالاة، وليس ذلك فحسب، بل إنّ كثيرًا منهم لم يجد فيما تركه من شعر سوى صورة معادة مكرورة، لا تستوجب كلّ ذلك الرنين الذي كان يحوط شخصه وشعره في آن. من هنا انقسم الناس إزاء شخصية المتنبي وشعره قسمين: الأول يؤيد مذهبه في الشعر ويُعجب بشخصه ينافح عنه، ويرفع من مكانته، ويعدّه أبًا للشعر العربي بما أتى به من المعاني الدقاق والفِكَر الفريدة، والآخر يستنكر ما جاء به ويستثقل ما كان يدعيه، فأحصيت من قِبل نفر منهم أخطاؤه،

وكُشف عَوارهُ، وأُبرزت سقطاتُهُ، وقيدتْ هفواتُه، وتُتبعت سرقاته، ونُقدتْ معانيه، ولغتُه وأسلوبُه وصورُهُ، وعِيب عليه بعض فواتح أشعاره ومقاطعها، ولم يُتركْ له شيء يدعوه إلى التفاخر والتعالي والتفرد، وبذلك جُرِّد عندهم من كلِّ فضيلة.

وعلى هذا النحو بدت شخصية أبي الطيب بين طرفي نقيض، فهو إلى يوم الناس هذا إما أبرز شعراء العربية، وإما مريض مدَّع ليس في شعره ما يوازي ما استوطن ذاته من الغلو والتعالي. وفي هذا البحث أردنا تسليط الضوء على ناحية محددة تتمثل بالوقوف عند ظاهرة السرقات في شعره، بعدما أحصينا عددًا من المؤلفات النقدية التي وجدت في هذا الباب طعنًا على المتنبي وتهوينًا من شأنه، وقد آثرنا طرح تساؤل فحواه: لماذا كان موضوع السرقات بالذات مثار اهتمام خصوم المتنبي؟ وكان من المناسب أن نُمعن النظر ونحن نلتمس إجابة عن هذا السؤال، في الدوافع التي كمنت وراء تأليف أهم الكتب النقدية في سرقات المتنبي كرسالة الصاحب بن عباد (ت نحو ٣٨٥هـ) في «الكشف عن مساوئ المتنبي»، و«الرسالة الموضحة في سرقات المتنبي» للحاتمي (ت نحو ٣٨٨هـ)، و«كتاب المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات المتنبي» لابن وكيع (ت٣٩٣هـ)، و«الإبانة عن سرقات المتنبي» للعميدي (ت٤٣٣هـ)، ثم النظر ثانية في إجراءات النقد التطبيقي في هذه المؤلفات، ومدى مطابقته للمنهج الذي رسمه أصحابه، وبعد ذلك ملاحظة مدى تقيُّد ذلك النقد بمصطلح السرقات، وفي الختام مقابلة ما انتهى إليه هؤلاء النقاد من آراء حول المتنبي وشعره، بآراء من كانوا من مؤيدي مذهبه أو من كانوا معتدلين على الأقل كالبديعي صاحب

«الصبح المنبي عن حيثية المتنبي»، والثعالبي صاحب كتاب «المتنبي ما له وما عليه» وغيرهما، والهدف من كل ذلك هو محاولة تقييد نتيجة في هذا البحث تدور حول حقيقة ما اتهم به المتنبي في موضوع السرقة؛ هذا من جهة، ومن جهة ثانية إبراز الدوافع التي استحكمت في رسم الجانب السلبي لشخصيته في النقد القديم، في محاولة لإعادة فهمه، أو تفهُّم الأسباب التي جعلت شخصيته إشكالية إلى هذا الحد.

٢- ١: السرقات

كان موضوع السرقات من أخطر المسائل التي خاض فيها النقد الأدبي القديم، لما لهذا الموضوع من مزالق والتواءات وملابسات وعوالق يتعذر حصرها وتبيان حدودها، والفصل فيها على نحو يكشف عن جوانب ذلك الموضوع بعيدًا عن التحامل والمواقف الشخصية والأحكام التأثيرية. ولا عجب بعد ذلك أن يكون هذا الميدان مقصورًا على جهابذة العلم وكبار نقدة الكلام، من أجل ذلك قال الجرجاني: «ولستَ تُعَدُّ من جهابذة الكلام ونقاد الشِّعر، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علمًا برتبه ومنازله، فتفصلَ بين السَّرق والغصب، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة، وتفرِّق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السَّرق فيه، والمبتذل الذي ليس واحد أولى به من الآخر، وبين المختص الذي حازه المبتدئ، فملَكه واجتباه السابق فاقتطعه»[1].

وتتبدى خطورة ذلك الموضوع من جراء جعله بابًا للقدح والذم والنيل من الخصوم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن السرقة بحد ذاتها نقيصة تُلغي التفرد والإبداع، لهذا حاول العلماء تقييد جوانبها وحصرها في

حدود لم تخفَ عن أهل العلم، إضافة لذلك فقد ميَّزوا بين طرفين للسرقة: أحدهما يكون مذمومًا، والآخر محمودًا، وقد انتبه القدماء في موضوع السرقات إلى مسألة مهمة لخَّصُوها بقولهم: إنَّ «اتِّكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل»[٢].

وهذا معناه أن تقرِّي معاني المتقدمين وتنخُّلها والإفادة منها والإضافة إليها من صناعة الشاعر، كما أنَّ تمييز المعاني وتبيان جيدها من فاسدها وشريفها من مبتذلها، والحكم بالفضل للسابق إليها، والإقرار بالإحسان لمن ولد منها وأضاف إليها من صناعة الناقد. فالمعاني كما يرى نقدةُ الكلام لا تكون في رتبة واحدة، كما أنَّ سرقة مخترعها وفريده! لا يوازي أخذ ساقطها ومبتذلها. لأنَّ الفريد غير متاح لجميع الشعراء، في حين أنَّ المبتذل مطروحٌ في الطريق يتجاذبه القاصي والداني، يقول ابن رشيق: «والسَّرق إنَّما يكون في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر، لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم، ومستعملة في محاوراتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يُقال إنه أخذه من غيره»[٣].

لقد حدَّد المتقدمون مفهوم السرقات، وبيَّنوا الجوانب التي تستوجب اعتبار الشاعر سارقًا، وميَّزوا المعاني المعدودة في باب السَّرق من المعاني المشتركة الجارية في طباع الناس، وأظهروا الفوارق بين السرقة المذمومة والمحمودة، ومع ذلك فقد بقي باب السرقات عند كثير من القدماء مجالاً للذم وسبيلاً لإذكاء نار الخصومة، ولعل المعركة النقدية التي دارت حول المتنبي وشعره لا تبعد عن هذا الجانب، إذ نجد ابن رشيق وهو يعرض موضوع السرقات في كتابه «العمدة» يهاجم ناقدَين تتبعا سرقات المتنبي، ولم يكن في

واقع الحال مدافعًا عنه، غير أنّ موضوع السرقات الذي كان يعالجه استدعى ذكر من تعسف في هذا الموضوع فكان من أقرب الأمثلة لذلك الحاتمي الذي قال فيه: «وقد أتى الحاتمي بألقاب محدثة تدبرها ليس لها محصول إذا حُققت...»[٤]، وابن وكيع الذي ذكره بقوله: «وأما ابن وكيع فقد قدّم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح معها لأحد شعر...»[٥].

٣-١ المتنبي والسرقات

يبدو لقارئ شعر المتنبي أنّ ثمة معنى متكررًا لديه يُولّد عنده الشعور بالتميز وهو المعنى الفريد أو البديع المبتكر الذي اهتدى إليه وعبّر عنه بصورة مختلفة عن سائر الشعراء، ولعلّ قوله في أبي العشائر الحسين بن علي يبين طرفًا من الشعور الذي نشأ في الأصل عن قدرة نادرة في النظم يقول(٦):

شاعرُ المجدِ خِدْنُهُ شاعرُ اللّفظِ كلانا رَبُّ المعاني الدِّقاق

إن المتنبي في هذا الشاهد يرى أنّ الفعل العبقري الفريد إنما يتجلى في لحظة شعرية في الأساس، لأنّ الشعر عنده هو أداة الإبداع ولسان العبقرية، ولا عجب بَعد ذلك أن يجعل صانع الأمجاد وهو الممدوح شاعرًا شبيهًا بشاعر اللفظ يعني نفسه، فكلاهما يبدع ويبتكر وينفرد عما سواه، وهذا هو في الأصل محور شخصيته ومدار إحساسه بالعظمة، وإشارته في عجز البيت المذكور آنفًا إلى أنه رَبُّ المعاني الدّقاق يؤكد تلك النزعة عنده. وفي شاهد آخر يقول[٧]:

إنَّ هذا الشِّعرَ في الشّعر مَلكْ سار فهو الشّمسُ والدُّنيا فلكْ

عَدلَ الرحمنُ فيه بيننا فقضى باللفظِ لي والحمد لك

فإذا مرَّ بأذنْي حاسدٍ صار مِمّن كان حيًّا فهلَكْ

وهنا تتجلى شدة اعتزازه بشعره أيضًا، حيث يُصوِّر في البيت الأخير أنّ حساده من الشعراء، وحساد ممدوحه من الرؤساء يموتون من غيظهم حالما يسمعون هذا الشعر، لأنه حاز فيه فضل الاختراع والسبق في معانٍ لم يستطع غيره من الشعراء تدبيجها في المديح.

وهذان الشاهدان وغيرهما من الشواهد الأخرى في هذا الباب تُفضي إلى حقيقة واحدة وهي أنّ إحساسه بالتفرد قد بلغ درجة جعلته يشعر بالعظمة، وليس عجيبًا أن يحاول خصومه من النقاد تجريده من هذه الصفة وذلك بإظهار تلك المعاني مسروقة أو مستوحاة من أشعار سابقيه ومعاصريه، وكان على رأس هؤلاء من معاصريه في القرن الرابع الهجري الصاحب بن عباد، والحاتمي، وابن وكيع، وأما العميدي فمن نقاد القرن الخامس الذين أعادوا النظر في المتنبي وشعره في ضوء قضية السرقات ليظهر للناس حقيقة أبي الطيب الذي كان الشغل الشاغل للأدباء ومحبي الشعر في ذلك العصر.

(٢)

١- ٢: الصاحب بن عباد، ورسالته (الكشف عن مساوئ المتنبي)

ألّف الصاحب بن عباد رسالته الموسومة بـ «الكشف عن مساوئ المتنبي»، محاولاً حصر تلك المساوئ بسرقاته الشعرية، وهي رسالة موجزة، ذكر في فاتحتها أنه ينتوي ذكر بعض شعر أبي الطيب الساقط فقال: «والآن أعود إلى ذكر المتنبي فأُخرج بعض الأبيات التي يستوي الريض والمرتاض في المعرفة بسقوطها دون المواضع التي تَخفى على كثير من الناس لغموضها»[٨].

والواقع أنّ الصاحب في هذا التقديم مع أنّ كلامه يشي بشيء من نقد المعاني، على اعتباره حدَّد وجهة الرسالة باستخلاص أبيات من شعر

المتنبي قال بأنها ساقطة مرذولة، فإنه انعطف إلى موضوع السّرق محددًا جهة العيب فيه، مما يشير إلى أنه قصد بالمعاني الساقطة التي تتبعها عند المتنبي بالمسروقة فذكر: «فأما السرقة فما يُعاب بها لاتفاق شعر الجاهلية والإسلام عليها، ولكن يُعاب إن كان يأخذ من الشعراء المحدثين كالبحتري وغيره جُلّ المعاني، ثم يقول لا أعرفهم و لم أسمع بهم، ثم يُنشد أشعارهم، فيقول هذا شعر عليه أثر التوليد، ولا عجب فهذا الصولي كان كثير الرواية حَسَنَ الأدب، إلا أنّه ساقطُ الشِّعر، يقول في كتاب الخلفاء وقد حشاه بشعره: إنّما أثبت شعري ليعلم الناس أنّ في زمانهم مَن إنْ لم يسبق البحتري انتصف منه، وليس في الإعجاب بالنفس غاية، وكان بعض الناس يقول إنّي أجاري البحتري وأناويه وأناقضه وأساويه»[٩].

وظاهر كلام الصاحب هنا يشي بأن الشعراء أغاروا على شعر البحتري وهو من المحدثين، وهنا يكمن العيب في السّرق، أما إذا نظر المحدثون في أشعار من تقدمهم من شعراء الجاهلية والإسلام وأفادوا منها فإنّ ذلك ليس بعيب، لأنّ معانيهم أضحت بعامل التقادم والاحتذاء كثيرة الدوران على الألسنة، غير أنّ هذا الكلام غير لصيق بالمتنبي؛ لأنّ الصاحب في عموم رسالته لم يثبت أنّ المتنبي أخذ عن البحتري، وليس ذلك فحسب بل نراه يَقصر كلامه على عيوب المتنبي بانتقاد بعض معانيه، إذ افتتح نقده التطبيقي بقوله: «وأول حديث المتنبي أن لا دليل أدل على تفاوت الطبع من جمع الإحسان والإساءة في بيت كقوله[١٠]:

بَليتُ بلى الأطْلالِ إنْ لَمْ أقِفْ بِهَا وُقُوفَ لئيمٍ ضاعَ في التُربِ خاتِمُهْ

ويأخذ الصاحب على المتنبي هنا أنه طبق المصراع الثاني للبيت، وهو

عنده في نهاية الرداءة، على الصدر وهو في غاية الاستقامة والإحسان، وهذا ما عبّر عنه بقوله: «فهذا كلام مستقيم لو لم يعقبه بقوله: وقوف لئيم ضاع في الترب خاتمه، فإنّ الكلام إذا استشف جيده ووسطه ورديئه كان من أرذل ما يقع لصبيان الشعراء وولدان الأدباء»[١١]، ووجه الإساءة في رأي الصاحب أنّ المتنبي جمع الرداءة إلى الإحسان في قوله «وقوف لئيم، فهذا لا يستقيم مع الوفاء الذي أظهره للأطلال، غير أنّ جهة الاعتراض في كلام الصاحب تنتفي مع اختلاف رواية البيت، ولعله من الطريف أنّ الحاتمي وهو من خصوم المتنبي كان قد سأله عن البيت فقال: «فأخبرني عن قولك:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

كيف قلته أشحيح أم شجيج؟ فقال: أنا قلته بحاء لا غير، وهذا معنى اخترعته»[١٢].

إذن كلام الصاحب لا معنى له مع اختلاف الرواية، خصوصًا أنّ الحاتمي كما يذكر المؤرخون التقى المتنبي على نحو ما سنراه في كلامنا على رسالته الموضحة. هذا أمر وأمر آخر يمكن أن نشير إليه وهو أنّ الشعر الساقط عند الصاحب هو المسروق، وقد غفل عن تبيان وجه السرقة في البيت، وعلى ذلك لم يفِ بمنهجه في تتبع سرقات المتنبي، ليغدو انتقاده في آخر الأمر غير مسوَّغ، فهو من جهة ينبيه على رواية غير صحيحة، ومن جهة ثانية يُغفل جهة السرقة أو العيب فيه، وأما التفاوت بين الجيد والرديء فإنّ ذلك يشمل شعر المتنبي كما يشمل أشعار غيره، ومحال أن يجمع الشاعر في نتاجه الحسن دون الرديء، والمتنبي معروف عند النقاد بهذه الصفة حتى قيل: «وكان أبو الطيب شاعرًا مشهورًا مذكورًا محظوظًا من الملوك والكبراء،

والجيد من شعره لا يُجارى فيه ولا يُلحق، والرديء منه في نهاية الرداءة والسقوط»[١٣]. وشاهد آخر يدل على أنّ الصاحب لم يستطع ضبط السرقات عند المتنبي فانعطف إلى نقد معانيه، مع أنّ غاية رسالته تدور حول نفي المعاني المخترعة في شعره حيث يقول: «ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل على فساد الحس وعلى سوء أدب النفس، وما ظنك بمن يخاطب ملكًا في أمه ثم يقول (رواق العز فوقك مسبطر) ولعل لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الصفيق... يظن المتعصبون له أنّها من شعره بمثابة ﴿وَقِيلَ يا أَرضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [هود:٤٤] من القرآن، وفيها يقول:

وَهَـــذا أوّلُ النَّاعِـــينَ طُـــرًّا لأوّلِ ميـــتةٍ في ذا الجَـــلالِ

ومن سمع الشعر عرف تردده في انتهاك الستر لما أبدع في هذه المرثية قال:

صـــلاةُ الله خالقِـــنَا حَـــنُوطٌ عـــلى الوجْـــهِ المكفَّـــن بالجَمالِ

وقال بعض من يغلو فيه هذه استعارة، فقلت صدقت ولكنها استعارة حداد في عرس»[١٤].

ومن الواضح أنّ الصاحب في نقده هذا متحامل على المتنبي، إذ لم يُبصر في شعره سوى العيب والنقص، وهو لم يضف في هذا الباب شيئًا إلى ما قاله النقاد في هذه القصيدة التي تأملها الأدباء فأشاروا إلى عيوبها ومحاسنها، ولعل الثعالبي قد صح له النظر فيها فأشار إلى عيوبها دون أن يغفل عن محاسن أبي الطيب ومعانيه الفريدة التي انطوى عليها معظم شعره[١٥].

فالصاحب كان يطمع بمديح المتنبي، مثلما حظي عضد الدولة ووزيره ابن العميد بمديحه، غير أنّ المتنبي كما قال المتقدمون: «أبى الانحطاط إلى الكَتَبَة»[١٦]، إذ كان الصاحب كاتبًا يومذاك لابن العميد، يقول ياقوت:

«إنّ الصاحب إسماعيل بن عباد قال بأصبهان، وهو يومئذ على الإنشاء، بلغني أنّ هذا الرجل، يعني المتنبي قد نزل بأرجان متوجهًا إلى ابن العميد، ولكن إنْ جاءني خرجت إليه من جميع ما أملكه، وكان جميع ما يملكه لا يبلغ ثلاثمئة درهم... وبلغ ذلك المتنبي فلم يعرج عليه ولا التفت إليه، فحقد عليه الصاحب حتى حمله على إظهار عيوبه في كتاب ألّفه لم يصنع فيه شيئًا؛ لأنه أخذ عليه مواضع تحمَّل فيها عليه»[١٧].

ولعله من الطريف أن يكون ابن عباد من أكثر أصحاب النثر سرقة لمعاني المتنبي فيما يندرج تحت إطار نثر المنظوم، وكان الثعالبي قد تتبع ما أخذه الصاحب بن عباد من شعر المتنبي ونثره في رسائله، وفي ختام ما عرضه الثعالبي مما أخذه الصاحب من المتنبي يقول: «هذا غيض من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبي، وتمثّل به من شعره، ولو ذكرت نظائره لامتد نَفَس هذا الباب»[١٨].

٢-٢: الحاتمي ورسالته الموضحة في سرقات المتنبي

أنشأ الحاتمي رسالته في سرقات المتنبي بعد عودته من مصر، إذ أشار في مقدمته إلى ذلك بقوله: «ولما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفًا من مصر، ومتعرضًا للوزير أبي محمد المهلبي للتخيم عليه والمقام لديه: التحف رداء الكبر، وأذال ذيول التيه، وصعَّر للعراقيين خده، وأرهف للخصام حده...»[١٩]، ومن الملاحظ أنّ الحاتمي قد تصرَّف في خبر قدوم المتنبي إلى بغداد، إذ انفرد بالإشارة إلى تخييمه ومقامه لدى الوزير المهلبي، والواقعة كما ذكرها البديعي تختلف عما أوردها الحاتمي، إذ المتنبي لّما عاد إلى بغداد نزل بدار علي بن حمزة البصري اللغوي، وقد زاره الوزير المهلبي فيها، وكان معه

الأصفهاني صاحب الأغاني، وكان يتطلّع إلى أن يمدحه غير أنه أبى[٢٠]، ويؤكّد صاحب بغية الطلب ذلك بقوله: «لّما ورد أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي بغدادَ متوجهًا إلى حضرة الملك عضد الدولة بفارس، أعدّ له أبو محمد (المهلبي) عشرة آلاف درهم وثيابًا كثيرة وفرسًا بمركب ليعطيه ذلك عند مديحه له، فأخّر المتنبي من ذاك ما كان متوقعًا منه، وحضر مجلس أبي محمد للسلام عليه فغاظ أبا محمد فعله...»[٢١]، فعبارة «وحضر مجلس أبي محمد للسلام عليه» يعني أنه لم يكن يقيم عنده. وهذا ما يؤكّد تزيد الحاتمي فيما أورده في خبره المذكور آنفًا، إضافة إلى مخالفة ما أورده المنطق، فكيف ينحاز المتنبي إلى المهلبي، ويخيم عليه ويقيم لديه ثم يترفع عن مديحه؟

لقد أنشأ الحاتمي رسالته بعد أن قابل المتنبي، فجهة الخطاب في الرسالة تُشير إلى ذلك بوضوح، وقد ذكر ذلك غير واحد من الأدباء فقال القفطي: «وله (الحاتمي) اجتماع مع المتنبي لما قدم إلى بغداد، ومؤاخذات آخذه بها وصنَّف ذلك في كتاب...»[٢٢]، وقال الصفدي: «وله الرسالة الحاتمية التي شرح فيها مادار بينه وبين المتنبي لما قَدم بغداد»[٢٣].

حدَّد الحاتمي منهجه في رسالته الموضحة بقوله: «نهدت له متبعًا عَواره، ومقلمًا أظفاره، ومذيعًا أسراره، وناشرًا مطاويه، ومنتقدًا من نظمه ما تشمّخ به، ومنتحيًا أن تجمعنا دار يشار إلى ربها فأجري أنا وهو في مضمار يعرف السابق من المسبوق واللاحق من المقصر عن اللحوق»[٢٤].

وينبغي أن نلاحظ أن الحاتمي كان قد سعى إلى مقابلة المتنبي في دار ليُظهر عيوبه وسقطاته على مرأى الناس ومسمعهم، كما ذكر آنفًا «منتحيًا أن تجمعنا دار»، وبالفعل بُنيت الرسالة على أساس من المواجهة الصريحة بين

الحاتمي والمتنبي، غير أنّ ما جاءت به الرسالة يبعث على الشك، إذ لا نتصور أنّ رجلاً قد امتلأ صدره حقدًا على المتنبي تُتاح له الظروف لمناظرته بصورة لم يقبلها المتنبي من الملوك والأمراء، ودليل ذلك ما أورده الثعالبي حول ملاحظات سيف الدولة على بعض شعره[٢٥]، وكان المتنبي لا يرضى أن يسمع لومة لائم فيما يقول، كما كان يأنف أن يرد على السائلين، ولم يتسنَ لكثير من الأدباء مقابلته أو حتى سماع شعره منه، فقد حدَّث أبو مسلم الفَرضي قال: «لما ورد المتنبي بغداد سكن في ربض حُميد فمضيت إلى الموضع الذي نزل فيه لأسمع منه شيئًا من شعره فلم أصادفه، فجلست أنتظره وأبطأ علي فانصرفت من غير أن ألقاه»[٢٦]، وهنا يحسُن التساؤل كيف اتسع صدره للحاتمي إذن؟

وقف الحاتمي في رسالته عند مرثية أبي الطيب لأم سيف الدولة، فقال له: «فأخبرني عن قولك في مرثية أم سيف الدولة:

ولا مَـــنْ في جَـــنازتها تِجَـــارٌ   يكـــونُ وداعُهـــا نَفْـــضَ النِّعالِ

أهكذا يؤبّن مثلها، وقد كانت بلقيس عصرها... فقال: ألستُ القائل في هذه الكلمة:

مشـــى الأمـــراءُ حَوْلَـــيها حُفَاةً   كـــأنَّ المَـــرْوَ مـــن زِفِّ الرِّئالِ

وأبـــرَزَتِ الخُـــدورُ مخـــبآتٍ   يضـــعن الـــنِّقسَ أمكـــنة الغوالي

أتـــتهنَّ المصـــيبةُ غـــافلاتٍ   فدمـــعُ الحُـــزن في دمـــعِ الدَّلال

فقلت: البيت الأول من قول الصنوبري:

نؤوم الضحى أهب القنافذ عنده   إذا مـــا عراه النوم أهب الثعالب

أو من قول ابن الرومي:

لو أنّها استقلت على حسك الفنك تحـــت الـــزباة وجدتـــهُ كالفنك

وعلى ذلك فمن الواجب ألا تدفع عن إحسان انتظمه شعرك، ولا عن معنى نكد طوّح به في البلاد فكرك، ولكنك تحسن في البيت من القصيدة، ثم تشفع ذلك بالأبيات السخيفة لفظًا ومعنى»[٢٧].

وما يلفت النظر هنا أنّ الحاتمي يخاطب المتنبي خطاب السيد للمسود، والقاضي للمتهم، ومن عجب أنّ المتنبي سرعان ما ينصاع لما يقول، ويسلّم بما يتهمه به، ففي صدر الشاهد يعنف الحاتمي أبا الطيب إلى درجة التوبيخ في قوله «أهكذا يؤبن مثلها»، ولم يملك المتنبي ردًا سوى أنه يذكر أبياتًا من القصيدة كأنّما يريد أن تشفع له عند الحاتمي، الذي لا يلبث أن يوجّه له صفعة أقوى من السابقة حين بيّن أن ما يدعيه من معنى مخترع هو مسروق من قول الصنوبري أو ابن الرومي. وفي نهاية هذه المقابلة يوجه الحاتمي للمتنبي ملاحظات هي أشبه بملاحظات الأستاذ إلى تلميذ مقصِّر من تلامذته، مشيرًا إلى ضرورة تخليه عن اغتراره بشعره، إذ ليس له بميزان نقد الحاتمي سوى البيت الجيد الذي يُساق ضمن جملة من الأبيات الرديئة السخيفة.

وبغض النظر عما لاحظه الحاتمي من وجوه الشبه بين شعر المتنبي المذكور آنفًا وشعر كل من الصنوبري وابن الرومي، إذ القضية بمجملها تحتمل الجدل خصوصًا إذا عولجت من منظور ما هو معدود في السّرق، فإنّ المحاورة التي عقدها بينه وبين المتنبي تكاد تكون ضربًا من الخيال، لأنّ صوته كان مهيمنًا ورأيه كان نافذًا، وكلمته لا ترد، و المتنبي قد ظهر من خلال ذلك عاجزًا عن الرد، وهذا في واقع الأمر بعيد عن حقيقة أبي الطيب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحاتمي نحا نحو الصاحب بن عباد في الانعطاف

بقضية السرقات الشعرية إلى موضوع آخر هو أدخل في نقد المعاني، يقول مخاطبًا المتنبي: «ومما ذهبت إليه هذا المذهب:

مَا أبْعَدَ العيبَ والنُّقصانَ من شيمي   أنـــا الـــثُّريا وذانِ الشَّيبُ والهَرَمُ

وهذا كلام جار على غير مناسبة؛ لأنّ الثريا ليست من قبس الشيب والهرم، ولا هما من قبسها، وكان وجه الكلام أن تقول: أنا الثريا سفورًا وعلوًا، وذان السهى خفاءً وخبوًا، أو أن تقول: أنا الشباب وذان الشيب والهرم. ومن غث الكلام ومستكرهه قولك:

فـــتىً ألـــفُ جُزْءٍ رأيُهُ في زمانِهِ   أقلُّ جُزَيءٍ بعضُهُ الرَّأيُ أجمَعُ[٢٨]

مما يدل على خلل واضح في منهج هذين الرجلين، فموضوع السرقات أمر، وموضوع فساد المعاني وابتذالها أمر آخر، وتفسير ذلك أن المسألة لا تعدو كونها تتبعًا لسقطات المتنبي ليس غير.

لقد بدا الحاتمي من خلال هذه الرسالة ناقمًا على المتنبي، مدفوعًا للنيل منه، وقد عبّر عن ذلك صراحة في مقدمة كتابة خصوصًا في قوله: «نهدت له متبعًا عَواره»، إذ إنه استجاب لدعوة المهلبي الذي حرّض الأدباء على تتبُّع سقطات المتنبي. يقول صاحب بغية الطلب: «ومشاركة الحاتمي في إدامة حل نظمه في رسائله، بعد مقالته التي عملها فيه محرضًا عليه ومتنادرًا به كنوادر المخنثين، كما حمل مثله أبا محمد المهلبي مستوزر بختيار بن معز الدولة على إغراء سفهاء بغداد عليه ومعاملته بالسخف الذي أعرض بوجهه عنه وعنهم»[٢٩].

٣- ٢: ابن وكيع وكتابه (المنصف)

قد يكون «المنصف» لابن وكيع من أوسع المصنفات التي تعرَّضت لسرقات أبي الطيب، ويذكر محقق الكتاب محمد يوسف نجم أنّ ابن وكيع قد عوّل فيه

على رسالة ألّفها النامي في عيوب شعر المتنبي، «وقد انفرد بالاطلاع عليها، وقبس منها ليهاجم صاحبها، ويهجن رأيه مدعيًا لنفسه صفة الإنصاف»[٣٠].

وابن وكيع يضع بين يدي مصنفه مقدمة طويلة، يوجه فيها الخطاب إلى الوزير ابن حنزابة الذي بعث إليه رسالة يشير فيها إلى ما كان يحظى به شعر المتنبي عند متأدبي عصره من تقدير يقول: «فإنّه وصل إليَّ كتابك الجليل الموضع، اللطيف الموقع، تذكر فيه إفراط طائفة من متأدبي عصرنا في مدح أبي الطيب المتنبي وتقديمه، وتناهيهم في تعظيمه وتفخيمه...»[٣١]، ويظهر من خلال المقدمة أن ابن حنزابة كان متحاملاً على المتنبي حاقدًا على المتعصبين له، لذلك كانت رسالته تنطوي على ذمهم والتهوين من شأنهم لأنهم كما تقول المقدمة كانوا مأخوذين بالتقليد الأعمى «إنّهم قد أفنوا فيه الأوصاف، وتجاوزوا الإسراف، حتى فضّلوه على من تقدم عصرَهُ عصرُهُ، وأبرّ على قدرِهِ قدرُهُ، وذكرتَ أنّ القوم شغلهم التقليد فيه، عن تأمل معانيه...»[٣٢]، وهذا الكتاب فيما يبدو قد حفز ابن وكيع إلى أن يضع شعر المتنبي في موضعه الحقيقي متحريًا في ذلك الإنصاف، ومن الواضح أن ابن وكيع حين اختار لمصنفه اسم «المنصف» لم يقصد إنصاف المتنبي، لأنّ المتنبي كما تشير مقدمة الكتاب قد نال من التقديم والتقدير والمدح ما لا يستحق، فعندما فاق ذكره المتقدمين أمثال الوليد وحبيب، حتى لكأنّه سلبهم حقهم في الثناء والشهرة، وجب أن يقتص منه ليعيد الأمور إلى نصابها، أو كما يشي عنوان كتابه محاولاً تحقيق الإنصاف بين الشعراء يقول: «لا يستحق التقديم على من هو أقدم منه عصرًا، وأحسن منه شعرًا كأبي تمام والبحتري، فإني لا أزال أرى من منتحلي الأدب مَنْ يعارض

شعريهما بشعره، ويزن قدريهما بقدره..»[٣٣].

ثم يرسم منهج كتابه قائلاً: «ثم لا يرضى مقرّظ أبي الطيب حتى يدّعي له السلامة الكاملة فيه، وأنّى له السلامة من ذلك، وقد جاء على ساقة أهل الشعر بعد استيلاء الناس على حلو الكلام ومره ونفعه وضره، وهذا الظلم الواضح والإفك الفاضح، وسأدلُّ أولاً على استعمال القدماء والمحدثين أخذ المعاني والألفاظ، ثم أعود إلى تنخل شعر أبي الطيب ومعانيه وإثبات ما أجده فيه من مسروقات قوافيه»[٣٤].

إنّ ابن وكيع، مع أنّه قد حدَّد وجهته في كتابه بتنخل شعر المتنبي لتتبع سرقاته، إلا أنه لم يلتزم هو الآخر بهذا المنهج، إذ انحرف في مواضع شتى إلى نقد معانيه وألفاظه، وهذا باب خارج من الناحية الموضوعية عن تتبُّع السرقات، إذ نراه يقف في صدر مؤلفه عند شعر قاله أبو الطيب في مفتتح حياته حيث يقول:

بــأبي مَــنْ وددتُــه فافــترقنا وقضــى اللهُ بعــدَ ذاكَ اجتماعا

وافــترقــنا حــولاً فلمّا التقينا كــان تســليمُهُ عــليَّ وَدَاعَــا

ومن الغريب أنّ ابن وكيع بعد إدامته النظر في هذين البيتين يسمّي البيت الأول فارغًا بمعنى أنّه لم يلتمس فيه كما قال استخراج معنى، أي إنه ليس بشيء، في حين يرى في الثاني كبير طائل، ويصفه بأنّه بيت المعنى، أي أنّه وجد فيه مبتغاه، فرأى أنّه مأخوذٌ من قول جحظة[٣٥].

وإذا سلّمنا أنّ معنى المتنبي مأخوذ من شاعر آخر، فإنّ الإنصاف يقتضي الإشارة إلى أنّ المتنبي قد زاد في معنى سابقه، غير أنّ ابن وكيع فيما يبدو أراد أن يجرِّد المتنبي من كل إحسان، فعدّ بيته الأول فارغًا، والآخر مسروقًا.

والأبيات الفارغة التي أحصاها ابن وكيع في شعر المتنبي كثيرة، منها قوله:

أَفْرَسُـــهَا فَارِسًـــا وأطولُهَـــا باعًـــا ومغوارُهـــا وســـيِّدُها

فقال ابن وكيع: «قال بعض النحويين: فارسًا منصوب على الحال لا على التمييز، وهو بيت فارغ»(٣٦).

ومن الغريب أنّ ابن وكيع يأخذ على المتنبي إيراده المعاني المألوفة تارة، والغريبة تارة أخرى، فمثلاً يعيب عليه قوله:

قِفَـــا قلـــيلاً بهـــا علـــيَّ فـــلا أقـــلّ مـــن نظـــرة أَزَوَّدُهَـــا

فيقول: هذا معنى غير غريب، ولكن أبا الطيب لا يحقر شيئًا بل يأخذ الشعر الرفيع والوضيع، وهو في الأخذ كما قال ابن المعتز:

قلـــبي وثـــاب إلى ذا وذا لـــيس يـــرى شـــيئًا فـــيأباه

ثم يتابع قائلاً: فيجب عليه الاهتمام بما اهتم به هذا البيت من قول ذي الرمة:

فـــإن لم يكـــن إلا تعلـــل ساعة قلـــيل فـــإني نـــافع لي قليـــلها

وكلام ابن وكيع هنا داخل في نقد المعاني، والموازنة بين أقوال الشعراء، ومن أمثلة مآخذه على المعاني الغريبة في شعر أبي الطيب تعرضه لقوله:

يـــا ليـــتَ بي ضـــربة أتـــيحَ لها كمـــا أتيحـــتْ له محمَّدُهـــا

أثـــرَ فـــيها وفي الحديـــد ومـــا أثـــرَ في وجهـــه مُهَـــنَّدُها

فاغتبطـــتْ إذْ رأتْ تزيُّـــنها بمـــثله والجـــراحُ تحســـدُها

يقول ابن وكيع: «هذا كلام عجيب ومعنى غريب، وذلك أنه تمنى ضربة تقع من مثل ضربة الممدوح ولا أعلم هذا مما يتمنى»(٣٧). ثم عمد ابن وكيع إلى تصحيح بعض معاني المتنبي كقوله:

كُفِّـــي أراني ويْـــكِ لومَكِ أَلْوَمَا هـــمّ أقـــام عـــلى فـــؤادٍ أَنْجَمَا

فقال: ترتيب هذا البيت: كفى فقد أراني لومك أولى باللوم همٌّ أقام على فؤادي أنجما. وهذا صعود وحدور، محصوله محقور، والمعروف أن يقال: اللائم ألوم، فأما اللوم فلا يلام لأنه غير الملوم، والملوم العاقل، واللوم كلام، فالواجب أن يلام العاقل دون الكلام[٣٨]. وكذلك وقف عند العيوب التي تلحق باللفظ في قول أبي الطيب:

وإذا سـحابة صـدٍّ حُبٍّ أبرقتْ   تركـتْ حلاوةَ كُلِّ حُبٍّ علقما

يقول: «ليس هذا البيت من ألفاظ حذاق الشعر، لأنّ ذكر السحابة والإبراق لا يليق بذكر الحلاوة والمرارة...»[٣٩]. ثم وقف في شعر المتنبي عند المعاني المستحيلة كقوله:

وضاقت الأرضُ حتى كانَ هاربُهم   إذا رأى غـيرَ شـيءٍ ظَنَّهُ رَجُلا

فقال: هذه مبالغة مستحيلة لأن غير شيء لا تقع عليه رؤية»[٤٠]، ووقف عند المعاني الدالة على قلة الورع في قوله:

يـا أيُّهـا الملـكُ المُصفّى جَوْهَرًا   من ذاتِ ذي المَلَكُوتِ أسمى مَنْ سَمَا

نـورٌ تَظَاهَـرَ فـيكَ لاهُوتـيَّة   فـتكادُ تعـلمُ عـلمَ ما لَنْ يُعْلَمَا

فقال: «هذا مدح متجاوز وفيه قلة ورع»[٤١]. كما وقف عند اللحن في شعره كقوله:

كـيفَ أكَـافي عـلى أجلِّ يَدٍ   مَـنْ لا يـرى أنّهـا يـدٌ قبلي

فقال: «لم يهمز أكافي، على غير قياس، وما أكثر ما يسقط الهمز»[٤٢]. ومن ذلك أيضًا وقوفه عند قول أبي الطيب:

فأرحـام شـعر يتصـلن لدنّـهُ   وأرحـام مـال مـا تني تتقطعُ

فقال: «هذا من لحونه إنّما تشدد النون مع النون...»[٤٣].

ومن الواضح أنّ هذه الشواهد وغيرها كثير مما دوّنه ابن وكيع تحت باب سرقات المتنبي، لا تدخل في باب السّرق، وإنما تدخل في نقد المعاني، وعليه يفقد هذا الكتاب أيضًا مصداقيته، على اعتباره لم يف بمنهجه، ليتحول جزءٌ كبيرٌ منه إلى صورة من صور التحامل ليس أكثر، فابن وكيع كما يرجح محمد يوسف نجم لم يؤلّف كتابه المنصف إلا بتحريض من الوزير ابن حنزابة[٤٤]، وابن حنزابة من الرؤساء المتأدبين، كان له مجلسٌ يضم أبرز أعلام عصره من النابهين والشعراء والأدباء، كما كانت لديه مكتبة انطوت على نفائس الكتب، وهو بعد ذلك ممن كان يتطلع إلى أن يمدحه المتنبي بقصيدة، ولكنه لم يظفر بطلبته، فطفق يتتبع سقطات المتنبي ويحشد العلماء للكشف عن عيوبه وسرقاته، من أجل ذلك لم يكن كتابه «المنصف» خالصًا لوجه العلم، وإنما كان تزلفًا من ابن حنزابة وتقربًا له.

لم يلق كتاب ابن وكيع تأييدًا عند الأدباء، فانبرى غير واحد لدحضه وبيان ما انطوى عليه من جور وعسف، فقيل إنّ ابن جني ألّف كتابًا في الرد عليه ونقض ما جاء فيه سماه «النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته»[٤٥]. كما أشار ابن القارح إلى أن ابن وكيع أجحف بحق المتنبي في كتابه[٤٦]، وذكر ابن شرف القيرواني أن كتاب المنصف لابن وكيع: «أجور من سدوم»[٤٧].

٤– ٢ العميدي وكتابه (الإبانة عن سرقات المتنبي)

لم يكن العميدي ممن عاصر أبي الطيب فقد ظهر بعده، فكانت وفاته نحو سنة ٤٣٣هـ، أي بعد وفاة المتنبي بنحو ثمانين عامًا، ومع ذلك بقي لشعره فيما يشير العميدي في كتابه صدى يدع الناس على خُلْفٍ واضح

إزاءه، فقد استاء العميدي من صيته، وضاق ذرعًا بمن كان يُعلي من شأنه، فجرد قلمه لإظهار سرقاته فقال في مقدمة كتابه: «وليس تغني المتنبي جلالة نسبه مع ضعف أدبه، ولا يضره خلاف دهره مع اشتهار ذكره، ولقد تأملت أشعاره كلها فوجدت الأبيات التي يفتخر بها أصحابه من أشعار المتقدمين منسوخة، ومعانيها من معانيهم المخترعة مسلوخة، وإني لأعجب والله كيف يُعلون من ذكر المتنبي وأمره، ويدعون الإعجاز في شعره، ويزعمون أن الأبيات المعروفة له هو مبتدعها ومخترعها ومحدثها ومفترعها، ولم يسبق إلى معناها شاعر، ولم ينطق بأمثالها باد ولا حاضر، وهؤلاء المتعصبون له والمفتخرون باللُّمع التي يزعمون أنه استنبطها وأثارها، والمعتدون بالفِقَرِ التي يدّعون أنّه افتضَّ أبكارها، والمترنمون بأبيات سائرة يذكرون أنه انفرد بألفاظها ومعانيها، وأغرب في أمثلتها ومبانيها... يحكمون حكمًا جزمًا بأنّها غير مأخوذة ولا مسروقة»[٤٨].

فكتاب العميدي إذن يقدِّم صورة من صور النزاع والخلاف حول شعر المتنبي بين من كان يؤيد مذهبه الشعري ومعارضي ذلك المذهب، ومن هنا اختلفت دوافع تأليف هذا الكتاب عن الأسباب التي دفعت مؤلفي الكتب السابقة في سرقات المتنبي إلى تأليفها، فالعميدي على اعتباره قد ظهر بعد أبي الطيب كان من المتوقع أن يكون أكثر اعتدالاً من سابقيه، فهو ليس من منافسيه أو حساده أو الحاقدين عليه، أو ممن دُفِعَ لتتبع سرقاته لغاية من الغايات، غير أنّ العجيب في الأمر أنّه كان أكثر عَداء وكرهًا للمتنبي من السابقين، من أجل ذلك رأى الأدباء أنّه أجحف بحقه دونما سبب، فذكر البديعي أنّ العميدي في كتابه «الإبانة» كان في غاية الانحراف عن الحق،

حائدًا في التمييز عن سنن الإنصاف» ثم يقول: «ونحن نُورد كلامه، ونردُّ في نحره سهامه، فإنه تجاوز الحد وأكثر الرد[٤٩]».

فالعميدي في تتبعه سرقات المتنبي لم يختلف عن سابقيه في عدم الوفاء بالمنهج الذي يستوجب تبيان السرقات في شعر المتنبي، ولعل عنوان مؤلفه «الإبانة عن سرقات أبي الطيب» يحتِّم عليه التقيد بموضوع السّرق، غير أنّه انحرف عنه بغية إحصاء سقطات أبي الطيب وذكر عيوبه في اللغة والنحو والمعاني، فمن مآخذه على شعر أبي الطيب قوله:

حشايَ على جمرٍ ذكيٌّ من الهوى　　وعينايَ في روضٍ من الحُسْنِ ترتعُ

فقال العميدي: «لو قال ترتعان كان أصوب وأبلغ»[٥٠]، في حين ذكر العكبري أنه جائز على اعتبار أن العينين عضوان مشتركان في فعل واحد مع اتفاقهما في التسمية يجري عليهما ما يجري على أحدهما.

ومن أمثلة موازنته بين معاني المتنبي ومعاني غيره من الشعراء بغية إظهار تقصيره وقوفه عند قوله:

جاز الأولى ملكت كفاك قدرهم　　فعـرفوا بـك أن الكلب فوقهم

فإنـه حجـة يؤذي القلوب بها　　مـن دينه الدهر والتعطيل والقدم

فقال: «هذا البيت عليه أثر العي؛ لأنّ الدهر والتعطيل والقدم إلحاد وأحسن من ذلك قول ابن الرومي:

لا قدسـت نعمـى تسـربلها　　كـم حجـة فـيها لـزنديق

صـبرًا أبـا الصـقر فكم طائر　　خـر صـريعًا بعـد تحليق[٥١]

فهذا الشاهد داخل في باب المفاضلة بين المعاني، ولا علاقة له بالسّرق، وهو دليل على أنّ العميدي كان يتتبع سقطات أبي الطيب ليس أكثر، إضافة

لذلك فإنّ قارئ كتاب العميدي يجد أنّ المؤلِّف أسرف في اتهام المتنبي بالإغارة على شعر معاصريه من المغمورين، فعدد منهم خلقًا كثيرًا، يقول محقق كتاب «الإبانة» في مقدمته: «ونجد في هذا الكتاب أسماء شعراء مغمورين حاولت جاهدًا أن أعثر على تعريف لهم في كتب التراجم فلم أجد لأحد منهم ترجمة ما خلا عددًا قليلاً منهم»(٥٢). ثم يقول: «وأعتقد أنّ المتنبي في كبريائه وتعاليه ومنزلته في الشعر واللغة أكبر من أن يسرق من هؤلاء الشعراء الصغار أمثال الخناني والمياسي والعابدي وأبي السمراء والغساني... ولو فعل ذلك لافتضح بين الناس، وكانت هذه السرقات التي يزعمها المؤلف حجة لأعداء المتنبي المعاصرين له، الذين كانوا يقفون له بالمرصاد... إذن معظم سرقاته التي نُسبت إليه مردها إلى واحد من اثنين: إما أن تكون نوعًا من توارد الخواطر، أو أن تكون معاني مشتركة بين الشعراء»(٥٣).

ومؤدّى تلك الملاحظات التي دوّنها المحقق يفضي إلى أن العميدي في كتابه لم يكن بمنجاة عن الادعاء والجور والتجني، وفي الوقت ذاته لم يستطع شأنه في ذلك شأن سابقيه تحويل النقد التطبيقي القائم على تتبع السرقات إلى أداة نقدية تسعف على تطوير البحث النقدي. لهذا السبب لا تعدو تلك المؤلفات كونها ضربًا من إذكاء نار الخصومة وتتبُّع العيوب لأسباب شخصية. وبالمقابل ظهرت مؤلفات أخرى تعرَّضت للمتنبي كانت أكثر إنصافًا، ذلك لأنّها وضعت عيوب المتنبي بإزاء محاسنه ككتاب البديعي «الصبح المنبي» وكتاب الثعالبي «المتنبي ما له وما عليه»، إذ حَاولت هذه الكتب وأشباهها تقديم صورة للمتنبي ولشعره موسومة بشيء من الموضوعية والحياد، وكتاب الثعالبي على وجه الخصوص يكاد يكون من أبرز الكتب

التي قدَّمت منهجًا علميًا في دراسة المتنبي وشعره، ذلك لأنَّ المؤلِّف قد وقف عند قضايا تعدُّ جوهرية في أسلوبه وطريقته في النظم، إضافة لتتبُّع سرقاته من معاصريه، والإشارة في الوقت نفسه إلى ما أخذه غيره منه، كالذي أخذه كلّ من أبي الفرج الببغاء والسري الرفاء وأبي بكر الخوارزمي وأبي الفتح البستي وغيرهم من المتنبي. ثم تعرَّض الثعالبي إلى قضايا البناء الشعري عند أبي الطيب فعرض فواتح شعره ومطالعها وما يستكره منها، مُشيرًا إلى أنَّ هذه المسألة ليست مقصورة عليه، فقد عِيب على المتقدمين فواتح بعض أشعارهم، ووقف أيضًا عند المعاني القبيحة والمكروهة والمفرطة والمغلوطة والمكررة، وما تنمُّ عليه من فساد الحس وضعف العقيدة، وتعرَّض للألفاظ التي استعارها المتنبي من المتصوفة والحكماء، وبالمقابل أشار إلى محاسنه المتمثلة بحسن التصرف بالغزل، وحُسن التشبيه والتمثيل والمدح الموجه، وحسن التصرف في مديح سيف الدولة، واستعمال ألفاظ الغزل في أوصاف الحرب، وحسن التقسيم، وإرسال الأمثال، وابتكار المعاني. ولعل أهم ما انطوى عليه كتاب الثعالبي وقوفه عند بعض قضايا الأسلوب وتعليلها في شعر المتنبي مثل استكثاره من قول (ذا) في شعره، إذ عرضَ قولاً للجرجاني ينتقد فيه إكثار المتنبي من استعمال (ذا) في مطاوي أشعاره حيث يورد: وهي ضعيفة في صنعة الشعر دالّة على التكلُّف، وربما وافقت موضعًا يليق به فاكتسبت قبولاً»[٥٤]. والواقع أنَّ المباحث الأسلوبية في الزمن الحديث تهتمُّ بهذا اللون من التكرار اهتمامًا بالغًا لأنّه يدلُّ على سمات خاصة بالأسلوب. ومن محاسن منهج الثعالبي في كتابه عن المتنبي أنه عمد إلى تأول بعض شعره كالقصيدة التي قالها في مدح عضد الدولة، إذ أشار الثعالبي إلى

أن القصيدة انطوت على إشارات تدل على أن المنية تراءت للمتنبي قبل مقتله خصوصًا في قوله:

فلـــو أني استطعت حفظت طرفي فـــلم أبصـــر بـــه حـــتى أراكا

٥ – ٢: وخلاصة القول

كان المتنبي في شخصيته وشعره يمثّل حالة فريدة في تاريخ العربية، فالمتأمل تفاصيل حياته يجد أن الرجل كان صاحب موقف، لهذا ضنَّ بفنه إلا على من يستحقه من أعلام عصره الذين رأى فيهم الرجولة والبطولة والإباء. وعلى كثرة من وقع في دربه من السادة الذين لم ير فيهم قرناء لذاته ومرمى لإبداعه، فإنه تعالى عليهم، مع ما كانوا يرصدون له من أموال ومتاع لاسترضائه؛ غير أنه لم يكن طامعًا بالعطاء، بمقدار ما كان يطمع بالشرف والمجد والزعامة والعزة، وقد نال من كل ذلك ما يحمل النفس على قدر كاف من القناعة والقبول والرضا، غير أن نفسًا لا تعرف القناعة والرضا قد سكنت لحمه ودمه، فقطع الحياة شامخًا متعاليًا، لا تشده قوة إلى القبول بما كان قد قسمه له المليك، فظل يساوره طموح الرئاسة والزعامة، فلا يرى فيمن تولاها خيرًا لها من ذاته، لكنه لم يبلغها بعد أن أسرف في طلبها، وكان ذلك الطموح يعود عليه بكثير من الشرور، فاستعداه من استعداه، وأحبه من أحبه، وقد ربحت العربية من تلك الحياة الغامرة والنفس الأبية والطموح الذي لا يُحد فنًا لا تفنيه الأيام، فها هو ذا شعره يزداد شبابًا مع تقادم الأزمنة، وها هي ذي شخصيته تزداد بريقًا كلما تداعت الأيام، ولعل أهم ما نجم عن المتنبي وشعره تلك المعركة النقدية التي دارت حوله، وأوضحها الكتب التي تتبعت سرقاته، غير أن تلك الكتب كما لاحظنا لم تتحلَ ولو بقدر ضئيل من الموضوعية، وإنما نشأت عن أسباب شخصية، فكانت ترصد صراعات دارت بين

المتنبي وخصومه، ولعل الطريف في الأمر أن مشجعي التأليف في هذا الباب كانوا من الوزراء كالمهلبي وابن حنزابة والصاحب بن عباد، وكانت دوافعهم إلى تأليب النقاد لتتبع سرقات المتنبي واحدة، إذ كانوا جميعًا يطمعون في مديح أبي الطيب، لكنهم لم يظفروا بشيء من أشعاره، فاستعدوه وحرضوا الأدباء على النيل منه، ولكن المؤلفات التي أُنجزت في سرقاته سرعان ما انكشف عوارها، وتبين الناس دوافعها، فكانت من العوامل التي ضاعفت من شهرة المتنبي، ولهذا نقول إن البحث النقدي لم يستفد كثيرًا من تلك المؤلفات، فبقيت صورة من صور الخصومة والنزاع الشخصي.

حواشي البحث

١- الجرجاني (الوساطة) ص: ١٨٣.

٢- ابن رشيق (العمدة) ص: ٢/ ١٠٣٩.

٣- المصدر نفسه ص: ٢/ ١٠٣٨.

٤- المصدر نفسه.

٥- المصدر نفسه.

٦- المتنبي (ديوانه بشرح العكبري) ٣/ ٥٤.

٧- المصدر نفسه.

٨- ابن عباد، الصاحب (الكشف عن مساوئ المتنبي) ص: ١١.

٩- المصدر نفسه.

١٠- المصدر نفسه.

١١- المصدر نفسه.

١٢- الحاتمي (الرسالة الموضحة) ص: ٤٩.

١٣- ابن العديم (بغية الطلب) ص: ٢٦.

١٤- ابن عباد، الصاحب (الكشف عن مساوئ المتنبي) ص: ١٢.

١٥- الثعالبي (المتنبي ما له وما عليه) ص: ٤٣.

١٦- البديعي (الصبح المنبي) ص: ١٨١.

١٧- الثعالبي (المتنبي ما له وما عليه) ص: ٤٢.

١٨- المصدر نفسه.

١٩- الحاتمي (الرسالة الموضحة) ص: ٦.

٢٠- البديعي (الصبح المنبي) ص: ٥٩.

٢١- ابن العديم (بغية الطلب) ص ٢٨٨.

٢٢- القفطي (إنباه الرواة) ٣/ ١٠٣.

٢٣- الصفدي (الوافي بالوفيات) ٢/ ٣٤٢.

٢٤- الحاتمي (الرسالة الموضحة) ص: ٢١.

٢٥- الثعالبي (المتنبي ما له وما عليه) ص: ١٥٢.

٢٦- ابن العديم (بغية الطلب) ص: ٥٢.

٢٧- الحاتمي (الرسالة الموضحة) ص: ٢١.

٢٨- المصدر السابق.

٢٩- ابن العديم (بغية الطلب) ص ٥٤.

٣٠- ابن وكيع (المنصف — مقدمة المحقق) ص: ٢٢.

٣١- المصدر نفسه ص: ٦.

٣٢- المصدر نفسه.

٣٣- المصدر نفسه.

٣٤- المصدر نفسه.

٣٥- المصدر نفسه.

٣٦- المصدر نفسه.

٣٧- المصدر نفسه.

٣٨- المصدر نفسه.

٣٩- المصدر نفسه.

٤٠- المصدر نفسه.

٤١- المصدر نفسه.

٤٢- المصدر نفسه.

٤٣- المصدر نفسه.

٤٤- المصدر نفسه.

٤٥- ياقوت (إرشاد الأريب) ص: ١٢/ ١٤٣.

٤٦- الصفدي (الوافي بالوفيات) ص: ٢/ ١١٤.

٤٧- ياقوت (إرشاد الأريب) ص: ١٩/ ٣٧.

٤٨- العميدي (الإبانة عن سرقات المتنبي) ص: ٢٢.

٤٩- البديعي (الصبح المنبي) ص: ٤١.

٥٠- العميدي (مقدمة محقق الإبانة) ص: ٢٣.

٥١- المصدر نفسه.

٥٢- المصدر نفسه.

٥٣- المصدر نفسه.

٥٤- الجرجاني (الوساطة) ص: ١٨٥.

مصادر البحث ومراجعه

١- **البديعي**، يوسف (الصبح المنبي عن حيثية المتنبي) تحقيق: مصطفى السقا ومحمد شتا طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

٢- **الثعالبي** (أبو الطيب المتنبي ما له وما عليه) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبع مكتبة الحسين التجارية بالقاهرة ١٩٣٦م.

٣- **الجرجاني** (الوساطة بين المتنبي وخصومه) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي منشورات المكتبة العصرية – صيدا/ بيروت ١٩٦٦م.

٤- **الحاتمي** (الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره) تحقيق: محمد يوسف نجم طبع دار صادر بيروت ١٩٦٥م.

٥- **الحناوي**، المحمدي عبد العزيز (دراسة حول السرقات الأدبية ومآخذ المتنبي في القرن الرابع الهجري) القاهرة ١٩٨٤م.

٦- ابن **رشيق** القيرواني (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) تحقيق: محمد قرقزان طبعة أولى دار المعرفة بيروت ١٩٨٨م.

٧- **شعيب**، عبد الرحمن (المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث) طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٤م.

٨- **الصفدي** (الوافي بالوفيات) تحقيق: هلموت ريتر وس (سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمان) طبع سنة ١٩٥٩م.

٩- ابن **عباد**، إسماعيل المعروف بالصاحب (الكشف عن مساوئ شعر المتنبي) نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ١٩٣٠م.

١٠- ابن **العديم** (بغية الطلب من تاريخ حلب) صورة عن نسخة محفوظة بمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت.

١١- **العميدي** (الإبانة عن سرقات المتنبي) تحقيق: إبراهيم الدسوقي طبع دار المعارف بمصر ١٩٦١م.

١٢- **القفطي** (إنباه الرواة على أنباه النحاة) تحقيق أبو الفضل إبراهيم دار الكتب المصرية ١٩٥٠.

١٣- ابن **وكيع** (المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي) تحقيق محمد يوسف نجم طبعة أولى ١٩٨٤م.

١٤- **ياقوت** الحموي (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) تحقيق مرجليوث طبع بالقاهرة ١٩٢٧م.

حول نسبة منظومة نحوية
للخليل بن أحمد الفراهيدي

د. عمر عبد الرحمن الساريسي

كيف صرت إلى هذه المنظومة

رغبت إلى بعض طالباتي العمانيات، اللواتي يدرسن في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، أن يرسلن لي ما يمكن أن تصل إليه أيديهن، مما كُتب عن الخليل بن أحمد الفراهيدي في عُمان، فقد ذكرت بعض الروايات أنه ولد في بعض أنحائها، وذلك كي أستكمل ما يمكن أن يسعف في بحث كنت أعده عن شعره، بعد عودتي إلى جامعة الزرقاء الأهلية من العمل في الخليج. فأرسلت إليَّ الطالبة المهذبة حنان سيف العجمي أوراقًا بهذا الخصوص، منها أجزاء مصورة من كتاب صادر هناك، عن منظومة نحوية منسوبة إلى الخليل، تقترب من الثلاثمئة بيت !

والحق أنني فوجئت بهذا الكتاب. فلئن ثبتت نسبته إليه فلسوف يكون إضافة نوعية إلى إبداعات هذا الرجل العبقري، ولكن عصره لم يكن عصر النظم التعليمي أو عصر الألفيات النحوية.

ولما كان الكتاب لم يصلني مصورًا بتمامه، رغبت إلى صديقي إبراهيم الجراح وزميلي في العمل في وزارة التربية والتعليم الأردنية، أن يعمل على أن يصلني الكتاب كاملاً. فقد عمل في عُمان نحو عقد من الزمان في الإشراف التربوي، فأرسل إلى ولده عامر، وهو يعمل هناك، فسارع إلى

إرساله مع أقرب بريد بشري قادم إلى عَمان. فالشكر إليه وإلى أبيه وإلى الطالبة حنان موصول وموفور.

الكتاب والتحقيق

لقد قام الأستاذ الدكتور أحمد عفيفي، أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة، بتحقيق القصيدة المنسوبة للخليل بن أحمد. وأصدر المنتدى الأدبي التابع لوزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمَان هذا التحقيق في كتاب بعنوان «المنظومة النحوية للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٠هـ) دراسة وتحقيق». الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م. وقد ألقى فيه من قبل محاضرة ثقافية مساء يوم الثلاثاء ٢٠/ ٦/ ١٩٩٥، ضمن فعاليات المنتدى الأدبي وقد وقع الكتاب في ٢٣٣ صفحة.

وقد قسم الكتاب قسمين أساسيين: الأول: الدراسة، والآخر: التحقيق.

وقد جاء في القسم الأول الفصول التالية:

(١) الخليل وشخصيته.

(٢) المنظومة.

(٣) مصطلحات الخليل.

(٣) (مكرر) الخليل مصدر المصطلحات النحوية.

(٤) الأعلام الواردة بين التمثيل والحقيقة.

(٥) عناوين الخليل في المنظومة.

(٦) قضايا نحوية للمناقشة، منها مثلاً، أمس بين الإعراب والبناء، حتى وعملها، النداء المضاف، قط، قد، حسب، كفى.

(٧) الأمثلة والنماذج التطبيقية. (٨) نتائج الدراسة.

وفي القسم الثاني: وصف نسخ المخطوطة، وصورها، ومنهج التحقيق.

وقد وقع النص المحقق في ٢٩٣ بيتًا من البحر الكامل، ومطلعه:

الحمـــــد لله الحمـــــيد بمـــــنّه أولى وأفضلُ ما ابتدأت وأوجبُ

وآخره واستغن أنت ببعضه عن بعضه وصـــن الذي علّمت لا يتشذب

خطة بحث

وقد يرى الباحث أن عزو هذه المنظومة النحوية للخليل بن أحمد الفراهيدي يمكن أن يُتساءل عنه بطريقتين: أولهما عام، نناقش فيه أمورًا أساسية مهمة، وثانيهما خاص، نحاور فيه المحقق وننظر في منهجه في التحقيق، ثم نقلب صفحات المنظومة وننظر فيها من الداخل، وفي الخط الذي كتبت به. وذلك كي نصل في النهاية إلى رأي علمي يمكن أن يوصل إلى إجابة مناسبة عن هذه التساؤلات.

مناقشة عامة

وأول ما نتساءل عنه في أمر هذه النسبة هو تاريخها، وأعني ذكرها في المراجع منذ عصر الخليل، المتوفى عام ١٧٠هـ.

ويعرف الباحثون في حيلة هذا الرجل وإبداعاته أن الكتب التي ترجمت له لم تذكر هذه المنظومة فيها[١].

---

(١) تجد ترجمته في:

١- الفهرست، ابن النديم، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٨هـ، ص ٤٢.

٢- معجم الأدباء، ياقوت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٨٠، ٤/ ١٨، ١٦/ ٧٢.-

وهذا أمر يلفت الانتباه، فمؤلفو كتب الطبقات والتراجم لم يذكروا هذه القصيدة النحوية في إبداعات الخليل، منذ القرن الثاني والثالث الهجريين إلى القرون المتأخرة.

والاستثناء الوحيد من هذه المصنفات كتاب حقق قبل عدة عقود لخلف الأحمر، وهو «مقدمة في النحو».

ففي عام ١٩٦١ حقق عز الدين التنوخي (عضو المجمع العلمي العربي في

=٣- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر — بيروت، ١٩٦٩، ١/ ١٧٢.

٤- إنباه الرواة في طبقات النحاة، ابن القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٩٥٧، ١/ ٣٤١.

٥- مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٥.

٦- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي، دار المعارف، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٤٧.

٧- بغية الوعاة في أخبار النحاة، السيوطي، مطبعة السعادة ١٣٢٦هـ.

٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، العماد الحنبلي، ١/ ٢٣٥.

٩- طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق عبد الستار فراج، دار المعارف ١٩٢٨، ص ٩٦.

١٠- المزهر — السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميليه، ط٤ ١٩٥٨، ١/ ٤٠١ . وقد ذكرت بعض أشعاره في مراجع أخرى منها:

١- نزهة الجليس، ومنية الأديب الأنيس للموسوي، طبع مصر ١٢٩٣هـ، ١/ ٨٠.

٢- شرح المقامات الحريرية، الشريشي، ٢/ ٢٤٦.

٣- الجاسوس على القاموس، أحمد فارس الشدياق، ص ٢٢.

٤- الفلاكة والمفلكون — الدلجي — ٩٣، ٩٤.

دمشق) هذا الكتاب، ونشرته مديرية إحياء التراث القديم في وزارة الثقافة السورية.

وفي باب حروف النسق (العطف) يرد في هذا المصنف وعلى الصفحة ٨٥، قول المصنِّف: «وحروف النسق خمسة، وتسمى حروف العطف، وقد ذكرها الخليل بن أحمد في قصيدته في النحو، وهي قول الشاعر (كذا)

فانسـق وصِلْ بالواو قولك كله وبـلا وثُمَّ أوْ، فليسـت تصعب

الفـاء ناسـقة لذلـك عـندنا وسبيلها رحب المذاهب مشعب»

وهنا تنشأ عندنا أسئلة نفكر فيها بصوت عال.

فخلف بن حيّان الأحمر، المتوفّى نحو عام ١٨٠هـ، أي بعد وفاة الخليل بعشر سنوات، وهو بصري معاصر له، قد قيل فيه ما قيل، «من أنه يصنع الشعر وينسبه إلى العرب فلا يعرف»[١]. وهذا أمر لاندحة عنه في مدى الثقة بروايته، مع أنه قيل عنه فيما بعد أنه «نسك وكان يختم القرآن كل يوم وليلة... فلما نسك خرج إلى أهل الكوفة يعرفهم الأشعار التي أدخلها في أشعار الناس»[٢].

ومما يقوي الشك في هذه النسبة للخليل أنها الوحيدة منذ نهاية القرن الثاني الهجري حتى عام ١٩٩٥ ميلادية الذي حُقق فيه هذا الكتاب، فالنحاة لا يذكرون أن له (للخليل) قصيدة في النحو، كما يقول محقق كتاب «مقدمة في النحو لخلف الأحمر» نفسه[٣].

ويعلق هذا المحقق على قول خلف في النص المذكور: «وهي قول

(١) الوافي بالوفيات — الصفدي، ١٣/ ٣٥٣، الأعلام — الزركلي.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٦.

(٣) المصدر السابق والصفحة نفسها.

الشاعر» قبل إيراد البيتين السابقين فيقول: «وصواب التعبير أن يقال: (وهي قوله) لعودة الضمير على متقدم. ولعله أراد أن يشير إلى أن الخليل كان شاعرًا، وكان بالفعل شاعرًا[١]. أقول إنه وإن كان قول المحقق صحيحًا إلا أن حرفية النص تشتت الذهن فيتنازعه شاعران أحدهما الخليل.

ولا أدري إذا كان يحق لي أن أفصح عن إحساس خافت آخر يخالج النفس، في هذا الصدد، وهو عنوان هذا الكتاب الذي توفي مؤلفه في نهايات القرن الثاني الهجري «مقدمة في النحو»، ألا يبدو عنوانًا معاصرًا؟ وهل سمعنا بكتاب في العصور السحيقة يحمل اسم مقدمة؟ أما مقدمة ابن خلدون المتوفَّى (٨٠٨هـ) فقد أطلقت، فيما بعد، على كتابه الشهير في التاريخ: كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر[٢].

أما التساؤل العام الآخر عن هذه المخطوطة وأمر نسبتها للخليل، فهو البون الشاسع بين زمن الزعم بقيام الخليل بنظمها، وبين زمن النظم التعليمي في مادة النحو. إن أقدم أثر روي في هذا الباب، في حدود ما أعلم، هو ألفية ابن معطٍ الذي ذكره ابن مالك الأندلسي (٦٧٢هـ) في ألفيته:

وتقتضي رضا بغير سخط فائقةً ألفية ابن معطي
وهو بسبق حائز تفضيلاً مستوجب ثنائي الجميلا[٣]

---

(١) المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٢) طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، ط٤، ١٩٧٨.

(٣) محمد محيي الدين عبد الحميد، محقق شرح ابن عقيل (ت٧٦٩) على ألفية ابن مالك (ت٦٧٢هـ). المكتبة العصرية – بيروت – ١٩٩٥، ١/ ١٠.

وابن معطٍ هذا توفي عام (٦٢٨هـ).

يقول أحد الباحثين عن ابن مالك: «ولم ينتفع من جاء بعده بأن يحاكوه أو يدّعوا أنهم يزيدون عليه وينتصفون منه. ولو لم يُشِر في خطبته إلى ألفية ابن معطٍ لما ذكره الناس ولا عرفوه»[1].

ومع ذلك يذكر محقق ألفية ابن معطٍ بعض الأسماء الصغيرة في هذا الصدد، مثل شعبان بن محمد بن داود المصري الإقامة، الموصلي المولد، (٨٢٨هـ)، في منظومته «كفاية الغلام في إعراب الكلام» وعبد العزيز اللمطي المكناسي الميموني (نحو ٨٨٠هـ) فيما سمي بألفية النحو، وكذلك السيوطي (٩١١هـ) في ألفيته[2].

وإذا قيل إن عصر الخليل قريب من نظم تعليمي مشهور آخر هو نظم أبان اللاحقي (٢٠٠هـ) لحكايات كليلة ودمنة[3]، قلنا إن هذا النظم مختلف في مادته عن مثل هذه المخطوطة، فهي في مادة الأدب والقصة على ألسنة الحيوان، والمنظومة التي ندرسها في علمي النحو والصرف، وهو الذي يرى أنه تأخر زمن نظم الألفيات التعليمية فيه.

ومما يقوي في أنفسنا أمر هذا التساؤل، تساؤل أعمق، تمليه قضية فلسفية فطرية ولا تكاد تغيب عن ذهن، هو الزمن اللازم لتطور أي موضوع فكري، بين تاريخ بدايته وتواريخ بلوغه عصر الإبداع والإنتاج الجديد في أشكاله وألوانه.

---

(١) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي ٥/ ١٢٩، بغية الوعاة ٤١٦.

(٢) شرح ألفية ابن معطٍ — تحقيق د. علي موسى الشوملي، ١/ ١٦ — ٦٦.

(٣) راجع الأغاني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ٢٠/ ٧٣، وكذلك طبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق عبد الستار فراج، دار المعارف ص ٢٤١.

ففي عصر الخليل قعّدت أولى القواعد النحوية والصرفية في عصر الخلفاء الراشدين والقرن الثاني الهجري، على أيدي الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ وأيدي بعض الصحابة المخضرمين من أمثال أبي الأسود الدؤلي ورجاله الذين بدؤوا في بناء أساسيات النحو وعلله. وسينقضي زمن طويل حتى يثمر هذا الأمر ويُونِع ويصل إلى مرحلة الترف الفكري ونظم النحو في قصائد وألفيات، أم أن الخليل بن أحمد قد قُدّر له أن تأتي على يديه البدايات في هذا الأمر والنهايات؟ يضع أسس النحو وعلله ويفيد منها تلميذه سيبويه في كتابه، وفي العمر نفسه يكون لديه وقت فراغ يتفرغ فيه إلى نظم قصيدة في النحو تقترب من ثلاث مئة بيت؟

فإن قيل ألم يأت على يديه، بهذا الوصف، علم العروض الذي جاء مكتملاً تقريبًا؟ قلنا إن بين الأمرين فرقًا كبيرًا، فعلم العروض لا يقسّم، كما أن المراجع التي فيها أخبار الخليل قد تواتر القول فيها على نسبة العروض للخليل.

إن عصر الخليل هو عصر الإبداع، أما عصر وضع القصائد الطويلة في النحو والألفيات والتجميع في الموسوعات فقد تأخر كثيرًا.

حول أسباب نسبة المنظومة للخليل

إن الدكتور أحمد عفيفي قد اعتمد أمورًا معينة، فعدّها عوامل مساعدة في هذه النسبة، وسنعرض لها ولمدى الثقة بها في أمر هذه النسبة.

وأول ما لفت انتباهه في هذا الصدد نسبة بيتين فيه للخليل في كتاب لمصنِّف معاصر له، هو خلف الأحمر، وقد ناقشنا هذا الأمر في ضوء ما عرف عن هذا الراوية من عدم الأمانة العلمية.

وأعان الدكتور المحقق أمران آخران على ما يرى، وهما المصطلحات

النحوية الواردة فيها، والأعلام الذين ساق أسماءهم فيها.

أما المصطلحات فمثل الصفة والرفع والجر والنصب والجزم وما لم يسم فاعله. وبسبب تناثر مثل هذه المصطلحات في هذه المنظومة يحكم بنسبتها للخليل (ص٥٥- ٨٧)، الذي عرف أنه رأس مدرسة البصرة في النحويين، ومعلم الكسائي في رأس مدرسة الكوفيين أيضًا، ولا أدري إذا كان مثل هذا الأمر يقوي هذه النسبة، إذا كانت المصطلحات النحوية والصرفية مشاعًا يستخدمها الباحثون في موضوعاتها منذ أن عرفت، وفي كل زمان ومكان!؟.

أما الأعلام التي ذكرت في هذه المخطوطة (ص٩٢ وما بعدها) ومدى ما يمكن أن ترخي عليها من الأقدمية، فإن المدقق لا يكاد يجد من هذه الأسماء، مثل عبد السلام وغيره، ما يستحق أن يكون دليلاً على ذلك. فبعضها قد يطلق على أناس يولدون في عصرنا الحاضر مثل شوزب ومرحب وحوشب، ومنها ما يمكن أن يسمع في بعض أطراف الخليج العربي وحضرموت. والاسم الوحيد الذي يمكن أن يوقف عنده في هذا المجال هو اسم قطرب[1]، فهو مذكور من بين النحويين القائلين بنصب التاء إذا كانت ضمير رفع اتصلت بالفعل الماضي.

فنصبت لما أن أتت أصلية وكذاك ينصبها أخونا قطرب

ومن المعروف أن قطرب هذا لم يكن من تلاميذ الخليل، بل من تلاميذ تلميذه، وهو سيبويه. وقد توفي بعده بأكثر من ثلاثين عامًا (عام ٢٠٦هـ)[2].فكيف يكون قطرب أخًا للخليل وبينهما هذه السنون

(١) ص ٩٦ من الكتاب المحقق.

(٢) وفيات الأعيان ٤/ ٣١٢.

الطويلة؟ ولا يجري على لسان الخليل تلاميذه الأدنون مثل سيبويه والنضر بن الشميل وغيرهما؟ أغلب ظني أن ناظم هذه المخطوطة قد أورد هذا الاسم للتعمية والتدليس، وقد أسعفته القافية على ذلك، وعبارة «أخونا قطرب» ربما تشي بذلك، لما فيها من لهجة شعبية، لا ترقى إلى لغة الخليل.

ويخالج النفس خاطر خافت آخر، على طريق الأعلام الواردة في المخطوطة، مادام ذكرها يعني شيئًا. وهو السؤال عن دلالة ورود اسم زيد سبع عشرة مرة في المخطوطة، وورود اسم عمرو ثلاث عشرة مرة فيها[1]؟ أليس استعمال المشتغلين في النحو لاسم زيد وعمرو متأخرًا عن عصر الخليل؟

وثمة أمر ثالث نرى أن المؤلف يخرج به من استقراء أبيات المخطوطة بما لا يخدم هدفه، وهو التدخل في الأمور الشخصية للخليل؛ فهو يرى أن أسماء نساء قد ورد في المخطوطة، فسمّى ذلك غزلاً، وإنما أراد صاحب المنظومة أن يضرب أمثلة نحوية من أسماء النساء. فوجد أن هذا الأمر يتعارض مع ما عرف عن الخليل من زهد ونسك والتزام بيت. فقضى بأن هذه الأخبار عن الخليل غير دقيقة، وأدقّ منها هذا الغزل الذي يبدو في المخطوطة، ذلك أن «حياة الخليل»، كما يلوح له، «كان لها شقان: الأول كان الخليل فيه شابًا... وربما كتب بعض غزلياته... والثاني وفيه كان زاهدًا...[2]

إن اسم المرأة قد ورد في شعر أكثر شعراء الجاهلية والإسلام، ولم يكن ليكفي وحده أن يذكر أن صاحبه قد كان يتغزل. أما ما ذكره على الصفحتين ٤٦، ٤٧ من الأمور التي أعانته على صحة نسبة المخطوطة

(١) راجع هامش الصفحة ١٠٧ من الكتاب.

(٢) ص ٣١ من الكتاب.

للخليل فهي تدخل، في نظرنا، في نطاق منهجه في التحقيق.

وبعد، فلا أدري إذا كانت هذه الإشارات كافية لاستنتاج علاقة هذه المخطوطة بالخليل أم لا!؟

منهج التحقيق

ويقع الباحث المدقق في منهج الدكتور أحمد عفيفي، في تحقيقه لمخطوطة «المنظومة النحوية»، ونسبتها إلى الخليل، على أمور يحسب أنها لا تجري في المجرى السليم لتحقيق المخطوطات:

– فمنها أنه يعثر على عشر نسخ لهذه المخطوطة، لم يجد لها ذكرًا أو أصلاً في كتب فهارس المخطوطات المعروفة مثل الفهرست (لابن النديم)، أو كشف الظنون (لحاجي خليفة)، أو مفتاح السعادة (لطاش كبرى زاده)، أو معجم المؤلفين (عمر رضا كحالة)، أو معجم المطبوعات العربية (لسركيس)، أو فهارس بروكلمان في تاريخ آداب العرب، أو أعمال فؤاد سزكين، أو فهارس مؤسسة آل البيت/ عَمّان[1]؛ ذلك أنه عثر عليها منسوخة في مجاميع أخرى هي معها. أما ذكرها وذكر بيتين منها فقط في كتاب لخلف الأحمر فقد بيَّنا ما فيه من ضعف وتمريض.

– وقد عثر عليها جميعًا في مكتبات عُمان العامة، أو التي يملكها بعض المثقفين فيها، وقد وُجدت جميعًا في مجاميع، منسوخة مع مخطوطات أخرى (ص ١٤٥)، ولو وجد فيها ناسخوها أو مالكوها قيمة علمية خاصة لأفردت وحدها.

– وليس في متن واحدة منها نسبة صريحة أو غير صريحة للخليل،

(١) التوثيق، د. عبد المجيد عابدين، بغداد، ١٩٨٢، ص ٣٨.

وإنما النسبة أثبتت له على أيدي الناسخين، في نهاياتها، إلا واحدة فقط ليس فيها أية نسبة.

ولم يشك في هذه النسبة إلا ناسخ واحد، أنهى كلامه بقوله: «والله أعلم بصحته» (ص٤٦). ويخيل للباحث أن هذا الناسخ يحمل من الشك في هذه المخطوطة وفيمن نسبت إليه قدرًا كافيًا، كما يبدو من قوله قبل العبارة السابق ذكرها «على حسب الطاقة والإمكان». والغريب أنه يقول قبل ذلك: «تم معروضًا علي:!!! والمعروف أن النسخة التي فرغ ناسخها من نسخها يُذكر عليها أنها عرضت على الأصل فيقال «بلغ عرضًا على أصله» أو «على الأصل» كما وجدت أنا في تحقيقي لمخطوطة «مجمع البلاغة» للراغب الأصفهاني.

ثم إن الباحث لم يجد في متون هذه المنظومة أو حول متونها نسبة للخليل؛ كذلك لم نجد عليها ما يفيد بشيء حول طرق التحمل الأخرى: كالإجازة أو الإملاء مثلاً أو السماع أو الوجادة. فليس عليها ما يفيد بأن المؤلف أجاز أحد تلاميذه بنسخها ونقلها وروايتها، أو أنه أملاها على أحد في زمان أومكان، أو أن أحدًا سمعها من المؤلف، أو أنه وجد عليها في الأصل، ما يفيد بصلتها بالمؤلف.

وتسلسل المراجع المختصة طرق تحمّل الحديث النبوي الشريف أولاً وأساليب نقل العلم والتعليم في سائر العلوم ثانيًا، بما يلي بدءًا بالأهـــم (١) السماع. (٢) القراءة على الشيخ. (٣) الإجازة. (٤) المناولة. (٥) المكاتبة. (٦) السماع دون الإذن بالرواية. (٧) الوصية. (٨) الوجادة[1].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الحكمة، دمشق، ١٩٧٢، ص ٦٢– ٨٦.

– وكما أننا لم نجد عليها ما يفيد بقدمها أو عراقتها، كذلك وجدنا عليها تواريخ نسخ حديثة. فمنها: ما نسخ عام ١٢٧٧هـ (ص١٥١)، ومنها: ما نسخ عام ١١٤١هـ (ص١٥١) أو عام ١١١٧هـ. وليس على غيرها تواريخ نسخ قط.

– ومن الغريب أن المحقق يعتمد في صحة نسبة المخطوطة للخليل، من بين ما ذكر سابقًا، على مرجع مطبوع حديث نشر عام ١٩٩٢م !! اسمه «إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان»، سيف بن حمود بن حامد البطاشي – ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، عُمان !! (راجع ص ٤٩).

– ومن الغريب، أيضًا، أن المؤلف يعتمد، في الحديث عن تحقيق هذا النص ونسبته، على كتب بعيدة عن مراجع أصول تحقيق المخطوطات ونشرها، مثل مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية، ومناهج البحث في التربية وعلم النفس. (راجع هامش ص٣٧).

– بل الأغرب أن يعتمد المؤلف على مرجع لم يظهر بعد !! فهو في هامش ص١٦ يقول: «موضوع» المنظومات النحوية تاريخها وأهميتها العلمية «محور لبحث مازلت أجمع خيوطه وأعمل فيه و لم أنته منه بعد»!!!. أقول إنه بحث جليل حقًا لو تم وطبع ونشر.

– ولقد اعتمد مرة على معجم العين المنسوب للخليل، ليقوي نسبة المنظومة له. وهذا أسلوب علمي متبع في ربط مصنفات المصنف الواحد بعضها ببعض من الداخل. ولكن الشك في نسبة معجم العين للخليل، كما طبع ونشر، أمر ليس سهلاً نفيه[1].

– وتبقى النقطة الأخيرة مقلقة أكثر، ألا وهي اعتماد النسخة الأم.

(١) راجع المزهر للسيوطي ١/ ٨٦– ٩٢.

إن المؤلف يذكر أنه اتخذ إحدى النسخ العشر للمنظومة النسخة الأساس أو النسخة الأم، للأسباب التالية (ص١٤٧):

١) كان الناسخ حريصًا على ضبطها ضبطًا صحيحًا إلى حد بعيد.

٢) جودة خطها وعدم التباس كلماتها أو غموض حروفها إلا في القليل النادر.

٣) من الواضح أن الناسخ كان أمينًا مع نفسه، فقد كان حريصًا دائمًا في هذا المجموع الذي جاء كله بخط واحد.

إن هذه الاعتبارات جميعها لا تقوم في أسس التحقيق العلمي لكتب التراث. وإنما الذي يحسب له حساب في النسخة الأصلية هو:

أ — أن يكتبها المؤلف نفسه وعليها توقيعه.

ب- أن يشير بكتابتها.

جـ- أن يمليها أو أن يجيزها.

د- أن يكون عليها ما يفيد اطلاعه على نسختها أو قراءته لها[1].وهذه هي طرق التحمل الصحيحة.

المنظومة من الداخل

ولدى النظر في هذه المنظومة من الداخل، بعد أن تسرب إلينا الشك فيها من الخارج، تستوقفنا ثلاث طوائف من الملاحظات التي تلفت الانتباه وتثير الاستغراب.

فأما الأولى فتتصل بصياغة التراكيب صياغة تبدو فيها الركاكة، التي

---

(١) راجع تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٥، ص٣٥- ٣٦ وكذلك التوثيق، تاريخه وأدواته، عبد المجيد عابدين، بغداد، ١٩٨٢، ص ٢٨.

تتنافى مع قوة النسج الفني في النثر، أواخر القرن الثاني الهجري – عصر الخليل.

– ففي البيت (٢٦) يقول: «فيظل يسخر من كلامك معرب»، فهو قريب من الصياغة العامية.

– وفي البيت (١٩٦): «يرجع سليمًا غانمًا لا يغلب»، وهذه صياغة شعبية.

– وفي البيت (١٩): «واستعجم الناس الذي من مثلهم» والصواب الذين.

– وفي البيت الثالث – وعلى النبي محمد من ربه أزكى صلاة – وهو تعبير شعبي.

– وعن المنظومة يقول ناظمها في البيت الرابع: «إني نظمت قصيدة حبّرتها» – وهل يلزم للنظم تحبير؟ ألا يكفي أحدهما؟

– ويريد أن يمدحها فيقول «عربية» لا عيب في أبياتها «(البيت السادس) – وماذا ستكون إن لم تكن عربية؟! وهل ثمة شك في عربيتها؟

– وهم «يتعجبون من الصواب ركاكة» (البيت ١٣)– وماذا عنى بركاكة؟

– «وحروف خفض الجر» (البيت ٣٢) – أليس الخفض هو الجر؟ فكيف نضيف الشيء إلى نفسه؟

– «وحروف رفع النحو» (البيت ٥١)، وهل ثمة حروف رفع الصرف؟

– «ومضى الصحابة قبلُ» (البيت ١٨) أليست «قبل» حشوًا؟

وأما الثانية ففي صياغاتها غموض حينًا واستغراب حينًا آخر.

– فقوله أثيرت في العمارة أرنب (البيت ١٤٧)– كيف نتصوره؟

– وقوله عن القرآن الكريم في البيت (١٧):

لا لحـــن فـــيه، فمن تلاه لاحنًا عمـــدًا فذاك على التلاوة يكذب

وهل كثير أن تقول عن القرآن الكريم أنه لا لحن فيه ؟! فأين الفضل

في هذا الكلام؟

- وعن لغة النبي يقول في البيت (١٥) أنها «من كل ما لغةٍ أصحُّ وأصوبُ» فكيف أقحمت «ما» بين المتضايفين بهذا الاستعمال الثقيل؟

- وفي البيت ١٨٧ تفاضل الناظم بين هيُؤ وأتقن فيقول:

«أهــيا وأتقن في الكلام وأوزن»، والتفاضل منهما بصيغة ما أفعل.

وأما الثالثة ففي بعض تراكيبها وجملها ما يدل على مواضعات اجتماعية حديثة ومعاصرة. فهو في البيت ٢٤ يستعمل كلمة «طبيخ» وأحسب أنها عامية معاصرة، وفي البيتين ٢٢، ٢٣ يروي قصة الثعلب الذي رام عنقودًا من العنب، فلما أعياه قال هذا حصرم! حتى لو كانت القصة مبثوثة في بعض كتب التراث، فإنها لا ترقى إلى نهايات القرن الثاني الهجري.

وربما يكون من هذا القبيل تكرار اسم زيد واسم عمرو، أكثر من عشر مرات في المنظومة. ولا أحسب هذا الأمر إلا مستحدثًا في الإكثار من الأمثلة النحوية حتى الملل، أو هو على الأقل متأخر من عصر الخليل. ويلحق بها المثال النحوي المكرر كثيرًا «أكلت الحوت حتى رأسه» (البيت ١٣٧).

وفي النفس أمر آخر يأتي، هذه المرة، من الوزن العروضي لهذه القصيدة. فالذي أعرفه أن هذه القصائد الطويلة المنظومة أو الألفيات إنما تنظم على وزن بحر الرجز، وبقافية ورويّ متحددين في كل شطرين متقابلين في العروض والضرب. وقد مثلنا على ذلك بأربعة أشطار من هذا الرجز من ألفية ابن مالك وهو يشير لألفية ابن معطٍ، التي أحسبها هي أيضًا من وزن البحر نفسه. حتى إن أرجوزة الأمثال التي نظمها أبو العتاهية في الحكمة هي أيضًا كذلك. فكيف انفردت منظومتنا المنسوبة للخليل بوزن

البحر الكامل برويّ وقافية ثابتين في جميع الأبيات؟

إن النظر في المنظومة من الداخل يزيد الشك لدينا في أمر نسبتها للخليل.

الخط

ومن قبيل النظر في المخطوطة من الداخل معرفة الخط الذي كُتبت به.

ومن الاطلاع على نماذج المخطوطات العشر، التي عرضها المحقق في الكتاب فيما بين صفحتي ١٦٥- ١٧٦، يجد الباحث أنها كتبت جميعًا بخط النسخ المقروء بسهولة ووضوح وجمال. وقد كتبت جميع أبيات هذه النماذج كتابة شعرية واضحة، كل بيت شعري في سطر مستقل، وبين صدره وعجزه فاصل واضح. وقد شكلت الكلمات شكلاً تامًا بمختلف الحركات، في صفحات النماذج المعروضة كلها.

ولدى التدقيق في هذا الوصف يرى الباحث، الذي عرف طريق تحقيق كتب التراث وخبر معاناته، أن هذا الخط حديث، لا يرقى إلى نهايات القرن الثاني الهجري. ولما كانت معرفة تاريخ الخط تعين على تحديد نسخ الكتاب ومكانه «كما يقول برجستراز[1]»، «ولما كان لكل عصر نهج خاص في الخط ونظام كتابته» كما يقول الأستاذ عبد السلام هارون[2]، فإننا نشك في هذا الخط النسخي، لأن «الغالب على خط أهل القرون الثلاثة الأولى هو

---

(١) في كتابه «أصول نقد النصوص ونشر الكتب» وهو في الأصل محاضرات ألقاها هذا المستشرق الألماني، بكلية الآداب جامعة القاهرة، عام ١٩٣٢، وترجمها محمد حمدي البكري، ونشرها دار المريخ - الرياض، عام ١٩٨٢، ص٨٤.

(٢) تحقيق النصوص ونشرها ص ٣٨.

الخط الكوفي، كما يقول هو نفسه في موضع آخر[١]، و«لأن الخط القديم يهمل النقط والإعجام» كما يقول في موضع ثالث[٢].

فمن المعروف أن القرآن الكريم قد أخذ يُكتب منذ تنزيله بخط أقرب ما يكون لما عرف فيما بعد بالخط الكوفي. وهو خط مطوّر عن الخط الآرامي، الذي أخذه عرب شمال الجزيرة قبيل بعثة الرسول، عليه السلام، من أهل الشام، في تنقلاتهم التجارية. وقد ظلت الكتابة بوجه عام بهذا الخط الجاف ذي الزوايا نحوًا من ثلاثة قرون، حتى غلب عليه خط النسخ، وهو ابتكار سوري شمالي حذقه الشاميون الشماليون، على يد الوزير العباسي ابن مقلة. أما سبب تسميته بالكوفي، قبل أن يظهر خط النسخ، فهو أن الكوفة كانت مركز تجويد وافتنان[٣].

أما النَّقْط، أو ما عرف ويعرف بوضع النقط على الحروف، فلم يجد طريقه إلى المخطوطات القديمة، التي كتبت في هذه القرون الثلاثة الأولى، وذلك بعد أن عرف خط النسخ وكذلك الإعجام، وهو إزالة العجمة والغموض والغُفْل من الحركات. فقد عرف في خط النسخ، فعرفت الحركات الثماني (الفتحة والضمة والكسرة...إلخ)، بعد القرن الثالث

(١) المرجع السابق ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق ص ٣٩.

(٣) قصة الكتابة العربية، إبراهيم جمعة، سلسلة اقرأ، ٥٣ دار المعارف بمصر ص ٥٦، وما بعدها. كذلك التوثيق تاريخه وأدواته، عبد المجيد عابدين، بغداد، ١٩٨٢، ص ١٤. وكذلك الخط العربي تاريخه وأنواعه، يحيى سلوم العباسي الخطاط، مكتبة النهضة بغداد، ص٥٣.

والرابع الهجريين. فقد حققتُ مخطوطة كبيرة للراغب الأصفهاني، الذي عاش إلى أوائل القرن الخامس الهجري (٤١٥) تقريبًا باسم: «مجمع البلاغة»، ثم حققتُ، بفضل الله تعالى، أربع رسائل مخطوطة صغيرة للمصنف نفسه، دون أن أجد في أي منها نقطًا وإعجامًا، كالذي وجدته في الصفحات المضروبة مثلاً للمنظومة المنسوبة للخليل.

من هذا كله يرى الباحث أن الخط الذي كتبت به نسخ المنظومة العشر (المنسوبة للخليل بن أحمد) يُشك فيها جميعًا وفي نسبتها هذه. وذلك لما وجد فيها من ركاكة في صياغة التراكيب، وغرابةٍ وتعقيدٍ ومعاصرة في بعض المعاني والألفاظ، ولما روي حول الخط الذي كتبت به.

وهنا يتضاعف لدينا الشك في علاقة الخليل بهذه المنظومة ويتأكد.

شك سابق

إن الشك في أمر هذه المنظومة وأمر نسبتها للخليل بن أحمد لم يصدر أول مرة مني، ولكن سبقني إليها غير واحد.

ولعل أول من شك فيها أحد النساخ لإحدى النسخ. وذلك في قوله «والله أعلم بصحته». كما يبدو من صورة إحدى صفحات هذه النسخة ص١٦٦. ففي هذه العبارة من التمريض ما فيها.

أما الثاني فهو الأستاذ عز الدين التنوخي، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، في تحقيقه لكتاب «مقدمة في النحو»، من تأليف خلف الأحمر. فهو يقول في هامش ص٢٨٦ عن هذه المنظومة، «إن صحت نسبتها». وفي هذا التعبير شك كافٍ وعدم اطمئنان، وإن ذهب في أثناء هذا الهامش يفكر في

احتمالات إثباتها.

أما الثالث، فهو الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي- رحمه الله - فهو يقطع الشك، ولا يكتفي به، حينما يقول: «ولا أراها تصح». ولم يكن شكّه في نسبة الأبيات للخليل فحسب، ولكن في وجودها أصلاً. فهو يقول في كتابه «المدارس النحوية، أسطورة وواقع»، عمان ط١: ١٩٨٧، ص١٣٥، ١٣٦.

«وإذا صحت هذه الأبيات، ولا أراها تصح...» ...

وحسبك بهذا الأستاذ الباحث المدقق في اللغة وعلومها ثقة وعلمًا.

وفي الختام

وفي الختام يحسب الباحث أنه قد أشار إلى عوامل الشك في أمر نسبة هذه المنظومة للخليل بن أحمد الفراهيدي بالتدريج. فقد كانت البداية فقدان ذكرها في قائمة إبداعات «عبقري العرب»[1]، إلا على لسان راوية قد عرف عنه نحل الشعر لغيره بعد أن يقوم بنظمه. ثم كانت الإشارة إلى بعد المسافة الزمنية بين زمن الإبداع الخليلي وعصره وعصر تجميع مواد الموسوعات والقيام بنظم القصائد والألفيات في بعض الموضوعات الخاصة.

ثم إننا قد رأينا ضعف محاولة نسبة هذه المخطوطة للخليل من خارجها، من خلال أعلامها ومصطلحاتها، ومن داخلها في ركاكة تراكيبها اللغوية وغرابتها وهلهلتها، وفي منهج تحقيقها والخط الذي كتبت به، مما دلّ، في النهاية، على تهاوي تعليقها بالخليل ونسبتها إليه.

---

(١) لقب أطلقه عليه الدكتور يوسف العش، في بحثه المعمق عنه، وقد وضعه أولاً ونشر في سلسلة اقرأ، ثم أضاف عليه وتوسع فيه في طبعة ثانية.

وهكذا

وهكذا يخيل للباحث المدقق أن نحويًا عُمانيًا غيورًا من أهل القرون الثلاثة الأخيرة في زماننا، قد استهوته رواية مولد الخليل في بعض أنحاء سلطنة عمان، فهب محاولاً إثبات هذا الأمر، فنظم نحوًا من ثلاث مئة بيت، يشرح فيها بعض القضايا النحوية، وينسبها له، ثم تناسخ الناسخون هذه النسبة للخليل بن أحمد، وسموه العروضي أو الخروصي في بعض النسخ، دون التنبه إلى أنها فاقدة الجذور التاريخية والسوق والأغصان البنائية القوية.

المصادر والمراجع

١) أحمد عفيفي، المنظومة النحوية للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠– ١٧٥) — دراسة وتحقيق، ط١، المنتدى الأدبي، وزارة التراث القومي والثقافة — عمان — ١٩٩٥.

٢) حاتم الضامن، عشرة شعراء مقلون — جامعة بغداد - ١٩٩٠.

٣) ابن خلكان — وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس — دار صادر — بيروت، ١٩٦٠.

٤) السيوطي — بغية الوعاة في أخبار النحاة — مطبعة السعادة، ١٣٢٦هـ.

— المزهر في علوم اللغة وأنواعها — تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميله، ط٤، ١٩٥٨.

٥) عبد السلام هارون - تحقيق النصوص ونشرها، مؤسسة الحلبي القاهرة ط٢، ١٩٦٥.

٦) عبد المجيد عابدين، التوثيق تاريخه وأدواته، بغداد، ١٩٨٢.

٧) الشريشي، شرح المقامات الحريرية، المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ.

٨) أبو بكر الزبيدي — طبقات النحويين اللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — دار المعارف.

٩) أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٥.

١٠) ابن القفطي، إنباه الرواة في طبقات النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٩٥٠.

١١) عبد الله بن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار فراج، دار المعارف، ١٩٢٨.

١٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق شعيب الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق.

١٣) ابن النديم، الفهرست، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٣٤٨هـ.

١٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

تطوّر مفهوم العدد عند علماء العرب والمسلمين

بالاعتماد خاصة على كتاب الحصّار(البيان والاعتبار في علم مسائل الغبار) و (كشف الجلباب عن علم الحساب) للقلصادي

الأستاذ الدكتور محمد سويسي

ستكون لنا، فيما يلي، جولة بين مخطوطات الحساب العربية من القرون الأولى التي أكبّ فيها العرب على كتب الأقدمين واهتمّوا بعلم العدد، وسنقف، أثناء هذه الجولة، على تطوّر نظرتهم إلى هذا العلم وتصوّرهم له وتعريفهم لأصوله.

ففي القرن الرابع للهجرة يقول إخوان الصفاء في رسالتهم الأولى في القسم الرّياضي المخصّصة للعدد: «كلّ ما لا ينقسم فهو واحد من تلك الجهة التي بها لا ينقسم، وأما الكثرة فهي جملة الآحاد؛ وإن شئت قلت: الواحد ما ليس فيه غيره بما هو واحد. والواحد الذي قبل الاثنين، هو أصل العدد ومبدؤه ومنه ينشأ العدد كلّه، صحيحه وكسره، وإليه ينحلّ راجعًا، أمّا نشوء الصحيح فبالتّزايد، وأما الكسور فبالتّجزؤ...».

ويشمل مراتب العدد كلّها اثنتا عشرة لفظة بسيطة، وذلك من واحد إلى عشرة، عشرة ألفاظ ولفظة مئة ولفظة ألف (ص ٢٦).

ويقولون في صفحة (٣٠): «ومن خاصية الاثنين أنه أوّل العدد مطلقًا» وفي القولين تناقض.

وفي القرن العاشر الهجري يقول بهاء الدين العاملي (١٥٤٧- ١٦٢٢م) (٩٥٣- ١٠٣١هـ) في كتابه [خلاصة الحساب] (ط. ١٩٧٦، ص٢):

«والعـــدد قيل كمية تطلق على الواحد وما تألّف منه **ويدخل فيه الواحد**، وقـــيل نصـــف مجموع حاشيتيه، **فيخرج**، **وقد يُتكلّف لإدراجه** بشمول الحاشـــية الكســـر. **والحق أنّه ليس بعدد**، وإن تألّف منه الأعداد، كما أنّ الجوهر الفرد عند مثبتيه ليس بجسم، وإن تألف منه الأجسام».

وفي القـــرن الـــثاني عشر للميلاد، يقول محمد بن عبد الله بن عيّاش الحصّـــار، أبو بكر، المغربي في كتابه [البيان والتذكار لعلم مسائل حروف الغـــبار]: «الواحـــد العددي بذاته **ليس من العدد**، **لأنّه علّة العدد**، والعدد معلول له، وليست العلّة من المعلول، **فالواحد إذن ليس من العدد**».

ويقول (في الورقة ٢): «اعلم أن أسماء العدد اثنا عشر اسمًا أولها **العدد الواحـــد** الذي هو أصل العدد ومبدؤه ومنشؤه، ثم زيد على الواحد واحد فصار ذلك **اثنين**، **وهو أوّل العدد لأنّ الواحد ليس عددًا**».

وفي ذلـــك عين التناقض الذي أشرنا إليه سابقًا. ويقول شرف الدين محمد بن محمد المسعودي الخراساني، في شرح مختصر أبي شجاع البسطامي: «والحسّاب، كما أطلقوا اسم العدد على الكثرة المجتمعة من الآحاد، أطلقوه أيضًا على الواحد وعلى أجزائه، فقالوا: والعدد يقسم إلى صحيح وكسر». (ص ٢ مـــن الـــلمعة المارديـــنية، في شرح الياسمينية، ط. الكويت ١٩٨٣). ويضيف المارديني: «وهذ الذي يريده الجبريون أيضًا، باعتبار أوّل من حيث هـــو مصرّح باسمه بقطع النظر من أمرٍ آخر، **فسمّوه عددًا مطلقًا** لأنّ اسمه حينـــئذ حقـــيقي، لا يتوقف تعقله في الذهن على تعقل أمر آخر، ولا يتقيّد بشيء، ويطلق على الواحد والآحاد والصحيح والكسر».

ويستنتج ابن غازي (في بغية الطّلاب في شرح منية الحسّاب، ط. حلب ١٩٨٣، ص ٨): أنه: «إن أخذ العدد في التعريف غير مضاف فهو صحيح، وإن أخذ مضافًا فهو كسر، فتقسيمه هذا إنما هو تقسيم عرضي للعدد لا ذاتيّ له» ويضيف أنّ في [رفع الحجاب] (لابن البنّاء المرّاكشي) «مزيد تحرير يتبين لك به أنّ حكاية الخلاف في عددية الواحد على الإطلاق ليس بتحقيق» ثم يحوصل القول ذاكرا: «أنه مهما عرضت للواحد الكثرة أو أخذ في مادّة فهو عدد، وإن لم تعرض له كثرة بوجه من الوجوه، ولاأُخذَ في مادة فليس بعدد».

يقول ابن البنّاء في [رفع الحجاب]: «والواحد إذا اعتبر من حيث هو مؤلّف من آحاد، كما تقول في خمسة عشر هي ضرب خمسة في ثلاثة، فكل واحد من الثلاثة خمسة، وكل واحد من الخمسة ثلاثة؛ ولأنّ كلّ عدد فهو عدد واحد (فالواحد) مؤلّف من آحاد، وهو بهذا الاعتبار، عدد وبه كانت مرتبة الآحاد تسعة أعداد لا ثمانية، وأسماء الأعداد البسيطة اثني عشر لا أحد عشر، وإذا اعتبر من جهة اتّحاده وانفراده من غير أن يكون هناك اعتبار طبيعة أخرى، فهو نفس الوِحدة التي هي مبدأ العدد، أعني التي إذا أضيف إليها غيرها صار مجموعها عددًا فيكون **الواحد ليس من العدد، وكل عدد واحد**، وليس كل واحد عددًا».

فكما شاهدنا إنّ النّقاش في موضوع وحدوية الواحد قد طال، ولم يكن هذا النقاش مجرّد جدل فلسفي، بل كان يسعى إلى زيادة التّحرير في تصوّر العدد والتقدّم في تطوّر نظرية العدد.

وذلـــك أنّ العرب، في البداية، نقلوا عن اليونان حدّهم للعدد بكونه «نصف مجموع حاشيتيه».

فإذا كانت ثلاثة أعداد متتالية في سلسلة الأعداد الصحيحة الطبيعية، ا ،ب ،ج ، فإن $ب = \frac{ا + ج}{2}$

فمـــا لم يـــتمّ للعرب نقل الصفر عن الهندية لم يكن للواحد حاشية صغرى؛ ويكون الواحد، بهذا الاعتبار، ليس من العدد.

ولّمـــا تمّ نقل الصفر [وإن لم يكن في البداية سوى رمز جعلوه «علامة الخلا»] انتظمت مجموعة الأعداد الصحيحة الطبيعية في صورة ، 0 ,1 ,2.... بـــلا نهاية، بالغًا ما بلغ وصار الواحد $1 = \frac{2+0}{2}$ ، أي انطبق عليه تعريف العـــدد (واتّســـع البحـــث إلى تصوّر مفهوم اللانهاية). وانطبقت عمليات الحساب السابقة على العدد (واحد).

فمـــن ذلـــك أن الضـــرب قد حدّد بكونه «عملية يجمع فيها أعداد مساوية للمضروب بعدّة ما في المضروب فيه من آحاد».

فإذا ما طبّق التعريف على عدد الواحد نتج ما يلي:

أ× 1 (مرة واحدة) = أ

1× أ =1+1+....+1 (أ مرات) = أ

1×1 =1

وكـــان الواحـــد **عددًا** له خاصّية ذاتية سمّي فيها (بعنصر الحياد) في عملية الضرب.

ولكـــن الصـــورة $1 = \frac{2+0}{2}$ لم يقتصر فيها على اعتبار الصفر كما عرّفه ابن الياسمين. وجعلوا الصفر علامة الخلاء، وهو مدوّر كحلقة، بل قد استـــعمل، مـــن جهة، للمحافظة على منزلته في العدد. وبذلك ميّزوا بين العددين 21 و 201 ومن جهة أخرى قد استعمل كعامل ضرب ميّزوا به بين الكتابتين 21 و 210

أو بصفة عامة وبالكتابة الرّمزية $\overline{\text{أ}\,0} = 10\times\text{أ}$

واســـتنتج القلصـــادي من ذلك قواعد مهمة تساعد على الحساب الذهني وتيسّر نتائجه:

مـــثلاً: إذا كان أ عددًا زوجيًا بحيث: أ= 2 ن ⟸ $\overline{\text{ن}0} = 5\times\text{أ}$

$$\overline{\text{ن}\,0} + \overline{\text{ن}\,20} = 15\times\text{أ}$$

$$\overline{\text{ن}\,30} =$$

وإذا كان أ عددًا فرديًا: أ = 2ن + 1

$$5 + 10 + \overline{\text{ن}\,30} = 15\times\text{أ} \quad \Longleftarrow$$

$$5 + \overline{(1+\text{ن}3)0} =$$

مثاله: $5 + \overline{(1+6\times3)0} = 15\times13$

$$5 + 190 =$$

$$195 =$$

وبصفة عامة $\overline{\text{أ}\,00} = 100\times\text{أ}$

$$\text{أ} - \overline{\text{أ}\,0} = 9\times\text{أ}$$

$$\text{أ} - \overline{\text{أ}\,00} = 99\times\text{أ}$$

$$\text{أ} + \overline{\text{أ}\,0} = 11\times\text{أ}$$

يقول القلصادي في «كشف الجلباب عن علم الحساب»: «وكل عدد تضرب في أحد عشر، فضع تحته مثله ولتكن آحاد الأسفل تحت عشرات الأعلى واجمعهما فقط ».

ومثال من ذلك: إذا قيل لك اضرب ستة عشر في أحد عشر فضع الستة عشر في سطر وضع تحتها مثلها ولتكن الستة تحت العشرة والعشرة بعد ذلك هكذا:

16
16

ثم اجمعهما يكن المطلوب وذلك ستة وسبعون ومئة 176.

ومن الملاحظ، عند التصفح لكتاب الحصّار: «البيان والتذكار في علم مسائل الغبار» وكُتب القلصادي من بعده، أننا لا نجد التصريح بكون الصفر عددًا؛ بل بقي، على العموم، اعتباره «علامة للخلا» أو عامل ضرب في عشرة.

هذا على أننا نجد ضمن خوارزميات الحصّار والقلصادي للعمليات الحسابية من جمع وطرح وغيرهما ما نقف به على معاملتهما للصفر معاملة العدد.

فيقول القلصادي في «كشف الجلباب»: «إذا كان في المجموعَيْن صفر أو أصفار فاجمع العدد إلى العدد وضع الصّفر إن كان في المنزلتين لحفظ المرتبة».

ويأخذ لذلك مثلاً جمع أربعمئة 400 إلى ثلاثة ومئتين 203 هكذا

603
400
203

يقول: «ثم اجمع الثلاثة إلى الصفر تكن ثلاثة ضعها أول المرتبة، ثم

اجمع الصفر إلى الصفر يكن صفرًا لا غير فتضعه في مرتبة العشرات، ثم اجمع الاثـنين إلى الأربعـة تكن ستة ضعها على رأس المجموعَيْن، فيكون الخارج ثلاثة وستمئة 603».

وللتأكيد على هذا العمل الذي يبدو جديدًا يعدّد القلصادي الأمثلة:

1040+5203، 502+320، 5300+3021 .

وفي الخلاصـة إنـه تمّ اعتبار الصفر، في عملية الجمع والطرح اعتبار العدد كما يلي:

أ + 0 = أ

0+ أ = أ

0+ 0 = 0

الأمـر الـذي لخّص فيما بعد فقيل: «إنّ الصفر هو عنصر الحياد في عملية الجمع».

وتـبعًا لذلك عُومل الصفر في عملية الضرب، معاملة العدد (حسب تحديـد الضـرب بكونه عملية يعرف بها مجموع عدّة من الأعداد المساوية للمضروب بعدد ما يكون في المضروب فيه من الآحاد).

أ × 0 = مجموع صفر من الأعداد مساوية لـ (أ) أي 0.

0 × أ= 0 + 0 + ...0+ (أ مرّات) = 0

0 × 0 = 0

وهكذا توجّه الفكر تدريجيًا إلى اعتبار الصفر عددًا. وبذلك (حسب الحدّ العام للعدد) ستلاحظ المعادلة الآتية:

س 0 1 2... ⟸ 0 = $\frac{1+س}{2}$

وســـينطلق البحث عن عدد يمثّل الحاشية اليمنى (الصغرى) للصفر. ويبشر باكتشاف مجموعة جديدة من الأعداد: مجموعة الأعداد النسبية[1] Z.

وبعـــد هذه الملاحظات العامة السريعة حول تطوّر مفهوم العدد عند عـــلماء العرب والمسلمين سنعرض لوحات من خوارزميات أعمال الحساب المستمدّة من كتاب الحصّار ومن مصنفات القلصادي.

[كشف الجلباب عن علم الحساب]

للقلصادي

[البيان والاعتبار في علم مسائل الغبار]

للحصّار:

I– الجمع:

١) الحالة الأولى: مجموع الرقمين لا يفوق 10

67	655	9968
22	534	7635
45	121	2333

٢) تشتمل الأعداد على أصفار

603	822	6243
400	320	5203
203	502	1040

ملاحظة: أ + 0 = أ   0+ أ = أ   0+ 0= 0

---

(١) Z هـــي، في مصطلحات الرياضيات في التعليم العالي في سورية: «حلقة الأعداد الصحيحة». ينظر معجم الرياضيات المعاصرة للأساتذة صلاح أحمد وموفق دعبول وإلهام حمصي – نشرته مؤسسة الرسالة بدمشق في عام ١٩٨٣.

0 عنصر الحياد في عملية الجمع.

٣) مجموع الرقمين أصغر أو أكبر أو يساوي 10

10000	1000	100
6432	452	24
2343	548	76
1225	11	1
111		

136192	1572	1423
78764	974	746
57428	598	677
11 1	11	11

II– الطَّرح   أ – ب

١) أرقام ب أصغر من أرقام أ في عين المنزلة:

23313	223	24
57948	746	67
34635	523	43

٢) بعض الأرقام في ب (ماعدا المنزلة الأخيرة) أكبر من مقابليها في أ:

0062	057	43
1000	235	71
0938	178	28
111	11	1

III– الضرب   أ× ب

أ و ب ذوا رقمين:

32 ×14	23 × 64
448	1472
8	12
2	18
12	8
3 ⌈ 32	12 ⌈ 23
1 4	6 4

٢) أ (رقمان)　　　　ب (٣ أرقام)

72 ×592

42624

4

18

10

14

63

35 ⌈ 72

59 2

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير
في كتاب القانون لابن سينا
(القسم التاسع عشر)*

د . وفاء تقي الدين

بلونطريس

بلونطريس الذكر ١: ٣٧٩

ذكره ابن سينا نقلاً عن ديسقوريدس على أنه اسم من أسماء نوع من السرخس يدعى السرخس الذكر، وقد وقع في أسماء أنواع السرخس تصحيف وتخليط كثير. انظر التحقيق في مادة (سرخس) من هذا المعجم.

بليخنون**

يلحرون ١: ٣٧٩

كذا وردت اللفظة مصحفة في القانون سواء في ذلك طبعة رومة وطبعة بولاق. ذكرها ابن سينا على أنها اسم يوناني لنوع من السرخس يدعى السرخس الذكر.

الصواب في هذه اللفظة بليخنون Blechnon كما جاء في معجم الدكتور أحمد عيسى. وقد وقع في أسماء السرخس المنقولة عن ديسقوريدس تصحيفات وأوهام كثيرة، فانظر تحقيقها في مادة (سرخس) من هذا المعجم.

(*) نشرت الأقسام الثمانية عشر السابقة في مجلة المجمع (مج٦٧: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) ومج (٧٩: ص٧١، ٣٣٣) .

** معجم الدكتور أحمد عيسى ٧٢ (١٦).

بَلِيلَج*

بَلِيلَج	١: **٢٧١**/٢: ٦٤، ٣١٦، ٤٨٢، ٤٨٣، ٥٢٥/٣: ١٤٤، ١٤٥، ٢٦٥، ٢٩١، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٥، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤١٤، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٠.
بليلج مقلو	٢: ٥٢٤
بليلج منزوع النوى	٣: ٣٥٠، ٣٥٦، ٣٩٤
عسل البليلج	٣: ٣٣٩
لب البليلج	١: ٢٧١

ذكره ابن سينا في أدويته المفردة فقال: «الماهية: قريب الطبع من الأملج، ولبه حلو قريب من البندق».

اتفقت المراجع على أن البليلج ثمر شجرة تنبت في الهند ثم يحمل الثمر منها إلى الأقطار، وأكثرها على أنه من أنواع الهليلج. وصف البيروني هذه الثمرة وصفاً مفصلاً فقال: «بليلج: جوزات ملس محددة الرؤوس، غبر الألوان، في عظم العفص الكبار، لها نويات على شكلها، تنكسر عن لبوب مأكولة كلبّ اللوز أو البندق، حلوة المذاق، دسمة، مغثّية، محددة الرؤوس»، أما ابن البيطار فنقل عن إسحاق بن عمران أن «الثمرة الخضراء ترض وتجفف فتصغر. وطعمه مرّ عفص. المستعمل منه قشره الذي على نواه» ويضيف الغساني في حديقة الأزهار

---

* الملكي ٢: ١٢٠، والصيدنة ٩٨، ومنهاج البيان ٥٢أ، والمختارات لابن هبل البغدادي ٢: ٤٣، والمنتخب لابن العبري ٦١، ومفردات ابن البيطار ١: ١١٠، ومفيد العلوم ١٨، والشامل ١٠٤، والمعتمد ٣٤، ومالايسع ١٠٥، وحديقة الأزهار ٦٣ (٦١)، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٧٩، والمعربات الرشيدية ١٣٧، وتاج العروس في مستدرك (بلج)، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ١٧٨ (١٤)، وبرهان قاطع ١: ٣٠٢ (بليله).

أن بزر الثمرة مما يُتَنَقَّل به حيث قال: «هو ثمر شجرة بأرض الهند يشبه ثمر الجوز والعفص، لونه أغبر إلى الصفرة، في داخله نوى طيب الطعم دسم يشبه الفستق والبندق، وهو مما يُقْرف على أصناف الطعام ويتفكه به». اشتهرت هذه الثمرة بأنها من الأدوية المصلحة لجهاز الهضم.

الاسم العلمي لنبات البليلج هو Terminalia bellerica من فصيلة الهليلجات Combretaceae.

كلمة بليلج معربة من الفارسية (بليله) بفتح الباء، وهي على الأغلب من أصل سنسكريتي.

بُنّ•

بُنّ ١: ١٧٨/ ٢: ٤٩٠[1]

ورد هذا المصطلح في كلام ابن سينا على تدبير المشايخ في الكتاب الأول من القانون في قوله: «وليجتنبوا كل غذاء غليظ .. وكل حاد حريف .. فإن فعلوا من ذلك مالا ينبغي لهم .. أو فعلوا الخطأ الثاني، فأكلوا الكوامخ والصحناة والبن عولجوا بتناول الضد ..»

واضح من السياق أن البن نوع من الطعام المطبوخ الحريف. وهو من المشهيات للطعام، ذكره مؤلف التاج في مادة (بنن) فقال: «البن بالضم وهو شيء يتخذ كالمري» ونقل تعريفه إلى المعجم الكبير الذي جاء فيه: «البن إدام يتخذ كالكوامخ وغيرها. (عن الزبيدي)». ذكره أيضاً التبريزي في برهان قاطع فقال إنه إدام معروف مشهور في أصفهان.

• تاج العروس (بنن)، والمعجم الكبير لمجمع القاهرة ٢: ٥٩٤، وبرهان قاطع ١: ٣٠٤

(١) في هذه الصفحة وردت لفظة البن في الكلام على علاج هزال الكلية، ضمن عبارة مضطربة، نصها وفقاً لما جاء في طبعتي رومة وبولاق كمايلي: «وينفع شراب لبن البقر والبن المطبوخ مع ثلثه أو أربعه ترنجبين» بينما وردت هذه العبارة في المخطوطة المصورة على الشكل التالي: «وينفع شرب لبن البقر المطبوخ مع ثلثه أو ربعه ترنجبين». وهكذا تخلص الناسخ من الكلمة المشكلة. أقول: لاشيء يمنع أن يكون المراد هو البن المذكور في الموضع السابق. انظر مادتي (كامخ) و (مري) في هذا المعجم.

أما البن الذي نصنع منه القهوة المعروفة في عصرنا هذا فلم يذكر في كتب الطب واللغة القديمة، والظاهر أنه لم يعرف في بلاد العرب إلا في عصور متأخرة. ذكره مؤلف التاج نقلاً عن تذكرة داود الأنطاكي[١].

بنات عرس

انظر مادة (ابن عرس) التي تقدمت في باب الهمزة.

بنات وَرْدان*

بنات وَرْدان ١: **٢٨٠**، ٤٦٥.

ذكرها ابن سينا في الأدوية المفردة فلم يصفها بل تكلم على فوائدها. وكان التداوي ببعض الحشرات أمراً معروفاً في الطب القديم، لذلك ذكرت بنات وردان في كثير من كتب المفردات.

يطلق هذا الاسم على أنواع من الحشرات مستقيمات الأجنحة لها قرون طوال تكثر في المواضع الرطبة الحارة كالمطابخ والأفران والحمامات والمراحيض. قال الزبيدي: «بنات وردان دواب معروفة هي هذه الخنافس» ويسميها أهل الشام (الصرصور) ومازال أهل السعودية يعرفونها باسمها العربي. اسمها بالفرنسية Blatte.

بنات وردان صيغة الجمع مفردها بنت وردان. ولم ترد في القانون إلا صيغة الجمع.

---

(١) توفي داود الأنطاكي سنة ١٠١١هـ على أبعد التقديرات. ومنهم من قال سنة ١٠٠٥ أو ١٠٠٨ إلخ.

* كتاب ديسقوريدس ١٤٠ (سلفينون) والحيوان ٣: ٣٧١/ ٤: ٣٩، ٢٧٢، ٣٠٠، ومنهاج البيان ٥٥ أ، والمختارات ٢: ٤٧والمنتخب ٨٩، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢١، والمعتمد ٤٠، والشامل ١٢٨، ومالايسع ١١٤، وحياة الحيوان ٢: ٣٣٦، وتذكرة داود ١: ٨٢، واللسان والتاج (ورد) ، ومعجم الحيوان ٣٦، ومعجم الشهابي ٩٠.

بناست°

بناست ٣: ٣٣١

تياست ٢: ٥٩٩ كذا في طبعة رومة وصحفت بأشكال أخرى في المخطوطات في كتاب الأدوية المركبة أي الأقرباذين ذكر ابن سينا معجوناً سماه «معجون القوفى» فكان من أخلاطه البناست.

لم يشرح ابن سينا هذا المصطلح. وهو كما جاء في المراجع اسم يطلق على صمغ شجرة البطم. وقد عبر بعضها عن الصمغ بالعلك.

لفظة بناست معربة من الفارسية، وقد اختلفت كتابتها في المراجع العربية كثيراً، فهي في القانون المطبوع بناست بالسين المهملة وآخرها تاء معجمة باثنتين من فوق، كذا وردت مرتين في الصفحة نفسها، وفي منهاج البيان ومالايسع الطبيب جهله كذلك. وهي بالشين المعجمة في الملكي وتذكرة داود. وجاءت في معجم الدكتور أحمد عيسى مفتوحة الأول بسين مهملة، وآخره باء معجمة بواحدة من تحت.

قال مؤلف مالايسع الطبيب جهله. بناست اسم فارسي لصمغ البطم. وفي الألفاظ الفارسية لأدي شير: «البناست فارسي محض وهو صمغ البطم». ضبطها التبريزي في برهان قاطع بكسر أولها وفتح السين. وقال: هي بالعربية صمغ البطم.

بَنْج°°

بنج ١: ١٧١، ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٤٨، **٢٧٣**،

° الملكي ٢: ١٢٥ (بناشت)، ومنهاج البيان ٥٤ أ، والمختارات ٢: ٤٠ (بناسب). ومالايسع ١١٤ (باست)، ومعجم أحمد عيسى ١٤١ (٤١) بَنَاسْب، وبرهان قاطع ١: ٣٠٤ (بناست)، والألفاظ الفارسية المعربة (بَنَاست). وانظر مادة (بطم).

°° كتاب ديسقوريدس ٣٣٤ (ايسقوااس)، ٤٠ (ايا سقيامين وهو دهن البنج). والصيدنة ٩٩، ومنهاج البيان ٥٤ ب، وشرح أسماء العقار ١٠، ومختارات ابن هبل ٢: ٤٠، والمنتخب ٧٦، ومفردات ابن البيطار ١: ١١٧، ومفيد العلوم ١٥، والمعتمد ٣٦، والشامل ١١٣. ومالايسع الطبيب جهله ١١٠، ٢٥٤ (دهن البنج)، وحديقة الأزهار ٥٨ (٥٥). وتذكرة داود ١: ٨١، وقاموس الأطباء ١: ٨١، ومعجم أحمد عيسى ٩٦ (٢، ٣، ٥)، ومعجم الأمير الشهابي ٣٧٢، وتاج العروس (بنج، سكر، شكر)، والألفاظ الفارسية ٢٧، وبرهان قاطع ١: ٣٠٩ (الحاشية)، والمعجم الكبير ٢: ٥٧٩.

ذكر ابن سينا البنج في أدوية القانون المفردة فقال: «بنج. الماهية: أردؤه وأخبثه الأسود ثم الأحمر. والأبيض أسلمه، وهو الذي يستعمل، والأولان لايستعملان، وزهر الأسود أرجواني، وزهر الأحمر أصفر، وزهر الأبيض أبيض أو إلى صفرة. وفي المستعمل رطوبة دهنية». هذا الكلام مقتبس عن ديسقوريدس الذي وصف هذا النبات وأنواعه. ونقله عنه أيضاً ابن البيطار. وهو كما جاء في كتاب ديسقوريدس: «ايسقواامس ومن الناس من يسميه ادامنتي وهو البنج، وهو ثمنش[1]، وله قضبان غلاظ، وورق عراض صالحة الطول، مشققة الأطراف، إلى السواد، عليها زغب. وعلى القضبان ثمر شبيه [بالجلنار]

(١) في المطبوع ثميش، والصواب ماأثبته. الثمنش أي الجنبة أو الشجيرة.

أقراص الفنجنكشت	٢: ٤١٤، ٤١٧
قضبان بنجنكشت	١: ٢٧٦
ماء طبخ الفنجنكشت والفاريقون	٢: ٦٠١
نَطولات فنجنكشتية	٢: ٥٤٨
ورق بنجنكشت	١: ٢٧٥
ورق الفنجنكشت	٢: ٤١٨، ٥١٠/ ٣: ٢٣٨

ذكره ابن سينا في فصل الباء من الأدوية المفردة، وأحال إليه في فصل الفاء، قال في ماهيته: «الماهية: نبات يكاد لعظمه أن يكون شجراً، وينبت في المواضع القريبة من المياه، وأغصانه صلبة، وورقه كورق الزيتون إلا أنه ألين، ولاتدخل عيدانه في الطب[1]، بل زهره وورقه وثمرته. وسائر مايستعمل منه فيه لطافة وحرافة وعفوصة ...».

كلام ابن سينا مأخوذ من وصف ديسقوريدس وجالينوس. قال البيروني في كلامه على هذا النبات :« .. وسمي في كتاب الترياق فنطافلن» وفي مختارات ابن هبل أيضاً أنه هو البنطايلون. وفي المعتمد نقلاً عن ابن جزلة أنه قال في البنجنكشت هو فيطافلون[2]. قال ابن البيطار: «بنجنكشت تأويله بالفارسية ذو الخمسة أصابع، وغلط من جعله البنطافلن». أما فوائده وخواصه فهي متشابهة في المراجع، وأكثرها تسمي حبه حب الفقد، وفي مفيد العلوم أن أهل المغرب يسمون شجرته شجرة إبراهيم. وجاء في كتاب ديسقوريدس أن هذا النبات يسمى (آغنس وهو الطاهر لأن الزاهدات من النساء يفترشنه في الهياكل ليقمع الشهوة.»

نقل ابن البيطار تحلية هذا النبات عن بعضهم فقال: «ورقه على قضبان خارجة من الأغصان، على رأس كل قضيب خمس ورقات مجتمعة الأسافل متفرقة الأطراف كأصابع الإنسان، وعسراً مايوجد أقل أو أكثر من خمس. وإذا

---

(١) قال هذا لأن عيدانه الصلبة تستخدم عكاكيز يستعان بها أثناء المشي، ونسب إليها بعضهم أنها تفيد في منع الحفا.

(٢) المعتمد ٣٨. وفي الحاوي أيضاً ٢٢: ٢٦٨ منصاميلون بنج انكشت عن حنين في الترياق.

فركت الورق ظهر منها رائحة البسباسة. وأغصانها تطول نحو القامة وأكثر. ومنه مازهره أبيض، وهو في وشائع طوال في أطراف أغصانه. وبزره ربما كان أبيض، وربما كان أسود. وليس في كل مكان يعقد الحب».[(١)] الاسم العلمي لهذا النبات Vitex agnus castus وهو جنبة للتزيين من فصيلة رِعْي الحمام.

ضبط القوصوني بنجنكشت بفتح الباء وسكون النون وفتح الكاف. وهو اسم معرب من الفارسية پنج ومعناها خمسة، وانكَشت ومعناها أصبع فيكون معنى الاسم ذو الخمسة أصابع. وتجوز بعضهم فسماه ذا الخمسة أوراق، وهذا ماأدى إلى خطأ من ظن أن هذا النبات هو نفسه بنطافلن، لأن معنى بنطافلن ذو الخمسة أوراق.

بُنْدُق*

بندق، بندقة	١: ١٥١، ٢٦٧، ٢٧١، **٢٧٥**، ٣٢١، ٣٧٧، ٣٢٤، ٤٢٨، ٤٦٨/ ٢: ١٣١، ١٣٦، ١٩٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٩٧، ٤٩٠، ٤٩٩، ٥٣٩، ٥٤٤/ ٣: ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٥٥.
فندق	٢: ٥٠٤، ٥٤٤/ ٣: ٣٥٩
بنادق كبار	١: ٣٦٩
بندق محرق	٣: ٢٦٦، ٢٦٩
بندق مشوي	٢: ٤٥٠، ٥١٤/ ٣: ٣٣٢

(١) وفي الشامل وصف مشابه أكثر تفصيلاً.

* كتاب ديسقوريدس (بنطيقيا)، وكتاب النبات (جلَّوز)، والملكي ١: ١٩٠، والصيدنة ١٠١، ومنهاج البيان ٥٣ أوشرح أسماء العقار ٨ ومفردات ابن البيطار ١: ١١٩، ومفيد العلوم ١٦، والمعتمد ٣٨، ١٧٣ (دهن البندق)، والشامل ١١٦، ومالايسع ١١١، ٢٥٤ (دهن البندق)، وحديقة الأزهار ٦٦ (٦٥)، وتذكرة داود ١: ٨٢، ولسان العرب، وتاج العروس (بندق، وفندق)، ومعجم أحمد عيسى ٥٨ (١٣)، ومعجم الشهابي ٤٥٥، والمعجم الموحد ١٠١، ١٠٦، والمعجم الكبير ٢: ٥٨٢، وشفاء الغليل ٦٥

بندق مقشر	٢: ٥٤١/ ٣: ٣٠١، ٣٠٢، ٤٢٨، ٤٣٧
بندق مقلو	٣: ٣٦٣
حراقة البندق	١: ٢٧٥
دهن البندق	٢: ٥٢٦، ٥٤١
قشر البندق	١: ٢٧٥
لب عشرين بندقة	٣: ٢٦٦
بندق هندي	هو مدخل قائم بذاته التمسه في الموضع المناسب.

ذكر ابن سينا البندق في أدويته المفردة فقال في ماهيته: «هو معروف، أرضيته أكثر من أرضية الجوز وهو أغذى من الجوز ...»

أكدت المراجع أنه حمل شجر يعرف بالعربية بالجِلَّوْز ولم تصفه لأنه معروف. وهو ثمر الشجر الذي يعرف علمياً باسم Corylus avellana. وحين يذكر البندق في كتب الطب فالمراد البذر، وهو لبٌّ غني بالدهن لذيذ الطعم يحيط به غلاف خشبي يكون لونه أحمر بنياً حين تنضج الثمرة.

ضبطت كلمة بندق في المعجمات بضم الباء وسكون النون. قالوا: معرب عن الفارسية فندق. ورد في قانون ابن سينا بالباء والفاء. والأصح أنه منقول إلى اللغتين العربية والفارسية من اليونانية بنطيقا Pontica وهي اسم أرض تقع شمال الأناضول، يكثر فيها هذا النبات.

بندقة، بنادق*

بندقة، بنادق	٢: ١٦٨، ١٨٥، ١٨٨، ٢٢٣، ٤٨٢، ٤٩١، ٤٩٣، ٥١٥، ٥٢٠، ٦١٣، ٦٢٧/ ٣: ١١٩، ١٤٤، ١٧٩، ٢٢٠، ٢٣٧، ٣٥٥

* أقرباذين القلانسي ٥٥، ومفيد العلوم ١٦، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ٢١ب (بنادق البزور)، ولسان العرب وتاج العروس (بندق)، وكشاف اصطلاحات الفنون ١: ١٤٢، والمعجم الكبير ٢: ٨٢

بنادق البزور	٢: ٤٩٣، ٥١٦، ٥٢٢
بنادق الحبوب	٢: ٤٩٩
بنادق جوزية	٣: ٣٠١
(دواء) مُبَنْدَق	٢: ٢٥٩
يُبَنْدَق (الدواءُ)	٢: ١٨٨، ٢٣٢، ٥٤٣/ ٣: ٣٠١

يطلق ابن سينا هذا المصطلح على كمية من الدواء، المعجون غالباً، تشكَّل بشكل البندقة، وتقدر بمقدارها وحجمها، فإن كان الحجم مخالفاً للبندقة نبه على ذلك، كما في قوله: بناذق جوزية.

اطرد هذا الاصطلاح في كتب القراباذينات، واشتقت منه أفعال وصفات، وأخذ يتخصص بمرور الزمن. قال القلانسي في اقرباذينه: «البنادق جمع بندقة، وهي أكبر من الحبوب في هيئة البندقة» وقال في الكلام على الشياف: «اسم لما يتحمل في المقعدة ... تسمى أيضاً البلوطة والبندقة..»، وفي مفيد العلوم: «.. وبَنْدَقةُ الدواء تصييره هلى هيئة البندق». وحاول مؤلف كشاف اصطلاحات الفنون أن يجمع استعمالات كلمة بندقة فقال: «البندقة هو اسم مايتحمل في المقعدة كالشياف. ويطلق أيضاً على درهم واحد. وبعض الأطباء يجعلها مثقالاً، وبعضهم أربع دوانق. ويقال أيضاً على شيء أكبر في هيئة البندق ..» ولم يظهر لي من دراسة القانون أن ابن سينا أراد بالبندقة وزناً معيناً، لكنه أراد الشكل والحجم.

انتقلت كلمة البندق أيضاً إلى المجال العسكري. جاء في اللسان وفي التاج: «والبندق بالضم الذي يرمى به. الواحدة بندقة» وكان البندق يصنع قديماً من الطين أو الرصاص ثم غدا يصنع من النحاس والبارود ومنه سميت آلة الحرب التي تقذف البندق بالبندقية.

بندق هندي*

بندق هندي	١: ٤٢٨/ ٣: ٢٥٥، ٣٢٠

* الملكي ٢: ١١٩، ومنهاج البيان ٥٣ب، ومفردات ابن البيطار ١: ١١٩، والمعتمد ٣٩، ومالايسع ١١٢، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ٣٥ (١٦). وانظر مادة (رتة) في هذا المعجم.

فندق هندي	٢: ١٠٥
قشر الفندق الهندي الأعلى	٢: ١٠٥

ذكرته المراجع بهذا الاسم وقالت هو الرتة. أما ابن سينا فذكره أثناء كلامه على الرتة حيث قال: «هو البندق الهندي»، ونبه ابن البيطار على غلط يقع فيه فقال: بندق هندي هو الرتة، وقد غلط من قال إنه الغوفل ..» فانظر مادة (رتة) في هذا المعجم.

بندواش

بندواش	١: ٤٥٠

ورد هذا الاسم في كلام ابن سينا على الثيل حيث قال: «الماهية: قيل إنه بندكنا، وأهل طبرستان يسمونه بندواش وهو نبات معروف ..»

كذا وردت اللفظة في القانون المطبوع برومة وببولاق، وهو مما اختصرته النسخة المصورة.

لم أجد هذا الاسم في المراجع التي تكلمت على الثيل، إلا في محيط المحيط، الذي نقلت إليه عبارة ابن سينا. فهو اسم محليّ يطلقه أهل طبرستان على الثيل المعروف بالعربية باسم النخيل. ولم أظفر بما يعينني على ضبطه، انظر (ثيل).

بَنْطَافِيلون*

بنطافيلون	١: ٣٣٤
فنطافلن	٣: ٣١٢
قنطافلون	١: ٤٦٣
بنطافيلون	١: ٣٣٤
أصل بنطافلن	٢: ٥٠٣، ٥٠٥
أصل الفنطافلن	٣: ٤٢٧

* كتاب ديسقوريدس ٣٢٤ (بنطافلون)، والحاوي ٢٢: ٢٦٠ (فنطافن). ٢٦٢ (فيطافلن)، والصيدنة ٢٩٥ (فنطافيلون) والمنتخب من مفردات الغافقي ٧٥ (بنطافلون). ومفردات ابن البيطار ١: ١١٦ (بنطافلن)، والمعتمد ٣٨ (بَنطافُلن)، والشامل ١١٣ (بنطافلن). ومالايسع ١١٠ (بنطافلن)، وحديقة الأزهار ٦٠ (٥٧) بنطافلون، وتذكرة داود ١: ٨١ (بنطافلن). ومعجم أحمد عيسى ١٤٧ (١٧)، ومعجم الشهابي ٥٣١. وانظر (ذو الأوراق الخمسة).

أصل فيطايلون	٢: ١٥٨
ماء بنطافلن	٢: ٥٠٣
ورق قنطافلون	١: ٤٦٨/ ٣: ١٥٣

ذكره ابن سينا في الكلام على اليتّوعات، ولم يتخذه مدخلاً في أدويته المفردة. قال في ماهية اليتوع: «هو كل نبات له لبن حاد مسهل مقطع محرق والمشهور منه سبعة: القشر والشبرم ... وبنطافيلون[١]، وهو ذو الأوراق الخمسة. وكلها قتالة، وأكثر الغرض فيها في لبنها»

وصف ديسقوريدس في كتابه هذا النبات فقال: «هو نبات له قضبان دقاق طولها نحو من شبر، وعليها ثمر، وله ورق شبيه بورق النعنع، خمسة على قضيب، وعسر مايوجد أكثر من خمسة، والورق مشرف من كل جانب مثل تشريف المنشار، وله زهر لونه مشرق بين البياض والصفرة. وينبت في أماكن رطبة وقرب الأنهار، وله أصل لونه إلى الحمرة مستطيل، وهو أغلظ من أصل الخربق الأسود، وهو كثير المنافع. وطبيخ الأصل ... سكّن وجع الأسنان. وإذا تُمضمض به منع خشونة الحلق. وإذا شرب نفع من إسهال البطن ...»

تحلية هذا النبات وفوائده في سائر المراجع مشابهة لما جاء في كتاب ديسقوريدس، وكذلك استعمالاته في القانون موافقة لما ذكرنا. لكن الإشكال يبقى في قول ابن سينا إنه من الأدوية القتالة. قال هذا في الكلام على اليتوع،[٢] وفي الكلام على ذي الأوراق الخمسة[٣]. ولم أجد أحداً صرح بأنه قتال. بل هو في المراجع من الأدوية المشروبة الداخلة في تركيب الترياق والسنوناز بوجهٍ خاص. الاسم العلمي لهذا النبات هو: Potentilla repentens

ورد اسم هذا النبات في القانون والمراجع الأخرى بأشكال مختلفة هي:

(١) صحفت في المطبوع فجعلت نبطافيلون.

(٢) القانون ١: ٣٣٤.

(٣) القانون ١: ٤٦٣ حيث قال: «خمسة أوراق هو قنطافلون .. عصارة أصله دواء قتال» على حين جاء في كتاب ديسقوريدس ٣٢٤: «وعصارة الأصل إذا كان طرياً تصلح لوجع الكبد ووجع الرئة والأدوية القتالة» !

قنطافلون، قيطافلون، بنطافلون، بنطافلن، فنطافيلن .. وكلها أشكال من التعريب أو التصحيف للاسم اليوناني Pentaphyllon ومعناه خمسة أوراق.

بَنَفْسَج*

بَنَفْسَج	١: ١٩٩، ٢٣٨، ٢٦٦، ٢٧٤، ٢/٣٤٤: ٢٠، ٣٦، ٣٩، ٤٨، ٥٢، ٥٤، ٩٨، ١٢٧، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٨، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٦، ٣٢٩، ٣٤٢، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٦١، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٩٤، ٥٥٣/ ٣: ٢٤، ٢٨، ٣١، ٣٧، ٥٣، ١٢٢، ٣٧٨
بنفسج مبرد	٢: ٥٣
بنفسج مربى	١: ١٨٠، ٢٦٦/ ٢: ١٦٩، ٢٣٠، ٢٥٢ ٣: ٣٥، ٤٦
بنفسج مسحوق	١: ١٥٥ /٢: ٤٦٨، ٥٥١.
بنفسج يابس	١: ٢٦٦/٢: ٣٥٧/ ٣: ٤٦، ٣٨٣، ٣٨٩
أصل البنفسج	١: ٢٦٦
بزر البنفسج	٢: ٢٩٢

* كتاب ديسقوريدس ٣٥٢ (إِيُن)، وكتاب النبات ٦٢، والملكي ١: ٢٠٩، ٢٠٧ (شراب البنفسج) ٢: ١١٧، ١٤٨ (بنفسج)، ١٢١ (دهن البنفسج)، ٥٥٥ (قرص البنفسج المعروف بالمارستاني)، ٥٩٠ (شراب البنفسج غير المربى)، ٥٩٣ (بنفسج مربى)، والصيدنة ١٠٢، ومنهاج البيان ٥٣ ب، ١١٦ب «دهن البنفسج ١٦٤ أ(شراب البنفسج)، ٢٠٧ب (قرص البنفسج)، ومختارات ابن هبل ٢: ٣٥، والمنتخب ٧٢ ومفردات ابن البيطار ١: ١١٤، والمعتمد ٣٥، ١٦٥ (دهن البنفسج)، والشامل ١٠٩، ومالايسع الطبيب جهله ١٠٨، ٢٤٨ (دهن البنفسج)، وتركيب مالايسع ٤٦أ (دهن البنفسج)، ٥٨ب (شراب البنفسج)، ٧٤ أ (قرص البنفسج)، وحديقة الأزهار ٤٣ (٣٧)، وتذكرة داود ١: ٨٠، ومعجم أحمد عيسى ١٨٩ (١٨)، ومعجم الشهابي ٦٧٨، والمعجم الموحد ٢٠٥، وتاج العروس (بنفسج)، والمعربات الرشيدية ١٣٠، والمعجم الكبير ٢: ٥٨٧، وبرهان قاطع ١: ٣٠٨.

ورد البنفسج ١: ٢٦٩

ورق البنفسج ١: ٢٦٩/ ٢: ٢٥٤

البنفسج من أدوية القانون المفردة، لم يصفه ابن سينا، بل قال: «الماهية: فعل أصله قريب من أفعاله، وهو معروف» ثم تكلم على استعمالاته الطبية وأكثرها لدهنه.

استغنت معظم المراجع عن وصف هذا النبات لشهرته وشهرة زهره العطر ذي اللون المركب من زرقة وحمرة، ينسب إلى لونه فيقال بنفسجي. وفي معجمات النبات الحديثة يطلق اسم البنفسج على جنس زهري له أنواع وضروب كثيرة أحدها ماوصفه ديسقوريدس وأراده ابن سينا وغيره من الأطباء واسمه العلمي Viola odorata، وهو عشب قصير حولي من الفصيلة البنفسجية، أوراقه لها أذينات مفصصة يزهر في الربيع ويكثر في المواضع الظليلة، تستعمل أزهاره في العطور والزينة، وكانت تستعمل في الأدوية. وفي حديقة الأزهار وصف لنوعين من البنفسج أحدهما ماذكرناه آنفاً وسماه البنفسج البري، والآخر من نوع الجنبة وهو البستاني. قال الغساني في وصفه: «له وريقة ملفوفة خارجة من ناحية أقماعه ممايلي طرف الغصن المتعلق به النَّوْر كلسان مسلول من القفا. وإلى هذا المعنى أشار بعض المشارقة بقوله:

زعم البنفسج أنه كعذاره حسداً فسلوا من قفاه لسانه

أما دهن البنفسج، وهو مشهور كثير الاستعمال في الطب، فله عدة نسخ تختلف في طرق تحضيرها والعقاقير الداخلة في تركيبها، لكنها لاتخلو من زيت تنقع فيه أزهار البنفسج مدةً طويلة. وكذلك شرابه الذي يصنع من الأزهار مطبوخة بالماء والسكر.

اسم البنفسج «اسم أعجمي، وقد جرى في كلام العرب» قاله أبو حنيفة. فهو من المعربات قديماً، فارسيته الحديثة بنفشه، وكان في الفهلوية القديمة ڤنفشك. ضبط بالعربية بسكون الفاء وفتح سائر الحروف.

بنقسة

بنقسة ١: **٢٧٣** تصحيف. بيقية

بَنْك*

بنك ١: **٢٧٠**

بنك أبيض ١: ٢٧٠

بنك أصفر ١: ٢٧٠

البنك مدخل من مداخل الأدوية المفردة في كتاب القانون. قال فيه ابن سينا: «الماهية: هو شيء يحمل من الهند ومن اليمن، قال بعضهم إنه من أصول أم غيلان إذا نجر فتساقط».

يعد هذا العقار في أصناف الطيب، ذكره يوحنا بن ماسويه في جواهر الطيب المفردة فقال: «البنك جنس واحد يؤتى به من بلاد اليمن، أجوده الأصفر الخفيف العذب الريح. والأبيض منه لاخير فيه. ويقال إنه خشب أم غيلان يسقط هنالك فينخر، وهو من أصولها سوقها، يدخل في طيب النساء اليابس، ويشبه داخل الكَرَب[1] النخر». أما كتب الطب فتؤكد أنه يجلب من الهند كما يجلب من اليمن. قال ابن الحشاء في مفيد العلوم إنه غير معروف بالمغرب. وشبهه ديسقوريدس بقشور شجرة التوت، يُدَخَّن به لطيب رائحته، ولنفعه من بعض أمراض الرحم والمعدة، لكنه مما يشوش العقل.

ضبطت كلمة بنك في لسان العرب وتاج العروس وغيرهما ضبط قلم بضم الباء وسكون النون. على حين قال داود الأنطاكي: «بنك بالتحريك قشر يمني خفيف أصفر.. رائحته عطرة ..»ولا أرى ضبطه صحيحاً. اللفظة معربة من

---

* كتاب ديسقوريدس ٣١ (لشقفشن)، وجواهر الطيب ٢٣، والملكي ١: ٢١٠، والصيدنة ٩٩، ومنهاج البيان ٥٤ أ، والمختارات ٢: ٤١، والمنتخب من مفردات الغافقي ٦٠ ومفردات ابن البيطار ١: ١٢٠، ومفيد العلوم ١٦، والشامل ١٢٨، وتذكرة داود ١: ٨٢، ومعجم أحمد عيسى ٢ (١٢)، ولسان العرب وتاج العروس (بنك)، والمعجم الكبير ٢: ٥٨٩، وبرهان قاطع ١: ٣٠٨.

(١) الكَرَب: أصول السعف الغلاظ العراض التي تيبس فتصير مثل الكتف.

بنك الفارسية. ومعنى بنك الشيء أصله وخالصه، ويسمى بها خاصة هذا الطيب. ضبطت في برهان قاطع بضم أولها وسكون ثانيها وثالثها ضبط ألفاظ.

بُنِّيٌّ*

البني ١: ٣٩٢

في الكلام على السمك ذكر ابن سينا بعض أنواعه مبيناً فوائدها الغذائية والدوائية فقال: «أما في الأجناس فالشبابيط أفضلها ثم البني ..»

وصف ابن الحشاء هذا النوع من السمك فقال: «هو صنف من السمك صغير يتخذ منه البُنّ وهو مريّ الحوت، وإليه ينسب. ويتخذ هذا المري بالمغرب من صنف السردين الكبير وقد يتخذ من غيره»، قال الزبيدي في تاج العروس إنه «أفخر الأنواع يكون كثيراً في النيل» ونقل أمين معلوف عن الإدريسي قوله في وصف أسماك النيل: «وفيه سمك يقال له البني وهو كبير عجيب الطعم والطيب، وربما وجد في الواحد منه خمسة الأرطال وعشرة الأرطال وأكثر وأقل» وفي كتاب الحيوان وصف لهذا السمك في طرفة استحسنت نقلها وهي[1]: «قال الأعمش لجليس له: أما تشتهي بُنانيّ[2] زرق العيون، نقية البطون، سود الظهور، وأرغفة حارة لينة، وخلاً حاذقاً؟ قال: بلى! قال: فانهض بنا. قال الرجل: فنهضت معه، ودخل منزله. قال: فأومأ إلي أن خذ تلك السلة. قال: فكشفها فإذا برغيفين يابسين، وسكرجة كامخ شِبِثْ. قال: فجعل يأكل. قال: فقال لي: تعال كل. فقلت: وأين السمك؟ قال: ماعندي سمك. إنما قلت لك: تشتهي؟ !»

البنيّ سمك من فصيلة الشبابيط يكون في المياه العذبة له أنواع كثيرة. واسمه العلمي Barbus والنيلي منه خاصة Barbus bynni ، وُصف في المعجم الكبير لمجمع القاهرة بأنه سمك نيلي من فصيلة الشبابيط يطول إلى نصف متر، ويزن الكبير

* كتاب الحيوان: ١: ١٤٩، ١٥١/ ٣: ١٨/ ٥: ٣٦٩/ ٦: ١٨، ومفيد العلوم ١٥، وتذكرة داود ١: ١٩١، ومجلة مجمع دمشق ٢٣: ٣٣٠ (الألفاظ السريانية في المعجمات العربية)، ومعجم الحيوان ٢٨، ومستدرك التاج (بن)، والمعجم الكبير ٢: ٥٩٦.

(١) الحيوان ٣: ١٨.

(٢) جمع بنّي كما هو ظاهر.

منه نحو خمسة كيلو غرامات. ظهره أصفر قاتم إلى زيتوني، وبطنه فضي اللون، وزعانفه برتقالية إلى حمراء، ومقدمه مستدير وفمه صغير، على جانب منه حسّاستان، وهما مايحيط بفمه من زوائد لحمية يتحسس بها الأشياء».

ضبطت كلمة البني بضم الباء وتشديد الياء. قال الزبيدي: «البني كقُميّ ضرب من السمك ..» والعامة في مصر تكسر أوله. نقل مؤلف معجم الحيوان أن هذه الكلمة مصرية الأصل من بنپنو بالمصرية القديمة. ومن العربية أُخذ اسمه النوعي الذي يعرف به عند العلماء. على حين رأى البطريرك أغناطيوس أنها سريانية الأصل.

بَهَار*

بَهَار	١: **٢٧٣**
ورد البهار	١: ٢٧٣
ورق البهار	١: ٣٣٨
بهار كما فيطوس	١: ٣٣٨ يريد زهر كما فيطوس. انظر مادة (كما فيطوس)

ذكر ابن سينا البهار في الأدوية المفردة فقال: «الماهية : هو الذي يسمى كاوجشم أي عين البقر، ورده أصفر الورق، أحمر الوسط، أسمن من ورق البابونج».

جاء في المقالة الثالثة من كتاب ديسقوريدس قوله: «بفثلمن وهو البهار، وهو عين البقر، له ساق رخصة، وورق شبيه بورق ماراثن[1]، وزهر أصفر، أكبر من زهر البابونج، شبيه بالعيون، ولذلك يسمى بهذا الاسم، وينبت في الدمن[2]،

* كتاب ديسقوريدس ٣٠٠ (بفثلمن)، والملكي ٢: ١١٨، والصيدنة ١٠٤، ومنهاج البيان ٥٦ ب، وشرح أسماء العقار ٨، ومختارات ابن هبل ٢: ٤٣، والمنتخب ٧٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢١، والمعتمد ٤٠، والشامل ١٢٨، ومالايسع ١١٩، وتذكرة داود ١: ٨٣، ومعجم أحمد عيسى ١٧ (١٨)، ومعجم الشهابي ٤٤، ولسان العرب وتاج العروس (بهر)، والمعجم الكبير ٢: ٦١٧، وبرهان قاطع ١: ٣٢٢. وانظر مواد: (أقحوان) و (بابونج) و (كاوجشم).

(١) كذا في المطبوع، وفي مفردات ابن البيطار «الرازيانج». وأظن الصواب «امارقن» وهو الأقحوان.

(٢) في الأصل المطبوع «المدن» وماأثبته من مفردات ابن البيطار ومن تابعه.

وزهره إذا سحق ...» نقل هذا النص ابن البيطار وابن رسول. ومؤلف الشامل وغيرهم. وذكرت المراجع أسماء أخرى لهذا النبات منها الأقحوان الأصفر، وبهار البر. واسمه العلمي Anthemis arvensis وهو من المركبات الأنبوبية الزهر. ويظهر لمن يراجع معجمات اللغة أن العرب كانوا يطلقون اسم البهار على أنواع من جنس هذا النبات، وعلى أنواع أخرى من جنس الأقحوان، قاله الشهابي في معجمه.

ضبطت المعجمات لفظة البهار بفتح الباء، ونقلت عن الأزهري قوله: «وأرى البهار فارسية» قلت: البهار بالفارسية تعني الربيع، وتعني زهر الأشجار عامة، وزهر النارنج خاصة. وقد يسمى بها الكاوجشم كما في العربية.

بَهْرَامَج*

بهرامج	١: **٢٧٢**
فقاح بهرامج	١: ٢٧٢[1]
نطول بهرامج	١: ٢٧٢[2]
ورق بهرامج	١: ٢٧٢

البهرامج من مفردات القانون. اكتفى ابن سينا في تعريفه بالقول: «هو من الرياحين»، ثم ذكر منافعه في الطب.

قال أبو حنيفة في كتاب النبات: «البهرامج فارسي، وهو الرَّنف، وهو ضربان؛ ضرب منه مشرب شعر نَوْره حمرة، ومنه أخضر هيادب النَّوْر. والبهرامج هو الذي يسمى الخلاف البلخي. وكلا النوعين طيب الرائحة». ونقل ابن البيطار عن التميمي أن البهرامج هو زهرة الشجرة البَلْخيّة. ويظهر من كلام

---

* كتاب النبات ١: ٦٠، والملكي ١: ٢٠٩، ٢: ١١٨ (ورد البهرامج)، والصيدنة ١٠٥، ومنهاج البيان ٥٦ ب، وشرح أسماء العقار ١٠، والمنتخب ٧٣، والمختارات ٢: ٤١، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢٢، والشامل ١٢٨، ومالايسع الطبيب جهله ١١٩، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ١٦٠ (٩، ١٢)، ومعجم الشهابي ٥٨٨، والمخصص ١١: ١٤٣، ولسان العرب، وتاج العروس (بهرمج، رنف)، والمعربات الرشيدية ١٣٠، والمعجم الكبير ٢: ٦١٩، وبرهان قاطع ١: ٣٢٥.

(١) أي زهره.

(٢) أي ماؤه الذي يغسل به الوجه.

ابن سينا والأطباء أن زهره هو المستعمل في الطب. والاسم العلمي للبهرامج Salix balchia من الفصيلة الصفصافية.

كلمة بهرامج اسم فارسي لما يسميه العرب الرنف أو الخلاف البلخي أو البلخية أو الصفصاف البلخي، وهذه الأسماء الأخرى لم ترد في القانون. ضُبطت كلمة بهرامج في المعجمات بفتح أولها والميم. ونص برهان قاطع على فتح الميم في الفارسية أيضاً.

بَهَطّ*

البَهَطّ ٢: ٣٦٧[1]، ٤٧٠، ٥٠٠، ٥٤٧

البهط: نوع من الطعام المطبوخ. ذكره ابن سينا في أطعمة بعض المرضى، ولم يصف طريقة صنعه ولا المواد الداخلة فيه.

هذا الطعام مأخوذ عن الهند، أساسه الأرزّ. نبه ابن الحشّاء شارح المنصوري على أنه ليس صنفاً من الحلوى حيث قال: «بَهَطّة: هو طعام يتخذ من الأرزّ واللبن الحليب والسكر، وقد يتخذ على مرق الدجاج، وقد لايتخذ بها، وبالجملة هو من الأطعمة لا من صنف الحلواء كما وقع في الكتاب». وقال مؤلف المنهاج إن البهطة هي المهلبيّة، وبين ابن الكتبي في تركيب مالايسع الطبيب جهله مكونات هذا الطعام فقال هي الأرز باللبن والسكر، وقد يضاف إليها صدور الدجاج. وفي اللسان والتاج أنه الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة. أما البهط في القانون فهو من الأطعمة المغلّظة، ذكره غالباً مقروناً بأصناف الحلوى مثل اللوزينج والقطايف والفالوذج والهريسة .. الخ. مما يؤكد أنه عنده، كما هو عند الرازي، طعام حلو الأرز واللبن أساس فيه.

ضبطت كلمة بهط بالتحريك وتشديد الطاء، وهي معرّبة من الهندية

---

* مفاتيح العلوم ١٦٧ (البهطة)، ومنهاج البيان ٥٦ ب (البهطة)، ومفيد العلوم ١٤ (بهطة)، وتركيب مالايسع ٢٢ أ (بهطة)، وتذكرة داود ١: ٨٣، ولسان العرب وتاج العروس (بهط)، والمعجم الكبير ٢: ٦٢٨، وبرهان قاطع ١: ٣٢٣ (بهط).

(١) في المطبوع «الهبط» وهو تصحيف.

بَهَت ومعناها الأرز. استعملت العرب هذا الاسم بالهاء في آخره فقالوا بهطة. كذا في أكثر الكتب جاء في تاج العروس «وصرح الليث أنه بلا هاء». قلت: وهكذا ورد في القانون خلافاً لسائر المراجع.

بَهْمَن*

بهمن	١: ٢٦٦، ٢/٢٧٢: ٢٨٧، ٥٠٤/ ٣: ٣٠٢، ٣٣٧، ٣٤٠
بهمن أبيض	١: ٢٦٦/ ٢: ٥٢٤، ٥٤٠، ٥٧١/ ٣: ٣٠٣، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٥٨
بهمن أحمر	١: ٢٦٧/ ٢: ٥٤٠، ٥٧١/ ٣: ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٥٣، ٣٥٩
بهمن أحمر مقلو	٢: ٤٣٧
البهمنان	٢: ٢٦٧، ٥٤٤، ٥٧٤/ ٣: ٣٠٢، ٣٥٨
أصول بهمن	١: ٤٢٩
أصل البهمنين	٢: ٥٣٩
فرون مايرعي البهمنين	١: ٣٦٠

ذكره ابن سينا في أدوية القانون المفردة فقال: «الماهية: قطع خشبية هي أصول مجفَّفة متشنجة متغضنة. وهو نوعان أبيض وأحمر .. مسمِّن .. يقوي القلب جداً وينفع من الخفقان ..»

نقل ابن البيطار عن إسحاق بن عمران قوله في وصف البهمن: «هو

* الملكي ٢: ١٢٩، والصيدنة ١٠٥، وشرح أسماء العقار ٨، والمنتخب من مفردات الغافقي ٦٦، والمختارات ٢: ٤١، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢١، ١٢٢، ومفيد العلوم ١٦، والمعتمد ٤٠، والشامل ١١٧، ومالايسع ١١٩، وحديقة الأزهار ٥١ (٤٥)، وتذكرة داود ١: ٨٣، ومعجم أحمد عيسى ٤٤ (١٣) بهمن، ١٦١، (٢٣)، ١٧٤ (١٠) بهمن أحمر، والمعجم الكبير ٢: ٦٤٠، وبرهان قاطع ١: ٣٢٨ .

ضربان أحمر وأبيض وهما جميعاً عروق في قدر الجزر الصغار، وكثيراً ماتكون مفتولة ومعوجة، فالأحمر منها أحمر القشر إلى السواد، وباطنه أقل حمرة من ظاهره. والأبيض منهما أبيض الباطن والظاهر، ومذاقتهما جميعاً طيبة لزجة، وفي رائحتهما شيء من طيب. يؤتى بهما من أرض أرمينية من أرض خراسان ..» وقال البيروني في الصيدنة: «بهمن: هو نوعان أحمر وأبيض .. وكنت أراه في الجبال فما كنت أشبه نباته وأرومته إلا بالجزر لولا حمرة الأرومة ....» ونقل داود الأنطاكي عن الشريف صفة نبات البهمن بقوله: «نبات فارسي جبلي يقوم على ساق نحو شبر ويبسط أوراقاً سبطة كورق الإجاص لكنها شائكة كثيرة التشريف، وفي رأسه أوراق ملتفة بلا زهر ويدرك في تموز، وهو نوعان: أحمر ظاهره إلى السواد وأبيض». والظاهر أن هذا العقار غدا مجهولاً عند سواد الأطباء منذ وقت مبكر. قال ابن الحشّاء في مفيد العلوم: «بهمن: أحمره وأبيضه غير معروفَيْن بالمغرب. وكل مايستعمل عنهما من الأصول غير صحيح. وكذلك هما اليوم[1] بالمشرق مجهولان، ويستعملون نباتاً غيرهما كما فعل بالمغرب» ولهذا السبب يصعب تحديد الاسم العلمي لنبات البهمن، ففي معجم الدكتور أحمد عيسى وضع اسم البهمن مقابل ثلاثة أسماء علمية لثلاثة أجناس من النبات. أما في المعجم الكبير لمجمع القاهرة فلم يُثبَت الاسم العلمي للبهمن واكتفي بوصفه على أنه أصل نبات شبيه بأصل الفجل الغليظ، فيه اعوجاج غالباً وهو أحمر وأبيض، وذيل الوصف بصورة نبات لاتنطبق عليها أي من التحليات القديمة.

بوارد

بوارد ٣: ٤٩

جاء في كلام ابن سينا على أغذية المصابين بالحمى النهارية والليلية البلغمية قوله: «أما أغذيتهم؛ أما اللطيفة فمثل الخل والزيت .. وأما التي أقوى فالطياهيج والفراريج .. وماء الحمص أجود الأغذية لهم إذا جعل فيه الكمون وشبث وزيت، وأيضاً بوارد تتخذ من السلق والمري والخل والزيت المغسول ...

(١) أي في النصف الأول من القرن السابع للهجرة.

ويجتنب البقول التي فيها تبريد وترطيب ..»

بوارد. كذا وردت اللفظة في القانون بطبعتيه وفي النسخة المصورة. والمعروف أن هذا الوزن يجب أن يكون جمعاً لفاعله أي باردة، لكن سياق الكلام أوحى إلي أنه ربما أراد بهذه الكلمة ماجاء في مادة برد في تاج العروس وهو : «برد الخبز صب عليه الماء فبله فهو برود كصبور ومبرود. وهو خبز يبرد في الماء تطعمه النساء للسمنة». لم تتكرر الكلمة بهذه الصيغة مرة أخرى في سائر كتاب القانون.

بوحا*

بوحا ١: **٢٨٠**/ ٣: ٢١٨، ٢٢٣، ٢٣٧

في فصل الباء من أدوية القانون المفردة مدخل بعنوان بيش موش بوحا. جاء فيه: «الماهية: أما بوحا فحشيشة تنبت مع البيش، فأي بيش جاوره لم يثمر شجره، وهوأعظم ترياق البيش، وله جميع المنافع التي للبيش في البرص والجذام. وأما بيش موش ...»نقلت كلام ابن سينا السابق كل المراجع التي تلته.وأظنه هو قد أخذ معلوماته من الخوزي الذي نقل عنه البيروني في الصيدنة حيث قال: «بيش موشك. قال صهار بخت هو فأرة غذاؤها البيش ولحمها يقاوم البيش ويمنع ضرره. وقال الخوزي: إنه ينبت مع البيش نبات يسمى بوحا[1] يؤتى به من الهند مع البيش فمنافعه مثل منافع بيش موش ..» الاسم العلمي لهذا النبات هو Aconitum anthora ومعناه قامع السم.

بودريحان

بودريحان ٣: ٣٠٣ (في طبعة رومة نودرنجان وهو الصواب)

---

* الصيدنة ١٠٧ (بيش موشك)، ومنهاج البيان ٥٦ أ (بوحا)، ٥٧ ب (بيش موش بوحا)، ومختارات ابن هبل ٢: ٤٢ (بيش موش بوكا)، ومفردات ابن البيطار ١: ١٣٣ (بيش موش بيشا). وتذكرة داود ١: ١٨٥ (بيش موش وبيش موشن ويقال بوحا)، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ٤ (١٣). وانظر مراجع بيش.

(١) في الصيدنة المطبوع «يسمى بـ وحاتي» وفي حاشيته وحافي وكلاهما تصحيف.

بودرنجبين أبيض وأحمر ٣: ٣٤٠

(في طبعة رومة بودرتجين وهو تصحيف أيضاً)

كلاهما تصحيف والصواب نودريجان أو نودريجين، يريد نوعَيْ التودري الذي قد يسمى أيضاً توذريج أو نودرنج. انظر مادة نودري.

بورج

بورج ٣: ٤٠٧

خطأ طباعة حدث في طبعة بولاق فقط. وهو في طبعة رومة والمخطوطات بورق. فانظر تلك المادة في موضعها.

بورس ذرنبذي

البورس الذرنبذي ٢: ٥٩٠

ورد هذا الاسم ضمن دواء لعلاج حكة الرحم حيث قال ابن سينا: «ولطخ فم الرحم بمثل الأقاقيا و .. وأشياف ماميثا أو البورس الذرنبذي والخل ودهن الورد ..».

كذا وردت اللفظة في طبعة بولاق، والذي في طبعة رومة: « .. وأشياف ماميثا والتوب الذي يبرئ والخل ..». وفي المصورة: « وأشياف ماميثا والموش الدرزيدمي». كل هذا تصحيف والصواب بُوش دَرَبَنْدي وهو من الشيافات. انظر (بوش دربندي).

بُورَقٌ*

بورق، بوارق ١: ١٦٦، ٢٤٤، ٢٢٩، ٢٥٢، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٧١، ٤١٠،

---

* كتاب ديسقوريدس ٤٢٦ (نيطرون)، والحاوي ٢٠: ١٣٤، والملكي ٢: ١٣٢، والصيدنة ١٠٢، ومنهاج البيان ٥٥ب، وشرح أسماء العقار ٩، والمنتخب ٨٤، والمختارات ٢: ٤٣، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢٥، ومفيد العلوم ١٧، والمعتمد ٤١، والشامل ١١٧، ومالايسع ١١٦، وتذكرة داود ١: ٨٤، وتاج العروس (برق)، والمعرَّبات الرشيدية ١٧٤، والمعجم الكبير ٢: ٢٥، والمعجم الموحد ٣: ٣٣، وبرهان قاطع ١: ٣١٥ (بوره) وانظر مادة (نطرون).

البورق من الأدوية المعدنية التي ذكرها ابن سينا في مفردات القانون فقال: «الماهية هو أقوى من الملح ومن جنس قوته لكن ليس فيه قبض. وقد يحرق على خزف فوق جمر ملتهب حتى ينشوي .. الاختيار: أجوده الأرمني الخفيف الصفائحي الهش الإسفنجي الأبيض ...»

ذكرت المراجع هذا الملح بأنواعه المختلفة ومعادنه الكثيرة واتفقت على أن أجود هذه الأنواع البورق الأرمني، وفيها جميعاً أن البورق يسمى بالعربية النطرون، لكنها اختلفت في دلالة هذا الاسم على نوع دون آخر. فمن الأطباء من قال إن النطرون هو البورق المجلوب من أرمينية، منهم ابن سينا، ومنهم من قال هو البورق الأحمر، ومنهم من قال هو البورق المصري .. والمراجع القديمة - كما قلت مراراً - تخلط في التسميات بين الأنواع المعدنية المتشابهة، ولهذا أطلق اسم البورق حتى على ملح الطعام فسمي بورق الخبز قال ابن الخشاء في مفيد العلوم: «وبورق الخبز هو الملح المعلوم ..».

البورق بالمدلول الحديث للكلمة هو ملح بورات الصوديوم، من أملاح البوريك، يذوب بسهولة في الماء الدافئ، وبصعوبة في الماء البارد، ويوجد في الطبيعة على هيئة بلورات منشورية أو كتل أو قشور نتيجة تبخر* مياه البحيرات الملحة. كذا في المعجم الكبير لمجمع القاهرة. اسمه العلمي لايختلف عماورد في القانون وهو Borax.

ضبطت كلمة بورق في تاج العروس بضم الباء ضبط ألفاظ، وفي غيره

* [هذه الكلمة غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها السياق / المجلة].

ضبط قلم. وضبطت في بعض المراجع بفتحها ضبط قلم. جمع ابن سينا البورق على بوارق. وهي لفظة معربة فارسيتها بُوَره.

بُوزِيدان*

بوزيدان	١: ٢٧٢/٢: ٥٣٩، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٤، ٦١٩، ٦٢٢، ٦٢٣/ ٣: ٣٢٢، ٣٥٨
بوزيدان أملس دقيق العود قليل البياض	١: ٢٧٢
بوزيدان غليظ كثير الخطوط الخشنة	١: ٢٧٢
بوزندان	١: ٢٦٣/ ٢: ٦١٧، ٦١٩/ ٣: ٤٣٨
بورندان	١: ٤٣٦
حب البوزندان	٢: ٦١٧

ذكره ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة فقال: «الماهية: دواء خشبي فيه مشابهة لقوة البهمن. الاختيار: جيده الأبيض الغليظ .. نافع من وجع المفاصل والنقرس نافع من السموم».

وجدته في معظم مراجع الطب والنبات حيث نعت بأنه أصول لبعض نباتات الهند يجلب منها على شكل قطع خشبية صلبة ذات لون أبيض فيها خطوط بالطول .. تشابه أصول البهمن الأبيض. جاء في الصيدنة أن منه نوعاً بغدادياً يُعرف بمستعجل وهو أملس غير متشنج يتناول للسِمَن. ونقل ابن البيطار عن ابن رضوان أنه ضرب من المستعجلة، وسماه بعض أهل المغرب خصى الثعلب فخطأهم ابن الحشاء حيث قال: «بوزيدان هو دواء هندي غير معروف بالمغرب. وأخطأ من قال إنه خصى الثعلب خطأ فاحشاً» لكن تنبيهه لم يلق أذناً صاغية، لأن اسم خصى الثعلب ظل يطلق في المغرب على بعض أنواع هذا العقار. قال مؤلف

* الحاوي ٢٢: ١٤، والصيدنة ١٠٣، ومنهاج البيان ٥٥ ، والمختارات ٢: ٤٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢٢، ومفيد العلوم ١٧، والمعتمد ٤١، والشامل ١٢٨، ومالايسع .. ١١٤. وحديقة الأزهار ٥٩ (٥٦)، وتذكرة داود ١: ٨٣، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ١٢٩ (٨. ١١)، والألفاظ الفارسية المعرّبة ٣١، والمعجم الكبير ٢: ٦٧١، وبرهان قاطع ١: ٣١٦.

حديقة الأزهار في كلامه على البوزيدان: «هو نبات يشبه البهمن الأبيض في اللون والقوة لا في الشكل، ويعرف بخصى الثعلب، ويسمى بالمستعجلة لأنه يعجل السِّمَن ..» والظاهر أن القدماء لم يتفقوا على ماهية هذا العقار، وهو مما ذكره مؤلف الشامل في آخر حرف الباء، ومن عادته أن يذكر الأدوية المجهولة في الأخير، واكتفى في وصفه بالقول: «هو عرق أبيض مصمت».

بوزيدان كما في المعجمات النباتية الحديثة عشب معمر اسمه العلمي Orchis flava من الفصيلة السحلبية يكون له وقت الإزهار درنتان لحميتان إحداهما تضمر تدريجياً ويخرج منها الجزء الزهري، على حين الأخرى تتضخم تدريجياً بما تختزنه من المواد المدخرة. وتستعمل الدرنة غذاء ... ولذلك قد يسمى هذا النبات قاتل أخيه. يعرف اليوم في الشام ومصر باسم السحلب، ويشرب سحيق درناته كالشاي.

اختل إعجام هذا الاسم في مواضع عدة من القانون. وهو كما في المعجمات: بُوزِيدان اسم معرّب. قال ابن الكتبي إنه أعجمي هندي. وأكثر الآخرين على أنه معرب من الفارسية بوزيدان. نصٍ برهان قاطع على وزنها هكذا وعلى أنها بالدال المهملة، على حين ضبطها الغساني في حديقة الأزهار بقوله: وبوزيذان بكسر الزاي وبالذال المعجمة. ولم أجد الذال معجمة في أي مرجع آخر.

(التعريف والنقد)

كتاب المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سورية

المستشفيات وكلية طب الشام(*)

د. عزة حسن

هذا كتاب طريف، فريد في بابه. ألّفه عالم كبير شهير في التاريخ وتاريخ العلوم. وهو الأستاذ الجليل الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي، من أساتذة كلية الآداب في جامعة إستانبول. وقد شغل سنواتٍ طويلةً، وبجدارة وكفاية عالية، منصبَ المدير العام لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في إستانبول. وهذا المركز مؤسسة علمية من الطراز الرفيع، تابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، قائم في جناح خاص من قصر يلديز الكبير الشهير. وقد انتُخب الأستاذ الدكتور أكمل الدين حديثًا، عن جدارة واستحقاق، لمنصب الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم كل دول العالم الإسلامي. ومقرها في جُدَّة بالمملكة العربية السعودية.

دعاني إلى الاهتمام بهذا الكتاب العلمي، والرغبة في التعريف به، معرفتي لمؤلّفه العالم الكبير، وثقتي بمكانته العلمية الرفيعة، وعلمي الوثيق لحبه للغة العربية التي يتكلمها بأفصح لسان، ويكتبها بأصحّ عبارة، وأجمل أسلوب، ولشغفه بالثقافة العربية والحضارة الإسلامية، ولعمله الدؤوب في التعريف بثمارهما وقيمهما، وفي كشف وبيان آثارهما القيّمة في بناء صرح الحضارة الإنسانية.

---

* منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمّان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، تأليف أكمل الدين إحسان أوغلي.

وحفزني إلى ذلك أيضًا محتوى الكتاب نفسه. فهو يتضمن معارفَ وحقائقَ ومعلوماتٍ عن بلدنا سورية، يجهلها عامة الناس. يُضاف إلى كل ذلك أنني أعْرِف بنفسي بعض المنشآت الصحية التي عرض لها المؤلِّف، فتحدث عن تأسيسها، وبيّن جدواها وأثرها في نهضة بلدنا، وتأسيس العلم الحديث وتقدمه فيه. فكم من مرة استشفيت في مستشفى الجامعة القديم بدمشق، وهو بناء عثماني، وحَظِيت بعناية أطبائه خلال دراستي في كلية الآداب بجامعة دمشق، في خمسينيات القرن الماضي. وكم من مرة لجأت إلى المستشفى الوطني بحلب، وهو بناء عثماني، وحظيت بعناية أصدقائي الأطباء فيه، حين مرضي أو مرض أحد من أسرتي، في سنوات إقامتي بمدينة حلب. وقد دُعيت مرة للذهاب إلى المستشفى العسكري في حي الرمضانية بحلب، وهو بناء عثماني في الأصل، من أجل معاينتي الصحية بسبب دعوتي لخدمة العَلَم، أي الخدمة العسكرية الإلزامية في بلدنا سورية.

وهذا الكتاب دراسة علمية دقيقة لموضوع طريف بكر. لم يطرقه أحد قبل صدور هذه الدراسة. فقلما يخطر على بال إنسان أن يشتغل بمثل هذا الموضوع الطريف العجيب. والحق أنه لم يسبق لعالم أو باحث كتابة مقال أو إعداد بحث فيه، بَلْهَ تأليفَ كتاب كامل قائم بنفسِه، كافٍ وشامل لكل جوانب الموضوع، ومحيط بكل أطرافه.

قد نرى كلامًا وجيزًا، يأتي عرضًا في بعض المؤلفات، ويلمس جانبًا جزئيًا من جوانب الموضوع. لكنه لايجدي شيئًا كثيرًا، ولايشفي غليلاً. مثل كتاب (الطب والمدارس الطبية العربية من نهاية القرون الوسطى وحتى العصر الحديث)، وهو أطروحة دكتوراه، من إعداد محمد كامل شحادة، بإشراف الدكتور محمد

زهير البابا، في معهد التراث العلمي العربي، قسم تاريخ العلوم الطبية، بجامعة حلب. ومثل كتاب (المستشفى الوطني بحلب)، وهو رسالة علمية، من إعداد عبد المنعم سكر وماجد سلطان الأشرفي، بإشراف أحمد فيصل الرفاعي، في معهد التراث العلمي العربي، قسم العلوم التطبيقية، بجامعة حلب.

ونذكر في هذا الشأن مقالاً للمرحوم الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، بعنوان (تعريب علوم الطب)، نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٦٠)، الجزء (٤)، ص (٦٤٧-٦٦٥). ونذكر في هذا الشأن أيضًا مقالاً للدكتور عبد الله واثق شهيد الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق، بعنوان (تجربة سورية الرائدة في مجال تعريب العلوم في التعليم العالي). وقد ألقاه في الندوة الدولية حول قضية (اللغة العربية .. إلى أين؟) التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والبنك الإسلامي للتنمية، في الرباط بالمملكة المغربية، بتاريخ ١-٣ تشرين الثاني سنة ٢٠٠٢م. ثم نشر المقال نفسه في مجلة (التاريخ العربي) التي تُصدرها جمعية المؤرخين المغاربة في الرباط، في العدد الخامس والعشرين، شتاء ٢٠٠٣م، ص (٢٩٣-٣١٣).

ذكر المؤلِّف السبب الذي دعاه لتأليف هذا الكتاب، في أول مقدمته، فقال:

«يأتي ظهور هذا الكتاب ثمرة للالتقاء بين مصادفة بحتة ومشغولية بأمر معيَّن. وهذا الأمر هو الرغبة الصادقة في إعادة رسم صورة التاريخ العثماني، بشكل يتفق والحقائق التاريخية، بعد أن تشوّهت، لأسباب غير علمية، زورًا وبهتانًا، والكشفُ عن قيم الحضارة العثمانية التي انطمست بين ظلمات الجهل أو سوء النيّات».

وتابع المؤلِّف كلامه على بداية اهتمامه بموضوع الكتاب. فقال في مقدمته:

«أما الكتاب الذي بين أيدينا عن (المؤسسات الصحية العثمانية في سورية) فقد ظهر نتيجة لالتقاء بعض المصادفات مع هذا الاهتمام، أو المشغولية التي تحدثت عنها. وكانت أُولى هذه المصادفات في عام ١٩٨٥، عندما دعتني الزميلة الفاضلة الأستاذة (كول راسل) لحضور الندوة التي عقدتها في (دبلن) عاصمة إيرلندا. وكانت تحت عنوان (أسس تاريخ الطب العربي الحديث). وكان المقرَّر في الندوة الحديثَ عن المؤسسات التي كان لها دور الريادة في مجال الطب الحديث في البلدان العربية. وفي ذلك الاجتماع الذي خُصِّص لدراسة تاريخ مدارس الطب التي أُقيمت في القاهرة وبيروت، كانت مفاجأة الندوة أن يقع اختيارنا على موضوع (كلية طب الشام العثمانية) التي لم يكن أحد من كل الحاضرين تقريبًا يعرف شيئًا عنها، على حين كان علمنا نحن بها نتيجة للدراسة التي قام بها المرحوم الأستاذ الدكتور علي رضا آتاصوي. فقد كان واحدًا من أساتذة تلك الكلية. وكانت دراسته عنها هي كل ماكان موجودًا، مما شجعنا على هذا الاختيار».

وأضاف المؤلِّف، في مقدمته، كلامًا بيّن فيه استكمال مواد الكتاب. فقال:

«وفي عام ١٩٨٨م شاركنا في تنظيم وإعداد (مؤتمر تاريخ الطب التركي الأول). وحرصنا آنذاك على أن يكون للمؤسسات الصحية في العهد العثماني الأخير قسم مستقل ضمن أعمال المؤتمر. وقدّمنا تحت ذلك العنوان ورقة عن (المستشفيات في سورية). أما في عام ١٩٨٩م عندما دُعينا لمؤتمر تاريخ العلوم الذي نظمه (معهد التراث العلمي العربي) التابع لجامعة حلب، في مدينة طرطوس السورية، فقد قدّمنا ملخّصًا لهذا الكتاب مع الرسوم والجداول الخاصة به. ورأينا عند ذلك بريق الحقيقة وهو يلمع في

عيون الكثيرين من الزملاء السوريين.

وأدرك الجميع بوضوح مدى التقدُّم الذي بلغه العهد العثماني الذي كان يُوصم دائمًا بأنه مظلم، ومدى الفرق الشاسع بين ذلك الموقف والصورة التي ترسّخت في الأذهان. فكانت سعادتنا عظيمة ونحن نكشف عن الأدلة بوثائق لاتحتمل اللّبس. فالأوراق والبحوث التي قدّمناها نتيجة لتلك المشغولية، والمصادفات التي تحدّثنا عنها هي التي شكّلت المسودات الأولى لهذا الكتاب».

لقد رجع المؤلّف إلى المصادر والمراجع الأصيلة التي تتعلق بموضوع الكتاب. واستقى منها بصدق وإخلاص معلوماته كلها. ووثّقها بأمانة علمية مثلى. ونرى تفصيلاً لها في (قائمة المصادر والمراجع) التي نظمها، وألحقها بالكتاب.

ونرى إشارة واضحة إلى قيمة هذه المصادر وأهميتها في قول المؤلّف في مقدمة الكتاب:

«وقد كشفت لنا مصادر ذلك العهد عن معلومات جد ثريّة ومتنوعة، قد لانصادفها في عهد آخر من عهود التاريخ العثماني. وأحد المصادر الأساسية الذي نود الوقوف عنده، وتأكيد أهميته، هو (جريدة سورية) و (جريدة الفرات). وبدأ نشر هاتين الجريدتين في الشام وحلب عام ١٨٦٥ و ١٨٦٧م، جريدتين رسميتين للولاية، باللغتين التركية والعربية. وهما المصدران اللذان تزوّدنا منهما بالمعلومات التي أثْرَتْ هذا الكتاب، والإحصائيات التي شكّلت جداوله. وهما كنز قيّم، لاغنى عنه للباحثين حول ذلك العهد، بما يضم من مادة ثريّة ومتنوعة. فهما يقدمان، باللغتين التركية والعربية، المعلومات والوثائق الرسمية التي تكشف، بشكل مفصّل، عن الأعمال التي كان يُنجزها الإداريون العثمانيون، في مجالات التعليم والصحة والإعمار.

وتعكس في الوقت نفسه الأنشطة المختلفة في الولايتين، ومدى اهتمام الأهالي بها. ومن ثَمَّ فهما مصدران فريدان في بابهما».

وقد عرف هذا الصدق وهذه الأمانة العلمية في توثيق الكتاب الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت، وهو مقرر لجنة تاريخ بلاد الشام في عَمَّان. فقال عن ذلك على سبيل التنويه، في تقديمه للكتاب:

«لقد قام الزميل الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي على هذه الدراسة الموثقة الشاملة، بكل ماعُرف عنه من دأب وصبر وأناة ودقة في التعبير، مزوِّدًا الدراسة بالمصادر الأولية والمراجع، من عثمانية وتركية وعربية وأجنبية، وبخاصة باللغة الفرنسية».

وحقًا أتى هذا الكتاب ثمرة طيبة لجهود علمية كبيرة. بذلها المؤلف في جد واجتهاد، والتزام دقيق صارم للمنهج العلمي وقول الحقيقة. فوفى الموضوع حقه في صدق وأمانة. وبيّن جدوى المنشآت الصحية العثمانية في بلدنا، وكشف عن أثرها العلمي والصحي والاجتماعي فيه.

وقد أدرك هذه الحقيقة وأبان عنها الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت. فقال في تقديمه للكتاب مشيرًا إلى ذلك:

«وتجيء هذه الدراسة الموضوعية الشاملة، القائمة على قراءة دقيقة ومتأنية للمصادر التاريخية، من سالنامات وصحف تركية وعربية، وأوراق رسمية ومذكرات، فريدةً من نوعها، في تناولها للخدمات الطبية في بلاد الشام، في حلب ودمشق وبيروت وبقية المدن الشامية، بمبادرة من دولة السلطنة العثمانية... وتقدّمُ صورة واضحة عن المخصصات المالية والعينية التي أُفردت لهذه المؤسسات، في زمن كانت الدولة تعاني فيه من العسر المالي. وتواجه تحديات أجنبية كثيرة، وبخاصة عشية دخول

الدولة في حمّى الحرب العالمية الأولى».

ويجدر بنا هنا أن نبيِّن فائدة هذا الكتاب في إبراز أثر (كلية طب الشام) العثمانية في الجانب اللغوي. ونعني المصطلح العلمي العربي في العصر الحديث، ولاسيما في العلوم الطبية وتعليمها. وكان تدريس الطب في هذه الكلية باللغة التركية العثمانية.

وقد أوضح مؤلّف الكتاب هذا الأثر اللغوي المفيد بكلامه على (كلية طب الشام). فقال:

«ويبدو أن التعليم باللغة التركية في (كلية طب الشام) مَزِيّة لمصلحة أهالي المنطقة، لأن هذه الكلية هي التي شكّلت أساس كلية الطب في دولة سورية المستقلة فيما بعد. فقد كان التدريس في (كلية طب الشام) باللغة التركية العثمانية أمرًا يَسَّر الانتقال إلى تدريس الطب باللغة العربية دون عوائق. وأصبح ذلك من المزايا الهامة التي انفردت بها كلية الطب في دمشق دون سائر كليات الطب في العالم العربي التي لازال يُدَرَّس الطب فيها باللغات الأوربية. ولاشك أن هذا تعبير واضح عن مدى الأثر الذي تركته (كلية طب الشام) في تدريس الطب باللغة العربية.

«ويرجع السبب في ذلك إلى حركة ترجمة العلوم الحديثة إلى اللغة التركية العثمانية، التي قام بها معلمو الطب بالتركية في كلية طب إستانبول. فإن المنهج الذي جروا عليه في وضع المصطلح قد يَسَّر انتشاره في سائر الدول الإسلامية الأخرى. ففي الوقت الذي كان الأوربيون فيه يضعون الكلمات والمصطلحات الجديدة للمفاهيم والمواد المكتشفة حديثًا مستعينين باللغتين القديمتين اليونانية واللاتينية، اللتين هما الأساس التقليدي في الأرضية الثقافية، كان العثمانيون قد فضّلوا، في مقابل ذلك، سبيل الاشتقاق ووضع مصطلحاتهم الجديدة من اللغتين

العربية والفارسية، اللتين تشكّلان إلى جانب اللغة التركية الأسس التقليدية في حضارتهم. ورأى رُوَّاد الجمعية الطبية أن يستفيدوا من الثراء العظيم في أدبيات الطب الإسلامي التقليدي المدوَّن بالعربية. فراحوا يضعون لمصطلحات الطب الحديث مفردات جديدة، تعتمد بالدرجة الأولى على اللغة العربية»[1].

قدّم المؤلِّف لكتابه بمقدمة ذكر فيها السبب الأساسي الذي دعاه لتأليفه. وبيّن المراحل التي أتمّ فيها أقسام موضوعه. ثم تحدَّث عن المصادر والوثائق الأساسية التي اعتمد عليها. ومنها (جريدة سورية) و(جريدة الفرات) اللتان كانتا تصدران باللغتين التركية والعربية.

وكتب المؤلِّف مدخلاً، ألقى فيه (نظرة على المؤسسات الصحية في بلاد الشام قبل العهد العثماني).

ثم كسر مضمون الكتاب على ثلاثة فصول.

الفصل الأول: المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سورية

أولاً: المستشفيات في دمشق.

١- المستشفى المركزي العسكري بدمشق والخدمات الصحية العسكرية.

٢- مستشفى الغرباء بدمشق.

٣- افتتاح مستشفى للنساء في قسم من مستشفى الغرباء بدمشق.

٤- مستشفى الحميدية للغرباء بدمشق.

ثانيًا: المستشفيات العثمانية في حلب.

١- مستشفى الرمضانية المركزي العسكري بحلب.

٢- مستشفى الحميدية للغرباء بحلب.

---

(١) المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سورية، ص (٩٤ — ٩٥).

ثالثًا: المؤسسات الصحية الأخرى في ولاية سورية.

الفصل الثاني: كلية طب الشام

أولاً: معاهد تعليم الطب الحديث في الدولة العثمانية.

١- بداية التعليم الطبي الحديث عند العثمانيين.

٢- معاهد التعليم الطبي الأخرى داخل أراضي الدولة العثمانية.

أ- مدرسة الطب المصرية.

ب- مدرسة الطب والصيدلة الأمريكية في بيروت.

ج- كلية الطب الفرنسية الكاثوليكية في بيروت.

ثانيًا: كلية طب الشام الملكية أو كلية طب دار الفنون العثمانية.

١- تأسيس كلية طب الشام.

أ- الاستعداد لافتتاح كلية طب الشام.

ب- الاحتفال بافتتاح كلية طب الشام.

ج- بداية الدراسة في كلية طب الشام.

د- هيئة تدريس الصف الأول.

هـ- إقامة بناء خاص بالكلية.

٢- أمور الإدارة والتدريس في كلية طب الشام.

أ- هيئة الإدارة.

ب- هيئة تدريس الصف الثاني.

ج- هيئة تدريس الصف الثالث.

د- هيئة تدريس الصف الرابع.

هـ - هيئة تدريس الصف الخامس.

٣– كلية طب الشام خلال العهد الدستوري الثاني.

أ – هيئة تدريس الصف السادس ومواد الدراسة.

ب – انتقال كلية طب الشام إلى مبناها الجديد.

٤– انتقال كلية طب الشام إلى بيروت.

٥– إغلاق كلية طب الشام.

٦– أهمية كلية طب الشام في المنطقة.

٧– خلاصة موجزة للوضع.

الفصل الثالث

الملاحق:

أولاً: تعريب التعليمات المحتوية على أصول إدارة المستشفى الحميدي بدمشق.

ثانيًا: بعض الملاحظات على القيام بمهنة الطب والصيدلة في سورية.

ثالثًا: إحصائيات المستشفى الحميدي للغرباء بدمشق.

وأمّا بعد فإنني أقول في الختام ماكان ينبغي لي قوله في بدء الكلام. ذلك أنه قد تولاّني العجب والإعجاب معًا، حين قرأت عنوان الكتاب. وازداد عجبي وإعجابي حين تصفحته أوَّلَ وَهْلة، ورأيت وثائقه وجداوله وصوره. ثم مضيت في قراءته بتمامه، متعجبًا متمتعًا، مع الشعور بكامل الثناء، وبالغ التقدير، لمؤلّفه العالم الكبير. جزاه الله خيرًا، ولَقّاه بِرًّا، وزاد في عمره عمرًا.

(آراء وأنباء)

تقرير عام شامل حول أعمال المجمع السنوية(*)

السيد رئيس المجمع، السادة الزملاء، يرافق هذا التقرير، تقرير سنوي آخر يوضع بين أيديكم لتطالعوا فيه ماأُحصي من أعمال المجمع المنجزة وتطّلعوا على ماقمنا جميعًا به منها في عام. وهو كغيره من التقارير السنوية السابقة التي أشرفت على إعدادها منذ ثماني سنوات، حصيلةُ أعمالنا السنوية فيها دون ما نطمح إليه.

لقد استجابت الدولة لمطلبنا تطوير قانون المجمع، وأخذت بمقترحاتنا في تحديثه، فأصدر السيد رئيس الجمهورية مشكورًا القانون ذا الرقم ٣٨ بتاريخ ٦/ ٢٠٠١/٦ الذي ضمنّاه مقترحاتنا تلك، في عضوية المجمع ومجلسه ومكتبه ولجانه ووسائل عمله. فارتفع عدد أعضاء المجمع من عشرين عضوًا إلى خمسة وعشرين. وأحدث القانون، بما اقتضته المقترحات من وسائل العمل وأساليبه، مؤتمر المجمع ومجموعة خبرائه وهيئته الفنية التي جاءت فيه على غرار مثيلاتها في الجامعات، وأجاز تفرغ أعضاء هيئة التدريس للعمل في المجمع بناءً على طلبه. وحدّثنا اللائحة الداخلية لتنسجم مع القانون الجديد، ووضعنا التعليمات التنفيذية والقواعد الإجرائية لتنفيذ القانون ولائحته، واقترحنا على السيد رئيس مجلس

(*) قـــرر مجلس المجمع في جلسته السابعة المؤرخة في ٢٠٠٤/٤/٢٨ الموافقة على ما ورد في الـــتقرير من مقترحات لتطوير أساليب العمل في المجمع، وطلب إلى أمين المجمع وضع آليات تنفيذها.

قـــدم الأمـــين تقريره بآليات تنفيذ التطوير فناقش المجلس التقرير على مرحلتين، ناقش في الأولى آلـــيات رصـــد مصطلحات الحياة العامة ووضْعها بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٦ وأقرها، وناقش ما تبقى من التقرير في جلسات متتالية ما بين ٩/١٥ و ١١/٣ وأقره.

الوزراء نظامًا لمكافآت الإنتاج الفكري، فصدر ذلك النظام بالقرار ذي الرقم / ١٠٩٩/ المؤرخ في ٢٠٠٣/٢/٣، وهو وإن لم يأت مطابقًا لما اقترحناه فقد كان خطوة كبيرة في رفع مستوى مكافآت الإنتاج الفكري للمجمع كما تذكرون.وتقدم المجمع باقتراح تعديل القرار /١٠٩٩/ لتحسين مكافآت بعض أنواع الإنتاج الفكري التي رأيتم ضرورة تحسين المكافأة عليها[1]. وبعد أن انهار جناح المدرسة العادلية الغربي في صيف عام ١٩٩٩ وتداعت أجزاء من الأجنحة الأخرى فيها، وضع المجمع مشروع ترميم شامل للمدرسة يعيد إليها بهاءها ورونقها ويؤهلها للاستخدام المجدي وبما يليق ببيئة علمية معاصرة. وقد مُنح المجمع كل ماطلبه من مالٍ للقيام بأعمال الترميم، كما ووفق على خطته الخمسية التي ستصل فيها أعمال الترميم إلى دار الكتب الظاهرية.وخصص لبناء قبوٍ ومرأبٍ في وجيبة المجمع مايحتاج إليه تنفيذ المشروع من المال في الموازنة الاستثمارية لهذا العام. وتطورت مخصصات المجمع في موازنتيه الجارية والاستثمارية تطورًا كبيرًا، فبعد أن كانت ٩,١٢٦مليون ليرة فقط في عام ١٩٩٥، بلغت ٣٧,٩١٥مليونًا في عام ٢٠٠٤وهي أكثر من أربعة أمثال ماكانت عليه في عام ١٩٩٥، كما ارتفع عدد العاملين في ملاك المجمع من/٦١/ عاملاً في عام ١٩٩٥ إلى /٨٦/ عاملاً على قانون العاملين الأساسي و٢١عاملاً في الهيئة الفنيّة، على قانون للموظفين الأساسي.

هذا كله دليل على قدر المجمع عند الدولة وعلى أنه لايزال موضع الثقة التاريخية التي منحته إياها الأجيال العربية منذ إنشائه.وإدراكًا منا لهذا كله أيضًا،

---

(١) وافق السيد رئيس مجلس الوزراء على التعديل الذي اقترحه المجمع، وصدربذلك قراره ذو الرقم ٥١٠١ بتاريخ ٢٠٠٤/٨/١٥م

فإن هممنا لم تفتُر أبدًا، فاجتماعات المجلس والمكتب واللجان آخذة في الازدياد، إلاأن حصيلة أعمالنا كانت دائمًا دون ما نحب ونرجو. وعوّل المجمع على تحقيق نتائج أفضل في تكثيف نشاطه في اتجاهات هامة منتقاة، فقرر إقامة ندوة سنوية يحدد موضوعها في أحد تلك الاتجاهات، فأقام ندوات عدة حول اللغة العربية والإعلام، واللغة العربية والتعليم وغيرهما... وقد أصبحت الندوة السنوية في قانونه الجديد مؤتمرًا سنويًا ثابتًا يناقش أعضاؤه فيه أيضًا ما حققه المجمع في تنفيذ توصيات المؤتمر السابق، ويؤمل أن يؤدي حسن التحضير للمؤتمر ومتابعة تنفيذ توصياته إلى نتائج مرضية.

لاشك أن حالنا هذه تستحق منا تحري الأسباب، وإعادة النظر في أسلوب عملنا وفيما نختاره من مشروعات، وتأمُّلَ مسيرة المجمع وبيئة العمل المجمعي وتحليل تطوراتهما.

مشروع تطوير أساليب العمل في المجمع

لقد كان نجاح المجمع في تحقيق أغراضه مرموقًا منذ إنشائه وحتى عهد قريب، وكانت تحيط به بيئة رعايةٍ و حبٍ واحترام، أحاطه بها المثقفون و الدولة. لقد اتخذ المجمع لتحقيق أغراضه إبان إنشائه، الوسائل والأساليب المتسقة مع تلك البيئة، فأصاب النجاح الذي مكّن له في الشام، بل في الوطن العربي كله. فعندما "تصدى المجمع لتصحيح لغة الموظفين في الحكومة، والإشراف على لغة الكتب المدرسية، ووضع المصطلحات العلمية العربية"، استعان أعضاؤه العاملون بأعضائه الشرفيين، "كما استعين بعدد من الأدباء والشعراء ورجال السياسة المثقفين لتدريس الموظفين اللغة العربية". كان المثقفون في بلاد الشام مستنفرين للتخلص من آثار التتريك، وكان التعريب هو التعبير عن التمسك بالوطن والتاريخ والهوية،

وكانت استعانة المجمع بأي منهم تعد تكريمًا له ومدعاةً للفخار، كما كانت أسلوبًا ناجحًا استخدمه المجمع لتحقيق أغراضه. في تلك البيئة ولد المجمع، في تلك البيئة كانت اللغة العربية في خلد المثقفين وبال جماهير الأمة، رمز الاستقلال وعنوان الهوية وشعار العزّة، وكان الذود عن حرمها لمن استطاع ذلك فضيلة وجهادا.

أما اليوم، وقد مضى على النفير الأول الذي رافق قيام الدولة العربية الأولى في العصر الحديث أكثر من ثمانية عقود، وعلى النفير الثاني الذي جاء في عُقْب خروج الاستعمار من أرض الوطن ستة عقود، فإن كثيرًا من الناس، كما يبدو مما يُقرأ ويُسمع، لم يعد يهمهم من أمر العربية والتعريب شيءٌ مما كان قد استحوذ على أفئدة أسلافهم، حتى لكأنّ هؤلاء الناس قد استنفروا للتباري في خلط العامية بألفاظ أجنبية لتسويق بضاعتهم (!) وترويجها.

لقد طرأت تغيرات عميقة على بيئة العمل المجمعي واللغوي في بلاد الشام، وقد يكون في الوطن العربي كله. فبينما كان المجمع يحمل لواء التطوير الذي "يجعل اللغة العربية وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون وملائمة لحاجات الحياة المتطورة"[1]، أصبح عليه اليوم تكثيف جهوده للدفاع عن العربية والذود عن حرمها وحمل لواء تطويرها في جميع الميادين: في التعليم والثقافة والإعلام.**ونحن في هذه البيئة أحوج مانكون إلى انتقاء أهداف دفاعنا ووسائله والتخطيط المسبق لتحقيقها.** ولنبحث عن الأهداف في حاجات المجتمع الملحة للغة العربية السليمة. هذا مافعله مؤســـسو المجمع، «فقد رسم إصلاحُ لغة الدواوين والكتاب والصحف، الخطوطَ الكبرى لتوجهات المجمع في سنواته الأولى، فكانت في

(١) الفقرة الأولى من أغراض المجمع كما وردت في المادة (٣) من قانونه المحدث ذي الرقم ٣٨ لعام ٢٠٠١.

المصطلح: وضع المصطلحات الأكثر تداولاً وإلحاحًا، وجلها يقع في مجال ألفاظ الحضـــارة والحياة العامة».

ولعلكم ترون معي :

١- أن الحاجة إلى وضع مصطلحات الحياة العامة لا تزال مُلحةً كما كانت بالأمس، ولعلكم ترون أنها أصبحت اليوم أشد إلحاحا. ففي كل يومٍ تولد آلاف الألفاظ العلمية والتقانية التي يدخل بعضها بسرعة مجال ألفاظ الحضارة الفسيح في بلدان عالم الصناعة والإنتاج، فيفرض بعض من تلك الألفاظ وجودَه في حياتنا اليومية مواكبًا مستجدات مجتمعنا الاستهلاكي وثقافتنا، ونفاجأ بما اختاره لها السبّاقون من مستخدميها في الإعلام والتجارة،فتستقر مصطلحاتهم في حياتنا العامة قبل أن ننهض حيارى لمعالجة مااستقر في لغة الناس، كالكوبجي والدبلجة والخليوي..... ولوضع مصطلحات هذه الألفاظ، لابد للمجمع من رصدها لدى دخولها، ومن استشراف ماسيدخل منها إن أمكن ذلك، ونشر مايضع منها في الصحف اليومية وغيرها وتوزيعه أيضًا على الجهات المعنية. ولن يغيب عن أذهاننا أننا لن نتمكن من الاستعانة بالأعضاء المراسلين والشرفين وبعض الأدباء....، على الوجه الذي استعان بهم مؤسسو المجمع فيما سميتـــه النفير الأول. إلا أن الأســـلوب المناســـب لما تطورت إليه بيئة العمل المجمعي في أيامنا هذه، هو الاستعانة بهم جميعًا خبراء، وتنظيم عمل الخبير ضمن إطارٍ عام فيه من المرونة مايتيح تعظيم جدوى العمل وتطويره.

٢- وأن وضع مصطلحات مختلف العلوم الأساسية والتطبيقية والإنسانية وتوحيد المصطلحات المستخدمة في مؤسسات التعليم العالي من جامعات ومعاهد لا يزال من أغراض المجمع الأساسية. ذلك لأن استكمال تعريب التـــعليم العالي ونجاحه يســـد أخطر ثغرةٍ في مواقع اللغة العربية في ديـــارها، ويعزز منعتها في

جميع الميادين، في الثقافة والوحدة الوطنية والقومية والاقتصاد. ويوجب القيامُ بوضع المصطلحات العلمية على المجمع حصر أهم ما يتطلبه وضعها، فتنسيق تحقيق تلك المطالب. وأهم ما يتطلبه وضعها هو:

أ : توحيد المصطلحات العلمية المستخدمة في الجامعات والمعاهد، ووضعها وتعريفها. وعلى المجمع أن يستعين لتحقيق هذا المطلب بالخبراء في لجانه المختصة (ويُعد الأعضاء المراسلون، كلٌّ في مجال اختصاصه في عدادهم)، ويكون دوره في تحقيقه هو التوجيه والتنسيق والتقويم وتنظيم خطط العمل ومتابعة تنفيذها.

ب : إثراء أساليب ومنهجيات وضع المصطلح بالدراسات والبحوث المعجمية العامة والمصطلحية الحديثة، وتحديث الأساليب التقليدية. ويؤمل أن تُحدث هذه الدراسات طفرةً في منهجية وضع المصطلح العلمي العربي وأساليبه، فقد يسرت من قبل في بلاد الغرب كما تعلمون أساليبَ وضع المصطلحات العلمية، فأتاحت لبلدان الاتحاد الأوربي، على سبيل المثال، نشر الدراسات والقرارات بلغات دول الاتحاد وتوزيعها عليها جميعًا بسرعةٍ ودون تلكؤ.وقد سبقتنا إلى هذا الميدان أيضًا دول عربية عدة، منها دول المغرب العربي خاصة، فأنشأت معاهد لأبحاث التعريب والمصطلحية والمعجمية، ومجلات تنشر فيها الدراسات وتنقد على صفحاتها وتقوّم.

٣- وأن تيسير تعليم اللغة العربية وتعلّمها أمر يهم المجمع، ويحظى بين أغراضه بالأفضلية كسابقَيْه، وأن البحث عن أسباب تراجعهما في النصف الثاني من القرن العشرين، وخاصةً في الربع الأخير منه وتدارك ذلك التراجع لتلافيه، هو ركن شديد من أركان نهضة اللغة العربية في الوطن. فبالأمس كان الطالب في المعهد الطبي العربي يُقْدم على وضع المصطلحات العلمية، وتنشر مجلة المعهد دراسات الطلاب الرصينة، كتلك التي قدمها الطالب مختار هاشم في عام

١٩٣٥ [١] ، واقترح فيها الكثير من المصطلحات ونقد في بعضها مصطلحات المجمع العلمي الملكي. وقد نجد في المقارنة التالية ما يشير إلى مدى تراجع تعلم اللغة العربية في التعليم الثانوي في أقل من عقدين من الزمن: فلقد ورد في مصطلحات الطالب مختار هاشم تلك، المصطلح التالي: الساتلة: **Satellite**، وبعد نصف قرن، في منتصف الثمانينيات، كانت غبطة خبير في المصطلحات العلمية كبيرة عندما اقترح كلمة ساتل مقابل تلك الكلمة الأجنبية مشيرًا إلى تقارب لفظيهما: طالب، وخبير أنهى التعليم الثانوي بعده بعقدين من الزمن فتأخر عنه في بلوغ مستواه في وضع المصطلح ثلاثة عقود !

٤- وأن متابعة لغة الصحافة والإعلام وتقويم الأغلاط المتأصلة فيها، يعزز عمل المجمع على تحقيق أغراضه. ويقتضي حسن تنفيذ هذه المتابعة تأليف لجنة من الخبراء ومن العاملين في المجمع للرصد والتقويم.

٥- وأن تحقيق التراث العلمي يستحق من المجمع عنايةً خاصة لما له من جهةٍ، من أثر طيب في فهم الأساليب التقليدية في وضع المصطلح وما أصابها من تطويرٍ، تُحلّل أسبابه وتستخلص نتائجه، وما له من جهةٍ أخرى من دورٍ في إحياء التراث العلمي العربي الإسلامي، الذي أهمله الغرب في مشروعاته تأريخ العلم، وطمس بذلك فيها الكثير مما قدمناه في بناء الحضارة. وهذه العناية الخاصة لاتحجب مايستحقه تحقيق التراث من العناية في المجالات العديدة الأخرى.

(١) مختار هاشم: مصطلحات علمية، مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد العاشر (١٩٣٥)، الصفحة ٣٧٦ .

هذه الأولويات جميعها هي بعض الأوجه الفعالة في الثقافة وبعض من مظاهرها أيضًا . وإن إيلاءها ما تستحق من العناية يوجب استكمال بعض جوانب التحديث التي جاء بها القانون وهي كما يبدو لي:

أولاً – ربط تحديد مواضيع المؤتمرات وتنسيق ترتيب طرحها زمنيًا بخطة المجمع البعيدة المدى في التطوير. وإعلان موضوع المؤتمر قبل أكثر من سنة، ويستحسن أن يكون قبل سنتين، ليتاح للباحثين الوقت لتقديم بحوث هادفة معمقة وموثقة، فيحقق إعلان جوائز للبحوث في بعض موضوعات محاور المؤتمر الهدفَ المحدد له.

ثانيًا – تنظيم عمل الخبراء في جميع المجالات التي منها تكليفهم دراسات في بعض مشروعات خطط المجمع العلمية، ودراسات محددة في بعض موضوعات محاور المؤتمرات والندوات يتم إعداد بعضها في مدد طويلة (سنة أو أكثر)...

ثالثًا – تأسيس الهيئة الفنية وجعلها مدرسة إعداد أطر المجمع في التخصصات اللغوية عامة واللغوية العربية خاصة، كالمصطلحية والمعجمية والتقييس...، وفي الاختصاصات المعلوماتية المساعدة في تحقيق بعض أغـراض المجـمع، كالاستفادة من (الإنترنيت) في تحديث تعليم اللغة العربية ومعالجة اللغة آليًا بواسطة الحاسوب، وتطبيقات المعلوماتية في المصطلحية، وفي وضع المصطلح العربي، وفي بناء بنوك المصطلحات، واللغويات الحاسوبية...

ويحسن لذلك إنشاء وحدتين للدراسات في الهيئة، إحداهما للدراسات اللغوية والأخرى لتطبيقات المعلوماتية في الدراسات اللغوية عامة واللغوية العربية بخاصة.

رابعًا – تطوير خبرات العاملين الإداريين والمساندين للهيئة الفنية، في اللغة العربية والمعلوماتية واللغات الأجنبية. واعتماد التدريب المستمر لجميع العاملين، في دورات

متنوعة تختلف باختلاف الاختصاص والمستوى والهدف وفئة المتدربين، ويستقى محتواها من حاجات المجمع من الاختصاصات ومن نوعية فئات المتدربين.

ولتمكين المجمع من تنفيذ برامج وخطط مفيدة في جميع هذه المجالات، لابد لأعضاء المجمع من اكتساب معارف فيها تمكنهم من المساهمة أو التوجيه في وضع البرامج والخطط، أو على الأقل تمكن بعضهم من ذلك، أو في أسوأ الحالات تمكنهم من استيعاب خطوطها الكبرى وتقييم مايؤمل من تنفيذها. كما سيتعذّر الارتقاء بالمجمع إلى المستوى اللازم لقيادة هذا التحديث إذا لم تنشرح صدور أعضائه لرياحه.

خامسًا - تنشيط التعاون بين المجمع والجامعات، ذلك التعاون الذي كان في عهود المجمع الأولى «حاضنة المشروعات» الكبيرة في قضايا التعريب، فيها ترعرعت مدارسه في بلاد الشام، فكان لكلٍ منها طابعها المميز، كمدرستي الشهابي والكواكبي. إن تطورات البيئة المحيطة بالمجمع قد غيرت بعض الشروط المحيطة بتلك الحاضنة، فأخرجت على الأغلب صناعة المعجمات المختصة من حوزة المجامع، فتولاّها بعض من المختصين (معجم الرياضيات المعاصرة...)، ومكتب تنسيق التعريب (سلسلة المعاجم الموحدة)، وبعض دور النشر كمكتبة لبنان، والمنظمات المختصة كاتحاد الأطباء العرب (المعجم الطبي الموحد)، والجمعية السورية للمعلوماتية (معجم مصطلحات المعلوماتية)... وعلى المجمع أن يعيد النظر في أساليب عمله ووسائله وفي أولويات أغراضه. وقد يحظى بالأولوية، في إطار التعاون مع الجامعات:

أ- تكليف المختصين من العاملين في المجمع إعداد بعض دبلومات الدراسات العليا، كالماجستير والدكتوراه في موضوعات تخدم أغراضه، وبخاصة في المعجمية وتطبيقاتها في المصطلحية العربية والتقييس، بإشراف مشترك من المجمع

والجامعة. كما يمكن التوسع في هذا المجال ليشمل طلابًا من خارج المجمع، تتكامل بحوثهم جميعًا في خطةٍ هادفةٍ يضعها المجمع لاستخلاص أدلة إرشادٍ في وضع المصطلح العربي والمعجمات المختصة للعاملين في هذا المجال، في المجمع أو بالتعاون معه أو في أيّة جهة أخرى.

ب- تطوير أساليب الاستفادة من المعلوماتية، والمشاركة الفعالة في بعض المشروعات الهامة كمشروع الذخيرة اللغوية.

ج- الاستفادة من وجهي التعاون السابقين (أ و ب) وغيرهما في وضع معجمٍ تاريخي وإعادة النظر في معجمات المعاني وترتيب أولويات صنعها وفق أولويات مطالب أغراض المجمع.

ومما قد يصيب مجلة المجمع من هذا التطوير:

١- تخصيص عنوانات ثابتة فيها: للمستجد من ألفاظ الحضارة، والمصطلحات العلمية، وللدراسات في تطبيقات المعلوماتية على بعض شؤون اللغة العربية كعلوم الدلالة، والمعجمية، والمصطلح، وتطبيقاها على اللغة العربية..، وتيسير تعليم وتعلم اللغة العربية، وإصلاح أخطاء الإعلام والكتّاب.

٢- وتكليف مختصين من الأعضاء والأعضاء المراسلين والخبراء الكتابة في مختلف أبوابها.

وقد تحتاج إدارة المجلة للقيام بأعبائها على وجهٍ مرضٍ وإصدار أعدادها في أوقاها، إلى الاستعانة بمساعدين لمديرها أو رئيس تحريرها.

وقد يملي هذا التطوير علينا إعادة النظر في تنظيم شؤون النشر في المجمع.

السادة الزملاء، آمل أن يلقى ماقدمته في هذا التقرير القبول والرضا، وإذا ما حظي بهما فإنه سيحظى منكم بإيلاء ما يثير من قضايا أساسية في إصلاح مسيرة المجمع العناية التي يتطلبها الإصلاح. كما آمل أن أكون قد وفقت لاقتراح

خطوط أولية قد ترون أنها تصلح بما تغنيها آراؤكم السديدة، لاتخاذها "ورقة عملٍ" أو مسوّدة مشروع إصلاح، نعكف جميعًا على تطويرها لنصنع منها مشروعًا ندخل بتنفيذه على نفوسنا الطمأنينة والرضا.

آليات تنفيذ التطوير المقترح

١- وضع مصطلحات الحياة العامة (الصفحة ٦٥١):

تصنف الألفاظ الجديدة في المشروع في فئتين هما فئة ألفاظ الحياة العامة، وفئة الألفاظ العلمية:

١- أما **فئة ألفاظ الحياة العامة**، فترصد فيما يصدر عن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة.

وللجنة ألفاظ الحضارة أن تضع بعض السمات أو المؤشرات التي ترى ضرورة الاستعانة بها في مَيْز ألفاظ الحياة العامة عن الألفاظ العلمية.

وينفذ المشروع على مراحل:

المرحلة الأولى[1]: يجري رصد فئة ألفاظ الحياة العامة في هذه المرحلة كما يلي:

أ- يطلب المجمع من مختلف مؤسسات الدولة تزويده بما تقع عليه من ألفاظ أجنبية دخلت أو يتوقع أن تدخل الاستخدام في القطر. والمجمع، بأعضائه والعاملين فيه هو إحدى تلك المؤسسات.

وقد يستحسن قصر الطلب في مرحلةٍ إعداديةٍ تجريبيةٍ، على المؤسسة العامة للإعلان في وزارة الإعلام، بل حتى على جرائد العاصمة اليومية.

ب - تحال الألفاظ الواردة إلى المجمع على أمانة لجنة ألفاظ الحضارة وتنسيق المصطلح، التي تعرض حصيلة ما يصلها على عضوين من أعضاء اللجنة

---

(١) مرحلة بدأ تنفيذها في شهر آب من عام ٢٠٠٤

أو خبيرين أو عضو وخبير، من اختصاصين مختلفين مناسبين تسميهما اللجنة، يقومان مع أمين اللجنة بفرز ألفاظ الحضارة والحياة العامة – من حصيلة ما وصلها من تلك الألفاظ – وتقدمها إلى لجنة ألفاظ الحضارة للنظر فيها، ويوزع ما تبقّى، حسب الاختصاص على اللجان الاختصاصية كلجنة العلوم الفيزيائية والرياضية والمعلوماتية والكيميائية، ولجنة العلوم الطبيعية والزراعية، ولجنة العلوم الهندسية..إلخ، التي تنظر فيها وفق الأسلوب المتبع في التعاون مع الجامعات في قضايا وضع المصطلح وتوحيده.

ج – تنظر اللجان فيما يحال عليها من ألفاظ وتستعين بما يمكن أن يكون قد وضعته منها أو نشرته، المجامع اللغوية العربية والجامعات ودور النشر.

د – يوجب تيسير الاستفادة مما يطرح خارج المجمع من مصطلحات في هذه المجالات، إنشاء علاقات تعاون مع الهيئات العربية التي من بين أغراضها رصد المصطلح ووضعه. إلا أن بعض الهيئات التي أنجزت في هذه المجالات مراحل متقدمة، قد ترغب عن التعاون مع جهةٍ لا تزال في بدايات عملها فيها كمجمعنا، بل قد يقتصر تعاوننا في هذه المرحلة على اتحاد مجامع اللغة العربية. وللجنة ألفاظ الحضارة وتنسيق المصطلح الاقتراح على مجلس المجمع التعاون مع ما تراه من تلك الهيئات وأشكال التعاون المجدي.

هـ – يدرس الأسلوب المتبع في هذه المرحلة وما قد يطرأ عليه من تعديلات بعد مدةٍ كافيةٍ من تطبيقه، وتحلل نتائجه وتعالج نقاط الضعف فيه، وتستخلص منه توصياتٌ ينظر فيها لدى وضع خطة تنفيذ المرحلة أو المراحل الأخرى.

المرحلة الثانية: سيكون من مهام المرحلة الثانية إنشاء قاعدة معلومات مصطلحية، وإنشاء مرصد لألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية. وقد تكون من القضايا الهامة في تلك المرحلة، كيفية إيجاد تعاون مجدٍ بين الهيئات العربية في هذه

المجالات. ذلك لأن العديد من الهيئات قد أنشأ قاعدة معلومات مصطلحية ومرصدًا للألفاظ أو أنشأ أحدهما، ولن تبلغ هذه القواعد والمراصد الهدف المرجو على الوجه الأمثل، إلا بالتنسيق والتعاون المحكم الذي يجنب طاقاتنا العلمية والمالية التبعثر والازدواجية، ويجنّب طريقنا إلى الهدف المصاعب والتشعب ويعمل على اختصاره.

لقد عرضت آليات تنفيذ رصد مصطلحات الحياة العامة ببعض التفصيل، كمثال فقط، لذلك لم يتبع، هذا التفصيل، في عرض ما تلاه من آليات.

٢- فئة الألفاظ العلمية: يجري رصدها ووضعها وتحقيقها بالتعاون مع وزارة التعليم العالي والجامعات ومراكز البحوث في القطر، وفق أسلوب يطور عن أسلوب التعاون في توحيد المصطلحات العلمية الجامعية التي يجري تنفيذ توحيدها حاليًا. ونشير في الفقرة التالية إلى أهم عناصر آليات تنفيذه.

٣- توحيد مصطلحات العلوم ووضعها (الصفحة ٦٥٢):

أ- توحيد مصطلحات العلوم [1]: يتابع برنامج توحيد مصطلحات العلوم وفق المنهجية التي وضعت له والأساليب المتبعة فيه. وللاستعانة بالخبراء في تنفيذه دور أساسي، بينما يقتصر دور لجان المصطلحات في المجمع على المراجعة والتوجيه والمتابعة وتطوير المنهجية والأسلوب.

بدأ تنفيذ هذا البرنامج منذ عامين، وقد رتبت أولويات التنفيذ مع وزارة التعليم العالي (لجنة من معاون الوزير الدكتور محيي الدين عيسى وأمين المجمع)واتفق على أن تكون الأولوية للعلوم الأساسية، تليها العلوم التطبيقية الهندسية. واستبعدت علوم الطب البشري وطب الأسنان والصيدلة في هذه

(١) بدأ تنفيذ البرنامج في عام ٢٠٠٢ بتطبيق للمنهجية التي اختيرت له، على مصطلحات الفيزياء، ثم امتد تطبيقه إلى العلوم الطبيعية والزراعية في أوائل عام ٢٠٠٤.

المرحلة لوجود المعجم الطبي الموحد المستمر التطوير. وسينظر في ضوء النتائج في ترتيب الأولويات في المجالات الأخرى.

سترد منهجية العمل في البرنامج وأساليبه، في مقدمة مشروع توحيد مصطلحات الفيزياء منقحةً بما سيتم اكتسابه من الخبرة في إنجاز المرحلة الأولى منه، في مطلع عام ٢٠٠٥.

وتؤلف منهجية العمل وأساليبه وترتيب أولويات التنفيذ، والاستعانة بالخبراء وتحديد دورهم ودور لجان المصطلحات مجمل آليات تنفيذ توحيد مصطلحات العلوم.

ب- إثراء منهجيات وأساليب وضع المصطلح بدراسات وبحوث فيما يلي من المجالات:

- المصطلحية والمعجمية.
- مصطلحات السلف: دراسة أصولها وتطورها وأسبابه، واستنباط كيفية توجهه.
- معجمات المعاني: إعادة وضع هذه المعجمات وفق تبويب يستوحى من أولويات خدمة أغراض المجمع في وضع المصطلح.
- مشروع الذخيرة اللغوية: المساهمة في تنفيذه لما له من أثر بيّنٍ في توسيع ذخيرة المصطلحات العلمية واستكمال إخراج معجمات المعاني على أفضل وجه.
- تطبيقات المعلوماتية في المصطلحية والمعجمية.

وتتلو آليات تنفيذ ما تقدم بالترتيب، على الوجه الآتي:

في المصطلحية والمعجمية: أ- تكليف العاملين اللغويين في المجمع إعداد دبلومات في المصطلحية والمعجمية وفق خطة توضع بالتعاون مع أعضاء هيئة التدريس المختصين في أقسام اللغة العربية في الجامعات السورية، ومنها بخاصة جامعة دمشق (لسهولة الاتصال والتعاون)، وتوجه فيها أطروحاتهم إلى:

- تطبيق الدراسات النظرية في المصطلحية و المعجمية على اللغة العربية.

- تطبيق النظريات الموضوعة، والمطبقة على اللغات الأوربية، على ما تصلح له في اللغة العربية، والتركيز على ما يمكن أن يؤدي إليه البحث في أسباب تعثر التطبيق، من تطويرٍ لتلك النظريات لتتسق مع ما تتطلبه اللغة العربية.

ب- إيفاد بعض العاملين اللغويين الأكفياء في المجمع إلى المعاهد المختصة في بلاد الغرب للاختصاص في المصطلحية أو المعجمية أو الألسنية، ولإتقان اللغة التي يتعلّم بها الموفد ليحسُن فهمه في هذه الاختصاصات لما تعلم، ويحسِنَ من ثَمَّ تطبيق ما تعلم على اللغة العربية.

في مصطلحات السلف: إن تطبيق النظريات الموضوعة في الغرب على اللغة العربية، وتفاعل النظريات المطورة في تطبيقهاعليها، كما ذكر قبل قليل، سيساعدنا على تحديث الأساليب التقليدية، مع الحفاظ على إيجابياتها التي يفترض أن تهيئها لنا دراسة مصطلحات السلف، في كتب العلوم الفلكية والرياضية والفيزيائية والكيميائية والطبيعية وفق المنهجية المشار إليها (دراسة أصول المصطلحات وتطورها وأسبابه، واستنباط كيفية توجهه).

في معجمات المعاني: وضع معجمات للمعاني وفق تبويب جديد يستوحى من أولويات خدمة أغراض المجمع في وضع المصطلح، كمعاني الصوت والحركة واللون والمقادير (أنواعها وحدودها وتقييسها)..، في الفيزياء والكيمياء والرياضيات، وما يقترحه المختصون في علوم الحياة الأساسية والتطبيقية من تبويب يناسب علومهم.

في مشروع الذخيرة اللغوية: المساهمة في تنفيذ مشروع الذخيرة اللغوية، ويكون ذلك بتكليف لجنة يشرف عليها المجمع أو يشارك فيها، ويدخل في عضويتها خبراء من أقسام اللغة العربية في الجامعات ومن غيرها، تحدد مهامها بالتنسيق مع الجهات المعنيّة في سورية والجهات العربية الأخرى كاتحاد المجامع اللغوية. ويمكن

التوسع في آليات تنفيذ هذا المشروع وتنويعها وفق الخيارات العديدة لمواصفاته التي تختلف باختلاف طاقات الشركاء ورغباتهم في سورية وفي الوطن العربي. وإن ضخامة المشروع لا توقف التقدم في تطوير خدمات اللغة العربية في المجمع، إذ يمكن وضع آليات لتنفيذه في أضيق حدود التعاون، باعتماد مبدأ التطوير التدريجي على مراحل. ويؤخذ في آليات التنفيذ أولويات استخدام نتائجه: في المصطلحات وفي المعجم التاريخي للغة العربية وفي معجمات المعاني والمعجمات اللغوية.

في تطبيقات المعلوماتية في المصطلحية والمعجمية: تأسيس وحدة من المختصين بالمعلوماتية في الهيئة الفنية بالمجمع، تتدرج في ممارسة العمل في المجالات التي يمكن أن يكون فيها للمعلوماتية تطبيقات منتظرة واعدة. تبدأ بالمشاركة في الأعمال البسيطة التي يجري تنفيذها في مجال توحيد المصطلحات العلمية في مؤسسات التعليم العالي. وتسعى لتطويرها، كأن يكون ذلك على سبيل المثال، بإدخال اسم المؤسسة التي وقع الاختيار على مصطلحها في البرنامج المستخدم (ويدخل في ذلك المجمع إذا كان المصطلح الجامعي غير صحيح، فوضعه المجمع)؛ أو بذكر تاريخ وضع كل من المصطلحات الجامعية المدروسة، ليستعان به في دراسة تطور المصطلحات في التعليم العالي؛ أو بتنويع خيارات المعلومات المسترجعة، كترتيب مسرد المصطلحات عربيًا أجنبيًا عوضًا عن ترتيبه أجنبيًا عربيًا، ذلك الترتيب الذي قد يفرضه واقع العمل في توحيد مصطلحات الجامعات. وإعادة ترتيب المسرد على هذا الوجه يساعد على كشف ما يمكن أن يكون قد وقع من أخطاء بتخصيص المصطلح العربي الواحد لأكثر من مقابل أجنبي وإصلاح هذا الخطأ. هذه المشاركة ستقرب المعلوماتي إلى بيئة اللغة العربية تدريجيًا، وسيساعده زملاؤه اللغويون العاملون معه في دخول تلك البيئة، كما سيساعدهم هو على دخول بيئة المعلوماتية. وستمكّن هذه المشاركة المعلوماتيين

من وضع برامج دورات التعليم المستمر للعاملين في المجمع بجدارة. كما يمكن وضع برنامج يسرّع في تقارب اللغويين والمعلوماتيين، يشارك في وضعه ويشرف على تنفيذه خبير في تطبيقات المعلوماتية في اللغة العربية كالأستاذ مروان البواب عضو المجمع المراسل. وسيكلف المعلوماتيون في الهيئة اتباع دورات متقدمة في المعلوماتية وتحضير دبلومات في الاختصاصات المناسبة لمعالجة المشكلات التي يلقونها في عملهم وسيتوافر لذلك تدريجيًا في الهيئة الفنية، من المعلوماتيين واللغويين فئة يمكنها، بإشراف مجمعيين وأساتذة جامعيين أو بمشاركتهم، التصدي لتطبيقات المعلوماتية في مجالات عديدة من مجالات اللغة العربية: في المصطلح والمصطلحية والمعجمية، وفي قواعد المصطلحات والمعجمات الحاسوبية، وفي الذخيرة اللغوية الحاسوبية، وفي اشتقاق الكلمة العربية بالحاسوب، وفي التحليل الصرفي والنحوي، وفي قواعد المعطيات للمصطلحات والمعاني، وغيرها... وسيكون للهيئة الفنية المعلوماتية اللغوية دورها في تيسير تعليم اللغة العربية وتعلمها.

٣- تيسير تعليم اللغة العربية وتعلمها (الصفحة ٦٥٢):

لابد من دراسة أسباب تراجع تعلّم اللغة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين وتحليلها، ومقارنة سيرة تعلم العربية وتعليمها في سورية بسيرة مثيلاتها في البلاد العربية الأخرى أو في بعضها على الأقل. ويبقى خير ما يمكن أن يقدّم من مقترحات لتنفيذ هذه التوصية، يرجّى في تطوير الأستاذ الدكتور محمود السيد مقترحاته التي قدمها إلى المجمع حول "أساليب النهوض باللغة العربية الفصيحة في مراحل التعليم العام في الوطن العربي" لتشمل جميع مراحل التعليم وتشمل أيضًا إعداد المعلم للنجاح في مهمته هذه.

٤- متابعة لغة الصحافة والإعلام وتقويم الأخطاء والأغلاط (الصفحة ٦٥٣):

آلية تنفيذ هذه التوصية تكون على غرار آلية تنفيذ توصية وضع مصطلحات الحياة العامة: تؤلف لجنة فرعية تبدأ بمتابعة لغة الصحافة (الصحف اليومية الدمشقية الثلاث، وإذا ما اتسعت طاقة اللجنة تمتد إلى الصحف اليومية في المحافظات، والصحف الأسبوعية، فالإعلانات) وتحيل حصيلة ما تجده من أخطاء وما تقترحه من تصحيح على لجنة الأصول، ويمكن الاستعانة بالخبراء في اللجنة الفرعية وفي لجنة الأصول. تنشر الحصيلة في الجرائد اليومية، وفي زاوية خاصة ثابتة في مجلة المجمع. ويمكن التوسع في هذا العمل وتطوير محتواه وآليات تنفيذه واستيحاء صور أخرى له تناسب أحوالاً أخرى.

وتجدر الإشارة هنا إلى إمكان دمج مهام رصد الألفاظ الجديدة ورصد أغلاط الصحافة والإعلام في مراحله الأولى على الأقل في لجنة فرعية واحدة أو مكتب واحد.

٥– **تحقيق التراث** (الصفحة ٦٥٣):

وآلية تنفيذ التوصية تكون بوضع برنامج لدراسة تطور المصطلحات العلمية في الحضارة العربية الإسلامية، زمنيًا (تاريخيًا) في كل اختصاص على حدة، بدءًا من بدايات عصر النهضة العربية الإسلامية. ويمكن تمييز تطور مصطلحات المترجمين فيه عن تطور مصطلحات العلماء المختصين. وبعد إنجاز مرحلة من البرنامج تعمد الجهة المكلفة إلى مقارنة مصطلحات عِلْمَين أساسيَّين، بينهما تقاطع (بعض المشاركة) في المصطلحات، أو مقارنة مصطلحات علم أساسي بنظيره التطبيقي وتحليل أسباب التطورات والتغيرات وسرعة حدوثها، واستخلاص ما يمكن أن يفيد من المؤشرات في وضع المصطلحات دلالة وتقييسًا، وفي تعرف ما تضمنته من مفاهيم المصطلحية. وتكلف لجنة تنسيق المصطلح باحثًا أو أكثر اقتراح البرنامج الذي يتضمن الاختصاص والمؤلفات المنشورة فيه وترتيب

تاريخ تأليفها (أو ترجمتها) ولو على وجه التقريب. فإذا ما قبلته اللجنة ووافق عليه المجلس، يصبح جزءًا من خطة المجمع العلمية. وتجدر الملاحظة أن آلية التنفيذ تفترض تقسيم المرحلة الزمنية التي ستشملها الدراسة، إلى شرائح مناسبة كأن تنتهي الشريحة الأولى مع نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، وقد يكتفى بهذه الشريحة، كما قد تجزأ هي أيضًا...

أما المحاور الأخرى في تحقيق التراث فتقترحها اللجنة المختصة كالمعتاد، ويستحسن أن تكون مقترحاتها هادفة، تقصد إلى وضع توجهاتٍ واضحة في خدمة أغراض المجمع وتؤلف محاور في تحقيق التراث بعيدة المدى.

هذا ويستحسن تنظيم دورة (أو دورات) تدريبية في أصول التحقيق وقواعده، يقوم بها بعض المختصين (ومنهم الأستاذة الشهابي) ويتّبعها بعض العاملين في المجمع ممن يرغبون في التخصص في التحقيق.

* * *

إن اقتراح آليات تنفيذ التوصيات هذا، يبقى هو أيضًا، بحاجة إلى آلية تنفيذ عملية لمجمل ما في التقرير من توصيات. فقد تقصر طاقة المجمع البشرية عن القيام بتنفيذ التوصيات كلها دفعة واحدة، مع أن جزءًا هامًا مما يتطلبه تنفيذها من المجمع، لا يتعدى الإشراف والتخطيط والتنسيق والمتابعة وانتقاء شركاء في الإشراف والتنفيذ من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات، ومنفذين من الخبراء والعاملين في المجمع (على قانون العاملين أو على قانون الموظفين في الهيئة الفنية). وهذا يتطلب أيضًا، **اعتماد التخطيط في تطوير المجمع وأساليب العمل فيه:** تطوير تنميته البشرية وطاقاته العلمية والإدارية والمالية، وتنمية قدراته على التنسيق والمتابعة والتقويم.

نشير أخيرًا إلى أن المقترحات التي جاءت في نهاية التقرير الشامل (الصفحات ٦٥٣-٦٥٦) حول ما يوجب استكمال بعض جوانب التحديث التي جاء بها القانون، قد تضمنت آليات تنفيذها فهي لاتحتاج إلى آليات تنفيذ.[١]

أمين المجمع

الدكتور عبد الله واثق شهيد

(١) قد يكون من آليات تنفيذ توصيات التقرير الهامة في مجال تنشيط التعاون مع الجامعات السورية الحكومية أو الرسمية في المحافظات، فتح باب العضوية في المجمع للعلماء السوريين المقيمين في المحافظات، أو على الأقل في المدن السورية التي فيها جامعة حكومية، ولو في أضيق الحدود. ذلك لأن مشاركة المعهد الطبي العربي للمجمع في تعريب التعليم كانت مشاركة تاريخية قوية، وكانت غنية غزيرة الإبداع، ونال فيها كثير من أساتذة المعهد عضوية المجمع بجدارة بل أصبحوا من أعلامه، وامتد عطاء تلك المشاركة إلى الكليات المحدثة في دمشق في عام ١٩٤٦. أما كلية الهندسة التي أنشئت في حلب فقد كانت مشاركتها في نقاش مشكلات تعريب التعليم العالي على صفحات مجلة المجمع قليلة وتفاعلها مع مجتمع تعريب التعليم العالي ضعيفاً.

لقد قصرت ذكر هذه الآلية على حاشية في التقرير لأنها لم تطرح للمناقشة فيه، نظراً لما يثير موضوع فتح باب العضوية في المجمع لغير المقيمين في دمشق، مدينة مقر المجمع، من جدل لم تستوف بعد فيه جميع الحجج.

التقرير السنوي عن أعمال المجمع

في دورته عام ٢٠٠٣م

إعداد: أ. عدنان عبد ربه

يعرض التقرير أهم ما قام به مجلس المجمع ومكتبه ولجانه ومديرياته من أعمال.

١- مجلس المجمع

عقد مجلس المجمع في عام ٢٠٠٣م إحدى وعشرين جلسة بحث فيها الأمور الآتية:

- احتياجات المجمع من الأعضاء في الاختصاصات العلمية المختلفة، وانتهت دراسة المجلس إلى تحديد الحاجة في هذه الدورة إلى عضو واحد في القانون، وآخر في علوم اللغة العربية وثالث في العلوم الطبيعية. وفي جلسة المجلس الثالثة عشرة المنعقدة بتاريخ ٢٠٠٣/٦/٢٥ انتخب من المرشحين في اختصاص القانون الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري، ومن المرشحين في علوم اللغة العربية الأستاذ عاصم البيطار.

- إقرار الخطط العلمية للجان المجمع للعام ٢٠٠٣م

- قبول ترشيح وزارة الثقافة المجمع لنيل جائزة الشارقة للثقافة العربية.

- إقرار مشروع قانون حماية اللغة العربية في القطر، ورفعه إلى رئاسة مجلس الوزراء لاستكمال صدوره.

- إقرار موضوع المؤتمر الثاني للمجمع بعنوان «اللغة العربية في مواجهة المخاطر» ، ويواكبه إقامة احتفال في ذكرى مرور خمسين عامًا على وفاة الأستاذ محمد كرد علي، مؤسس المجمع.

- متابعة دراسة قواعد الإملاء التي وضعها المجمع.

- إقرار التقرر السنوي عن أعمال المجمع في دورة عام ٢٠٠٢م.

– إعادة انتخاب الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد أمينًا للمجمع لأربع سنوات قادمة.

– إعادة انتخاب الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان، عضوًا في مكتب المجمع لأربع سنوات قادمة.

– إقرار عدد من المصطلحات التي وضعتها لجنة ألفاظ الحضارة وتنسيق المصطلحات وتوحيدها.

٢– مكتب المجمع

عقد مكتب المجمع في هذه الدورة ثمانيًا وثلاثين جلسة، بحث فيها شؤون المجمع ودار الكتب الظاهرية، وقرر إهداء مجلة المجمع إلى عدد من المؤسسات والشخصيات، ورشح عددًا من العاملين المناسبين للدورات تدريبية مختلفة. وأهم ماقام به من أعمال في هذا العام:

– إقرار المشاركة بمجموعة من مطبوعات المجمع في معرض الكتاب العربي السوري في الخرطوم – السودان الذي أقيم ضمن مناشط الأسبوع الثقافي العربي السوري في شهر كانون الثاني ٢٠٠٣م.

– تأليف لجنة مؤقتة مهمتها وضع قواعد عامة لتنفيذ قرار تحديد تعويضات الإنتاج الفكري.

– الموافقة على الاشتراك بخدمة (الانترنيت)

– الموافقة على شراء مقسم هاتفي جديد للمجمع، وتم شراؤه.

– دراسة التقرير السنوي عن أعمال المجمع لعام ٢٠٠٢م، وإحالته على مجلس المجمع.

– البحث في حاجات المجمع من الأعضاء وترشيح أشخاص مؤهَّلين ليكونوا أعضاء فيه.

- البحث في حاجة المجمع من العاملين بعد صدور مرسوم توسيع ملاك المجمع بإضافة عدد من الشواغر إليه، واتخاذ قرار بإجراء مسابقة لانتقاء عاملين من الفئتين الأولى والثانية.
- استكمال تجهيز غرف السادة أعضاء المجمع بعددمن المواد والأثاث.
- اتخذ قرارًا بشراء سيارتين لنقل السادة الأعضاء.
- الاقتراح على مجلس المجمع ألا يوافق على تغيب العضو الجديد عن أعمال المجمع مدة دورة كاملة إلا بعد مضي ثلاث سنوات على استقباله.
- إقرار قواعد إهداء مطبوعات المجمع ومجلته.
- إقرار أسماء أعضاء مؤتمر المجمع الثاني والباحثين المشاركين فيه.
- الموافقة على بناء مرأب في حديقة المجمع ووجيبته الغربية الجنوبية.
- تأليف لجنة مهمتها متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر الأول للمجمع والندوات التي أقامها المجمع.
- الموافقة على اقتراح لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية التعاقد مع بعض الخبراء لدراسة مصطلحات الفيزياء وعرضها على اللجنة.
- مناقشة ما نفذ من الخطة الخمسية للمجمع والموافقة على إجراء بعض التعديلات عليها.
- إقرار شراء مجموعة من التجهيزات الحاسوبية.
- تحديد موعد استقبال عضوي المجمع الجديدين الأستاذين: عاصم البيطار بتاريخ ٢٠٠٤/١/١٢م، والدكتور محمد عزيز شكري بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٨م.

٣- لجان المجمع

١- لجنة المجلة والمطبوعات

بلغ عدد جلسات اللجنة في عام ٢٠٠٣ ست عشرة جلسة، درست فيها

المقالات المرسلة إليها، لنشرها في المجلة، فقبلت منها ما يناسب خطة المجلة، وأخرجته في المجلد الثامن والسبعين، واستبعدت منها ما لا يناسب خطتها.

- وقررت أن تطبع البحوث التي ألقيت في الندوات و المؤتمرات التي يقيمها المجمع في كل عام في جزأين من المجلة، كما تطبع منها (١٠٠) نسيلة مستقلة.

- واطلعت على كتاب أمانة لجنة المخطوطات وإحياء التراث المتضمن موافقتها على طبع الكتب الآتية:

- ديوان ابن النقيب، تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري (إعادة طبعه)، فوافقت على دفعه للطبع بعد إعادة النظر فيه، وهو لايزال في مرحلة التنضيد.

- المجلد (٦٢) من "تاريخ مدينة دمشق" لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي وقررت دفعه للتنضيد، ولايزال قيد التنضيد.

- واطلعت اللجنة على قرار رئاسة مجلس الوزراء ذي الرقم (١٠٩٩) تاريخ ٢٠٠٣/٢/٣ المتعلق بمنح تعويضات الإنتاج الفكري، وكلفت الأستاذ جورج صدقني اقتراح القواعد التنفيذية لماله صلة بمهامها وإحالتها على لجنة مكتب المجمع لاعتمادها.

- **الكتب التي نجز طبعها ودخلت مستودع المجمع**

- «**تاريخ مدينة دمشق**» **لابن عساكر**، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٠.

- **الكتب التي في مطبعة دار البعث**

١- «**تاريخ مدينة دمشق**» **لابن عساكر**، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦١.

٢- **استدراك الغلط الواقع في كتاب العين للزبيدي**، تحقيق الدكتور صلاح الفرطوسي.

٢- لجنة المخطوطات وإحياء التراث

عقدت اللجنة في هذا العام أربع عشرة جلسة، كان من أبرز ما تم فيها:

- النظر في كتاب: «ديوان أبي النجم العجلي» صنعة الدكتور محمد أديب جُمران، واقتراح الموافقة على طبعه.

- اقتراح خطة عمل اللجنة للعام ٢٠٠٤ وإحالتها على السيد نائب رئيس المجمع.

٣- لجنة ألفاظ الحضارة وتنسيق المصطلحات وتوحيدها

- انضم إلى عضوية اللجنة السيدان الأستاذ شحادة الخوري، والدكتور موفق دعبول.

وعقدت اللجنة في هذه الدورة ستًا وعشرين جلسة، كان مما تم فيها:

- إرسال مشروع معجم مصطلحات ألفاظ الحضارة الصادر عن مكتب تنسيق التعريب إلى مقر المكتب بالرباط بعد أن راجعه وعدل بعض ألفاظه كل من الأستاذين الدكتور محمد زهير البابا، والدكتور محمد مكي الحسني الجزائري.

- وضع مقابلات عربية وتعريفات لبعض الألفاظ الأجنبية الشائعة.

- اقتراح تزويد قاعة المصطلح وألفاظ الحضارة بعددٍ من المعجمات والموسوعات المتخصصة.

- متابعة العمل على دراسة كتب الجامعات السورية لتوحيد مصطلحاتها وتأكيد ما يلي:

- الاتفاق على منهجية واحدة تعتمدها جميع لجان المصطلحات، والاستنارة - من أجل ذلك- بالمنهجية المتبعة في لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية.

- ضرورة تنسيق المصطلحات المتشابهة بين مختلف العلوم.

- تأليف لجنة مصطلحات العلوم الطبيعية والزراعية على أن يكون تجميع المصطلحات من الكتب الجامعية بطريق تأليف لجانٍ وقتية اختصاصية وفقًا للمادة (٣٥)

من اللائحة الداخلية، يعهد إليها أن تقوم بالعمل على التوالي، فتكون هناك لجنة وقتية لمصطلحات علوم الأحياء الحيوانية، ولجنة وقتية لمصطلحات علوم الأحياء النباتية، ولجنة وقتية لمصطلحات العلوم الجيولوجية، ولجنة وقتية لمصطلحات العلوم الزراعية. وفي هذه الحال ينضم إلى أعضاء اللجنة نحو ثلاثة من خبراء هذه العلوم. وقد ألفت لذلك لجنة موقته لمصطلحات علوم الأحياء الحيوانية.

– الموافقة على إعداد معجمٍ لألفاظ الحضارة يصدره مجمع اللغة العربية بدمشق بإشراف لجنة مؤلفة من كلٍّ من الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا، والأستاذ جورج صدقني، والأستاذ شحادة الخوري، والأستاذ الدكتور موفق دعبول وانتخب الأستاذ الخوري منسقًا لهذه اللجنة.

ويشمل هذا المعجم ألفاظ الحضارة التي يتداولها الناس، ويولى فيه الحديث منها عناية خاصة دون التطرق إلى المصطلحات التي يحتاج إليها المتخصصون في مختلف العلوم.

ويقسم المعجم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: العلوم والآداب والفنون.

القسم الثاني: البيئة والاقتصاد والتربية.

القسم الثالث: الحياة اليومية.

ويصدر في ثلاثة مجلدات بعنوان: (معجم ألفاظ الحضارة) القسم الأول ثم الثاني والثالث على أن يبدأ العمل بالثالث فالثاني فالأول.

– الاطلاع على ما أنجزته لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية من مشروع توحيد مصطلحات الفيزياء بين الجامعات السورية، وإبداء الرأي في طريقة العمل المتبعة للاستفادة منها في مشروع آخر من مشاريع توحيد المصطلحات الجامعية التي يزمع المجمع إعدادها.

- اقتراح خطة عمل اللجنة وإدراجها في مشروع الخطة العلمية للمجمع للعام٢٠٠٤م.

٤- لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية

عقدت اللجنة في هذه الدورة المجمعية أربعًا وعشرين جلسة كان مما تم فيها:

- دراسة المصطلحات المبدوءة بأحرف (C,D,E,F,G,H,I) وكانت قد أنجزت في الدورة المجمعية السابقة دراسة المصطلحات المبدوءة بحرفي A وB من مشروع توحيد مصطلحات الفيزياء بين الجامعات السورية.

- التعاقد مع الخبراء: الدكتور أحمد الحصري، والدكتور محمد قعقع، والأستاذ أنطون مارين للانضمام إلىاللجنة وتكليفهم إعداد دراسة المصطلحات وعرض ما يتوصلون إليه على اللجنة.

- وأقرت خطة عملها في توحيد مصطلحات الفيزياء للعام المقبل بمتابعة ما بدأت به في العام ٢٠٠٣م

٥- لجنة مصطلحات العلوم الطبيعية والزراعية

شرعت اللجنة تنفذ مهمتها فاقترحت تأليف لجنة وقتية لتوحيد مصطلحات علوم الأحياء الحيوانية ووافق المجلس على تأليفها، ثم تلاها اقتراح بتأليف ثلاث لجان وقتية لتوحيد مصطلحات كل من علوم الأحياء النباتية والعلوم الزراعية والعلوم الجيولوجية.

أ - لجنة وقتية لمصطلحات علوم الأحياء الحيوانية

ألفت هذه اللجنة في شهر تشرين الثاني من هذا العام، وعقدت ثلاث جلسات في الشهرين الأخيرين منه وبدأت بوضع خطة عملها، بجمع المصطلحات من كتب علوم الأحياء الحيوانية في الجامعات السورية وإدخالها إلى الحاسوب وفق برنامج خاص بها يتيح الحصول على المصطلح المطلوب بيسر، ولا يزال العمل جاريا.

٦- لجنة النشاط الثقافي

عقدت اللجنة في عام ٢٠٠٣م تسعًا وعشرين جلسة. وكان موضوع المؤتمر الثاني للمجمع أهم ما بحثته فيها، فقررت أن يكون الموضوع «اللغة العربية في مواجهة المخاطر» وتاريخ انعقاده من ٢٠-٢٣ تشرين الأول لعام ٢٠٠٣م في قاعة المحاضرات بمجمع اللغة العربية بدمشق، وحُددت محاور المؤتمر بما يلي:

١- المخاطر من الداخل والخارج ووسائل مجابهتها.

٢- دور مجامع اللغة العربية في حماية العربية

٣- اللغة العربية وآفاق المستقبل.

وتقرر أن يرافق المؤتمر حفل تذكاري بمناسبة انقضاء خمسين سنة على وفاة مؤسس المجمع الأستاذ الرئيس محمد كرد علي.

وأقرت اللجنة تأليف لجنة وقتية من أعضاء المجمع مهمتها تقويم بحوث المشاركين ليصار إلى طباعتها في أقرب حين، وحددت موعد المؤتمر الثالث للمجمع في المدة من ٩ -١٢ تشرين الأول للعام ٢٠٠٤م، واقترحت أن يكون موضوعه (قضايا المصطلح العلمي) وأحالت الاقتراح على مجلس المجمع لدراسته، وإبداء الرأي فيه.

- أما بشأن الموسم الثقافي للمجمع في عام ٢٠٠٣، فقد ألقيت محاضرة للأستاذ الدكتور نقولا زيادة بعنوان «المساقات الفكرية في الحضارة العربية الإسلامية» مساء الأربعاء ٢٠٠٣/٦/١١م في قاعة المحاضرات بمجمع اللغة العربية بدمشق.

وارتأت اللجنة تحديد مواعيد المحاضرات الثقافية للعام ٢٠٠٤م وتوجيه كتاب إلى أعضاء المجمع للمشاركة في إلقاء محاضرات ثقافية تحدد مواعيدها وعناوينها في وقت مبكر. واتفق على دعوة الباحثين من سورية وخارجها للمشاركة في محاضرات الموسم الثقافي والاتصال بهم بكل الوسائل الممكنة، واستقطاب الحضور بالدعاية الإعلامية بجميع أنواعها.

٧- لجنة اللغة العربية وأصول النحو

عقدت لجنة اللغة العربية وأصول النحو ستًا وعشرين جلسة أثناء العام ٢٠٠٣م، تمّ فيها ما يلي:

أ - وضع قواعد الإملاء بالاستعانة بملاحظات بعض أعضاء المجمع، وملاحظات الأستاذ عاصم البيطار والدكتور مازن المبارك، والتقرير المقدَّم من لجنة وزارة التربية، وإحالتها لتعرض على مجلس المجمع للموافقة على طبعها، ثم إرسالها إلى وزارة الإعلام ووزارة التربية ووزارة التعليم العالي وسائر الجهات المعنية.

ب - تصحيح طائفة من الأخطاء اللغوية الشائعة.

ج - دراسة طائفةٍ من بحوث المؤتمر الأول للمجمع «تيسير تعليم النحو» لإفادة الدارسين والباحثين من القواعد المستخلصة منها، وبحث وسائل تنفيذ المقترحات الواردة في بحوث المشاركين في المؤتمر .

د - متابعة عَرض مشروع قانون حماية اللغة العربية على رئاسة مجلس الوزراء.

٨- لجنة المعجمات

عقدت لجنة للمعجمات في هذا العام تسع عشرة جلسة، كان من أهم ما تم فيها:

- وضع خطة لإعداد معجم لغوي وافٍ، على أن يبدأ العمل فيه عند توفر أسباب إعداده.

٩- لجنة المكتبة

بلغ عدد جلسات لجنة المكتبة في هذه الدورة تسع جلسات ، بحثت فيها واقع مكتبتي المجمع والظاهرية. فكان مما أنجزته الأعمال الآتية:

التصنيف الموضوعي للمكتبة العربية في المجمع: بعد قيام المجمع بإدخال فهرسة الكتب في الحاسوب، وتأليف لجان من العاملين للقيام بالتصنيف الموضوعي للكتب حسب تصنيف ديوي العشري، وقد شارفت هذه اللجان

على إتمامه لتبدأ عملية إدخال البيانات الجديدة في الحاسوب. وبذلك تتكامل عملية حوسبة المكتبة باستخدام البرنامج الإلكتروني للمكتبة الذي أعده المهندس مازن غراوي، والذي يقدم خدمات تسهل عملية البحث عن الكتاب.

البدء بطبع سجلات الكتب الخاصة بدار الكتب الظاهرية التي أدخلت في الحاسوب تمهيدًا لإجراء عملية الجرد العام لكتب الظاهرية في عام ٢٠٠٤م. بعد انتهاء الامتحانات الجامعية.

متابعة السعي لاسترداد الكتب المفقودة بسبب الإعارة.

شراء كتب من معرض الكتاب في العلوم المختلفة، وشراء الأجزاء الجديدة من الموسوعة الإسلامية ، وبعض مطبوعات مجمع القاهرة ، ومجموعة من المعجمات العلمية باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

٤- دار الكتب الظاهرية

أهم ما يذكر في هذا الموضوع: الكتب والمطبوعات والدوريات التي دخلت الدار، رواد الدار، ترميم الأبنية.

آ- الكتب والمطبوعات: بلغ عدد الكتب المشتراة للدار هذا العام (ستة وأربعين ومئة كتاب)، وأهدي إليها (ثلاثة وثمانون كتابًا) جميعها بالعربية.

وبذلك يصبح مجموع الكتب في الدار (واحدًا وتسعين وخمسمئة وستة وسبعين ألف) كتاب.

ب- الدوريات والمجلات: بلغ عدد الدوريات والمجلات العربية المهداة إلى الدار. إحدى عشرة ومئة مجلة ودورية تحمل أربعين عنوانًا، منها سبعون مجلة ودورية مما يطبع في داخل القطر ، وما تبقى جاء هدية من الدول العربية الشقيقة. وبذلك يصبح عدد المجلات والدوريات العربية في الدار (ثلاثة عشر وسبعمئة وتسعة وثلاثين ألف) عدد.

ج- رواد المكتبة: بلغ عدد القراء المشتركين في الدار (ثلاثين وأربعمئة وأربعة آلاف) مشترك. ويقع عدد الرواد المطالعين ما بين أربعة عشر مطالعًا يوميًا في الصيف ومئة مطالع في الشتاء. والعدد الوسطي للكتب المعارة في اليوم هو أربعون ومئة كتاب في شتى أنواع العلوم والمعارف. ويزور الدار عدد غير قليل من المواطنين والسائحين للاطلاع على معالمها التاريخية وآثارها العمرانية.

د- التجهيزات والإصلاحات: زودت الدار بعدد كبير من الكراسي ومناضد المطالعة، وجُلّد نحو ثلاثمئة كتاب من كتبها. ولا يزال العمل جاريًا في ترميم المدرسة العادلية التابعة للدار.

٥- مؤتمر المجمع ومشاركاته العلمية

أ- مؤتمر المجمع

برعاية كريمة من سيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية عقد مجمع اللغة العربية بدمشق مؤتمره الثاني بعنوان «اللغة العربية في مواجهة المخاطر» وذلك في المدة من ٢٠-٢٣ تشرين الأول للعام ٢٠٠٣م في قاعة المحاضرات بالمجمع، وقد شارك في هذا المؤتمر باحثون مختصون من الجمهورية العربية السورية ومن مختلف الأقطار العربية الشقيقة،وألقيت بحوث المؤتمر في إطار المحاور الثلاثة التي اقترحتها لجنة النشاط الثقافي.

وقد أقيم حفل افتتاح المؤتمر في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٢٠/١٠/٢٠٠٣م في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، وحضره السيد الدكتور محمد زهير مشارقة، نائب رئيس الجمهورية ممثلاً لراعي الحفل السيد رئيس الجمهورية العربية السورية، كما حضره السادة أعضاء القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية والسادة أعضاء القيادتين القومية والقطرية، والسادة الوزراء، والسفراء العرب، ورئيس مجمع اللغة العربية، وأعضاء المجمع، ونخبة

مصطفاة من الباحثين المختصين في موضوع المؤتمر من الأقطار العربية، وجمهور غفير من المدعوين والمعنيين باللغة العربية.

وألقيت في هذا الحفل الكلمات الآتية :

١- كلمة الدكتور محمد زهير مشارقة، ممثل السيد بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية

٢- كلمة الأستاذ الدكتور هاني مرتضى، وزير التعليم العالي.

٣- كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس مجمع اللغة العربية.

٤- كلمة أمين المجمع الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد (حول ما أنجزه المجمع بعد مؤتمره الأول).

٥- كلمة ممثل الباحثين الضيوف

وعقدت جلسات المؤتمر الست طوال ثلاثة أيام بدءاً من يوم الثلاثاء ٢١/١٠/٢٠٠٣ وحتى صباح الخميس ٢٣/١٠/٢٠٠٣م، تناول فيها الباحثون محاور موضوع المؤتمر.

وعقدت لجنة الصياغة المؤلفة من السادة مقرري جلسات المؤتمر عدة جلسات درست فيها مجمل البحوث وما اشتملت عليه من أفكار، واستعرضت الاقتراحات التي وردت في المناقشات التي جرت عقب إلقاء البحوث. وخلصت إلى صياغة مجموعة من التوصيات ستنشر في المجلة مع وقائع المؤتمر وبحوثه.

ب – مشاركات المجمع

– شارك الأستاذ شحادة الخوري، عضو المجمع، في اللقاء الذي دعت إليه مؤسسة الحريري، إحياء لليوم العالمي للغة الأم، تحت شعار «لغتنا أمنا، لغتنا هويتنا» وذلك في مجمع بهاء الدين الحريري في صيدا، بلبنان، وقد عقد هذا اللقاء بتاريخ ٢١/٢/٢٠٠٣م.

وقد قدم الأستاذ شحادة الخوري إلى مجلس المجمع ملخصًا عن أهم الأعمال التي بحثها اللقاء، والكلمات التي ألقيت فيه مؤكدة حماية اللغة العربية من الهجمات الشرسة عليها وبخاصة في القطر اللبناني الشقيق، ومنافسة اللغات الأجنبية، واللهجات العامية لها على كل صعيد.

– شارك الأستاذ عبد الله واثق شهيد، أمين المجمع، والأستاذ شحادة الخوري، عضو المجمع في ندوة «التعريب في التعليم العالي» التي أقيمت في المدة من ١١/٣٠ إلى ٢٠٠٣/١٢/٢م في وزارة التعليم العالي، برعاية المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، في الوزارة ، والجمعية المغربية لقدماء طلبة سورية.

٦– أمور إدارية وتنظيمية

ألف المجمع في عام ٢٠٠٢ لجنة وقتية قامت بوضع قواعد محددة لتعويضات الإنتاج الفكري في المجمع، ورفعت هذه القواعد – بعد موافقة مجلس المجمع عليها – إلى رئاسة مجلس الوزراء، وصدر بها قرار الرئاسة ذو الرقم /١٠٩٩/ تاريخ ٢٠٠٣/٢/٣م.

ثم ألف مكتب المجمع لجنة وقتية وضعت قواعد تنظيمية لتنفيذ القرار ذي الرقم /١٠٩٩/ وقدمت هذه القواعد إلى مجلس المجمع في جلسته السابعة والعشرين المنعقدة بتاريخ ٢٠٠٣/٩/٣ فأقرها ، وصدر بها قرار المجمع ذو الرقم /٢١/ تاريخ ٢٠٠٣/١١/٣.

كما وضعت اللجنة مشروعًا لتعديل بعض فقرات القرار ذي الرقم /١٠٩٩/ ورفع إلى الرئاسة لاستكمال أسباب صدوره.

وتقوم اللجنة بتعديل بعض مواد اللائحة الداخلية للمجمع ذات الرقم /٢ت.ع/ تاريخ ٢٠٠٢/١/١٥ بما يناسب التطور الذي يشهده المجمع في جميع مجالاته.

٧- مكتبة المجمع

تم إغناء مكتبة المجمع في هذا العام بستة وثلاثين وثلاثمئة وألف كتاب باللغة العربية، منها تسعة وثلاثون وتسعمئة كتاب إهداء، وسبعة وتسعون وثلاثمئة كتاب شراء. فأصبح عدد الكتب العربية في المكتبة: اثنين وسبعين وتسعمئة وستة وعشرين ألف كتاب. كما زودت المكتبة الأجنبية بواحد وسبعين وأربعمئة كتاب شراء وإهداء. ودخل قسم المجلات والدوريات العربية ثمانٍ وعشرون ومئة مجلة ودورية.

٨ – حفلات الاستقبال والتأبين

أ – حفلات الاستقبال

أقام المجمع مساء الأربعاء ٢٠٠٣/٣/١٩م حفل استقبال الأستاذ الدكتور موفق دعبول عضوًا في المجمع، وذلك في جلسه علنية في قاعة المحاضرات بمبنى المجمع.

حضر الحفل نخبة من جال العلم والأدب، وجمع غفير من زملاء المحتفى به وأصدقائه وطلابه.

وكان مجلس المجمع قد انتخب الأستاذ الدكتور موفق دعبول عضوًا في المجمع في جلسة عقدها بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٢٠، وصدر بتسميته المرسوم الجمهوري ذو الرقم /٣١٧/ تاريخ ٢٠٠٢/٩/١٦.

وقد ألقى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع، كلمة في استقبال العضو الجديد. وألقى الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد،أمين المجمع كلمة قدم فيها الدكتور موفق دعبول. ثم ألقى الأستاذ الدكتور موفق دعبول كلمة تحدث فيها عن سلفه عضو المجمع الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد، مشيدًا بعلمه وفضله.

وفي ختام الحفل قام السيد رئيس المجمع بتقليد عضو المجمع الجديد الشارة المجمعية.

ب – حفلات التأبين

أقام المجمع مساء الأربعاء ٢٠٠٣/٢/٥ بالتعاون مع جامعة دمشق، ووزارة الثقافة، واتحاد الكتاب العرب حفلاً تأبينيًا لفقيده الأستاذ الدكتور عادل العوا، الذي وافته المنية بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/٢٧.

أقيم الحفل في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، وحضره كوكبة من رجال العلم والأدب والفلسفة، وجمع غفير من أهل الفقيد وأصدقائه وطلابه. فألقت الأستاذة الدكتورة نجوة قصاب حسن، وزيرة الثقافة كلمة الوزارة في تأبين الفقيد. ثم ألقى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع، كلمة المجمع، ثم ألقى الأستاذ الدكتور سمير حسن، عميد كلية الآداب كلمة الكلية في هذه المناسبة. وألقى الأستاذ الدكتور علي عقلة عرسان، رئيس اتحاد الكتاب العرب، كلمة في تأبين الفقيد. وألقى الدكتور عزت السيد أحمد، من طلاب الفقيد، كلمة وأنشد أبياتًا أشاد فيها بفضل الفقيد وعلمه.

وختم الحفل بكلمة نجل الفقيد الدكتور نبوغ العوا، الذي شكر للقائمين على الحفل والمشاركين فيه حسن عزائهم، وصدق وفائهم لوالده فقيد العلم والفلسفة.

٩ – موازنة المجمع

أ- مجموع الاعتمادات المخصصة (الجارية والاستثمارية) لعام ٢٠٠٣م ٢٦,٧٧٥,٠٠٠ ليرة سورية.

ب- مجموع ما أنفق من هذه الاعتمادات في عام ٢٠٠٣م ١٩,٥٨٣,٠٤١ ليرة سورية

ج- وكانت النسبة المئوية للإنفاق في عام ٢٠٠٣م : ٧٣ %

وأسباب تدني نسبة الإنفاق بالقياس إلى نسبة إنفاق العام الماضي كثيرة منها:

- عدم الموافقة على تخصيص القطع الأجنبي لشراء سيارتين كان قد

رصد لهما مبلغ ثلاثة ملايين ليرة سورية.

- التقيد بتعليمات رئاسة الوزراء القاضية بتخفيض الإنفاق على عدة بنود بنسبة ٢٥ %.

- عدم إيفاد أحد من أعضاء المجمع أو العاملين فيه طوال العام.

- وانخفاض عدد المشاركين في مؤتمر المجمع أدى إلى انخفاض نفقات الضيافة فيه، وكذلك انخفاض عدد الكتب المشتراة في هذا العام، وتخفيض المكافأة التي تمنحها الإدارة للعاملين عقب المؤتمر الذي عقده المجمع هذا العام، وعدم استكمال ملء شواغر الملاك الجديد.

قرار رقم / ٥٢ /

رئيس مجمع اللغة العربية

بناءً على أحكام قانون مجمع اللغة العربية رقم /٣٨/ تاريخ ٢٠٠١/٦/٦.

وعلى أحكام القرار رقم /٢/ت.ع تاريخ ٢٠٠٢/١/١٥ المتضمن اللائحة الداخلية للمجمع.

وعلى قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم /١٠٩٩/ تاريخ ٢٠٠٣/٢/٣ المتضمن تحديد تعويضات الإنتاج الفكري و جلسات اللجان في مجمع اللغة العربية.

وعلى قرار مجلس المجمع في جلسته التاسعة المنعقدة بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٦ المتضمن إعادة تأليف لجان المجمع.

يقرر مايلي :

مادة ١ – تؤلف لجنة المجلة والمطبوعات من الأعضاء السادة:

- الأستاذ الدكتور شاكر الفحام.
- الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص.
- الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد.
- الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة.
- الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا.
- الأستاذ جورج صدقني.
- الأستاذة الدكتورة ليلى الصباغ.
- الأستاذ الدكتور محمود السيد.
- الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري.
- الأستاذ عاصم البيطار.

ومن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع.

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءًا من تاريخ صدور هذا القرار.

مادة ٢– مهمة اللجنة كما هو محدد في اللائحة الداخلية للمجمع الصادرة بالقرار رقم /٢/ت.ع تاريخ ٢٠٠٢/١/١٥م.

مادة ٣– يجتمع أعضاء اللجنة وينتخبون رئيسًا من بينهم ومقررًا في الجلسة الأولى، وتحدد اللجنة مواعيد اجتماعاتها وتضع خطة عمل لها.

مادة ٤– يتقاضى كل من الأساتذة أعضاء اللجنة التعويض المنصوص عنه في الفقرة /ب/ من المادة الأولى من القرار /١٠٩٩/ المتضمن تحديد تعويضات الإنتاج الفكري.

مادة ٥– تصرف النفقة الناجمة عن هذا القرار من الاعتمادات المخصصة لهذه الغاية في موازنة مجمع اللغة العربية.

مادة ٦– يبلغ هذا القرار من يلزم لتنفيذه.

١٢/ ٥/ ١٤٢٥هـ **رئيس مجمع اللغة العربية**

٢٩/ ٦/ ٢٠٠٤م

الدكتور شاكر الفحام

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ٢٠٠٤م

أ – الكتب العربية

خير الله الشريف

– **آكل اليقطين/** بنيلوب مورتايمر، ترجمة: محمد أبو خضور – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: روايات عالمية ٩٣).

– **أبجدية القلب/** إبراهيم عباس ياسين - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١١).

– **ابـــن فارس اللغوي: منهجه وأثره في الدراسات اللغوية/** د. أمين محمد فاخر – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩١– (سلسلة: نشر الرسائل الجامعية ٥).

– **الاتجاهات الأساسية للثورة العلمية التقنية/** د. معن النقري – ط١– دمشق: دار التوحيدي، ٢٠٠٣.

– **الاتجاهات والتحديات السكانية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا/** المكتب المرجعي للسكان – القاهرة: مؤسسة الأهرام، ٢٠٠٢.

– **أسئلة التعريب ورهاناته في التعليم العالي بالمغرب وسوريا/** مجموعة من الباحثين – فاس: جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ٢٠٠٠.

– **الإشراقات/** رامبو، تقديم وشرح: سوزان برنار، ترجمة: قيس خضور – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢.

– **أعلام الفلك في التاريخ العربي**/ د. علي حسن موسى – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢.

– **الأفق والصدى: قراءات في الشعر السوري المعاصر**/ مفيد نجم – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.

– **الإقليد: شرح المفصل**/ الجندي، تحقيق: د. محمود الدراويش – ط١ – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٢ – ٤ مج.

– **إلياذة هوميروس: الملحمة الأنموذج...**/ د. أحمد عثمان – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٣– (سلسلة: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، رسالة ٢٠٩).

– **أنا وغريفن والسينما**/ ليليان غيش، ترجمة: عدنان مدانات – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.

– **الأوامر السلطانية لولاية دمشق...**/ إعداد وتحقيق: دعد الحكيم – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة الدراسات التاريخية).

– **إيجاد التوازن: السكان وندرة المياه ...**/ فرزانة رودي فهيمي وآخرون – القاهرة: المكتب المرجعي للسكان، ٢٠٠٢.

– **باب خشبي قديم**/ نيروز مالك – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: قصص عربية ٢٢).

– **برنامج تنظيم الأسرة في إيران...**/ فرزانة رودي فهيمي وآخرون – القاهرة: المكتب المرجعي للسكان، ٢٠٠٢.

– **بلطة على الثلج**/ عارف حديفة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة قصص عربية ٢٤).

– **بيسان**/ محمود حامد – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر

العربي ١٢٢).

- **تأملات في اللغة والثقافة**/ د. معن النقري - ط١- دمشق: دار الشام القديمة، ٢٠٠٠.

- **تداخل الثقافات والكتابة الأدبية...**/ مجموعة من الباحثين - ط١- قرطاج: بيت الحكمة، ٢٠٠٣.

- **تدريب المشاعر: التوازن الانفعالي...**/ بيتر بوبر، ترجمة: د. إلياس حاجوج - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ - (سلسلة: دراسات فلسفية ونفسية ٤٥).

- **تطوير تعليم الكبار في الوطن العربي**/ مجموعة من الباحثين - تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢.

- **تعاطي المواد المؤثرة في الأعصاب...**/ د. فريح عويد العنزي، د. الحسين محمد عبد المنعم - الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٣ - (سلسلة: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، رسالة ٢٠٧).

- **التقرير الختامي للسنة الجمعية ١٩٩٤-١٩٩٥**/ د. صالح أحمد العلي - بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٥.

- **تكريم وليد الخالدي: آفاق السلام في الشرق الأوسط**/ إدارة برامج الثقافة والاتصال - تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٣.

- **التكنولوجيا والاتصالات والإنترنيت...**/ د. معن النقري - دمشق: مطبعة اليازجي، ٢٠٠٣.

- **الثقافة والإبداع والملكية الفكرية**/ د. معن النقري - دمشق: مطبعة اليازجي، ٢٠٠٣.

- **الثورة الفرنسية في السينما**/ روجيه إيكار، ترجمة: محمد علي اليوسفي -

دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: الفن السابع ٥٧).

– **جنة صغيرة/** بيان الصفدي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١٥).

– **الحب أولاً/** ماري رشو – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: قصص عربية ٢٩).

– **حداثة العرب وعرب الحداثة.../** د. محمد علي جمعة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢، (سلسلة: الدراسات الفكرية ٧٦).

– **حفل تكريم المعجمي الأستاذ أحمد شفيق الخطيب/** مجموعة من الأساتذة – بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٣.

– **حفل تكريم وتقدير للشاعر المرحوم أحمد المجاطي/** مجموعة من الأساتذة – الرباط: الجمعية المغربية لقدماء طلبة سورية، ٢٠٠٣.

– **حكايات لأطفال غير هادئين/** جاك بريفر، ترجمة: وفاء شوكت – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: قصص عالمية ١٩).

– **حواف خشنة/** عمر قدور – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: روايات عربية ٩٩).

– **خذي دحرجات الغيوم/** طلعت سقيرق – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١٨).

– **دخان التلاشي/**د. صاحب خليل إبراهيم – دمشق:وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسة: من الشعر العربي ١٢١).

– **دمعة فقط/** عبد الناصر حداد – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١٣).

- **رسائل عبد الرحمن الشهبندر**/ إعداد وتحقيق: دعد الحكيم — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ — (سلسلة: الدراسات التاريخية).
- **السرديات: مقدمة نظرية**/ د. مرسل فالح العجمي — الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٣ — (سلسلة: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، رسالة ٢٠٦).
- **سقوط هرقلة** / عمر الحمود — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ — (سلسلة: قصص عربية ٢٦).
- **سيرة الآس: شعر**/ سميرة عزام — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ — (سلسلة: من الشعر العربي ١١٢).
- **سيناريو فيلم المرآة**/ الكسندر تشارين وآخرون، ترجمة: يونس كامل ديب — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ — (سلسلة: الفن السابع ٦٣).
- **السيناريو الكامل لفيلم: المدرعة بوتمكين**/ إخراج: سيرغي م. إيزنشتين، ترجمة: صالح علماني — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ — (سلسلة: الفن السابع ٥٥).
- **سينما الإنسان: قراءة...**/ إبراهيم العريس — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ — (سلسلة: الفن السابع ٥٩).
- **شارلز بن ديكنز**/ أحمد عمر — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣- (سلسلة: قصص عربية ٣١).
- **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب**/ تحقيق: د. حسن الحفظي، د. يحيى مصري — الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٣-١٩٩٦- ٤مج — (سلسلة: نشر الرسائل الجامعية ١٥).
- **شرح اللمع**/ الأصفهاني الباقولي، حققه: د. إبراهيم أبو عباة — ط ١- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٠ — ٢ج — (سلسلة: رسائل جامعية ١).

– **شهب نفس مشبوبة** / د. عبد الكريم الحصني — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ — (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٦).

– **الصحافة السورية ماضيها وحاضرها: الصحافة في اللاذقية/** هاشم عثمان - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ — ج ٢ — (سلسلة: دراسات فكرية ٦٧).

– **الصهيونية وفلسطين** / د. لطف الله حيدر — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ - (سلسلة: الدراسات التاريخية).

– **صور/** إنغمار برغمان، ترجمة: زياد خاشوق — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ — (سلسلة: الفن السابع ٦٠).

– **طريق بلا أقدام/** د. حمزة رستناوي — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ — (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٤).

– **الطفل ياحبيبي/** سيسيليا ميريليز، ترجمة: مها عرنوق — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: قصص عربية ١٨).

– **الطوفان/** علي شعبان سليمان - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: قصص عربية ٢٣).

– **العرب وتجربة المأساة/** صدقي إسماعيل — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣– (سلسلة: آفاق ثقافية ١).

– **العرب وعولميات العصر الراهن/** د. معن النقري — دمشق: مطبعة اليازجي، ٢٠٠٣.

– **على البخار/** بشار البطرس — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ — (سلسلة: قصص عربية ٣٠).

– **علا وحارس الماء/** حسين ورور — دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢–

(سلسلة: من الشعر العربي ١٠٦).

– **العولمة (الكوكبة) منهجياً ونظرياً وتطبيقياً/** د. معن النقري – دمشق: مطبعة اليازجي، ٢٠٠٣ .

– **عيناك /** طلعت سفر – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١٤).

– **غرفة بملايين الجدران: شعر/** محمد الماغوط – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: مختارات ٣).

– **الغريق السومري/** موفق مسعود – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: قصص عربية ٢٥).

– **فتيات صغيرات من العصور القديمة/** ج. جاكان، ترجمة: ميساء الحفار – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: قصص عالمية ٢٠).

– **فصول النوى/** عبد الرحمن عمار – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: من الشعر العربي ١٠٨).

– **فلسفة وسوسيولوجيا التقانة الجديدة/** د. معن النقري – دمشق: مطبعة اليازجي، ٢٠٠٣.

– **الفوضى والحتمية /** داهان دالمديكو وزميلاه، ترجمة: هاني حداد – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: دراسات فلسفية ٥٠).

– **في ظلال العدد: إيقاعات الوجود (١)/** كمال القنطار– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: دراسات فلسفية ٤٨).

– **في محددات العقل العمراني الخلدوني/** د. محمود بن الحبيب النوادي – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٣ – (سلسلة: حوليات الآداب والعلوم

الاجتماعية ٢٤، رسالة ٢٠٨).

– **قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم/** موسى ديب الخوري – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: الدراسات التاريخية).

– **قضايا النقد الأدبي في مقدمة شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي/** د. عبد العزيز الشعلان – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٢.

– **قطر الندى/** عبد الكريم شعبان – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٥).

– **كارمن و ١٣ قصة أخرى/** بروسبير ميريميه، تقديم: بيير جوسران، ترجمة: زياد العودة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – ج٢ – (سلسلة: روايات عالمية ٩٢).

– **كتاب الحصى والماس/** محمد القيسي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٣).

– **كفر تخاريم: ماضيها وحاضرها../** صلاح الدين كيالي، تقديم: عبد المجيد همو – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: الدراسات التاريخية).

– **ك كاف الكمون/** مناة الخير – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: من الشعر العربي ١١٦).

– **كولومبا وقصص أخرى/** بروسبير ميريميه، تقديم: بيير جوسران، ترجمة: زياد العودة– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢–ج١– (سلسلة: روايات عالمية ٩١).

– **لقطة مقربة: السينما الإيرانية ماضياً حاضراً مستقبلاً/** حميد دباشي، ترجمة: عارف حديفة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣– (سلسلة: الفن السابع ٥٦).

– **اللون الأسود يحرق /** آرنست. ج. غينز، ترجمة: محمد أبو خضور – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: روايات عالمية ٨٨).

- **مباهج اللغة والأدب/** د.عبد الكريم اليافي –دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.
- **المبهمات ودلالاتها الأسلوبية في شعر المتنبي/** حميدة مناع العنزي – ط١ – الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠٣– (سلسلة: مدارات أدبية ٢٢).
- **محاور في المسرح العربي/** هيثم يحيى الخواجه، تقديم: د. رياض عصمت – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢.
- **مختصر لآلئ العرب/** سالم خليل رزوق، حققه: خير الدين محمود قبلاوي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ –ج ٤– (سلسلة: إحياء التراث العربي ١١٠).
- **مخرجون واتجاهات في السينما الأوربية/** سمير فريد – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: الفن السابع ٦٢).
- **مدارس من أجل التفكير: علم تعلم في الصف/** جون ت. بروير، ترجمة: د. كهيلا بوز، مراجعة: د. علي سعود حسن، دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: الدراسات الفكرية ٧٧).
- **مدينة بلا سماء/** مروة حلاوة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٧).
- **المرآة السحرية/** غريد بليتون، ترجمة: إيمان يحيى – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: قصص عالمية ١٧).
- **مساهمة الأستاذ أحمد عبد السلام في إثراء الثقافة التونسية/** محمد اليعلاوي – قرطاج: بيت الحكمة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: منبر بيت الحكمة).
- **مستقبل تعليم الكبار في الوطن العربي/** مجموعة من الباحثين – تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢.
- **مسرح الإنترمس/** ترجمة: علي إبراهيم أشقر – دمشق: وزارة الثقافة،

٢٠٠٢ – (سلسلة: المسرحيات العالمية ٦٤).

– **مشاغبات صغيرة/** موفق نادر – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٨).

– **المعرفة والحكمة: فعاليات الدورة السادسة لملتقيات قرطاج الدولية/** مجموعة من الباحثين – قرطاج: بيت الحكمة، ٢٠٠٣.

– **مقام العقل عند العرب/** قدري حافظ طوقان – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: آفاق ثقافية ٣).

– **مكاشفات عابر سبيل/** فؤاد كحل – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١٩).

– **الملك والملكة/** رامون. خ. سندر، ترجمة: علي أشقر – دمشق:وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: روايات عالمية ٨٩).

– **من الإبستمولوجيا إلى المجتمع /** فؤاد محمود ناصيف خير بك – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: دراسات فلسفية ٤٩).

– **من أعمال أحمد عبد السلام /** أحمد عبد السلام –ط١– قرطاج: بيت الحكمة، ٢٠٠٣.

– **مناهج دراسة الأدب العربي وتدريسه في الجامعات العربية /** د. خيرية السقاف – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٢ – ٢ج – (سلسلة: نشر الرسائل الجامعية ١١).

– **من التقليد إلى التجديد: في الأدب المسرحي السوري/** فرحان بلبل – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢.

– **من المجهولة إلى مايا/** ع. آل شلبي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ –

(سلسلة: آفاق ثقافية ٢).

– **الموت الأصغر/** ماجد رشيد العويد – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: قصص عربية ٢٨).

– **الموجز التعليمي العالمي ٢٠٠٣/** معهد اليونسكو للإحصاء – مونتريال: المعهد، ٢٠٠٣.

– **موسوعة العامية السورية ../** ياسين عبد الرحيم – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – ٤ج.

– **نحت فراغي لتمثال الغريب/** طالب هماش – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٠).

– **ندوة دور المثقفين الشاميين في النهضة الفكرية للمغرب الحديث/** مجموعة من الأساتذة – الرباط: الجمعية المغربية لقدماء طلبة سورية، ٢٠٠٣.

– **نهاية التاريخ/** هنري لوفيفر، ترجمة: د. فاطمة الجيوشي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: الدراسات الفكرية ٧٥).

– **الهجرة من القدر /** سحر سليمان – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: قصص عربية ٢٧).

– **الهوفمانية: سيناريو لم ينفذ/** أندريه تاركوفسكي، ترجمة: د. نديم معلا – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: الفن السابع ٦٤).

– **الوافي بمعرفة القوافي/** العنابي، تحقيق: د. نجاة نولي – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٧ – (سلسلة: الرسائل الجامعية ١٦).

– **الورل: سرير الملكة.. تاج الملوك/** إبراهيم الخليل – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: قصص عربية ٢١).

ب- المجلات العربية

ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤		سورية
صوت فلسطين	٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣	٢٠٠٤	سورية
الضاد	٩، ١٠، ١١، ١٢	٢٠٠٣	سورية
عالم الذرة	٨٨، ٨٩، ٩٠	٢٠٠٣	سورية
مجلة جامعة تشرين	١٠، ١١ مج ٢٣	٢٠٠١	سورية
مجلة جامعة دمشق للعلوم الزراعية	١ مج ١٩	٢٠٠٣	سورية
مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية	٣+٤ مج ١٨	٢٠٠٢	سورية
مجلة الموقف الأدبي	٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥	٢٠٠٤	سورية
نضال الفلاحين	٣٠	٢٠٠٣	سورية
مجلة فكر وفن	٧٨	٢٠٠٤	ألمانيا
دراسات/ العلوم الإنسانية	٣	٢٠٠٣	الأردن
المجلة المغاربية للتوثيق والمعلومات	١٢	٢٠٠٢	تونس
الأمن والحياة	٢٥٧ مج ٢٣	٢٠٠٣	السعودية
مجلة الحج والعمرة	١	٢٠٠٤	السعودية
مجلة عالم الكتب	٣، ٤ مج ٢٥	٢٠٠٤	السعودية
المجلة العربية	٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤ مج ٢٨	٢٠٠٤	السعودية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مستخلصات بحوث مجلة الدارة	مج ١+٢	٢٠٠٤	السعودية
مجلة مجمع اللغة العربية السوداني	٥	٢٠٠٤	السودان
دراسات فلسطينية	٥٦، ٥٧	٢٠٠٣	لبنان
الشراع	١١١٦	٢٠٠٤	لبنان
شؤون الأوسط	١١١	٢٠٠٣	لبنان
فصلية إيران والعرب	٥	٢٠٠٣	لبنان
التجديد	١٤	٢٠٠٣	ماليزيا
مجلة صوت الأمة	١ مج ٣٦	٢٠٠٤	الهند
الرسالة الجديدة	٣	٢٠٠٣	اليونسكو

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

BOOKS:

- The Mind and Heart of Love/ by: M.C. D'Arcy.
- Style and Stylistics/ by: Graham Hough.
- The Mirror and The Lamp/ by: M. H. Abrams.
- Alexander pope/ by: Reuben A. Brower.
- Classical Influences on English poetry/ by: J. A. K. Thomson.
- Romanticism in Perspective/ by: Lilian R Fuurst.
- Lowell's Poetical works/ by: William Michael.
- The Poetry of Alexander pope/ by: G. Wilson knight.
- The Living Milton/ by: Frank kermode.
- Romance and Realism/ by: C. Gudwell.
- From virgil to Milton/ by: C. M. Bowra.
- The Lyric Mood/ by: R.K. Mottram.
- Drama and Society in The Age of Jonson/ by: L.C. Knights.
- Modern English literatur/ by: W.W. Robson.
- Ancient Greek Literature/ by: C.M. Bowra.
- Shelley/ by: R.B. Woodings.
- Milton/ by: E. M. W. Tillyard.
- The Identity of yeats/ by: Richard Ellman.
- The Art of T.S. Eliot/ by: Helen Gradner.
- The Poetic Image/ by: C. Day Lewis.
- The Nature of Poetry / by: Donald A. Stuffer.
- Lukács/ by: George Lichtheim.
- Joyce/ by: John Gross.
- Yeats/ by: Denis Donoghue.
- Camus/ by: Conor Cruise.
- The Long Revolution/ by: Raymond Willims.
- The Necessity of Art/ by: Ernst Fischer.
- The Modern Writer and his world/ by: G. S. Fraser.
- Aspects of the Novel/ by: E. M. Forster.

PERIODICALS:

- Acta Orientalia, Vol. 57, No. 2, 2004.
- Ajames, No. 19, 2004.
- Deutsch land, No. 5-6, 2004.
- East Asian Review, Vol. 16, No. 3, 2004.
- MA'ARIF, Vol. 174(3), 2004. (باللغة الفارسية).
- Le Muséon, Tome 117- Fasc. (1-2).
- The Muslim World, Vol. 94, No. 4, 2004.
- Population and Development Review, Vol. 30, No. 3, 2004.
- Resistance No. (8-9-10), 2004.

فهرس الجزء الثالث

من المجلد التاسع والسبعين

(المقالات)

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

الجزء الرابع — المجلد التاسع والسبعون





شعبان ١٤٢٥ هـ

تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٤م

مجلة



ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاًمن مطلع العام ١٩٩٦م	
	١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
	١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
	١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونها بها ويقصرونها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.





شعبان ١٤٢٥ هـ

تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٤م

الإعراب وحركاته في العربية

د. زهير غازي زاهد

العربية لغة مُعرَبة، وقد ورثت الإعراب واحتفظت به عن الأصل السامي، وقد عَرَفَتْ حركاتِ الإعراب أخواتُ العربية كالأكّدية والبابلية والآشورية، ووُجدتْ آثاره في قانون حمورابي المعروف، وقد احتفظت العربية الفصحى بظاهرة التصرف الإعرابي في حين فقدتها اللغات السامية[1].

لقد دلّت النصوص الشعرية التي وصلت إلينا من عصر ما قبل الإسلام خاصة، بأداء ألفاظها وجملها، وتناسق أوزانها وقوافيها، دلالةً أكيدة على وجود حركات الإعراب المنطوقة، وقد أكّد ذلك وفتح آفاق الدراسات فيه النص القرآني وأداؤه، وجهود المسلمين منذ بدء نزوله للحفاظ على لغته سليمة الأداء بالحفظ والكتابة والقراءة، ثم بوضع الرموز لاستكمال رسوم كتابة كلماته كما تُؤدَّى ألفاظها وما تقتضيه من الحركات. وأول من وضع رموزًا لحركات الإعراب هو أبو الأسود الدؤلي (ت: ٦٩هـ) وسُمِّيَ عمله «نقط الإعراب». وقد أجمعت الروايات على أنه «أول من استن العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي وكان رجل البصرة[2]».

كان عمل أبي الأسود خطوة مهمة لإيجاد الرموز التي تضبط أواخر الكلم في النص حين يؤدَّى على وجه الصواب، وفقًا للغة القرآن الكريم التي توحَّدَ العرب عليها، وأجمعوا على أهمية الحفاظ على أدائها، وهو عمل حدث

---

(١) انظر: اللغات السامية لنولدكه (٧٢)، التطور النحوي للعربية لبرجستراسر (٥٤).

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام (١٢)، العربية ليوهان فك (١٥).

لأول مرة. وردت فيه مصطلحات: الفتح والضم والكسر في قول أبي الأسود لكاتبه الذي اختاره فصيحًا وطلب منه أن يضع الرموز على وفق أدائه ونطقه بها. قال: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعتُ شيئًا من ذلك غنّةً فاجعل مكان النقطة نقطتين»[1].

فحركات الإعراب إذن أصوات تُنطق مع حروف أواخر الكلم المعرَب، ولا تكتب في ضمن الحرف. فحين وُضعت رموزها وضعت منذ البدء فوق الحروف أو تحتها تابعة لها كما خاطب أبو الأسود الدؤلي كاتبه في كلامه السابق. وعندما استبدل الخليل بن أحمد الفراهيدي بنقط الإعراب حركات الإعراب: الفتحة والضمة والكسرة وُضِعَتْ في المواضع التي اقترحها أبو الأسود واضع النقط.

أدرك النحويون العرب ما بين الحركات وأصوات اللين أو العلة من صلة؛ فالخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ) أدرك ذلك في وقت مبكر، إذ أخذ الحركات الثلاث من الألف والواو والياء إذ قال: «إن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهنَّ يلحقن الحرف ليوصَلَ إلى التكلم به، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو، فكل واحدة شيء مما ذكرت لك»[2]. وكرر القول ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) بقوله: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ

(١) نزهة الألباء للأنباري (٢٤)، وانظر في التفكير النحوي عند العرب لزهير زاهد (٤٨) وما بعدها.

(٢) الكتاب (٤/ ٢٤٩، ٢٤٢).

هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة. فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمّون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة »[1].

أكبر ظني أن وصف الخليل الحركات بالزوائد لا يعني به ما عناه قطرب (ت: ٢٠٦هـ) كما سيأتي قوله بأنها ليست دوالّ على معان، وإنما قصد أنها زوائد على حروف الكلمة الأصول، فهم لم يكونوا يعدّون الحركات في ضمن حروف الهجاء؛ لذلك رتّبوا مواد معجماتهم على الحروف الهجائية وأدخلوا فيها ما دعوه حروف المد واللين: الألف والواو والياء، بوصفها من حروف الهجاء. أما الحركات التي أخذها الخليل منها فوصفها بالزوائد، أي زائدة عن الحروف الأصول للكلمة فهن يلحقن الحرف؛ لذلك آل أمر النظر فيها إلى الصرف في بنية الكلمة، وإلى النحو في حركات الإعراب، وتوسع في دراستها أصحاب القراءات. وقد ذكر سيبويه هذه الأصوات الستة القصيرة منها والطويلة متعجبًا من كثرة استعمالها في اللغة لتحديد المعاني الصرفية والتعبير عن المعاني النحوية، إذ قال: «فأما الأحرف الثلاثة فإنهن يكثرن في كل موضع ولا يخلو منهن حرف أو من بعضهن.. ثم ليس شيء من الزوائد يعدل كثرتهن في الكلام، هنَّ لكل مدّ، ومنهن كلُّ حركة، وهنَّ في كل جمع، وبالياء الإضافة والتصغير، وبالألف التأنيث. وكثرتهن في الكلام وتمكنهن فيه زوائد، أفشى من أن يحصى ويدرك فلما كنَّ أخوات وتقاربن هذا التقارب أجرين مجرى واحدًا »[2].

---

(١) سر صناعة الإعراب (١/١٩).

(٢) الكتاب (٤/٣١٨).

لقد حاول النحويون أن يتأوّلوا التغيّرات الحاصلة لحركات الإعراب بتصرف وجهات الكلام وتغيّر معانيه ووظائف الكلمات في تراكيبه، فكانت بدايات التفكير النحوي ووضع القواعد بعد استقراء العربية من أفواه الفصحاء. وفي عصر الخليل بلغ النحو مرحلة نضجه. وأول كتاب جاء فيه الحديث عن حركات الإعراب كتاب سيبويه (ت: ١٨٠هـ). وهو ناقل علم الخليل. والباب الثاني من الكتاب عنوانه: « باب مجاري أواخر الكلم من العربية »[١].ذكر فيه حركات الإعراب والبناء، وجعل تغيير الحركات في أواخر الكلم المعربة بفعل العوامل « التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحروف وذلك الحرف حرف الإعراب » ثم يفصّل الحديث في العلامات الأخرى للمثنى والجمع بنوعيه وغيرها.

الإعراب لغة واصطلاحًا:

الإعراب في اللغة مصدر الفعل «أعرَب» أي أبان وأوضح، وأعرب فلان عن نفسه، أي أبان ما في نفسه وأفصح عنه، وأعرب بحجته أي أفصح بها، وفي الحديث الشريف «الثيّب تُعرِبُ عن نفسها»[٢]، أي تفصح.

وأما دلالته الاصطلاحية فللنحويين فيها أقوال مختلفة كلها يدور حول حركات الإعراب وتغيرها في الكلام. فهي في كتاب سيبويه: «ت: غيّر الحركات في أواخر الكلم المعربة بفعل العوامل»[٣].هذا أول تعريف ربط تغيير حركات الإعراب بما اصطلح عليه النحويون العوامل النحوية التي بُنِيَتْ في ضوئها نظرية

(١) الكتاب (١٣/١).

(٢) ابن ماجه – النكاح، حديث ١٨٧٢)، معجم ألفاظ الحديث لونسنك (٣١٥/١)، وانظر: الخصائص (٣٧/١)، الصحاح (عرب).

(٣) الكتاب (١٣/١).

العامل في النحو.. وهناك من وصل المصطلح بأصله اللغوي فقال: «الإعراب الحركات المُبِينَة عن معاني اللغة »[١]. وهو قول الزّجاجي (ت: ٣١١هـ)، وعلى ذلك ابن السراج (ت: ٣١٦هـ) في قوله: « الإعراب هو ما يلحق الاسم والفعل بعد تسليم بنائهما ونضد حروفهما.. فسمّوا هذا التغيير، الذي يقع لفروق ومعانٍ تَحدث، إعرابًا وبدؤوا بذكره في كتبهم»[٢]. وجعله ابن جني علامة لغوية في سلسلة الكلام تبين عن معناه فقال: «هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ»[٣]، وجعله عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) مفتاح المعاني فذهب إلى ذلك أن الألفاظ «مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها »[٤].

والإعراب عندي: اختلاف حركات أواخر الكلم المعربة باختلاف وظائفها ومواقعها في التركيب.

وللنحويين القدامى تقسيمات وأقوال؛ فأكثرهم يرى أن الإعراب لفظي، فهو أثر يجلبه العامل متابعًا التعريف الأول المذكور هنا. ومن النحويين من رأى أنه معنوي، فحركاته لها صلة بما تؤديه الكلمات في الجملة من معانٍ لاختلاف العوامل، ومن النحويين من قال بزيادة حركات الإعراب على ماهية الكلم، لأن الكلم سابق الإعراب في مرتبة النشأة. وهناك من يرى أنه مقارن للكلام لحكمة

(١) الإيضاح في علل النحو (٩١).

(٢) انظر: الأصول في النحو (٤٤).

(٣) الخصائص (٣٦/١).

(٤) دلائل الإعجاز (٤٢). وانظر: نظرات في التراث اللغوي العربي للدكتور المهيري (٥٦).

واضع اللغة. ولا أرى كبير فائدة في سرد ذلك[١].

سيقتصر بحثي على حركات الإعراب في الأسماء والأفعال وبيان ما للعلماء من آراء وأقوال في وظائفها في الكلام لدى القدامى والمحدَثين. أما الإعراب بمصطلح النحويين في مفهومه المدرسي من إعراب الجمل وبيان وجوه الإعراب والعوامل والعلل والتعليل وغير ذلك مما يشكو منه الدارسون، وحقهم على العلماء تيسيره وإصلاح مناهجه، فليس له نصيب في هذا الحديث.

وظيفة حركات الإعراب:

حركات الإعراب الأصول: أصوات لين قصيرة في أواخر الكلم المعربة تتغير باختلاف مواقعها في تركيب الكلام، وهي الفتحة والضمة والكسرة. وقد أدرك النحويون القدماء ما بينها وبين أصوات اللين الطويلة من صلة كما ذكرتُ، فالحركات أصوات قصيرة والأخرى أصوات مدّ طويلة.

فهل لهذه الحركات وظيفة نحوية ؟

إن مثل هذا السؤال طُرِحَ في عصرٍ متقدم، فمنذ أن وضع أبو الأسود الدؤلي نقط الإعراب كان التفكير يشغله تغيّرُ هذه الحركات من جهة، ووظيفة هذه الحركات من جهة أخرى. ففيما يتعلق بأسباب التغير توصلوا إلى فكرة العامل التي حكمت النحو والنحاة، وأما وظيفة الحركة فاللغويون قديمًا وحديثًا على مذهبين في حركات الإعراب:

أحدهما: أن هذه الحركات لا تدلّ على معانٍ إذ «لم يُعرَبِ الكلام للدلالة

---

(١) من أراد التفصيل يمكنه أن يعود إلى الإيضاح للزجاجي (٦٧-٩١)، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٤٠).

على المعاني والفرق بين بعضها وبعض» وهذا مذهب محمد بن المستنير الملقّب بقطرب (ت: ٢٠٦هـ): «وإنما أعربت العرب كلامها؛ لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضًا لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك مُعاقِبًا للإسكان ليعتدل الكلام»[١]. فالحركات إذن عنده لاعتدال الكلام ولتسهيل النطق بالسواكن؛ لذلك جاء كلام العرب من متحرك وساكن أو متحركين وساكن ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة[٢]. لربما استوحى قطرب كلامه هذا من قول الخليل السابق: «إنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به»[٣]، وقد ذكرت تأويل قول الخليل وهو لا يطابق قول قطرب.

وقد اختلف المُحْدَثون في هذه القضية أيضًا. فإذا تجاوزنا تشكيك بعض المستشرقين بظاهرة الإعراب في العربية مدّعين أن العربية لم تكن معربة، ونزل القرآن الكريم بلغة غير معربة وهي لهجة مكة، ثم اختلقه مجموعة من النحاة وصنّاع الكلام[٤]، نذكر من ذهب مذهب قطرب، فقد ذهب إبراهيم أنيس إلى أنه «ليس للحركات الإعرابية مدلول، وأن الحركات لم تكن تحدد المعاني في أذهان العرب الأقدمين، وهي لا تعدو أن تكون حركاتٍ يُحتاجُ إليها في كثير

(١) الإيضاح في علل النحو (٧٠).

(٢) المصدر السابق (٧٠- ٧١).

(٣) الكتاب (٤/٢٤١).

(٤) هذا قول كارل فولرز وآخرين وأكثر المستشرقين على خلافه. انظر العربية ليوهان فك ص (١٥) هامش المترجم مع مصادره. وانظر فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب.

من الأحيان لوصل الكلمات ببعضها »[١]، ثم يكرر قوله متأثرًا بما سبق من قول بعض المتعصِّبين من المستشرقين قائلاً: « إن النحاة قد ابتكروا بعض ظواهر الإعراب وقاسوا بعض الأصول رغبة منهم في الوصول إلى قواعد مطّردة منسجمة»[٢]. قوله الثاني يمكن أن يُعَدَّ من قبيل نقد المنهج النحوي، أما الأول ففيه نظر خصوصًا وهو ليس صاحب هذا القول وإنما قاله قطرب قبل أكثر من ألف عام. ويشارك في هذا القول أنيس فريحة أيضًا وكان يقول: إن الإعراب زخرف لغوي لا أثر له في تصوير المعنى[٣].

المذهب الآخر: يرى أن حركات الإعراب دوالّ على معانٍ، وهو مذهب جمهور النحويين القدماء. إذ لم يختلفوا في دلالة إعراب الأسماء على معانٍ فأقاموا مصنّفاتهم على دراسة المرفوعات والمنصوبات والمجرورات. «إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافًا إليها، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة، جُعِلَتْ حركات الإعراب فيها تُنبِئُ عن هذه المعاني»[٤]. فـ«ما» تُستَعْمَلُ نافية وموصولة وأداة شرط وأداة استفهام وأداة تعجّب، فهذا الاشتراك في استعمال الأدوات تعبّر عنها حركة إعراب في سياق كل استعمال لها بحسب قولهم، وهم حدّدوا حركات الإعراب ودلالتها على المعاني « وليس كل حركة إعرابًا كما

(١) من أسرار اللغة (١٥٨).

(٢) من أسرار اللغة (١٣٩).

(٣) انظر كتابه تبسيط قواعد اللغة العربية (٥١).

(٤) الإيضاح (٦٩) .

أن ليس كل كلام معربًا »[١]، وعدّ ابن فارس الإعراب من العلوم الجليلة لتمييزه المعاني في الكلام وهو ما امتازت به العربية « فأما الإعراب فبه تُميَّزُ المعاني ويُوقَفُ على أغراض المتكلمين، وللعرب في ذلك ما ليس لغيرهم فهم يُفَرِّقون بالحركات وغيرها بين المعاني»[٢].

وكان الرضي الأستراباذي (ت: نحو ٦٨٦هـ) أكثر وضوحًا إذ قرّر أن المعنى الذي يكون في الاسم يحدّده وضعه في الجملة إذا كان عمدة أو فضلة فالعُمُدُ: الفاعل والمبتدأ والخبر، حقها الضمة وللفضلات وهي: المفاعيل وأشباهها الفتحة، وهي أخف الحركات، وللمضاف إليه الكسرة، وجُعِلَتْ علامات الإعراب أبعاض حروف المدّ، وجُعِلَتْ في بعض الأسماء حروف المد وذلك في الأسماء الستة والمثنى والجمع بالواو والنون، ثم نسب إحداث المعاني في كل اسم للمتكلم وكذا مُحْدِث علاماتها، ولكن نُسِبَ إحداث هذه العلامات إلى اللفظ الذي بواسطته قامت هذه المعاني في الاسم فسمّي عاملاً لكونه كالسبب للعلامة[٣].

والمعاني التي يقصدها النحويون هنا هي المعاني النحوية كالفاعلية والمفعولية والإضافة وغيرها، لا المعاني المعجمية التي تضمنتها معجمات اللغة. وقد أفصح

---

(١) المصدر السابق (٩١) .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة (١٦١) .

(٣) شرح الكافية (١/٦٢، ٦٣). وذلك مذهب ابن جني إذ قال: «وإنما قال النحويون: عامل لفظي وعامل معنوي؛ ليروك أنّ بعض العمل يأتي مسببًا عن لفظ يصحبه... فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه...» [الخصائص ٢/١١٠- ١١١].

عبد القاهر الجرجاني عن ذلك في ذهابه إلى أن الألفاظ «مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها» فالإعراب مفتاح للمعنى في سياق العبارة بحسب الجرجاني.

لقد بنى النحويون هيكل النحو العربي على هذه المفاهيم والاستنتاجات؛ وما اصطلحوا عليه من مصطلحات، وحاولوا أن يجعلوا قواعدهم مطّردة، فما خالف قواعدهم في الاستعمال عالجوه بوسائلهم في القياس والتعليل والتأويل. وهو جهد ووعي لغوي دقيق خصوصًا لدى نحويّي القرون الثلاثة الأولى، ففي جهودهم قام بناء النحو والدراسات اللغوية الأخرى، إذ حاولوا أن يجعلوها منظومة متكاملة. فحركات إعراب الاسم تؤدي معانيَ نحوية: فالضمة عَلَمُ الفاعلية، أما المبتدأ وخبره وأخبار «إن» وأخواتها واسم «كان» وأخواتها فملحقات بالفاعل على سبيل التشبيه، وكذلك النصب علم المفعولية وباقي المنصوبات ملحقات بالمفعول به، والجر علم الإضافة[1]، ثم استخدموا القياس لردّ ما خالف إلى القاعدة الأصل، فاسم «إن» وأخواتها في الأصل مبتدأ فجعلوا نصبه تشبّهًا بالمفعول، لقياس «إنّ» وأخواتها من الحروف على الفعل. وجعلوا المنادى المبني على الضم مبنيًّا في موضع نصب، لقيام حرف النداء مقام الفعل «أدعو» ... وظلت فكرة العامل التي رأينا تفسيرها في قول الرضي السابق تحكم النحو على اختلاف مذاهبه، وهي ذات صلة بربط الإعراب بالمعنى. أما الأسماء التي لا تنتهي بحركات إعراب قصيرة فقالوا بعلامات الإعراب الفروع للمثنى والجمع السالم والأسماء الستة كما جاء في كلام الرضي السابق.

* * *

(١) المفصل للزمخشري (٣٧) .

وأما موقف الدارسين المحدثين من دلالة حركات الإعراب فقد بحثه أصحاب تيسير النحو، الذين دعوا إلى إسقاط فكرة العامل كما دعا قبلهم ابن مضاء القرطبي (ت: ٥٩٢هـ)، وحاولوا أن يجعلوا المعاني بدلاً من العوامل في فهم وظائف الكلمات في تركيب الجملة؛ فركّزوا جهودهم منطلقين مما تؤديه حركات الإعراب من المعاني النحوية. ولم يختلف تفسيرهم كثيرًا عن تفسير القدماء لمعاني الحركات، إنما اتخذوا منهجًا آخر لدراستها وللتأليف على وفقها اعتمادًا على ما في التراث النحوي.

فإبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو» كانت فكرته الرئيسة وظيفة الإعراب ودلالة حركاته، فأقام مباحث كتابه على هذا الأساس قاصرًا دراسته على حركات إعراب الاسم، فذهب إلى أن «الضمة علم الإسناد دليل أن الكلمة المرفوعة يراد أن يُسند إليها ويتحدث عنها، والكسرة علم الإضافة وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها بأداة أو بغير أداة. ولا يخرج كل منهما عن هذا إلا أن يكون في بناء أو إتباع، وللإعراب الضمة والكسرة فقط، وليستا أثرًا لعامل في اللفظ بل هما من عمل المتكلم يدل بهما على معنى في تأليف الجملة »[1]، وتحت عنوان «الضمة علم الإسناد» درس أبواب المبتدأ والفاعل والنائب عن الفاعل. وأما الفتحة فهي عنده لا تدل على معنى فهي ليست علمًا لمعنى كالضمة والكسرة ولكنها الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يحبون أن يشكل بها آخر الكلمة في الوصل ودرج الكلام، فهي في العربية نظير السكون في لغتنا العامية[2]، واقتصرت دراسته على حركات الإعراب للأسماء دون الأفعال. لقد

(١) إحياء النحو (٧٨، ٥٣، ٤٩) .

(٢) المصدر السابق (٦٨) .

كان قوله في الضمة والكسرة لا يخرج كثيرًا عما قاله النحويون في دلالة الحركتين، أما قوله في الفتحة فكأنه مال إلى عدم دلالتها على معنى، وهو قول قطرب في حركات الإعراب، وهو قول غريب لم يصل فيه إلى نتائج مقنعة مما اضطره إلى اتباع سبيل النحويين في تأويل ما خالف أصله في الحركات الثلاث، كتأويله نصب أسماء الحروف الستة (إنّ وأخواتها) وأصلها مبتدأ، وضم المنادى العلم والنكرة المقصودة ورفع المثنى بالألف، وفتحة الممنوع من الصرف في حال جره وغيرها. فقد وقع فيما انتقد به النحويين القدامى في اضطرارهم إلى تأويل ما خالف أصولهم.

وسار على هذا المنهج الدكتور مهدي المخزومي في كتابه « في النحو العربي: نقد وتوجيه ».فقد تناول حركات الإعراب الثلاث أيضًا ودلالتها كما تناولها إبراهيم مصطفى، غير أنه كان أكثر وضوحًا وأوسع أفقًا. فحركة الإعراب عنده ليست كما تصورها النحويون أثرًا يجلبه العامل في آخر المعرب، وإنما ينبغي لها أن تدرس على أنها « بيان ما للكلمة أو الجملة من وظيفة لغوية أو من قيمة نحوية لكونها مسندًا إليه أو مضافًا إليه أو فاعلاً أو مفعولاً أو حالاً أو غير ذلك من الوظائف التي تؤديها الكلمات في ثنايا الجمل وتؤديها الجمل في ثنايا الكلام»[١].

والمخزومي في تناوله دلالة الضمة والكسرة يقارب الدكتور إبراهيم مصطفى لكنه لا يذهب إلى أن الفتحة ليست بعلم إعراب كما ذهب إبراهيم مصطفى، وإنما ذهب إلى أن الفتحة علم لما ليس في موضع الإسناد ولا في موضع

---

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه (٥٧) .

الإضافة، وعلى هذا أقام دراسته الحركات. وكما وقع إبراهيم مصطفى فيما نقد به النحويين كذلك المخزومي، غير أن المخزومي درس الأساليب اللغوية في نهاية كتابه تطبيقًا لنظرية المعنى التي دعا إليها، كما درس الفعل وحركات إعرابه كما سيأتي به الحديث. فالمخزومي وإبراهيم مصطفى متقاربان في دراسة هذه الحركات للاسم، لكنهما لم يصلا في بحثهما إلى نتائج مقنعة، وهما ومعهما الدكتور عبد الستار الجواري في كتابه «نحو التيسير» لم يأتوا بحلول لكل قضايا النحو في تركيزهم على دراسة حركات الإعراب وما لها من دلالة في الجملة، سواء في الأسماء أو في الأفعال، فلم يستطيعوا أن يجعلوا أصولهم شاملة مطّردة كما لم يستطع القدماء ذلك، إذ بقيت مجموعة من المواضع والأساليب تخالف أصولهم، فاضطروا للجوء إلى التأويل والتقدير البعيدين عن المنطق اللغوي الذي دعوا إلى تحكيمه في قضايا النحو.

* * *

الدلالة في إعراب الفعل:

لم يتعرض النحويون في إعراب الفعل إلاّ إلى صيغة «يفعل» أو الفعل المضارع للاسم باصطلاح كتاب سيبويه[١]، وتابعه النحويون البصريون. فإذا اتفق النحويون على دلالة الإعراب في الأسماء على معاني الفاعلية والمفعولية والإضافة، فقد اختلفوا في دلالة الإعراب في الفعل المضارع، فالفعل المضارع إنما أُعرب لدى البصريين للمشابهة لا لدلالة المعاني المتعاقبة عليه، فالأفعال لا يلزمها إلاّ معنى طارئ. هنا كان الخلاف في هذه القضية، إذ رأى البصريون أن الإعراب أصل في

(١) الكتاب (١٣/١).

الأسماء. أما الأفعال فالأصل فيها البناء « وعرض لبعض الأفعال ما أوجب لها الإعراب فأُعربت، وتلك العلة هي مضارعة الأسماء »[1].

وحددت في كتاب سيبويه وجوه هذه المضارعة: دخول لام الابتداء على الفعل كما هي على الاسم تقول: إنّ زيدًا ليخرج كما تقول: لخارج، ودلالة الفعل المضارع على العموم ثم تخصيصه بأدوات، فالسين وسوف تخصصه للمستقبل كما تخصص «ال» التعريف الاسم[2]؛ فهو إذن معرب للمشابهة لا لتوارد المعاني المختلفة عليه كما تتوارد على الاسم. فمفهوم الفعل مادام دالاً على عنصري الحدث والزمن تبقى دلالته كذلك ولا يهم حجب الحركة عنه، كما قال العكبري. أما الإشكال الحاصل للفعل بعد الواو التي بمعنى «مع» أو بعد فاء السبب و «أو» وقد سبقه طلب، فإعراب الفعل « لا يتوقف عليه فهم المعنى، بل المعنى يُدرَك بالقرائن المختصة» والإشكال فيه بالحركة التي لا يقتضيها المعنى لا بعدم الحركة، وإنما يجيء الإشكال من جهة ما يؤديه الحرف من معنى العطف أو المعية « إذ لا فرق بين قولك: (يضربُ زيد)، في الضم والفتح والكسر والسكون، فإنه في كل حال يدل على الحدث والزمان، وكذلك إذا قلت: (لم يضربْ ولن يضربَ)، فإن الفعل منفي ضممت أو فتحت أو سكّنت، وكذلك لا يسعني شيء ويعجز عنك، إذا فتحت أردت الجواب وإذا ضممت عطفت، ولو أهملت لفُهم المعنى، وكذلك: (لا تأكل السمك وتشرب اللبن). والحاصل من ذلك كله أنه أمر عرض بالعطف وحرف العطف يقع على معان فلابد من تخليص بعضها من بعض، فبالحركة

(١) الإيضاح (٧٧)، وانظر: شرح الكافية (١/٦٤).

(٢) الكتاب (١/١٣).

يفرّق بين معاني حرف العطف، ولا تفرق بين معاني الفعل ومعنى له آخر»[١].

أرى آخر كلام العكبريّ يخالف قصده، فهو قد أشار إلى وظيفة الحركة بقوله: «فبالحركة يفرق بين معاني حروف العطف» يفهم هذا أن للحركة هنا وظيفة لا بتغيير معنى الفعل ولكن باختلاف موقعه اختلفت حركته عما قبل الواو، كما تكون حركة إعراب الاسم دالة على موقعية الاسم في التركيب، فالفاعلية في قولنا: قام زيد، ليست معنى للاسم وإنما هي إشارة لوظيفة الاسم في التركيب دلت عليه الضمة.

هذا ما عدَّه الكوفيون فرقًا للإعراب في الفعل كما هو فرق للإعراب في الاسم. ويُفهم من كلامهم أن المعاني التي تتعاقب على الأفعال ليست هي التي تتعاقب على الأسماء، فلكل استعماله وسياقه؛ لذا كان موقفهم يحتاج إلى وقفه لنرى: هل استطاعوا أن يصلوا في هذه القضية إلى نتائج تفسر إعراب صيغة «يفعل» في كل حالات رفعه ونصبه وجزمه؟ فهم ذهبوا إلى أن الأفعال تعرب أصالة فتختلف عليها المعاني أيضًا، والإعراب دليل على هذا الاختلاف فهي بحسب الفراء «مستحقة للإعراب كالأسماء لما يدخلها من المعاني المختلفة، لوقوعها على الأوقات الطويلة المتصلة المدة، فكان قولنا: يقوم زيد، يحتمل معنَى قائم، وتأويل سوف يقوم على الاستقبال، فأشبهت الأفعالُ المستقبلة الأسماءَ لاختلاف معانيها التي يلزمها التصريف من أجلها»[٢].

واحتج غيره على اختلاف معاني الأفعال من حيث هي «ماضية ومستقبلة وموجبة ومنفية ومُجازًى بها ومأمورًا بها ومَنهِيًّا عنها وتكون

(١) التبيين عن مذاهب النحويين (١٥٤،١٥٥).

(٢) الإيضاح (٨٠).

للمخاطب والمتكلم والغائب والذكر والأنثى »[١]، ولكن لم يتضح في هذا الرأي دلالة حركات الإعراب.

لقد كان إحساس الكوفيين اللغوي الذي عبّرت عنه أقوالهم يحوم حول قضية لم يستطيعوا تحديدها، وإن كان إعراب الأفعال يختلف في معانيه عما في الأسماء، فنظر الفراء إلى دلالته الزمنية، فما دلّ على « الأوقات الطويلة » استحق الرفع لكنه جعل تأويله « سوف يقوم على الاستقبال » على زمان طويل، فيكون في هذه الحال مرفوعًا، فالضمة فيه تشير إلى دلالته على الزمان الطويل. أما إذا تغيرت دلالته بعد أداة فيستحق النصب. بهذا فسّر قراءة الآية ﴿وزُلزِلُوا حتى يقولَ الرسولُ﴾ [٢]، قائلاً: « فأما النصب فلأنّ الفعل الذي قبلها مما يتطاول كالترداد، فإذا كان الفعل على ذلك المعنى نصب بعده بحتى وهو في المعنى ماضٍ »[٣]، لكنّ هذا لا ينطبق على نصب المضارع بعد «أن ولن ولام التعليل» التي تخلص الفعل للمستقبل. كذا فسر الفراء والكوفيون نصب المضارع بعد الواو بمعنى مع، وفاء السبب، و«أو» إذا تقدمها طلب أو نفي، فنصبه يكون على الصرف، وهو تفسير معنوي، وعرّف الفراء الصرف بقوله: «أن يجتمع الفعلان بالواو أو ثم أو أو وفي أوله جحد أو استفهام ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام ممتنعًا أن يكرّر في العطف فذلك الصرف»[٤].

وقد أوضح الرضي الأستراباذي مفهوم الكوفيين في إعراب الفعل بقوله:

---

(١) المصدر السابق (٨١).

(٢) البقرة، آية ٢١٤.

(٣) معاني القرآن (١/١٣٢–١٣٣).

(٤) معاني القرآن (١/١١٥).

«لأنه قد تتوارد عليه أيضًا المعاني المختلفة بسبب اشتراك الحروف الداخلة عليه فيحتاج إلى إعرابه ليتبين ذلك الحرف المشترك فيعين المضارع تبعًا لتعينه» ثم يضرب مثلاً: (لا تضرب)، فرفعه دليل أنّ «لا» نافية، وجزمه دليل على أنّ «لا» ناهية، ونحو قولك: (ما بالله حاجة فيظلمك)، فَنصْبُ «يظلم» دليل كون الفاء سببية، ورفعه دليل كونها عاطفة. وهكذا يتغير المعنى في هذه الإعرابات الملبسة. ثم طرد الحكم لحركة الفعل فيما لا يلتبس كنصب الفعل بعد حروف النصب وجزمه بعد حروف الجزم، كما طرد الحكم في الأسماء التي لا يلتبس فيها حكم الفاعل والمفعول[1]. فالأفعال قد يطرأ عليها في بعض المواضع أحد المعنيين الملبسين، ففي هذه الحال تفصح الحركة عن دلالته المقصودة كما مر في قول الفراء السابق.

لقد اتسم نظرهم اللغوي باهتمامهم بالمعاني التي تطرأ على الفعل في اختلاف مواقعه في التركيب باتخاذهم عللاً معنوية لتفسير ذلك. فالكوفيون في تصورهم للمعاني أوسع من تصور البصريين « فالمعاني التي يفيدها الإعراب ليست في نظرهم مجرد الوظائف النحوية كالفاعلية والمفعولية والإضافة، بل هي أيضًا الدقائق المعنوية الناتجة عن كيفية أداء الفعل لمعناه والتي ليست رهينة وظيفته النحوية، ولكن من ناحية أخرى لم يتمكن الكوفيون من الربط بين المبدأ العام الذي انطلقوا منه وكل حالة من حالات إعراب الفعل، ولم يجدوا بُدًّا من الركون إلى القياس الشكلي لحمل ما أُعرِبَ لغير سبب ملموس على ما أعرب لاجتناب الالتباس. وهم بذلك يحمّلون اللغة ما لا يقبله منطقها الداخلي

---

(١) شرح الكافية (٤/١٧-١٨).

من تضمنها لعلامات لا فائدة معنوية لها »[1].

* * *

أما إعراب الفعل في جهود الدارسين المحدثين فهم فيه ينقسمون قسمين:

أحدهما: أصحاب تيسير النحو الذين اعتمدوا التراث النحوي، فكانت نظراتهم وجهودهم تنبع من تفسير ما في التراث من نظر في هذه القضية مع شيء من اجتهاداتهم. وكانت محاولة ابن مضاء القرطبي في نقده منهج النحويين المتأخرين خاصة، وما كان فيه من آثار المنطق العقلي، واضحةً في جهودهم. ولعل هذا القسم من الدارسين هو الذي حاول أن يضع قضية الإعراب وحركاته موضع الدرس الجاد، وقد تقدَّم نظرهم في إعراب الاسم وسننظر هنا فيما ذهبوا إليه في قضية إعراب الفعل، وسيكون موضع نظرنا هنا:

١ – محاولة الدكتور مهدي المخزومي.

٢ – محاولة الدكتور أحمد عبد الستار الجواري.

وهما محاولتان انطلقتا من التراث النحوي للعربية.

لقد كانت دراسة المخزومي للفعل شاملة أنواعه وأزمانه ثم وظائفه في السياق. نقد تقسيم النحويين زمان الفعل على وفق الزمان الفلسفي، إذ لم يفرّقوا بين الزمان الفلسفي والزمان النحوي. فالزمان الفلسفي يقوم على حركات الفلك: ماض وحاضر ومستقبل، أما الزمان النحوي فهو ليس كذلك. فينبغي أن يكون التقسيم على أساس أبنية الفعل وصيغه إضافة إلى سياق استعماله.

---

(١) نظرات في التراث اللغوي، د. عبد القادر المهيري (٧٢).

فصيغة «فَعَلَ» للماضي وإن لم يعبّر بها دائمًا عن فكرة الماضي.

وصيغة «يفعلُ» للحاضر وإن لم يعبّر بها دائمًا عن فكرة الحضور[١].

أما القسم الثالث من الأفعال فهو عنده الفعل الدائم وهو ما تدل عليه صيغة «فاعل». وهذا هو تقسيم الكوفيين للفعل، وأما البصريون فكان عندهم فعل الأمر هو القسم الثالث[٢].

وفي تعريف الفعل رأى صحة التعريف القديم «ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة»[٣]؛ ولذلك أخرج من التقسيم صيغة الأمر «افعلْ» فهي عنده صيغة للطلب لا تتضمن زمنًا. كان المخزومي في تقسيمه الأفعال معتمدًا على صيغها الصرفية باعتبار أن الزمن الصرفي وظيفة الصيغة، ونظر إلى الزمن النحوي من خلال استعمال الفعل في سياقات مختلفة، فذكر لصيغة «فَعَل» خمس صور من الاستعمال، وكذا قام بدراسة صيغة «يفعل» و«فاعل» مع ما تستعمل من قرائن معها تشير إلى معنى زمن كل واحد من استعمالاتها[٤].

أما دلالات حركات الإعراب في الفعل فكان تفسيره إياها تفسيرًا يختلف عما كان عند سيبويه، بل هو مختلف حتى مع الفراء شيخ الكوفيين على الرغم من مَيله إلى كثير من آرائهم، لكن محاولته كانت ترمي إلى إسقاط فكرة العامل وآثار العوامل. من هنا كان اختلاف تفسيره لحركات الإعراب، إذ هي ليست آثارًا لعوامل على حدّ قوله:

(١) النحو العربي نقد وتوجيه (١٥٤).

(٢) انظر: الكتاب (١/ ١٢)، الإيضاح (٨٦،٨٧).

(٣) في النحو العربي (١٠٢).

(٤) انظر: في النحو العربي (١٠٢،١٦٠)، آراء المخزومي في النحو وتيسيره (١٢٧-١٣٤).

أكبر الظن أن رفع الفعل المضارع ليس لكينونته في موضع الاسم كما زعم سيبويه ولا لتجرده من الناصب والجازم كما زعم الفراء، وأن نصبه ليس بتأثير (أنْ أو لن أو كي أو إذن أو غيرها)؛ لأنها أدوات اختصت به فعملت فيه كما زعم النحاة، وأن جزمه ليس بتأثير (لم أو لما) أو غيرهما لاختصاصهما به كما زعموا أيضًا، وإنما كان ذلك من أجل تمييز زمن الفعل المضارع وتخصيصه[1].

فحركة الفعل في نظر المخزومي إذن تتصل بزمنه، ومنه بصيغته صرفيًّا وبسياقه نحويًّا بحسب مفهومه العام لزمن الفعل. فهل كان كذلك في دراسته.

لقد مرَّ بنا قوله في دلالة الضمة في الاسم بأن ضَّمته علم الإسناد. أما ضمة الفعل المضارع فتختلف دلالتها؛ لأن الفعل لا يقع مسندًا إليه كالاسم، فضمته تشير إلى أنه يدل على الحال والاستقبال. أما إذا أُريد له أن يدل على الزمن الماضي فيتصل بـ(لم أو لَّما) ويُسكَّن آخره. أما إذا أُريد له أن يخلص للمستقبل فتَسْبقه (أنْ أو لن أو إذن)– وقد قال النحويون إنّ «أنْ» تخلص الفعل المضارع للمستقبل، و«لن» تنفي المضارع في المستقبل و «إذن» تتصدر جوابًا يدل على المستقبل – أو تلحقه لواحق أخرى كالسين وسوف[2].

فخصّص قطع الحركة أي السكون مع نفي «يفعل» بـ(لم أو لَّما) وتخصيصه للزمن الماضي، وفسَّر نصبه بوقوعه بعد الأدوات التي تخلصه للمستقبل، لكنه تغاضى عن سبقه بالسين وسوف فهما يخلصانه للمستقبل لكنه يبقى مرفوعًا.

ثم جعل الجزم بدلالته على الزمن الماضي شريكًا لجزمه بعد أدوات الشرط. لكن «يفعل» مع أدوات الشرط لا يدل على زمن عنده «لأنَّ مؤدَّى

(١) في النحو العربي (١٣٤،١٣٣).

(٢) في النحو العربي (١٣٤)، وانظر: مغني اللبيب (١/ ٢٨٤، ١٣٨، ١٣٩، ٢٧٧، ٢٧٨).

الشرط تعليق الجواب على الشرط ولا شيء غيره، فلا دلالة ولا إشعار بمثل هذه الدلالة على الزمن فحُرِّكَ آخر هذه الصيغة، إذا صح التعبير، بالسكون تمييزًا عن حالة الرفع وحالة النصب»[١].

فالمضارع بعد أدوات الشرط يفقد زمنه بالرغم من بقاء صيغته فيسكن آخره لنقص في موضع الشرط؛ لتعليق الجواب عليه. وأما الفعل المضارع بعد أدوات النفي (لم ولمّا) فهو يفقد دلالته الزمنية الصرفية ويكتسب دلالة زمن نحوية جديدة وهو الزمن الماضي، فهذا التغيير يُفقده أيضًا حركته. ففي كلا الموضعين فقدت صيغته وظيفتها واكتسبت الزمن النحوي الذي هو وظيفة السياق[٢].

أما الفعل الماضي والأمر فقد ذهب المخزومي مذهب النحويين البصريين في بنائهما، فالأول بُني على الفتح والثاني على السكون ولكن لغير ما علّلَ النحويون بناءهما بأنهما لم يضارعا الاسم، وإنما ذهب إلى أن بناء صيغة «فعَلَ» لا تتعاقب عليه المعاني الإعرابية أو القيم النحوية التي تتعاقب على الأسماء[٣].

وأما فعل الأمر فهو ليس قسمًا مستقلاً من الأفعال الثلاثة كما هي عند البصريين وإنما هو يرى أنّ «بناء «افعلْ» ليس بفعل كما يُفْهَمُ من هذه الكلمة؛ لأن الفعل يتميز بشيئين: أولهما أنه مقترن بالدلالة على الزمان، وثانيهما أنه يُبنى على المسند إليه ويُحمل عليه، وبناء «افعلْ» خلو من هاتين الميزتين فلا دلالة على الزمان بصيغته ولا إسناد فيه، وإنما هو بناء دال على طلب إحداث الفعل»[٤].

(١) في النحو العربي (٢٩٩).

(٢) انظر: العربية معناها ومبناها (٢٤٢).

(٣) المصدر السابق (١٣٨).

(٤) في النحو العربي (٢٠١).

وأما تفسيره لفتحة الفعل المضارع والأمر المتصل بنون التوكيد « المختصة بيفعل وافعلْ غالبًا وبفاعل نادرًا » فهو يقيسها على فتحة « آخر الاسم إذا لزمته هاء التأنيث وكما يفتح آخر «فَعَلَ» إذا اتصلت به تاء التأنيث »[١].

وفي موضع آخر أعطى فتحة المضارع مع نون التوكيد دلالة فتحته حين تسبقه أدوات تخلصه للمستقبل (أن، لن، إذن) إذ قال: «ويُنصب إذا اقترن به ما يخلص به للمستقبل كنون التوكيد»[٢]، والتفسيران لا يتناقضان وإنما الثاني مكمل للأول، لا كما فهمه بعض الدارسين بأنه اضطراب في قول المخزومي[٣].

لقد استطاع المخزومي بحسِّه اللغوي أن يميِّز بين الزمن الصرفي الذي هو وظيفة صيغة الفعل والزمن النحوي الذي يتفرّع منه أزمان بحسب الاستعمال والسياق اللغوي. فمن أزمان اللغة الثلاثة بحسب تقسيمه تفرّع عشرون زمنًا نحويًّا، على حين كانت لدى الدكتور تمام حسان ستة عشر زمنًا نحويًّا[٤].

وقد فسَّر الدكتور المخزومي حركات الفعل المختلفة على وفق دلالتها على الزمن أو انعدامه، لكنه لم يصل إلى حالات للفعل تخالف نظريته. فإذا كانت ضمة «يفعل» دلالة على أزمنتها الطويلة: الحاضر والمستقبل، وفتحتها دلالة على إخلاصها للمستقبل فقد تجاوز «يفعل» مع حرفي السين وسوف

---

(١) المصدر السابق (٢٣٨).

(٢) في النحو العربي قواعد وتطبيق د. المخزومي (٢٥).

(٣) المخزومي النحوي المجدد للدكتور نعمة العزاوي ص٣٠ (بحث ألقي في أربعينية المخزومي).

(٤) العربية معناها ومبناها (٢٥٦).

اللذين أخصّ ما تخصّصُ الفعل للمستقبل[١]- كما هو لم يذكر سكون آخر المضارع حين يتصل بنون النسوة ولا المضارع بعد «ما» النافية و«لا» النافية فهما للحال والمستقبل على التوالي، والمضارع بعد لام الابتداء وأدوات العرض والتخصيص والاستفهام التي تخصصه للمستقبل. كل ذلك من فروع الزمن النحوي لم نجد جوابًا له في بحث المخزومي ولعله اقتدى بالرضي الأستراباذي في تفسيره قول الكوفيين في إعراب المضارع بالأصالة لا للمشابهة؛ لأنه قد تتوارد عليه المعاني المختلفة بسبب اشتراك الحروف الداخلة عليه فيحتاج إلى إعرابه لتبيين ذلك الحرف المشترك، فيعيّن ذلك تبعًا لتعيينه «ثم طرد الحكم فيما لا يلتبس فيه معنى بمعنى.. كما طرد الإعراب في الاسم فيما لا يلتبس فيه الفاعل بالمفعول»[٢].

لقد كانت آراء المخزومي ذكية في تقسيم الفعل وأزمانه ثم في دلالة حركات إعرابه لكنه طرد الحكم فيما لا يلتبس أيضًا مع ما ذكرته مما تجاوز تفسيره.

أما القسم الثالث من الأفعال عنده وهو الفعل الدائم فهو حين يُسْتَعْمَلُ استعمال الفعل يستحق الضم، وضمته في صيغته المجردة من السوابق واللواحق تدل على معنى استمرار الحدث، فهو إذن يشبه الفعل المضارع مجردًا في دلالة ضمته.

وأما إذا كان مضافًا نحو: (أنا صائمُ يومِ الخميس)، فضمته تدل على زمانٍ ماضٍ.

---

(١) قال ابن هشام في دلالة الفعل بعد هذين الحرفين: « السين المفردة حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال وينزل منه منزلة الجزء؛ ولهذا لم يعمل فيه مع اختصاصه به وليس مقتطفًا من سوف خلافًا للكوفيين...» مغني اللبيب (١٣٩،١٣٨).

(٢) شرح الكافية (٤/١٧-١٨).

وإذا كان منوَّنًا نحو: أنا صائمٌ يومَ الخميس، فتنوينه دال على وقوع الحدث في المستقبل.

لقد أبعد المخزومي صيغتَي (مفعول والمصدر)، وهما صيغتان تستعملان استعمال الفعل أيضًا، لكنه اختار قول الفراء بذكره صيغة «فاعِل».

وأما إذا لم يستعمل اسم الفاعل استعمال الفعل وإنما استُعمل لوصف المسند إليه وصفًا ثابتًا فهو في هذه الحال كالأسماء الجامدة، والجملة حينئذ تكون اسمية يدل المسند فيها على الثبوت، وإذا كان المسند فيها فعلاً دلت على التجدد[1].

إن ما ذكره المخزومي في استعمال صيغة «فاعِل» قد سبق إليه النحويون وهو تكرار بأسلوب آخر.

٢– محاولة الدكتور أحمد عبد الستار الجواري في كتابيه:

أ: نحو التيسير ب: نحو الفعل.

أما كتابه الأول فكان فيه مردِّدًا أقوال إبراهيم مصطفى في دلالة حركات الأسماء الضمة والكسرة والفتحة فلا داعي لتكرار ما ذكرته في موضعه.

ما يهمنا هنا محاولته في كتابه الثاني «نحو الفعل» وهو غريب العنوان؛ لأن الفعل قسم من أقسام الكَلِمِ في العربية فهو مع الأقسام الأخرى تُدْرَسُ في ضمن أبواب النحو العربي.

حاول الجواري في هذا الكتاب أن يجد تفسيرًا لدلالة حركات الإعراب في الفعل، وهو كالمخزومي في اعتماده على التراث النحوي واتكائه على أقوال النحويين الكوفيين خاصة، فجهد لأن يجد حلاً شاملاً لها، فهل وصل إليه؟

---

(١) انظر: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (١٤٠، ١٤١).

ربط الجواري دلالة الفعل على المعاني بتصريفه «لأنه بالتصريف يدل على معاني الزمن المختلفة»[١]، وجعل هذا التصريف مقابل تصريف الاسم في وقوعه مواقع مختلفة من التركيب. فالفعل المضارع «يصلح بالقوة للدلالة على كل معاني الفعل وأزمنته»[٢]؛ لذلك بنى حكمه في دلالة حركات الفعل على التنويعات الزمنية في سياق الاستعمال، فاستعماله مطلقًا أو مقيدًا بقرائن تخصص دلالة زمنه فيكون لكل استعمال حركة مناسبة، فهو يستحق علامة الرفع إذا كان مطلقًا من القيد الذاتي أو اللفظي، أما إذا قُيِّدَ ذاتيًّا فيبنى على أخف الحركات وهي الفتحة. وذلك الفعل الماضي الذي تخصص لزمن واحد وهو الماضي[٣].

فالجواري جعل صيغة الفعل قيده الذاتي، فصيغة (فَعَلَ) صيغة صرفية دلالتها على الماضي، وجعل صيغة (يفعل) غير مقيدة بزمن فهي دالة على الأزمان الطويلة كما هو اصطلاح الكوفيين.

قد تدخلُ على الفعل المضارع أدوات فتقيّده، فأدوات النصب تخلصه للاستقبال ثم ضَرَبَ الأمثلة ليثبت ذلك، والقول بأن أدوات النصب تخلص المضارع للاستقبال من كلام النحويين جميعًا[٤]، فحركة النصب استحقها الفعل عند تقييده بأدوات تَمحَّضَ بها للدلالة على المستقبل.

أما جزمه فيكون عندما تنتقل دلالته الزمنية من الحاضر والمستقبل إلى الماضي أو الأمر أو يكون في سياق تنقص دلالته على الزمن وتنعدم، فالفعل إذا

---

(١) نحو الفعل (٢٦) .

(٢) المصدر السابق (٣٤، ٣٣).

(٣) نحو الفعل (٢٨).

(٤) انظر: نحو الفعل (٣٧ وما بعدها)، وانظر: مغني اللبيب (٢٨٢/١، ٢٩).

اقترن بـ(لم أو لمّا) فـ«لم» تنقله إلى الدلالة على الزمن الماضي البعيد أو القريب، و«لما» تنقله إلى الماضي المستمر إلى زمن التكلم؛ لذلك استحق الجزم، وعلامة الجزم السكون، وهي الأصل في البناء كما ذكر ابن مالك[1]، وأَلْحَقَ الفعل المضارع المقترن بلام الأمر و«لا» الناهية بحالة الجزم « فعندما يقترن بلام الطلب أو بلا الناهية وهما ينقلان المضارع إلى معنى فعل الأمر وفعل الأمر مبني على السكون أصلاً أو على ما يُجزم به مضارعه فكان التوافق بين الجزم والبناء»[2].فهو هنا يجعل ما دل على طلب من الأفعال يستحق السكون وهي علامة فعل الأمر، كما يعلل جزم المضارع في سياق الشرط بأن الفعل في الجملة الشرطية معلق معناه بمعنى جواب الشرط وذلك نقص في دلالته الزمنيّة، كما كان لدى المخزومي، وكذا جزمه في جواب الطلب لعدم تمامه ودلالته الناقصة؛ فلذلك لم يستحق حركة الإعراب التي تدل على معنى الزمن، والفعل في الجملة الشرطية والجملة الطلبية غير ذي فائدة لعدم وقوعه.

أما بناء المضارع المتصل بنون النسوة على السكون، أو بنون التوكيد على الفتح، فهو يذهب في الأول إلى تفسير المبرد، وهو أن الفعل المضارع المتصل بنون النسوة يُبنى على السكون كراهة توالي الحركات، وأما المتصل بنون التوكيد فليس له تعليل لديه.

كان تناول الجواري لعلامات إعراب الفعل ودلالتها بحسب المعاني الزمنية، وربط علامات الإعراب بهذا التنوع في الدلالة الذي يُحدثه استعمال الفعل في سياقات مختلفة. وكانت انطلاقته من التراث النحوي، وأحكام الفعل المضارع في رفعه ونصبه وجزمه قد سبق للنحويين أن ذكروها لكنهم كانوا ينسبونها لعوامل

(١) انظر: نحو الفعل (٤٨ وما بعدها)، وانظر: شرح ابن عقيل (١/ ٤٠، ٢/ ٣٦٤).

(٢) نحو الفعل (٤٩).

الرفع والنصب والجزم مع ذكرهم لما لقرائن النصب والجزم من تأثير دلالي حين تستعمل مع الفعل. والجواري وقبله المخزومي حاول كل منهما أن يُسقط العوامل من التقدير، وجعل التنويعات الدلالية للزمان المصاحبة لمختلف الاستعمالات هي التي تقوم مقام العوامل، ولكن ظلت حالات لم يستطع أي منهما تفسيرها، وقد أشرت إلى ما فات المخزومي. وأما الجواري «فإن تعليله لإعراب المضارع لم يكن دائمًا مقنعًا وخصوصًا إهماله استعمالاتٍ تُنافي ما ذهب إليه من أن تقييد المضارع وتمحيضه لمعنى من معاني الزمن ينقله من الرفع إلى النصب أو الجزم، فإذا كان النصب هو حكم المضارع الدال على المستقبل فَلِمَ لم يكن المضارع المقترن بالسين أو سوف منصوبًا؟ والحال أن هاتين الأداتين هما من أهم وسائل تمحيض هذا الفعل للمستقبل»[1]، وهناك مواضع أخرى لم نجد لها تفسيرًا في دراسته كوقوع المضارع بعد «لا» و «ما» النافيتين حين يكون سياق الاستعمال للفعل المستقبل أو الماضي. فالمحاولة تبقى قاصرة على الرغم من اجتهاده في علاج هذه القضية في النحو العربي.

* * *

وأما القسم الثاني فهم الدارسون المحدثون الذين تلقوا دراستهم في الغرب وحاولوا نقل النظريات اللغوية الحديثة وتطبيقها على العربية، لكننا لم نجد قضية حركات الإعراب تبرز موضوعًا في دراساتهم النحوية إنما تناولوها في مجال الدراسة الصوتية مع أصوات المد واللين. تناولوها في ضمن الأصوات وصفاتها والفرق بينها في الطول والقصر، ثم سلوكها في الاستعمال من حيث التأثر والتأثير مع الأصوات الأخرى، ولم يتعرضوا لدلالتها في التركيب كما كان لدى

(١) نظرات في التراث اللغوي العربي (٢٧، ٢٦)، وانظر: الكتاب (٣٥/١)، مغني اللبيب (١٣٨/١، ١٣٩).

أصحاب التيسير في تناولهم هذه القضية. وأنكر بعضهم دلالتها واتخذ موقف قطرب القديم فذهب إلى أنها «لا تعدو أن تكون حركات يُحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض»[١]. وقد مرَّ هذا سابقًا، ومنهم من أشار إلى أن الحركة الإعرابية يُستَأْنَسُ بها أحيانًا لمعرفة وظيفة الاسم عندما يحصل لبس في جمل تُستعمل فيها أدوات متعددة الدلالة مثل «ما» فهي للنفي وللتعجب وللاستفهام. ففي كل استعمال لها دلالتها وحركتها الإعرابية وهذا ما قال به القدماء، لكنه يرى في قضية إعراب الفعل وبنائه قضية مفتعلة، ويحيل ظهور حركات الفعل في أزمانه المختلفة إلى الصرف لا إلى النحو؛ ولذلك فقضية إعراب الفعل قضية باطلة عنده[٢]. على أنه يعترف بأن أدوات النصب والجزم تشير إلى معانٍ معينة في الفعل، لكنّ المؤلّف لم يُولِ هذا الموضوع ما يستحقه من العناية ولم يجد حلاً في ضوء البحوث اللسانية، وذهب إلى أن هذه البحوث قاصرة في الوقت الراهن[٣].

إن أهم محاولة حديثة في دراسة العربية هي محاولة تمام حسان في كتابه «العربية – معناها ومبناها». درس فيها العربية الفصحى بفروع دراستها المختلفة لا فرع معينٍ[٤]، في ضوء منهج البنيوية الوصفية، وكان موضوع « دراسته الأول

(١) من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس (٢٢٤)، وانظر ص ١٥٨.

(٢) انظر: الألسنية العربية لريمون طحان (١٣–١٩).

(٣) انظر: نظرات في التراث اللغوي للمهيري (٧٤) ويقصد ريمون طحان المشار إليه في الهامش (١).

(٤) العربية معناها ومبناها (٩، ١٥).

والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة»[١]، وكانت نتيجة دراسته أن أسقط فكرة العوامل التي شغلت النحويين قرونًا، وهو ما حاوله أصحاب تيسير النحو، وأقام مكانها نظرية القرائن، وهي عنده قسمان: القرائن المعنوية والقرائن اللفظية، وجعل حركة الإعراب إحدى القرائن اللفظية. فانتقد النحويين القدامى الذين جعلوا حركة الإعراب مدار بُحوثهم، وعواملها مدار نظريتهم إذ قال: «إن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى... وكل ما أثير [حول العامل] من ضجة لم يكن أكثر من مبالغة أدّى إليها النظر السطحي والخضوع لتقليد السلف والأخذ بأقوالهم على علاّتها»[٢].

إن تضافر القرائن هو الذي يعين على تحديد المعنى النحوي، ولا يمكن بقرينة الإعراب وحركته وحدها، فالقرائن بنوعيها تُغني عن العوامل التي شغلت النحويين، فهي التي تتضافر على إيضاح المعنى الوظيفي النحوي[٣]، مما يجعل في الإمكان الترخّص أحيانًا في بعض القرائن إذا أُمِن اللبس ومنها قرينة الإعراب «اعتمادًا على غيرها من القرائن اللفظية والمعنوية»[٤].

---

(١) المصدر السابق (٩).

(٢) المصدر السابق (٢٠٧) (إن ما سمَّاه الدكتور تمام قرائن التعليق قسمان:

١- القرائن المعنوية وهي: الإسناد والتخصيص والنسبة والتبعية والمخالفة وتحت كل من هذه القرائن فروع ص (١٩١-٢٠٤).

٢- القرائن اللفظية وهي: العلامة الإعرابية والرتبة والصيغة والمطابقة والربط والتضام والأداة والنغمة ص (٢٠٥-٢٣١).

(٣) العربية معناها ومبناها (٢٠٧).

(٤) المصدر السابق (٢٣٣، ٢٣٤).

المصادر والمراجع

١- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ - القاهرة.

٢- الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج - تح د. عبد الحسين الفتلي ط٣ مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٨.

٣- الألسنية، ريمون طحان - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧٢.

٤- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي - تح د. مازن المبارك - دار النفائس ٥ بيروت ١٩٨٦.

٥- تاريخ اللغات السامية، ولفنسن - ط١ مطبعة الاعتماد - القاهرة ١٩٢٩.

٦- تبسيط قواعد اللغة العربية، أنيس فريحة — دار الكتاب اللبناني — بيروت ١٩٥٩.

٧- التبيين عن مذاهب النحويين، أبو البقاء العكبري - تح د. عبد الرحمن العثيمين - ط١ الرياض ٢٠٠٠.

٨- التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر تصحيح وإخراج د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٩٧.

٩- الخصائص، ابن جني - تح محمد علي النجار ط٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦.

١٠- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني - دار الكتاب العربي ط١ بيروت ١٩٩٥.

١١- سر صناعة الإعراب، ابن جني - تح مصطفى السقا والزفزاف وإبراهيم

مصطفى وعبد الله أمين - ١٩٥٤- القاهرة.

١٢- شرح الكافية، الرضي الأستراباذي - تح يوسف حسن عمر - منشورات جامعة بنغازي.

١٣- الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس - تح مصطفى الشويمي بيروت ١٩٦٣.

١٤- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي - شرح محمد شاكر - دار المعارف للطباعة والنشر.

١٥- طبقات النحويين واللغويين - أبو بكر الزبيدي - تح أبو الفضل إبراهيم ط١ طبعة الخانجي بمصر ١٩٥٤.

١٦- العربية، يوها فك - ترجمة د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨٠.

١٧- في التفكير النحوي عند العرب، د. زهير غازي زاهد - عالم الكتب - بيروت ١٩٨٦.

١٨- في النحو العربي قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي - دار الرائد العربي - بيروت - ١٩٨٦.

١٩- الكتاب، سيبويه - تحقيق عبد السلام هارون - دار القلم - ١٩٦٦.

٢٠- معاني القرآن، أبو زكريا الفراء - تح أحمد يوسف نجاتي، محمد علي نجار - دار السرور - بيروت.

٢١- مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري - تح محيي الدين عبد الحميد - دار الشام للتراث - بيروت.

٢٢- المفصَّل في صنعة الإعراب، الزمخشري - تقديم علي بو ملحم - مكتبة

الهلال ط١ – بيروت.

٢٣- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية ط٤ ١٩٧٢.

٢٤- نحو الفعل، د. أحمد عبد الستار الجواري ط١ المجمع العلمي العراقي ١٩٧٤.

٢٥- نزهة الألباء، أبو البركات الأنباري – تح إبراهيم السامرائي – مكتبة الأندلس ١٩٧٠.

٢٦- نظرات في التراث اللغوي العربي، د. عبد القادر المهيري – دار المغرب الإسلامي ط١ بيروت ١٩٩٣.

٢٧- همع الهوامع – السيوطي – تح عبد العالم سالم مكرم – مؤسسة الرسالة ١٩٨٧ بيروت.

ابن وحشية النبطي
وريادته في كشف رموز هيروغليفية
في كتابه
(شَوْق المُستَهام في معرفة رموز الأقلام)

د. يحيى ميرعلم

أولاً: شخصيته العلمية :

هو أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن المختار[١]، المعروف بابن وحشية النبطي[٢]، والكلداني[٣]، والكسداني (النبطي)[٤]. مجهول المولد والوفاة، وإن كان بعضهم قدّر وفاته أنها بعد سنة ٣١٨هـ أو قريبًا من سنة ٣٥٠هـ، غير أن الراجح بقرائن عدّة أنه عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري . (وجاء في معجم المؤلفين أن وفاته كانت سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م).

كان ابن وحشية عالِمًا بالفلاحة والكيمياء والسموم والفلك والأقلام القديمة والسحر والحيل وغيرها. ولد في قُسِّين من نواحي الكوفة بالعراق. وقد وصفه ابن النديم بالساحر لعمله الطِّلَّسمات والصنعة. وترجم له في موضعين، أولهما: في تراجم أصحاب السحر والشعبذة والعزائم، وثانيهما: في تراجم أهل الصنعة (الكيمياء)، وعدَّ له فيهما ما يزيد على ثلاثين مصَنَّفًا[٥] .

إن ما عدّه له ابنُ النديم في الموضعين المشار إليهما على أهميته واستقصائه، إذ كان أكثرَ مصادر ترجمته استيفاءً لآثاره فيما أعلم، لا يدلّ على حقيقة مجموع آثاره، بقدر ما يدلّ على ما انتهى علمُه إلى ابن النديم. لقد بلغت جملةُ آثاره المؤلَّفة والمترجمة الواردة في مجموع المصادر والمراجع، فيما وقفت عليه، اثنين وخمسين

كتابًا، على اختلاف أحجامها، وتنوّع موضوعاتها مع تعذّر الفصل في تحديد بعضها، وعلى تعدّد مسميات بعضها، مع اعتماد الأشهر أولاً متبوعًا بغيره، أو الإحالة في غيره عليه .

بيد أن بعض مَنْ ترجم له أو درس بعض كتبه، مثل (الفلاحة النبطية)، من العرب والمستشرقين شكّكوا في صحّة نسبة قدرٍ منها إليه، وعدُّوها مترجمةً أو منقولةً عن البابلية القديمة(٦). لكن هذا لم يفُت على المتقدّمين، فقد نبَّه بعضُ مَنْ ترجم له منهم على قَدْرٍ منها(٧)، ولم ينكر ابنُ وحشية نفسه ذلك، إذ نصَّ في بعض كتبه على ترجمته أو نقله لبعض الكتب عن اللغة النبطية، والتي صنَّفها قبل الإسلام أجدادُه الكلدانيون القدامى وعن غيرها من اللغات(٨). لذلك وجدنا بعض الباحثين(٩)، ينبّه على خطأ بعض الدارسات الحديثة في نسبة تصنيف بعض تلك الكتب إلى ابن وحشية، أو إلى تلميذه أحمد بن الحسين بن علي بن أحمد الزيات، علمًا بأن بعض المصادر القديمة نسبتها إلى ابن وحشية، وعدّها من كتبه .

وقد اتّهمه بعض الباحثين، من مستشرقين وغيرهم، بالشعوبية أو بسوء العقيدة، أو بالتزييف لبعض الأسماء أو الكتب، أو بانتحال بعض الآثار التي نقلها عن غير العربية، مستدلّين على ذلك بكلام له ورد في بعض كتبه(١٠).

آثـــاره :

مضت الإشارة سابقًا إلى تفاوت المصادر والمراجع في تقدير عدد كتب ابن وحشية المؤلّفة والمنقولة عن النبطية وغيرها من اللغات القديمة التي كان يعرفها. ولمّا كانت مُصنَّفاتُه كثيرةً، وكان توثيقُ كلٍّ منها بالإحالة على الكتب التي أوردته لا يحتمله البحث، وقد لا ينطوي على كبير فائدة، فضلاً على ما سيكون فيه من تكرار، إذ كان مجموع آثاره لا يخرج عمّا جاء في تلك المصادر والمراجع أو في بعضها، مما

ورد في توثيق ترجمته وآثاره في صدر الحواشي = رأيت من المفيد أن أقتصر فيما يأتي من الحواشي على الإشارة إلى ما دعت إليه الضرورة في توثيق بعض المصنّفات .

وهذه آثاره مرتبة على حروف الهجاء[١١]:

١- كتاب الأدوار، أو الأدوار الكبير، على مذهب النبط: ويتألّف من تسع مقالات، ترجمهُ ابن وحشية عن اللغة النبطية[١٢].

٢- أسرار الشمس والقمر، أو التعفين : وهو من الكتب التي نقلها ابن وحشية عن بالِيناس الحكيم .

٣- أسرار عُطارد: استشهد به أبو مسلمة المجريطي في كتابه (غاية الحكيم) فقد ذكَر ابنُ وحشية في كتابه (أسرار الفلك) تلميذَه ابن الزيات، بأنه وعده أن يصنِّف كتابًا في أسرار عُطارد، وأنه بعد فراغه من الترجمة سيفي بوعده، ونبّهه على أهميته، وضرورة الحرص عليه[١٣].

٤- أسرار الفلك في أحكام النجوم، أو كتاب ذواناي: نصّ ابنُ وحشية في مقدمة (الفلاحة النبطية) أنه أول كتاب ترجمه من اللغة النبطية، وأنه كتاب ضخم في نحو ألفي ورقة أو ألف وخمسمئة ورقة، مما اضطره إلى الاقتصار على ترجمة صَدْرٍ منه مع كتب أخرى[١٤]، ويستفاد مما أورده ثـمّة أن (ذواناي) هو الاسم الحقيقي لهرمس الثاني، ويعني منقذ الإنسانية، وهو من يطلق عليه المصريون وأهل الشام اسم هرمس البابلي .

٥- أسرار الكواكب .

٦- الأسماء .

٧- الإشارة : في السحر .

٨ - الأصول الصغير : في الصنعة الشريفة (الكيمياء) .

٩- الأصول الكبير، أو أصول الحكمة : في الصنعة أيضًا، عن حجر الحكماء. ومنه نسخة محفوظة في دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع رقمه (٩٧٦٩)[١٥].

١٠- الأصنام .

١١- أفلاح الكرم والنخل: ذكره ابن وحشية في نهاية كتابه (شوق المستهام). ونصّ على أنه كان عنده بالشام مع كتاب (علل المياه) وأنه ترجمه من لسان الأكراد، من أصل ثلاثين كتابًا رآها في بغداد في ناووس، وذلك في تعقيبه على قلم قديم عجيب، فيه حروف زائدة عن القواعد الحرفية. ونُسب إلى الأكراد أنهم ادّعوا أن بينوشاد وماسي السوراني كتبا فيه جميع علومهما وفنونهما[١٦].

١٢- كتاب الأقلام التي يُكتب بها كتب الصنعة والسحر : ذكره ابن النديم بعد الكتاب الذي يحتوي عشرين كتابًا مصدَّرًا بقوله: «وعلى الولاء نسخة الأقلام التي يكتب بها كتب الصنعة والسحر» ونصَّ على أن ابن وحشية ذكرها، وأنه قرأها بخطه، وأنه قرأ نسخة هذه الأقلام بعينها في جملة أجزاء بخطّ أبي الحسن بن الكوفي. وفيها تعليقات مختلفة وقعت لأبي الحسن ابن التنح من كتب بني الفرات، وأن هذا من أظرف ما رآه بخطّ ابن الكوفي بعد كتاب (مساوئ العوام) لأبي العنبس الصيمري. ثم يعدد بعض حروف الأقلام التي تُصاب بها العلوم القديمة في البرابي مثل حروف العنبث، وحروف المسند، وحروف الفاقيطوس. ونصّ على أن هذه الخطوط ربما وقعت في كتب العلوم التي ذكرها في الصنعة والسحر والعزائم باللغة التي يحدثها أهل العلم فلا تُفهم[١٧] .

١٣- باليناس الحكيم :

له كتاب التعفين = أسرار الشمس والقمر .

١٤- حنا طوثي أماعي الكسداني: اختلفت المراجع في كتابة اسم هذا الكتاب لعُجمته، وقد نقله ابن وحشية، وهو في النوع الثاني من الطّلّسمات، وسترد قريبًا كتبٌ أخرى له في هذا العلم. والطّلّسمات نوع من السحر، يبحث عن كيفية تركيب القوى السماوية الفعالة مع القوى الأرضية المنفعلة في الأزمنة المناسبة للفعل والتأثير المقصود، الطّلّسم في الأصل: العقد الذي لا ينحلّ .

- الحكمة في الكيمياء = كنز الأسرار، أو كنز الحكمة .

١٥- الحياة والموت في علاج الأمراض: وهو مترجم عن كتاب لراهطا بن سموطان الكسداني.

١٦- خواصّ النبات والأحجار المعدنية: كتاب لدوشام الكاهن، ذكره ابن وحشية في كتابه (شوق المستهام) في صور الأشكال المعدنية التي اصطلح عليها الهرامسة الإشراقية والمشائية. ونصّ على أن دوشام الكاهن ذكرها في كتابه الذي وضعه في خواصّ النبات والأحجار المعدنية، وأنه جعله خاصًّا مكتوبًا بهذا القلم، وحضّ على معرفته وكتمه، لأنه من الأسرار المخزونة في صور الأشكال المعدنية[١٨]. ومع أن ابن وحشية لم يصرّح بنقله للكتاب، فإنّ حديثه الدقيق عنه، وحضّه على معرفته وكتمه، ونقله عنه صور الأشكال المعدنية = يجعل ذلك وغيرُه من الممكن أن يكون الكتاب ممّا ترجمه ونسي الإشارة إليه، أو أشار إليه في كتاب لم يصلنا، إذ لم يصرّح بجميع الكتب التي نقلها من اللغات الأخرى، وكذلك لم يَستَوْفِ أيٌّ من المصادر إيرادَ جميع آثاره .

١٧- رسالة في الصناعة أو الصباغة الكيمياوية .

١٨- الرُّقى والتعاويذ .

١٩- الرِّياسة في علم الفراسة .

٢٠- السحر الصغير .

٢١- السحر الكبير .

٢٢- سِدْرة المُنتَهى : عدّه المستشرق جوزيف همّر، في مقدّمة تحقيقه لكتاب (شوق المستهام)، مترجمًا عن النبطية. ووصفه بروكلمان بأنه حديث مع المغربي القمري عن مسائل تتعلّق بالدين وفلسفة الطبيعة[١٩]، ونصَّ إسماعيل باشا على أنه في الكيمياء[٢٠].

٢٣- سحر النبط .

٢٤- السموم، أو السموم والترياقات: ترجمه إلى الإنكليزية م. ليفي M.Levey بعنوان (علم السموم عند العرب في القرون الوسطى) ونشرته الجمعية الفلسفية الأمريكية[٢١].

٢٥- شمس الشموس وقمر الأقمار في كشف رموز الهرامسة وما لهم من الخفايا والأسرار: نصّ ابن وحشية على ترجمته من لسان قومه، وأحال عليه للاطلاع على أسرار الهرامسة[٢٢].

٢٦- الشواهد في معرفة الحجر الواحد: لم ترد في تسميته عند بروكلمان كلمة (معرفة) وأحال على نسخة أخرى باسم (كتاب الهياكل والتماثيل)[٢٣]، مع أن غيره أورد الكتابين معًا .

٢٧- شوق المُستهام في معرفة رموز الأقلام: وهو موضوع البحث وبيت القصيد، وسيرد الحديث عنه مفصَّلاً .

٢٨- الطبيعة .

٢٩- طبقانا، أو طابْقانا: وهو في الطِّلّسمات، ترجمه ابن وحشية بعنوان (كتاب طبقاني)، وأصل الكلمة غير معروف، بيد أنه يُستفاد من حاشية لأبي

مسلمة المجريطي الذي انتفع من الكتاب في مُصنَّفه (غاية الحكيم) أنها تعني بالضرورة فعل صور الكواكب على الكون والفساد الأرضيين[٢٤].

٣٠- طرد الشياطين، أو الأسرار .

٣١- الطِّلَّسمات .

٣٢- علل المياه وكيفية استخراجها واستنباطها من الأراضي المجهولة

الأصل: مضت الإشارة إلى أن ابن وحشية ذكره مع كتاب (أفلاح الكرم والنخل) وأنهما كانا عنده في الشام، وأنه ترجمهما من لسان الأكراد، وهما من أصل ثلاثين كتابًا رآها في ناووس في بغداد[٢٥].

٣٣- غاية الأمل في التصريف والمعاناة .

٣٤- الفلاحة .

- الفلاحة الصغير: ذكره بعضهم[٢٦]، ولعله كتاب الفلاحة المتقدّم .
- الفلاحة الكبير: ذكره بعضهم[٢٦]، ولعله كتاب(الفلاحة النبطية) الآتي ذكره .

٣٥- الفلاحة النبطية: وهو كتاب مشهور، ذاع صيتُه، وضخم حجمُه، وتعدّدت نسخُه، وكثُر اختلافُهم في تحديد مُؤَلِّف الأصل، وفي زمنه. له طبعة مشهورة حقّقها الدكتور توفيق فهد، صدرت عن المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٨٨م. ويتضمّن شرحًا لأساليب ونظريات الزراعة عند البابليين والآشوريين والمسلمين. أمّا مؤلّف الأصل فقد أرجعه أرنست رينان إلى قوثامي الكوكاني خلال القرن الميلادي الأول، وأرجعه شورلستون في دراسته للكتاب سنة ١٨٥٩م إلى القرن الثاني قبل الميلاد. وقد نصَّ ابن وحشية على أنه نقله من لسان الكسدانيين، وهي اللغة السريانية القديمة (الآرامية) إلى العربية سنة ٢٩١هـ، أي زمن الخليفة المكتفي العباسي (ت٢٩٥هـ)[٢٧]، وأنه أملاه على تلميذه أبي

طالب علي بن محمد الزيات عام ٣١٨هـ/٩٣٠م، وأنه وصّاه ألاّ يمنعه أحدًا يلتمسه، مع وصيَّته له بكتمان أشياء أُخَر غيره. وأنه وجد الأصل منسوبًا إلى ثلاثة من الحكماء الكسدانيين، فقد ابتدأه صغريث، ثم أضاف إليه يبنوشار، ثم تمّمه قوثامي، وأن بين هؤلاء الثلاثة آمادًا متطاولة، تبلغ آلاف السنين. وثمّة رواية أخرى ذهب إليها نولدكه[٢٨]، تشير إلى أن الكتاب لتلميذه السابق الزيات نقله إلى العربية في السنة المذكورة آنفًا. وقد سلف قريبًا بيانُ غرضه من ترجمة هذا الكتاب وغيره من علوم أسلافه الأنباط. هذا وقد اهتمَّ المتقدّمون بالكتاب لشهرته وكبير أهميته في بابه، فاختصره بعضهم، ووضع عليه آخرون تقييدات[٢٩].

٣٦- الفوائد العشرون: وهو في الكيمياء.

٣٧- في صور درج الفلك وما تدلُّ عليه من أحوال المولودين : وأصله لتنكلوشا البابلي القوفاني. وثمّة شكٌّ في صحّة نسبة الكتاب إلى مؤلّف الأصل، وفي الاسم المنسوب إليه، فقد ذكر بروكلمان أن هذا الكتاب من تزييف تلميذ ابن وحشية أحمد بن الحسين الزيات[٣٠]، وانتهى إلى مثل ذلك الإيطالي كارلو نلّينو، في محاضراته التي ألقاها في الجامعة المصرية عن تاريخ علم الفلك عند العرب، وذلك بعد أن حكى اختلاف علماء المشرقيات في (تنكلوش/ تنكلوشا). فقد صدّق خولسن ما ذكره ابن وحشية من أن تنكلوشا أحد حكماء البابليين الأوائل، وأنكره كتشمند (جتشمند) متهمًا ابن وحشية بوفرة الكذب، وجاء بعده ستينشنيدر فزعم أن تنكلوشا اسم اخترعه ابنُ وحشية، وأن كتاب توكرس الحقيقي نقل من اليونانية[٣١].

٣٨- في معرفة الأحجار أو الحجر .

٣٩- القرابين .

٤٠- كشف الرموز وإشارات الحكماء إلى الحجر الأعظم: وهو في الصنعة.

٤١- كنز الأسرار، أو الحكمة في الكيمياء، أو كنز الحكمة: سمّاه بروكلمان (كنز الحكمة) أو (نواميس الحكيم) وأورد (كنز الأسرار) مسبوقًا بعلامتي = ؟ مما يشعر بأنه شكّك في كونهما كتابين أو كتابًا واحدًا[٣٢].

٤٢- ما يتصرّف من علوم الرياضيات.

٤٣- المدرجة في الكيمياء.

٤٤- مذاهب الكلدانيين في الأصنام.

٤٥- المذكرات في الصنعة.

٤٦- مطالع الأنوار في الحكمة: ذكر بروكلمان أن الإسماعيلية استعملوا هذا الكتاب كثيرًا، وأن حسين بن نوح أفاد منه في كتاب (الأزهار)[٣٣].

٤٧- مفاوضات، أو مفاوضة ابن وحشية مع أبي جعفر الأموي وسلامة بن سليمان الإخميمي في الصنعة والسحر.

٤٨- مفتاح الراحة لأهل الفلاحة: ذكره أحد الباحثين في مقال له[٣٤]، ولم أجد غيرَه ذكره فيما رجعت إليه من المصادر والمراجع.

٤٩- مناظرات ابن وحشية مع عثمان بن سويد الإخميمي في الصنعة: مترجم إلى العربية.

٥٠- نزهة الأحداق في ترتيب الأوفاق.

- نواميس الحكيم = كنز الأسرار.

٥١- الهياكل والتماثيل: تقدّمت الإشارة إلى إيراد بروكلمان له في (الشواهد في معرفة الحجر الواحد) وإلى أن غيره أثبت الكتابين منفصلين معًا، وهو ما سوَّغ إفراده هنا.

٥٢- الواضح في ترتيب العمل الواضح .

ما سبق هو مجموع ما أوردته المصادر والمراجع من كتب منسوبة لابن وحشية تأليفًا أو ترجمةً، بغضّ النظر عن تشكيك بعضهم في تأليفه أو ترجمته لها عن اللغات القديمة، أو صحّة نسبتها إلى المؤلّف الأصلي إن كانت مترجمة. على أنني لم أجد أحدًا من الأقدمين أو المُحْدثين من أوردها جميعًا أو استوفاها، وقد مضت الإشارة إلى ابن النديم زاد ما أورده منها على ثلاثين كتابًا، ومع ذلك لا يبعد أن تكون له كتبٌ أخرى، لم تسعفنا المصادرُ المتاحة بمعرفتها، قد تكشف عنها قادماتُ الأيام وجهودُ الباحثين .

ثانيًا: كتابه (شوق المُستهام في معرفة رموز الأقلام)[٣٥]

١- موضوعــه :

يُعَدُّ كتابُ ابن وحشية (شوق المستهام) أشهر ما انتهى إلينا من كتب الأقلام وأقدمها. ولا يخفى ما لدراسة الأقلام من أهمية بالغة في مجالات عدّة مثل: الكشف عن اللغات البائدة، ودراسة تاريخ اللغات، والآثار، والترجمة، والتاريخ، وغيرها. ومن المعلوم أن هذه الأقلام إمّا أن تكون أقلامًا للغات طبيعية، وهي رموز تصور اللغةَ المحكية مكتوبةً، كرموز الفينيقية والعربية والسريانية والعبرية والفهلوية والهيروغليفية وغيرها. وإمّا أن تكون أقلامًا للتعمية، كأقلام الحكماء والفلاسفة وذوي الصنعة (الكيمياء) والعلوم الخفية، وغيرهم من العلماء الذين رمزوا بها علومهم أو بعضها لدواعٍ عديدة معروفة .

بدت الحاجة واضحة لقيام الدواوين، بغيةَ الكتابة والتراسل فيما بين أطراف الدولة، منذ قيام الخلافة الإسلامية. ثم بدأت الترجمة إلى العربية من اللغات السائدة والبائدة في دار الخلافة آنذاك مثل اليونانية والسريانية في بلاد الشام، والفهلوية الفارسية

في العراق وإيران، واللغات الهندية المختلفة في الهند، والقبطية في مصر، والبربرية في شمال إفريقية وغيرها. وكان بعض ما كتب في هذه اللغات مكتوبًا بحروف معمّاة، أو برموز بدل حروف اللغة، مما يعرفه الخاصة، وهذا ما سمي بالأقلام .

وتجدر الإشارة إلى أن العلماء العرب المسلمين قاموا بدراسات مهمّة للغات السائدة في عصرهم، وللغات القديمة التي اطلعوا عليها، فتحدّثوا عن مختلف نظم الكتابة اليونانية والسريانية والمصرية القديمة (الهيروغليفية) والهندية والفارسية وغيرها. وكان مما دعا إلى نشأة علوم الكتابة ودراسة الأقلام لديهم: تعريب الدواوين، وازدهار حركة تعريب العلوم، وانتشار الكتابة والقراءة بسبب حضّ الإسلام عليهما، وتشجيع الخلفاء وغيرهم من أولي الأمر والأعيان للعلماء والمتعلّمين والمؤلّفين. وقد درس العلماء العرب أقلام التعمية، ووضعوا مصنّفات فيها، وكان مما ساعد في ذلك :

آ - وجودُ نصوص معمّاة في الكتب المنقولة من اللغات الأخرى، إبان حركة الترجمة إلى العربية، وبوجه خاصّ كتب الحكمة والصنعة والفلك والروحانيات وغيرها، مما اقتضى حلّ رموز تلك الأقلام .

ب - الحاجةُ إلى فهم المكتوب على المواقع الأثرية، كالبرابي والأهرامات والنواويس والكنوز والخفايا والدفائن وغيرها، علمًا أن بعضها كان مكتوبًا بقلم معمّى .

٢- نُسَخُه :

تحتفظ عِدَّةُ مكتبات تتوزعها بعضُ الدول بنسخ مخطوطة من كتاب (شوق المستهام) منها :

- نسخة المكتبة الوطنية في باريس برقم (٦٨٠٥/١٣١) .
- نسخة المكتبة الوطنية في النمسا برقم (٦٨) .
- نسخة مكتبة عالي سبسهالار في إيران، نشرها مُصوّرة عن الأصل

الأستاذ إياد الطباع ملحقةً بكتابه (منهج تحقيق المخطوطات) وأثبت تحت عنوانه (ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)[٣٦]، ولم يذكر رقمها فيها. وقد صدّرها بفهرسٍ للفصول والأبواب في ست صفحات (١١٩-١٢٤) شاب آخره بعض الاضطراب والخطأ (ص١٢٤). وأتبعه بمقدمة للمعتني بالكتاب في ست صفحات، تحدَّث فيها باختصار عن الكتاب والنسخة المصوّرة التي شغلت من صفحات الكتاب ما بين (ص١٣١-٢٠٥) .

– طبعة المستشرق النمساوي جوزيف همّر التي صدرت في لندن ١٨٠٦م. وهي تعدّ أقدم طبعة للكتاب، تضمنت النصَّ العربي لمخطوط (شوق المستهام) في (١٣٦ ص)، وترجمته إلى الإنكليزية في (٥٤ص). وقدّم لها بدراسة لابن وحشية ومصنفاته وكتابه (شوق المستهام) وقيمته العلمية والأدبية، وأثره فيمن بعده، والأبجديات القديمة والأقلام البائدة، جاءت في (٢٠ص). وقد نص المستشرق همّر في مقدمته للطبعة على أنه وجد نسخة الأصل المعتمدة في القاهرة، وأنها سَلِمت من أيدي الفرنسيين، الذين اشتهروا بجمع الكتب الشرقية والمخطوطات القيِّمة، وذلك خلال حملتهم المشهورة على مصر. وتحتفظ بأصل هذه النسخة مكتبة المتحف البريطاني تحت رقم H.١٧٣ ٤٤٠٠[٣٧]. ولا يخفى أن هذه الطبعة عزيزة نادرة الوجود لقدمها وأهميتها، إذ لا تكاد تقع على نسخة مطبوعة منها إلا في قليل من المكتبات العريقة، منها نسخة في مكتبة المتحف الوطني بدمشق (دار الآثار العربية) .

– ثَمّة نُسَخٌ أخرى في مكتبات عامّة أو خاصّة، منها واحدة لدى الأستاذ عدنان جوهرجي بدمشق .

وتجدر الإشارة إلى أن جميع النُسَخ المتقدّمة تُعَدُّ متأخّرة، فقد نقلت عن نسخة كتبت سنة ١١٦٦هـ أو١١٦٥هـ وهي منقولة عن نسخة كتبت سنة ٤١٣هـ،

وهذه منقولة عن نسخة أصل ابن وحشية المكتوبة سنة ١٢٤١هـ .

٣- سبب تأليفه :

قدّم ابنُ وحشية لكتابه (شوق المستهام) بمقدّمة موجزة نصّ فيها على السبب الذي دعاه لتأليف هذا الكتاب، وعلى الغاية التي رمى إليها من وضعه، وعلى منهجه الذي سلكه في إعداده. فقد ألّفه نزولاً عند رغبة مَنْ لا تُرَدّ دعوته، والغاية منه انتفاع الطالبين والراغبين بالعلوم الحكمية والأسرار الربانية. والتزم إثبات كلّ قلم بقديم رسمه، ومشهور اسمه، وذكر تحته ما يقابله بالعربية بالحمرة، تمييزًا له من غيره، ورتّبه على أبواب، وختم مقدّمته بالنصّ على تسميته الكتاب. ولفظه في جميع ما سبق: «... وبعد، فإنه لمّا سألني مَنْ لا تُرَدّ دعوته أن أجمع له أصول الأقلام التي تداولتها الأمم الماضية، من الفضلاء والحكماء السالفين والفلاسفة العارفين، فيما رمزوا بها كتبهم وعلومهم، لينتفع بها الطالبون والراغبون للعلوم الحكمية والأسرار الربانية، ذاكرًا القلم برسمه القديم واسمه المشهور، وشرح حروفه، وسمّيته شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام»[٣٨].

٤- مادته العلمية :

مضت الإشارة إلى أن كتاب ابن وحشية (شوق المستهام) تضمّن نحوًا من (٩٠) قلمًا، وهي في إحصائي (٨٩) قلمًا برسومها وصورها وما يقابلها في اللسان العربي إن كان. وجميعها من الأقلام القديمة التي استعملتها الأمم الماضية، أو ممّن غبر من الحكماء والفلاسفة والملوك وغيرهم. وجُلُّها من الأقلام التي لغزوا أو رمزوا بها كثيرًا من علومهم وفنونهم في الحكمة والعقائد والطب والفلك والكيمياء والعلوم الخفيّة مثل : السحر والطّلّسمات والحيل والأوفاق والسيمياء والنيرنجات

والقلفطريات وغيرها، وما وضعوه أو صنعوه من كنوز وبرابٍ ونواويس ودفائن وتراكيب وأخلاط وترياقات وغيرها .

وقد جاء الكتابُ في مقدمة موجزة وثمانية أبواب، اشتمل كلّ منها على فصول تقلّ وتكثر وفق موضوع الباب الذي ينتظمها :

فقد حوى **البابُ الأول** ثلاثةَ فصول جاءت موزّعةً على ثلاثة أقلام، هي: الكوفي السوري، والمغربي الأندلسي، والهندي بأنواعه الثلاثة .

وتضمن **البابُ الثاني** سبعةَ فصول، انفرد كلّ منها بأحد الأقلام السبعة المشهورة: السرياني، والنبطي القديم، والعبراني، والبرباوي، والقمّي، والمسند، وقلم الحكماء .

وأما البابُ **الثالث** فقد جعله لأقلام الحكماء السبعة المشهورين، فجاء في سبعة فصول، استقلّ كلّ منها بقلم حكيم منهم، وهم : هرمس، وأقليمون، وأفلاطون، وفيثاغورث، وأسقليبوس، وسقراط، وأرسطوس .

وأفرد **الباب الرابع** لأقلام الحكماء التي ظهرت بعد السبعة المتقدمة، مقرونةً بأسماء واضعيها من الحكماء المتقدمين المشهورين بالمعارف والعلوم. وقد جاء هذا الباب كبيرًا في (٢٤) فصلاً، توزّعت على أربعة وعشرين قلمًا، هي أقلام : بليناس، والبرباوي، وفرنجيوش، والمعلّق، والمربوط، والجرجاني، والنبطي القديم، والأحمر، والطّلّسمي، والرمزي، وقسطوجيس، وهرمس أبوطاط، وسوريانيوس، وفيلاوس، والمشجر، والداودي، وديمقراطيس، وقفطريم، والفراقاني، وزوسيم العبري، ومارشول، وأفلاطون .

وأما **الباب الخامس** فوقفه ابنُ وحشية على أقلام الكواكب السبعة : زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر .

وجعل **البابَ السادس** لأقلام البروج الاثني عشر بأصولها كما في كتبهم وذخائرهم : الحمل، والثور، والأسد، والسنبلة، وعطارد، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، وزحل، والدلو، والحوت .

وعقد **البابَ السابع** لأقلام ملوك السريان والهرامسة والفراعنة والكنعانيين والكلدانيين والنبط والأكراد والكسدانيين والفرس والقبط، وهي أقلام : بروديس، ورسيوت، وكيماس الهرمسي، ومهراريش، وطبرينوسن، وريوس موسن المصري، وبرهيموس، وصاآا، وبلبيس، وقفطريم .

وأما **البابُ الثامن** الأخير فجعله للمشهور من أقلام الهرامسة، وقد جاء هذا الباب في فصول، ومراتب ثلاث، وخاتمة، جعل أولها لقلم الحكيم هرمس الأكبر، ونّبه على أنه مرتب على رموز وإشارات لا تُعَدّ ولا تُحصى. وأن له قاعدة يُستدل بها على المطلوب، شرحها في ثلاث مراتب، بدأها بصور أشكال المراتب العلوية الهرمسية، وقد اشتملت المرتبة الأولى على الأسماء الحيوانية وأشكالها، والثانية على الأشكال النباتية، والثالثة على الأشكال المعدنية، وختم كتابه بمجموعة أقلام قديمة استعملت قبل الطوفان، وأخرى للكلدانيين وغيرهم .

٥- منهجه :

يرى القارئ لكتاب (شوق المستهام) أن مؤلِّفه ابنَ وحشية كان بصيرًا بمادته العلمية التي جمعها، دقيقًا في منهجه الذي التزمه، موضوعيًّا إلى حدٍّ بعيد فيما عرضه وناقشه وعالجه، ويمكن تلخيص أهمّ معالم منهجه في الملاحظات التالية :

أ - توزيعه لمادة الكتاب العلمية على الأبواب والفصول كان موفَّقًا ودقيقًا ومستوعبًا، فقد وزع المادة - كما تقدّم - على ثمانية أبواب وخاتمة، ويضمّ كلٌّ منها عددًا من الأقلام، أفرد كلاً منها بفصل، مراعيًا في جمعها وتنظيمها التسلسلَ

التاريخي، وما يجمع بينها من خصائص وروابط، حيث عقد الباب الأول لثلاثة أقلام، والثاني للأقلام السبعة المشهورة، والثالث لأقلام الحكماء السبعة المشهورين، والرابع للأقلام التي تلت السبعة المتقدمة، والخامس لأقلام الكواكب السبعة، والسادس لأقلام البروج الاثني عشر، والسابع لأقلام الملوك المتقدمين، والثامن لصور الآثار العلوية، تلتها ثلاث مراتب : للأسماء الحيوانية وأشكالها، ثم الأشكال النباتية، ثم الأشكال المعدنية، ثم الخاتمة التي ضمّت مجموعة أقلام قديمة . ولا ريب أن مثل هذا التوزيع لمادة الكتاب يدلّ على منهج محكم، وعقل راجح، وخبرة مديدة بالأقلام بنوعيها : أقلام الأبجديات، وأقلام التعمية التي رمزوا أو لغزوا بها كثيرًا من آثارهم .

ب – وضعه عناوين للأبواب تدلّ على ما حوته، فقد اشتملت عناوين بعض الأبواب على أسماء الأقلام أو أصحابها مجموعةً، ثم جاءت مفصلةً موزعةً على الفصول، كما في الأبواب : الأول والثالث والخامس والسادس، وأما باقي الأبواب فقد اقتصرت على عناوين تشير بالإجمال إلى ما فيها من الأقلام، مثل الأبواب : الثاني والرابع والسابع والثامن .

ج – دقّته في التزامه منهجًا محددًا في توزيع المادة، وإيرادها مفصلةً أو مشروحةً أو مجملةً، والتعليق عليها تصحيحًا أو تضعيفًا أو تنبيهًا على قيمتها العلمية، أو توثيقًا وتفصيلاً بالإحالة على مصادر مهمّة مقرونة بأسماء مؤلّفيها، وكان إلى ذلك يذكّر القارئ بمنهجه في مواضيع من الكتاب، كما في فاتحة الباب الرابع .

د – استقصاؤه في الحديث عن أصحاب الأقلام من حكماء وفلاسفة وملوك وغيرهم، وذلك بإيراد أهم صفاقم، وما اصطلحوا عليه في كتبهم من الأقلام، وما لغزوا بها من كتب الحكمة أو العقائد أو العلوم المختلفة كالكيمياء

والسيمياء والطب والفلك وأسرار النجوم والكواكب والطّلّسمات والسحر والرَّصْد والشعبذة والدّكّ والقلفطريات وغيرها، وما صنعوه أو وضعوه بها من : الكنوز، والبرابي، والنواويس الكاهنية، والدفائن والمطالب والخبايا، والدخنات العجيبة، والتراكيب الغريبة، والنيرنجات، وخواتيم الكواكب وتسخير روحانيتها وجلبها ودعواتها، والترياقات الملوكية، والأدوية العجيبة، والأخلاط، وغيرها .

هـ - حرصه على الاستيفاء في حديثه عن الأقلام، وذلك بعزوها إلى أصحابها أو مصادرها، وتحديد العلوم التي كُتبت أو رُمزت بها، وبيان خواصّها وشهرتها، وتداولها بين الحكماء والفلاسفة والأجناس والأمم والبلاد، وجُملة ما كُتب بها من العلوم، وما كُتب بها عليه من برابٍ وهرمات [جمع استعمله ابن وحشية في كتابه] ونواويس وأحجار وهياكل قديمة. ومنهج ترتيبها على الحروف أو على غيرها من رموز وإشارات قليلة أو كثيرة، والقاعدة في ذلك، وما كان منها مستعملاً قبل الطوفان، أو مهملاً أو منسيًّا. وكان إلى ذلك ينصّ على ما في الأقلام من آراء للمتقدمين، وكيفيةِ قراءتها، وقواعدهم في ذلك، وعددِ حروفها، وما ليس في العربي منها، وترتيبها، معلّقًا عليها ببيان رأيه فيها وتصحيح ما شابها من أخطاء، وغير ذلك .

فالقلم المُشَجَّر للحكيم ديسقوريدوس، كتب به كتاب الأعشاب والنبات وخواصها ومنافعها ومضارها وأسرارها، وقد تداولته الحكماء من بعده في الكتب[٣٩]. والقلم الداودي كان كثير الاستعمال ببلاد الهند، استعمله الحكماء في الطب والحكمة والسياسة، وهو مشهور[٣٩]. وقلم ديموقراطيس كان مقبولاً عند حكماء اليونان، يُلغزون ويرمزون به كتبهم، ويزعمون أن روحانية عُطارد أهدته له في السرب المظلم[٤٠]. وقلم حكماء الأقباط أكثر ما رمزوا به كتب الدفائن والمطالب

والكنوز والخبايا وكتب الصنعة الشريفة الإلهية[٤١]. والقلم الفرقاني اخترعه سبعة من حكماء الروم، وكتبوا به كتبًا كثيرة في علم السيمياء والكيمياء والطب، وكان رئيسهم ديوجانس الأكبر ملك الروم، وقد اشتهر في زمانه ونسي[٤١]. وقلم زوسيم العبري اصطلح عليه حكماء العبرانيين من القدماء، ورمزوا به كتب الحكمة الشريفة، وكانت موجودة في القدس[٤٢]. وقلم قلفطريوس تداولته الحكماء والفلاسفة في كتبها وعلومها دون غيره من الأقلام بكثرة خواصها[٤٣]. وقلم قسطوجيس اليوناني كتب به ثلاثمئة وستين كتابًا في علم الصنعة الإلهية وعلم الطِّلّسم والنيرنج والسحر ودعوات الكواكب والنجوم وتسخير الروحانية[٤٤]. والقلم المُشَجَّر الطبيعي لأفلاطون جرّبه فوجد لكلّ حرف خواصّ ومنافع لأمور شتى[٤٥]. وقلم برج العقرب كان من جملة الأقلام المكتومة في ذخائر الكلدانيين، وقد رمزوا به كتب الأرصاد والأسرار[٤٦]. وقلم برج الجدي وزُحَل مّما اختصّ به حكماءُ بابل والفرس، أخفوه ثم ظهر بعد انقراضهم في كتب أسرارهم وخبايا كنوزهم التي نهبها اليونانُ، ثم استعمله حكماءُ مصر في علم الفلك[٤٧]. وقلم برج الدلو كان من جملة الأقلام المنسوبة للكلدانيين والصابئين، وبه رتّبوا كتب صلواتهم ودعواتهم وأسرار نواميسهم الخاصة[٤٨]. وقلم هرمس الأكبر مكتوبٌ على البرابي والهرمات والنواويس والأحجار والهياكل القديمة من زمن الفراعنة الأُوَل، وليس كغيره مرتبًا على الحروف بل هو رموز وإشارات مستخرجة بحسب اصطلاحه، لا تُعَدّ ولا تحصى، ولها قاعدة[٤٩]. وقلم الملك كيماس الهرمسي الذي كتب به نحو مئتي كتاب في الفلك والأسرار الطبيعية وخواصّ النباتات والعقاقير[٥٠].

و – عنايته بالكشف عمّا في الأقلام من روابط النسب والقُربى، وما كان منها أصلاً أو فرعًا، أو مستنبطًا من غيره. فالقلم الكوفي تنوّع إلى تسعة أقلام،

الأصل فيها المُسَمّى بالسوري[٥١]. والقلم الهندي على ثلاثة أنواع[٥٢]. والقلم الكوفي مستنبط من السرياني، والعبراني من الكلداني، واللاتيني من اليوناني، وغيرها من الأقلام الأصلية والفرعية، فإنها في الغالب على هذا النمط[٥٣].

ز - دقّته العلمية وأمانته، وقد تبدّى ذلك في صور عدّة، أوضحها توثيقه المادّة العلمية بالإحالة على مصادرها التي استوفت الحديث عنها، وتعليله لهذا، وقد سلفت الإشارة إلى ما أحال عليه من مصادر تقدّمته، أو كتبٍ صنّفها أو ترجمها عن غير العربية. **فقد أحال ابن وحشيّة في كتابه (شوق المستهام) على :**

- كتاب **(حلّ الرموز ومفاتيح الكنوز)** لجابر بن حيّان الصوفي، وذلك للاطلاع على حقائق فنّ الأقلام، فإنه استوفى ما يلزم هذه الصناعة من اللوازم تفصيلاً وإجمالاً[٥٤].

- كتابه المترجَم من النبطية (شمس الشموس وقمر الأقمار في كشف رموز الهرامسة وما لهم من الخفايا والأسرار) وذلك للاطلاع على أسرار الهرامسة، لأنه جمع فيه ما لابدّ منه لِمَنْ أراد الوقوف على أسرارهم[٥٥].

- كتاب **دوشان الكاهن في خواصّ النبات والأحجار المعدنية**، وذلك عند حديثه عن صور الأشكال المعدنية. ولم يكتفِ ابن وحشية بذلك، بل نصّ على أن دوشان ذكرها في كتابه، وأنه جعله خاصًّا مكتوبًا بهذا القلم. ويطلب من القارئ أن يعلم ذلك ويكتمه، ويعلل ذلك بأنه من الأسرار المخزونة في صور الأشكال المعدنية التي اصطلح عليها الهرامسةُ الإشراقية والمشائية[٥٦].

- **مجموعة كتب ذكرها ابن وحشية لدى حديثه عن أسلافه الكلدانيين** الذين رفع من شأنهم، وحطّ من شأن مَنْ سمّاهم (الأكراد الأُوَل) الذين رأى أنهم تشبّهوا بهم فيما برعوا فيه، وقصروا براعتهم على صناعة الفلاحة والنبات. ونفى

عنهم ما ادّعوه أنهم من أولاد بينوشاد، وأنه وصل إليهم أسفار: الفلاحة لآدم، وصغريث، وقوثامي. ونفى عنهم كذلك صحّة ادّعائهم معرفة كلٍّ من الأسفار السبعة، ومصحف ذواناي، والسحر، والطلاسم. ثم عاد إلى انتقاصهم ثانيةً في كلامه على أحد الأقلام القديمة، والذي يشتمل على حروف زائدة على القواعد الحرفية، فقد ذكر ادّعاءهم وزعمهم أنه القلم الذي كتب به بينوشاد وماسي السوراني جميع علومهما وفنونهما وكتبهما بهذا القلم[٥٧].

– **جملة كتب بلغت ثلاثين كتابًا**، صرّح باسمي اثنين منها، وذلك في تعقيبه على قلم آخر فيه حروفٌ زائدة على القواعد الحرفية، رآها في بغداد في ناووس من هذا الخطّ. وأنه كان عنده بالشام كتابان منها، هما: كتاب في (**أفلاح الكرم والنخل**)، وكتاب في (**علل المياه وكيفية استخراجها واستنباطها من الأراضي المجهولة**) ونصّ على أنه ترجمهما من لسان الأكراد لينتفع بهما الناس[٥٨].

٦– القيمة العلمية لكتاب شوق المستهام:

ينطوي هذا الكتاب على قيمة علمية كبيرة تشمل عِدَّةَ مجالات أو ميادين علمية، يمكن **إيجازها فيما يأتي**:

أ – الكشف عن أقلام الأبجديات القديمة واللغات البائدة، وأقرب مثال على ذلك أثرُ كتاب ابن وحشية (شوق المستهام) في كشف بعض رموز اللغة الهيروغليفية بعد أكثر من ألف عام على يد عالم المصريات الفرنسي جان فرانسوا شامبليون سنة ١٨٢٢م. وهو الذي قام بفكّ رموز حجر رشيد الذي عُثر عليه في مدينة رشيد شمال مصر على بُعد (٦٥) كم شرق الإسكندرية، وهي تضم نصوصًا بالهيروغليفية واليونانية القديمة. ولا ريب أنه استفاد من طبعة المستشرق النمساوي جوزيف همّر لهذا الكتاب، والتي صدرت في لندن عام ١٨٠٦م، أي

قبل اكتشافه بنحو (١٦) عامًا. وقد مضت الإشارة إلى بعض ميزات هذه الطبعة، وأهمية الدراسة التي صدّرها ناشرها بها، وبيّن فيها قيمة الكتاب العلمية، ووجوه الإفادة منه في الكشف عن اللغات القديمة وغيرها.

ب – الكشف عن أقلام التعمية التي لغز أو رمز بها الحكماءُ والفلاسفة وغيرهم بها علومَهم وفنونهم وآثارهم في الحكمة والطب والكيمياء والفلك والعقائد والعلوم الخفية، كالتعمية واستخراجها والسيمياء والحيل والطّلّسمات والسحر والصنعة وغيرها .

ج – الكشف عن جوانب مهمة من تاريخ تلك الحضارات البائدة، وعن جوانب منسيّة من تاريخ العلوم القديمة لدى حضارات العالم القديم فضلاً على تاريخ العلوم العربية والإسلامية.

د- ومما يزيد من قيمة الكتاب أن مؤلّفَه ابنَ وحشية كان مختصًّا بالأقلام، وممارسًا للكتابة بها، ومطالعًا لها في أماكنها المكتومة وغير المكتومة. وقد مضت الإشارةُ إلى ما أورده في مقدّمة كتابه (الفلاحة النبطية) من كبير معاناته في محاولته إقناعَ مَنْ وجد عنده من قومه النبط كُتُبَهم المكتومة والمضنون بها، وصولاً إلى تمكينه من الاطلاع عليها خدمةً لقومه ومآثرهم، وبيانًا لفضلهم على غيرهم، وتخليدًا لهم .

وممّا يدلّ على ذلك هنا ما ذكره ابن وحشية في فاتحة الباب الثامن من كتابه (شوق المستهام) اطلاعه على أقلام الهرامسة في كتب القدماء، وأن لكلّ منهم قلمًا، اصطلح عليه منعًا لغير أبناء الحكمة من معرفة ما فيها. وأنه قلّ في زمانه مَنْ يعرفها لاعتمادها هيئةَ الرسم والمثال، وأنها من الكثرة بمكان، كأقلام الهند والصين التي تختلف في ترتيبها واصطلاحاتها عمّا هو عليه الأمر لدينا[٥٩].

ومن ذلك ما أورده في ختم الباب السادس من أن أقلام البروج التي ذكرها هي وَفْق ما اصطلح عليه القدماء، ممّا وجدناه في كتبهم وذخائرهم، ووضعناه في هذا الكتاب ليقتبس منه كلُّ طالب لبيب ما يخصّه من الأسرار والنكت[٦٠].

ومن ذلك أيضًا ما ذكره ابن وحشية عن أحد الأقلام القديمة أن فراعنة مصر كانت تزعم أنه استُعمل قبل الطوفان، وأنهم كانوا يتبركون به، ويكتبون به كتبَ دعواتهم المقررة أمام هياكل أصنامهم، وأنه رأى بأرض الصعيد نواويس وبرابي وأحجارًا مرقومة بهذا القلم، وأنه يحتمل أن يكون هذا رأي النبط والكلدانيين[٦١].

الحواشي

(١) ثمة خلاف بين المراجع في أسماء بعض أجداده العربية والنبطية ترتيبًا وكتابةً. انظر بيان ذلك في الفهرست ص (٤٣٣ و٤٠٥)، والفلاحة النبطية (١/٣و٥)، وتاريخ التراث العربي (٧/ ٢٣٩)، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة (١/٢٨١) وغيرها.

(٢) نسبة إلى النبط، وهم قوم من العجم سكنوا العراق، ثم استعملت الكلمة في أخلاط الناس وعوامّهم، ومنه كلمة نبطية أي: عامية، وشعر نبطي أي: عامي .

(٣) نسبة إلى الكلدانيين، وهم من الأقوام الذين كانت لهم دولة في بابل بالعراق قبل الميلاد، وبعضها امتد إلى شمال سورية.

(٤) مصادر ترجمته: الفهرست ص (٤٣٣ و٥٠٤- ٥٠٥)، هدية العارفين (١/٥٥)، إيضاح المكنون (٤/٥٩)، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان القسم الثاني (٣-٤ص٧٢٨-٧٣١)، تاريخ التراث العربي لسزكين (٧/١٠٧-١١٠)، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية (١/ ٣٠٠-٣٠١)، أعلام الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية (١/٨٧-٩٧)، دائرة المعارف للبستاني (٤/١٣٢-١٣٥)، الأعلام (١/١٧٠-١٧١)، معجم المؤلفين ٢١٢/١ (١٥٥٨)، معجم المطبوعات العربية والمعربة (١/٢٨١)، علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ص(١٩٦-٢١٠)، مقدمة تحقيق الفلاحة النبطية (١/م٧- ٨ و٣ – ٩) وغيرها .

(٥) الفهرست ص (٤٣٣ و٥٠٤ - ٥٠٥).

(٦) تفصيل ذلك موثقًا مع بيان اختلاف علماء المشرقيات في ذلك في (الموسوعة الإسلامية) الترجمة العربية (٣٠٠/١).

(٧) مثل ابن النديم في الفهرست ص (٤٣٣ و٥٠٤ — ٥٠٥).

(٨) مثل مقدمة (الفلاحة النبطية) (٨/١)، وتاريخ التراث العربي (١٠٨/٧)، وخاتمة (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام) ص ٢٠٥ (ط. دار الفكر) .

(٩) مثل د. فؤاد سزكين في (تاريخ التراث العربي) (٢٤٠/٧).

(١٠) لابن وحشية كلام صريح ومطوّل ورد في مقدمة كتابه (الفلاحة النبطية) (١/٥-٨) جلُّه في حواره مع مَنْ وجد عنده كتب أسلافه الأقدمين من بقايا الكسدانيين، كتبت بالسريانية القديمة (الآرامية) صرّح فيها غير مرّة بأن غرضه من ترجمة ما اندرس من آثارهم إلى العربية، ونشرها بين الناس لينتفعوا بما فيها من علوم، إنما هو لإظهار محاسنهم، وبيان فضلهم على غيرهم، وتقدمهم في تلك العلوم، وتعظيمهم في نفوس الآخرين، لما في ذلك من الفخر بهم، والتنبيه على فضلهم، إذ كانت هذه العلوم غير جارية مجرى الدين والشريعة، ولا داخلة في الوصية والكتمان، فهو على مذهبهم في كتمان الدين واستعمال الشريعة. وأما سوء عقيدته فهو يرى أن كافة الناس في زمانه على فرط من الجهل، وأن الشرائع والأديان الظاهرة فيهم أدخلت عليهم من الغباء والغفلة حتى صاروا كالبهائم أو شرًا منها في بعض الأحوال !؟

(١١) انظر آثاره في: الفهرست ص (٤٣٣ و٥٠٤-٥٠٥)، هدية العارفين (٥٥/١)، إيضاح المكـــنون (٥٩/٤)، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان القسم الثاني(٣-٤) ص (٧٢٨-٧٣١)، تاريخ التراث العربي لسزكين (١٠٧/٧-١١٠)، دائرة المعارف الإسلامية (٣/ ٩٦٣-٩٦٥) (ط.لندن)، والترجمة العربية (٣٠٠/١-٣٠١)، أعلام الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية (٨٧/١-٩٧)، دائرة المعارف للبستاني (١٣٢/٤ -١٣٥)، الأعلام (١٧٠/١-١٧١)، معجم المؤلفين (٢١٢/١) (١٥٥٨)، معجم المطبوعات العربية والمعربة (٢٨١/١)، علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ص(١٩٦-٢١٠)، مقدمة تحقيق الفلاحة النبطية (١/م٧-٨و٣-٩)، دراسة ونصوص في

الفلسفة والعلوم عند العرب ص (٣٦-٣٧)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: م٣، ج٢، ص(٣٦٥)، و: م٥، ج١، ص(٥٥)، و: م٧ج١٠ ص(١٠٤) و(٤٤٨)، و: م١١، ج٩ ص(١٩٣) و(١٩٦)، و: ج١٠، ص(٦٨٤)، و:م١٧، ج١، ص(٦٣)، و: م٢١، ج١٠، ص(٤٦٤)، و: م٢٧، ج٣، ص(٣٧٢)، و: م٣٤، ج٤، ص(٥٦٧)، و: م٣٥، ج٤، ص(٥٣٥)، و: م٣٨، ج١، ص(١). تاريخ العرب والشعوب الإسلامية (١/٢٥٩)، فهرس مخطوطات الظاهرية في العلوم والفنون المختلفة عند العرب ص (٤٢١-٤٢٣)، موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين (١/١٨٢)، صبح الأعشى (١/٤٧٥-٤٧٦) وغيرها .

(١٢) انظر كلام ابن وحشية في مقدمة (الفلاحة النبطية) (١/٨)، ونحوه ما ورد في تاريخ التراث العربي (٧/١٠٨) حاشية (١). وسيرد النص قريبًا في الحاشية (١٣) .

(١٣) انظر تاريخ التراث العربي (٧/٢٤٠) حاشية (١)، ولفظه ثمّة «وقد كنت وعدتك يا بني أبا طالب أني أملي عليك كتابًا أسمّيه بسرائر عطارد [كذا] أنا أفعل ذلك بعد فراغي من إملاء هذا الكتاب الذي هو أسرار الفلك لذواناي، فاحتفظ بكتاب أسرار عطارد وعجائبه أكثر من احتفاظك بكلّ ما يحتفظ به...» .

(١٤) مقدمة (الفلاحة النبطية) (١/٨)، وبنحوه ما جاء في تاريخ التراث العربي (٧/ ١٠٨) ، ولفظه في الأول «أول كتاب نقلته إلى العربية كتاب ذواناي البابلي في أسرار الفلك والأحكام على الحوادث من حركات النجوم، وهو كتاب عظيم المحلّ والقدر نفيس، و لم يستوِ لي نقله كلّه، بل نقلت منه صدرًا [كذا في الأصل]، لأنني وجدته في نحو ألفي ورقة فعجزت – والله – يا بنيّ عن استتمام نقله لطوله فقط، لا لغير ذلك، ونقلت معه كتابهم في الأدوار، وهو الأدوار الكبير، ونقلت هذا الكتاب مع غيره بعد عِدّة كتب، أعني بهذا الكتاب، كتاب الفلاحة ونقلته كلّه على تمامه وكماله» .

(١٥) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية في العلوم والفنون المختلفة عند العرب ص٣ (٢١-٣٢٣) .

(١٦) كتابه: شوق المستهام (ط. دار الفكر) ص (٢٠٥).

(١٧) الفهرست ص (٥٠٤-٥٠٥) .

(١٨) شوق المستهام ص (١٨٨) (ط. دار الفكر) .

(١٩) تاريخ الأدب العربي، القسم الثاني ٣-٤ ص٧٣١ .

(٢٠) هدية العارفين (١/٥٥) .

(٢١) أعلام الحضارة العربية الإسلامية (١/٩٣)، ومقدمة تحقيق (الفلاحة النبطية) ١/م٧.

(٢٢) شوق المستهام ص (١٧٨) (ط. دار الفكر) .

(٢٣) تاريخ الأدب العربي، القسم الثاني ٣-٤ ص (٧٣١) .

(٢٤) تاريخ التراث العربي (٧/١١٠).

(٢٥) شوق المستهام ص (٢٠٥) (ط. دار الفكر) .

(٢٦) الفهرست (١/٦٢٨)، وهدية العارفين (١/ ٥٥).

(٢٧) وهو الخليفة السابع عشر من خلفاء بني العباس، دامت خلافته ست سنوات (٢٨٩هـ/٩٠١م-٢٩٥هـ/٩٠٧م).

(٢٨) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، القسم الثاني ٣-٤ ص (٧٢٩).

(٢٩) توثيقها مفصَّلة في مقدمة تحقيق الكتاب (١/م٧-٨)، وأعلام الحضارة العربية الإسلامية (١/٨٩-٩١)، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان، القسم الثاني ٣-٤ ص (٧٢٩-٧٣٠). وانظر حول (الفلاحة النبطية) مقال (ابن وحشية وكتابه في الفلاحة وهو من أقدم الكتب في العربية) د. عبد الحليم منتصر، مجلة العربي، ع٢٠٠، ص ١٨-١٩، ومقال (كتب الفلاحة العربية وألفاظها المولَّدة) الأمير مصطفى الشهابي، م٣٥، ج٤، ص (٥٢٩-٥٤٠).

(٣٠) تاريخ الأدب العربي، القسم الثاني ٣-٤، ص (٧٣٠).

(٣١) علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ص ١٩٦-١٩٩ .

(٣٢) تاريخ الأدب العربي، القسم الثاني ٣-٤، ص (٧٣١) .

(٣٣) تاريخ الأدب العربي، القسم الثاني ٣-٤، ص (٧٣١) .

(٣٤) ورد الكتاب في مقال للمهندس الزراعي وصفي زكريا حول كتاب (الأشجار والأنجم المثمرة) لمصطفى الشهابي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٥، الجزء١، ص(٥٥).

(٣٥) تحقيق هذا الكتاب ودراسته دراسة علمية مفصّلة ستكون موضوع الجزء الثالث من كتابنا (علم التعمية واستخراج المُعَمّى عند العرب) تحقيق ودراسة: د. محمد مراياتي ود. يحيى مير علم ود. محمد حسان الطيان، وقد صدر ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الأول في سنة ١٩٨٧م، والثاني سنة ١٩٩٧م، وقد تفضّل أستاذنا الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع بالتقديم للجزأين المتقدمين، والجزء الثالث في قيد الإنجاز. وتقوم مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض في المملكة العربية السعودية بإصدار ترجمة بالإنكليزية للجزأين الأول والثاني، وإصدارها في سلسلة علمية تتكون من تسعة أجزاء، يستقلّ كلٌّ منها بترجمة تحقيق إحدى المخطوطات ودراستها. صدر منها ثلاثة أجزاء، الأول بعنوان (رسالة الكندي في استخراج المعمّى) ليعقوب بن إسحاق الكندي ٢٠٠٣م، والثاني (رسالة المُؤلَّف للملك الأشرف في حل التراجم) لعلي بن عَدْلان ٢٠٠٣م، والثالث (مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز) لعلي ابن الدُّرَيْهِم ٢٠٠٤م، والثلاثة بتحقيق ودراسة كل من: د. محمد مراياتي ود. يحيى ميرعلم ود. محمد حسان الطيان، وترجمة الأستاذ سعيد الأسعد، ومراجعة كلّ من: د. محمد ابن إبراهيم السُّوَيِّل، ود. إبراهيم عبد الرحمن القاضي، والأستاذ مروان البواب. وأمّا باقي الأجزاء التسعة فستصدر تباعًا إن شاء الله .

(٣٦) صدر الكتاب عن دار الفكر بدمشق، ط. أولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٣٧) نصّ على ذلك د. موفق عبد القادر في كتابه (توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين) ص (١٠)، ونقله عنه المحقق الأستاذ إياد الطباع في كتابه (منهج تحقيق المخطوطات) ص (١٢٦)، وإن كان المستشرق جوزيف همّر لم يذكر ذلك .

(٣٨) شوق المستهام ص (١٣٢) (ط. دار الفكر) .

(٣٩) شوق المستهام ص (١٥٠) (ط. دار الفكر) .

(٤٠) شوق المستهام ص (١٥١).

(٤١) المرجع السابق ص (١٥٢).

(٤٢) المرجع السابق ص (١٥٣) .

(٤٣) المرجع السابق ص ١٤٨ .

(٤٤) المرجع السابق ص ١٤٦ .

(٤٥) المرجع السابق ص (١٥٥) .

(٤٦) المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٤٧) المرجع السابق ص (١٦٣).

(٤٨) المرجع السابق ص (١٦٤) .

(٤٩) المرجع السابق ص (١٧٢).

(٥٠) المرجع السابق ص (١٦٧).

(٥١) المرجع السابق ص (١٣٣).

(٥٢) المرجع السابق ص(١٣٤).

(٥٣) المرجع السابق ص (١٧٢) .

(٥٤) المرجع السابق ص (١٧٢).

(٥٥) المرجع السابق ص(١٧٨) .

(٥٦) المرجع السابق ص (١٨٨).

(٥٧) المرجع السابق ص (٢٠٤) .

(٥٨) المرجع السابق ص (٢٠٤ – ٢٠٥).

(٥٩) المرجع السابق ص (١٧١) .

(٦٠) المرجع السابق ص (١٦٥) .

(٦١) المرجع السابق ص (١٩٣).

المصادر والمراجع

أ – المطبـــوعة:

- أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام، علي الجندي ومحمد صالح سمك ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط. أولى ١٩٥٩ .
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. ثالثة ١٩٦٩م، ط. خامسة .
- أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، زهير حميدان، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٥م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا، دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة د. عبد الحليم النجار ود. السيد يعقوب بكر ود. رمضان عبد التواب، إشراف د. محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م.
- تاريخ التراث العربي، د. فؤاد سزكين، جامعة الملك سعود، ترجمة عبد الله حجازي، مراجعة محمود فهمي حجازي .
- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، كلود كاهن، ترجمة د. بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت ١٩٧٢م.
- دائرة المعارف، أفرام البستاني، بيروت ١٩٦٢م.
- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس ومحمد ثابت الفندي، مراجعة د. محمد مهدي علام، القاهرة ١٩٣٣م.
- دراسة ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. أولى ١٩٨١م.
- شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام، ابن وحشية النبطي، نشر وترجمة جوزيف همّر، لندن ١٨٠٦م، نسخة مكتبة المتحف الوطني بدمشق، دار الآثار العربية .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، مصورة عن الطبعة الأميرية .
- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، الجزء الأول، د. محمد مراياتي، د. محمد حسان الطيّان، يحيى ميرعلم، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٧.
- علم التعـمية واستخراج المعمـى عند العرب، الجزء الثاني، د. محمد مراياتي، د. يحيى ميرعلم، د.محمد حسان الطيان، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٩٧.
- علم الفلك: تاريخه عند العرب في العصور الوسطى، كارلو نلّينو، ط. روما ١٩١١م.
- الفلاحة النبطية، ابن وحشية، تحقيق توفيق فهد، الجزء الأول، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ط. أولى، دمشق ١٩٩٣م.
- الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بلا تاريخ. وط. المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة.
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية: العلوم والفنون المختلفة عند العرب، مصطفى سعيد الصباغ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠م .
- كشف الظنون، حاجي خليفة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م .
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلدات: ٣و٥ و٧ و١١ و١٧ و٢١ و٢٧ و٣٤ و٣٥ و٣٨.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى ١٩٩٣م .
- معجم المطبوعات العربية والمعربة، جمع يوسف سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، مصورة بلا تاريخ.
- منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي، إياد خالد الطباع، دار الفكر بدمشق، ط. أولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .
- موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين، مكتبة المعارف، بيروت .
- موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. أولى ١٩٨٤.
- هدية العارفين، إسماعيل باشا، دمشق ١٩٨٢م .

ب – المخطوطة:

- شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام، ابن وحشية النبطي، نسخة المكتبة الوطنية في باريس رقم (١٦٠٥/ ١٣١) .
- شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام، ابن وحشية النبطي، نسخة المكتبة الوطنية في النمسا رقم (٦٨) .

ج – المراجع الأجنبية :

- Ancient Alphabets and Hiroglyphic characters explained, in Arabic language by Abu Beker Bin Wahshih and in English by Joseph Hammer, London 1806.
- Series on Arabic origins of Cryptology, volume One, KFCRIS& kacst, Riyadh 2003.
-Series on Arabic origins of Cryptology, volume Two, KFCRIS& kacst, Riyadh 2003.
-Series on Arabic origins of Cryptology, volume Three, KFCRIS& kacst, Riyadh 2004.
- The Encyclopaedia of Islam, volume III. P. 963- 965, LONDON 1969.

الأبعاد الجمالية للإيقاع عند البلاغيين

أ. مشتاق عباس معن

يُعرّف الإيقاع بأنه «تتابع نظامي لفاصل زمني معين أو مجموعة من الفواصل الزمنية المعينة بالنسبة للأصوات أو الحركات وهو موصوف بتوكيد نظامي أو شخصي»[1].

وقد تعددت مناحي الأثر الموسيقي في النفس البشرية بين باحث عن رقي روحي ومعالج وقاصد انفعال...إلخ، فالفلاسفة على اختلاف مشاربهم العقائدية استعانوا بالموسيقى للتدرج بمراتب النقاء والمعالجة النفسية بدءاً بالفلسفة الإغريقية – أو قبلها – ووصولاً إلى الفلسفة المعاصرة [2]. فأفلاطون يرى في الموسيقى أداة لتهذيب النفوس وتغذيتها روحيًا[3]، لأنّها تذيب الحقد والبغض لتجعلها لينة العريكة[4]، واقترب الفارابي (ت٣٣٩هـ) من المنحى الأفلاطوني بوصفه للعلاقة بين الموسيقى والنفس البشرية بأنها «مركوزة فيـ[ـها] من أول كونـ[ـها] »[5].أما ابن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ) فطوّر هذه النظرية ليعرِّف النفس بأنها: «...تأليفات عددية أو لحنية ولهذا تناسب النفس مناسبات الألحان والتذّت بسماعها وطاشت وتواجدت بسماعها

---

(١) معجم علم النفس: د. فاخر عاقل: (٩٨).

(٢) ينظر: مسائل فلسفة الفن المعاصر: جان جوتيو: (٧٩) وما بعدها.

(٣) ينظر: جمهورية أفلاطون: (٩٥).

(٤) ينظر: المصدر نفسه: (١٠٥).

(٥) الموسيقى الكبير: (٥)، وعدّ الغزالي هذه العلاقة سرًّا من الأسرار الإلهية؛ ينظر: إحياء علوم الدين: (٦/١٤٧– ١٤٨).

وجاشت»[١]. فحدت هذه النظرة الناس على أن يؤمنوا بوجود رباط وثيق بين السحر والموسيقى — في الحضارتين الإغريقية والعربية[٢] — لما تخلفه من أثر سواء أكان محزنًا أم مفرحًا، باعثًا على اليقظة أم على النوم[٣].

وسلك علماء النفس مسلكًا يتماسّ مع المسلك الفلسفي إذ استغلوا الموسيقى في العلاج والصفاء الذهني، فضلاً على إشارتهم إلى الأثر الانفعالي الذي تؤديه الموسيقى في النفس الإنسانية[٤]، كما استغل هذه العلاقة أكثر الأدباء والنقاد قديمًا وحديثًا[٥]، ليبينوا مناطق الإبداع في النص ومساقط تأثيرها في نفس المتلقي، والرابط ليس بعيدًا بين الموسيقى - بمفهومها المعروف - والموسيقى اللغوية لأنّ الأواصر متقاربة سواء على مستوى التأثير النفسي أم على المستوى الذاتي، لأن الأصوات اللغوية تقسم قسمين؛ موسيقية وضوضائية، كالأصوات المنبعثة من الآلات الموسيقية[٦].

وما يهمّنا هنا من جملة هذه التأثيرات التي يوحي بها الإيقاع، تأثيره في وحدات التواصل الإبداعي:

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٢/١٨٠).

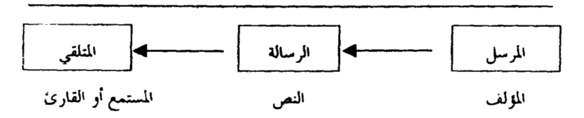
(٢) ينظر: تراث الموسيقى العالمية: كورت زاكس: (٤٥).

(٣) ينظر: الموسيقى وعلم النفس: د. ضياء الدين: (٦٨) وما بعدها.

(٤) ينظر: العمدة: (١/٢٦)، والتفسير النفسي للأدب: د. عز الدين إسماعيل: (٧٧-٨٢).

(٥) ينظر: الموسيقى بين علم النفس وعلم اللغة: آمال المختار: (١٠٢) وما بعدها، واللغة العربية والموسيقى: محمد عبد الوهاب حمودة: (٤٠).

(٦) العمدة: (١/٢٢٤) ووضّح ابن سنان تأثير الإيقاع في المتلقي؛ ينظر: سر الفصاحة: (٢٨٧)، في حين وضّح شرّاح التلخيص أثره في النص، ينظر: شروح التلخيص: (١/٩١-٩٣).



ولولا هذه الوحدات لما وصل الإبداع القديم، ولما استمر الإبداع المعاصر بالإنتاج.

وقد نقل ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) نصًّا عن الجاحظ وضّح فيه تأثير الإيقاع في هذه الوحدات الثلاث، مع أنه خصّ هذا الكلام بالشعر[١] .

ولم يؤكد البلاغيون الإيقاع الظاهر فقط بل حاولوا إدخال (التناسب والتوافق) في النسج والتأليف في الحقل نفسه، وهي مسألة أكّدها المحدثون أيضًا ولا سيما (فانسان داندي) الذي عرّف الإيقاع بأنه انتظام في الصوت وتناسب في البعد وكذلك (ريتشاردز) الذي حصره بـ(التكرار والتناسب)[٢].

ولم يكن هذا التصوّر من عند المحدثين فحسب، بل إن جذوره تمتد إلى أقوال علمائنا القدامى ولا سيما البلاغيون منهم، إذ جعلوا الإيقاع على نمطين: نمط الوزن الذي يتفرع إلى عروض النظم ونغم النثر، ونمط التناسب الذي يعتمد على أساس سبك التأليف والنظم.

وعلى الأساس الثاني جعل العلوي البلاغة على مرتبتين:

«فالطرف الأعلى منه يقع التناسب فيه بحيث لا يمكن أن يُزاد عليه، وعند هذا تكون تلك الصورة وذلك النظام في الكلام في الطبقة العليا من الحسن والإعجاب، والطرف الأسفل أن يحصل هناك من التناسب قدر بحيث لو انتقص

(١) ينظر: السماع عند العرب: مجدي العقيلي: ٥٧/٤، ومبادئ النقد الأدبي: ريتشاردز: ١٨٨.

(٢) الطراز: (٦٩/١)، وينظر: [illegible] كتاب الصناعتين: (١٥٦) .

منه شيء لم تحصل تلك الصورة، ثم بين الطرفين مراتب مختلفة متفاوتة جدًا»[١].

وربط ابن سنان[٢] بين اللحن الجليّ – أي في الإعراب – ومخالفة رونق البلاغة القائم على أساس التناسب في تأليف الكلام الذي يعدّ بحدّ ذاته مخالفة لقواعد الناطق العربي في نسج تراكيبه، وهي تلميحة سبقت ما ذهب إليه د. إبراهيم أنيس في أن الإقواء عيب من عيوب القوافي يقوم على مخالفة الإعراب لإقامة القافية — بأنها مخالفة للإعراب لمساندة إيقاع الكلام [٣]. وهذا تقارب في الأساس الذي ينطلق منه في التعليل فكلاهما يؤكدان التناسب وإيقاعية التأليف.

وتبعًا لما مرّ ذكره يكون البلاغيون قد ألمحوا إلى الكثير من الأقوال التي تعدّ من مسلمات الدرس الحديث، مما يدلل على رجاحة ذهنهم وقوة رأيهم وسلامة نظرتهم الرابطة بين الفكر الصوتي والتحليل الجمالي للنصّ.

ويمكن إجمال الأبعاد التي تناولها البلاغيون في تحليلاتهم وأقوالهم ببعدين:

أ – البعـــد النفسي:

«إن من شأن النفس إذا رأت صورة حسنة متناسبة الأعضاء في الهيئات والمقادير والألوان وسائر الأحوال مقبولة عندها، موافقة لما أعطتها الطبيعة، اشتاقت إلى الاتحاد بها فنزعتها من المادة، واستبثتها في ذاتها، وصارت إياها كما تفعل في المعقولات»[٤].

---

(١) ينظر: سر الفصاحة: (١٠٨) .

(٢) ينظر: موسيقى الشعر: (٢٦٣) وما بعدها.

(٣) الهوامل والشوامل: التوحيدي: (٤٢)، وينظر: الإمتاع والمؤانسة: التوحيدي: (١٣٨).

(٤) ينظر: رسائل أخوان الصفا: الرسالة الخامسة من القسم الرياضي: ٢٣٧، وسايرهم في ذلك حازم القرطاجني، ينظر: منهاج البلغاء: ١٢١-١٢٣.

هذا تصوّر تبنّاه الفلاسفة المسلمون[١] ، على مستوى الفلسفة الإلهية والإبداع، وما ذكرناه سلفًا يتبع المستوى الثاني، لكنه لا يختلف كثيرًا عن مقولات المستوى الأول.

ولما كان الإيقاع مُهمًّا في تحسين النصّ ولاسيما من الناحية النفسية، حذّر البلاغيون من المبالغة فيه وأكدّوا ضرورة الاعتدال في استعماله وعدم الخروج عن المدى المعقول للاستعانة به.

فللعرب حدود لاستعماله في كلامهم، ومخالفته تعدّ تجاوزًا للمألوف، ويكون هذا التجاوز خروجًا عن القاعدة العامة لضبط التأليف العربي، فيكون بذلك عيبًا مستهجنًا، لذلك نجد ابن الأثير يؤكد قضية (الاعتدال) في الاستعانة بالإيقاع لاسيما في حديثه عن السجع ويجعلها الأصل في استعماله[٢].

ومن مراجعة النصوص البلاغية التي حذّرت من المبالغة في الإيقاع، وجدنا العلّة في ذلك – عند أغلبهم – نفسية، يمكن تلخيصها بالآتي:

١– كسر الألفة: إنّ النفس لو طُبعت على شيء، ألِفَتْه معه وجعلته معيارًا لتحسّس مواقع القبح والجمال في موازينها التعاملية، ومخالفة ذلك الطبع يعدّ كسرًا لتلك الألفة ومفارقة لها.

لذلك دعا البلاغيون إلى عدم مخالفة تلك الألفة، ففيها: «مفارقة الطبع وقلة الحلاوة»، لأن النفس إذا تعوّدت شيئًا ألفته فإذا زاد عن حدّه مجّته ورفضته[٣].

---

(١) ينظر: المثل السائر: (١/١٩٧–١٩٨)، وجنان الجناس (في علم البديع): الصفدي: (٣١ وما بعدها).

(٢) الوساطة: ١٩ و ينظر: منه أيضًا (٤١٢) .

(٣) ينظر: عيار الشعر: (١٥).

٢- كــدّ الذهن: إن مجاوزة المعقول في كلّ شيء ممجوج، واستيعابه – من دون شكّ – يُتعب الذهن ويكدّه، لذلك دعا البلاغيون إلى التزام الحدود المعقولة في الاستعانة بالإيقاع في كلامهم لأن التعويل عليه من دون الالتفات إلى إيحاءاته الدلالية يكون عبئًا على النصّ لا مجمّلاً له.

فالشعر إذا كان من هذا الضرب «صار [من الجنس الذي] إذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلاّ بعد إتعاب الفكر، وكدّ الخاطر، والحمل على القريحة، فإن ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة، وحين حسره الإعياء، وأوهن قوته الكلال، وتلك حال لا تهش فيها النفس للاستماع بحسن أو الالتذاذ بمستظرف، وهذه جريرة التكلف»[١].

لذلك ربط د. أحمد مطلوب بين النظرية التأثيرية ومعيار (الذوق) التي يهدف إليها الجرجاني من جهة، وبين بلوغ المعاني من دون كدّ الذهن، بل هي مراجعة نفسية لما تلقى المستمع[٢].

ويتضح من خلال هذا التتبع أن الأقوال البلاغية ذات مرجعيات مختلفة، ففي هذا القسم من الدراسة اتضح اعتمادهم على الرؤى الفلسفية، لكنهم لم يكونوا مجرد ناقلين مقلدين بل لاحظناهم موسعين هذه الفكرة ومبيّنين جوانب السلب والإيجاب فيها، لاسيما في تحديد استعانة الكاتب والشاعر بالإيقاع، وحصره ضمن حدود لا يجوز له تخطّيها، لا لأنها قانون فقط، بل لأنها سمة من سمات النفس الإنسانية التي انطلقوا من تصوّرها للجميل والقبيح في الكلام والتأليف.

---

(١) الوساطة: ١٩ و ينظر: كتاب الصناعتين: ٤٨-٥٠.

(٢) ينظر: عبد القاهر الجرجاني؛ بلاغته ونقده: ٢٠٧-٢٠٨.

ب – البعـــد الإبلاغي:

للإيقاع أبعاد فرعية كثيرة، لكننا جمعناها في بُعدين فقط لأنهما يجمعان ما فرّعه السابقون، فلاحظنا أن البعد الاجتماعي مُذاب في البعد النفسي لأنهما ينطلقان من ذائقة الجماعة وتجسيد الفرد لها، في حين نجد أن البعد الإبلاغي يذوّب بعدين آخرين هما (البعد الفني) و(البعد الجمالي)، فأمّا الأول فإنه عام يناقش قضية الحسن في استعانة النص بالإيقاع، في حين يدلّل الثاني على معنى واسع يشمل جميع ما ذُكر، لأن المبدع يعمد للإيقاع لبلوغ الجمال.

وقد اخترنا عنوان (البعد الإبلاغي) لأن فيه تَميُّزًا مما سواه، فهو بعد لم يُشر إليه غير البلاغيين – من خلال مراجعتي – بل لو كانت ثمة إشارات فإنها لا تبلغ شأو أقوال البلاغيين التي امتازت بالنضج والجدّة.

ويعدّ هذا التصوّر تصوّرًا ناضجًا لقيمة الإيقاع الإيحائية في النصوص وهي مسألة حاول المحدثون نسبها إلى أنفسهم وذلك بدرجها ضمن إجراء تحليلي – نقدي وسموه بـ (الأسلوبية الصوتية)[1].

إذ إن «للإيقاع الصوتي المؤثر دلالات بلاغية، لا تقلّ في أهميتها عن دلالة الألفاظ، وتزيد أهمية الإيقاع الصوتي، إذا تطابقت دلالاتها مع دلالة الألفاظ، أو وسعتها، أو أكملتها»[2].

ويقوم تصوّر أغلب البلاغيين ذاك وفكرة المحدثين من الأسلوبيين على أساسين هما: – التكرار – الاستبدال.

---

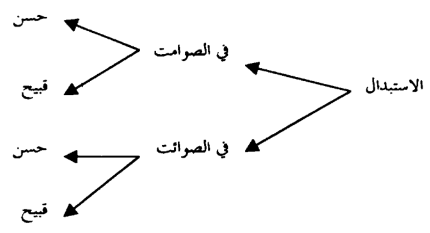
(١) ينظر: الأسلوبية: جورج مونان: (٧–٨) والأسلوبية ونظرية النص: د. إبراهيم خليل: (٨٦) والأسلوبية وتحليل الخطاب: د. منذر عياش: (٩١ وما بعدها) .

(٢) روافد البلاغة: بحث في أصول التفكير البلاغي: د. سمير ستيتية: (٢٧٦) .

وسنتحدث عن الأساس الأول في معرض حديثنا عن فصاحة اللفظ - إن شاء الله تعالى - أما الأساس الثاني، فسنقف عنده وقفة متأنية.

يعرف (الاستبدال) بأنه: «عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر»[1].

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى هذه العملية وأثرها في تحسين النص أو تقبيحه في معرض حديثه عن الجناس، وتناول هذه العملية على مستويين، مستوى الحسن والقبح، ومستوى الصوامت والصوائت:



وجعل مقياس الحسن والقبيح، في الاستبدال بين الأصوات في النص الواحد، ومدى تأثيره في المعنى وتغييره لدلالة السياق الذي وردت فيه، وهو دأب الجرجاني في نظريته البلاغية لجماليات النصوص القائمة على أساس (النظم)[2].

فمثال الاستبدال الصائتي (الحسن والقبيح) حديثه الذي وازن فيه بين بيت لأبي تمام وبيت لشاعر آخر، هما:

قال أبو تمام:

---

(١) لسانيات النصّ: مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي: (١٩) .

(٢) ينظر: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: د. محمد عبد المطلب: الفصل الأول من الكتاب.

ذهبـــت بمذهبه السماحة فالتوت فـــيه الظنون أَمُذْهَبٌ أم مَذْهَبُ

وقول الشاعر:

ناظـــراه فـــيما جـــنى ناظـــراه أوْ دَعـــاني أمـــت بمـــا أوْدَعاني

فقد أوضح قبح الاستبدال الأول وحسنه في الثاني بقوله: «أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام واستحسنت تجنيس القائل وقول المحدث لأمر يرجع إلى اللفظ لأنك رأيت الفائدة ضُعفت عن الأول، وقويت في الثاني، ورأيتك لم يزدك بمَذهَب ومُذْهَب على أن أسمعك حروفًا مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلاّ مجهولة منكرة. ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها. فبهذه السّريرة صار التجنيس وخصوصًا المستوفى منه المتفق في الصورة من حلى الشعر ومذكورًا في أقسام البديع، فقد تبيّن لك أن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلاّ بنصرة المعنى إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلاّ مستحسن، ولما وجد فيه معيب مستهجن»[1].

ولو دققنا في موازنة عبد القاهر الجرجاني لوجدناها غير متكافئة، لأن بيت أبي تمام يقوم على أساس الاستبدال بين (الفتح والضمّ) في حين يقوم بيت الشاعر الثاني على أساس الوقف والاستئناف، لذا لا يمكن التفاضل بينهما لأن وجهة التجنيس مختلفة.

أما مثال الاستبدال الصامتي فشاهده قول أبي تمام أيضًا وهو:

يمـــدون مـــن أيدٍ عواصٍ عواصم تصـــول بأسياف قواضٍ قواضب

(١) أسرار البلاغة: (٨) و ينظر: دلائل الإعجاز: (٤٠٢).

وعلّل ذلك بـ «إنك تتوهم قبل أن ترد عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم والباء من قواضب، أنها هي التي مضت، وقد أردت أن تجيئك ثانية وتعود إليك مؤكدة، حتى إذا تمكن في نفسك تمامها، ووعى سمعك آخرها، انصرفت عن ظنك الأول وزلت عن الذي سبق من التخيل، وفي ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها»[١].

أما ابن الأثير وابن سنان فأكّدا أن (المحل) له أثر في تحسين النص لاسيما في جعل الإيقاع متناسبًا مع السياق الذي ورد فيه[٢].

فأكّد البلاغيون من خلال تصورهم هذا أن للإيقاع بعدًا آخر قلّ المشيرون إليه – ممن سبقهم أو عاصرهم من علماء العربية – وهي مسألة تؤكّد مرةً أخرى حيوية أذهانهم وتبنّيهم أمورًا يرى المحدثون أنهم أصحابها[٣].

مصادر البحث ومراجعه

١- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، لجنة نشر الثقافة الإسلامية، ط١، ١٩٧٢م.

٢- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

---

(١) أسرار البلاغة: (١٨).

(٢) ينظر: سر الفصاحة: (١٤٦-١٤٧) والمثل السائر: (١/١٦١-١٦٢)، إذ ناقش الأول الحشو الذي يؤتى به لإقامة الوزن في الشعر والسجع وأثر ذلك في المعنى في حين ناقش الثاني مواقع الكلمات في النصوص لاسيما النثرية منها وأثرها في الوزن والمعنى.

(٣) يرتبط هذا الموضوع بجرس الأصوات، وقد درسها د. ماهر مهدي هلال دراسة تفصيلية، لكنه لم يُشِر إلى البعد الإبلاغي للإيقاع عند البلاغيين: ينظر: جرس الألفاظ في البحث البلاغي والنقدي عند العرب.

٣- الأسلوبية وتحليل الخطاب: د. منذر عيّاشي، مركز الإنماء الحضاري، ط١، ٢٠٠٢م.
٤- الأسلوبية ونظرية النص: د. إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٥- الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ط، ١٩٣٩م.
٦- تراث الموسيقى العالمية: كورت زاكس، ترجمة: د. سمحة الخولي، دراسة النهضة العربية، القاهرة، د.ط، ١٩٦٤م.
٧- التفسير النفسي للأدب: د. عز الدين إسماعيل، دار المعارف، مصر، سلسلة (علم النفس والحياة)، إشراف د. لويس كامل مليكة، د.ط، ١٩٦٣م.
جنان الجناس (في علم البديع): صلاح الدين الصفدي، تحقيق: سمير حسني حلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٨- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٩- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا: إخوان الصفا، الرسالة الخامسة، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٥٧م.
١٠- روافد البلاغة: بحث في أصول التفكير البلاغي: د. سمير ستيتية، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ع٦، رجب ١٤٢٢هـ سبتمبر ٢٠٠١م.
١١- سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د١، ١٤٢٠هـ-١٩٨٢م.
١٢- السماع عند العرب: مجدي العقيلي، منشورات رابطة خريجي الدراسات العليا، ط١، د.ت.
١٣- عبد القاهر الجرجاني: بلاغته ونقده: د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
١٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٥- عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الظاهري، عالم الفكر، د.ط، ١٩٨٠م.
١٧- قانون البلاغة في نقد النثر والشعر: أبو طاهر البغدادي، تحقيق: د. محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
١٨- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان – ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، سلسلة (أدبيات)، ط١، ١٩٩٥م.
١٩- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٢٠- كتاب الموسيقى الكبير: أبو نصر الفارابي، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت.
٢١- لسانيات النصّ: مدخل إلى انسجام الخطاب محمد خطابي، المركز الثقافي العربي بيروت: ط١، ١٩٩٩م.
٢٢- اللغة العربية والموسيقى: محمد عبد الوهاب حمودة، مجلة الثقافة، السنة الأولى، ع٢٠، ١٩٣٩م.
٢٣- مبادئ النقد الأدبي: ريتشاردز، ترجمة: مصطفى بدوي ولويس عوض، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، د.ط، ١٩٦١م.
٢٤- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٢٥- مسائل فلسفة الفن المعاصر: جان جوتيو، ترجمة: سامي الدروبي، دمشق، د.ط،١٩٦٥م.
٢٦- موسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨م.
٢٧- الموسيقى بين علم النفس وعلم اللغة: آمال المختار، مجلة عالم الفكر/ مج٩، ٤٤، يناير- فبراير – مارس ١٩٧٩م.
٢٨- الموسيقى وعلم النفس: د. ضياء الدين أبو الطيب، مطبعة التضامن، بغداد، ط١، ١٩٧٠م.
٢٩- الهوامل والشوامل: أبو حيان التوحيدي، نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر، لجنة التأليف وأحمد والترجمة والنشر، د.ط، ١٩٥١م.
٣٠- الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٤، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

تحسين المقال بإيضاح الاستعارة بالمثال

لأبي الفتح محمَّد بن محمَّد المصريّ الأزهريّ

(من علماء القرن التَّاسع الهجريّ)

أ. عدنان عمر الخطيب

(١)

محمَّد بن محمَّد المصريّ الأزهريّ، حياته وآثاره :

الحقُّ أنَّ المصادر التي ترجمت للأزهريّ المصريّ لم تتجاوز الخمسة، ونصيبه فيها أسطرٌ معدودةٌ ليس غير، وبالجملة فقد ضنَّتِ المصادر، فلم تأتِ في حقِّ الرَّجل على ما ينقعُ الغُلَّة، ويُمكن لنا أن نستخلص منها ما يلي:

هو أبو الفتح شمس الدِّين محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الله المصريّ الأزهريّ المؤذِّن الحَمَويّ الأصل المشهور بالرَّسَّام[١] .أحد أعلام القرن التَّاسع الهجريّ[٢]، وُلد بالقاهرة، وتعلَّم فيها، فكان النَّاظم النَّاثر العالم بالبيان والبديع

---

(١) انظر: الضَّوء اللامع (٤٢/١٠) و(١٢٦/١١) ، وإيضــاح المكنون (٤٦١/١)-(٦٤/٢، ٤٠٦)، وهديَّة العارفين (٢١٧/٢)، ومعجم المؤلفين (٦٢٢/٣)، والبديعيَّات في الأدب العربيّ (١٢٦).

وفي التَّاج: رسم: «الرَّسَّام: من ينقش الألواح، وقد اشتُهر به جماعةٌ من المحدِّثين». فلعلَّ محمَّدًا المصريَّ ممَّن كان يفعل ذلك مهنةً يتكسَّب بها، فنُسب إليها، فقيل الرَّسَّام.

(٢) تفرَّد كحَّالة في معجم المؤلِّفين (٦٢٢/٣)، فذكر مولد محمَّد المصريّ سنة ٨٥٧ هـ ووفاته سنة ٨٨٥هـ، ولا ندري بعدُ مُستنده العلميَّ في تحديد هذا التَّاريخ بدقَّة، فكلُّ ما بين أيدينا أنَّه من علماء القرن التَّاسع للهجرة ليس غير. كما تفرَّد د. علي أبو زيد =

واللُّغة... ترك لنا آثارًا، هي:

١– بديعيَّة: التزم فيها أن تكون الشَّواهد على الأنواع.

٢– الدُّرَّة المُنيرة في مُناظرة الجسر والجزيرة.

٣– صحائف التَّصحيف ولطائف التَّحريف: نظمًا، ونثرًا.

٤– لطف الصَّمَد في كشف الرَّمَد: مقامة.

هذا كلُّ ما أسعفتنا به المصادر عن محمَّد المصريّ الأزهريّ، وهي ترجمة خلت من ذكر شيوخه وتلامذته، كما خلت أيضًا من ذكر رسالته تحسين المقال .

(٢)

تحسين المقال بإيضاح الاستعارة بالمثال:

بادئ ذي بدء نقول: إنَّ عدم ذكر هذه الرِّسالة ضمن آثار محمَّد المصريّ لا يعني أنَّها ليست له؛ ذلك أنَّه ليس من عادة علماء التَّراجم حين يترجمون للأعلام أن يأتوا على آثار هذا العالم أو ذاك كاملةً، وإنَّما يكتفون بالقول: من آثاره أو تصانيفه كذا وكذا. أضف إلى ذلك أنَّ الرِّسالة قد انتهت بالعبارة الواضحة الآتية: «قال مؤلِّفُها عفا اللهُ عنه ما نصُّهُ: رَقَمَهُ أفقرُ الورى وأحقرُ من

=في كتابه البديعيَّات (١٢٦)، فذكر أنَّ محمَّدًا كان حيًّا سنة ١١٣٨هـ، مُستندًا في ذلك إلى صديق له أخبره أنَّه يُحقِّق مخطوطة لمحمَّد المصريّ ذُكر فيها هذا التَّاريخ، ولم يشأ هذا الصَّديق فيما ذكر د. علي أن يُفصح عن اسم المخطوطة التي يقوم بتحقيقها. والحقُّ أنَّ ما ذهب إليه هذا الصَّديق وشايعه فيه د. علي ليس بصحيح؛ إذ كيف يكون الرَّجل من علماء القرن الثَّاني عشر الهجريّ؟! وقد ذكره السَّخاوي في الضَّوء اللامع، وهو كتاب أفرده مؤلِّفه لأعيان القرن التَّاسع.

ذَرَى محمَّدُ بنُ محمَّد المصريُّ الأزهريُّ...» [١]. وهي عبارة تقفنا بجلاء على صاحب الرِّسالة دون أن يرقى إلى ذلك أدنى شكّ.

بعد هذا التحقيق في نسبة الرِّسالة إلى صاحبها محمَّد المصريّ الأزهريّ، نأتي على مضمون هذه الرِّسالة، فنقول:

هي رسالةٌ لطيفةٌ لم تتجاوز الورقتين، أقامها مؤلِّفها بحثًا موجزًا في أنواع الاستعارات، مصحوبةً بأمثلتها، مشروحةً الشَّرح البعيد عن التَّفصيلات والتَّفريعات المُطوَّلة المعهودة في الكتب البلاغيَّة.

يبدأ المؤلِّف رسالته بمقدِّمة قوامها الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه المُختار محمَّد وآله وأصحابه، مُضمِّنًا إيَّاها مُصطلحات بلاغيَّةً: الحقيقة، المجاز، الإيجاز... وكتاب الجُرجانيّ المعروف دلائل الإعجاز. ثمَّ يأتي على اسم رسالته، فيسمها بتحسين المقال بإيضاح الاستعارة بالمثال، ويُحقِّق مضمون هذا العنوان بجلاء حين يعرض لأنواع الاستعارات مصحوبةً بأمثلتها، وقد بلغت عنده ستَّةَ عَشَرَ نوعًا، أدرجها تحت قسمين من الاستعارة، هما الأساس لهذه الأنواع الفرعيَّة. فالاستعارة مفردةٌ ومركَّبة، والمفردة تضمّ تحت جناحها خمسةَ عَشَرَ نوعًا: التَّصريحيَّة الأصليَّة التَّحقيقيَّة، والتَّصريحيَّة الأصليَّة التَّخييليَّة، والتَّصريحيَّة التَّحقيقيَّة التَّبعيَّة، والتَّصريحيَّة التَّخييليَّة التَّبعيَّة... وهكذا. أمَّا المُركَّبة فلا يندرج تحتها إلاَّ نوعٌ واحدٌ، هو الاستعارة التَّمثيليَّة. وبهذا النَّوع تنتهي الرِّسالة، مختومةً باسم مؤلِّفها كما ألمعتُ قبلُ.

---

(١) تحسين المقال (١١).

إنَّها باختصار رسالةٌ موجزةٌ تعليميَّةٌ جديرةٌ بالخروج إلى النُّور؛ لتكون نواةً لمن يروم هذا العلم، بادئًا من خلالها بمعرفة الأساسيَّات، كي يستطيع في قابل الأيَّام أن يخوض في تفصيلات هذا العلم وتفريعاته الكثيرة التي عرض لها جهابذة هذا المضمار.

(٣)

تحقيــق الرِّسالــة :

استندنا في تحقيق هذه الرِّسالة إلى نسخة وحيدة، وقفنا عليها في المكتبة الظَّاهريَّة بدمشق تحت رقْم: ٩٩٥٩ عام؛ إذ لم نعثر على أخت لها مع بحثنا الطَّويل في فهارس المخطوطات الكثيرة. وهي نسخة تامَّة تقع في ورقتين، والورقة الواحدة في ٢٥ سطرًا، ضمن مجموع عددُ أوراقه ١٩ ورقة [١٨ أ ق – ١٩ أ ق]، كُتبت بالسَّواد بخطٍّ مُعتاد مُعجم واضح خالٍ من الشَّكل، تُرك لها هامش بعرض ٥,٢٥ سم، وهي بعدُ من نسخ مؤلِّفها محمَّد ابن محمَّد المصريّ الأزهريّ الذي لم يذكر تاريخ النَّسخ ولا مكانه[١] .

أمَّا منهجنا العلميّ في تحقيق هذه الرِّسالة فيمكن أن نجمله بالنِّقاط التَّالية:

١- نسخنا الرِّسالة كاملةً من نسخة الظَّاهريَّة التي رمزنا إليها بـــ(ل)؛ إشارةً منَّا إلى أنَّها الأصل المُعتمد الوحيد الذي بين أيدينا، وضبطناها ضبطًا كاملاً؛ ليكون ذلك أنفع لقُرَّاء العربيَّة.

٢- لم تخلُ هذه النُّسخة من بعض أوهام التَّصحيف والتَّحريف والتَّكرار

(١) فهرس مخطوطات الظَّاهرية (علوم اللُّغة العربيَّة- البلاغة) (٢١٢).

أحيانًا، وقد أشرنا إلى ذلك كلّه في موطنه من الحواشي، مُثبتين في المتن الصّوابَ ليس غير.

٣- أفاد المؤلّف في رسالته من مفتاح العلوم للسّكّاكيّ خاصّةً، فخرّجنا ما أفاده من المفتاح، مع التّرجمة الموجزة للسّكّاكيّ، وهو العلم الوحيد الذي ورد في هذه الرّسالة.

٤- قدّمنا للرّسالة بالدّراسة التي تُعرّف بها وبصاحبها.

والله المُوفّق، والحمد لله ربّ العالمين أوّلاً وآخرًا.

بسم الله الرحمن الرحيم
حمدًا لمن له الحمد حقيقة لا مجازًا وصلاة وسلامًا
على الموشح بالكمال الموشح بدلائل الإعجاز وعلى آله
وصحبه الذين شيدوا الدين الله أحسن طراز المرجين
بكليات الحيا في لطائف الإيجاز وبعد فهذه رسالة
سميتها بتحسين المقال بإيضاح الاستعارة بالمثال ومن
استمد الأفضال إنه الولي المتعال اعلم أن الاستعارة
إما مفردة أو مركبة والأولى ترسم بأنها الكلمة مستعملة في
غير ما وضعت له لملاحظة علاقة مع قرينة مانعة
نحو قولنا رأيت أسدًا متوشح السلاح فإننا شبهنا
زيدًا بالأسد في الشجاعة وادعينا أن زيدًا صار فردًا
من أفراد الأسد ثم استعرنا لفظ الأسد لزيد فهذه استعارة
والقرينة المانعة من المعنى الحقيقي قوله متوشح السلاح
وتنقسم هذه خمسة عشر قسمًا تتضح لك بعون الله
بأمثلتها إن شاء الله تعالى الأول التصريحية الأصلية
التحقيقية كالمثال السابق فإن الاستعارة فيه تصريحية
وحقيقتها ما ذكر فيها اللفظ المشبه به وأصلية لكونها
جرت في غير المشتقات والحروف وتحقيقية لكون
المستعار له محققًا حسًا الثاني تصريحية أصلية تخييلية
نحو الأظفار من قولك أنشبت المنية أظفارها فإن الوهم
لما أخذ المنية في صورة الأسد اخترع لها صورة الأظفار
مخيلة كصورة الأظفار الحقيقية ثم أطلق على الصورة
المخيلة الصورة المحققة والقرينة المنية فهي تصريحية
بلفظ المشبه به ظاهرًا وأصلية لكونها في غير الحروف
والمشتقات وتخييلية لكون المستعار له صورة

مخيلة وهذا المثال إنما يتجه على مذهب السكاكي الثالث
تصريحية تحقيقية تبعية نحو نطقت الحال شبهنا الدلالة
بالنطق بجامع وصول المراد بكل واستعرنا النطق للدلالة
واشتققنا وتخييلية لكون المستعار له صورة مخيلة وهذا
المثال إنما يتجه على مذهب السكاكي الثالث تصريحية و
تحقيقية تبعية نحو نطقت الحال شبهنا الدلالة بالنطق
بجامع وصول المراد بكل واستعرنا النطق للدلالة واشتققنا
من النطق نطق بمعنى دل فهي تصريحية لأنه صرح فيها
بلفظ المشبه به وتحقيقية لكون المستعار له محققًا
عقلًا وتبعية لكونها جرت في المشتقات وأمثالها
أيضًا ولأصلبنكم في جذوع النخل فإنه شبه مطلق
الظرفية بمطلق الاستعلاء بجامع التمكن في كل واستعرنا
تلك الظرفية للاستعلاء ثم سرت الاستعارة من
المطلقين إلى الجزئيين فأطلقنا على على في فهي تصريحية
لذكر المشبه به وتحقيقية لتحقق المستعار له حسًا
وتبعية لكونها جرت في الحروف الرابع تصريحية
تخييلية تبعية نحو قولك نطقت الحال أيضًا فإننا
شبهنا الحال بمتكلم تشبيهًا مضمرًا في النفس وادعينا
أن الحال صار فردًا من أفراد المتكلم وذكرنا المشبه
الذي هو الحال مرادًا به المشبه به الذي هو المتكلم
فهذه مكنية ولا غرض لنا فيها الآن وسيأتي ثم إننا
تخيلنا للحال نطقًا فشبهناه بالنطق الحقيقي واستعرنا
المشبه به للحقيقي المشبه الخيالي واشتققنا من الحقيقي
نطق بمعنى النطق المتخيل فهذه الاستعارة الأخيرة
تصريحية لما مر وتخييلية لكون المستعار له خيالًا

(٤)

تحسين المقال بإيضاح الاستعارة بالمثال : [و١٨/ أ]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن له الحمدُ حقيقةً لا مجازًا، وصلاةً وسلامًا على المُوَشَّح بالكمال المُرَشَّح بدلائل الإعجاز، وعلى آله وصحبه الذين نَسَجُوا لدين الله أحسنَ طراز، المُصَرِّحين بمكنيَّات الخبايا في لطائف الإيجاز. وبعدُ:

فهذه رسالةٌ سمَّيتها بـ «**تحسين المقال بإيضاح الاستعارة بالمثال**». ومنِ استمطرَ الإفضال، [فـ] إنَّه الوليُّ المُتعال[١].

اعلم أنَّ الاستعارةَ إمَّا مُفردةٌ أو[٢] مُركَّبةٌ، والأولى تُوسمُ بأنَّها كلمةٌ مستعملةٌ في غير ما وُضعت له لملاحظة علاقة مع قرينة مانعة، نحو قولنا: رأيتُ أسدًا مُتَوَشِّحَ السِّلاح، فإنَّنا شبَّهنا زيدًا بالأسد في الشَّجاعة، وادَّعينا أنَّ زيدًا صار فردًا من أفراد الأسد، ثمَّ استعرنا أسدًا لزيد، فهذه استعارةٌ، والقرينةُ المانعة من المعنى الحقيقيِّ قولُهُ: مُتَوَشِّحَ السِّلاح.

وتنقسم هذه[٣] خمسةَ عَشَرَ قسمًا، تتَّضحُ لك بعدُ بأمثلتها، إن شاء الله تعالى:

الأوَّلُ: التَّصريحيَّة الأصليَّة التَّحقيقيَّةُ كالمثال السَّابق، فإنَّ الاستعارةَ فيه

---

(١) ما بين قوسين زيادة يقتضيها النَّصّ. أراد: ومن استمطر الإفضال من الله تعالى فيما يقصده أو يتوجَّه إليه، فإنَّه الوليّ المُتعالي الذي يجود على المُستمطر بما سأل.

(٢) ل. والصَّواب: وإمَّا على إرادة التَّفصيل.

(٣) أي: الاستعارة المفردة.

تصريحيَّةٌ، وحقيقتُها ما ذُكر منها لفظُ المُشبَّه به، وأصليَّةٌ لكونها جرَت في غير المُشتقَّات والحروف، وتحقيقيَّةٌ لكون المُستعار له مُحقَّقًا حسًّا.

الثَّاني: تصريحيَّةٌ أصليَّةٌ تخييليَّةٌ، نحو: الأظفار من قولك: أنشبت المنيَّةُ أظفارها، فإنَّ الوهم لَمَّا أظهر[١] المنيَّةَ في صورة الأسد، اخترع لها صورة أظفار مُخيَّلَة[٢]، كصورة الأظفار الحقيقيَّة، ثمَّ أطلق على الصُّورة المُخيَّلَة الصُّورةَ المُحقَّقَةَ، والقرينةُ المنيَّةُ، فهي تصريحيَّةٌ بلفظ المُشبَّه به، وأصليَّةٌ لكونها في غير الحروف والمُشتقَّات، وتخييليَّةٌ لكون المُستعار له صورةً [و١٨/ب] مُتَخيَّلَةً، وهذا المثال إنَّما يتَّجه على مذهب السَّكَّاكي[٣].

الثَّالث: تَّصريحيَّةٌ تَّحقيقيَّةٌ تَّبعيَّةٌ، نحو: نطقت الحالُ: شبَّهنا الدَّلالةَ بالنُّطق بجامع وصول المُراد بكلٍّ، واستعرنا النُّطقَ للدَّلالة، واشتققنا[٤] من النُّطْق نَطَقَ بمعَنى دلَّ، فهي تصريحيَّةٌ؛ لأنَّه صرَّح فيها بلفظ المُشبَّهَ به، وتحقيقيَّةٌ لكون المُستعار له مُحَقَّقًا عقلاً، وتبعيَّةٌ لكونها جرت في المُشتقَّات[٥].

---

(١) كذا الرَّاجح. وفي ل كلمة غير واضحة.

(٢) مُخيَّلَة ومُتَخيَّلَة بمعنىً واحد.

(٣) هو سراج الدِّين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمَّد السَّكَّاكيّ صاحب مفتاح العلوم، الإمام الحنفيّ، العالم المُتبحِّر في النَّحو والتَّصريف وعلم المعاني والبيان والعَروض والشِّعر والكلام، المُتوفَّى سنة ٦٢٦هـ. (شذرات الذَّهب ٢١٥/٧، والأعلام ٢٢٢/٨). وانظر قوله في: مفتاح العلوم (٤٨٥).

(٤) كذا الصَّواب. وفي ل: واشتقّينا تحريف.

(٥) في ل بعد واشتقّينا: وتخييليَّة لكون المُستعار له صورة مُتَخيَّلَة، وهذا المثال إنَّما يتَّجه على مذهب السَّكَّاكيّ. الثَّالث: تصريحيَّة وتحقيقيَّة تبعيَّة، نحو: نطقت الحالُ: شبَّهنا الدَّلالة بالنُّطق بجامع وصول المُراد بكلّ، واستعرنا النُّطق للدَّلالة، واشتقّينا من –

وأمثالها أيضًا: ﴿ولأُصَلِّبَنَّكم في جذوع النَّخل﴾[(١)]، فإنّه شبَّه مُطلَق الاستعلاء بمُطلَق الظَّرفيَّة[(٢)] بجامع التَّمكُّن في كلٍّ، واستعرنا تلك الظَّرفيَّة للاستعلاء، ثمّ سَرَتِ الاستعارة من المُطلَقَين إلى الجزأين، فأطلقنا على (على) (في)، فهي تصريحيَّةٌ لذكر المُشبَّه به، وتحقيقيَّةٌ لتحقُّق المُستعار له حِسًّا، وتبعيَّة لكونها جرت في الحروف.

الرَّابع: تصريحيَّة تخييليَّةٌ تبعيَّةٌ، نحو قولك: نطقتِ الحالُ أيضًا: فإنَّنا شبَّهنا الحال بمُتكلِّم تشبيهًا مُضمرًا في النَّفْس، وادَّعينا أنَّ الحال صارت فردًا من أفراد المُتكلِّم، وذكرنا المُشبَّه الذي هو الحالُ مُرادًا به المُشبَّه به الذي هو المُتكلِّم، فهذه مكنيَّةٌ، ولا غَرَضَ لنا فيها الآن، وستأتي.

ثمّ إنَّنا تخيَّلنا للحال نُطقًا، فشبَّهناهُ بالنُّطق الحقيقيِّ، واستعرنا المُشبَّه به الحقيقيَّ للمُشبَّه الخياليِّ، واشتققنا من الحقيقيِّ نَطَقَ بمعنى النُّطْق المُتخَيَّل، فهذه الاستعارةُ الأخيرةُ تصريحيَّةٌ لما مرَّ، وتخييليَّةٌ لكون المُستعار له مُخَيَّلاً [و١٩أ]، وتبعيَّةٌ لكونها في مُشتقٍّ، وهذا على مذهب السَّكَّاكي[(٣)]، وإن كان غيرَ مُسلَّم.

وهذه الأربعةُ: إمَّا **مُرَشَّحَةٌ**، أو **مُجَرَّدَةٌ**، أو **مُطْلَقَةٌ**.

=النُّطق نَطَقَ بمعنى دلَّ... إلى قوله: المُشتقَّات.

قلتُ: من الواضح أنَّ المُصنِّف سها، فبدأ بالقسم الثَّالث من الاستعارة المفردة، ثمّ خلطه بجزء من تعريف القسم الثَّاني، ثمّ استدرك خلطه، فأعاد كتابة القسم الثَّالث صحيحًا من جديد.

(١) طه: بعض الآية: ٧١.

(٢) في ل: فإنّه شبَّه مُطلَق الظَّرفيَّة بمُطلَق الاستعلاء. وهو وجه لا يُجيزه المعنى.

(٣) مفتاح العلوم (٤٨٥ و٤٨٩).

مثالُ الأولى **مُرَشَّحَةً**: رأيتُ أسدًا يفترسُ بأنيابه. ومثالُها **مُجَرَّدَةً**: رأيتُ أسدًا يفترسُ في الحمَّام. ومثالُها **مُطْلَقَةً**: عندي أسدٌ، وقامت قرينةٌ حاليَّةٌ على أنَّ عنده رجلاً شُجاعًا.

ومثالُ الثَّانية **مُرَشَّحَةً**: أنشبتِ المنيَّةُ الأظفارَ التي لم تُقَلَّمْ، فهي **مُرَشَّحَةٌ**، ويصلحُ أن تكونَ **مُجَرَّدَةً**، وإن حذفتَ (التي لم تُقَلَّمْ) تكون **مُطْلَقَةً**.

ومثالُ الثَّالثة **مُرَشَّحَةً**: نطقتِ الحالُ بفصيحِ المقال. **ومُجَرَّدَةً**: نطقتِ الحالُ بدلالة الالتزام. **ومُطْلَقَةً**: نطقتِ الحالُ.

ومثالُ الرَّابعة **مُرَشَّحَةً**: نطقتِ الحالُ بلسان المقال. **ومُجَرَّدَةً**: نطقتِ الحالُ بلسان الخيال. **ومُطْلَقَةً**: نطقتِ الحالُ.

الثَّالثَ عشرَ[1]: **المكنيَّةُ**، ومثالُها **مُرَشَّحَةً**: أنشبتِ المنيَّةُ أظفارَها: فالمنيَّةُ استعارةٌ، والأظفارُ تخيلٌ، والنَّشبُ ترشيحٌ. **ومُجَرَّدَةً**: المنيَّةُ ذاتُ أظفار مُقَلَّمَة. **ومُطْلَقَةً**: المنيَّةُ ذاتُ أظفار.

فهذه خمسةَ عَشَرَ قسمًا في الاستعارة المُفردة.

وأمَّا **المُركَّبةُ** التي هي ثانيةُ القسمة الأصليَّة، فنحو: إنِّي أراك تُقَدِّمُ رِجْلاً وتُؤَخِّرُ أُخرى. قال: هذا يُقالُ للذي يتردَّدُ في أمره: أيفعلُ كذا أم لا؟

وتقريرُ الاستعارة أنَّنا شبَّهنا هيئةً مُنتزَعَةً من شخص يتردَّدُ في الفعل وعدمه بهيئة شخص يُقَدِّمُ رِجْلاً ويُؤَخِّرُ أُخرى لتحيُّر كلٍّ منهما في أمره؛ واستعرنا الهيئةَ للهيئة، والقرينةُ حاليَّةٌ.

فهذه ستَّ عَشْرَةَ[2] استعارةً بستَّةَ عَشَرَ مثالاً، لا يقطِفُ أزهارَها [إلاّ][1]

---

(١) أي: القسم الثَّالث عشر من أقسام الاستعارة المفردة. وفي ل: الثَّالثة عشر تحريف.

(٢) ل: ستَّة عشر تحريف.

من يرومُ هدايةً كمالاً، وصلّى اللهُ وسلّم على الذي وسعَ العالمين جمالاً وجلالاً، وعلى آله وصحبه ما سال دمعُ مُحِبٍّ سَلْسالاً[٢].

قال مؤلّفُها عفا اللهُ عنه ما نصُّهُ: رَقَمَهُ أفقرُ الوَرَى[٣] ، وأحقرُ من ذَرَى محمَّدُ بنُ محمَّدٍ المصريُّ الأزهريُّ، عفا اللهُ عنه، ولطفَ به، آمين.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الأعلام، للزِّركليّ، ط٨: دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٩م.

٣- إيضاح المكنون في الذَّيل على كشف الظُّنون على أسامي الكُتب والفنون، للبغداديّ، ط: دار الكتب العلميَّة – بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٤- البديعيَّات في الأدب العربيّ: نشأتها، تطوُّرها، أثرها، للدّكتور علي أبو زيد، ط١: عالم الكتب – بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس، للمُرتَضَى الزَّبيديّ، تحقيق علي شيري، ط ١: دار الفكر – بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٦- تاريخ الأدب العربيّ، لكارل بروكلمان، نقله إلى العربيَّة الدّكتور عبد الحليم النَّجَّار وصحبه وأشرف على التَّرجمة الدكتور محمود فهمي حجازي، ط١: الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب – القاهرة ١٩٩٣م – ١٩٩٥م.

---

(١) زيادة يقتضيها النَّصّ.

(٢) أي: ما سال دمعُ مُحِبٍّ ماءً عذبًا صافيًا. وماءً: حال بالحمل على التَّشبيه، أي: كماء عذب. وفي ل: سلسًا تحريف.

(٣) ل: الموري تحريف.

٧- شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبليّ، تحقيق محمود الأرناؤوط وإشراف عبد القادر الأرناؤوط، ط١: دار ابن كثير – دمشق ١٩٨٦م – ١٩٩٥م.

٨- الضَّوء اللامع لأهل القرن التَّاسع، للسَّخاويّ، ط: مكتبة الحياة – بيروت – دت.

٩- فهرس مخطوطات دار الكتب الظَّاهريَّة (علوم اللُّغة العربيَّة – البلاغة)، لأسماء الحمصي، ط: مجمع اللُّغة العربيَّة – دمشق ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٠- معجم المؤلِّفين: تراجم مُصنِّفي الكتب العربيَّة، لعمر رضا كحَّالة، ط١: مؤسسة الرِّسالة – بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١١- مفتاح العلوم، للسَّكَّاكيّ، تحقيق الدّكتور عبد الحميد هنداوي، ط١: دار الكتب العلميَّة – بيروت ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢- هديَّة العارفين: أسماء المؤلِّفين وآثار المُصنِّفين، للبغداديّ، ط: دار الكتب العلميَّة- بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

مِيمِيَّةُ القاضي الجُرجاني

علي بن عبد العزيز

أ. إبراهيم صالح

بسم الله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى .

وبعد: فقد صدر في ربيع سنة ٢٠٠٣م عن دار البشائر بدمشق، **ديوان القاضي الجرجاني** عليّ بن عبد العزيز، بتحقيق الأستاذ سميح إبراهيم صالح.

ولم يألُ المحقق جهدًا في البحث والتنقيب عن أشعار القاضي في شتّى المظانّ - مخطوطها ومطبوعها - قدر الاستطاعة، عبر سنوات طوالٍ .

وقد كان عملُه هذا جاهزًا للطبع منذ سنة ١٩٩٥م، ولكنّه أرجأً نشره رجاء الظّفر بأشعارٍ للقاضي في كتبٍ لم يقف عليها .

ولقد صدق حدسُه في ذلك، إذ صدرت كتبٌ جديدةٌ ضمّت عددًا غير قليلٍ من أبيات أشعار القاضي، ومن أهمها صدور التذكرة السّعديّة للعبيدي كاملاً، وصدور المنتخل للميكالي، وكذلك صدور طبعة جديدة من الحماسة البصرية، وغيرها .

ولكنّ الذي كان يقلقُه ويؤرقُه، قضيَّة ميميَّة القاضي؛ هذه الميميَّة التي كانت مثار إعجاب القاصي والدّاني، عبر قرونٍ طوالٍ، وعلى مدى اتّساع رقعة العالم الإسلاميّ، بما تضمّنته من حِكَمٍ وعِزَّةِ نَفْسٍ وشموخٍ وإِباءٍ، ينبغي أن يتحلّى بها أهل العلم بين النّاس.

قال - حفظه الله - في مقدمة الدّيوان [ص٣٠] :

«مِيْمِيَّةُ القاضي الجُرجَاني أَشهر قصائده، وبها اشتُهر، وهي من عيون

الشّعر، ومن حُرِّه وكريمه، تقطر عزَّةً وإباءً، وخاصَّة عزَّة نفس العلماء؛ صوَّر فيها القاضي نفس العالم الحرِّ، الذي يأبى الهوان، مستشعرًا كرامته إلى أقصى حدٍّ، وإنَّه لَيأبى أن يروى من منهلٍ قد يصيبُه منه ما يؤذي نفسه؛ وإنَّه ليزدري العالم الذي يلهث وراءَ أَطماعه في الدُّنيا، ناسيًا أنّ من شأن علمه أن يجعله مخدومًا لا خادمًا، وسيِّدًا لا عبدًا، وإلاّ كان الجهل خيرًا منه؛ ويزدري مَن يراهم حوله من العلماء صغار النُّفوس، الذين لم يصونوا حرمةَ العلم، بل دنَّسوُه ولطّخوه بهوانٍ كبيرٍ».

إلاّ أنّ الذي وقف عليه السّيد المحقّق من هذه الميميَّة – رغم البحث والاستقصاء – لم يتجاوز ستَّة وعشرين بيتًا، يُضاف إليها بيت مفرد وجده في الدُّرّ الفريد لأيدمر المحيوي، فجعله في قطعة مستقلّة، دون أن يجزم أنّه من الميميَّة؛ فصار المجموع سبعةً وعشرين بيتًا .

وقد ذكر المحقّق أنَّ شهرة الميميَّة في عصرها وفي عصورٍ تَلَتْها، هي التي أَضرَّت بها في زماننا؛ قال ما نصُّه : «وأغلب الذين اختاروا أبياتًا من هذه القصيدة، أردفوا اختياراتهم بقولهم: « وهي مشهورة ». وهذه الشُّهرة – التي كانت في زمانه أو بعده بقليل – هي التي أَضَرَّت بها في زماننا، فلم أجد – رغم طول البحث والتّنقيب والسُّؤال – مصدرًا يروي الميميَّة بتمامها .

فنحن لا نعلم عددَ أبيات هذه القصيدة على وجه الدِّقة، وإن وجدتُ حـــاشيةً كتبها قارئٌ تعليقًا على الميميَّة في «شرح المضنون به على غير أهله» تقول : « وهي قصيدة تبلغ أربعةً وأربعين بيتًا، وقفتُ عليها بخطّ أُستاذي وأخي الشيخ محمد بن العلاّمة الشّيخ أحمد القاسمي، نفع الله بعلومه».

وأعقب ذلك بقوله: « على أنّني لم أقطع الأمل في الوقوف على هذه القصيدة يومًا ما، بجهدٍ شخصيٍّ أو بدلالة العلماء الباحثين ».

ولقد حقّق الله أُمنيته، وصدّق حدسَه وظنَّه؛ إذ كان — حفظه الله — ينطلق من نظرةٍ إيمانيَّةٍ محضة، بأنّ هذا التُّراث العظيم، له عشّاقٌ ومحبُّون، أفنوا أعمارهم ونور أبصارهم في البحث فيه والتنقيب عنه في مختلف مكتبات العالم.

فما إن سمع أخي العلاّمة الأُستاذ الدّكتور جليل العطيّة — حفظه الله — بأمر الدِّيوان، ومشكلة الميميَّة، حتى بادر فأرسل إليَّ — مشكورًا — رسالة وجدتُ في طيِّها المفاجأة المنشودة، والبشارة الكبرى؛ إنَّها ميميَّة القاضي الجرجاني في صفحتين مخطوطتين.

قال — حفظه الله — في رسالته المؤرّخة ١٦ نيسان ٢٠٠٤م: «فلقد وقعت بين يديَّ قصيدة للقاضي الجرجاني، أظنُّها تحمل أبياتًا جديدةً له؛ فأحببتُ أن أضعها بين أيديكم، لعلّها تنفع محروسكم (سميح) حفظه الله، لعلها تضيف شيئًا».

ولقد صدقتَ يا سيِّدي — أبا محمَّد — فلقد نفعَت وأضافَت.

وعندما استفسرتُ منه عن اسم الكتاب الذي وردت فيه القصيدة، قال — حفظه الله — في رسالته المؤرّخة ١٥ حزيران ٢٠٠٤م: «اسم الكتاب الذي ضمّ ميميَّة القاضي الجرجاني: (رياض الآداب ومنازه الألباب) لمؤلّفٍ مجهولٍ، وهو محفوظ في مكتبة رئيس الكُتّاب مصطفى أفندي، رقم ٨٩١ — إستانبول. الكتاب يشتمل على منتخبات من ٢٥ ديوانًا لشعراء عاشوا ما بين القرن الثّالث والسّادس. القصيدة مثبتة في الورقتين ٨١-٨٢ (حسب ترقيم المخطوط).

والكتاب لم يحمل اسم النّاسخ ولا التّاريخ، والمرجّح عندي أنه نُسخ في القرن التّاسع الهجري». انتهى ما قاله الدكتور جليل.

فالقصيدة في مخطوطتنا تكوّن من واحد وخمسين بيتًا، أضفنا إليها أربعة أبيات من الدّيوان، فصار المجموع خمسةً وخمسين بيتًا، بزيادة أحد عشر بيتًا على

الذي ذُكر في حاشية المضنون به على غير أهله .

فإلى جناب أخي الكريم الدّكتور جليل العطيَّة، كلُّ شكرٍ وتقدير؛ وهكذا فلتكن أخلاق العلماء العاملين؛ جزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء .

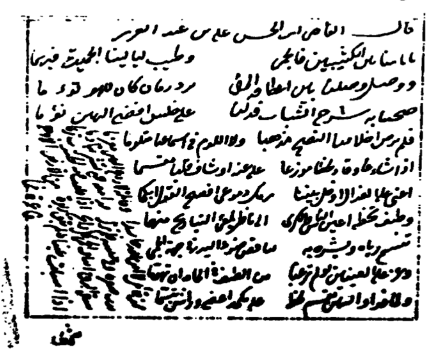
والشّكر الجزيل لمحقّق الدّيوان، الذي قال في نهاية مقدّمته [ص ٩] :

«لقد أخلصتُ في جمع شعر القاضي، وبذلتُ فيه من الجهد والوقت ما استطعت إلى ذلك من سبيل؛ على أنّني أعلم يقينًا أنّ أيَّ عملٍ قام على الجمع، لابدَّ أن يُستدرك عليه، وإني أشكر مُقدَّمًا كلَّ مَن يستدرك على هذا الدِّيوان ولو بيتًا واحدًا ».

فالحمدُ لله في البدء والختام

[الأبيات المسبوقة بنجم (*) هي الأبيات الواردة في الدّيوان. والأبيات المحصورة بين معقوفين [ ] هي التي لم ترد في أصل القصيدة المخطوطة] .

وهذه هي ميميَّة القاضي الجرجاني رحمه الله تعالى، تُنشر أوَّل مرَّة كاملةً بحمده تعالى .



قال القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز

١٥	تري الارض منظارا	فان انجمت صارت سما والجنا
١٦	ت لها انف سها نقس الصب	وتهديها اليها الشمس شيا مسهما
١٧	كان اباعمرو تخلل روضها	فقاح به عرفا واشرق مبسما
١٨	اذا زادت الايام فينا تحملا	وصيفا على الاحرار زاد تكرما
١٩	اذا هاب بعض القوم ظلما اظله	تجلت مساعيا وليه فاقدما
٢٠	سقى الله دهرا ساقني لجواره	وان كان مشغوفا بظلمي متيما
٢١	سا شكر ما توليه قولا ونية	فان قصرا ناب اعتذاري عنهما
٢٢	فسحت رجائي بعد ضيق مجاله	واوضحت لي قصدي وقد كان اظلما
٢٣	ومازلت منحازا بعرضي جانبا	من الذم اعتد الصيانة مغنما
٢٤	اذا قيل هذا مشرب قلت قد ارى	ولكن نفس الحر تحتمل الظمي
٢٥	انهنهها عن بعض ما يشينها	مخافة اقوال العدي فيم او لما
٢٦	فاصبح من عيب اللئيم مسلما	وقد رحت من نفس الكريم معظما
٢٧	فاقسم ما عز امرو حسنت له	مسامرة الاطماع ان بات معدما
٢٨	يقولون لي فيك انقباض وانما	راوا رجلا من موقف الذل احجما
٢٩	اري الناس من داناهم هان عندهم	ومن اكرمته عزة النفس اكرما
٣٠	ولم اقض حق العلم ان كان كلما	بدا طمع صيرته لي سلما
٣١	ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي	لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
٣٢	اشقي به غرسا واجنيه ذلة	اذن فاتباع الجهل قد كان احزما
٣٣	ولو ان اهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس لعظما
٣٤	ولكن اذالوه فهان ودنسوا	محياه بالاطماع حتى تجهما
٣٦	واني اذا ما فاتني الامر لم ابت	اقلب كفي اثره متندما
	ولكنه ان جاء عفوا قبلته	وان مال لم اتبعه هلا وليتما

واقبض خطوي عن خطوط كثيرة … اذا لم انلها وافر العرض ملزما

واكرم نفسي ان اضاحك عابثا … وان اتلقى بالمديح مذمما

وكم طالب رقي بنعماه لم يصل … اليه وان كان الرئيس المعظما

وما كل برق لاح لي يستفزني … وما كل الارض ارضاه منعما

ولكن اذا ما اضطرني الامر لم ازل … اقلب فكري منجدا ثم متهما

الى ان ارى من لا اغص بذكره … اذا قلت قد اسدى الي وانعما

فكم نعمة كانت على الحر نقمة … وكم مغنم يعتده المرء مغرما

وماذا عسى الدنيا وان جل قدرها … تنال به من صير الصقر مقصما

على انني لو لم اعد لحر بها … سواك لقد كنت المصون المحرما

فكيف وعندي كل ما تمنع الفتى … به عرضه من ان يضام ويهضما

وليس بدع من علاك عناية … تسهل لي ما اعنت المتجشما

يقرب مني ما تباعد وانتا … وليخفض نحوي ما تصاعد واستمى

ومن لقي الاملاك منك لموعد … يجني على الكامه وتحكما

اذا كان بعض المدح لفظا مجردا … ضممت الى لفظي ضميرا مسلما

وما ساعد القلب الودود لسانه … على مدحة الا اطيع وحكما

تمت بحمد … تعالى ومنه

قال القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز : [من الطويل]

١- بأيّامـنا بَـيْنَ الكَثِيبَـيْنِ فـالحِمى وطِيـبِ لَيالِينـا الحَمِـيدَةِ فـيهما

٢- وَوَصْـلٍ وَصَـلْنا بَـيْنَ أَعْطافِهِ المُنى بِـرَدٌّ زَمـانٍ كـانَ لِلَّهْـوِ تَوْأَمـا

٣- صَحِبْنا بِهِ شَرْخَ الشَّبابِ فَدَلَّنا عَـلى خُلَـسٍ أَفْضَـى إِلَيْهِنَّ نُوَّما

٤-فَـلَمْ نَرْضَ [في] أَخْلاقِنا النُّصْحَ مَذْهَبًا ولا اللَّـومَ في أَسْـماعِنا مُـتَلَوَّما

٥- إذا شـاءَ غـاوٍ قـادَ لَحْظًا مُوَزَّعًا عَـلى غَـيِّهِ أو شـافَ قَلْبًا مُقَسَّما

٦- أُعِـنِّي عَـلى العُـذّالِ أو خَلِّ بَيْنَنا تُـرِيْكَ دُموعِـي أَفْصَحَ القَوْلِ أَبْكَما

٧- وطَـيْفٍ تَخطَّت أَعْيُنُ النّاسِ والكَرَى إلى ناظِـرٍ يَلْقـى التَّـبارِيْحَ مِنْهُما

٨- تَنَسَّـمَ رَيّـاهُ وَبَشَّـرَهُ بِـهِ تَـناقُصُ ضَوْءِ البَدْرِ في جِهَةِ الحِمى

٩- وَعَـزَّ عَـلى العَيْنَـيْنِ لَـوْ لَمْ تُرَغَّبا مِـنَ الطَّـيفِ في إِلْمامَـةٍ أَن تُهَوِّما

١٠- ولَمّـا غَـدا والبَـيْنُ يَقْسِمُ لَحْظَهُ عَـلى مُكْمَـدٍ أَغْضى ورَأْسٍ تَبَسَّما

١١- فَمِـنْ قـائِلٍ: لا آمَـنَ اللهُ حاسِدًا وقائِلَـةٍ: لا رَوَّعَ البَـيْنُ مُغْـرَما

١٢- بَـدَتْ صُـفْرَةٌ في وَجْنَتَيْهِ فلمْ تَزَلْ مَدامِعُـهُ حـتّى تَشَـرَّبَتا دَمـا

١٣- سَـقَى البَرْقُ أَكْنافَ الحِمى كُلُّ رائِحٍ إذا قَلِقَـتْ فـيهِ الجَـنُوبُ تَـرَنَّما

١٤- إذا أَسْـبَلَتْ عَيْـناهُ لم تَـبْقَ رَبْوَةٌ مِـنَ الأَرضِ إلاّ وهـيَ فاغِـرَةٌ فَما

١٥- تَـرى الأَرضَ [ ] مُـسْتَطايِرًا فَـإِن أَنجمَتْ صارَتْ سَماءً وأَنْجُما[1]

١٦- تُسـائِلُها أَنْفاسَـها نَفَـسُ الصَّبا وتُهْـدي إِلَيْها الشَّمْسُ شَيْئًا مُسَهَّما

١٧- كَـأَنَّ أَبـا عَمْـرٍو تَخَلَّلَ رَوْضَها فَفـاحَ بِـهِ عَـرْفًا وأَشْرَقَ مَيْسَما

(١) ما بين معقوفين بياض بالأصل. و: أنجمت. كذا في الأصل، ولعل الصّواب: أُتْخِمَتْ.

١٨-٥ إذا زادت الأيامُ فينا تَحَمُّلاً وحَيفًا على الأحرارِ زادَ تَكَرُّما[١]

١٩- إذا هابَ بَعضُ القَومِ ظُلْمًا أَظَلَّهُ تَجَلَّتْ مَساعي أوَّليهِ فأقْدَما

٢٠- سَقى اللهُ دَهْرًا ساقَني لِجوارِه وإنْ كانَ مَشْغوفًا بظُلْمي مُتَيَّما

٢١- سَأَشْكُرُ ما تُولِيهِ قَولاً ونِيَّةً فإنْ قَصَّرا نابَ اعْتذاريَ عَنْهُما

٢٢- فَسَحْتَ رَجائي بعدَ ضِيْقِ مَجالِه وأَوْضَحْتَ لي قَصْدي وقد كانَ أَظْلَما

٢٣- وما زِلْتُ مُنْحازًا بِعِرْضِيَ جانبًا مِنَ الذَّمِّ أَعْتَدُّ الصِّيانَةَ مَغْنَما

٢٤- إذا قيلَ: هذا مَشْرَبٌ، قلتُ: قد أرى ولكنَّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّما

٢٥- أُنَهْنِهُها عن بعضِ ما لا يَشِيْنُها مَخافَةَ أَقْوالِ العِدا: فيمَ أو لما

٢٦- فَأُصْبِحُ من عَتْبِ اللَّئيمِ مُسَلَّمًا وقد رُحْتُ من نَفْسِ الكريمِ مُعَظَّما

٢٧* فأُقْسِمُ ما غُرَّ امْرُؤٌ حُسِّنَتْ لَهُ مُسامَرَةُ الأَطْماعِ إنْ باتَ مُعْدِما[٢]

٢٨* يَقولونَ لي: فيكَ انْقِباضٌ، وإنَّما رَأَوا رَجُلاً من مَوْقِفِ الذُّلِّ مُحْجِما[٣]

٢٩* أرى النّاسَ مَنْ داناهُمُ هانَ عِنْدَهُم ومَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِما

٣٠* ولَمْ أَقْضِ حَقَّ العِلْمِ إنْ كان كُلَّما بَدا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ ليَ سُلَّما

٣١* ولَمْ أَبْتَذِلْ في خِدْمَةِ العِلْمِ مُهْجَتي لأَخْدِمَ مَنْ لاقَيْتُ، لكنْ لأُخْدَما

٣٢* أَأَشْقى بهِ غَرْسًا وأَجْنيهِ ذِلَّةً إذَنْ فاتِّباعُ الجَهْلِ قد كانَ أَسْلَما[٤]

---

(١) ورد هذا البيت مفردًا في الديوان ١٣٣ عن الدّرّ الفريد .

(٢) البيت مصحّف في الدّيوان.

(٣) في الديوان: ... عن موقف الذّلّ أحجما .

(٤) في الأصل: ... وأجتنيه ذلّة وبه ينكسر الوزن. وفي الديوان: قد كان أحزما.

٣٣* ولــو أنَّ أهْلَ العِلْمِ صانُوهُ صانَهُمْ ولَــو عَظَّمــوهُ في النُّفوسِ لَعُظِّما[١]

٣٤* ولكــنْ أذالــوهُ فَهــانَ ودَنَّسوا مُحَــيّاهُ بالأَطْمــاعِ حتّى تَجَهَّما[٢]

٣٥* [فإنْ قُلْتَ: جَدُّ العِلْمِ كابٍ؛ فإنَّما كَبا حينَ لم يُحْرَسْ حِماهُ وأُسْلِما]

٣٦* وإنِّــي إذا مــا فاتَني الأَمْرُ لم أبِتْ أُقَلِّــبُ كَفِّــي إِثْــرَهُ مُــتَنَدِّمًا[٣]

٣٧* ولكــنَّهُ إنْ جــاءَ عَفْــوًا قَبِلْــتُهُ وإنْ مــالَ لم أُتْــبِعْهُ هَــلاَّ ولَيْتَما

٣٨* وأَقْــبِضُ خَطْوي عن حُظوظٍ كثيرةٍ إذا لم أَنَلْهــا وافِرَ العِرْضِ مُكْرَما[٤]

٣٩* وأُكْــرِمُ نَفْسي أَنْ أُضاحِكَ عابِسًا وأَنْ أَتَلَقَّــى بــالمديحِ مُذَمَّمــا

٤٠* وكــم طالبٍ رِقِّي بِنُعْماهُ لم يَصِلْ إِلَــيْهِ وإِنْ كــانَ الرَّئيسَ المُعَظَّما[٥]

٤١* ومــا كُــلُّ بَرْقٍ لاحَ لي يَسْتَفِزُّني وما كلُّ [ما في] الأَرضِ أَرْضاهُ مُنْعِما[٦]

٤٢* ولكنْ إذا ما اضْطَرَّني الأَمْرُ لَمْ أَزَلْ أُقَلِّــبُ فِكْــري مُــنْجِدًا ثمَّ مُتْهِما

٤٣* إلى أَنْ أَرى مَــن لا أَغَصُّ بِذِكْرِهِ إذا قُلْــتُ: قــد أَسْدى إليَّ وأَنْعَما

٤٤* [وإِنِّــي لَــراضٍ عن فتىً مُتَعَفِّفٍ يَــروحُ ويَغْدو ليسَ يَمْلِكُ دِرْهَما]

٤٥* [يَبيتُ يُراعي النَّجْمَ من سُوءِ حالِهِ ويُصْــبِحُ طَلْقًــا ضاحِكًا مُتَبَسِّما]

٤٦* [ولا يَسْــأَلُ المُــثْرِينَ ما بِأَكُفِّهِمْ ولَــو مــاتَ جُوعًا عُصَّةً وتَكَرُّما]

---

(١) «لَعُظِّما» : الضبطُ من الأَصل. وفي الدّيوان: لَعَظُما. وهي أعلى وأَجود .

(٢) في الدّيوان: ولكن أهانوهُ فهانوا... .

(٣) في الأصل: ... اقراه متذمما!. وفي الدّيوان: متندّما .

(٤) في الدّيوان: ... عن فضول كثيرة .

(٥) في الدّيوان: ... ديني بنعماه ... .

(٦) الزيادة من الديوان. وفي الأصل: ... يستفر في ! .

٤٧* فكـــمْ نِعْمَةٍ كانت على الحُرِّ نِقْمَةً وكـــم مَغْــنَمٍ يَعْتَدُّهُ المَرْءُ مَغْنَما[1]

٤٨* وماذا عَسى الدُّنْيا وإنْ جَلَّ قَدْرُها يَـــنالُ بِهِ مَن صَيَّرَ الصَّبْرَ مَعْصِما[2]

٤٩- عـــلى أنَّـــني لـــو لمْ أُعِدَّ لِحَرْبِها سِـــواكَ لقد كُنتُ المَصُونَ المُحَرَّما

٥٠- فكيفَ وعِنْدي كلُّ ما يَمْنَعُ الفَتى بِـــهِ عِرْضَـــهُ من أنْ يُضامَ ويُهْضَما

٥١- ولَـــيسَ بِـــبِدْعٍ من عُلاكَ عِنايةٌ تُسَـــــــــــــــهِّلُ لي[3]

٥٢- يُقَـــرِّبُ مِـــنِّي مَـــا تَباعَدَ وانْتَأى ويَخْفِضُ نَحْوي ما تَصاعَدَ واسْتَمى[4]

٥٣- ومَـــن لَقِيَ الأَمْلاكَ منكَ لِمَوْعِدٍ تَجَـــنَّى عـــلى آكامِـــهِ وتَحَكَّما

٥٤- إذا كـــانَ بَعْضُ المَدْحِ لَفْظًا مُجَرَّدًا ضَـــمَمْتُ إلى لَفْظي ضَميرًا مُسَلِّما

٥٥- ومـــا ساعَدَ القَلْبُ الوَدودُ لِسانَهُ عـــلى مِدْحَـــةٍ إلاّ أُطِـــيعَ وحُكِّما

تمّت بحمد الله تعالى ومَـــنِّه

---

(١) في الدّيوان: ... يعتدّه الحرّ مغرما .

(٢) في الأصل: تنال به من صبر الصبر معصما!. وفي الدّيوان:.. خطبها ينال بها...مطعما.

(٣) في الأصل: تسهل لي ما أعنت المتجهما. و لم يتّجه لي صوابه. وفيه:... عنايةً

(٤) بين الشطرين في الأصل: بمعنى بَعُدَ. شرحًا لكلمة « انتأى» .

الموت بين العاطفة والخيال

ابن الأنباري يرثي ابن بقية

د. سهيل محمد خصاونة

مقدمة

واجه الإنسان الموت قديمًا وحديثًا بطرق شتى، ووسائل مختلفة، وظل الموت هو المنتصر في الأغلب الأعم .

تصدى الإنسان للموت بالشعر، فكان لبعض القصائد خصوصية بمعنى الكلمة، وهذه القصيدة واحدة من تلك، فلقد نالت قصيدة ابن الأنباري في رثاء ابن بقية شهرة واسعة عند أهل زمانها، حتى قيل بحقها: إنه لم يُعمل في بابها مثلها.

القصيدة مواجهة كبرى مع الموت، ومواجهة كبرى مع العاطفة الإنسانية، ومواجهة مع الخيال، والشعر الحق مواجهة .

موت ابن بقية كان مواجهة، وعلى مراحل، فبدأ معنويًا بعد سمل العينين على يد وليِّ النعمة، وتطوَّر إلى موت مهين تحت أرجل الفيلة على يد العدو اللئيم، وانتهى صَلْبًا على الأعواد في الفضاء .

عاطفة الشاعر صادقة مخلصة تتوهج، والخيال يستمد وقوده من لظى العاطفة، وبين حرارة العاطفة وجمال الصورة، سقط عضد الدولة منتحرًا بفتنة الجمال، فتمنى لو كان هو المقتول الذي قيلت بحقه هذه المرثاة

هذه القصيدة حالة خاصة من الوجد المشتعل، فيها القلب يتفطّر، والمشاعر تتلظى، لكن بإرادة أبيَّة، وكبرياء متوقدة، فانعكس ذلك على طبيعة الصورة فيها؛ فهي متماسكة لا تعرف الاهتزاز والتصدع، شامخة مرفوعة الرأس رافضة، تقول: «لا» .

والقصيدة في مضمونها العام موقفٌ مشرِّف، ومبدأ راسخ، وقيمة في الوفاء والإخلاص، وهي جولة ناجحة بالتأكيد للشعر في وقوفه أمام الموت والفناء، خرجت من القلب، فدخلت إلى كل قلب، ليس بينها وبين متلقيها حجاب.

تسعى هذه الدراسة لتبيُّن خصوصية الرثاء ومواجهة الموت في قصيدة ابن الأنباري(*)، التي رثى بها ابن بقية، وذلك من خلال العلاقة بين العاطفة

(*) ابن الأنباري: هو محمد بن عمر بن يعقوب، أبو الحسن الأنباري، ولا تاريخ محدّد لميلاده. لكنه من أبناء القرن الرابع الهجري، وتفاصيل حياته نزرة محدودة أيضًا، من مثل: هو شاعر مُقِلٌّ من الكتّاب، وهو أحد العدول في بغداد. وشهرته كما يبدو مرتبطة بقصيدته التائية التي هي محط دراستنا، والتي قالها كما أسلفنا بابن بقية صديقه الحميم، وقد أكّد صداقته هذه في إجابته عضد الدولة عندما سأله عن سبب رثائه ابن بقية، حيث قال: حقوق سلفت، وأيادٍ مضت، فجاش الحزن في قلبي فرثيت [1]. والحق أن ابن الأنباري رثى ابن بقية مرتين: الأولى، بهذه القصيدة التائية – موضوع بحثنا – وقد قالها بعد صلبه، ورفعه على الأعواد ومطلعها:

عُلـوٌّ في الحـياةِ وفي المَمـاتِ   لَحَـقٌّ أنـتَ إحدى المُعجـزات

والثانية: مقطوعة قالها بعد إنزاله ودفنه في التراب، وذلك بعد موت عضد الدولة، وقد قال فيها:

والخيال فيها، فالرثاء له في هذه القصيدة نكهة خاصة، وطعم مميز .

وردت قصيدة ابن الأنباري في رثاء ابن بقية(*) في مصادر متعددة، فقد ذكرها الثعالبي في يتيمة الدهر، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، وقد اختلف ترتيب أبياتها في النجوم الزاهرة اختلافًا بسيطًا، أما في كتاب الثعالبي، « أحسن ما سمعت» ، فقد جاءت القصيدة

= لم يلحقوا بك عارًا إذ صلبت بلى ... باؤوا بإثمك ثم استرجعوا ندما

وأيقنوا أنهم في فعلهم غلطوا ... وأنهم نصبوا من سؤدد علما

فاسترجعوا ووارو منك طود علا ... بدفنه دفنوا الإفضال والكرما

لئن بليتَ فلا يبلى نداك ولا ... ينسى وكم هالكٍ يُنسى إذا عُدما

تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما ... مازال مالك بين الناس منقسما[٢]

(*) ابن بقية: هو محمد بن محمد بن بقية بن علي، الملقب بـ(نصير الدولة)، وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة البويهي.

ابتدأ حياته في مطبخ معز الدولة البويهي والد عز الدولة، ثم تطورت حاله بعد موت معز الدولة، فصار وزيرًا عند عز الدولة، يساعده في ذلك خلقه الحسن، وصدره الواسع، وكرمه الذائع .

لكن العلاقة ساءت بين عز الدولة ووزيره ابن بقية بعد انكسار الأول في موقعة حربية خاضها مقاتلاً ابن عمه عضد الدولة، عزا سبب هزيمته فيها لرأي ابن بقية ومشورته، فقد كان يوغر صدره باستمرار على ابن عمه عضد الدولة، فقبض عليه، وسمل عينيه سنة ٣٦٦هـ، ولزم بيته بمدينة واسط ولما مات عز الدولة دخل عضد الدولة بغداد، وطلب ابن بقية، وأمر بإلقائه تحت أرجل الفيلة حتى الموت، ثم صلبه، وقد كان هذا سنة ٣٦٧هـ[٣].

ناقصة أربعة أبيات، هي: الحادي عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر[٤].

النــص

عُلُــوٌّ في الحــياةِ وفي الممــاتِ	لحَــقٌّ أنــتَ إحــدى المعجزاتِ
كــأنَّ الــناسَ حولَك حين قاموا	وفــودُ نَــدَاك أيــام الصِّــلاتِ
كــأنك قــائمٌ فــيهم خطيــبًا	وكُلُّهــمُ قِــيامٌ للصَّــلاةِ
مَــدَدْتَ يديــك نحوهمُ احتفاءً	كَمَدِّهمــا إلــيهم بالهِــباتِ
ولَمّــا ضاق بطنُ الأرض عن أن	يضُــمَّ عُــلاك مِــن بعد المماتِ
أصــاروا الجــوُّ قَبْرَكَ واستنابوا	عــن الأكفــانِ ثوب السافياتِ
لعظْمِــكَ في النفوس تبيت تُرعى	بحُفَّــاظٍ وحُــرَّاسٍ ثقــاتِ
وتُشْــعَلُ عــندك النــيران ليلاً	كذلــك كنــت أيــام الحــياةِ
ركبــت مطــيةً من قبلُ زيدٌ(*)	علاهــا في الســنين الماضــياتِ
وتلــك فضــيلة فــيها تــأسٍّ	تُــباعد عــنك تعيــير العُــداةِ
ولم أر قــبل جذعك قطُّ جذعًا	تمكَّــن مِــن عِــناق المكرماتِ
أســأت إلى النوائــب فاستثارتْ	فأنــت قتــيل ثــأر النائــباتِ
وكنــتَ تُجيرُ من صَرف الليالي	فعــاد مطالــبًا لــك بالــتِّراتِ

(*) زيد المقصود هنا هو: أبو الحسين، زيد بن زين العابدين، علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ﷺ ، ظهر في أيام هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢هـ، ودعا لنفسه، فأرسل له يوسف بن عمر الثقفي والي العراقين جيشًا على رأسه العباس المُرِّي، فقُتل وصُلب في الكوفة، وقصته وردت مع القصيدة في وفيات الأعيان.

وصيَّر دهرُك الإحسانَ فيه إلينا من عظيم السيئاتِ
وكنت لمعشر سعدًا فلما مضيتَ تفرقوا بالمنحساتِ
غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي يُخفَّف بالدموع الجارياتِ
ولو أني قَدرْتُ على قيامٍ لفرضكَ والحقوقِ الواجباتِ
ملأتُ الأرضَ من نظمِ القوافي ونحتُ بها خلافَ النائحاتِ
ولكني أُصبِّر عنك نفسي مخافة أن أُعدَّ من الجُناةِ
وما لك تربة فأقول تُسقى لأنك نَصْب هَطْلِ الهاطلاتِ
عليك تحية الرَّحمن تترى برَحَمات غوادٍ رائحاتِ

تركيب القصيدة العام:

نستطيع القول إن قصيدة ابن الأنباري في رثاء ابن بقية تقوم على مستويين اثنين من طبقات ردة الفعل والتأثر هما :

أ- **ردة الفعل الأولى:** وهي ذات وتيرة عالية في الإباء والشموخ والرفض والتحدي لكل مشاهد الصلب والموت في حالة ابن بقية المرفوع على الأعواد، وقد طال نَفس الشاعر فيها، فاستغرقت من القصيدة خمسة عشر بيتًا، وهي الأولى على الترتيب، ومبدأها هذا المطلع السامق :

عُلوٌ في الحياة وفي الممات لَحَقٌّ أنتَ إحدى المُعجزاتِ

ومنتهاها قوله:

وكنْتَ لِمعْشَرٍ سعْدًا فلما مضَيتَ تفرَّقوا بالمنحِسَاتِ

ب- **ردة الفعل الثانية:** وهي ذات وتيرة عاطفية مأزومة مكبوتة، فيها حزن دفين يمور مورًا بين ضلوع الشاعر، وفيها اعتذار حسن من

الشاعر عن تقصيره بحق صديقه ابن بقية، ثم أتبع اعتذاره دعاء مخلصًا صادقًا، وقد شغل هذا الجزء، الأبيات الستة الأخيرة من القصيدة، ومبدؤها :

غليلٌ باطِنٌ لك في فؤادي يخفّف بالدموع الجاريات

ومنتهاها قوله:

عليكَ تحيةُ الرحمنِ تترى بِرَحماتٍ غوادٍ رائحات

ولعل من الجدير ملاحظته على طبيعة ردة الفعل هنا، أنها جاءت معاكسة للمعهود في مواقف الحزن والتأثر، فالمألوف في غالب مواقف التأثر هو البكاء والدموع، وهذا ما سنعالجه في هذا البيت تحت عنوان مستقل هو «العاطفة».

ولكن الشاعر في هذه القصيدة بدا واعيًا متماسكًا، وذا قدرة عجيبة في قراءة مشاهد المصلوب وتأويلها بأروع الدلالات وأجملها، وهو ما سنعالجه في هذا البحث تحت عنوان «الخيال» .

ولكننا لن نسير على ترتيب القصيدة فسنبدأ حديثنا عن العاطفة أولاً، ثم عن الخيال ثانيًا لأن العاطفة هي مبعث الخيال ومادته، وجناحه الذي يحلّق به.

العاطفة الإنسانية في مواجهة الموت :

الموت حقيقة واقعة، وحدث معيش، والناس، كل الناس تؤمن بالموت، وتعرف أنها على موعد معه، وقد كان «فولتير» يقول: إن الجنس البشري هو الجنس الوحيد الذي يعرف أنه سيموت، وهو يعرف ذلك من خلال التجربة(٥).

والذي لا شك فيه، أن الموت يشكّل تهديدًا لرغبة الإنسان الجامحة في البقاء، ويمثّل تناقضًا حادًا مع ميل الإنسان نحو الخلود والأبدية، كما أن نسيان

الموت، أو تناسيه، يعدُّ بالنسبة للإنسان خيانة عظمى لذاته الشخصية[٦].

ولقد بقيت فكرة العدم المقترنة بالموت مصدر قلق وحيرة للإنسان عبر الأزمنة، وسعى الفكر الإنساني للخروج من هذه المتاهة عبر وسائل ومُسَوِّغات عقلية مختلفة، كما هو الحال في الفكر الأسطوري، الذي هو شكل من أشكال الحياة الأخرى، وخصوصية وجودية، داخل ليل سرمدي حالك[٧].

ولعل صدمة الإنسان العاطفية الأولى مع الموت ترجع إلى جلجامش، الذي صرخ مفجوعًا أمام حقيقة ما رآه من موت صديقه «أنكيدو» قائلاً: الويل لقلبي كم أخاف الموت...! هل سأموت مثل «أنكيدو» ؟ ! سأذهب إلى « أوتانا بشتم » فهو الوحيد الذي نجا من الطوفان، وكانت له الحياة الأبدية، ولابدّ له أن يُدلّني على الطريق[٨].

لاشــك أن صـــرخة «جلجامش» أمام حدث الموت الجلل الذي لحق بصديقه «أنكيدو» قد تكرر عبر الزمن بأشكال وصور عديدة، وهاهي الصرخة تـــتكرر في مشهد قريب على لسان «ابن الأنباري» متفجعًا على صديقه «ابن بقية» ، وقد هاله منظر الصلب والرفع على الأعواد، فرفع عقيرته قائلاً:

علـــوٌّ في الحـــياة وفي الممـــات لحـــق أنـــت إحـــدى المعجزات

ولئن سعى « جلجامش» في درب البحث عن الخلود لنفسه، بعدما رأى صديقه « أنكيدو» رهين الموت، فإن ابن الأنباري سعى في درب الشعر، فحقق خلودًا معنويًا له ولصديقه ابن بقية بهذه القصيدة الذائعة الصيت، وتمكّن بجدارة أن يغيِّر مفهوم الموت الذي هو فناء وعدم، إلى حياة وبقاء، وشهرة، وشوق دائم، حتى جعل القاتل يتمنى بعد سماعه

القصيدة، أن يكون هو المقتول[٩]، وصدقت «سيمون دي بوفوار»، عندما قالت يومًا: إن الإنسان لا يمكن أن ينهيه الموت أو يقف في وجهه[١٠].

العاطفة في القصيدة:

الأداء اللغوي، هو قسيم الوجدان، ومجسّد المشاعر في ثنايا النص[١١]، والقصيدة في مجملها ترجمة دقيقة، وتطبيق حي نابض للقول السابق، ففيها تتفاعل عواطف متضاربة، هي مزيج معقد مكبوت من الحسرة والندم على الصديق المصلوب المرثي، والنقمة والسخط والغضب على القاتل «العدو المشترك»، يعبّر عن هذا قول ابن الأنباري معتذرًا لصديقه المصلوب:

غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي يُخفّف بالدموع الجاريات

ولو أني قدرت على قيامٍ لفرضك والحقوقِ الواجباتِ

ملأتُ الأرضَ من نظمِ القوافي ونُحتُ بها خلافَ النائحاتِ

ولكنّي أصبِّر عنك نفسي مخافةَ أن أُعدَّ من الجُناةِ

لقد امتلكت هذه القصيدة شحنة عاطفية عالية التوتر، حتى قيل بحقها قديمًا: إنه لم يعمل في باها مثلها[١٢].

يُعرِّف «نزار قباني» القصيدة الشعرية بأنها طعنة جميلة ينزف منها الشاعر والمتلقي[١٣]. وهو تعريف شاعري من شاعر يدرك بإتقان بالغ مفهوم الشعر، ولعل هذه القصيدة، هي خير تفسير لما يقصده نزار قباني من تعريفه السابق، فقد روى ابن خلكان عن ابن عساكر، أن ابن الأنباري بعد أن كتب هذه القصيدة، رماها في شوارع بغداد واختفى، فتداولها الناس، فلما بلغت عضد الدولة، قاتلَ «ابن بقية» تمنّى أن يكون هو المقتول

المصــلوب[١٤]. فالطــاعن يتمنى أن يكون هو المطعون، بعد أن تلقّى هذه القصيدة التي هي بحق طعنة لكنها جميلة...

هذه القصيدة، عجيبة العاطفة، غريبة التأثير، ألزمنا الشاعر مشاركتَه عاطفتَه إلزامًا[١٥] فما إن نسمعها، أو نقرأها، حتى تسري في عروقنا شحنتها العاطفية العالية التوتر، فنشعر أنها تغسلنا من الداخل، وتُطهِّرنا، وتبعث فينا إحساسًا بالتوازن والارتياح، وهذه مهمة الفن الحق فهو تنفيس عن المشاعر، يحدث لطرفين[١٦].

هذه القصيدة – وإن سقطت على خدها دمعة – فقد ظلت عاطفتها عجيبة، خرقت تقاليد شعر الرثاء، فبكاؤها فيه كبرياء وعزة، وألمها صابر يتلظى، وعباراتها لها أنين، وكلماتها لها لهيب، وحروفها تشع بريق صدمة وإخلاص يعانق الروح.

العاطفة في هذه القصيدة مثل «جارية هارون الرشيد» «دنانير» البرمكية، التي غنَّت وهي تبكي، وبكت وهي تغني، ووراء هذا الكبرياء الشامخ، والرفض المتعالي، والسخط المتوهج، حزن عميق موّار .

إنها عاطفة حزينة جدًا... لكنه حزن معجون بطعم الصبر والكبرياء إنه مثل حزن محمود سامي البارودي :

يســـرق الدّمـــع في الجيوب حياءً   و«بهـــا» مـــا «بها» من الأشواق

إنها عاطفة تتجلّد كي تُري الشامتين أنها لريب الدهر لا تتضعضع .

الخيال في القصيدة :

الخيال أساس الشعر، وطاقته الحيوية النفّاذة، به يرى الشاعر ما لا يراه

الإنسان العادي، وهو لب القصيدة ومعدنها .

وليس الخيال خطوطًا تتلاقى وأصباغًا تُطلى، بل هو روح تسري، وجوهر يترسخ، فقد تكون القصيدة ملأى بالتَّشابيه، لكن دون حيوية، وقد تكون القصيدة خالية من الصور، ولكن الخيال فيها يشعُّ ساطعًا قويًا .

يورد «عبد الرحمن شكري» في حديث له مقطوعة شعرية لشاعر يرثي فيها زوجته، وقد خلَّفت وراءها طفلة يتيمة فيقول:

فلقــد تركــتِ صغيرةً مرحومةً   لم تــدرِ ما جزعٌ عليك فتجزعُ
فَقَــدتْ شمائلَ من لزامكِ حلوةً   فتبيــتُ تُســهر أهلَهَــا وتفجَعُ
وإذا سمعــتُ أنيــنها في ليــلها   طفقتْ عليكِ شؤونُ عيني تدمعُ

ثم يُعقِّب «عبد الرحمن شكري» على الخيال في هذه الأبيات بقوله: ... فهو لم يعلمك شيئًا جديدًا، ولكنه ذكر الحقيقة، وهذا أجلُّ التَّخيل(١٧).

إذًا، فالخــيال يــتعدى الرســم بالكلمات، إلى قوة الإيحاء، وتحفيز الكوامــن الداخلــية للنفس، وتحريك عدسة العين الداخلية، التي لها حرية الرسم واللون فيما تفرضه الفكرة على العاطفة والعقل .

وإذا مــا نظرنا في القصيدة التي بين أيدينا، وجدنا أن ما صنع الخيال فــيها أمــران هما: ما رسمه الشاعر من صور جميلة رائعة لفكرةٍ حزينة، وما تســتدعيه فكــرةُ الموت مجردةً من بواعث الخيال، فكيف وقد جاء الموت مقرونًا بالصلب والرفع على الأعواد ! .

لقد اجتمع للخيال في هذه القصيدة « شاعرية» الفكرة المجردة والتهابها، وجمالُ اللوحات التي أبدعها خيال الشاعر على وقود العاطفة

المتأججة المتسعِّرة، فبدا لنا وجدان الشاعر مرسومًا بالحرف والخط واللون والطعم، وغدت عين الشاعر قلبًا ينبض، وتحوَّل قلب الشاعر عينًا نجلاء محدقة بهذا الصديق المصلوب، وحالت القصيدة كاملة «تَميمَةً» تَخطُب ودَّنا، وتسحرنا بشاشاتها الصغيرة(١٨)، كما يقول «رولان بارت» .

إن «الشاشات الصغيرة» التي قصدها «بارت» هي المصطلح العلمي المعاصر الذي تفرضه التكنولوجيا اليوم على مفهوم الصورة والخيال في النصوص، وهي ذات أهمية بالغة في التعبير عن الفكر في مجال الشعر، وغير الشعر، ولها في الشعر مكانة خاصة.

ولئن رأى «كَانْت» أن الشعر هو «التفكير بالصور»(١٩)، بطريقة فنية، وهذا تعريف رائع يعبِّر عن متانة العلاقة بين الفكر والفن، وعمق عملية الصياغة الشعرية في ذات الشاعر الحقيقي – فإن «هازلت» – رآه لغة الخيال العاطفة(٢٠)، معًا التي تُترجم وتَبيْنُ ببلاغة عن التفاعل بين الشعر والأحاسيس والعقل المحلِّق في سماء الفن والجمال .

ولعل «سارتر» هو الشخص الذي أجاب عن وظيفة الخيال النفسية، وذلك حين رأى فيه وسيلة للمباعدة بين الإنسان والواقع، إذ يهرب الإنسان من خلاله إلى عالم الحرية، البديل لعالم الواقع بما له من قدرة على الرفض ونفي الواقع(٢١).

فلقـــد تجلّـــى الرفض في هذه القصيدة للموت والصلب بشكل طاغٍ لافـــت، وهكذا هو الشعر، فما الشعر عند «نزار قباني» إلا عمل من أعمال الـــرفض، لا القبول، وليس الشعر عنده مواطنًا من مواطني مدينة «نعم» بل

هو مواطن من مواطني مدينة «لا» [٢٢].

الرفض في القصيدة :

المواجهة بين العاطفة والخيال في موضوع الموت، موت الأصدقاء و«صَلْبهم» لها صدى خاص بارز تمثّل بالإنكار والرفض الحاد الصارخ، فلقد ارتسمت على النص كاملاً، «لا» كبيرة متأبية رافضة، رسمها الشاعر «ابن الأنباري» عندما شاهد صديقه «ابن بقية» مرفوعًا على الصليب، حتى بدت القصيدة كاملة صرخة رفض يصرخها الشاعر في وجه الموت الذي يعاينه ويعانيه.

يمكننا تبين تفاصيل الرّفض التي جاءت في القصيدة، عبر الوسائل التالية التي عمد الشاعر إلى استعمالها من خلال يد الشعر الماهرة في إعادة تشكيل الزمن، وترتيب الأشياء، كما يقول نزار قباني [٢٣].

١– الرفض بالصورة: بمعنى رؤية الصورة على خلاف ظاهرها المُشَاهَد بالعين المجردة، وقد تجلى ذلك بالمشاهد التالية :

أ – صورة المصلوب المرفوع على الأعواد: لا تبدو في نظر الشاعر للإهانة والتشهير، كما هو الغرض من الصَّلب في أساس عمله، بل هو احترام وتقدير ورفعة، ولهذا قلب الشاعر الصورة فورًا، ومن مطلع القصيدة قائلاً:

علو في الحياة وفي الممات   لحق أنت إحدى المعجزات

وحتى يكون الشاعر مقنعًا في قلب صورته، جعل هذا الأمر متعلقًا بالمعجزات الخارقة للعادة والمألوف، فإذا كان قانون الموت يستوجب الدفن في بطن الأرض لمن يموت، فإن ابنَ بقية «لا» ينطبق عليه هذا الناموس، لأن الدفن في التراب هبوط ونزول وغياب، وابن بقية لا تليق بمكانته هذه الأمور

الهابطة، فلا بد من الارتفاع بعد الموت ارتفاعًا يليق بمكانته في الدنيا، ولذلك فالصلب تكريم وتعظيم، لا عقوبة وتنكيل .

ب – صورة النّاس حول ابن بقية المصلوب :صوَّر ابن الأنباري الناس المحيطين بابن بقية مصلوبًا بثلاث صور أوَّلَها على غير ظاهرها .

١– الصورة الأولى: وقد رآهم فيها طلاب نواله، يسألونه العطايا كما كانوا يقصدونه في حياته :

كأنَّ الناس حولك حين قاموا وفود نداك أيام الصِّلات

٢– الصورة الثانية: وفيها رآهم مصلّين يصغون إليه وهو خطيب يعتلي أعواد الصلب منبرًا :

كأنك قائم فيهم خطيبًا وكلهم قيام للصلاة

٣– الصورة الثالثة: رأى الشاعر فيها جند «عضد الدولة» المحيطين بهذا المصلوب حرَّاس شرف وتعظيم له، يحمونه من كل مكروه، ويحافظون عليه من كل سوء، كما أن النار التي كانوا يشعلونها حوله ليلاً، هي علامة كرمه، ونداء الكرماء الصامت في ليل الصحراء :

لعظْمِكَ في النفوس تَبيت تُرعى بحُفّاظٍ وحُرَّاسٍ ثِقات

وتُشْعَل عندك النّيرانُ ليلاً كذلك كنت أيام الحياة

ج – صورة المصلوب ممدود اليدين: يدا ابن بقية المفتوحتان والمسمرتان على خشبة الصلب بدتا للشاعر حركة إرادية مقصودة يقوم بهما المصلوب مرحِّبًا بقُصَّادهِ وزُوَّاره وضيوفه، يقضي بهما حاجاتهم كما كان يفعل في حياته الدنيا :

مــدَدْتَ يديــك نحوهم احتفاءً كمدِّهمـــا إلـــيهم بالهِـــبَاتِ

٢- الـــرفض بالـــتأويل: ونعني به، الخروج بتفسير مشرِّف، لأمور ظاهرها غير باطنها، أو بتقديم الأعذار مثل :

أ – تأويل سبب الصلب وعدم التكفين :

الشاعر ماهر في التأويل والتسويغ، بارع في إيجاد المخارج، قادر على التأثير والإقناع، تدفعه عاطفة وقّادة صادقة، حتى نجح في دفع القاتل إلى تمنّي أن يكون هو المقتول .

إنّ صلب ابن بقية، ونشر جسده في الجو من دون كفن كما يُفْعَل مع الأموات العاديين، ليس عقابًا له، بل ضيق في مساحة الأرض التي لم تعُد قادرة على استيعاب جسد هذا العظيم، ثُم إن القماش لا يليق بقيمة هذا الميت، لذلك عمدوا إلى دفنه في الجو وتكفينه بغبار الرياح:

ولمـــا ضاق بطن الأرض عن أن يضـــم عـــلاك مـــن بعد الممات

أصـــاروا الجـــو قبرك واستنابوا عـــن الأكفـــان ثوب السافيات

ب – تأويل سبب القتل:

إن كانـــت الناس تُقتل انتقامًا منها لأعمال سيئة ارتكبتها، فإن «ابن بقية» قتله أعماله الصالحة الطيبة التي أغاظت النوائب، لأنها عطّلتها عن عملها، وحدَّتْ من تأثيرها السيئ، وهي التي لا تريد أن يقف في وجهها واقف؛ ولذلك حشدت عليه قواها لتتحرر من هذا الخطر الذي يُضيِّق عليها، ويُخفِّف من شدَّتها:

أســـأتَ إلى النوائـــب فاستثارتْ فأنـــت قتـــيل ثـــأر النائـــبات

وكنـــت تجـــير من صرف الليالي فعـــاد مطالـــبًا لـــك بالـــترات

لقد كان «ابن بقية» يُعين على نوائب الدهر، ويمنع من استفحالها، ويصدُّها عن التَّمكُّن من الفتك بضحاياها، وإكمال أدوارها في إيذاء الناس، وهذه أعمال محمودة في أزمنة ليست كزمانه الرديء، الذي انعكست فيه القيم، وتبدَّلت المفاهيم حتى صار الإحسان فيه إساءة .

وصـيَّر دهـرك الإحسـان فيه ... إليـنا مـن عظـيم السـيئات

ج – تأويل سبب التقصير :

يرى الشاعر نفسه مقصِّرًا بحق صديقه الحميم «ابن بقية»، فيعلن عدم قدرته على إعلان حقيقة مشاعره بسبب خوفه من العقاب من العدو المشترك:

غلـيلٌ بـاطنٌ لـكَ في فؤادي ... يُخفَّـف بـالدموع الجاريـاتِ

ولـو أني قَـدرْتُ عـلى قـيامٍ ... لفَرْضِـكَ والحقـوقِ الواجباتِ

مـلأتُ الأرضَ من نظمِ القوافي ... ونُحـتُ بهـا خلافَ النائحاتِ

ولكـني أُصـبِّر عـنك نفسي ... مخافـةَ أن أُعـدَّ مـن الجـناةِ

د – التأويل في طبيعة الدعاء:

من عادة الداعين للأموات أن يدعوا لهم بالسقيا، لكن الشاعر اعتذر من عدم دعائه بهذا التقليد؛ لأن الدفن هنا غير تقليدي، ولذلك قال:

ومـالك تـربةٌ فـأقولَ تُسقى ... لأنـك نَصْـبُ هَطْلِ الهاطلاتِ

علـيكَ تحـيةُ الـرَّحمنِ تـترى ... بـرَحَمَات غـوادٍ رائحـاتِ

وهكـذا، فقـد سـيطرت على الشاعر فكرة «الرفض» فقلب الأشياء، وعكـس الـتأويل، لكـن بفن ووعي وإدراك مذهل، مستفيدًا في كل هذا من وظيفة الخيال النفسية، فكان بحق أنموذج الوفاء، وعنوان الصداقة ورمز الأخلاق.

الخاتمة:

الشعر محكوم بقدرته على التَّميُّز، فلربما تشابه القول في المحتوى، وهذا ليس ذا قيمة، بل القيمة في اختلاف التعبير، وخصوصية الأداء، وهذه القصيدة الرائعة تدفعنا إلى السؤال عن ماذا قال الشاعر، وكيف قاله مع سعة ميدان الرثاء واتساعه، فالقصيدة رثائية، لكنها ليست كلمات مرصوفة، ولا دموعًا سخينة مذروفة، بل هي حروف من إحساس، وخيال من أعصاب تقاوم فكرة العدم، تحوَّلَ الموت فيها إلى حياة وخلود وشهرة، وصار الاستسلام للموت تحديًا ورفضًا.

لقد كسرت هذه القصيدة مفهوم الموت والصلب، وأعادت تشكيلهما من جديد بصورة مذهلة دفعت القاتل بعد سماعه لها أن يتمنى لو كان هو المقتول !

إنها قصيدة مثيرة في فنها، وموضوعها، إنها شعر راق، وصداقة حقة، ووفاء مُؤَثِّر، وخلق نادر

الهوامـــش

١- وفـــيات الأعيان. ابن خلكان. تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت. ج٥، ص: (١٢٢).

٢- المصدر السابق، ص(١٢١).

٣- المصدر السابق، ص(١١٨- ١١٩) .

٤- وفـــيات الأعـــيان. ابن خلكان ج٥ ص (١٢٠- ١٢١) وانظر يتيمة الدهر. الثعالبي دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ج٢، ص (٤٣٩ - ٤٤٠) وقـــد انفـــرد صاحب اليتيمة بتسمية ابن بقية بمحمد بن القاسم وكنّاه أبا بكر. وانظر كتاب أحسن ما سمعت. الثعالبي. تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار الطلائع. القاهرة، ١٩٩٢، ص (١٦٥- ١٦٧).

٥- الموت في الفكر الغربي، جاك شوردن، ترجمة كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤، ص (٨) .

٦- مشكلة الحياة . زكريا إبراهيم ، دار مصر للطباعة ، بدون طبعة أو تاريخ ، ص (٢٠٥) .

٧- المـــوت والمغامـــرة الروحية، محمد منير منصور، دار الحكمة – دمشق، بيروت ١٩٨٧، ص (١٤) .

٨- المرجع السابق، (ص١٤) وانظر ملحمة جلجامش، ترجمة سامي سعيد الأحمد، دار الجيل – بيروت، ١٩٨٤، ص (٣٨٤).

٩- وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٥، ص (١٢١).

١٠- مقـــالات فلســـفية حول القيم والحضارة. أميرة حلمي مطر، مكتبة مدبولي، القاهـــرة، ص: (١٠). وانظر مطول الإنسان روح وجسد، رؤوف عيد، مطبعة

نهضة مصر، ط٣، ج١، ص (٦٣، ٦٧) .

١١– مداخــل لتحليل النص الأدبي، إشراف عز الدين إسماعيل، مطابع المنار العربي، الجيزة، ط١، ١٩٩٩، ص (٥)، بحث رجاء عيد .

١٢– وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٥، ص (١٢٣).

١٣– ما هو الشعر ، نزار قباني ، منشورات نزار قباني، بيروت، ط١، ١٩٨١، ص (٤٩).

١٤– وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٥، ص (١٢١).

١٥– نظــرية الأدب رينية ويلك وأوستن وارين، تعريب عادل سلامة، دار المريخ، السعودية، ١٩٩٢، ص: (٥٢).

١٦– معــنى الفــن، هربرت ريد. ترجمة سامي خشبة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص: (٥٥).

١٧– المجموعة الكاملة لأعمال عبد الرحمن شكري النثرية، تحقيق زكي كتانة، مكتبة النجاح، نابلس، ط١، ١٩٨١، ص(٥٨٩– ٥٩٠).

١٨– لــذة النَّص، رولان بارت، ترجمة فؤاد صفا، دار توبقال، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨، ص (٤٤).

١٩– النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، ص (٣٨٨)

٢٠– آراء حــول قــديم الشــعر وجديده، طلال الحديثي، كتاب العربي عدد١٣، ١٩٨٦، ص (٩٥).

٢١– مقالات فلسفية حول القيم والحضارة، أميرة حلمي مطر، ص (٦٣).

٢٢– ما هو الشعر، نزار قباني، ص (٤٦).

٢٣– المرجع السابق، ص (٣٤).

فهرس موضوعات مجلة اللسان العربي

من العدد ١-٤٧

(القسم الرابع)[١]

حرف الميم

إعداد: أ. عدنان عبد ربه

---

(١) نشر القسم الأول في المجلد ٧٦ الجزء الرابع، ونشر القسم الثاني في المجلد ٧٧ الجزء الثاني، ونشر القسم الثالث في المجلد ٧٨ الجزء الثاني.

المصطلح العربي من أول أدوات التعبير في القانون الأوربي		– أثر الفقه الإسلامي في مدونات الغرب
المصطلح العلمي بين التأصيل والتجديد	د. إدريس نقوري	١٤٠/٤٦
المصطلح العلمي بين الترجمة والتعريب	د. عبد الوهاب نجم و أ. صباح صليبي الراوي	٨٥/٣٢
المصطلح العلمي العربي قديمًا وحديثًا	د. مناف مهدي محمد	١٤٣/٣٠
المصطلح العلمي ومجاله الاستعمالي في المعجم العربي المعاصر	د. الجيلالي حلام	١١٩/٤٥
المصطلح العلمي والمعجم الموحد...	المكتب الدائم للتعريب	١٣٩/٤٤
المصطلح العلمي والمعجم الموحد (معجم الفيزياء الموحد نموذجًا)	أ. محمد الخمري	١٨٧/٤٤
المصطلح الكيميائي في التراث العربي	د. جابر الشكري	١٥١/١/١٧
المصطلح اللغوي وسبل توحيده	د. أحمد نعيم الكراعين	٣٣٠/٣٩
المصطلح الموحد ومكانته في الوطن العربي	د. علي القاسمي	٨١/٢٧
مصطلحات الآلات والأدوات والأجهزة (إنكليزي – فرنسي – عربي)...	أ. عبد العزيز بنعبد الله و أ.جمال عبد الفتاح صبري	٣٠٩/٢/١٦
مصطلحات أجنبية أصلها عربي...	أ. أبو فارس	٤٣٠/١/٩
مصطلحات أجنبية أصلها عربي	د. معروف الدواليبي	٩٣/١٣
مصطلحات الإحصاء في التعليم العالي (إنكليزي – فرنسي– عربي)	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	١/٣/١٥ ترتيب خاص

مصطلحات أدبية معاصرة (عربي – فرنسي)	د. سعيد علوش	١٧٣/٢٩
مصطلحات الأرصاد الجوية	مجمع اللغة العربية الأردني	٢٩١/٢/١٧
المصطلحات الأساسية في فن العمارة (عربي – فرنسي – إنكليزي)	د. عبد القادر الريحاوي	٢٤٥/٣١
مصطلحات إضافية في هندسة الطرق	د. فاضل حسن أحمد	٢٧٧/٢٦
مصطلحات الأطعمة في العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى	د. عبد الكريم العوفي	٢٦٥/٤٧
المصطلحات الإعلامية	إعداد المكتب الدائم للتعريب	٦٠٧/٢/٨
المصطلحات الإعلامية	م. مصطفى بنموسى	٣١٦/٢/٩
مصطلحات اقتصادية (إنكليزي – عربي)	د. محمد عبد الحميد الشحات	٧٣/٢/١٧
مصطلحات الأمراض النفسية والعصبية (إنكليزي – عربي)	د. عمر الجارم	١٧٣/٢/١٧
المصطلحات البيداجوجيه (فرنسي – إنكليزي – عربي)	د. المنجي الصيادي	٣١١/٢/١٥
مصطلحات التاريخ في التعليم العام (إنكليزي – فرنسي – عربي)	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	١/٣/١٥/ «ترتيب خاص»
مصطلحات تاريخ القرون الوسطى	د. توفيق سلطان اليوزبكي	٣١٥/٢/١٧
مصطلحات التجارة والاقتصاد، والمصارف (إنكليزي – فرنسي – عربي)	مجمع اللغة العربية الأردني	٢٤٠/٢/١٨

مصطلحات التدفئة المركزية، والأدوات الصحية (إنكيزي – عربي)	مجمع اللغة العربية الأردني	١١١/٢/١٩
مصطلحات التربية والتعليم (إنكليزي – فرنسي – عربي)	د. أحمد زكي بدوي	١٩٢/٢/١٨
مصطلحات تشريع العمل الموحد	نقابة المحامين في سورية	٢٧٨/٣
المصطلحات التعليمية (فرنسي –إنكليزي – عربي)	د. المنجي الصيادي	١٥٤/٢/١٦
مصطلحات تقنية فلاحية (مديرية البحث الزراعي في الرباط)	أ. محمد بتريان و أ. عبد الرحمن العلوي	٢٥٧/٢/١٧
مصطلحات تقنية كهربائية (الشركة العامة للكهرباء في المغرب)	أ. عبد الجليل بلحاج و أ. عبد الرحمن العلوي	٢٥٥/٢/١٧
مصطلحات التكييف والتبريد (إنكليزي – عربي)	مجمع اللغة العربية الأردني	٩٩/٢/١٩
المصطلحات الجغرافية	د. يوسف توني	٤٣٥/١/٩
مصطلحات الجغرافية للمدارس الثانوية في تونس	د. المنجي الصيادي	٣١٨/٢/١٧
مصطلحات الجغرافيا والفلك في التعليم العام (إنكليزي – فرنسي – عربي)	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	٩٣/٣/١٥
مصطلحات الجيوفيزياء التطبيقية (إنكليزي – عربي)	د. رغدان العظم	١٧٥/٣٥
مصطلحات حفر الآبار النفطية	د. جمال الدين المظفر	٥١/٢/١٨
مصطلحات حول مساطر المشتغل	وزارة التجارة المغربية	٢٥٩/٤

مصطلحات شغل المعادن (إنكليزي – عربي)	د. محمود فوزي حمد	٢٢٠/٢/١٧
مصطلحات الطاقة النووية	اتحاد المترجمين الدولي وضع مقابلاتها العربية: عبد الرحمن العلوي	١٣٧/٢/١٩
مصطلحات طب الأسنان عند الرئيس «ابن سينا»	د. عبد الغني السروجي	٣٧/٢/١٠
مصطلحات الطب الإشعاعي	اتحاد المترجمين الدولي وضع مقابلاتها العربية: عبد الرحمن بدوي	١٥١/٢/١٩
مصطلحات الطحانة والخبازة (إنكليزي – فرنسي – عربي)	مكتب التسويق والتصدير وأ. جمال عبد الفتاح صبري	٤٢٣/٢/١٦
مصطلحات الطرق (فرنسي – إنكليزي – عربي)	د. محمود فوزي حمد	١٩٩/٢/١٧
مصطلحات عربية في علم البيئة	د. محيي الدين قواس	٢٠٧/٣٥
المصطلحات العسكرية	أ. محمود شيت خطاب	١٩٥/٥
المصطلحات العسكرية	مجمع اللغة العربية الأردني عرض: إسلمو ولد سيدي أحمد	٣٥٨/٢٦
المصطلحات العسكرية في القرآن	أ. محمود شيت خطاب	١٥٤ /٤
مصطلحات علم الاجتماع وعلم النفس والانثربولوجيا الاجتماعية (فرنسي – إنكليزي – عربي)	د. رشدي فكار	١٩/٢/١٦، ٣/٢/٢٧

مصطلحات علم الجيوكيمياء	د. أحمد محمد بشاوي د. إبراهيم العوضي عبد العزيز	١١١/٢/١٧
مصطلحات علم الجيولوجيا	كلية العلوم (جامعة دمشق)	٤٤١/٦
مصطلحات علم الصحة وجسم الإنسان في التعليم العام (إنكليزي - فرنسي - عربي)	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	١/٣/١٥ (ترتيب خاص)
مصطلحات علم النبات	«مجمع اللغة العربية بالقاهرة»	٤/ ٢٣٨
مصطلحات علم النفس التحليلي (إنكليزي - عربي)	د. عبد الرحمن عيسوي	٥٣/٢/١٧
مصطلحات علم النفس التربوي (إنكليزي - عربي)	د. عبد العلي الجسماني وآخرون	١٣٦/٢/١٨
مصطلحات علم النفس المهني	د. عبد الرحمن عيسوي	٦١/٢/١٧
مصطلحات علم النفس الواردة في كتاب المدخل إلى علم النفس الحديث	تعريب د. عبد العلي الجسماني	١٤٣/١/١٨
مصطلحات علم الوراثة والعلوم الوراثية (إنكليزي - عربي)	د. محمد السهريجي د. أحمد المتيني د. جعفر الملاح	١١٧/٢/١٧
المصطلحات العلمية الثابتة	عبد الحميد إبراهيم إبراهيم	٦٠/٣
المصطلحات العلمية في اللغة العربية	-	الأمير مصطفى الشهابي وكتابه
مصطلحات علمية مختلفة من اتحاد المترجمين الدولي بفارسوفيا..	أ. محمد بنزيان، أ. توفيق عماري، أ. عبد الرحمن العلوي	١٨٥/٢/١٧

المصطلحات العلمية وأهميتها في مجال الترجمة	د. أحمد الخطاب	٤٧/ ٢١١
المصطلحات العلمية يجب أن تجمع بين البساطة والدقة	أ. عبد المنعم التونجي	٧/٢/٨
مصطلحات العمل (إنكليزي - فرنسي - عربي)	مكتب العمل المغربي التابع لجامعة الدول العربية	٦١/٢/١٤ من اليسار
مصطلحات العنفات	أ. كيفورك ميناجيان	٤٣/٢/٧ و ١٠٤
مصطلحات الفقه المالكي (فرنسي - عربي)	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٣٩٩/٢/١٦
مصطلحات الفقه والقانون (فرنسي - عربي)	د. ممدوح حقي و أ. عبد العزيز بنعبد الله	٧٤/٢/١٤ من اليسار
مصطلحات الفقه والقانون (فرنسي - عربي)	أ. عبد العزيز بنعبد الله تجميع د. عبد الرحمن العلوي	٣٦١/٢/١٦
مصطلحات الفلسفة في التعليم العام (إنكليزي - فرنسي - عربي)	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	١/٣/١٥ (ترتيب خاص)
مصطلحات فلسفية	أ. تيسير شيخ الأرض	١٥٦/٢/٧
مصطلحات الفلك (فرنسي - إنكليزي - عربي)	أ. محمد بن زيان	٢٧٥/٢/١٥، ١٠١/٢/١٦
مصطلحات الفلك في التعليم العالي (إنكليزي - فرنسي - عربي)	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	١/٣/١٥ (ترتيب خاص)
مصطلحات فلكية	د. محمد رضا مدور	٤٦٢/٦

مصطلحات القياس النفسي (إنكليزي – عربي)	د. عبد الرحمن عيسوي	٤٣٧/٢/١٦
مصطلحات كهربائية إلكترونية	المعاهد المجتمعة في المغرب	٣١١/٢/٩
مصطلحات الكيمياء	اتحـاد المترجمين الدولي بفارسوفيا جمع مقابلاتها العربية: أ. عبد الرحمن العلوي	١٤٣/٢/١٩
مصطلحات لأسماء نباتات المناطق الجافة والشديدة الجفاف والصحارى العربية (لاتيني – عربي)	د. محمد نذير سنكري	٢٨٩/٢/١٦
المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية	د. محمد رشاد الحمزاوي	٨٧/٢/١٨
مصطلحات مالية عامة	المكتب الدائم للتعريب	١٤٥/١٣
مصطلحات المطارات (فرنسي – إنكليزي – عربي)	د. محمود فوزي حمد	٢٠٧/٢/١٧
مصطلحات المطاعم (الطبخ)	أ. السـيد ليحى الرامي أونا، وضع المقابل العربي: أ. عبد الرحمن العلوي	٢٥٩/٢/١٧
مصطلحات المِلْكية الصناعية (إنكليزي – فرنسي – إسباني – عربي)	المـنظمة العالمية للملكية الفكرية «ويبو»	٥٧/٢/١٦ و٦٥
مصطلحات مولدة شائعة في الأوساط الكتابية الحديثة من صحف وسواها	أ. عبد العزيز شرف	٢٣٠/١٣
مصطلحات مولدة مقترحة	وضع المقابل العربي أ. محمد بنـزيان	٢٣٨/٢/١٧

مع المعجم الوسيط	مصلحة التعريب	٢/١٠١، ٣/٢٦٧
مع المعجم الوسيط	أ. إدريس حسن العلمي	٦/٥٢٣، ٧/٢/٤٠، ١٤/١/٣٣٨، ٢٣/ ١٠١، ٣٠/٧٥، ٣٣ /١٥١، ٣٧/١٨٤
المعاجم		٤/١٣٩، ٥/١٩٣، ٦/٣٢٣، ٧/٢/٦١
معاجم الأبنية في اللغة العربية	د. أحمد مختار عمر	٨/٣/٩، ١١/١/١٣٣
المعاجم التقنية		٨/٢/٤٧٩
المعاجم التي أقرها مؤتمر التعريب الثالث		١٥/٣/٨٩
المعاجم الحديثة العامة والمختصة	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١٤/١/١٥٥
المعاجم العربية المتخصصة ومساهمتها في الترجمة ونقل التكنولوجيا	د. علي القاسمي	٢٥/٤٥
المعاجم العلمية		٨/٢/٥٣، ٨/٣/٦٣
المعاجم العلمية العربية		٢/٨٥
معاجم مختلفة		٦/٥١٣
معاجم وموسوعات عربية (ببليوغرافيا)	إعداد: أ. عبد الرحمن العلوي	٢٤/٣٠٩
معاجمنا العلمية	المكتب الدائم للتعريب	٣/٢٥٤
معاجمنا في الميزان (ملاحظات المجامع والمجالس العليا للعلوم والجامعات (معجم الكيمياء)	المكتب الدائم للتعريب	٤/٢٦١

معاجمنا في الميزان		٥٢٥/٦، ٢/٧/ ٣٢١ ٣٣/٢/٨
معالجة التعريب في العلوم الهندسية	د. علي محمد كامل	١٣٥/١/١٥
معالجة القواعد في كتب تعليم العربية لغير الناطقين بها...	د. فولديترش فيشر ترجمة: إسلمو ولد سيدي أحمد	٧١/٢٣
معايير استخدام المصطلحات الواردة في المعاجم التي تقرها مؤتمرات التعريب		=اجتماع لجنة تعريب المصطلحات الكويتية
معجم الآلات والأدوات والأجهزة	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٣٤٥/٦
معجم أحاديث الموطأ	أ. أحمد بن عزوز	٣١٤/٣/١٠، ٣١٣/٣/١١
معجم الأحجار والفلزات والمعادن	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٣٠٩/٢/٧، ١٣٩/٣/١٠
معجم الأخلاق	بإشراف: أ. ايغوركون... ترجمة أ. توفيق سلوم عرض: أ. جواد حسني عبد الرحيم	٣٥٩/٢٦
معجم الإدارة العامة	أ. فؤاد حمودة	٢٧١/٢٤
معجم الإدارة العامة والمرافق المختصة	أ. عبد العزيز بنعبد الله..	٧/٢/١١؛ ١١/ ٣/ ١٢١
معجم الإذاعة والتلفزة...	اتحاد الإذاعات العربية	٢٧٤/٣/١٠
معجم الاستشهادات	د. علي القاسمي	٣٣/٤٤
معجم أسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٣٣٠/٦؛ ١١/ ٣/ ٢٨٩

معجم الألوان	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٣٨١/٦؛ ٢٧٦/٣/١٠
معجم الأمراض النفسية والعقلية	د. عمر الجارم	٤٥١/٦
معجم الإنسان الأصيل	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١٣٩/١/١٥
معجم البترول	إعداد: المنظمة العربية للبترول تنسيق المكتب الدائم للتعريب	٤٨١/٢/٨
معجم البناء	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢١٠/٢/٧؛ ١١٣/٣/١٠
معجم التربية والتعليم للأستاذ محمد بن شقرون في الميزان	أ. محمد محمد الخطابي	١٧٨/١/١٥
معجم التربية والوسائل السمعية البصرية (إنكليزي - فرنسي - عربي)	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٣/٢/١٥
معجم التعْدين (فرنسي - إنكليزي - عربي)	د. حمزة الكتاني	٢٨٣/٢٠
معجم التعليم والتدريب	د. المنجي الصيادي	١٩٠/٣٧
معجم التعمير والدراسات التقنية...	أ. محمد طبي	٣٠٣/٤٧
المعجم الجمركي (إنكليزي - فرنسي - عربي)	إعداد: إدارة مصلحة الجمارك بالمملكة المغربية وضع المقابل الإنكليزي: أ. فؤاد حمودة	٢٣٣/٢/١٩
معجم جودة الإنتاج	للمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس تعقيب المكتب الدائم للتعريب	٣٠١/٣/١٠
معجم الجيولوجيا	إعداد: وزارة التربية «ج. ع. م» تنسيق المكتب الدائم للتعريب	٢٤٧/٣/٨

معجم جيولوجيات المياه الجوفية		←معجم الهيدروجيولوجية وعلم المياه الجوفية
معجم الحِرَف والمهن	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢٨٩/٢/٧، ١٠/٣/ ٢١٦، ٢٦٠/٢/١٧
معجم الحِرَف والمهن (فرنسي – إنكليزي – عربي)	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١٩٣/٢/١٤ من اليسار
معجم الحشرات	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٥١٩/٢/٩
المعجم الحضاري	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢٧٠/٣
المعجم الحضاري	أ. يحيى الشهابي	٣٦١/٤
معجم الحيوان	إعداد: وزارة التربية «ج،ع،م» تنسيق المكتب الدائم للتعريب	٣٦٢/٢/٨
معجم الخرائطية (فرنسي – عربي)	أ. عبد العزيز بنعبد الله وأ. محمد بن زيان	٢٧٧/١٣
معجم الدلائلية (فرنسي – عربي)	د. التهامي الراجي الهاشمي	١٤٧/٢٤؛ ٢٢٧/٢٥
معجم الدم	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٤٥٤/٢/٩
معجم الرياضة واللّعب	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٤١٥/٦
معجم الرياضيات	تعليق: أ. جميل علي	٣٦٠/٢/٧
معجم الرياضيات	إعداد: وزارة التربية «ج.ع.م» تنسيق المكتب الدائم للتعريب	٤٨٥/٣/٨
معجم الرياضيين بالمغرب الأقصى	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١٣٤/٣

معجم الزهور	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٩٠/٣/١٠
معجم السكر والبنجر	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢٦٧/٣/١١
معجم السِّمَاكة والأسماك	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٤٠٠/٦
المعجم السياحي	أ. محمود تيمور	٩٦/٢، ٩٨/٢
المعجم السياحي	المكتب الدائم للتعريب	٢٤١/٤
معجم السيارة	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢٨٠/٢/١١
معجم شركة أرامكو للنفط	المكتب الدائم للتعريب	٣٨٢/٢/١١
المعجم الصوفي	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١٧٦/٤
المعجم الصوفي من القرآن	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢٠٩/٤
معجم الطب المبسط إنكليزي – فرنسي – عربي	أ. عبد العزيز بنعبد الله	١٩٧/٢/١٥
معجم الطباخة وأدوات المطبخ	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢٥٣/٢/٧
معجم طبي جديد (مصطلحات في أمراض الأذن والأنف والحنجرة...)	د. شاكر الفحام	١١٠/٢/٧
معجم الطحانة والخبازة والفرانة	مصلحة التعريب	١٠٦/٢
معجم الطحانة والخبازة والفرانة	اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر	٣٢٦/٢/٧
معجم الطحانة والخبازة والفرانة	د. سامي الدهان	٢٨٩/١/١٠
معجم الطيران العام (فرنسي – إنكليزي – عربي)	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٣/٢/١٢ من اليسار
المعجم العبري بين الملابسات التاريخية والواقع اللغوي	د. أحمد شحلان	١٣١/٣٦

المعجم العربي الأحادي اللغة للناطقين باللغات الأخرى	د. علي القاسمي	٧/٢/١٦
المعجم العربي الأساسي: قراءة أولية في الرصيد والتعريف	أ. حلام الجيلالي	١٨٦/٣٨
«المعجم العربي بالأندلس» لعبد العلي الودغيري	تقديم: أ. مساعد عبد الله مساعد	١٩٣/٢٣
المعجم العربي في لبنان من مطلع القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٥٠ «دراسة - وتحليل - ونقد»	عرض: أ. مساعد عبد الله مساعد دة: حكمت كشلي	٣٥٥/٢٦
المعجم العربي لمصطلحات العمل	المكتب الدائم للتعريب	١٧٥/١/١٥
المعجم العربي للمعاني	مصلحة التعريب	١٢٩/١
معجم عربي للمعاني	المكتب الدائم للتعريب	٣٥٥/٥
المعجم العسكري	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٧/٢/١٩
معجم العظام	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٣٨٧/٢/٩
معجم علم الاجتماع تأليف البروفسور دينكن ميتشيل نشر: دار الطليعة	ترجمة ومراجعة: د. إحسان محمد الحسن عرض: أ. هاشم منقذ الأميري	٣٦٠/٢٦
معجم علم الأمراض العمرية والنساعيه من حرف:A إلى OS	إعداد: د. عبد الغني ماجد السروجي	٣٦١/٢/١٩
معجم علم الفلك فرنسي - إنكليزي - عربي	أ. محمد بن زيان	٢٤٧/٢/١٤ من اليسار

معجم علم وتقنية الغذاء (إنكليزي – فرنسي – عربي)	د. حسين عثمان	٢٣٨/٣٧، ٣٨/ ٢٢٤، ١٧٣/٤٠
المعجم العلمي والتقني العام	المكتب الدائم للتعريب	٤٣٧/٦
معجم علوم التربة (إنكليزي – فرنسي – عربي)	إعداد: أ. كارل أ. فرجسون وضع المقابل العربي: أ. محمد بنزيان	١٥٧/٢/١٩
معجم علوم اللغة«إنكليزي – عربي»	د. عبد الرسول شاني	١١٥/٢/١٥
معجم فصائل نباتات الشمال الإفريقي «فرنسي – عربي»	أ. لحسن بنلفقيه	١٨٠/٣٤
معجم الفصيح في العامية المغربية	أ. أنور الجندي	٣٥٧/٥
معجم الفقه المالكي في الميزان	د. عبد الكريم خليفة	٥٤٤/٦
معجم الفقه والقانون	مكتب التعريب	٢٣٣/٥
معجم الفقه والقانون حرف F فرنسي – عربي	أ. عبد العزيز بن عبد الله	١٥/ ٢/ ٣٣١
معجم الفقه والقانون فرتسي – عربي	أ. عبد العزيز بن عبد الله تجميع: د. عبد الصمد العلوي	١٧/ ٢/ ٣٥، ٢٠/ ٣٣١، ٢١/ ٣٢٣، ٢٢/ ٢٥٣

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير
في كتاب القانون لابن سينا
(القسم العشرون)(*)

د . وفاء تقي الدين

بوش دربندي**

بوش دربندي	١: ٢٨٠
البورس الذرنبذي	٢: ٥٩٠

قال ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة: «بوش دربندي. الماهية: هو شياف يجلب من أرمينية يوجد في أظلاف الضأن ... يستعمل على الأورام الحارة والبثور الحارة .. نافع للنقرس الحار ..» كما ورد اسم هذا العقار مصحفًا في سياق بعض الشيافات.

تابع ابن جزلة الشيخَ الرئيس فيما قاله. أما ابن هبل فقال في المختارات:

(*) نشرت الأقسام التسعة عشر السابقة في مجلة المجمع (مج٦٧: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) ومج (٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥).

** منهاج البيان ٥٦ب ومختارات ابن هبل ٢: ٤٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢٢، ومالا يسع الطبيب جهله ١١٥، والألفاظ الفارسية المعرّبة ٣١، وبرهان قاطع ١: ٤٢٨ (پوش).

أشيافًا من أرمينية ونسب إلى هذا العقار المنافع التي ذكرها ابن سينا، ونقل ابن البيطار عن ابن هراردار أنه نبات يدق بجملته ويتخذ منه شياف. وعن ابن رضوان أنه عصارة ورق شجيرة شبيهة بورق الحناء، يؤخذ ورقها وهو رطب فيجمع ويجفف. وعن الرازي أنه الشياف الخوزي(١) الذي يجلب من أرمينية. وفي مالايسع الطبيب جهله أنه نبات يوجد بالجبال وبلاد العجم، وخصوصًا بنواحي شهرزور وأرمن، وهي شجرة لها ورق يشبه ورق الحناء، وبزر له حب مدور إلى الصفار، أصغر من الشهدانج، فيأخذوه(٢) أهل بلاده ويدقوه ويقرصوه ويجففوه ويحملوه إلى البلاد»، وفي برهان قاطع أنه نبات يصنع منه شياف يجلب من أرمينية ويسمى الشياف الخوزي.

كل مانستطيع الجزم به بعد ما أوردناه أن هذا العقار شياف كان يستورد من بلاد أرمينية لم يعرف ابن سينا حقيقته والغالب أنه عقار نباتي.

بوصير*

بوصير	١: **٢٧٣**
بوصير أبيض الورق	١: ٢٧٣
بوصير أسود الورق	١: ٢٧٣
بوصير بري	١: ٢٧٣
بوصير ذهبي الزهر	١: ٢٧٣
زهرة البوصين الأبيض	٣: ٢٧٥

(١) في مفردات ابن البيطار «الجزري» وهو تصحيف.

(٢) كذا وردت العبارة في الأصل على طريقة العامة في كلامهم.

* كتاب ديسقوريدس ٣٤٧ (فلومس)، والحاوي ٢٢: ٢٨٨ (قلومس .. البوصير)، والصيدنة ١٠٣، ومنهاج البيان ٥٦ أ، والمختارات ٢: ٤٥ (البوصين)، والمنتخب ٧٧ (بوصين)، ومفردات ابن إلبيطار ١: ١٢٣، ومالايسع ١١٥، وتذكرة داود ١: ٨٣ (بواصيرا)، ومعجم أحمد عيسى ١٨٧ (١٢)، ومعجم الشهابي ٦٧٢، وبرهان قاطع ١: ٣١٨.

طبيخ البوصير ١: ٢٧٣

طبيخ ورقه ١: ٢٧٣

ذكر ابن سينا البوصير في أدوية القانون المفردة، فلم يتكلم على ماهيته، بل بدأ ببيان خواصه وأفعاله فقال: «محلِّل، لاسيما الذهبي الزهر، يجلو باعتدال .. البري منه يحمِّر زهرُه الذهبيُّ الشعرَ ...».

وصف ديسقوريدس في كتابه أصناف هذا النبات فقال: «هو نبات ينقسم إلى صنفين، أحدهما أبيض الورق، والآخر أسود. ومن الأبيض الورق صنف يقال له الأنثى ومنه صنف يقال له الذكر. والصنف الذي يقال له الأنثى له ورق شبيه بورق الكرنب إلا أن عليه زغب، وهو أعرض من ورق الكرنب، وهو أبيض، وله ساق طوله نحو من ذراع وأكثر، وعليه زغب وزهر أبيض مائل إلى الصفرة وبزر أسود، وأصل طويل عفص في غلظ أصبع، وينبت في الصحارى. والصنف الذي يقال له الذكر، له ورق أبيض أيضًا، وهو إلى الطول ما هو، وهو أدق من ورق الأنثى وله ساق أدق من ساق الأنثى.وأما الصنف الأسود فإنه يخالف الأبيض بأنه أسود منه وأعرض ورقًا، وهو موافق في سائر الحالات ..» ثم ذكر أنواعًا أخرى كثيرة منها نوع ذو زهر ذهبي، ونوع له زغب يستعمل في فتائل السرج، ونوع بري ذهبي الزهر يصبغ به الشعر .. الخ.

في المراجع العربية نتف متفرقة مما وصفه ديسقوريدس، فكل منها ذكر بعض الأنواع وفوائدها وبعض أسمائها. فمن الأسماء التي ذكرت لهذا النبات اسم فلومس وهو الاسم اليوناني، وآذان الدب، قيل إنه معنى الاسم اليوناني، وسيكران الحوت أو مسكر الحوت ... الاسم العلمي لهذا النبات هو Verbascum وهو جنس نباتات من الفصيلة الخنازيرية والقبيلة البوصيرية له أنواع كثيرة.

كتبت كلمة بوصير في بعض المراجع بوصيرا، وبواصيرا وضبطت بضم

الباء، وصحفت في مواضع فجعلت بوصين بالنون في آخرها. قال البيروني إن هذا النبات يعرف باسم بوصير في الجزيرة. وهو اسم معرب فيما يبدو فارسيته أيضاً بوصير بضم الباء وكسر الصاد. لم أجده في معجمات اللغة العربية.

بوط

بوط	١: ٤٣٦

في الكلام على (شوكران) قال ابن سينا: «الماهية قال ديسقوريدس: يسميه أهل جرجان البوط وهو نبات ...»

كذا وردت اللفظة في القانون المطبوع برومة ومصر، وليست العبارة في المصورة. ولم أجدها عند من نقل كلام ديسقوريدس مثل البيروني وابن جزلة وابن البيطار وغيرهم ...

وغالب ظني أن تصحيفاً ما قد لحق العبارة، فليس من عادة ديسقوريدس أن ينص على الأسماء التي يطلقها أهل جرجان على نباتاته!

على كل حال. هذه اللفظة اسم للشوكران بجرجان لايمكنني البت بصحته أو خطئه ولا أن أعتبر أوله ألفاً أو باء.

بوقيصا*

بوقيصا	١: **٢٧٢**
طبيخ أصله	١: ٢٧٢
غلاف ثمرته	١: ٢٧٢
قشرة بوقيصا الغليظة	١: ٢٧٢

---

* منهاج البيان ٥٦ أ، والمختارات ٢: ٤٣، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢٧، ومعجم النبات ١٨٥ (٤)، ومعجم الشهابي ٤٦٩، والمعجم الموحد ١٠٨، وبرهان قاطع ١: ٣١٩. وانظر مادتي (دردار) و (شجرة البق).

قشر شجرة بوقيصا	١: ٢٧٢
ورق بوقيصا	١: ٢٧٢

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة ولم يحدد ماهيته بل قال: «الطبع: بارد. الخواص: جالٍ وفيه قبض ... الزينة: يجلو الوجه. الجراح والقروح: يجعل على الجرب المتقرح مسحوقًا..قشرته الغليظة تسهل البلغم ..» ولم يرد هذا الاسم مرة أخرى في كتاب القانون.

وصف كل من ابن جزلة في المنهاج وابن هبل في المختارات هذا النبات. قال ابن هبل: «بوقيصا نبات له ثمر له غلف فيه رطوبة. وهو بارد مع قبض يجلو الوجه ويصلح للجرب المتقرح وفيه إلصاق للجراح، وإذا نطل بطبيخ قشر شجرته على العظام المكسورة نفع في الجبر. وقيل إن مثقالاً منه يسهل البلغم ..» ثم جزم ابن البيطار بأن بوقيصا هو نفسه شجرة البق أو الدردار حيث قال في مفرداته: «بوقيصا هو شجرة الدردار المعروفة بالشام والعراق بشجرة البق. ويغلط من يتوهم غير ذلك» الاسم العلمي لهذه الشجرة Ulmus .

ضبط الأمير الشهابي هذا الاسم في معجمه بضم الباء وكسر القاف. ونقل عن الأب انستاس الكرملي أن كلمة بوقيصا من الآرامية.

بول*

بول	١: ٢٧٩، ٤٦١/ ٢: ١٢٧، ٣٩١/ ٣: ٢٣٨، ٢٩٥، ٣٣٥
أبوال الحيوانات	١: ١٤٦
بول مطبوخ	١: ٢٧٩

* كتاب ديسقوريدس ١٦٩، والملكي ٢: ١٣٥، والحاوي ٢٠: ١٥٧، ومنهاج البيان ٥٥ ب، والمختارات ٢: ٤٧ والمنتخب ٨٨، ومفردات ابن البيطار: ١٢٧، والمعتمد ٤٢، والشامل ١١٩، ومالايسع الطبيب جهله ١١٨، وتذكرة داود ١: ٨٥.

ذكر ابن سينا البول في الأدوية المفردة فتكلم على مايستخدم من أنواعه في الطب والعلاج.

البول من المنتجات الحيوانية التي ألف القدماء التداوي بها سواء أكان بول إنسان أم بول سائر أصناف الحيوان. وقد فهرست كل نوع منها بحسب الموضع الذي يقتضيه اسم الحيوان الأصل، وأبقيت هنا ماهو عام.

بُومة*

دم البومة	١: ٢٩٥
لحم البومة	١: ٢٩٥
مرق البومة	١: ٢٩٥

لم يذكر ابن سينا البوم في الأدوية المفردة وكذلك المراجع الطبية الأخرى، ولكنه ذكر في معرض كلامه على الدم أن دم البومة ومرقها ولحمها نافع جداً من الربو. فنقل ابن جزلة في كتابه هذا الكلام.

البوم طائر ليلي كاسر معروف، يألف المقابر وتتشاءم العرب به وتكره شكله وصوته. له أنواع منها الهامة والصدى والفيّاد والبوهة والخبل.

بوم بضم الباء اسم الجنس، واحدته بومة للذكر والأنثى. جاء في اللسان أنه عربي صحيح يجمع على أبوام، ويقال بوم بوّام أي صوّات. وتطلق العرب على ذكره وأنثاه عدة كنى منها أبو مالك وأبو الإصبع وأم الخراب وأم قشعم . . واسم هذا الطير بالفارسية أيضاً بوم وبالسريانية بوما.

بويانس**

بويانس	١: ٢٦٩

* الحيوان ١: ٢٩/ ٢: ٥٠، ١٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩/ ٣: ٤٥٧، ٥١٩، ٥٣٠ وغيرها، وحياة الحيوان ٢: ١٣٩، ومنهاج البيان ١١٣ ب، ومعجم الحيوان ١٨٠، ومعجمات اللغة (بوم).

** منهاج البيان ٥٦ ب، ومختارات ابن هبل ٢: ٤١ .

أصله	١: ٢٦٩
صمغه	١: ٢٦٩
عصارته	١: ٢٦٩

عقار نباتي ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة ولم يرد في موضع آخر من القانون. قال فيه: «الماهية: إن أكثر مايستعمل منه هو أصله. وله أيضًا صمغ وعصارة، وصمغه أقوى من عصارته. وقد يخلط بزيت ومري ويسير شراب ويضرب حتى يغلظ، وبمقدار اعتداله في الغلظ جودته. حار في الثالثة يابس محلل يقشر العظام الفاسدة لشدة تجفيفه، موافق للعصب جدًا، وينفع من الفضول الغليظة في الصدر ... ينفع من صلابة الطحال ..»

بحثت عن هذا العقار في مراجعي كلها فلم أجده إلا في منهاج البيان لابن جزلة الذي نقل كلام ابن سينا باختصار بسيط دون ذكر مرجعه، وفي المختارات لابن هبل الذي قال: «بويانس غير معروف. يقال إن له عصارة وصمغًا وأصلاً، وعصارته أضعف من أصله وصمغه، وهو حار يابس في الثالثة محلل مجفف يقشر العظام من قوة تجفيفه ويفني رطوبات القروح وهو دواء ينقي الصدر والرئة من الفضول الغليظة وينفع من صلابة الطحال». واضح أن كلاً من ابن جزلة وابن هبل قد نقل معلوماته عن ابن سينا الذي لانعرف مورده. ووجدت في كتاب ديسقوريدس نباتًا سماه بونياس قال في نعته: «هو صنف من السلجم الصغار إذا أكل مطبوخًا ولد نفخًا وكان غذاؤه أقل من غذاء الصنف الآخر من السلجم، وإذا تقدم في شرب بزره أبطل الأدوية القتالة. وقد يخلط ببعض الأدوية المعجونة. وهذا الصنف من السلجم يعمل أيضًا بالملح» ومن المجازفة الاعتماد على هذا النص لترجيح أنه هو ماذكره ابن سينا.

بويانس هو إذًا اسم لعقار نباتي مجهول منذ القديم.

بيادر يطوس

بيادريطوس	٢: ٦٠١ تصحيف انظر الصواب (تياذريطوس)

بيان

بيان	٣: ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٥

يستخدم ابن سينا هذا المصطلح عند الكلام على تركيب الدواء المركب كما يستخدم مصطلحات أخرى هي: نسخة، صفة، صنعة .. الخ.

بِيش*

بيش	١: ٩٦، ٢٢٦، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٧، ٣٦٠، ٤٣٦/ ٣: ١٤٤، ٢١٨، ٢١٩.٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٥٦، ٣١١
بيش أبيض	٣: ١٤٤
بيش أزرق جيد	٣: ١٤٤
البيشي (أي الدواء البشي)	٣: ١٤٤
ترياق البيش	١: ٢٧٦، ٢٨٠، ٣٦٠
رائحة البيش، ريح البيش	١: ٣٩١/ ٣: ٢٢٣
عصير البيش	٣: ٢٢٣

ذكر ابن سينا البيش في أدويته المفردة فلم يصفه بل اكتفى في بيان ماهيته بالقول: «سم قاتل» ثم ذكر أنه ينفع في إزالة البرص طلاء، وشربًا ضمن أدوية أخرى ..

---

* الصيدنة ١٠٥، ومنهاج البيان ٥٧ أ، والمختارات ٢: ٤٢، والمنتخب من مفردات الغافقي ٨٢، ومفردات ابن البيطار ١: ٣٢، والمعتمد ٤٣، ومالايسع الطبيب جهله ١٢٢، وتذكرة داود ١: ٨٥، ومعجم أحمد عيسى ٤ (١٤)، ٥ (٣)، ومعجم الشهابي ١٢، ولسان العرب وتاج العروس (بيش)، والمعجم الكبير ٢: ٧١٣، وانظر (افو نيطن) و (خانق الذئب) ،و (خانق النمر).

يطلق هذا الاسم على جنس من النباتات العشبية المعمرة السامة ينبت في جبال الهند والصين، وله أنواع وضروب عديدة تشترك في أن لها ساقًا قائمة تخرج من درنات ولها أوراق عريضة وأزهار زاهية الألوان، وثمار جرابية متجمعة بها بذور صغيرة كثيرة. عرفت هذه النباتات بشدة سميتها منذ القديم، لكنها كانت تستعمل مركبة بكميات قليلة مع عقاقير أخرى فتستخدم طلاء في علاج بعض أمراض الجلد المستعصية مثل البرص والجذام، كما جاء في المراجع القديمة. وجاء في المعجم الكبير أنها تستعمل في علاج الروماتيزم والتهاب أطراف الأعصاب، الاسم العلمي لهذا النبات هو Aconitum من اليونانية افونيطن التي استعملها ابن سينا مرتين فقط، علاوة على خانق الذئب وخانق النمر وقاتلهما.

ضبط لفظ البيش بكسر الباء، وسكون الياء ضبط قلم. وهذا الاسم من أصل سنسكريتي.

بيش موش*

بيش موش	٣/ ٢٢٣، ٢٣٧
بيش موش، بوحا	١: ٢٨٠

في فصل الباء من أدوية القانون المفردة مدخل مشترك لبيش موش، وبوحا: قال فيه ابن سينا: «الماهية: أما بوحا فحشيشة تنبت مع البيش .. وأما بيش موش فإنه حيوان يسكن في أصل البيش مثل الفأرة .. هو ترياق لكل سم، وللأفاعي».

* الصيدنة ١٠٧ (بيش موشك)، ومنهاج البيان ٥٧ ب، والمختارات ٢: ٤٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٣٣، ومالايسع الطبيب جهله ١٢٣، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٨٥، ومعجم النبات للدكتور أحمد عيسى ١٥ (١)، وانظر مادتي (بوحا) و (بيش) السابقتين.

وفي كتاب الصيدنة مايوضح موارد ابن سينا حيث يقول البيروني: «بيش موشك[١]: قال صهار بخت: هو فأرة غذاؤها البيش ولحمها يقاوم البيش ويمنع ضرره، إذا أخذ وقت أخذ البيش. وقال غيره: باذزهر البيش فأرة مسماه به. وقال الترنجي: إذا عضت أسالت اللعاب والدموع ....» أما المراجع الأخرى فنقلت كلام ابن سينا الذي في القانون. واتفق الجميع في الكلام على النبات والحيوان المقاوميْن لسم البيش في موضع واحد، مما جعل الدكتور أحمد عيسى يضع مصطلح «بيش موش بيشا أو بوشا» بإزاء أحد أنواع البيش وهو الذي يحمل الاسم العلمي **Aconitum napellus**.

بيض*

بيض	١: ١٨٧، ٢٥٦، ٢٧٠، **٢٧١**، ٣١٦/ ٢: ٣٥٧، ٣٧٦، ٥٢٧، ٥٤٢، ٥٩٧/ ٣: ٢٩٨
بيض البط	انظر (بط)
بيض التدرج	انظر (تدرج)
بيض الحبارى	انظر (حبارى)
بيض الحجل	انظر (حجل)
بيض الحرباء	انظر (حرباء)

(١) هذا ما أثبته المحقق في النص المطبوع، وفي الحاشية أنه في النسخة ق: «بيش موش».

* كتاب ديسقوريدس ١٤٣ (١ وون)، والملكي ١: ١٩٨/ ٢: ١٣٤، ومفاتيح العلوم ١٦٦، ومنهاج البيان ٥٧ أ، ١٧٥ب (صفرة البيض)، ومختارات ابن هبل ١: ٢٥٢، والمنتخب ٨٧، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢٩ ، والمعتمد ٤٣، ١٧٥ (دهن البيض)، والشامل ١٢١، ومالايسع ١٢٠، وتذكرة داود ١: ٨٥، ومعجمات اللغة، وبرهان قاطع ٤: ٢٢٢٣ (نيم)، وقاموس الفارسية ١٠١ (برشته).

محّ البيض	١: ١٥، ٩٧، ٢٧١، ٢٨٠، ٢٨٩/ ٢: ٣٥، ٥٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٤٤، ١٤٧، ٢٠٣، ٢٨٢، ٤٠٨، ٤٣٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٨٣، ٥٤٨، ٥٥١/ ٣: ١٦٢.
محّ البيض المشوي، مح بيضة مشوية	١: ٢٧١/ ٣: ٤٣٥
مح البيض نيمبرشت	٢: ٣٦٣
نيمبرشت (وانظر بيض نيمبرشت)	١: ٩٧، ٢٧١، ٣٣٠/ ٢: ١٩٦، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٣٥، ٤٦٨،
نمبرشت	٤٧٠، ٥١٧، ٥٤٣، ٥٨٢
نيمرشيات	٢: ٢٨٨ (كذا وردت مصحفة)

ذكر ابن سينا البيض في الأدوية المفردة فتكلم على أنواعه وفوائده أكلاً وطلاءً، بقشره ومقشّرًا، نيئًا ومطبوخًا ومشويًا ومسلوقًا، أو نصف مسلوق أي نيمبرشت.

البيض معروف، وهو مما ذكرته معظم كتب العقاقير لفوائده الكثيرة. وقد ألحقت كل نوع من أنواعه بالحيوان الذي يبيضه. وربما استعيرت لفظة بيض لبعض أصناف النبات للدلالة على جذرها المنتفخ كما فعل ابن سينا في قوله: بيض السلجم، و بيض الكرنب.

البيض اسم للجنس، واحدته بَيْضة، والقسم الأصفر منها يسمى مُحًا كما يسمى صفرة. في لسان العرب: «مُحّ كل شيءٍ خالصه، والمُحّ صفرة البيض» وقشره الخارج يسمى قَيْضًا، أما الغشاء الرقيق الذي يغلف البيضة داخل القشرة الخارجة فاسمه الغِرْقِئ. في اللسان (غرقأ): «الغِرْقِئ قشر البيض الذي تحت القيض». أما كلمة نيمبرشت التي تكررت كثيرًا في القانون للدلالة على ماسلق من البيض سلقًا خفيفًا فهي كلمة معربة من الفارسية. قال الخوارزمي. في مفاتيح العلوم «كل شيء يغلى بالماء فهو مسلوق ومنه البيض السليق، وأما البيض النيمبرشت

فلفظة فارسية، وهو الذي سخن حتى حثر ولما يتم نضجه، وهو يسمى الرعّاد أيضاً». نيمبرشت مركب من نيمْ ومعناها بالفارسية نصف، وبِرِشته ومعناها المحمص أو المشوي. وقد تخفف الباء فيقال نمبرشت كما وقع في القانون مراراً.

البيْضَانيات

البيْضانيات ٣: ٢٣٩

في الفصل الذي عقده ابن سينا للكلام على طرد الهوام قال: «ومما يُستظهر به في دفع الحشرات والهوام إمساك مثل اللقلق والطاووس والبيضانيات والأيايل والقنافذ وبنات عرس ومايجري مجراها ..»

كذا وردت اللفظة «البيضانيات» في طبعتي رومة وبولاق وفي المصورة، لا لبس فيها. ولم أجد هذا الاسم في كتاب الحيوان ولا في معجمات اللغة. ورجح عندي بعد البحث أن هذا الاسم يراد به نوع من طيور الماء اسمه العلمي Egret أو Egretta ذكره الفريق أمين المعلوف في معجم الحيوان فقال: «ابن الماء. بَلَشون أبيض. يعرف في العراق بالبيُوضي .. وتعرف بعض أنواعه في مصر بالبلشون الأبيض والبياضي .. وكتب إلى الأب أنستاس - وهو ممالم أنشره قبلاً - مايأتي: «البَيُّوضي وابن الماء نوع من مالك الحزين شديد البياض، له جمة مرغوب فيها. أما البيوضي فمشتق من البياض. وهذا الاسم معروف في العراق كله».

بيقيّة*

بنسقة ١: **٢٧٣** (كذا وردت مصحفة في المطبوع. والصواب من المخطوطات) في الأدوية المفردة في كتاب القانون عقار باسم «بنقسة» حسبما ورد في المطبوع وهو تصحيف اشتركت فيه طبعتا بولاق ورومة، والصواب

---

* كتاب ديسقوريدس ٢٠٧ (افاقى)، والمختارات ٢: ٤٥، والمنتخب ٦٤، ومفردات ابن البيطار ١: والمعتمد ٤٦، وقاموس الأطبا ١: ٢٩١، ومعجم أحمد عيسى ١٩ (٢)، ١٠٥ (٢)، ١٨٨ (١٧، ١٨)، ومعجم الشهابي ٦٧٤، والمعجم الموحد ١٩٥، ٢٠٥، ولسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس (بيق)، والمعجم الكبير ٢: ٧٣٢.

بيقية كما في المخطوطات. قال ابن سينا في هذا العقار: «الماهية: شبيهة القوة بالعدس وأعسر منه انهضاماً.. قابض كالعدس ويولد السوداء ..»

كلام ابن سينا على هذا النبات منقول من ديسقوريدس وجالينوس. وزاد عليهما فوائد من كتاب أبي حنيفة نسبها ابن البيطار إلى ابن سينا. قال ديسقوريدس: «أفاقى هو جنس من الرطبة بري، وهو نبات ينبت في الحروث، وهو أطول من نبات العدس دقيقة الورق، وغلف ثمرتها أكبر من غلف العدس وفيها ثلاث حبات أو أربع سود أصغر من العدس وقوة حبه قابضة ..» بينما نقلت معجمات اللغة عن أبي حنيفة وصفاً لصنف آخر منها. جاء في لسان العرب: «البيقية حب أكبر من الجلبان أخضر يؤكل مخبوزاً ومطبوخاً وتعلفه البقر، وهو بالشام كثير. حكاه أبو حنيفة، ولم يذكره الفقهاء في القطاني» وفي تاج العروس «قال أبو حنيفة [البيقية] نبات أطول من العدس ينبت في الحروث، وقوته كقوته، جيدة للمفاصل. قال: والبيقة حب أكبر من الجلبان .. الخ» قال الأمير الشهابي: «لم أتبين في المعاجم الفرق بين البيقة والبيقية والأرجح أنهما تدلان على جنس واحد»

البيقية جنس نباتات علفية من القطانيات الفراشية اسمها العلمي Vicia ولها أنواع برية وأخرى مزروعة تكثر في غوطة دمشق.

وردت الكلمة في معجمات اللغة بلفظين متقاربين هما بِيْقِيَة وبِيْقَة وضبطتا بالكسر لفظاً. وفي القاموس المحيط ضبطت بيقيّة بتشديد الياء الثانية ضبط قلم للنوع الذي شبه بالعدس، وبيقة بلا ياء ثانية للنوع الذي قورن بالجلبان. قلت: وأهل الشام يلفظونها بيقية بياء مكسورة مخففة بعد القاف.

بيلون

انظر مادة «بيليون» التي سبقت في هذا الباب.

حرف التاء

تابل*

توابل	١:١٧٨، ٣٤٣، ٣٨٨، ٣٩٣/ ٢: ٣٥٩، ٤٨٤/ ٣: ٢٧٠
توابل حارة	٢: ٥٤٣/ ٣: ٢٩٠، ٣٠٤
(أشياء) متبلة	٢: **٥٣٨**
(أشياء) متوبلة	٣: ٢٠٦
تبَّل (الدواءُ بـ ..)	٢: ٥٤٢

لم يرد هذا المصطلح في كتاب القانون إلا بصيغة الجمع أو مشتقًا، ولم يعرّفه ابن سينا لشهرته. لكن ابن الخشاء شرحه بقوله: «تابِل: واحد التوابل، وهو مايطيب به الطبيخ» أما التهانوي فنقل عن بحر الجواهر حداً فيه تخصيص فقال: «توابل ... هي الأشياء اليابسة التي يطيب بهذا الغذاء. كذا في بحر الجواهر».

ذكرت معجمات اللغة في هذه الكلمة لغات هي: تابِل بكسر الباء، وتابَل بفتحها، تَوْبل بالواو بدل الألف، وكلها تجمع على توابل. واسم التابل بالعربية الفحا. يقال توبلت القدر وتبَلْتها وتبَّلتها أي فَحَيْتها .. قال الخفاجي في شفاء الغليل: «التابل ...مُعَرَّب وإن وافق مادة تبل بدليل الفتح. والعامة تقول للطعام فيه متبل، ويقال توبلت القدر، ولا يقال تبلته. وعربيته الفحا. يقال فحيت القدر».

تافسيا

انظر (ثافسيا) في باب الثاء.

* مفيد العلوم ٢٢، ومعجمات اللغة (تبل)، وشفاء الغليل ٨٢، وكشاف اصطلاحات الفنون ١: ١٦٩.

تامور

تصحيف. انظر (يامور) في آخر أبواب هذا المعجم.

تِبْن *

تبن ١: ٣٣٨/ ٣: ٢٨

تبن الحنطة ٢: ١٤٨

عرض ذكر التبن في قانون ابن سينا في أثناء كلامه على الكهربا الذي يجذب التبن إلى نفسه، وفي الكلام على تطيين البيوت. ولم يُذكر دواءً إلا مرة واحدة في الكلام على علاج القمور وهو ضعف يصيب العين من النظر إلى الضوء أو البياض الشديدين كالثلج مثلاً، حيث قال ابن سينا: «فإن كان قد اجتمع مع آفة الثلج ببياضه آفته ببرده، قطر في العين ماء طبخ فيه تبن الحنطة فاتراً لا يؤذي ..»

التبن معروف. ذكره أبو حنيفة في كتابه فقال: «التبن حطام جِلّ الحب، وهو أيضًا الحُثَى والرُّفه ..» وفي مفردات ابن البيطار: «تبن هو مشهور معلوم .. ويكون التبن من الحنطة والشعير والفول والجلبان وغير ذلك» فهو إذًا بوجهٍ عام سوق النجيليات إذا يبست وتحطمت، ويراد به خاصة سوق القمح والشعير.

ضبط هذه اللفظة معروف وهو كسر أولها وسكون ثانيها.

تجفيف

تجفيف ١: ٢٩٣

تجفيف في الشمس ٣: ٢٩١

جُفف، يجفّف، يجِف، جففتَ.. ١: ٢٧٨، ٢٩٢، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٠٧،

* كتاب النبات ٧٤، ومفردات ابن البيطار ١: ١٣٤، وتذكرة داود ١: ٨٧، ومعجم الشهابي ٤٧٩، ومعجمات اللغة (تبن).

من الأعمال التي تمارس في صناعة الأدوية التجفيف. ويكون ذلك في الشمس، وفي الظل، أو بفعل النار، بحسب الحاجة، أما التجفيف الذي هو خاصية من خواص بعض الأدوية وفعل من أفعالها فتجده في مادة (مجفف) من باب الميم .

في اللسان: جَفَّ يجِفُّ ويجَفُّ بالفتح جُفوفًا وجَفافًا ييس .. التهذيب: جَفِفْتَ تَجَف، وجَفَفْتَ تجِف، وكلهم يختار تجِف على تجَف.

تحريق

انظر مادة (إحراق) التي سبقت في باب الهمزة.

تَدْرُج*

التدرج الذكر	٣: ٣٨١
ابيْض التدرج	١: ٢٧٠، ٢٧١
شحم التدرج	٢: ٣٥
لحم التدرج	١: ٢٩٧، ٣٥٨/ ٣: ٥٦
مرقة التدارج السمينة	٣: ٧٢

لم يذكر ابن سينا التدرج في الأدوية المفردة لكنه تكلم على فوائد بيضه ولحمه وشحمه في معرض كلامه على البيض واللحم، كما ذكر لحمه ومرقته في أثناء بعض المعالجات.

لم تدوّن معجمات اللغة القديمة هذا الاسم، لكن مؤلفي كتب الحيوان والطب تكلموا عليه فقالوا: إنه طائر مليح الصورة يكون بأرض خراسان وغيرها

* منهاج البيان ٥٨ أ، والمختارات ١: ٢٣٧ (لحم التدارج)، ومفردات ابن البيطار ١: ١٣٤، والمعتمد ٤٧، وعجائب المخلوقات ٢: ٢١٧، والشامل ١٤٦، ومالايسع ١٢٤، وحياة الحيوان: ١:٢٤١، وتذكرة داود ١: ٨٧، والألفاظ الفارسية ٣٤، ومعجم الحيوان ١٨٧، ومعجم الشهابي ٢٦٦، والمعجم الوسيط ١: ٨٣، وصحاح المرعشلي ١٠٧، وبرهان قاطع ١: ٤٧٨ .

من بلاد فارس، وشبه الأطباء أحواله في لحمه وبيضه بالدُّرّاج، قالوا: وهو من أفضل لحوم الطير، ونص كلٌّ من مؤلفي عجائب المخلوقات وحياة الحيوان وبرهان قاطع على جمال صوته وحسن تغريده. وفي المعجمات الحديثة أن الاسم العلمي لهذا الطائر هو phasianus.

كلمة تَدْرُج معربة من الفارسية (تذرو). وردت بالدال المهملة في القانون[1] ومنهاج البيان[2]، ومفردات ابن البيطار[3] وعجائب المخلوقات[4]، وحياة الحيوان[5]. لكنها في برهان قاطع بالذال المعجمة قال: تذرج بفتح أوله وثانيه وسكون الراء المهملة معرب تذرو ... وفي المعجمات الحديثة كتبت بالإهمال والإعجام، ونقل الشهابي عن الأب انستاس الكرملي أنه خطأ من أهمل الدال. قلت: اللفظة معرّبة، والاختلاف في المعربات كثير، ونقل الذال إلى الدال كثير أيضاً. ضبطت اللفظة ضبط قلم في منهاج البيان بفتح التاء وضم الراء، وكذلك في معجم الحيوان، وهي في معجم الشهابي والمعجم الوسيط وصحاح المرعشلي بضمها. قال الشهابي: «وجدتها بالمهملة في مخطوطتين من حياة الحيوان وهي فيهما بالضم كحُبرُج»

تراب*

تراب	٢: ١٦٥
تراب الأتّون	٣: ١٥٩

(١) المطبوع والمصورة.

(٢) المخطوط الذي اعتمدته.

(٣) المطبوع.

(٤) المطبوع

(٥) المطبوع، وفي نسختين مخطوطتين أيضاً، قاله الشهابي في معجمه.

* منهاج البيان ٦٠ ب، ومفردات ابن البيطار ١: ١٣٧، ومالايسع الطبيب جهله ١٢٦، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٨٨، ومعجم الشهابي ٦٣٦، ومعجمات اللغة (ترب). وانظر مادة (طين).

تراب أربع طرق مربعة	٣: ٣١٩
تراب الأرض التي ينبت فيها الكرم	انظر (كرم)
تراب الزنبق	انظر (زنبق)
تراب الزئبق	انظر (زئبق)
تراب طيب	٢: ١٩٠
تراب الفخّار	٢: ١٦٥
تراب الكندر	انظر (كندر)
تراب المربعات من الطرق	٣: ٣٢٠

كان التراب مما يتداوى به القدماء. ذكره ابن سينا في بعض المعالجات، لكنه لم يتخذه مدخلاً في الأدوية المفردة، مع أن غيره من مؤلفي المفردات فعل.

عرف داود الأنطاكي التراب بقوله: «تراب يقال على ما نعم بالدوس والتحلل من الأرض وقد أكثر الأطباء في وصف تراب الطرق المربعة لكثرة دوس الناس لها..». وتختلف خواص التراب باختلاف المواضع التي يؤخذ منها والمزروعات التي زرعت فيه، وقد ألحقت تراب كل نبت باسم نباته.

يقال التُرب والتراب والتربة كلها بضم التاء. وفي تاج العروس: «الفراء: قال التراب جنس لا يثنى ولا يجمع. وقال اللحياني في نوادره جمع التراب أتربة وتربان بالكسر».

تُرْبُد*

تربد	١: ٢٠٠، ٢٣٧، ٢٩٤، ٤٣٨، ٤٤٦،

* الملكي ٢: ١٤٣، والحاوي: ٢٠: ٢١١/ ٢٢: ٥٨، والصيدنة ١١٢، ومنهاج البيان ٥٨ ب (تُربذ ومختارات ابن هبل، ومفردات ابن البيطار: ١: ١٣٦، ومفيد العلوم ٢٧ (تُربِد)، والمعتمد ٤٨ والشامل ١٣٢، وما لايسع ١٢٥، وتذكرة داود ١: ٨٧، وحديقة الأزهار ٢٩٣ (٣١٩) تُربد ومعجم أحمد عيسى ١٠٠ (٩)، وبرهان قاطع ١: ٤٨١، والألفاظ الفارسية المعربة ٣٤ (التُربد والتُربَذ).

لباب التربد ٣: ٣٢١، ٣٦٠، ٣٩١

لباب التربد الأبيض ٣: ٣٧٨، ٣٩٣

التربد هو من أدوية القانون المفردة، قال فيه ابن سينا: «الماهية: قطاع خشبية غلاظ ودقاق. يؤتى به من الهند .. أجوده الأبيض الغير المسوّس .. ينفع من أمراض العصب .. يسهل بلغمًا كثيرًا..»

هو عقار يجلب إلى بلاد العرب من الهند والسند عن طريق خراسان غالبًا على شكل قطاع خشبية لم يصف القدماء النبات الذي يؤخذ منه وصفًا واضحًا. أما البيروني فقال في الصيدنة إنه أصول نبات يقطع ويسلّ لبّها وهي رطبة ويبقى القشر فيتشنج ويجلب من بلاد السند والهند وله أنواع. ونقل ابن البيطار عن أبي العباس الحمصي قوله: «التربد بالعراق على الصفة التي تجلب إلينا وهو مجلوب إليهم أيضًا من وادي خراسان وماهنالك. وأخبرني الثقة العارف بالعقاقير أبو علي البلغاري ببغداد أنه بحث في البلاد الخراسانية عن صفته وهيئته وورقه فأخبره الجلابون له أن ورقه على هيئة ورق اللبلاب الكبير إلا أنه محدد الأطراف وله سوق قائمة لم أتحقق أنا صفتها، وأصوله طوال على الصورة التي هي مجلوبة وهم يقطعونه وهي خضر ...» وفصل المتأخرون في تحلية هذا النبات منهم داود الأنطاكي الذي قال: «تربد: نبت فارسي يكون بجبال خراسان وما يليها يقوم على ساق وورقه دقيق وزهره آسما نجوني يخلف ثمرًا كألسنة العصافير ويدرك بتموز وأجوده الأبيض الخفيف المجوف ...» وفي مالا يسع الطبيب جهله «تربد: هو لحاء أصول يجلب من الهند والسند، فما جلب على البر من ناحية خراسان خير من المجلوب في البحر وأبطأ فسادًا وتسويسًا، وهو من أصل نبات ورقة كورق اللبلاب الكبير أو اللوبياء وهو محدد الأطراف وله ساق قائمة عليها زهرة وثمرة فيعمدون إلى أصولها مادامت غضة فيقطونها قطعًا كقدر أصبع، وأجوده النقي القصب الأبيض باطن الأنبوب الأملس السريع التفتت الخفيف .. المصمغ الطرفين وما خالف ذلك كله فهو رديء» والغساني الذي شرح ماهيته في حديقة الأزهار

بقوله: «اختلف فيه. قيل هو أحد نوعي الأنجدان، وقيل أصل نوع من الشوك، وقيل لحاء أصول شجر التوت أو التين، والصحيح أنه نبات ينبت بالسواحل في الأماكن التي إذا فاض البحر غطاها، وليس في نفس الماء، ولاهو من نبات الماء ورقه كورق الكلخ متشقق الأعلى ويقال إن زهره يتلون في النهار ثلاث مرات بالغدو يكون أبيض، وفي نصف النهار يميل إلى العزفيرية، وبالعشي يتلون أحمر قانيًا. وهو نوعان .. وهو معروف بهذا الاسم عند باعة العطر بفاس وعند الصيادلة». الاسم العلمي لهذا النبات هو Convolvulus Turpethum أو Ipomoea Turpethum

كتبت تربد في المراجع العربية بالدال المهملة في آخرها إلا في منهاج البيان فهي تربذ وبالشكلين في الألفاظ الفارسية المعربة. وضبطت ضبط قلم بضم التاء وسكون الراء وفتح الباء أو ضمها أو كسرها. وهي لفظة معربة عن السنسكريتية. فارسيتها تربد قال في برهان قاطع: تربد بضم أوله وثالثه وبكسرها أيضًا دواء معروف للإسهال. اعتمدت في ضبط الاسم ماجاء في معجم الدكتور أحمد عيسى موافقًا لما في في برهان قاطع ومشابهًا للاسم العلمي.

تَرْبِيَة*

تربية الأدهان ١: ٣١١

في الكلام على زراوند قال ابن سينا في بعض أنواعه: «وأصوله مفرطحة الطول دقاق عليها قشر غليظ عطر الرائحة يستعملها العطارون في تربية الأدهان».

أصل معنى التربية من ربَّ الرجل ولده يربُّه ورباه تربية بمعنى أحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولية. والتربية كما جاء في الكليات: «هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا» قال الزبيدي في تاج العروس: «ومن المجاز ربَّ الدهنَ طيبه

* كتاب النبات ٢: ٢١٢، والقاموس واللسان والتاج (ربب)، والكليات للكفوي ٢:١٠٧.

وأجاده كريبه. «وقال اللحياني ربيت الدهن غذوته بالياسمين أو بعض الرياحين، ودهن مربب إذا ربب الحب الذي اتخذ منه بالطيب».

تَرْدُوغ

تردوغ ١: ١٨٥

في تدبير المسافرين تكلم ابن سينا على حفظ الأطراف عن ضرر البرد فكان مما قاله: «أما إذا ضربه البرد ولم يعفن بعد .. فالأصوب أن يوضع الطرف في ماء الثلج خاصة أو ماء طبخ فيه التين وماء الكرنب وماء الرياحين وماء الشبث وماء البابونج كله جيد والتردوغ لطوخ جيد وماء الشيح وماء الفودنج ..»

كذا وردت اللفظة واضحة الرسم في المطبوع برومة والمطبوع ببولاق والمخطوطة المصورة أيضًا. ولم أجدها في مراجع الأدوية المفردة والمركبة وكل ماتهيأ لي فيها أن تكون مركبة من «تر» و «دوغ» الدوغ هو اللبن الحامض المخيض، وهو يستعمل بهذا اللفظ والمعنى بالفارسية. وتر لفظة فارسية تعني الرطب أو الجديد. فيكون معنى المصطلح كله الدوغ القريب العهد بالمخض. وكان ابن سينا قد وصف الدوغ شربًا لدفع أضرار السفر[١]

تُرْسِيّ

ترسي: ١: ٤٤٩

ذكره ابن سينا في فصل التاء من أدوية القانون المفردة فقال: «ترسي: الماهية هو آلوسن، وقد فرغنا من بيان أفعال ذلك في فصل الألف عند ذكرنا آلوسن» وكان قال في باب الهمزة[٢]: «آلوسن. الماهية: هي عشبة تشبه الترس[٣] فسمي

(١) القانون ١: ١٨٤.

ه منهاج البيان ٥٨، ومختارات ابن هبل ٢: ١٨٩. وانظر مراجع (آلوسن).

(٢) القانون ١: ٢٦٢.

(٣) في المطبوع «ترمس، ترمساً» وهو تصحيف تابعت فيه طبعةُ بولاق طبعةَ روما. والصواب من المخطوطات.

لذلك ترساً[١]..»

لم أجد هذا العقار في باب التاء إلا في منهاج البيان ومختارات ابن هبل وكلاهما ينقل عن ابن سينا، لكن معظم المراجع ذكرت هذا الاسم للآلوسن في أثناء كلامها عليه.

ترسي اسم منسوب إلى ترس. والتُرْس بضم التاء وسكون الراء، وهو من السلاح المتوقَّى بها معروف.

تركيب

تركيب على هذه الصفة، تركيب لنا، تركيب لبعضهم، تركيب مجرَّب...

٢: ٢٣١، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٧٩، ٤٣٦، ٤٣٧...

التركيب علم من علوم الطب القديمة يقابله الآن علم صناعة الأدوية. وقد ذكر ابن سينا في بداية الكتاب الخامس من كتب القانون[٢] أصول علم التركيب وقواعده. لكنه كثيراً مااستعمل كلمة تركيب أيضاً للدلالة على الدواء المركب نفسه كما في الأمثلة التي سجلتها في الفهرس.

جاء في اللسان: «ركَّب الشيء وضع بعضه على بعض، وقد تركَّب وتراكب .. وشيء حسن التركيب.. الخ. قال التهانوي: التركيب لغة الجمع، وعرفاً مرادف التأليف وهو جعل الأشياء المتعددة بحيث يطلق عليها اسم الواحد ولاتعتبر في مفهومه النسبة بالتقديم والتأخير.

---

(١) في المطبوع «ترمس، ترمساً» وهو تصحيف تابعت فيه طبعةُ بولاق طبعةَ روما. والصواب من المخطوطات.

(٢) القانون ٣: ٣٠٩ وما بعدها.

أحاديث الشّعر

للإمام الحافظ عبد الغنيّ المقدسيّ (٥٤٤- ٦٠٠هـ)

تحقيق الأستاذ: خير الله الشريف

عرض: د. محمد شفيق البيطار

الشعرُ، ذلكَ الفنُّ الرَّفيعُ مِنَ القول، لا يزالُ من حيثُ موقفُ الإسلام منه ووظيفته المطلوبة وسماته وغير ذلك من قضاياه في المنظور الإسلاميّ، موضوعًا لكثير من القول قديمًا وحديثًا، ولا ريبَ في أنّ القرآن الكريمَ والحديثَ الشريفَ ومواقفَ الصحابة هي المصادر الرّئيسة الأولى لهذا الموضوع؛ وكتابُ (أحاديث الشعر) للإمام الحافظ عبد الغنيّ المقدسيّ كتابٌ فريد في بابه، يضمّ بعضَ ما وقف عليه مؤلّفه من أحاديث وآثار تتعلّق بالشعر، فيقدّم بذلك إلى النّقّاد والدّارسين مايُعينهم على تناوُلِ هذا الموضوع؛ ومع أهمّيّة هذا المصدر قلّما تجد أحدًا مِن المتحدثين عن قضايا الشعر في المنظور الإسلاميّ يشير إليه أو يأخذ عنه، وقد كتبت هذه الكلمة للتنبيه على أهمية هذا الكتاب، الذي ألّفه أحد الأعلام في علم الحديث، وعلى بعض الأمور في نسخته التي حقّقها السيد خير الله الشريف.

مؤلّف الكتاب:

هو الحافظ، تقيّ الدين، أبو محمّد: عبد الغنيّ بن عبد الواحد بن عليّ ابن سرور، وُلِدَ سنة (٥٤٤) أربع وأربعين وخمسمئة للهجرة، في (جَمَّاعيل) من أعمالِ نابلس بفلسطين، فانتسب إلى بيت المقدس لقرب جَمَّاعيل منها. قَدِمَ دمشقَ هربًا من الفرنجة مع خالِه الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة المقدسيّ، فنزل

الصالحيَّةَ فيمن نزلها من المقادسة الهاربين بدينهم من ظلم الغزاة، وجعل يحفظ الحديث ويتفقّه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

وكانت له رحلات في طلب العلم، إذ قَدِم بغدادَ مرّتين: سنةَ (٥٦١) إحدى وستين وخمسمئة، وبعدَ سنة سبعين وخمسمئة، فلقي في المرّة الأولى الشيخ عبد القادر الجيليّ وأدرك من حياته نحوًا من خمسين يومًا، قرأ فيها عليه كتاب (الهداية)؛ ورحل إلى مصر ثلاث مرّات: الأولى سنة (٥٦٦) ست وستين وخمسمئة، والثانية سنة (٥٧٠) سبعين وخمسمئة، والثالثة بعد سنة سبعين وخمسمئة، فأكثر الأخذَ في رحلته الأولى عن السّلفيّ بالإسكندرية، وعن ابن برّيّ النحويّ في القاهرة، وبقي مستقرًّا فيها بعد رحلته الثالثة حتى توفي سنة (٦٠٠) ستمئة، ودُفِنَ بسفح المقطّم بالقرافة؛ وكانت له في أثناء ذلك رحلات أُخَر إلى الجزيرة وحرّان وأصفهان وهمذان والموصل.

وقد غلب عليه طلب الحديث، إذ حفظَ أكثر من مئة ألف حديث، فكانَ أَوْحَدَ زمانه، أميرًا للمؤمنين في الحديث، حتى إنَّ السّلفي لم يكن يقول لأحد: (الحافظ) إلاّ له؛ واتّصف بإتقان جميع فنون هذا العلم، من حيثُ: أُصُولُه، وعلله، وصحيحه، وسقيمه، وناسخه ومنسوخه، وغريبه، ومشكله، وفقهه، ومعانيه، وضبط أسماء رواته ومعرفة أحوالهم.

وكانَ على قِصَرِ عُمُرِه مؤلّفًا مُكْثِرًا، إذ بلغ عدد مؤلّفاته ستة وستين كتابًا، بَيَّنَ محقّقُ (أحاديث الشعر) الأستاذ خير الله الشريف أنَّ المفقودَ منها اثنان وثلاثونَ كتابًا، ولم يُطْبَع مِنَ المعلومِ منها حتى الآن سوى ثلاثة عشر

كتابًا[١]، أَحَدُها كتاب (أحاديث الشعر)، وسائرها لايزال مخطوطًا، ومعظم مخطوطاته كانت في المكتبة العمريّة بدمشق، وآلت إلى مكتبة الأسد الوطنية.

وممّا سبق نستشفّ أهميّة هذا الكتاب من خلال معرفة مؤلّفه، إذ كان من علماء الحديث الرّاسخين فيه.

الكتاب:

لا يخرج كتاب (أحاديث الشعر) عن اهتمام صاحبه، فهو يضمّ – كما سلف في صدر هذا المقال – بعضَ ماوقف عليه من أحاديث وآثار تتعلّق بالشعر، وقلتُ: (بعضَ ما وقف عليه) لأنّ ما في مصادر الحديث حول هذا الموضوع يفوقُ ماأوردَه المصنّف رحمه الله، وهو حافظٌ من كبار الحفّاظ كما سبق، فينبغي أن يكونَ قد انتخبَ هذه الأحاديث انتخابًا.

قسّم الحافظ عبد الغنيّ كتابه إلى قسمين: الأول – «باب ماورد في الشعر». والثاني – «باب ما وردَ في ذمّ الشعر»؛ هكذا وَرَدَ اسم القسم الأوّل بخطّ الحافظ نفسه، وأَميلُ إلى أنّه أراد (باب ماورد في مدح الشعر)، لأنّ مُجْمَلَ ماورد في هذا الباب يَدُلُّ على ذلك، فسقطت كلمة (مدح) سهوًا من الحافظ، ويُرَجّح ذلكَ عندي أمران، أوّلُهما اسمُ الباب الثاني (باب ماورد في ذمّ الشعر) فالأرجح أن يكون الأوّل في مدح الشعر، ليكون الكتاب مؤلّفًا من بابين متوازنين؛ والأمر الثاني أنّ خطّ الحافظ في المخطوط يَدُلُّ على أنّه كان يكتب بسرعة، وقد لاحظ الأستاذ الشريف هذا الأمر

---

(١) [طبع منها حتى تاريخ تحقيق الكتاب خمسة، وبلغ المطبوع منها حين مثول هذه المقالة للطبع ستة عشر كتابًا/ المجلة].

حين وصفَ خطَّ الحافظ بأنّه شديد السرعةِ مليحٌ[١].

وسار المصنّف في إيرادِ الأحاديث على طريقٍ لاحِبٍ، فهو يسوق السّند عن شيخه الذي حدّثه إلى آخر السند، حيثُ الصحابيّ أو التابعيّ، ثمّ يُوردُ مَتْنَ الحديث، وربّما ساق سندين للحديث الواحد؛ ويُشيرُ إلى ماقد يكون من خلاف في اللّفظ بينَ الرّوايات، ويحكم أحيانًا على درجة الحديث من الصحّة، وقد يُشيرُ إلى بعضِ مَنْ خرّجَه من المصنفين.

وبلغ مجموع أحاديث الأصل ثلاثةً وأربعين حديثًا، استأثر الباب الأوّل بواحد وثلاثين، والبابُ الثاني باثني عشر؛ ويتّضح من تخريجات الأستاذ الشريف وما نقله عن علماء الحديث أنّ ما اتفق عليه البخاريّ ومسلم منها أحد عشر حديثًا[٢]، وما أخرجه البخاريّ وحدَه خمسة[٣]، وما أخرجه مسلم وحدَه ستة[٤]، وثلاثةٌ من سائر الأحاديث رجالها رجالُ الصحيح[٥]، وأربعةٌ رجالها ثقات[٦]، وما بقي منها ليس فيه مقال سوى ثمانية أحاديث في سندها ضعف[٧]، بل إنّ في سندِ اثنين من هذه الثمانية

(١) أحاديــــث الشــــعر: لعبد الغني المقدسي، تحقيق: خير الله الشريف، الناشر: المحقق نفسه، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، [ص٣١].

(٢) هي الأحاديث ذات الأرقام: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٧، ٨، ١٠، ١١، ٣٢، ٣٦.

(٣) الأحاديث ذات الأرقام: ١٢، ١٩، ٢٢، ٣٣، ٤٠.

(٤) الأحاديث ذات الأرقام: ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢١، ٣٤.

(٥) الأحاديث ذات الأرقام: ٢٠، ٢٨، ٣٥.

(٦) الأحاديث: ٢٦، ٣٠، ٤٠، ٤١.

(٧) الأحاديث الثمانية هي ذات الأرقام: ٢٤، ٢٥، ٣١، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٣. والذي عُدَّ موضوعًا هو الحديث الثاني والأربعون.

ضعفًا شديدًا حتى عُدَّ أحدُها من الموضوعات عند بعض العلماء.

تحقيق الكتاب:

لم يكن الأستاذ خير الله الشريف أوَّلَ من عمل بتحقيق (أحاديث الشعر)، إذ سبَقَ أن حقّقه الدكتور جميل سلطان، وطُبِعَ في جمعيّة التمدّن الإسلاميّ بدمشق سنةَ ١٩٥٦ للميلاد، ثم حقّقهُ ثانيةً الأستاذ إحسان عبد المنّان الجباليّ، وطُبِعَ في المكتبة الإسلاميّة بعَمّان سنة ١٩٨٩ للميلاد، ثم جاء عمل الأستاذ خير الله الشريف ثالثًا، وطُبِع على نفقة المحقّق بدمشق سنة ١٩٩٣للميلاد = ١٤١٣للهجرة؛ وقد اعتمد المحقّقون الثلاثة على النسخة المخطوطة الفريدة للكتاب، وهي من مخطوطات المكتبة العمريّة بدمشق، وناسخُها هو المؤلّف نفسُه.

فأمّا عَمَلُ الدكتور جميل سلطان؛ فهو أوَّل جهد لإخراج الكتاب، بدأه بمقدمة حول الشعر وحول موقف الإسلام منه، وترجم للمؤلف؛ ولكنَّ الكتاب ممتلئ بالتصحيف والتحريف في أسانيد الأحاديث ومتونها، وفيه كلمات كثيرة لم يتبيّن المحقّق قراءتها، ولم يخرّج إلاّ قليلاً من الأحاديث وهي تخريجات غير وافية، وهو تحقيقٌ خلوٌ من الفهارس.

وأمّا عَمَلُ الأستاذ إحسان الجباليّ، فقد بدأه بمقدّمة حول الشعر في الإسلام، وعَمَلُه في نصّ الكتاب من حيث الأسانيد ومتون الأحاديث جيّد قليل الخطأ، وقد خرّج كل أحاديث الكتاب، ولكنّ في تخريجاته تزيّدًا، وفيه اجتهادٌ في الحكم على بعض الأحاديث، ووضع للكتاب فهرسين: فهرس أحاديث المقدسي، فهرس ملحق أحاديث الشعر.

وأمّا عمل الأستاذ خير الله الشريف، وهو موضوع هذا العَرْض، فإنّ جهد صاحبه واضحٌ للعيان، ويتبيّن من خلال عَرْضِه هذا؛ فقد صدَّر عمله بمقدّمة وافية، بدأها بكلمة حول (الشعر في الإسلام)، فوقف عند الآيات القرآنية التي تناولت الشعر والشعراء، ثم وقف عند ما ورد في السنة المشرّفة حول الموضوع، ولا سيّما تلك الأحاديث التي قد يُفْهَم منها أنّها تنظر إلى الشعر نظرةً سلبيّة، فبيّن حقيقة المراد منها، ونقل أقوال بعض العلماء فيها.

وأتبع ذلك بـ (نظرة في الكتاب)، رأى فيها أنّ أحاديثَهُ تبيّن أهمَّ سمة يجب أن يتمتّع بها الشعر، وهي الصدق، وتبيّن طَرَفًا من الموضوعات المطلوبة من الشاعر، من منافَحة عن الله ورسوله، وتثبيت الناس على الحقّ، وحكمة تكونُ عصارةَ أيّام الشاعر وصريح خبرته ومعاناته في الحياة، وتبيّن أن الشاعر ينبغي أن يلتزم القواعدَ العامّة للشريعة؛ ثمّ التفت إلى بعض الأحاديث التي تعبّر عن تحرُّج بعض الصحابة من قول الشعر، فبيّن المراد منها، وممّا ورد في ختام كلامه: «وهكذا فإنّ مُجْمَلَ الأحاديث الواردة في الكتاب تدلّ على أنّ الشعر وقوله في الإسلام من الأمور المباحة التي لا خلافَ في إباحتها، ويُطْلَب فيه مايطلب في الكلام من انضباط بما قرّره الميزان الصحيح من الصيانة والرعاية والحق والخير والجمال؛ فإذا دعت إليه الحاجةُ وجب اللجوء إليه أو صار مستحبًّا تبعًا لأهمّيته ولمقدار هذه الحاجة، فإن أعقب ضررًا امتنع وجرَّ إثمًا على صاحبه يتناسب مع ذلك الضرر»[1].

وترجم المحقق بعد ذلك للمؤلّف، فتناولَ حياتَه، وحليته، وحفظه

---

(١) مقدّمة المحقق: ١٦.

وعلمه، وشغله وإشغاله، وابتلاءه، ومعجم شيوخه، وبعض طلبته، ومؤلّفاته: المطبوعة والمخطوطة والمفقودة؛ وذكر بعض مصادر ترجمته، ثمّ تحدّث عن نسخ الكتاب، وهي: نسخة الحافظ عبد الغنيّ بخطّه، ومطبوعة جميل سلطان، ومطبوعة إحسان عبد المنان الجبالي. وختم مقدّمته بخطته في تحقيق الكتاب.

وجاء بعد هذه المقدّمة النصّ المحقّق، فنجد أنّ الأستاذ الشريف رقّم أحاديثه، وضبط أعلامَ السند ومتن الأحاديث ضبطًا وافيًا، وأصلح الأخطاءَ القليلة في الأصل المخطوط، واستدركَ السَّقط الواقعَ في بعض مواضعه؛ و لم يدع حديثًا واحدًا بلا تعليق، إذ خرّجَ جميع الأحاديث من مظانّها ما أمكنه ذلك، و لم يكتف ببعض إشارات الحافظ عبد الغني إلى مَنْ خرّج الحديث، ونقل أحكام العلماء على عدد من الأحاديث، وأجدُ على بعض تخريجاته مُلاحظةً أذكرُها فيما بعد؛ وترجم لبعض رجال السَّند وبعض الأعلام الواردة في الأحاديث منبّهًا على مصادر الترجمة، وأجد على ذلك مأخذًا سوف أذكره فيما بعد أيضًا؛ وشرح ماوجده في حاجة إلى شرح من ألفاظ الأحاديث وما فيها من أشعار.

ولا أجدُ بأسًا هاهنا في أن أنقل من عمل الأستاذ الشريف تخريجَ حديثين مشهورين على ألسنة الناس، ليتبيّن في ذلك الجهد الذي بذله في تخريجاته، وليقف القارئ على مدى صحّة هذين الحديثين؛ فأوّلهما الحديث الثاني عشر الذي رواه المصنّف بسند له إلى أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنّ مِنَ الشعر حكمةً». وعلّق المصنّف علـيه بقوله:

«صحيح، رواه البــخاريّ عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزّهريّ»[١]، فقال المحقق في تخريجه: «أخرجه ابن أبي شيبة في (مصنفه) برقم (٦٠٥٦) = ٨ /٥٠٣، وعنهُ عبدُ الله بن أحــمد في (المسند) ١٢٥/٥، وأبو داود في (سننــه) برقــم (٥٠١٠) = ٣٠٣/٤، وأخرجه الطحاوي في (شرح معاني الآثار) ٤: ٢٩٧ عن يونس عن الزهري، والبخاري في (صحيحه) برقم (٦١٤٥) كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يُكره منه»[٢]، ثمّ روى المصنّف الحديثَ نفسَه بسندٍ له آخر عن ابن عبّاس، فقال المحقق: «أخرجه الطبرانيّ في (المعجم الكبير) برقم (١١٧٦٠) = ١١/ ٢٨٧ من طريقٍ بالإسناد المذكور، وأخرجه أحمد في (المسند) ٢٦٩/١، ٢٧٣، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٧، وابنُ أبي شيبــة في (المصنَّف) برقــم (٦٠٥٨) = ٥٠٣/٨ من طريقٍ عن سماكٍ بهِ»[٣]، أي بالسند الذي رواه الحافظ عبد الغني به عن سماك.

وثانيهما الحديث الثامن والثلاثون الذي رواه المصنّف بسنده إلى هُشَيْمٍ قال: «أخبرنا أبو الجهم، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار»[٤]، فقال المحقّق في تخريجه: «أخرجه أحمد في (المسند) برقم (٧١٢٧)، وقال العلاّمة أحمد شاكر: (إسناده ضعيف جدًّا)، وأخرجه الخطيبُ في (شرف

(١) أحاديث الشعر ٤٧.

(٢) نفسه: ٤٧.

(٣) نفسه: ٤٨.

(٤) نفسه: ٧٤.

أصحاب الحديث) برقم (٢٢٤) = ص ١٠٢ من طريق الخليفة المأمون، عن هُشيم بالإسناد المذكور، وابنُ عديّ في (الكامل) ٢٠٤/١ وقال: (هذا الحديث بهذا الإسناد باطلٌ، وقال في ترجمة أبي الجهم ٢٧٥٥/٧: (منكر الحديث))»[١].

وعندما انتهى المحقّق من متن الكتاب استدرك على الحافظ عبد الغني طائفةً من الأحاديث والآثار، واضعًا لها أرقامًا متسلسلة مع أرقام الأحاديث التي أوردها الحافظ: ومخرّجًا إياها من مصادرها، وقد بلغت ثلاثين حديثًا وأثرًا؛ ورأى الأستاذ الشريف أن يقسمها إلى أبواب: باب حُكْم الشعر والرُّخصة فيه، وباب إنشاد الشعر، وباب التمثُّل بالشعر، وباب الاستدلال بالشعر، وباب نقد الشعر.

ولا ريبَ أنَّ ذلك كلّه مِمّا يُحْمَدُ للمحقّق ويُثْنى عليه لأجله؛ ومّما يُحْمَدُ له أيضًا أنّه وضع للكتاب ثمانية فهارس فنيّة:

١) فهرس شيوخ المؤلف المذكورين في الكتاب.

٢) فهرس رجال الأسانيد.

٣) فهرس الأعلام والقبائل والأماكن والأيام.

٤) فهرس الأحاديث المرفوعة.

٥) فهرس الآثار الأُخرى.

٦) فهرس الشعر.

٧) فهرس مصادر التحقيق.

٨) الفهرس العام.

---

(١) أحاديث الشعر ٧٤.

ولكن وقع في بعض هذه الفهارس هنات قليلة ينبغي التنبيه عليها، إلى جانب بعض الهنات في التحقيق نفسه.

ملحوظات حول التحقيق:

ذكرتُ فيما سبق أنَّ لي بعضَ ملحوظاتٍ حول تحقيق الأستاذ الشريف، وأحبّ أن أثبتَها في هذا المقال ليتنبّه عليها مَن وَقَع الكتاب في يده، وليستدرك الأستاذ الشريف في طبعته القادمة – إن شاء الله – ما يوافقني عليه منها.

فمن ذلك أنَّ المحقّق ذكر في تخريجاته مصادر عدد من الأحاديث وفيها صحيح البخاريّ وصحيح مسلم أو أحدُهما مع غير ذلك من المصادر، فتجده يؤخّر البخاريّ ومسلمًا ويقدّم غيرهما عليهما، مع أنهما متقدّمان على أصحاب تلك المصادر في الزمن، أو أنّ لصحيحيهما مزيّة على تلك المصادر، ولنضرب على ذلك مثالاً واحدًا، وهو تخريج الحديث الثالث، فقد قال فيه: «أخرجه أحمد في (المسند) ٣٠٣/٤ عن أبي معاوية بالإسناد المذكور، والخطيب في (تاريخ بغداد) ٣١/١٤ عن أحمد بن بديل عن أبي معاوية به، والبخاريّ في صحيحه برقم (٤١٢٤) كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، من طريق إبراهيم بن طهمان عن أبي إسحاقَ به، وبرقم (٤١٢٣) مع مسلم في (صحيحه) برقم (٢٤٨٥)، في الباب السابق، كلاهما عن شعبة عن عدي به[1]».

فنجد المحقّق يقدّم الخطيبَ البغداديَّ (توفي سنة ٤٦٣هـ) على البخاريّ

(١) أحاديث الشعر ٣٩.

(توفي سنة ٢٥٦هـ) ومسلم (توفي سنة ٢٦١هـ)، ويقدّم مسند الإمام أحمد على صحيحيهما مع أنّ في مسنده الصحيحَ والحسن والضعيف ومنها أحاديث يسيرةٌ حُكِمَ على بعضها بالوضع، في حين أنّه ليس في صحيحيهما إلاّ الصحيح[١]؛ وهذا مثالٌ ضربتُه، ومثله مايراه الناظر في تخريج الأحاديث :٣،٤، ٨، ١٢، ١٤، ١٨، ١٩، ٢١، ٣٦، ٤٠. وهذه الملحوظة منهجيّة لاتقدح في تخريجات الأستاذ الشريف، ولكنّ الأَوْلى أحقُّ بالاتّباع.

ومن ذلكَ أنّ المحقّق ترجم لسبعين رَجُلاً ممَّن ذكرهم الحافظ في متن الكتاب، فنجده يطنب في بعض الترجمات، كترجمة السلفي[٢] وترجمة طرفة ابن العبد[٣]، ويوجزُ إيجازًا لايكاد يرجع القارئ منه بطائل كبير، وذلك في تسع عشرة ترجمة، كقوله في ترجمة أحمد بن عبد الجبار العطاردي: «نسبةً إلى جدّه عطارد بن حاجب بن زرارة»[٤]، وقوله في ترجمة الإمام إبراهيم بن إسحاق الحربيّ:« نسبةً إلى محلّة (الحربيّة) غربيّ بغداد»[٥]؛ ويُضاف إلى ذلك أنّ هذه الترجمات لم تكن على طريقة محددة، فتجده يأخذ رجلين أو ثلاثةً من رجال السند فيترجم لهم، ويترك سائر رجاله: وليس لهؤلاء المترجَمين مايميّزهم من سواهم. وكانَ الأَولى — فيما أرى — أن يقف المحقّق عندَ جميع

(١) انظر: منهج النقد في علوم الحديث، للدكتور نور الدين عتر: ٢٥٤، ٢٧٩، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٢) نفسه: ٣٩.

(٣) نفسه: ٥٤.

(٤) نفسه: ٤٠.

(٥) أحاديث الشعر ٤٢.

رجال الأسانيد، فيوجز أشدَّ إيجازٍ ماقال رجالُ الجرح والتعديل في كلّ واحد منهم، كأن يقول: ثقة، صادق، صدوق، ونحو ذلك، أو: كاذب، كذوب، منكر الحديث، أو ما شابَه ذلك، بحيثُ يُفيدُ ذلكَ في الحكم على درجة الأحاديث التي لم ترد في الصحيحين، وأرى أن يكونَ ذلكَ في فهرس رجال الأسانيد لا في حواشي التحقيق، تجنبًا للتكرار، فإذا أراد القارئ معرفةَ درجة حديثٍ ما، نظر في رجاله وفيما قيل فيهم، فعرف درجة صحّته؛ فأمّا الترجمةُ لبعض رجال الأسانيد وإهمال سائرها فليس فيها ما يخدم القارئ كثيرًا.

وجاء في ترجمة السّلفيّ أنّ له شعرًا، وساقَ المحقق له من قصيدةٍ خمسةَ أبيات، آخرها[1]:

فلسْتُ الدَّهرَ إمَّعةً وما إنْ   أَزِلُّ ولا أَزولُ لذي النِّزالِ

وعبارة «لذي النّزال» تصحيف، والصواب «لَدى النّزال».

وممّا يُنبَّه عليه أنّه قالَ في ترجمة الأعشى المازني: «هو أعشى بني حرماز، من مازن» [2]، وليس بنو حرماز من بني مازن، وإنّما الحرماز ومازن أخَوان، وهما وَلَدا مالك بن عمرو بن تميم، والأعشى هذا من بني حرماز، فنُسِبَ إلى مازنٍ لأنّ مازنًا إخوتهم، وقد كانَ في الحرماز ضعةٌ وقِلّة، فنُسِبَ إلى الأعلى والأكثر ومِن عادة العرب أن يفعلوا ذلك[3].

(١)أحاديث الشعر: ٣٩.

(٢) نفسه: ٥٩.

(٣) انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٢١٣؛ تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة: ١٩٧٧؛ وأسد الغابة — لابن الأثير ١: ١٢٢، تحقيق محمد إبراهيم البنا ورفاقه، دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

ومن الملحوظات أنّه قال في بعض تعليقاته: «القليب: البئر الذي لم يُطْوَ»[١]، والبئرُ أُنثى في كلام العرب، كما هو في المعجمات، فينبغي أن يقول: البئر التي لم تُطْوَ.

وجاء في ترجمة (الهسنجاني)[٢] أنّه توفيّ سنة (١٣١هـ)؛ والصواب سنة (٣٠١هـ).

وجاءَ في مستدرَك الأستاذ الشريف: «عن عائشة قالت: سمع النبيّ ﷺ نساءَهم يقولونَ في عُرْسٍ: ...

وأَهـــدى لهـــا كَبْشًـــا تَنَحـــنَحَ في المِـــرْبَدْ
وزوجُـــكِ في النـــادي ويعـــلم مـــافي غـــدْ

فقال رسول الله ﷺ: لايعلم مافي غد إلاّ الله؛ ألا قلتم:

أتيـــناكم أتيـــناكم فحـــيّانا وحـــيّاكم»[٣]

ولا يصحّ ذلكَ في اللغة، فإمّا أن يكون الصواب: (يقلن في عرس) و(ألا قلتنَّ)؛ وإمَّا أن في النصّ تحريفًا ينبغي البحث عن صوابه.

وفي هذا الحديث أيضًا تصحيف وتحريف في البيت الأوّل، وصوابه:

وأَهـــدى لهـــا أَكْبُشًـــا تَبَحْـــبَحُ في المِـــرْبَدِ
....

ويُزاد في تخريجه أنّه وردَ في الوافي في العروض والقوافي – للتبريزي

(١) أحاديث الشعر ٥٩.

(٢) نفسه: ٧٠.

(٣) نفسه: ٩٠- ٩١ .

(ص٩٠)، وفي اللسان (بحح).

وهذا الشعر من (مجزوء المتقارب) وليس من الطويل كما جاء في فهرس الشعر.

ونجد في الفهارس الفنيّة أربعَ ملحوظات، فأوّلها أنّه لم يُدْخِل في الفهارس الثلاثة الأولى فهرسةَ ما وردَ في مستدرَكه على الحافظ عبد الغني، وثانيها أنه أدخل سهوًا في فهرس رجال الأسانيد (بني مازن) مع أنّها قبيلة، وقد خصّص للقبائل والأعلام الأماكن والأيام فهرسًا خاصًّا فلم يذكر فيه (بني مازن).

وثالثها أنّه خَلَطَ في فهرس رجال الأسانيد بين (حمّاد بن سلمة) وبين (أبي سلمة بن عبد الرحمن)، فقال: «حماد بن سلمة، ٢،١، ٦، ٢١، ٢٧، ٢٨، ٣٨، ٣٩»[1]، أرادَ أنّه ورد ذكرُه في أسانيد الأحاديث ذات الأرقام السابقة، ثم قال: «أبوسلمة بن عبد الرحمن = حمّاد بن سلمة»[2]، أراد أنّ أبا سلمة هو حمّاد بن سلمة، وأماكن ورودِه هي نفسها المذكورة عند حماد، وهذا خلط بين رجلين متباينين، فأمّا أبو سلمة فهو ابنُ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وهو من التابعين، أحدُ الأئمّة الكبار، أمّه تماضر بنت الأصبغ الكلبيّة، تزوّجها عبد الرحمن عندما أرسله النبي ﷺ إلى بني كلب يدعوهم إلى الإسلام فأسلم جده الأصبغ، وتزوج عبد الرحمن ابنته تماضر

(١) أحاديث الشعر ٩٧.

(٢) أحاديث الشعر ٩٨.

فأنجبت له أبا سلمةَ الفقيهَ، وقد توفي سنة أربع ومئة[١]؛ وأمّا حمّاد بن سلمة فهو: أبو سلمة، حماد بن سلمة بن دينار البصريّ الحافظ، كان سيّد أهل وقته، إمامًا في العربيّة، صاحبَ سنّة، له تصانيف في الحديث، ويُعَدّ من الأبدال، وتوفي في آخر سنة سبع وستين ومئة[٢]؛ ومصدر هذا الخلط أنّ حماد بن سلمة يقال له: أبو سلمة، كما يُقال لابن عبد الرحمن: أبو سلمة؛ ومن ثَمَّ يكون الصواب في الفهرس أنّ حماد بن سلمة ورد ذكره في الأحاديث: ٦، ٢٧، ٢٨، وأن أبا سلمة بن عبد الرحمن ورد في الأحاديث: ١، ٢، ٢١، ٣٨، ٣٩.

ورابعُها أنّ المحقّق لم يذكر في فهرس المصادر عددًا من مصادر تحقيقه، منها: الأدب المفرد للبخاري، والأمّ للشافعي، وأوجز المسالك للكاندهلوي، والإيضاح للقيسي، وتهذيب التهذيب لابن حجر، وجامع البيان للطبري، والدر المنثور للسيوطي، وديوان أبي بكر الصدّيق، وسنن الدارقطني، وصحيح البخاري، وكشف الخفاء للعجلوني، والناسخ والمنسوخ للنحاس، وغير ذلك من المصادر التي ذكرها في حواشي التحقيق و لم ترد في فهرس المصادر.

---

(١) النسب الكبير — لابن الكلبي ٢: ٣٢٨، تحقيق: محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، والعِبَر — للذهبي ١: ١١٢، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤.

(٢) سير أعلام النبلاء — للذهبي ٧: ٤٤٤، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢؛ والعِبَر ١: ٢٤٨.

وختامًا، إنّ ماذكرته من ملحوظات حول تحقيق الأستاذ الشريف لايقدح في قيمته وتميّزه وأفضليّته على ما سبقه، ولو لم يكن له من حسنة سوى تخريج الأحاديث من مصادرها لكفاه، ذلك أنّ تخريج الأحاديث هو أهمّ مايقوم به محقق أي كتاب من كتب الأحاديث، وما سواهُ نافلةٌ يُشكَر على القيام بها، وقد يُعذَر إن تركها، ما لم تكن الحاجة إليها ماسّة؛ وبالله التوفيق.

المستدرك

على ديوان «عُمارة بن عقيل»

أ. شاكر العاشور

عُمارةُ بنُ عقيل (٢٣٩هـ) من الشُّعراء المُعرِقين. فقد نشأ في بيتٍ من بيوتاتِ الشِّعر في الإسلام؛ فكانَ أبوهُ عقيلٌ شاعرًا، وجدُّهُ بلالٌ شاعرًا، وأبو جدِّهِ جريرٌ من فحولة الشُّعراءِ، وأبو جريرٍ عطيّةٌ شاعرًا، وجدُّهُ الخطفي شاعرًا، فلا غروَ أن يكونَ عُمارةُ شاعرًا فصيحًا، واسعَ العلم.

ذكر ابنُ المعتز عن أبي رياح بن عمرو: «أنَّ عُمارةَ كانَ أشعرَ أهلِ زمانِه، وكان ينحو نحوَ أبيهِ وجدِّه، ولا يأخذُ في معنىً من المعاني إلا استغرقَهُ، وكانَ نقيَّ الشِّعر، مُحكمَ الرَّصفِ، جيِّدَ الوصف»[1].

ونقل أبو الفرج الأصفهانيُّ عن عليٍّ الأخفش، قال: سمعتُ محمَّدَ بنَ يزيد يقول: «خُتمتِ الفصاحة في شُعراءِ المُحدثينَ بعُمارةَ بن عقيل»[2]. وفي موضعٍ آخر: «أنَّ سلمَ بنَ خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء قال: كان جدّي أبو عمروٍ يقول: خُتِمَ الشِّعرُ بذي الرُّمَّة، ولو رأى جدّي عُمارةَ بنَ عقيل لعلمَ أنَّهُ أشعرُ في مذاهب الشُّعراءِ من ذي الرُّمَّة»[3]. وعَن العنزيِّ قال: سمعتُ سلمًا يقولُ: هو أشدُّ استواءً في شعرِهِ من جرير، لأنَّ جريرًا

(١) طبقات الشعراء ٣١٦.

(٢) الأغاني ٢٠/ ١٨٣.

(٣) الأغاني ٢٠/ ١٨٣.

أسقطَ في شعرِه وضَعُف، وما وجدوا لعمارةَ سقطةً واحدةً في شعرِه[١].

وقال ابنُ النَّديم: «عُمارةُ بنُ عقيل شاعرٌ مجوِّد»[٢].

وفي المذاكرة في ألقاب الشُّعراء: «هو أشعرُ ولد جرير»[٣].

وعن ابن منظور: «عُمارةُ بنُ عقيل بن بلال بن جرير أديبٌ جدًا»[٤].

وإلى جانبِ هذه المنزلةِ العالية في الشِّعر، ولأنَّهُ من أهل اليمامةِ ويسكنُ بادية البصرة، فإنَّ أكثرَ مصادرِ ترجمته تُشيرُ إلى أنَّهُ كانَ ضليعًا باللغة، وأخذ عنه كثيرٌ من النحويينَ اللغة. وممن أخذ عن عُمارة: ابنُ السكّيت[٥]، وابنُ الأعرابي[٦]، وأبو العيناء محمَّدُ بنُ القاسم، وأبو العبّاس المبرد[٧].

هذه الأوصافُ وَجَدَتْ في نفسي هوىً، فحدَّثتني بالعمل على نشر شعرِه. فتتبّعتُ ما ذكرَهُ ابنُ النّديم[٨]، من أنَّ لعُمارةَ ديوانًا قوامُهُ ثلاثمئة ورقة، فخانني البحثُ عنهُ في ما توفرتُ عليه من فهارس المخطوطاتِ المنشورة في العالم، وغلبني الظنُّ بأنَّ ديوانَهُ ضاعَ مع ما ضاع من تراثِنا العربيّ. فلم أجدْ غيرَ

---

(١) الأغاني ٢٠/ ١٨٣، والموشّح ١٨٩.

(٢) الفهرست ١٨٠.

(٣) المذاكرة في ألقاب الشعراء ٧٢.

(٤) اللسان/ عمر.

(٥) إصلاح المنطق ٣٧٣، واللسان/ غنا.

(٦) المذاكرة في ألقاب الشعراء ٧٢.

(٧) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٨٢، ونزهة الألباء ١٣٦.

(٨) الفهرست ١٨٩.

أنْ أسافرَ في رحلة البحث والتّقصّي الأخرى، وهي لَمُّ ما تناثرَ من شعرِ الرَّجلِ في مظان الأدبِ والتاريخ. فكانَ أن وقفتُ على شيء من نثارِ قصائده، قمتُ بنشرِه مجموعًا في عام ١٩٧٣، متطاولاً بتسميتِه «ديوان عُمارةَ بن عقيل»[١].

وبتسريح النَّظرِ في المصادر التي توفرنا عليها - بعد التاريخ المذكور- عثرنا على أبياتٍ ومقطّعاتٍ أخلَّ بها ما جمعناهُ في حينِه من شعرٍ لعُمارة؛ فوددنا أنْ نُضيفَها إليه، لعلّها تُفصحُ عمّا لَمْ نتبيّنْهُ من ملامحِ حياتِه وشخصيتِه وشاعريَّتِه، ولعلّها أنْ تفتحَ البابَ أمامَ إخواننا المحققين لإضافاتٍ قابلة.

والله وليُّ التوفيق.

التخريج: الأبيات في صفة جزيرة العرب ٢٨٧- ٢٨٨.

والخامس فقط في البديع ٣٠ ومعجم البلدان/ لغاط.

قال عُمارةُ بنُ عقيل بن بلال بن جرير (في المطر): [من الكامل]

١- يـــا ليلةَ البرقِ الغميضِ، ودونهُ | من بطنِ طِخْفَةَ أو سُواجٍ منكبُ[٢]

٢- جادَ الجَريبُ، فباتَ ضورُ ربابهِ | بحمـــى ضريَّة يستهلُّ ويسكبُ[٣]

---

(١) دار الطباعة الحديثة – البصرة.

(٢) البرق الغميض: الساكنُ اللمعان. طِخفة: جبلٌ أحمر طويلٌ في طريق البصرة إلى مكة، قرب حمى ضرية. وسُواج (بضمّ أوله): جبلٌ أسود من أخيلة حمى ضرية، وهو سواج طخفة، والخيالُ: ثنية تكونُ كالحدّ بين الحمى وغير الحمى. (ياقوت/ طخفة/ إنسان/ سُواج). المنكب: الموضع المرتفع من الأرض.

(٣) الجَريب (بالفتح): وادٍ عظيمٌ يصبُّ في بطن الرُّمة من أرض نجد، به الحموضُ والأكلاء. وسيل الجريب يدفع في بطن الرّمة، ويسيلان سيلاً واحدًا. (ياقوت/=

٣- طَــورًا يُضيءُ ويستطيرُ ربابُهُ قدمًـــا، وتدفعُــهُ العَدابُ الغيهبُ[١]

٤- فــأطمَّ ذا مـــرخٍ، فباتَ يُكبُّهُ عمّـــا اطمأنَّ من الكثيبِ توثّبُ [٢]

٥- وعـــلا لغاطَ، فباتَ يلغطُ سيلُهُ في قرقـــرى شِعبِ اليمامةِ تشغبُ[٣]

٦- وأقـــامَ بالصَّـــمّانِ عامـــةَ ليله فكـــأنَّ دارةَ كـــلِّ جوٍّ كوكبُ[٤]

٧- وأنـــاخَ بالدَّهـــنا، وشقَّ مزادَهُ بدهاسِـــها وعـــزازِها يستسكبُ[٥]

[٢]

التخريج: الأنس والعرس ١٥٩. [من الطويل]

١- فـــلمْ يأتِهمْ منّي بخيرٍ رسالة فيأتيَـــني مـــنهم بخـــيرٍ جوابُها

=الجريب). الرباب: جمع ربابة: السحاب. ضَرِيَّة (بالفتح ثمّ الكسر وياء مشدّدة): صقعٌ واسعٌ بنجد، يُنسبُ إليه الحمى، يليه أمراءُ المدينة، وينزل به حاجُ البصرة بين الجديلة وطخفة. (ياقوت/ ضريّة).

(١) العَداب: الأرض اللينة الرّمل.

(٢) أطم: علا وغمر. ذو مرخ: العرفجُ حين يطيبُ ورقهُ وتطولُ عيدانهُ. ويكبّه: يقلبه. اطمأنّ: سكنَ وثبتَ واستقرَّ.

(٣) لغاط (بالضّم): جبلٌ من منازل بني تميم في أرض اليمامة. (ياقوت/ لُغاط)، وقرقرى: أرضٌ باليمامة مرتفعة، فيها قرىً وزروع ونخيل كثيرة. (ياقوت/ قرقرى).

(٤) الصّمّان: أرضٌ فيها غلظٌ وارتفاع، وهي بلادُ بني تميم، فيها قيعانٌ واسعة وخبارى تُنبتُ السّدر، عذبة ورياضها معشبة، وإذا أخصبتْ رتعتِ العربُ جميعًا. (ياقوت/ الصّمّان).

(٥) الدّهنا (تُمدُّ وتُقصر): من ديار بني تميم، وهي سبعة أجبلٍ من الرّمل في عرضها، بين كلِّ جبلين شقيقة، وهي من أكثر بلاد الله كلأً. وهي – كالصّمّان– إذا أخصبت رتعتِ العربُ لسعتها وكثرةِ أشجارها. (ياقوت/ الدّهناء). الدّهاس: المكان السّهل اللّين. العزاز: الأرض الصلبة السريعة السّيل.

٢- ولا ودٌّ في خيرٍ إذا كانَ مدبرًا ولا خُلّــةٍ لَمْ يــبقَ إلاّ عــتابُها

[٣]

التخريج: البيتان في التعليقات والنوادر ٢/ ٢٧. والأوّل فقط في معجم البلدان/ روضة العنز.

قال يمدحُ أبا النَّصر عبد الرَّحمن بن يحيى بن عبد الرّحمن بن عبد الجبّار: [من الطويل]

١- فياعنزةَ العيسِ التي سالَ سيلُها من البُرقة الوعسا إلى الأرعنِ الحُمْرِ[١]

٢- بلادٌ بها عبد الرَّحيمِ، وكلَّما مــررتُ بهــا، يومًا، لقيتُ أبا نَصْرِ

[٤]

التخريج: الأبيات في أخبار أبي القاسم الزَّجّاجي ١٣٥- ١٣٤.

وَفَدَ عُمارةُ بنُ عقيل بن بلال بن جرير عَلى جعفر ومحمّد ابنَي سليمان[٢] بن علي بن عبد الله بن عبّاس، فتوسّلا له إلى المهديِّ حتى أدخلاهُ عليه، فأمرَ [له] بأموالٍ ورقيقٍ، فقال: [من الطويل]

١- سقى اللّهُ أطلالاً [...][٣] ونعمةً إلى مــلحزٍ، إذْ يســكنُ الحيُّ ملحزا

٢- نحاهــا مــن [...][٤]بهتانُ رعيةٍ وأخــرى شمــاليٍّ إذا مــا ترجَّــزا[٥]

---

(١) أصل البرقة: الأرضُ ذات الحجارة المختلفة الألوان. وروضة برقاء: فيها لونان من النَّبت. الوعساء: السَّهل اللّين من الرَّمل. الأرعن: الجبال الطوال.

(٢) هو عمُّ الخليفة السَّفاح.

(٣ و٤) يذكر محقق أخبار أبي القاسم الزّجاجي أنّ هناك بياضًا في الأصل.

(٥) ترجَّز: تحرّك.

٣- عهــدتُ بهــا بيضاءَ من آلِ مازنٍ إذا مــا انتمــتْ عدَّتْ هلالَ بنَ أحوزا[١]

٤- رحلــتُ المطايا يعتلينَ إليكُمُ بوادنَ، حتى صرنَ يُحسبنَ نُخَّزا[٢]

٥- فكــمْ قطعــتْ قفرًا، إليكُمْ ورملةً وأقــتمَ مُغــبرَّ العجاج، وأمعزا[٣]

٦- خــوانقُ يرمــينَ النَّعامَ على البرى إذا الخِمــسُ في المومــاةِ بالرَّكبِ جلّزا[٤]

٧- فما بلغتْ حتى كأنَّ عيونها قــلاتٌ من الأثمار أصبحن نُكَّزا[٥]

٨- جزى اللهُ عني جعفرًا ومحمَّدًا كرامــتَهُ، واللهُ أفضــلُ مَنْ جزى

٩- فقــد ســهّلا عند الخليفة مدخلي وقــد حــبَواني بالجــزيل، فأنجزا

١٠- أكفُّهُمــا تندى، ويُعرفُ فضلُها إذا مــا أكفُّ النّاسِ أصبحنَ نُكّزا

١١- فكــمْ من حسيرٍ قد رجا غايتيهما فقصَّــرَ مذمومًــا كلــيلاً، وبرَّزا

١٢- قــناتاهُما لمْ يَلفِ ذو الضِّغنِ فيهُما ليانًا، ولا الأعداءُ في الحربِ مغمزا

١٣- همــا ابنا رسولِ اللهِ، وابنا ابنِ عمِّهِ ســليمانَ خيرِ النّاسِ فرعًا ومغرزا

١٤- وإنَّكُمــا يــا ابنَي سليمانَ عدَّتي وحــوزي إذا مــا لمْ أجد مُتحوَّزا

---

(١) ذكره ابنُ دريد في الاشتقاق ٢٠٥.

(٢) نخزه: ضربهُ بشيء أوجعه.

(٣) أمعز: الأرضُ الحزنة الغليظة ذات الحجارة.

(٤) النعام: علمٌ من أعلام المفاوز يُهتدى به. البرى: التراب. الخِمس (من الفلوات) ما بَعُدَ ماؤها حتى يكونَ ورودُ الإبل في اليوم الخامس. والموماة: المفازة الواسعة. وجلّز هنا بمعنى أنَّ بُعدَ المسافات أنهكها.

(٥) القلْت: النقرة في الجبل يستنقعُ فيها الماءُ، والجمعُ قلات. الأثمار: ماء غير أي ناجع. ونكز الشيء: ذهب ماؤه.

١٥- وإنَّكُمـا أوفى نِـزارٍ بذمَّةٍ وأكـرمُ مـرقى زائرٍ حينَ أعوزا

[٥]

التخريج: الدُّر الفريد (مخطوطٌ مصوَّر) ٣/ ١٤. [من البسيط]

١- عمروٌ على كورِ الأحوازِ يخضمُها دونَ الـولاةِ، وغسّـانٌ بشـيرازِ[١]

٢- وللمرؤ إسحقُ، ربُّ الأرضِ مُفترشٌ بغـدادَ، لا الشّـاكرُ النُّعمى ولا الجازي[٢]

٣- أولاكَ في السُّـوَرِ الأولى منازلُهُمْ ونحـنُ بـينَ أبي جـادٍ وهـوّازِ[٣]

[٦]

التخريج: الأشطار الثلاثة في بقية التّنبيهات ١٦٥. والشّطران (٢، ٣) فقط في النّوادر في اللغة، والتنبيهات ١١٠. [من الرجز] قال يصفُ نخلا:

١- دُهمُ الخوافي مُنطقاتٌ خُرسُ

٢- تَحـارُ في أظلالِهنَّ الشَّمسُ

٣- كـأنّهُنَّ الفتـياتُ اللُّعـسُ

---

(١) خَضَمَ: أكَلَ في سعة. وغسّان: هو غسّان بنُ عبّاد (ت بعد ٢١٦هـ): من رجال المأمون. ولي خراسان من قبل الحسن بن سهل (الأعلام ٥/ ١١٩). وشيراز: بلدٌ مشهورٌ معروف في بلاد فارس. (ياقوت/ شيراز).

(٢) إسحق: بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب الخزاعي (ت ٢٣٥هـ): صاحب الشّرطة ببغداد في أيام المأمون. (الأعلام ١/ ٢٩٢)

(٣) أبو جاد: يُقال وقعَ فلانٌ بأبي جاد، أي في اختلاطٍ واضطرابٍ من الأمر. (المرصَّع ١١٨). والهوّاز: الغريبُ بين خلق الله.

[٧]

التخريج: صفة جزيرة العرب ٢٧٦- ٢٧٧.

«بُلبول، وفيه يقولُ عُمارة حيثُ دفنَ ابنَه»: [من الطويل]

١- سقى اللهُ بُلبولاً وجرعاءَه التي أقـــامَ بهـــا ابني مصيفًا ومربعا[١]

٢- كأنْ لمْ أذدْ يومًا برجمة مَنْ حمى عدوًا، ولمْ أدفعْ بهِ الضَّيمَ مدفعا[٢]

[٨]

التخريج: الدّر الفريد ٤/ ٣٩ [من المتقارب]

١- ولمـــا غـــدتْ عيسُهُمْ للنَّوى وظلَّـــت بأحداجهـــا تـــرتكُ[٣]

٢- ضـــحكتُ من البينِ مُستعبرًا وشـــرُّ الشَّـــدائدِ مـــا يُضحكُ

[٩]

التخريج: الأنس والعروس ١٥٦ [من الطويل]

١- ومـــا ليَ لا ألقاكَ إلاّ كأنّني مُسيءٌ وأنتَ الدَّهرَ غضبانَ تعذلُ

٢- ومَنْ يسألِ الأيّامَ صرمَ خليلِه وصرفَ الليالي يُعط ما كانَ يسألُ

---

(١) بُلبول (بضمِّ أوّله): جبلٌ باليمامة في بلاد بني تميم. (ياقوت/ بُلبول). والجرعاء: المكانُ الذي فيه سهولة ورمل.

(٢) الرَّجمة والرَّجمات والرّجام: أجبلٌ تكونُ في القاع، صغارٌ كالهضبات.(صفة جزيرة العرب ٣٤١).

(٣) أحداج: جمع حدج: من مراكب النساء، يُشبهُ المحفَّة. وترتك: الرّاتكة من النُّوق هي التي تمشي وكأنَّ برجليها قيدًا.

[١٠]

التخريج: الدّر الفريد ٥/ ٤٨. [من البسيط]

١- مـــا إنْ يزالُ ببغدادٍ يُزاحِمُنا عـــلى الـــبراذينِ أمثالُ البراذينِ

٢- أعطـــاهُمُ اللهُ أموالاً ومنزلةً عـــندَ الملوكِ، بلا عقلٍ، ولا دينِ

المصـــادر

١- أخبار أبي القاسم الزّجّاجي – تحقيق: الدكتور عبد الحسين المبارك – بغداد ١٩٨٠.

٢- إصلاح المنطق – ابن السّكّيت– تحقيق: أحمد محمّد شاكر وعبد السّلام هارون– دار المعارف بمصر.

٣- الأغاني (دار الكتب).

٤- الأنس والعرس– لأبي سعدٍ منصور الآبي– تحقيق: الدكتورة إيفلين فريد يارد– دار النمير للطباعة – دمشق ١٩٩٩.

٥- البديع – لابن المعتز – نشره: كراتشكوفسكي– بغداد ١٩٦٧ (بالأوفست).

٦- بقية التنبيهات على أغلاط الرّواة – لعلي بن حمزة البصري – تحقيق: الدكتور خليل العطيّة – بغداد ١٩٩١.

٧- التعليقات والنّوادر – لأبي عليّ الهجري– تحقيق: الدكتور حمود عبد الأمير حمّادي– بغداد ١٩٨٠.

٨- التنبيهات – لعليّ بن حمزة البصري– تحقيق: الميمني– دار المعارف بمصر ١٩٦٧.

٩- الدّر الفريد وبيت القصيد – مخطوط نشره بالتّصوير: فؤاد سزكين – فرانكفورت– ألمانيا الاتحادية ١٩٨٨– ١٩٨٩.

١٠- صفة جزيرة العرب– للهمداني – تحقيق: محمد بن علي الأكوع– بغداد ١٩٨٩.

١١- لسان العرب - لابن منظور (بولاق).

١٢- المذاكرة في ألقاب الشُّعراء- للمجد النّشّابيّ الإربلي- تحقيق: شاكر العاشور- بغداد ١٩٨٩.

١٣- معجم البلدان - لياقوت الحمويّ- نشره: وستنفلد ١٨٦٦- ١٨٧٠- (مطبعة دار صادر - بيروت).

١٤- نزهة الألباء - لأبي البركات الأنباري- تحقيق: الدكتور إبراهيم السّامرّائي - ط٢- بغداد ١٩٧٠.

١٥- النّوادر في اللغة - لأبي زيد الأنصاري- بتعليق: سعيد الشرتوني- مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٨٩٤.

الدّكتور جـــودة الرّكـــابي

حياته وأعماله

أ. خير الله الشّريف

أولاً: حياته

ولد محمد جودة بن عمر شركس في مدينة (صيدا) جنوب لبنان سنة ١٩١٣م وكان ترتيبه الثاني بين ثلاثة من إخوته الذكور، وكانت والدته (رئيفة الركابي) التي ينسب إلى عائلتها العريقة ابنة أحد المتنفذين الأغنياء في تلك المنطقة، وقد درجت العائلات الكبيرة آنئذ على استئجار المراضع لأولادها، فتطبّع بطباع مرضعته التي كانت امرأة حليمة لطيفة هادئة، وتطبّع أخوه أحمد ممتاز بطباع مرضعته التي كانت امرأة عصبية حادة المزاج.

ولم تكن والدته على وفاق مع زوجها، فتركته مهاجرة بأولادها الصغار إلى حي الشاغور بدمشق موطن عائلتها ذات النسب الشريف.

درس المرحلتين الابتدائية والثانوية في مكتب عنبر، وكان متفوقًا بين أقرانه مما حبب به أساتذته، ومنهم العلامة الشيخ عبد القادر المبارك الذي أهدى له كتابًا من مؤلفاته، وكتب بخطه على غلافه الداخلي: (إلى التلميذ النجيب محمد جودة الركابي. عبد القادر المبارك).

نال سنة ١٩٣٣م شهادة أهلية التعليم، وأسس في تلك السنة (فرقة إيزيس) المسرحية.

وفي سنة ١٩٣٤م نال من مدرسة (تجهيز دمشق) شهادة البكالوريا السورية- القسم الثاني: فلسفة- بدرجة جيد جدًا.

بدأ التدريس سنة ١٩٣٥م، فبقي سنتين معلمًا في دير الزور، ثم سنة في دمشق.

أوفد سنة ١٩٣٨م إلى فرنسا، فنال أولًا شهادة مدرسة اللغات الشرقية، ثم الإجازة في الآداب من جامعة باريس (الصوربون) سنة ١٩٤١م، ثم دكتوراه الدولة من الجامعة نفسها سنة ١٩٤٧م بتقدير: مشرّف جدًّا.

عاد من فرنسا سنة ١٩٤٧م، فدرس اللغة العربية في ثانويات دمشق ودور المعلمين والمعلمات، وصار سنة ١٩٤٩م أستاذًا محاضرًا في الجامعة السورية، ثم مفتشًا أولاً للغة العربية في المدارس الثانوية سنة ١٩٥٠م، وأسس في ذلك الوقت مع فؤاد الشايب جمعية رابطة الأدباء بدمشق وكان أمين سرها. وفي سنة ١٩٦١م صار أستاذًا ذا كرسيّ في الجامعة، ثم عميدًا لكلية التربية سنة ١٩٦٥م بضع سنوات.

في سنة ١٩٧٤م عين أستاذًا في جامعة قسنطينة في الجزائر، وبقي فيها أستاذًا حتى عودته إلى دمشق سنة ١٩٨٧م، وقد أسهم في حملة التعريب الجزائرية، وأشرف في أثناء ذلك على عدد كبير من الرسائل الجامعية.

ولما عاد من الجزائر إلى دمشق اختير ليكون أحد حكام جائزة الملك فيصل في مجال الدراسات الأندلسية لعام ١٤٠٨هـ ، وعمل حينئذ مستشارًا ثقافيًّا لدار الفاضل، وأسس دارًا للنشر هي (دار ممتاز)، متابعًا نشاطه الثقافي بالكتابة لصحيفة الأسبوع الأدبي وغيرها إلى أن وافاه الأجل في ١١/٥/١٩٩٩م.

أعقب الدكتور جودة الركابي من زوجته السيدة (عفاف صبري خلف) ثلاثة من الأبناء: (عمار، وندى) وهما طبيبان، و(بشار) الذي توفي سنة ٢٠٠٣.

اهتم الدكتور الركابي - رحمه الله - بالأدب العربي القديم ولاسيما الأندلسي، وعرف بين دارسيه بشيخ الأدب الأندلسي، وكان له اهتمام بالأدب العربي الحديث ولاسيما الرواية والمسرحية، وقد تأثر في كتاباته من الأدباء العرب القدامى بالجاحظ والبحتري، ومن المحدثين بـــ: أحمد حسن الزيات، وطه حسين، والعقاد، والمازني، وشفيق جبري، وخليل مردم، ومحمد البزم، ومن أدباء الغرب بـــ: أناتول فرانس، وبلزاك، وبودلير، ومالارميه، وماسينيون، وشارل بللا، وكان عضوًا مؤسسًا في اتحاد الكتاب العرب، وبقي فيه حتى وفاته.

تهيأ من المصادر التي ترجمت للدكتور الركابي عددٌ قد تكشف الأيام مايضاف إليه، وهذه المصادر هي التالية:

- آخر حديث مع د. جودة الركابي/ لنزيه الشوفي- صحيفة تشرين ٢٣/٥/١٩٩٩- ص/٧.

- أدباء المؤتمر: الدورة الخامسة لمؤتمر الأدباء العرب بغداد ١٩٦٥/ جمع وتنسيق: عبد الرزاق الهلالي- بغداد: وزارة الثقافة، ١٩٦٦- ص ١٠٨.

- أعضاء اتحاد الكتاب العرب في القطر العربي السوري والوطن العربي/ أديب عزت، د. سمر روحي الفيصل، حسن حميد- دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٥- ص٥٠٤، ٥٠٥ ، ٥٠٦.

- تاريخ المسرح السوري ومذكراتي/ وصفي المالح- دمشق: دار الفكر، ١٩٨٤- ص ١٦٣.

- جودة الركابي: دمعة وعرفان/ د. حسام الخطيب- صحيفة الراية القطرية ٢/٦/١٩٩٩.

- جودة الركابي: رائد الدراسات الأندلسية/ د. علي دياب- صحيفة تشرين ١٩٩٩/٧/١٥.

- حديث العبقريات/ عبد الغني العطري- ط١- دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٠، ص ٣١٢- ٣١٧.

- حفل تأبين في اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٩/٧/١١: شوقي بغدادي، د. عمر موسى باشا، د. أحمد كنعان، د. علي دياب، د. حسام الخطيب.

- دمعة حرّى على أستاذنا الركابي/ فريد جحا- صحيفة تشرين ١٩٩٩/٥/٢٧.

- رحيل الأديب الكبير الدكتور جودة الركابي/ صحيفة الأسبوع الأدبي، العدد(٦٥٩)- ١٩٩٩/٥/١٥.

- قراءات في الفكر القومي- الكتاب الرابع: القومية العربية والثقافة/ مجموعة من المؤلفين- ص١- بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥.

- كاتب أعرفه: جودة الركابي/ خليل خلايلي- صحيفة الأسبوع الأدبي، العدد (٣٨٩)- ١٩٩٣/١١/٢٥.

- لقاء إذاعي في برنامج: عالم المخطوطات/ إسماعيل مروة - ١٢/١٤/ ١٩٩٤.

- لقاء مع الدكتور جودة الركابي: حتى لايتطور أدبنا بوسائل التخلف/ خميس زغداني- صحيفة الأسبوع الأدبي، العدد (٥٦)- ١٩٨٧/٣/٥.

- لقاء مع الدكتور جودة الركابي: المغاربة لازالوا على الفطرة والمشارقة دنسوها/صحيفة الشروق الثقافي، قسنطينة، العدد (٥١)- ١٤ جويليه ١٩٨٤- ص ٨.

– لقاء مع المربي د. جودة الركابي/ عيسى فتوح– صحيفة بناة الأجيال، العدد (٤) أيلول ١٩٩١– ص ٤.

– لقاء مع وحيد تاجا، مجلة العالم، العدد (٣٧١) آذار ١٩٩١.

– معجم المؤلفين السوريين/ عبد القادر عياش– ط١– دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥– ص ٢١٣.

– مقدمة السيرة الذاتية: تقع في ثلاثين صفحة، قرأها بخطه قُبيل وفاته، وكان ينوي إتمامها يتحدث فيها عن طفولته وسنوات دراسته الأولى.

– الملحق الأدبي رقم (٢٦) لصحيفة الأسبوع الأدبي، العدد (٣٠١)– ٢٠/٢/١٩٩٢، وكتب فيه:

د. عادل العوا، د. سمر روحي الفيصل، د. عمر الدقاق، د. عمر موسى باشا، د. نعيم اليافي، فريد جحا.

– من هم في العالم العربي: سورية/ جورج فارس– دمشق: مكتب الدراسات السورية والعربية، ١٩٥٧– ص ٢٧٢.

– من هو في سورية/ جورج فارس– دمشق: مكتب الدراسات السورية والعربية، ١٩٥١– ص ٣٢٣.

– من هو في سورية/ جورج فارس– دمشق: الوكالة العربية للنشر والدعاية، ١٩٤٩– ص ١٨٣.

– موسوعة أعلام سورية في القرن العشرين/ سليمان سليم البواب– ط١– بيروت، دمشق: المنارة ٢٠٠٠– ج٢/ ص ٣٥٤.

ثانيًا: أعماله

١- الكتب:

١- الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار.

ط١- دمشق: دار الفكر، ١٩٧٤- ٣٥٠ص.

ط٢- الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٢-٣٤٢ص.

ط٣- دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦-٣٥٢ص.

وكتب الأستاذ شفيق جبري في مجلة المجمع ٤٩/٨٩٤- ٨٩٦ مقالاً عنه.

٢- الإرث الفكري للمصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهراوي (جمع وتحقيق مع د. جميل سلطان).

ط١- دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية،١٩٦٣- ٥١٥ص.

ط٢- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٦- (سلسلة قضايا وحوارات النهضة العربية ٢٠).

٣- الحب هو الأقوى: درامة عصرية في ثلاثة فصول.

دمشق: دار ممتاز، ١٩٩٧-٩٦ص.

٤- الحياة حلم/ كالدرون؛ ترجمة: نجاة قصاب حسن (مراجعة).

دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٦٦- ١١٠ص.

٥- دار الطراز في عمل الموشحات/ ابن سناء الملك (تحقيق)[١].

---

(١) هو الشطر الآخر من رسالته للدكتوراه، قدم له بالفرنسية المستشرق و. ليفي بروفنسال وأشرف عليه المستشرقون: ماسينيون وبلاشير وسوفاجيه، وذكر في مجلة الآداب – العدد (٢) شباط ١٩٥٣ أن المستشرق الإنكليزي غيليوم نشر في مجلة-

ط١- دمشق: ١٩٤٩- ١٦٠ص +١٦.

ط٢- دمشق: دار الفكر، ١٩٧٧.

ط٣- دمشق: دار الفكر، ١٩٨٠.

٦- La poésie profane sous les ayyubides et ses principaux représentants, Paris; librairie orientale et Américaine, ١٩٤٩- ٣٥٣ P.

(الشعر الدنيوي في العصر الأيوبي وممثلوه الأساسيون)/ تقديم:بلاشير- وهو الشطر الأول من رسالة الدكتوراه، وكتب الأستاذ شفيق جبري في مجلة المجمع ٢٦/٢٩٧-٢٩٩ مقالاً عنه.

٧- الطبيعة في الشعر الأندلسي.

ط١- دمشق: جامعة دمشق، ١٩٥٩- ٨٢ص.

-الدراسات الشرقية والإفريقية لجامعة لندن ٥٧/١٤ تحليلًا موجزًا لكتابي الشعر الدنيوي ودار الطراز وقال في الأخير: (نشر هذا الكتاب عمل جليل له فائدة كبرى وقيمة عظيمة لمن يريد أن يتصدى لهذا المضمار من الأدب العربي، وعلينا أن نهنئ الدكتور الركابي لقيامه بهذه المهمة على أحسن مايجب).

ويذكر أن صحيفة «الدنيا» التي كانت تصدر في دمشق نشرت مجموعة من المقالات في نقد تحقيق الكتاب، وأن الدكتور الركابي كان يهيئ قبيل وفاته لطبعة رابعة مزيدة مصححة يصدّرها بمقدمة بالإسبانية ويضمنها ملاحظات للعلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وأخرى للدكتور شوقي ضيف أهدتها إليه الأديبة وداد سكاكيني قبيل وفاتها، والكتاب من أوائل التحقيقات العلمية المنشورة في التراث العربي المخطوط عامة وتراث الأندلس والموشحات خاصة، وهو نموذج للتأثر بالمدرسة الاستشراقية في التحقيق، وكان الأستاذ شفيق جبري كتب مقالًا في مجلة المجمع ٢٦/ ٢٩٤ – ٢٩٧ تحدث فيه عن الكتاب والعمل فيه تحسن العودة إليه.

ط٢- دمشق: مكتبة أطلس، ١٩٧٠- ١١٧ص.

٨- طرق تدريس اللغة العربية.

ط١- دمشق: دار الفكر ، ١٩٧٣- ٢٨٥ص.

ط٢- دمشق: دار الفكر، ١٩٨٠ (مصورة عن الأولى).

ط٣- دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦.

ط٤- دمشق: دار الفكر، ١٩٩٥ (مصورة عن الثالثة).

ط٥- دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦.

وكتب الأستاذ شفيق جبري في مجلة المجمع ٤٩/١٣٠- ١٣٢ مقالاً عنه.

٩- طريدة النور: مجموعة قصصية.

ذكرت في كتاب: من هو في سورية ١٩٤٩- ص١٨٣.

١٠- في الأدب الأندلسي.

ط١- القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠- ٣٨٤ ص-(سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية ٢٢).

ط٢- القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦.

ط٣- القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠.

وكتب الأستاذ شفيق جبري في مجلة المجمع ٣٢/٥٠٢-٥٠٥ مقالاً عنه.

١١- مبادئ تخطيط التعليم (ترجمة الوثيقة التربوية رقم ٤٥ لليونسكو مع د. مارسيل عبسي).

دمشق: مجلة المعلم العربي، ١٩٦٧- ٦٦ص.

١٢- مجموعة كتب مدرسية:

آ- الأدب العربي ونصوصه للصف العاشر العلمي/ إحسان النص،

نظرفيه: د. جودت الركابي، د. جميل سلطان، نعيم الحمصي- دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٣-٣٠٠ص.

ب- الأدب العربي ونصوصه للصف العاشر الأدبي/إحسان النص، نظر فيه: د. جودت الركابي، د. جميل سلطان، نعيم الحمصي- دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٣- ٣٩٣ص.

ج- الأدب العربي ونصوصه للصف الحادي عشر فرع الاجتماعيات والفرعان العلميان/نعيم الحمصي، خليل الهنداوي؛ نظر فيه: د. جودة الركابي، د. جميل سلطان، إحسان النص- دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٣- ٢ج (٢٩٥ص+ ٩٦ص).

د- الأدب العربي ونصوصه للصف الحادي عشر الفرع الأدبي/ نعيم الحمصي، خليل هنداوي؛ نظر فيه: د. جودة الركابي، د. جميل سلطان، إحسان النص- دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٣- ج١ (٣٦٠ص).

هـ- تاريخ الأدب العربي للصف الثاني عشر فرع الاجتماعيات والفرعان العلميان/د. جودت الركابي، د. جميل سلطان، نعيم الحمصي، إحسان النص، خليل هنداوي- دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٦-٤٧١ص.

و- البلاغة وفنون القول للصف العاشر الأدبي/ المؤلفون السابقون- دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٤-٢٧٧ص.

ز- المطالعة للصف الثامن المتوسط/ جودة الركابي وآخرون- دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٥- ٢٩٠ص.

ح- المطالعة للصف السابع المتوسط/ المؤلفون السابقون ولطفي الصقال- دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٣-٢٢٣ص.

ط٢- دمشق: وزارة المعارف،١٩٥٤.

ط- المطالعة للصف السادس المتوسط/ المؤلفون السابقون- دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٣-٢٤٠ص.

ي- القراءة المختارة: الصف الثاني الثانوي/ د. جودت الركابي، قدري الحكيم- دمشق: وزارة التربية والتعليم، ١٩٦٣-٢٦٤ص.

ك- القراءة والنصوص الأدبية للصف السابع المتوسط/جودة الركابي، عبد الرحمن الباشا، نعيم الحمصي- دمشق: وزارة التربية، ١٩٥٨-١٤١ص.

ل- قواعد اللغة العربية للصف السابع المتوسط/ رشدي عرفة، بشير صنجي؛ نظر فيه: د. جودة الركابي، د. جميل سلطان، نعيم الحمصي، إحسان النص- دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٣- ٢٣٢ص.

م- قواعد اللغة العربية للصف السادس المتوسط/ قدري الحكيم، مازن المبارك؛ نظر فيه: د. جودة الركابي، د. جميل سلطان، نعيم الحمصي، إحسان النص- دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٣- ٢٤٧ص.

ن- قواعد اللغة العربية والإملاء للصف السابع المتوسط/ جودة الركابي، جميل سلطان، عبد الرحمن الباشا، نعيم الحمصي- دمشق: وزارة التربية، ١٩٦٠- ٢٠٠ص.

س- النحو والعروض للصف العاشر الأدبي/ د. جودة الركابي، د. جميل سلطان، نعيم الحمصي، إحسان النص، خليل هنداوي- دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٤- ٢٥٤ص.

ع- النصوص الأدبية المدروسة للصف الثاني عشر الفرع الأدبي/ جودة الركابي، جميل سلطان، نعيم الحمصي، إحسان النص، خليل هنداوي-

دمشق: وزارة المعارف، ١٩٥٥- ٣٤٨ص، ج١.

١٣- منهج البحث الأدبي في إعداد الرسائل الجامعية: دبلوم- ماجستير- دكتوراه. دمشق: دار ممتاز، ١٩٩٢- ٩٦ص.

وكتب سمر روحي الفيصل في صحيفة «الأسبوع الأدبي»- العدد (٣٤٧)- ١٩٩٣/١/٢١ عنه مقالاً بعنوان: (رأي في كتاب منهج البحث الأدبي).

١٤- الوافي في الأدب العربي الحديث/ د. جودة الركابي، إسماعيل عبد الكريم، حسام الخطيب- ط٢- دمشق: مكتبة أطلس، ١٩٦٤- ٤٦٢ص.

٢- البحوث والمقالات والمحاضرات:

١- (ابن سناء الملك) ضمن: دائرة المعارف/ فؤاد أفرام البستاني- بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠- مج٣.

٢- (ابن مطروح) ضمن: الموسوعة الإسلامية الصادرة بالفرنسية عن مطبعة بريل في مدينة ليدن بهولندة- مج٣/ ص٨٩٩-٩٠٠.

٣- (ابن نباتة) ضمن المصدر السابق- مج٣/ ص٩٢٤.

٤- (أتستورد الألقاب العلمية أيضًا؟)/ مجلة «تشرين الأسبوعي» العدد ٥٣- ١٥ آذار ١٩٩٩- ص٥٤.

٥- (الاتفاق المشؤوم)/ صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد ٣٨٥-٢٨ تشرين الأول ١٩٩٣.

٦- (الأثر الشامي في بلاد الأندلس)/ صحيفة «البعث» العدد ٨٥٧١- ١٧/٦/١٩٩١، وضمن كتاب: (دمشق أقدم مدينة في التاريخ- ندوة آذار الفكرية في مكتبة الأسد) دمشق ١٩٩١، ص٥٤-٦١.

٧- (الأجناس الأدبية)/ مجلة «الكاتب العربي» العدد ١٣- ١٩٨٥، ص٣٩- ٤٥.

٨- (أدب التحرر العربي)/ مجلة «الثقافة» الدمشقية، العدد ١١- آذار ١٩٥٩، ص ٩- ١٠، ١٦.

٩- (أدبنا والبنيوية)/ مجلة «الموقف الأدبي» العدد ٢٢٠- ٢٢١، آب- أيلول ١٩٨٩، ص٢٥- ٢٩.

١٠- (الأدب وفلسطين)/ بحث مقدم إلى مؤتمر الأدباء العرب الخامس- بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٥.

١١- (كتاب: أسرار المفاوضات الإسرائيلية العربية)/ صحيفة «تشرين» العدد ٧٢٤٠- ٢٥/ ١٠/١٩٩٨.

١٢- (أعودة إلى فلسطين عن طريق إسبانيا؟)/ صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد ٢٨٥- تشرين الأول ١٩٩١- ص١.

١٣- (إلياس فرحات)/ مجلة «الثقافة» الدمشقية العدد ٢- تموز ١٩٥٩، ص٣٦-٣٩.

١٤- (الأمة العربية والسلام)/ صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد ٣٦٩- ٨ تموز ١٩٩٣.

١٥-وكتب خليل خلايلي في صحيفة «الأسبوع الأدبي»- العدد (٣٧١)- ٢٢/ ٧/١٩٩٣ مقالاً عنه بعنوان: (قرأت في الأسبوع الأدبي: العرب والسلام).

١٦- (انتصارات القومية العربية)/ مجلة «الثقافة» الدمشقية العدد ٥- أيلول ١٩٥٨، ص٧- ٩.

١٧- (انطباعات أندلسية: من أدب الرحلات)/ صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد ٢٠٨- نيسان ١٩٩٠، ص٣و١١.

١٨- وكُتب عن المقال في العدد (٢٠٦) من صحيفة «الأسبوع الأدبي»- آذار ١٩٩٠.

١٩- (بهاء الدين زهير) ضمن: الموسوعة الإسلامية الصادرة بالفرنسية عن مطبعة بريل في مدينة ليدن بهولندة- مج٣/ ص٨٩٩-٩٠٠.

٢٠- (التأصيل والتجديد في الشعر الأندلسي: الموشحات نموذجًا)/ محاضرة ألقيت في الملتقى الدولي: آفاق الإبداع الأدبي والثقافي في الأندلس: دمشق ١٩٩٨.

٢١- (تشريعنا التعليمي وكيف يجب أن يكون)/ مجلة «المعلم العربي» العدد ٤- شباط ١٩٥٦، ص٢٩٣- ٣٠١.

٢٢- (التعليم المتكامل مدى الحياة)/ مجلة «المعلم العربي» العدد ٧- تموز ١٩٧٢، ص١-٤.

٢٣- (التفتيش وتوجيه التعليم)/ مجلة «المعلم العربي» العددان ١و٢- تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٥٦، ص٣٧- ٤١.

٢٤- (التفسير الفريد للجزء الثلاثين من القرآن المجيد: كتاب يصدر في دمشق ويثير اهتمام الأوساط الثقافية الغربية)/ صحيفة «تشرين» العدد ٧١٧٠- ١/ ١٩٩٨/٨.

٢٥- (تقرير حول تدريس اللغة العربية)/ مجلة «المعلم العربي» العددان ١و٢- تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٦٦، ص١٦٤.

٢٦- (تيارات الفكر الحديث: الأدب الفرنسي في فترة مابين الحربين)/ مجلة «المعلم العربي» العدد ٤- شباط ١٩٤٩، ص٤٦٢- ٤٦٨.

٢٧- (تيارات الفكر الحديث: من مطلع القرن العشرين حتى الحرب العالمية الأولى)/ مجلة «المعلم العربي» العدد ٣- كانون الثاني ١٩٤٩،

ص٣٠١- ٣٠٧.

٢٨- (جواب عن سؤال: هل تلتقي الأحزاب؟)/ ضمن كتاب: آراء رجال السياسة والفكر والاقتصاد- دمشق: الفن الحديث العالمي، ١٩٦٣- ص ٤٢-٤٤.

٢٩- (حافظوا على العلماء)/صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد ٢٦١- ٩أيار ١٩٩١.

٣٠- (حب الطبيعة في الشعر الأندلسي)/محاضرة ألقيت في المركز الثقافي الإسباني بتاريخ ١٩٩٧/٥/٦.

٣١- (الحداثة والبنيوية في معرفة النص الأدبي)/مجلة «آفاق الثقافة والتراث» العدد ١٠- أيلول ١٩٩٥، ص١٤.

٣٢- (الحرية في خدمة القومية العربية: حول حماية الأديب)/ مجلة «الآداب» العدد ١- كانون الثاني ١٩٥٨، ص ٢٩ - ٣١.

٣٣- (خالد العسلي)/ صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد ٢٣٤- ٢٥ تشرين الأول ١٩٩٠.

٣٤- (ديار الشام منطلق الوحدة العربية الكبرى)/ صحيفة «الشام» العدد ١٠٠٤ -كانون الأول ١٩٦٢- ص ٥.

٣٥- (رثاء المدن والممالك)/ محاضرة ألقيت في ملتقى النص الأدبي- جامعة الأمير عبد القادر في قسنطينة ٥-١٩٩٣/١٢/٧.

٣٦- (رسالة الأدب العربي الحديث)/مجلة «الثقافة» الدمشقية- العدد ١، أيار ١٩٥٨، ص٣٠-٣١.

٣٧- (الرواية: تأليفها وتمثيلها)/ صحيفة «مرآة الأيام» العدد١٢، أيلول ١٩٣٩.

٣٨- وكتب شمس الدين السمان نقدًا لهذا المقال في صحيفة «الشعب» في ١٩٣٩/١٠/٧.

٣٩- (الروح اللاتينية)/أندريه سيغفريد (ترجمة)- مجلة «المعلم العربي» العدد الرابع- نيسان ١٩٤٨، ص ٤٥٧-٤٦١.

٤٠- (الشباب والحياة الحاضرة)/ مجلة «المعلم العربي» العدد ٤- شباط ١٩٥٣، ص ٣٤٨-٣٥٣.

٤١- (الصحوة العربية تأتي دومًا من دمشق)/ صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد ٢٣٨-١٩٩٠/١١/٢٢.

٤٢- (طاولة «سارتر» وأصدقاء «الهافانا»)/ صحيفة «تشرين» العدد ٤٣٠٥- ١٩٨٨/١٠/٢٤.

٤٣- (الطريق السليمة إلى الوحدة العربية الشاملة)/صحيفة «الصدى العام» العدد ٢٦- آب ١٩٦٢- ص ٥.

٤٤- (عبد الرحيم آل شلبي: الراحل العزيز الباقي) ضمن كتاب: محبة ووفاء، ذكرى مرور عام على وفاة الكاتب الأديب عبد الرحيم آل شلبي- دمشق، دار الفاضل، ١٩٩٤، ص١٧-٢٥ .

٤٥- (علي عقلة عرسان في مسرحيته: الأقنعة)/ صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد ٢٦٧-٢٠ حزيران ١٩٩١- ص ٤.

٤٦- (الغزل في الشعر الأندلسي)/ محاضرة ألقيت في المركز الثقافي الإسباني في ٢٤ تشرين الأول ١٩٩٥.

٤٧- وكتبت سلوى حلاق في صحيفة «الثورة» العدد (٩٨٤٢)- ١/١١/ ١٩٩٥ عنها مقالاً بعنوان: (قراءة في الغزل في الشعر الأندلسي).

٤٨- (فتاة من هناك: في مدينة فيشي عام ١٩٤٣)/مجلة «الثقافة» الدمشقية- العدد٤- أيلول ١٩٥٩، ص ٩-١٢ (قصة).

٤٩- (فرص السلام)/ صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد ٢٥٦-١٩٩١/٣/٢٨.

٥٠- (فريد جحا)/ ضمن كتاب: تحية لفريد جحا.

٥١- (في سبيل البقاء)/ صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد ٢١١- أيار ١٩٩٠- ص١، ١١.

٥٢- (قبل الفاجعة وبعدها)/ صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد٢٥٤ — ١٤ آذار ١٩٩١.

٥٣- (قراءة في الضوء لـــ«قراءة في الظلام» ديوان الشاعر علي سليمان)/ مجلة «المعرفة» الدمشقية العدد ٤٠٤- أيار ١٩٩٧.

٥٤- (قصة «اللاز» للطاهر وطار: دراسة تحليلية)/ مجلة «الثقافة» الجزائرية العدد ٣٣- السنة السادسة، يونيو — يوليو ١٩٧٦، ص ٧٩-٩٣.

٥٥- كلمة الوفد العربي السوري إلى الاجتماع الطارئ للكتاب الأفريقيين الآسيويين المنعقد في بكين ١٩٦٦/ ضمن كتاب العرض الموجز لأعمال المؤتمر.

٥٦- (لماذا لا نعود؟)/ صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد (٢٠٢)- شباط ١٩٩٠، ص١و١١.

٥٧- (لويس ماسينيون بمناسبة مرور ثلاثين عامًا على وفاته) ضمن كتاب: تحية للويس ماسينيون/ فريد جحا- حلب: ١٩٩٢- ص٧٠-٧٨.

٥٨- (مأساة شاعر أمير: المعتمد بن عباد)/ مجلة «العربي»- العدد (١٩)- يونيو ١٩٦٠، ص ٥٣-٥٧.

٥٩- (مسؤولية الكاتب)/مجلة «الرسالة المخلصية» العدد السادس- حزيران

١٩٥١، ص ٤٤٣-٤٤٩.

٦٠- (مع كلية التربية) ضمن كتاب: كلية التربية بمناسبة مؤتمرها الذي عقد مابين ١١-١٣/٥/١٩٩٧.

٦١- (معنى البطولة)/ مجلة «المعلم العربي» العددان (٥و٦)- آذار ونيسان ١٩٥٩، ص ٣٥٥-٣٥٨.

٦٢- (المعهد الفرنسي: صداقة وفكر) ضمن كتاب ندوة: الحركة العلمية في المعهد الفرنسي من عام ١٩٢٢وحتى عام ١٩٩٢- دمشق: ١٩٩٥، ص ٧٥.

٦٣- (الموشحات)/ مجلة «المعلم العربي» العدد (٦)- نيسان ١٩٥٠، ص ٦٢٥-٦٣٤.

٦٤- (الموشحات الأندلسية خلقها الترف والحياة الناعمة)/ مجلة «العربي» العدد (٨) ١٩٥٩.

٦٥- وضمن كتاب «العربي»: إسبانيا أصوات وأصداء عربية- رقم (٣٥)، يناير ١٩٩٩.

٦٦- (الموشحات الأندلسية ودار الطراز) محاضرة ألقيت في المركز الثقافي العربي بدمشق- أبي رمانة بتاريخ ٤/٢/١٩٩٩.

٦٧- (مهمة الأدب وحريته)/مجلة «المعلم العربي» العدد الثالث- آذار ١٩٤٨، ص ٢٩٠-٢٩٤.

٦٨- (نشأة الموشحات وبنيتها) محاضرة ألقيت في باريس بتاريخ ١٤/٥/١٩٨٥ ومدريد في المؤتمر الدولي الأول للشعر الدوري.

٦٩- (نظرات في الثقافة)/ مجلة «العربي»- العدد (١٣)- ديسمبر ١٩٥٩- ص ١٢٣ (نقلاً عن جريدة «الوحدة»).

٧٠- (نظرة النقد العربي القديم إلى النص الأدبي) صحيفة «الموقف الأدبي» العدد ٣٠٦- تشرين الأول ١٩٩٦.

٧١- (نماذج لمحبة عربية في الأدب الإسباني المعاصر): ترجمة- مجلة «المعرفة» العدد ٤١٦-أيار ١٩٩٨- ص١٦٦.

٧٢- (الواقع العربي والفرصة المواتية) صحيفة «الأسبوع الأدبي» العدد ٢٧٠- تموز ١٩٩١، ص ١و١١.

٧٣- (وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي) ضمن كتاب: بحوث ودراسات في التاريخ العربي مهداة إلى الأستاذ الدكتور نور الدين حاطوم بمناسبة بلوغه السبعين- دمشق: دار شمأل، ١٩٩٢- ص٣٠٣.

٧٤- (وطن الشاعر القروي)/ مجلة «الثقافة» الدمشقية العدد ٦- تشرين الأول ١٩٥٨، ص ٤١-٤٢، ٤٤.

٧٥- (ويستمر السؤال: الضربة والعبرة...)/ مجلة «السؤال» العدد ٣٩- كانون الثاني ١٩٩٩، ص ٥٠.

٣- من المؤتمرات والملتقيات والندوات التي شارك فيها:

- مؤتمر الأدباء العرب: الثاني: دمشق ١٩٥٦، الثالث: القاهرة ١٩٥٧، الرابع: الكويت ١٩٥٩ بعنوان: (البطولة في الأدب العربي)، الخامس: بغداد: ١٩٦٥، العاشر: الجزائر ١٩٧٥.

- ملتقى ابن باديس للفكر والثقافة الوطنية: الأول: قسنطينة ١٩٨٦، الثاني: قسنطينة ١٩٨٧، الثالث: قسنطينة ١٩٨٩ بعنوان:(أيام التراث ومناهج تحقيقه).

- المؤتمر الدولي حول تعريب المكوِّنين العرب: قسنطينة ١٩٨٣.

- المؤتمر الدولي الأول حول الشعر الدوري العربي والعبري ونظيره

قسنطينة ١٩٨٧، الثالث: قسنطينة ١٩٨٩ بعنوان:(أيام التراث ومناهج تحقيقه).

- المؤتمر الدولي حول تعريب المكوّنين العرب: قسنطينة ١٩٨٣.

- المؤتمر الدولي الأول حول الشعر الدوري العربي والعبري ونظيره الرومنسي: مدريد ١٩٨٩.

- الملتقى الدولي لدراسة النص الأدبي في ضوء اللسانيات: قسنطينة ١٩٩٣.

- الملتقى الدولي الأول للدراسات البنيوية: قسنطينة ١٩٨٦.

- الملتقى الوطني الثاني للرواية: قسنطينة ١٩٨٦ بعنوان :(الرواية ملحمة الشعب وذاكرته الحية).

- ملتقى الرواية المغاربية: قسنطينة ١٩٨٨.

- المهرجان الشعري الوطني السادس لمحمد العيد آل خليفة: بسكره ١٩٨٧ بعنوان: (من أجل قراءة معاصرة لتراثنا الشعري).

- الندوة الدولية للثقافة العربية الإسبانية عبر التاريخ: دمشق ١٩٩٠.

- الملتقى الدولي: آفاق الإبداع الأدبي والثقافي في الأندلس: دمشق ١٩٩٨.

- مؤتمر الكتاب الأفريقيين الآسيويين: بكين ١٩٦٦.

٤- من رسائل الإشراف الجامعية:

أ- دكتوراه:

- القصة عند إبراهيم عبد القادر المازني: دراسة في المضمون والبنية/ عز الدين بوبيش- قسنطينة: معهد اللغة العربية وآدابها، ١٩٩٧.

- الثغري التلمساني في حياته وشعره/ دراسة وجمع وتحقيق: نوار بوحلاسة- قسنطينة: معهد اللغة العربية وآدابها، ١٩٩٧.

- النثر الفني في عصر الموحدين في الأندلس/ أحمد أبو موسى-

اللاذقية: جامعة تشرين.

ب- ماجستير:

- الشعر الزياني/ نوار بوحلاسة- قسنطينة: معهد اللغة العربية وآدابها، ١٩٨٩.

- المدرسة البرناسية وأثرها في الشعراء الجماليين العرب المحدثين في لبنان وسورية/ عبد المنعم مغزيلي- قسنطينة: معهد اللغة العربية وآدابها، ١٩٩٠.

- ملك غرناطة يوسف الثالث: حياته وشعره/ سراب يازجي- دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩٠.

- الرؤية والبنية في روايات الطاهروطار/ إدريس بوذيبة- قسنطينة: معهد اللغة العربية وآدابها، ١٩٩٦.

- الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية/ امحمد بن الأخضر فورار.

- ابن الأبار وآثاره ودراسة فنية لشعره/ العلمي الراوي.

- شعر الحرب والجهاد في العصر الأيوبي في مصر وبلاد الشام من ٥٦٤-٦٤٨هـ/علي عبيد.

- المنحى الجمالي في القصيدة العذرية/ محمد جزار.

- المنظور الروائي عند محمد ديب/ يوسف الأطرش.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ٢٠٠٤م

أ – الكتب العربية

أ. خير الله الشريف

– **أبحاث المؤتمر السنوي الثالث عشر لتاريخ العلوم عند العرب/** مجموعة من الباحثين – حلب: معهد التراث العلمي العربي، ٢٠٠٣.

– **الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن/** د. أمل يازجي، د. محمد عزيز شكري – ط١ – دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢.

– **أساسيات الكيمياء العامة: الذرات والجزئيات/** د. علي حمود علي –ط١– الخرطوم: جامعة الخرطوم، ٢٠٠٠.

– **استدراك الغلط الواقع في كتاب العين /** أبو بكر الزُّبيدي؛ حققه: د. عبد العلي الودغيري، د. صلاح مهدي الفرطوسي– دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٣.

– **الأشياء وتشكلاتها في الرواية العربية/** د. مصطفى إبراهيم الضبع – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ – (سلسلة: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٣).

– **الأعمال الشعرية .. /** د. علي عقلة عرسان – دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢.

– **أمراض جهاز الهضم الشائعة: التشخيص والمعالجة /** د. منذر الدقاق – دمشق: دار النفائس، ٢٠٠٤.

– **البعد الدولي للقضية لفلسطينية**/ د. محمد عزيز شكري – بيروت: الموسوعة الفلسطينية، ١٩٩٠– فصلة من المجلد السادس من القسم الثاني.

– **البلاغة في التفسير القرآني الأندلسي** .../د. خلدون سعيد صبح، قدم له: د. عبد الكريم اليافي– دمشق: مطبعة اليازجي، ٢٠٠٣.

– **تاريخ مدينة دمشق** / ابن عساكر، تحقيق: سكينة الشهابي – دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤ – مج ٦١.

– **تحولات عازف الناي**/ د. علي عقلة عرسان – دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٣.

– **التقديم والتأخير في القرآن الكريم:بلاغة وإبلاغ** /د.خلدون سعيد صبح – ط ١– دمشق: دار الينابيع، ٢٠٠٢.

– **تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣**/ الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي–عمان: الصندوق، ٢٠٠٣.

– **ثقافتنا والتحدي: خطابنا وخطاب العصر**/ د. علي عقلة عرسان– دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.

– **حركة تقنين أحكام الوقف في تارخ مصر المعاصر**/ علي عبد الفتاح علي جبريل–ط١– الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ٢٠٠٣– (سلسلة: الدراسات الفائزة في مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف ٢٠٠٠).

– **خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**/ النسائي، ترجمة وتحقيق: د. فتح الله نجار زادكان– قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٤هـ.

– **ذات القوافي: قصيدة في ثلاثين قافية بمدح سيد الوجود محمد ﷺ**/ ابن الدريهم، تحقيق: د. محمد حسان الطيان– الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤

- (سلسلة: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١١).

- **الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية/** مجموعة من الأساتذة- الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ -٢ج.

- **زهرة الرياض ونزهة المرتاض/** ابن طاووس الحلي، تحقيق: محمد الحسن الحسيني النيسابوري-ط١- قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٤هـ.

- **سلسلة الرواة للإجازات والأثبات/** تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي - شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ١٤٢٣هـ.

- **شرح فصوص الحكم/** داود القيصري، تحقيق: حسن الآملي- قم: بوستان كتاب، ١٤٢٤هـ - ج١ - (سلسلة: آثار حسن زاده آملي ١٩).

- **شعر حروب الردة .../** د. محمود عبد الله أبو الخير - ط١- عمان: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢.

- **الصحيفة الكاملة/** الإمام زين العابدين، تقديم: محمد حسين الحسيني الجلالي- شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ١٤٢٣هـ.

- **صمود وانهيار: مسارات التفاوض العربية الإسرائيلية .../**.د. علي عقلة عرسان- دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨- ٤ج.

- **صور أدبية في الحضارة الإسلامية.../** د. ماجدة حمود-ط١- دمشق: المستشارية الثقافية الإيرانية، ٢٠٠٣ - (سلسلة: كتاب الثقافة الإسلامية ١٨).

- **العار والكارثة/** د. علي عقلة عرسان - دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٢- ٢ج.

- **العلاقات بين الأمان العاطفي والاستقلال عن المجال الإدراكي /** د. معصومة أحمد إبراهيم - الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤- (سلسلة:

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٠).

– **علم العقاقير/** تريز، إيفانز؛ ترجمة: د. منصور السعيد وآخرين – دمشق: المركز العربي للتعريب، ٢٠٠٣.

– **قاموس الأخلاق والحقوق** / عباس المخبر الدزفولي –ط١– قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٤هـ.

– **كلمات قضت: معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة** / محمد بن ناصر العبودي – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٣هـ.

– **لماذا اخترت مذهب الشيعة ...**/ محمد مرعي الأمين الأنطاكي، حققه: عبد الكريم العقيلي – ط٢– قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٤هـ.

– **مبادئ القانون الدولي العام/** د. محمد عزيز شكري – دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٤.

– **المثقف العربي والمتغيرات: دراسة** / د. علي عقلة عرسان – دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٥.

– **مدخل إلى القانون الدولي العام** / د. محمد عزيز شكري – ط٨– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **المرأة في البلاط الأموي في الأندلس** / د. يوسف بن أحمد حوالة – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ – (سلسلة: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٢).

– **مصابيح البيت المحمدي** / محمد عباس علي – دمشق: المستشارية الثقافية الإيرانية، ٢٠٠٣ – (سلسلة: كتاب الثقافة الإسلامية ١٩).

– **مصالح الأبدان والأنفس** / أبو زيد البلخي، تحقيق: د.محمود مصري –

حلب: جامعة حلب، ٢٠٠٢.

– **معجم مصطلحات الإحصاء والاحتمالات** / مصطفى بنيخلف – الرباط: المعهد الوطني للإحصاء، ١٩٩١.

– **معجم مصطلحات اقتصادية مع ملحق لقواعد اللغة العربية** / مصطفى بنيخلف – الرباط: المعهد الوطني للإحصاء، ١٩٩١.

– **معجم مصطلحات الرياضيات مع ملحق لقواعد اللغة العربية** / مصطفى بنيخلف – الرباط: المعهد الوطني للإحصاء، ١٩٩٠.

– **المعلقات السبع** / أسعد دوراكوفيتش –سيراييفو: مكتبة سيراييفو، ٢٠٠٤.

– **ملحق خاتمة معجم الأحاديث في المصادر العامة**/ محمد حسين الحسيني الجلالي – شيكاغو: المدرسة المفتوحة، ١٤٢٣هـ.

– **المنتقى من صحيح الأحاديث القدسية** / اختارها وعلق عليها:حسن إسماعيل مروة – ط١ – دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٣.

– **هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام** / يوسف البديعي، تحقيق: د. عبد الإله نبهان، عبد الكريم الخطيب – أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٣.

– **الوجيز في القانون الدولي العام مقارناً بأحكام الفقه الإسلامي** / د. محمد عزيز شكري – ط٥ – دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٣.

– **وقفات مع المسرح العربي**/ د. علي عقلة عرسان – دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٦.

– **الوقـــف ودوره في دعـــم التعليم والثقافة في المملكة العربية السعودية** / خـــالد بن سليمان بن علي الخويطر – الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، -٢٠٠٣- (سلسلة: الدراسات الفائزة في مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف ٢٠٠١).

ب- المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١ – الأسبوع الأدبي	٩١٠ ، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧	٢٠٠٤م	سورية
٢ – دراسات تاريخية	٨٣ – ٨٤	٢٠٠٣م	سورية
٣ – مجلة باسل الأسد للعلوم الهندسية	١٩	٢٠٠٤م	
٤ – مجلة جامعة تشرين	مج ١٩ (١٢) مج ٢٤ (١١)	٢٠٠٢م	سورية
٥ – الموقف الأدبي	٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠	٢٠٠٤م	سورية
٦ – نضال الفلاحين	٣١	٢٠٠٤م	سورية
٧ – المجلة العربية	٣٢٦	٢٠٠٤م	السعودية
٨ – البيان	٤٠٥، ٤٠٧	٢٠٠٤م	الكويت
٩ – صوت الأمة	٣مج (٣٦)	٢٠٠٤م	الهند

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

1- Books:

- Andrew Marvell/ by: George def. Lord.
- Anglo – Saxon Poetry / by: R.K. Gordan.
- Crisis in English Poetry/ by: Vivian De Sala.
- Dialectical Materialism/ by: Maurice Cornforth.
- Dylan Thomas: The Legend and the Poet/ by: E. W. Tedlock.
- The Elements of Drama/ by: J.L. Styan.
- The English Epic and Its Background/ by: E. M. W. Tillyard.
- Frank kermode.
- Goethe / by: victor Lange.
- Goethe and World Literature/ by: Fritz Strich.
- Henry James/ by: Leon Edel.
- Homer the Odyssey / by: Robert Fitzgerald.
- John Donne/ by: Helen Gardner.
- Keats/ by: Walter Jackson Bate.
- The Life and Letters of John Keats/ by: Lord Houghton.
- Orwell/ by: Raymond Williams.
- Poe/ by: Robert Regan.
- Poets and Story – Tellers/ by: David Cecil.
- Proust/ by: Rene Girard.
- Poetry of this Age/ by: J. M. Cohen.
- The Rise of the Novel/ by: Ian Watt.
- Religion and the Rise of Capitalism/ by: R. H. Tawney.
- Samuel Beckett/ by: Francis Doherty.

- Sufism / by: A. J. Arberry.
- Samuel Johnson/ by: Donal J. Greene.
- The triple Thinkers/ by: Edmund wilson.
- The Theatre of the Absurd/ by: Martin Esslin.
- Watt Whitman/ by: Walt Whitman.

2 – Periodicals:

- Deutschland, No.2, 2004.
- East Asian Review, Vol. 16, No.(1-4) Korea.
- Folia Orientalia, Vol. XXXVIII, Poland.
- Global Forcasts and predications, No. 1.
- International Family Planning perspectives, Vol. 30, No. 4, 2004.
- Le Nouveau Courrier, Octobre, 2004.
- Population And Development Review, Vol. 30, No. 4, 2004.
- Resistance, No. 12, 2004.

فهرس الجزء الرابع

من المجلد التاسع والسبعين

(المقالات)

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

الفهارس العامة للمجلد التاسع والسبعين

أ- فهرس أسماء كتّاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

ب- فهرس عناوين المقـــالات

منسوقة على حروف المعجم

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٤

- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية (١٩٩٢ ــ ١٩٩٣)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٥

- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي، تحقيق د. محمد أحمد الدالي (أربعة أجزاء)
- النجوم الزواهر في معرفة الأواخر لابن اللبودي، تحقيق مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجادر
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٤ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٥ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٧

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٧، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي
- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ج٢، دراسة وتحقيق د. مراياتي، د.ميرعلم، د. الطيان
- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٤ ــ ١٩٩٥م
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٣٥ ــ ٣٦، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٨

محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٥ — ١٩٩٦

كتاب بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي، تأليف عبد القادر الشاذلي، تحقيق الدكتور عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٩

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٨، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٩، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

NO.4 VOL LXXIX

REVUE

DE L' ACADEMIE ARABE DE DAMAS

B.P (327)

E-mail: mla@net.sy

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٠

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٥١، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

رسائل الأستاذ الرئيس محمد كرد علي إلى الأب أنستاس ماري الكرملي، تحقيق حسين محمد عجيل

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠١

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٥٢.

كتاب «كتب الأنساب العربية» تأليف الدكتور إحسان النص.

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٢

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٥٩.

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٠.

الأسماء والأفعال والحروف (أبنية كتاب سيبويه)، تأليف أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق الدكتور أحمد راتب حموش

فهرس مجلة مجمع اللغة العربية للمجلدات الخمس عشرة (٦١-٧٥)، (الجزء السابع) (١٩٨٦ - ٢٠٠٠م) صنعة مأمون الصاغرجي

مطبوعات المجمع في عام ٢٠٠٣

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦١.

الاستدراك الغلط الواقع في كتاب العين، لأبي بكر الزبيدي، تح: د. صلاح مهدي الفرطوسي

السعر: ٤٠ ل.س داخل القطر

مطابع دار البعث





